

مَشْرُوحٌ

فَتْحُ الْبَلَاغَةِ

لَاِبْنِ أَبِي الْحَكَمِ

مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ

كَانَ الْكُتُبُهَا هَرَقِي  
بِشَاد



# شِرْكَةٌ مَهْجُ الْبِلَاغَةِ

ابن أبي الجوزي

٢٠ - ١٩

حقوق الطبع محفوظة  
الطبعة الأولى  
١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م



دار الكتاب العربي  
بيروت، لبنان

حقوق الطبع: ٢٠٠٧ - ٢٠٠٨  
http://www.Dar-ALamira.com  
email: info@dar-alamira.com



دار الكتاب العربي

بيروت - شارع الميناء  
تلفون: (٢١٥٤٥٢١) - ٧٩٠١٤١٩٣٧٥

مَكْتَبَةُ الْبَلَدِيَّةِ الْبَغْدَادِيَّةِ

بَنْدُوكْ بِلَادِيَّةِ الْبَلَدِيَّةِ الْبَغْدَادِيَّةِ

الطبعة الأولى  
تأسست سنة ١٣٦٠ - ١٩٤١  
مقر العمل: بغداد - العراق

# شَرْحُ نَهْجِ الْبَلَاغَةِ

ابن أبي الحديد

تحقيق

محمّد بن هاشم

المجلد العاشر

١٩ - ٢٠





## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الواحد العدل

- ١٨٦ -

الأصل: إِنَّمَا الْمَرْءُ فِي الدُّنْيَا غَرَضٌ تَنْتَضِلُّ فِيهِ الْمَنَائِمُ، وَنَهَبٌ تَبَادَرُهُ الْمَصَائِبُ، وَمَعَ كُلِّ جُرْعَةٍ شَرَقٌ، وَفِي كُلِّ أَكْلَةٍ عَصَصٌ، وَلَا يَنَالُ الْعَبْدُ نِعْمَةً إِلَّا بِفِرَاقٍ أُخْرَى، وَلَا يَسْتَقْبِلُ يَوْمًا مِنْ هُمُرِهِ إِلَّا بِفِرَاقٍ آخَرَ مِنْ أَجَلِهِ، فَتَحْنُ أَغْوَانُ الْمُنُونِ، وَأَنْفُسُنَا نَضَبُ الْحُوفِ، فَمَنْ أَيْنَ نَرْجُو الْبَقَاءَ، وَهَذَا اللَّيْلُ وَالتَّهَارُ لَمْ يَزَقَا مِنْ شَيْءٍ شَرْفًا، إِلَّا أَسْرَعَا الْكُرَّةَ فِي هَذِمِ مَا بَنَى، وَتَفَرَّقَا مَا جَمَعَا!

الشرح: قد سبق ذرة<sup>(١)</sup> من هذا الكلام في أثناء خطبته عليه السلام، وقد ذكرنا نحن أشياء كثيرة في الدنيا ونقلبها بأهلها.

ومن كلام بعض الحكماء: طوى للهارب من زخارف الدنيا، والصاد عن زهرة دُمْنِهَا<sup>(٢)</sup>، والخائف عند أمانها، والمتهتم لضمائنها، والباكي عند ضحكها إليه، والمتواضع عند إعزازها له، والناظر بعين عقله إلى فضائنها، والمتأمل لقبج مصارعها، والتارك لكلابها على جِيفِهَا، والمكذب لمواعيدها، والمتيقظ لخدعها، والمعرّض عن لَمْعِهَا، والعامل في إهمالها، والمتروّد قبل إيجالها.

قوله: «تنتضل» النّضل شيء يرمى، ويروى «تبادره» أي تتبادره، والغرض: الهدف. والنّهب: المال المنهوب غنيمة، وجمعه نهباب.

وقد سبق تفسير قوله: «لا ينال العبد نعمة إلا بفراق أخرى»، وقلنا: إن الذي حصلت له لذة الجماع حال ما هي حاصلة له، لا بد أن يكون مفارقاً لذة الأكل والشرب، وكذلك من يأكل ويشرب يكون مفارقاً حال أكله وشربه لذة الرّكض على الخيل في طلب الصيد، ونحو ذلك.

(١) ذرة من هذا الكلام: شيء منه. القاموس، مادة (ذرا).

(٢) دُمْنِهَا: آثارها. اللسان، مادة (دمن).

قوله: «فتحن أعوان المنون»، لأننا نأكل، ونشرب، ونجامع، ونركب الخيل، والإبل، ونتصرف في الحاجات والمآرب، والموت إنما يكون بأحد هذه الأسباب، إنما من أخلاط تحدثها المأكول والمشرب، أو من سقطة يسقط الإنسان من دابة هو راكبها، أو من ضعف يلحقه من الجماع المفرط، أو لمصادمات واصطكاكات تصيبه عند تصرفه في مآربه وحركته وسعيه، ونحو ذلك، فكأننا نحن أعتنا الموت على أنفسنا.

قوله: «نصب الحتوف» يروى: بالرفع والنصب، فمن رفع فهو خبر المبتدأ، ومن نصبه جعله ظرفاً.

- ١٨٧ -

**الأصل:** لَا خَيْرَ فِي الصَّنَةِ عَنِ الْحُكْمِ، كَمَا أَنَّهُ لَا خَيْرَ فِي الْقَوْلِ بِالْجَهْلِ.

**الشرح:** قد تكرر ذكر هذا القول، وتكرر منا شرحه وشرحه نظائره. وكان يقال: ما الإنسان لولا اللسان إلا بهيمة نهملة، أو صورة ممثلة. وكان يقال: اللسان عضو إن مرتته مرن، وإن تركته خرن.

- ١٨٨ -

**الأصل:** يَا بَنَ آدَمَ، مَا كَسَبْتَ قَوْقَ قَوْلِكَ، فَأَنْتَ فِيهِ خَازِنٌ لَغَيْرِكَ.

**الشرح:** أخذ هذا المعنى بعضهم، فقال

ما لي أراك الدهر تجمعُ دائباً ألبغلي عزيبك لا أبا لك تجمعُ!

وعاد الحسن البصري عبد الله بن الأهم في مرضه الذي مات فيه، فأقبل عبد الله يصرف بصره إلى صندوق في جانب البيت، ثم قال للحسن: يا أبا سعيد، فيه مائة ألف لم يؤد منها زكاة، ولم توصل بها رجم، قال الحسن: فكذلك أملك! فلم أعدذتها؟ قال: لرؤعة الزمان، ومكائنة الإخوان، وجفوة السلطان.

ثم مات، فحضر الحسن جنازته، فلما دفن صفق بإحدى راحتيه الأخرى، وقال: إن هذا

تأه شيطانه، فحذرهُ رُوعة زمانه، وجفوة سلطانه، ومكائفة إخوانه، فيما أستودعه الله إياه فادخره، ثم خرج منه كتيباً حزيناً، لم يؤد زكاة، ولم يصل رجماً. ثم التفت فقال: أيها الوارث، كل هنيئاً، فقد أتاك هذا المال حلالاً، فلا يكن عليك وبالاً، أنك ممن كان له جمعاً منوعاً، يركب فيه لُجج البحار، ومفاويز القفار، من باطل جمعه، ومن حق منعه، لم ينتفع به في حياته، وضره بعد وفاته، جمعه فأوزعه، وشده فأوكاه إلى يوم القيامة، يوم ذي حسرات، وإن أعظم الحسرات أن تری مالک في ميزان غيرك، بخلت بمال أوتيته من رزقي الله أن تُنفقه في طاعة الله، فخرته لغيرك، فأنفقه في مرضاة ربه، يا لها حسرة لا تُقال، ورحمة لا تُنال! إنا لله وإنا إليه راجعون!.

- ١٨٩ -

**الأصل:** إِنَّ لِلْقُلُوبِ شَهْوَةً وَإِثْبَالًا، وَإِدْبَارًا، فَأَتَوْهَا مِنْ قِبَلِ شَهْوَتِهَا وَإِثْبَالِهَا، فَإِنَّ الْقَلْبَ إِذَا أَكْرَهَ عَمِي.

**الشرح:** قد تقدم القول في هذا المعنى.

والعلة في كون القلب يعمى إذا أكره على ما لا يحبه، أن القلب عضو من الأعضاء، يتعب ويستريح كما تتعب الجئة عند استعمالها وأحمالها، وتستريح عند ترك العمل، كما يتعب اللسان عند الكلام الطويل، ويستريح عند الإمساك، وإذا تواصل إكراه القلب على أمر لا يحبه ولا يؤثره تعب، لأن فعل غير المحبوب مُتعب، ألا ترى أن جماع غير المحبوب يحدث من الضعف أضعاف ما يحدثه جماع المحبوب، والركوب إلى مكان غير محبوب مُتعب ولا يُستهى يُتعب البدن أضعاف ما يُتعبه الركوب إلى تلك المسافة إذا كان المكان محبوباً، وإذا أُتعب القلب وأغيا، عجز عن إدراك ما نكلفه إدراكه، لأن فعله هو الإدراك، وكل عضو يتعب فإنه يعجز عن فعله الخاص به، فإذا عجز القلب عن فعله الخاص به وهو العلم والإدراك، فذاك هو عماه.

- ١٩٠ -

**الأصل:** وكان عليه السلام يقول: متى أشفي غيظي إذا غيبت! أجبني أعجز عن الانتقام فيقال لي: لو صبرت! أم حين أقدر عليه، فيقال لي: لو عفوت!

الشرح: قد تقدّم القول في الغضب مرأواً.

وهذا الفصل نصيح لطيف المعنى، قال: لا سبيل لي إلى شفاء غيظي عند غضبي، لأنّي إمّا أن أكون قادراً على الانتقام فيصّدني عن تعجيله قول القائل: لو عفرت لكان أولى! وإمّا ألا أكون قادراً على الانتقام فيصّدني عنه كوني غير قادر عليه، فإذاً لا سبيل لي إلى الانتقام عند الغضب. وكان يقال: العقل كالبراة المجلوة يصدّه الغضب، كما تصدأ المرأة بالخل، فلا يثبت فيها صورة القبح والخس.

واجتمع سُفيان الثوريّ وقُضيل بن عياض فتذاكرا الزهد، فأجمعا على أنّ أفضل الأعمال الجلم عند الغضب، والصبر عند الظلم.

- ١٩١ -

الأصل: وقال عليه السلام: وقد مرّ بقدر على مؤبلة: هذا ما بخل به الباخلون. وفي خير آخر أنّه قال: هذا ما كنتم تتناقسون فيه بالأمس!

الشرح: قد سبق القول في مثل هذا، وأن الحسن البصري مرّ على مؤبلة، فقال: انظروا إلى بطمهم ودجاجهم وحلوانهم وصلمهم وسمنهم، والحسن إنما أخذه من كلام أمير المؤمنين عليه السلام، وقال ابن وكيع في قول المتنبي:

لو أفكر العاشق في منتهى حسن الذي يسببه لم يسبه

إنه أراد: لو أفكر في حاله وهو في القبر، وقد تغيرت محاسنه، وسالت عينه، قال: وهذا مثل قولهم: لو أفكر الإنسان فيما يؤول إليه الطعام فعافته نفسه.

وقد صرّب العلماء مثلاً للدين ومخالفة آخرها أولها، ومضادة مبادئها عواقبها، فقالوا: إنّ شهوات الدنيا في القلب لذبة كشهوات الأطعمة في المعدة، وسيجد الإنسان عند الموت لشهوات الدنيا في قلبه من الكراهة والتّئن والقبح ما يجدّه للأطعمة اللذيذة إذا طبختها المعدة وبلغت غاية نضجها، وكما أن الطعام كلما كان ألذ طعماً وأظهر حلاوة، كان رجيحه أقدر وأشدّ تنناً، فكذلك كل شهوة في القلب أشهى وألذ وأقوى، فإنّ تنهتها وكراحتها والتأذي بها عند الموت أشدّ، بل هذه الحال في الدنيا مشاهدة، فإن من نهيت داره، وأخذ أهله وولده وماله، تكون مصيئته وألمه وتغيّبه في الذي قدّ بمقدار لذته به، وحبه له، وحرصه عليه، فكل ما كان في الوجود أشهى وألذّ، فهو عند الفقد أدهى وأمرّ، ولا معنى للموت إلّا فقد ما في الدنيا.

وقد روي أن النبي ﷺ قال للضحّاك بن سُفْيَانَ الكلابيّ: «ألسْتَ تُؤْتِي بَطْعَامَكَ وَقَدْ قَرَحَ وملح، ثم تشرب عليه اللبن والماء؟ قال: بلى، قال: «فإلى ماذا يصير؟» قال: إلى ما قد علمت يا رسول الله، قال: فإن الله عز وجل صَرَبَ مِثْلَ الدُّنْيَا بما يصير إليه طعام ابن آدم<sup>(١)</sup>. وَرَوَى أَبِي بِنِ كَعْبٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنْ أَنْتَ صَرَبْتَ مِثْلَ لَا بِنِ آدَمَ فَانْظُرْ مَا يَخْرُجُ مِنْ ابْنِ آدَمَ، وَإِنْ كَانَ قَرَحُهُ وَمِلْحُهُ إِلَى مَاذَا صَارَ»<sup>(٢)</sup>.

وقال الحسن رحمه الله: قد رأيتهم يطيبونه بالطيب والأفاويه ثم يرمونه حيث رأيتم، قال الله عز وجل: «فَيَنْظُرُ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ»<sup>(٣)</sup>، قال ابن عباس: إلى رَجِيئِهِ. وقال رجل لابن عمر: إني أريد أن أسالك وأستحيي، فقال: لَا تَسْتَحْيِي وَسَلْ، قال: إذا قَضَى أَحَدُنَا حَاجَتَهُ فَقَامَ، هل ينظر إلى ذلك منه؟ فقال: نعم، إِنْ الْمَلِكُ يَقُولُ لَهُ: انْظُرْ هَذَا مَا بَخَلْتُ بِهِ، انْظُرْ إِلَى مَاذَا صَارَ!.

- ١٩٢ -

**الأصل:** لَمْ يَذْهَبْ مِنْ مَالِكَ مَا وَهَبَكَ.

**الشرح:** مثل هذا قولهم: إِنْ الْمَصَابِيْ أَنْثَامُنُ التَّجَارِبِ.

وقيل لعالم فقير بعد أن كان غنياً: أين مالك؟ قال: تَجَرْتُ فِيهِ فَاثْبَعْتُ بِهِ تَجَرِبَةَ النَّاسِ وَالْوَقْتُ، فَاسْتَفْذْتُ أَشْرَفَ الْعَوَظِينَ.

- ١٩٣ -

**الأصل:** إِنْ هَذِهِ الْقُلُوبُ تَمَلُّ كَمَا تَمَلُّ الْأَبْدَانُ، فَابْتَغُوا لَهَا طَرَائِفَ الْحِكْمَةِ.

(١) أخرجه نحوه أحمد، كتاب: مسند المكيين، باب: حديث الضحاك (١٥٣٢٠)، والطبراني في «الكبير» (٨١٣٨)، والبيهقي في «الشعب» (١٠٤٧٢).

(٢) أخرجه نحوه أحمد، كتاب: مسند الأنصار، باب: حديث عتي بن ضمرة السعدي (٢٠٧٣٣)، وأخرجه ابن المبارك في «الزهد» (٤٩٤)، ونحوه ابن حبان (٧٠٢)، والطبراني (٥٣١).

(٣) سورة عبس، الآية: ٢٤.

**الشرح:** هذا قد تكرر، وتكرر منا ذكر ما قيل في إجماع النفس والتفيس عنها من كُزْب الجَد والإحماض وفسرنا معنى قوله عَلَيْهِ السَّلَام: «قَابَتْهُوا لَهَا طَرَائِفَ الْحِكْمَةِ» وقلنا: المراد ألا يَجْمَلَ الإنسان وقته كله مصروفاً إلى الأنظار العقلية في البراهين الكلامية والحكمية، بل ينقلها من ذلك أحياناً إلى النظر في الحكمة الثعلبية فإنها حكمة لا تحتاج إلى إتعاب النفس والخطاير.

فأما القول في الدُعابة فقد ذكرناه أيضاً فيما تقدم، وأرضعنا أن كثيراً من أعيان الحكماء والعلماء كانوا ذوي دُعابة مقتصدة لا مسرفة، فإن الإسراف فيها يُخرج صاحبه إلى الخلاعة، ولقد أحسن من قال:

أَفْذُ طَبْعِكَ الْمَكْدُودَ بِالْجَدِّ رَاحَةً      تَجَمَّ وَعَلَّلَهُ بِشَيْءٍ مِنَ الْمَزَجِ  
لَكِنْ إِذَا أَعْظَيْتَهُ ذَاكَ فَلْيَكُنْ      بِمَقْدَارٍ مَا يُغْطِي الطَّعَامُ مِنَ الْجِلْجِ

- ١٩٤ -

**الأصل:** وقال عَلَيْهِ السَّلَام: لَمَّا سَمِعَ قَوْلَ الْخَوَارِجِ: لَا حُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ، كَلِمَةً حَقَّ بِرَأْدِهَا بَاطِلٌ.

**الشرح:** معنى قوله سبحانه: ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ﴾، أي إذا أراد شيئاً من أفعال نفسه فلا بد من وقوعه، بخلاف غيره من القادرين بالقدرة فإنه لا يجب حصول مرادهم إذا أرادوه، إلا ترى ما قبل هذه الكلمة: ﴿يَتَّبِعُونَ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَجِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنَّ اللَّهَ لَهُ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾. خاف عليهم من الإصابة بالعين إذا دخلوا من باب واحد، فأمرهم أن يدخلوا من أبواب متفرقة، ثم قال لهم: ﴿وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾<sup>(١)</sup>، أي إذا أراد الله بكم سوءاً لم يدفع عنكم ذلك السوء ما أشرت به عليكم من التفرق، ثم قال: ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ﴾ أي ليس حيي من الأحياء يَنقُذُ حكمه لا محالة ومراده لما هو من أفعاله إلا الحي القيوم وحده، فهذا هو معنى هذه الكلمة، وضلت الخوارج عندما فأنكروا علي أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَام موافقته على التحكيم، وقالوا: كيف يحكم وقد قال الله سبحانه: ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ﴾، فغلطوا لموضع اللفظ المشترك، وليس هذا الحكم هو ذلك الحكم، فإذن هي كلمة حق يراد بها باطل، لأنها حق على المفهوم الأول، ويريد بها الخوارج نفي كل ما يسمى حكماً إذا صدر عن غير الله تعالى، وذلك باطل، لأن الله تعالى قد أمضى حكم المخلوقين في كثير من الشرائع.

- ١٩٥ -

**الأصل:** وقال ﷺ في صفة الغوغاء: هُم الَّذِينَ إِذَا اجْتَمَعُوا حَلَبُوا، وَإِذَا تَفَرَّقُوا لَمْ يُعْرِفُوا. وقيل: بَلْ قَالَ ﷺ: هُم الَّذِينَ إِذَا اجْتَمَعُوا ضَرُّوا، وَإِذَا تَفَرَّقُوا نَفَعُوا، قَبِيلٌ: قَدْ عَلِمْنَا مَضَرَّةَ اجْتِمَاعِهِمْ، فَمَا مَنَعُهُ أَفْتِرَاقِهِمْ؟ فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: يَرْجِعُ أَهْلُ الْيَمَنِ إِلَى مِهْنِهِمْ، يَسْتَعِجُ النَّاسُ بِهِمْ، كَرَجُوعِ الْبَنَاءِ إِلَى بَنَائِهِ، وَالنَّسَاجِ إِلَى مَنَسَجِهِ، وَالْحَبَّازِ إِلَى مَخْبَزِهِ.

**الشرح:** كان الحسن إذا ذُكِرَ الغوغاء وأهل السوق قال: قتلة الأنبياء، وكان يقال: العامة كالبحر إذا هاج أَهْلَكَ رَاكِبَهُ. وقال بعضهم: لا تَسُبُّوا الغوغاء فإنهم يُطْفِئُونَ الحَرِيقَ، وَيُثَقِّدُونَ الغَرِيقَ، وَيُسَدُّونَ الثُّبُوقَ.

وقال شيخنا أبو عثمان: الغاغة والباعة والحاقة كأنهم أَعْدَاؤُ هَامٍ واحد، ألا ترى أَنَّكَ لَا تَجِدُ أَبَدًا فِي كُلِّ بَلَدٍ فِي كُلِّ عَصْرِ هَوْلَاءٍ بِمَقْدَارٍ وَاحِدٍ وَجْهٌ وَاحِدَةٌ مِنَ السُّخْفِ وَالنَّقْصِ والخمول والغباوة، وكان المأمون يقول: كُلُّ شَرٍّ وَعُظْلَمٍ فِي الْعَالَمِ فَهُوَ صَادِرٌ عَنِ الْعَامَةِ والغوغاء، لأنهم قَتَلُوا الأنبياء والمُعْتَرُونَ بين العلماء، والتَّعَامُونَ بين الأَوْدَاءِ، ومنهم اللصوص، وَقَطَاعُ الطَّرِيقِ، وَالظَّرَارُونَ، وَالْمُحْتَالُونَ وَالسَّاعُونَ إِلَى السُّلْطَانِ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ حُشِرُوا عَلَى عَادَتِهِمْ فِي السَّعَايَةِ فَقَالُوا: ﴿رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكِبَرَانَنَا فَأَصْلَحْنَا السَّبِيلَ﴾ ﴿١﴾ رَبَّنَا عَامِهِمْ يَضْعِفِينَ مِنَ الْعَذَابِ وَالنَّهَمِ لَنَا كَبِيرًا﴾ ﴿٢﴾.

- ١٩٦ -

**الأصل:** وقال ﷺ: وَقَدْ أَنِي بِجَانٍ وَمَعَهُ غُوغَاءٌ فَقَالَ: لَا مَرْحَبًا بِوُجُوهٍ لَا تُرَى إِلَّا عِنْدَ كُلِّ سَوْءَةٍ.

**الشرح:** أَخَذَ هَذَا اللَّفْظَ الْمُسْتَعِجُ بِاللَّهِ وَقَدْ أُذْخِلَ عَلَيْهِ ابْنُ أَبِي الشَّوَّارِبِ الْقَاضِي وَمَعَهُ الشَّهَادَةُ لِيَشْهَدُوا عَلَيْهِ أَنَّهُ قَدْ خَلَعَ نَفْسَهُ مِنَ الْخِلَافَةِ وَبَايَعَ لِلْمَعْتَزِ بِاللَّهِ، فَقَالَ: لَا مَرْحَبًا بِهِذِهِ الْوُجُوهَ الَّتِي لَا تُرَى إِلَّا يَوْمَ سُوءٍ.



وقال من شرح النهج والعامة: إن في الحديث المرفوع: إن الله ينصر هذا الدين يقوم لا وكان الاحتف يقول: أكرموا شهابكم فإنهم يكتفونكم النار والعار.

وقال الشاعر:

وأنني لأستبقي امرا السوء عُدَّةً      لعدوة عريض من الناس جائب  
أخاف كلاب الأبعدين وهرشها      إذا لم تُجاوبها كلاب الأتارب

- ١٩٧ -

الأصل: إن مع كل إنسان ملكين يحفظانه، فإذا جاء القدر حليا بينه وبينه، وإن الأجل جنة حصينة.

الشرح: قد تقدم هذا، قلنا: إنه ذهب كثير من الحكماء هذا المذهب، وإن الله تعالى ملائكة مؤكلّة تحفظ البشر من التردّي في بحر، ومن إصابة سهم معترض في طريق، ومن نهش حية، أو تسع عقرب، ونحو ذلك. والشرائع أيضا قد وردت بمثلها وإن الأجل جنة، أي دوزخ، ولهذا في علم الكلام مخرج صحيح، وذلك لأن أصحابنا يقولون: إن الله تعالى: إذا علم أن في بقاء زيد إلى وقت كذا لظفا له أو لغيره من المكلفين صدم من يهيم بقتله عن قتله بالطاري يفعلها تصدّه عنه أو تصرفه عنه بصارف، أو يمنعه عنه بمانع، كي لا يقطع ذلك الإنسان بقتل زيد بالأنطاف التي يعلم الله أنها مقرّبة من الطاعة، ومبعدة من المعصية لزيد أو لغيره، فقد بان أن الأجل على هذا التقدير جنة حصينة لزيد، من حيث كان الله تعالى باعتبار ذلك الأجل مانعا من قتله وإبطال حياته، ولا جنة أحصن من ذلك.

- ١٩٨ -

الأصل: وقال عليه السلام: وَقَدْ قَالَ لَهُ طَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ: نُبَايُكَ عَلَى أَنَّا شَرَكَاؤُكَ فِي هَذَا الْأَمْرِ، فَقَالَ: لَا: وَلَكِنَّكُمْ شَرِيكَا فِي الْقُوَّةِ وَالْإِسْتِعَانَةِ، وَهَوَانِ عَلَى الْعَجْزِ وَالْأَوْدِ.

الشرح: قد ذكرنا هذا فيما تقدم حيث شرحنا بيعة المسلمين لعلي عليه السلام كيف وقعت بعد

مَقْتَلِ عِثْمَانَ، وَلَقَدْ أَحْسَنَ فِيمَا قَالَ لَهَا لَمَّا سَأَلَاهُ أَنْ يُشْرِكَاهُ فِي الْأَمْرِ، فَقَالَ: أَمَّا الْمُشَارَكَةُ فِي الْخِلَافَةِ فَكَيْفَ يَكُونُ ذَلِكَ؟ وَهَلْ يَصِحُّ أَنْ يَدْبِرَ أَمْرَ الرَّهِيَةِ إِمَامَانِ!

وَهَلْ يُجْمَعُ السُّيْفَانُ وَيَحْكُ فِي غَمْدٍ

وَلِنِإِمَّا تُشْرِكَانِي فِي الْقُوَّةِ وَالِاسْتِعَانَةِ أَيَّ إِذَا قَوِيَ أَمْرِي وَأَمْرُ الْإِسْلَامِ بِي قَوِيَتَا أُنْتَمَا أَيْضاً، وَإِذَا عَجِزَتْ عَنْ أَمْرٍ، أَوْ تَأَوَّدَ عَلَيَّ أَمْرٌ - أَيَّ أَحْوَجَ - كُنْتَمَا عَوْنَيْنِ لِي وَمُسَاعِدَيْنِ عَلَى إِصْلَاحِهِ.

فَإِنْ قُلْتَ: فَمَا مَعْنَى قَوْلِهِ: «وَالِاسْتِعَانَةُ»؟

قُلْتُ: الْإِسْتِعَانَةُ هَاهُنَا الْفُورُ وَالظُّفُرُ، كَانُوا يَقُولُونَ لِلْقَائِمِ يَفُوزُ قَدْحُهُ: قَدْ جَرَى ابْنَا عَنَانَ. وَهَمَا خَطَّانَ يُخِطَّانَ فِي الْأَرْضِ يُزَجَرُ بِهِمَا الطَّيْرُ، وَاسْتَعَانَ الْإِنْسَانُ، إِذَا قَالَ وَقْتُ الظُّفْرِ وَالْقَلْبَةِ هَذِهِ الْكَلِمَةُ.

- ١٩٩ -

الأصل: أَيُّهَا النَّاسُ، اتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِنْ قُلْتُمْ سَمِعَ، وَإِنْ أَصْمَرْتُمْ عَلِمَ، وَيَا دُرُودُوا الْمَوْتَ الَّذِي إِنْ مَرَبْتُمْ مِنْهُ أَذْرَكَكُمْ، وَإِنْ أَفْنَيْتُمْ أَخَذَكُمْ، وَإِنْ نَيْسَبْتُمْوهُ ذَكَرَكُمْ.

الشرح: قَدْ تَقَدَّمَ مِمَّا كَلَامٌ كَثِيرٌ فِي ذِكْرِ الْمَوْتِ، وَرَأَى الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ رَجُلًا يَجُودُ بِنَفْسِهِ، فَقَالَ: إِنْ أَمَرَأَ هَذَا آخِرُهُ، لَجْدِيرٌ أَنْ يُزْهَدَ فِي أَوَّلِهِ، وَإِنْ أَمَرَأَ هَذَا أَوَّلُهُ لَجْدِيرٌ أَنْ يُخَافَ مِنْ آخِرِهِ.

وَمِنْ كَلَامِهِ: فَصَحَّ الْمَوْتُ الدُّنْيَا.

وَقَالَ خَالِدُ بْنُ صَفْوَانَ: لَوْ قَالَ قَاتِلُ: الْحَسَنُ أَفْصَحُ النَّاسَ لِهَذِهِ الْكَلِمَةِ لَمَّا كَانَ مَخْطِئًا. وَقَالَ لِرَجُلٍ فِي جَنَازَةٍ: أَرَأَيْتَ هَذَا الْمَيِّتَ لَوْ عَادَ إِلَى الدُّنْيَا لَكَانَ يَمْعَلُ عَمَلًا صَالِحًا؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَإِنْ لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ فَكُنْ أَنْتَ ذَاكَ.

- ٢٠٠ -

الأصل: لَا يُزْهَدَنَّكَ فِي الْمَمْرُوفِ مَنْ لَا يَشْكُرُكَ لَكَ، فَقَدْ يَشْكُرُكَ عَلَيْهِ مَنْ لَا يَسْتَفْتِي بِشَيْءٍ مِنْهُ، وَقَدْ يُذَرِّكَ مِنْ شُكْرِ النَّاسِ أَكْثَرَ مِمَّا أَصَابَ الْكَافِرُ، وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُخْسِنِينَ.

**الشرح:** قد أخذت أنا هذا المعنى فقلت من جملة قصيدة لي جكمية:

لا تُسَلِّينَ إلى ذي اللوم مَكْرَمَةً      فإنه سَبَخَ لا يُنْبِت الشَّجَرَ  
فإن زَرَعْتَ فمَحْفُوظٌ بِمَضْيَعَةٍ      وأَكْلُ زَرْعِكَ شُكْرُ الْغَيْرِ إن كَفَرَ  
وقد سبق منا كلامٌ طويلٌ في الشكر.

ورأى العباس بن المأمون يوماً بحضرة المعتصم خاتماً في يد إبراهيم بن المهدي، فاستحسنه، فقال له: ما قص هذا الخاتم، ومن أين حصلته؟ فقال إبراهيم: هذا خاتم رهنه في دولة أبيك، وافتككته في دولة أمير المؤمنين، فقال العباس: فإن لم تشكر أبي على حقّه ذمك، فانت لا تشكر أمير المؤمنين على فكه خاتمك.

وقال الشاعر:

لَعَمْرُكَ ما المعروف في غير أهله      وفي أهله إلا كبعض الودائع  
فمستودع ضاع الذي كان عنده      ومستودع ما عنده غير ضائع  
وما الناس في شكر الضئيلة عندهم      وفي كفرها إلا كبعض المزايح  
فمزعة طابث وأضعف نبتها      ومزعة أكدت على كل زارع

- ٢٠١ -

**الأصل:** كُلُّ وَعَاءٍ يَضِيْقُ بِمَا جُعِلَ فِيهِ، إِلَّا وَعَاءَ الْعِلْمِ فَإِنَّهُ يَتَّسِعُ بِهِ.

**الشرح:** هذا الكلام نخته سرّ عظيم، ورُمز إلى معنى شريف غامض، ومنه أخذ مُثَبِّتو النفس الناطقة المحبّة على قولهم، ومحصول ذلك أن القوَى الجُسمانيّة يَكْلُمُها وَيُثَبِّتُها تَكَرَّارُ أفعالها عليها، كقوّة البصر يَتَّبِعُها تَكَرَّارُ إِفْرَاقِ الْمَرَيَّاتِ، حتّى ربّما أذهبها وأبطلها أصلاً، وكذلك قوّة السمع يَتَّبِعُها تَكَرَّارُ الأصوات عليها، وكذلك غيرها من القوَى الجُسمانيّة، ولكنا وجدنا القوّة العاقلة بالعكس من ذلك، فإنّ الإنسان كلّما تَكَرَّرَتْ عليه المعقولات ازدادت قوّة العقلية سعةً وانسباطاً واستعداداً لإدراك أمور أخرى غير ما أدركته من قبل، حتّى كان تَكَرَّارُ الْمَعْقُولَاتِ عليها يَشْحَذُها وَيَضْفُلُها، فهي إذَنْ مخالفة في هذا الحكم للقوَى الجُسمانيّة، فلمَيس منها، لأنّها لو كانت منها لكان حُكْمُها حُكْمَ واحدٍ من أخواتها، وإذا لم تكن جُسمانيّة فهي مجردة، وهي التي نسميها بالنفس الناطقة.

- ٢٠٢ -

**الأصل: أَوَّلُ مَوْصِي الْحَلِيمِ مِنْ جَلِيمٍ، أَنَّ النَّاسَ أَنْصَارُهُ عَلَى الْجَاهِلِ.**

**الشرح:** قد تقدّم من أقوالنا في الحلم ما في بعضه كفاية.

وفي الحكم القديمة: لَا تَتَيْنِ حُسْنَ الظُّفْرِ بِقُبْحِ الانْتِقَامِ.

وكان يقال: اعْفُ عَمَّنْ أَبْطَأَ عَنِ الذَّنْبِ، وأسرع إلى التّدم.

وكان يقال: شاوَرِ الْأَنَاةَ وَالتَّثَبُّتَ، وذَاكِرِ الْحَفِظَةَ عِنْدَ هَيْجَانِهَا مَا فِي عَوَاقِبِ الْعُقُوبَةِ التَّدَمِّ، وخاصِمُهَا بِمَا يُوَدِّي إِلَيْهِ الْحُلْمُ مِنَ الْإِغْتِبَاطِ.

وكان يقال: يَنْبَغِي لِلْحَازِمِ أَنْ يَقْدَمَ عَلَى عَذَابِهِ وَصَفْحِهِ تَعْرِيفَ الْمُذْنِبِ بِمَا جَنَاهُ، وَإِلَّا نُسِبَ حِلْمُهُ إِلَى الْعَقْلَةِ وَكَلَالِ حَدِّ الْفِطْنَةِ. وَقَالَتِ الْأَنْصَارُ لِلنَّبِيِّ ﷺ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ: إِنَّهُمْ فَعَلُوا بِكَ نَمَّ فَعَلُوا، يُغْرُونَهُ بِقَرِيشٍ، فَقَالَ: «إِنَّمَا سُمِّيتَ مُحَمَّدًا لِأَحْمَدٍ».

- ٢٠٣ -

**الأصل: إِنْ لَمْ تَكُنْ حَلِيمًا فَتَحَلَّمْ، فَإِنَّهُ قَلَّ مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ إِلَّا أَوْشَكَ أَنْ يَكُونَ مِنْهُمْ.**

**الشرح:** التَّحَلَّمُ: تَكَلَّفَ الْحُلْمَ، وَالَّذِي قَالَه ﷺ صَحِيحٌ فِي مَنَاجِيعِ الْحِكْمَةِ، وَذَلِكَ لِأَنَّ مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ وَتَكَلَّفَ التَّخَلُّقَ بِأَخْلَاقِهِمْ، وَالتَّادَبَ بِأَدَابِهِمْ، وَاسْتَمَرَّ عَلَى ذَلِكَ وَمَرَّنَ عَلَيْهِ الزَّمَانَ الطَّوِيلَ، اكْتَسَبَ رِيَاضَةً قَوِيَّةً، وَمَلَكَهَ ثَابِتَةً، وَصَارَ ذَلِكَ التَّكَلُّفَ كَالطَّبْعِ لَهُ، وَانْتَقَلَ عَنِ الْخُلُقِ الْأَوَّلِ، أَلَّا تَرَى أَنَّ الْأَعْرَابِيَّ الْجُلْفَ الْجَانِي إِذَا دَخَلَ الْمَدْنَ وَالْقَرْىَ وَخَالَطَ أَهْلَهَا وَطَالَ مُكُوثُهُ فِيهِمْ انْتَقَلَ عَنِ خُلُقِ الْأَعْرَابِ الَّذِي نَشَأَ عَلَيْهِ، وَتَلَطَّفَ طَبْعُهُ، وَصَارَ شَيْهًا بِسَاكِنِي الْمَدْنَ، وَكَأَلَا جَنِيٍّ عَنْ سَاكِنِي الْوَرَى، وَهَذَا قَدْ وَجَدْنَاهُ فِي حَيَوَانَاتٍ أُخْرَى غَيْرِ الْبَشَرِ كَالْبَازِي وَالصُّقْرِ وَالْفَهْدِ الَّتِي تَرَاغُضُ حَتَّى تَذِلَّ وَتَأَنَسَ وَتَتْرَكَ طَبْعَهَا الْقَدِيمَ، بَلْ قَدْ شَاهَدْنَاهُ فِي الْأَسَدِ، وَهُوَ أَبْتَدَى الْحَيَوَانَ مِنَ الْإِنْسِ.

وَذَكَرَ ابْنُ الصَّبَاحِيِّ أَنَّ عَصَدَ الدُّوَلَةَ بَنَ بُوَيْهَ كَانَتْ لَهُ أَسُودٌ يَصْطَادُ بِهَا كَالْفُهْرَةِ فَتَمْسِكُهُ عَلَيْهِ حَتَّى يَدْرِكَهُ فَيَذْكِيهِ، وَهَذَا مِنَ الْعَجَائِبِ الطَّرِيفَةِ.

- ٢٠٤ -

**الأصل:** مَنْ حَاسَبَ نَفْسَهُ رَيْحَ، وَمَنْ عَقَلَ عَنَّا خَيْرَ، وَمَنْ خَافَ أَمِينَ، وَمَنْ أَعْتَبَرَ أَبْصَرَ، وَمَنْ أَبْصَرَ فَهَمَ، وَمَنْ فَهَمَ عِلِمَ.

**الشرح:** قد جاء في الحديث المرفوع: «حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا»<sup>(١)</sup>.

قوله: «ومن خاف أمن» أي من اتقى الله أمن من عذابه يوم القيامة.

ثم قال: «ومن اعتبر أبصر» أي من قاس الأمور بعضها ببعض، واتعظ بآيات الله وأيامه أضاءت بصيرته، ومن أضاءت بصيرته فهم، ومن فهم علم.

فإن قلت: الفهم هو العلم، فأني حاجة له إلى أن يقول: «ومن فهم علم»؟

قلت: الفهم هاهنا هو معرفة المقدمات، ولا بد أن يستعقب معرفة المقدمات معرفة النتيجة، فمعرفة النتيجة هو العلم، فكأنه قال: من اعتبر تنور قلبه بنور الله تعالى ومن تنور قلبه عقل المقدمات البرهانية، ومن عقل المقدمات البرهانية علم النتيجة الواجبة عنها، وتلك هي الممرة الشريفة التي في مثلها يتنافس المتنافسون.

- ٢٠٥ -

**الأصل:** لَتَمُوتَنَّ الدُّنْيَا عَالِيْنَا بَعْدَ شِمَائِيهَا عَظَفَ الضُّرُوسُ عَلَى وَلَدَيْهَا. وَتَلَا عَقِيبَ ذَلِكَ:

﴿وَرُئِدَ أَنْ تَمُنَّ عَلَى أَلْدِيكَ أَسْتَفْهِمُوا فِي الْأَرْضِ وَتَجَسَّلَهُمْ أَيْمَةً وَتَجَسَّلَهُمُ الْوَرَثِيَّةُ﴾<sup>(١)</sup>.

**الشرح:** الضماس: مصدر شمس الفرس إذا منع من ظهوره.

والضروس: الناقة السيفة الخلق تعض حالبها، والإمامية تزعم أن ذلك وعد منه بالإمام الغائب الذي يملك الأرض في آخر الزمان. وأصحابنا يقولون: إنه وعد بإمام يملك الأرض

(١) روي موقوفاً على عمر بن الخطاب في «المصنف» لابن أبي شيبة (٩٦/٧)، و«الزهد» لابن المبارك (٣٠٦).

(٢) سورة القصص، الآية: ٥.

ويستولي على الممالك، ولا يلزم من ذلك أنه لا بُدَّ أن يكون موجوداً، وإن كان غائباً إلى أن يظهر، بل يكفي في صحة هذا الكلام أن يُخلق في آخر الوقت.

وبعض أصحابنا يقول: إنَّه إشارة إلى مُلك السَّاح والمنصور وابني المنصور بعده. فإنهم الذين أزالوا ملك بني أمية، وهم بنو هاشم، وبطريقهم عطفت الدنيا على بني عبد المقلب عطف الضروس.

وتقول الزيدية: إنه لا بدَّ من أن يملك الأرض فاطمي يتلوه جماعة من الفاطميين على مذهب زيد، وإن لم يكن أحد منهم الآن موجوداً.

- ٢٠٦ -

**الأصل:** اتَّقُوا اللَّهَ ثِقَةً مِّنْ شَمَرٍ تَجْرِيداً، وَجَدَّ تَشْمِيرَآ، وَأَكْمَشَ فِي مَهَلٍ، وَبَادَرَ عَن وَجَلٍ، وَنَظَرَ فِي كَرَّةِ الْمُؤَلِّلِ، وَعَاقِبَةِ الْمُصْدِرِ، وَمَعَبَةِ الْمَرْجِعِ.

**الشرح:** لو قال: «وجرد تشميراً»، لكان قد أتى بنوع مشهور من أنواع البليغ، لكنه لم يحول بذلك، وجرى على مقتضى طبعه من البلاغة الخالية من التكلف والتصنع، على أن ذلك قد روي، والمشهور الرواية الأولى.

وأكمش: جدَّ وأسرع، ورجل كمش، أي جاد.  
وفي مهَل: أي في مهلة العمل قبل أن يضيِّق عليه وقته بدنو الأجل.

- ٢٠٧ -

**الأصل:** الْجُودُ حَارِسُ الْأَغْرَاضِ، وَالْجُلْمُ فِدَامُ السَّفِيهِ، وَالْعَفْوُ زَكَاةُ الظَّفْرِ، وَالسُّلُوُ حَوْضُكَ وَمِنْ هَدَرٍ، وَالْإِسْتِشَارَةُ عَيْنُ الْهَدَايَةِ.

وَقَدْ خَاطَرَ مَنِ اسْتَشْفَى بِرَأْيِهِ، وَالصَّبْرُ يَنْاضِلُ الْحِذَانِ، وَالْجَرَعُ مِنْ أَهْوَانِ الزَّمَانِ، وَأَشْرَفَ الْفَنَى، تَرَكَ الْمُنَى.

وَكَمْ مِنْ عَقْلٍ أَسِيرٍ عِنْدَ هَوَى أَمِيرٍ! وَمِنْ التَّوْفِيقِ حِفْظُ التَّجَرِبَةِ، وَالْمَوَدَّةُ قَرَابَةُ مُسْتَفَادَةٍ، وَلَا تَأْمَنَنَّ مَلُولاً.

الشرح: مثل قوله: «الجود حارس الأعراض» قولهم: كل عيب فالكرم يغطيه.

والقدم: خِرْقَةٌ تجعل على قم الإبريق، فشبه الحلم بها، فإنه يرد السفية عن السفه كما يرد القدم الخمر عن خروج القذى منها إلى الكاس.

فأما «والعفو زكاة الظفر» فقد تقدم أن لكل شيء زكاة، وزكاة الجاه رَفْدُ المُسْتَعِين، وزكاة الظفر العفو.

وأما «السُّلُو عوضك ممن غدر» فمعناه أن من غدر بك من أحيائك وأصدقائك فأسأل عنه وتناسه، واذكر ما غاملك به من الغدر، فإنك تسلو عنه ويكون ما استغفرتَه من السلو عوضاً عن وصاله الأول، قال الشاعر:

اعتقني سوء ما صنعت من الرِّقِّ      فإيا برزقها على كيدي  
فصرتُ عبداً للسُّوء فيك وما      أحسن سوء قبلي إلى أحدٍ  
وقد سبق القول في الاستشارة، وأن المستغنى برأيه مخاطر، وكذلك القول في الصبر والمناصلة: المراماة.

وكذلك القول في الجزع، وأن الإنسان إذا جزع عند المصيبة فقد أعان الزمان على نفسه، وأضاف إلى نفسه مصيبة أخرى.

وسبق أيضاً القول في المني، وأنها من بضائع النوى.

وكذلك القول في الهوى، وأنه يغلب الرأي ويأسره.

وكذلك القول في التجربة، وقولهم: من حارب المجرب حلت به الندامة، وإن من أضاع التجربة فقد أضاع عقله ورأيه.

وقد سبق القول في المودة، وذكرنا قولهم: الصديق نسيب الروح، والأخ نسيب الجسم، وسبق القول في المال.

وقال العباس بن الأحنف:

لو كنت عاتبة لسكن عبرتي      أملي رضاك وزرت غير مراقب  
لكن مللت فلم يكن لي حيلة      صد الملول خلاف صد العاتب

**الشرح:** قد تقدّم القول في العُجْب، ومعنى هذه الكلمة أنّ الحاسد لا يزال مجتهداً في إظهار معائب المحسود وإخفاء محاسنه، فلَمَّا كان عُجْب الإنسان بنفسه كاشفاً عن نقص عقله كان كالحاسد الذي دأبه إظهار عيب المحسود ونقصه.

وكان يقال: مَنْ رَضِيَ عن نفسه كثر الساخط عليه.

وقال مطرف بن الشخير: لَأَنْ أُبَيِّت نائماً، وأصبح نادماً، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أُبَيِّت قائماً وأصبح نادماً.

- ٢٠٩ -

**الأصل:** أَغْضِ عَلَى الْقَدَى وَالْأَلَمِ تَرْضَ أَبْداً.

**الشرح:** نظير هذا قول الشاعر:

وَمَنْ لَمْ يُعْمَضْ عَيْنُهُ عَنْ صَدِيقِهِ      وَعَنْ يَغْضِ مَا فِيهِ يَمُتْ وَهُوَ عَاتِبٌ  
وَمَنْ يَتَتَبَّعْ جَاهِداً كُلَّ عَشْرَةٍ      يَجِدُهَا وَلَا يَسْلُمُ لَهُ الدَّهْرُ صَاحِبٌ

وقال الشاعر:

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَشْرَبْ مَراراً عَلَى الْقَدَى      فَلَيْمَتْ، وَأَيُّ النَّاسِ تَصْفُو مَشَارِبُهُ!

وكان يقال: أَغْضِ عن الدهر وإلا صررك.

وكان يقال: لا تحارب الأيام وإن جنحت دون مطلوبك منها، واصحبها بسلاسة القيادة، فإنك إن تصحبها بذلك تعطيك بعد المنع، وتلين لك بعد القساوة، وإن أبيت عليها قادتك إلى مكروه ضرورها.

- ٢١٠ -

**الأصل:** مَنْ لَانَ عُرْدُهُ كَفَّتْ أَغْصَانُهُ.



**الشرح:** تكاد هذه الكلمة أن تكون إيماء إلى قوله تعالى: ﴿وَالْبَلَدُ الظَّلِيمُ يَخْرُجُ بَنَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ﴾<sup>(١)</sup>، ومعنى هذه الكلمة أن مَنْ حَسَنَ خُلُقَهُ، ولانت كلمته، كثر محبوبه وأحوانه وأتباعه.

ونحوه قوله: «مَنْ لانت كلمته، وجبت محبته»<sup>(٢)</sup>.

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْتَضَا بِنَ حَوْلِكَ﴾<sup>(٣)</sup>، وأصل هذه الكلمة مطابق للقواعد الحكمية، أعني الشجرة ذات الأغصان حقيقة، وذلك لأن النبات كالحيوان في القوى النفسانية، أعني الغاذية والمنمية، وما يخدم الغاذية من القوى الأربع، وهي الجاذبة، والماسكة، والدافعة، والهاضمة، فإذا كان اليبس غالباً على شجرة كانت أغصانها أخف، وكان عودها أدق، وإذا كانت الرطوبة غالبية كانت أغصانها أكثر، وعودها أغلظ، وذلك لاقتضاء اليبس الذبول، واقتضاء الرطوبة الغلظ والعبالة والضخامة، ألا ترى أن الإنسان الذي غلب اليبس على مزاجه، لا يزال مهلولاً نحيفاً، والذي غلبت الرطوبة عليه لا يزال ضخماً عبلاً.

- ٢١١ -

**الأصل: الخلاف يهدم الرأي.**

**الشرح:** هذا مثل قوله عليه السلام في موضع آخر: «لا رأي لمن لا يطاع».

ويروى: لا إمرة لمن لا يطاع.

وفي أخبار قصير وجذيمة: «لو كان يطاع لقصير أمر».

وكان يقال: اللجاج يشحذ الرجاج، ويشير العجاج.

وقال دريد بن الصنم:

أمرتهم أمري بمنعرج اللوى      فلم يستبينوا النضح إلا ضحى العبد  
فلما عصوني كنت منهم وقد أرى      غوايتهم وأتني غير مهتدي  
وكان يقال: أهدى رأي الرجل ما نفذ حكمه، فإذا خولف فسد.

(١) سورة الأعراف، الآية: ٥٨.

(٢) أخرجه المجلوني في كشف الخفاء: ٢/ ٢٨٥ رقم: ٢٦٤٨.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٥٩.

ومن كلام أفلاطون: اللُّجَاج عسر انطباع المعقولات في النَّفس، وذلك إمَّا لِفَرْطِ حِدَّةِ تكون في الإنسان، وإمَّا لِفَلْظِ طَبِيعِ فلا ينقاد للرأي.

- ٢١٢ -

**الأصل:** مَنْ نَالَ اسْتِظَالَ.

**الشرح:** يجوز أن يريد به: مَنْ أَتَرَى ونال من الدنيا حظاً استظال على الناس.

وجوز أن يريد به: مَنْ جَاد استظال بجوده.

يقال: نالني فلان بكذا أي جاد به عليّ، ورجل نال، أي جواد ذو نائل، ومثله رجل طان أي ذو طين، ورجل مال أي ذو مال.

- ٢١٣ -

**الأصل:** فِي تَقَلُّبِ الْأَحْوَالِ، جِلْمُ جَوَاهِرِ الرِّجَالِ.

**الشرح:** معناه: لَا تُعَلِّمَ أَخْلَاقَ الْإِنْسَانِ إِلَّا بِالْتَّجَرِبَةِ، واختلاف الأحوال عليه. وقديماً قيل: تَرَى الْفَتْيَانَ كَالْتَّغْلُ، وما يدريك ما الدُّخْلُ.

وقال الشاعر:

لَا تُحَمَّدَنَّ امْرَأً حَتَّى تَجَرَّبَهُ وَلَا تَذَمَّنَّهُ إِلَّا بِتَجَرُّبٍ

وقالوا: التجربة محكّ، وقالوا: مثل الإنسان مثل البطيخة، ظاهرها موقن، وقد يكون في باطنها العيب والدود، وقد يكون طعمها حامضاً وتنفهاً.

وقالوا للرجل المجرب يمدحونه: قد آل وائل عليه.

وقال الشاعر يمدح:

مَا زَالَ يَحْلِبُ هَذَا الدُّهْرَ أَشْطَرُهُ

حَتَّى اسْتَمَرَّتْ عَلَى شَرْزِ مَرِيرَتِهِ

يَكُونُ مَثْبِعاً طَوْرًا وَمَتَبَعاً

مُسْتَحْكَمُ الرَّأْيِ لَا قَحْماً وَلَا ضَرَعاً

- ٢١٤ -

الأصل: حَسَدُ الصَّدِيقِ مِنْ سُقْمِ المَوَدَّةِ.

الشرح: إذا حسدك صديقك على نعمة أعطيتها لم تكن صداقته صحيحة، فإن الصديق حقاً من يجري مجرى نفسك، والإنسان لم يحسد نفسه.

وقيل لحكيم: ما الصديق؟ فقال: إنسان هو أنت، إلا أنه غيرك.

وأخذ هذا المعنى أبو الطيّب فقال:

مَا الْخِلُّ إِلَّا مَنْ أَوْدُ بِقَلْبِهِ وَأَرَى بِطَرْفٍ لَا يَرَى بِسَوَائِهِ  
وَمِنْ أَدْعِيَةِ الْحُكَمَاءِ: اللَّهُمَّ اكْفِنِي بَوَاقِ الثَّقَاتِ، واحفظني من كيد الأصدقاء. وقال

الشاعر:

احذر عَدُوَّكَ مَرَّةً      واحذر صديقك ألفَ مَرَّةٍ  
فلربما انقلب الصديق      ثم فُكَّانَ أعرف بالمضرة

وقال آخر:

احذر مَوَدَّةَ مَآذِي      شاب المرارة بالحلاوة  
يحصي الذنوب عليك أيَّ      تام الصداقة للمداوة

وذكر خالد بن صفوان شبيب بن شبية، فقال: ذاك رجل ليس له صديق في السر ولا عدو في العلانية.

وقال الشاعر:

إذا كان دَراماً أخوك مصارماً      موجهة في كل أوب ركائبه  
فخل له ظهر الطريق ولا تكن      مطية زحالي كثير مذهبته

- ٢١٥ -

الأصل: أَكْثَرُ مَصَارِعِ الْمُقُولِ تَحْتَ بُرُوقِ المَطَامِعِ.

**الشرح:** قد تقدّم منا قولٌ في هذا المعنى.

ومنه قول الشاعر:

طَلِمَعَتْ بَلِيلَى أَنْ تُرِيْعَ وَإِنَّمَا      تُقَطِّعُ أَعْنَاقَ الرِّجَالِ الْمَطَامِيعُ  
وقال آخر:

إِذَا حَدَّثْتُكَ النَّفْسُ أَنَّكَ قَادِرٌ      عَلَى مَا حَوَّثَ أَيْدِي الرِّجَالِ فَكُذِّبْ  
وإِنَّاكَ وَالْأَطْمَاعُ إِنْ وُعِدَوهَا      رَقَارِقُ آلٍ أَوْ بَسَوَارِقُ خُلَبِ

- ٢١٦ -

**الأصل:** لَيْسَ مِنَ الْعَذْلِ الْفَضَاءُ عَلَى الثَّقَةِ بِالْقَلْبِ.

**الشرح:** هذا ومثله قول أصحاب أصول الفقه: لا يجوز نسخ القرآن والسنة المنوثة بخبر الواحد، لأن المظنون لا يرفع المعلوم.

ولفظ الثقة هاهنا مرادف للفظ العلم، فكأنه قال: لا يجوز أن يزال ما علم بطريق قطعية لأمر ظني.

فإن قلت: أليس البراءة الأصلية معلومة بالعقل، ومع ذلك تُرفع بالآمارات الظنية كأخبار الأحاد؟

قلت: ليست البراءة الأصلية معلومة بالعقل مطلقاً، بل مشروطة بعدم ما يرفعها من طريق علمي أو ظني، ألا ترى أن أكل الفاكهة وشرب الماء معلوم بالعقل حسنه، ولكن لا مطلقاً، بل بشرط انتفاء ما يقتضي قبحه، فإننا لو أخبرنا إنسان أن هذه الفاكهة أو هذا الماء مسموم لفتيح منا الإدغام على تناولهما، وإن كان قول ذلك المخبر الواحد لا يفي العلم القطعي.

- ٢١٧ -

**الأصل:** يَسَّ الرَّاؤُ إِلَى الْمَعَادِ، الْعُدْوَانُ عَلَى الْعِبَادِ.

الشرح: قد تقدّم من قولنا في الظلم والمُذَوَان ما فيه كفاية.

وكان يقال: هَجَبًا لِمَنْ عُوِيْل فَأَنْصِف، إِذَا عَامَلَ كَيْفَ يَظْلِمُ! وأعجب منه: مَنْ عُوِيْل فَيُظْلِمُ إِذَا عَامَلَ كَيْفَ يَظْلِمُ!

وكان يقال: العَدُوّ عَدُوّان: عَدُوٌّ ظَلَمْتَهُ، وَعَدُوٌّ ظَلَمَكَ، فَإِنْ اضْطَرَّكَ الدَّهْرُ إِلَى أَحَدِهِمَا فَاسْتَعِنْ بِالَّذِي ظَلَمَكَ، فَإِنَّ الْآخَرَ مَوْتُورٌ.

- ٢١٨ -

الأصل: مَنْ أَشْرَفَ أَعْمَالِ الْكَرِيمِ غَفَلَتْهُ عَمَّا يَنْتَمِ.

الشرح: كان يقال: التَّغافلُ مِنَ السُّؤْدُدِ.

وقال أبو تمام:

لَيْسَ النَّبِيُّ بِسَيِّدٍ فِي قَوْمِهِ      لَكِنْ سَيِّدُ قَوْمِهِ الْمُتَغَايِبِ  
وقال طاهر بن الحسين بن مصعب:

وَيَكْفِيكَ مِنْ قَوْمٍ شَوَاهِدُ أَمْرِهِمْ      فَخُذْ صَفْوَهُمْ قَبْلَ امْتِحَانِ الضَّمَايِرِ  
فَلِإِنَّ امْتِحَانَ الْقَوْمِ يُوحِشُ مِنْهُمْ      وَمَا لَكَ إِلَّا مَا تَرَى فِي الظُّلُومِ  
وَأَنَّكَ إِنْ كَشَفْتَ لَمْ تَرِ مُخْلِصًا      وَأَبْدَى لَكَ التَّجْرِبُ خَبْتَ السَّرَائِرِ  
وكان يقال: بَعْضُ التَّغافلِ فَضِيلَةٌ، وَتَعَامُّ الْجُودِ الْإِمْسَاكُ عَنْ ذِكْرِ الْمَوَاهِبِ، وَمَنْ الْكَرَمُ أَنْ تُصَفِّحَ عَنِ التَّوْبِيخِ، وَأَنْ تَلْتَمِسَ شَرَّ هَتَكَ الْكَرِيمِ.

- ٢١٩ -

الأصل: مَنْ كَسَاهُ الْحَيَاءُ قُوَّةً، لَمْ يَرِ النَّاسُ عَيْبَهُ.

الشرح: قد سبق منا قول كثير في الحياء.

## فصل: بعض ما قيل في الحياء

وكان يقال: الحياء تمام الكرم، والجلم تمام العقل.  
وقال بعض الحكماء: الحياء انقباض النفس عن القبايح، وهو من خصائص الإنسان؛ لأنه لا يوجد في الفرس ولا في الغنم والبقر، ونحو ذلك من أنواع الحيوانات، فهو كالضحك الذي يختص به نوع الإنسان، وأول ما يظهر من قوة الفهم في الصبيان الحياء، وقد جعله الله تعالى في الإنسان ليرتدع به عما تنزع إليه نفسه من القبيح، فلا يكون كالبهيمة، وهو خلق مركب من جبن وعفة، ولذلك لا يكون المستحي فاسقاً، ولا الفاسق مستحيّاً، لتنافي اجتماع العفة والفسق، ولتألفا يكون الشجاع مستحيّاً والمستحي شجاعاً لتنافي اجتماع الجبن والشجاعة، ولعزة وجود ذلك ما يجمع الشعراء بين المدح بالشجاعة والمدح بالحياء نحو قول الفاعل:  
يَجْري الحياءُ الغُصنُ من قِسماتِهِمْ      في حينِ يَجْري من أكْفِهِم الدَّمُ  
وقال آخر:

كريمٌ يَغْضُ الطرفَ فَضْلُ حَيائِهِ      وَيَذْنُو أطرافَ الرُّمَاحِ دَوَانِ  
ومنى قصد به الانقباض فهو مدح للصبيان دون المشايخ، ومنى قصد به ترك القبيح فهو مدح لكل أحد، وباعتبار الأول قيل: الحياء بالافاضل قبيح، وباعتبار الثاني ورد: إن الله ليستحي من ذي شئبة في الإسلام أن يعذبه، أي يترك تعذيبه ويستحي لكرمه ذلك.  
فأما الخجل فحيرة تلحق النفس لقرط الحياء، ويحمد في النساء والصبيان ويؤدب بالاتفاق في الرجال. فأما القحة فمذمومة بكل لسان، إذ هي انسلاخ من الإنسانية، وحقيقتها لجأ النفس في تعاطي القبيح، واشتقاقها من حافر وقاح أي صلب.

ولهذه المناسبة قال الشاعر:

يا ليت لي من جلد وجهك رُقعةً      فأعذ منها حافراً للأشهبِ  
وما أصدق قول الشاعر:

صلابة الوجه لم تغلب على أحدٍ      إلا تكامل فيه الشرُ واجتمعا  
فأما كيف يكتسب الحياء، فمن حق الإنسان إذا هم بقيح أن يتصور أجل من نفسه أنه يراه، فإن الإنسان يستحي ممن يكبر في نفسه أن يطلع على عيبه ولذلك لا يستحي من الحيوان غير الناطق، ولا من الأطفال الذين لا يميزون، ويستحي من العالم أكثر مما يستحي من الجاهل ومن الجماعة أكثر مما يستحي من الواحد، والذين يستحي الإنسان منهم ثلاثة: البشر، ونفسه، والله تعالى، أما البشر فهم أكثر من يستحي منه الإنسان في غالب الناس، ثم نفسه، ثم خالقه، وذلك لقلة توفيقه وسوء اختياره.

واعلم أن من استحيًا من الناس ولم يستحي من نفسه فنفسه عنده أخس من غيره، ومن استحيًا منهما ولم يستحي من الله تعالى فليس عارفاً، لأنه لو كان عارفاً بالله لما استحيًا من المخلوق دون الخالق، ألا ترى أن الإنسان لا بد أن يستحي من الذي يعظمه ويعلم أنه يراه أو يستمع بخبره فيبيته، ومن لا يعرف الله تعالى كيف يستعظمه وكيف يعلم أنه يطلع عليه! وفي قول رسول الله ﷺ: «استحيوا من الله حق الحياء»<sup>(١)</sup>، أمر في ضمن كلامه هذا بمعرفته سبحانه وحث عليها، وقال سبحانه: ﴿أَلَمْ يَرَهُ أَنَّ اللَّهَ يَرُوءُ﴾<sup>(٢)</sup>، تنبيهاً على أن العبد إذا علم أن ربه يراه استحيًا من ارتكاب الذنب.

وسئل الجنيّد رحمه الله عما يتولد منه الحياء من الله تعالى، فقال: أن يرى العبد آلاء الله سبحانه ونعمه عليه، ويرى تقصيره في شكره.

فإن قال قائل: فما معنى قول النبي ﷺ: «مَنْ لَا حَيَاءَ لَهُ فَلَا إِيمَانَ لَهُ»<sup>(٣)</sup>.

قيل له: لأنّ الحياء أول ما يظهر من أمارّة العقل في الإنسان، وأما الإيمان فهو آخر المراتب، ومحال حصول المرتبة الأخيرة لمن لم تحصل له المرتبة الأولى، فالواجب إذن أن مَنْ لَا حَيَاءَ لَهُ فَلَا إِيمَانَ لَهُ.

وقال ﷺ: «الحياء شعبة من الإيمان»<sup>(٤)</sup>.

وقال: «الإيمان غريان، ولباسه التقوى، وزينته الحياء»<sup>(٥)</sup>.

- ٢٢٠ -

**الأصل:** بِكَثْرَةِ الصَّنَمِ تَكُونُ الْهَيْئَةُ، وَبِالْصَّفَةِ يَكْثُرُ الْمُوَاصِلُونَ، وَبِالْإِضْطِغَالِ تَعْظُمُ الْأَفْدَارُ، وَبِالتَّوَاضُّعِ تَتِمُّ النِّعْمَةُ، وَبِاخْتِمَالِ الْمُؤْنِ يَجِبُ الشُّؤْدُدُ، وَبِالسَّيْرِ الْعَادِلَةِ يَفْهَرُ الْمُتَوَانِي، وَبِالْجَلْمِ عَنِ السُّفِيهِ تَكْثُرُ الْأَنْصَارُ عَلَيْهِ.

(١) أخرجه الترمذي، كتاب: صفة القيامة، الرقائق (٢٤٥٨)، وأحمد، كتاب: «مسند المكثرين» من الصحابة، باب: مسند عبد الله بن مسعود (٣٦٦٢). والحاكم في «المستدرک» (٧٩١٥).

(٢) سورة العلق، الآية: ١٤.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب: الإيمان، باب: أمور الإيمان (٩)، ومسلم كتاب: الإيمان، باب: بيان عدد «شعب الإيمان» (٣٥)، والنسائي، كتاب: الإيمان وشرائعه، باب: ذكر «شعب الإيمان» (٥٠٠٤)، وأبو داود، كتاب: السنة، باب: رد الإرجاء (٤٦٧٦).

(٤) أخرجه الحكيم الترمذي في «النوادر» (٤١/١)، والديلمي في «مسند الفردوس» (٣٨٠).

(٥) أخرجه الحكيم الترمذي في «النوادر» (٢٠٧/٢)، والديلمي في «مسند الفردوس» (٣٨٠).

**الشرح:** قال يحيى بن خالد: ما رأيت أحداً قط صامناً إلا هيته حتى يتكلم، فلما أن تزداد تلك الهيئة أو تنقص. ولا ريب أن الإنصاف سبب انعطاف القلوب إلى المنصف، وأن الإفضال والجد يقتضي عظم القدر، لأنه إنعام، والمُنعم مشكور، والتواضع طريق إلى تمام النعمة، ولا سوؤة إلا باحتمال المُن، كما قال أبو تمام:

والحمدُ شهْدٌ لا تَرَى مُشْتَارَهَ يَجْزِيهِ إِلَّا مَنْ نَوَّعَ الْحَنْظَلِ  
غُلٌّ لِحَامِلِهِ وَيَحْسَبُهُ الَّذِي لَمْ يُوْهِ عَاتِقُهُ خَفِيفَ الْمَحْمَلِ  
والسيرة العادلة سبب لقهر الملك الذي يُسير بها أعداءه، وَمَنْ حَلَمَ عَنْ سَفِيهِ وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى  
الانتقام مِنْهُ نَصَرَ النَّاسَ كُلَّهُمْ عَلَيْهِ، وَاتَّفَقُوا كُلُّهُمْ عَلَى ذَمِّ ذَلِكَ السَفِيهِ وَتَقْبِيحِ فِعْلِهِ، وَالِاسْتِقْرَاءُ  
وَاخْتِبَارُ الْعَادَاتِ تَشْهَدُ بِجَمِيعِ ذَلِكَ.

- ٢٢١ -

**الأصل:** الْعَجَبُ لِغَفْلَةِ الْحَسَادِ، عَنْ سَلَامَةِ الْأَجْسَادِ

**الشرح:** إنما لم يحسد الحاسد على صحة الجسد لأنه صحيح الجسد، فقد شارك في الصحة، وما يُشارك الإنسان غيره فيه لا يحسده عليه، ولهذا أرباب الحسد إذا مَرَضُوا حَسَدُوا الْأَصْحَاءَ عَلَى الصَّحَّةِ.

فإن قلت: فلماذا تعجب أمير المؤمنين عليه السلام؟

قلت: لكلامه عليه السلام وجه، وهو أن الحسد لما تمكن في أربابه، وصار غريزة فيهم، تعجب كيف لا يتعدى هذا الخلق الذميمة إلى أن يحسد الإنسان غيره على ما يشاركه فيه، فإن زيدا إذا أبغض عمراً بغضاً شديداً وذ أن تزول عنه نغمته إليه، وإن كان ذا نعمة كنعيمته، بل ربما كان أقوى وأحسن حالاً.

ويجوز أن يريد معنى آخر، وهو تعجبه من غفلة الحساد، على أن الحسد مؤثر في سلامة أجسادهم، ومقتضى سُقْمَتِهِمْ، وهذا أيضاً واضح.



- ٢٢٢ -

**الأصل:** الطامع في وثاق الذل.

**الشرح:** من أمثال البُخترِي قوله:

والْيَأْسُ إِحْدَى الرَّاحَتَيْنِ وَلَنْ تَرَى تَوْباً كَقَلْبِ الْخَائِبِ الْمَكْدُودِ  
وكان يقال: ما طمعت إلا وذلت - يمتنون النفس.

وفي البيت المشهور:

تُفَطِّحُ أَعْنَاقَ الرِّجَالِ الْمَطَامِعُ

وقالوا: عَزَّ مِنْ قَنَعَ، وَذَلَّ مَنْ طَمِعَ.

وقد تقدّم القول في الطمع مراراً.

- ٢٢٣ -

**الأصل:** وقال عليه السلام وقد سئل عن الإيمان: الإيمان مُفَرِّقَةٌ بِالْقَلْبِ، وَإِفْرَارٌ بِاللِّسَانِ، وَعَمَلٌ بِالْأَرْكَانِ.

**الشرح:** قد تقدّم قولنا في هذه المسألة.

وهذا هو مذهب أصحابنا المعتبرة بعينه، لأن العمل بالأركان عندنا داخل في معنى الإيمان - أعني فعل الواجبات، فمن لم يعمل لم يُسمَّ مؤمناً وإن عَرَفَ بقلبه وأقرَّ بلسانه، وهذا خلاف قول المُرْجئة من الأشعرية والإمامية، والحشوية.

فإن قلت: فما قولك في النوافل: هل هي داخلية في معنى الإيمان أم لا؟ قلت: في هذا خلاف بين أصحابنا، وهو مستقصى في كتب الكلامية.

- ٢٢٤ -

الأصل: مَنْ أَصْبَحَ عَلَى الدُّنْيَا حَزِينًا، فَقَدْ أَصْبَحَ لِقَضَاءِ اللَّهِ سَاخِطًا.

وَمَنْ أَصْبَحَ يَشْكُو مُصِيبَةً نَزَلَتْ بِهِ، فَإِنَّمَا يَشْكُو رَبَّهُ.

وَمَنْ أَتَى غَيًّا فَتَوَاضَعَ لَهُ لِيُغْنَاهُ دَهَبُ ثَلَاثَةِ دِينَارٍ.

وَمَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ فَمَاتَ فَدَخَلَ النَّارَ، فَهُوَ كَأَن يَمُوتُ بِتَخَذِ آيَاتِ اللَّهِ هُزُوعًا.

وَمَنْ لَهَجَ قَلْبُهُ بِحُبِّ الدُّنْيَا التَّاطُّ مِنْهَا بِثَلَاثٍ: هُمْ لَا يُغْنِيهِ، وَحِرْصٍ لَا يَتْرُكُهُ، وَأَمَلٍ لَا يَنْدِرُهُ.

الشرح: إذا كان الرزق بقضاء الله وقدره، فمن حزن لقوات شيء منه فقد سخط قضاء الله وذلك معصية، لأن الرضا بقضاء الله واجب، وكذلك من شكاً مصيبةً حلت به، فإنما يشكو فاعلمها لا هي، لأنها لم تنزل به من تلقاء نفسها، وفاعلمها هو الله، ومن اشتكى الله فقد خصاه، والتواضع للأغنياء تعظيماً لغيرناهم أو رجاء شيء مما في أيديهم فسق.

وكان يقال: لَا يُحْمَدُ التَّيُّ إِلَّا مِنْ فَقِيرٍ عَلَى غَنِيٍّ.

فأما قوله عليه السلام: «وَمَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ فَمَاتَ فَدَخَلَ النَّارَ، فَهُوَ كَأَن يَمُوتُ بِتَخَذِ آيَاتِ اللَّهِ هُزُوعًا».

فيقال: أن يقول: قد يكون مؤمناً بالقرآن ليس بمشخول له هُزُوعًا، ويقروء ثم يدخل النار، لأنه أتى بكثرة أخرى نحو القتل والزنى والفرار من الزحف وأمثال ذلك.

والجواب أن معنى كلامه عليه السلام هو أن من قرأ القرآن فمات فَدَخَلَ النَّارَ لأجل قراءته القرآن فهو ممن كان يتخذ آيات الله هُزُوعًا، أي يقروء هازئاً به، ساخراً منه، مستهيناً بمواعظه وزواجره، غير معتقد أنه من عند الله.

فإن قلت: إنما دخل من ذكرت النار، لا لأجل قراءته القرآن، بل لهفته به، وجحوده إياه، وأنت قلت: معنى كلامه أنه من دخل النار لأجل قراءته القرآن فهو ممن كان يستهزئ بالقرآن!

قلت: بل إنما دخل النار لأنه قرأه على صفة الاستهزاء والسخرية، ألا ترى أن الساجد للضَّمِّ يُعَاقَبُ لسجوده له على جهة العبادة والتعظيم، وإن كان لولا ما يحدثه مضافاً للسجود من أفعال القلوب لما عوقب.

ويمكن أن يُحْمَلَ كلامه عليه السلام على تفسير آخر، فيقال: إنه عني بقوله: إنه كما كان ممن

يَتَّخِذُ آيَاتِ اللَّهِ هُزُوءًا: أَنَّهُ يَعْتَقِدُ أَنَّهَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وَلَكِنَّهُ لَا يَعْمَلُ بِمُوجِبِهَا كَمَا يَفْعَلُهُ الْآنَ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ.

قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «النَّاطِقُ بِقَلْبِهِ» أَيُ لَصِيقُ. وَلَا يُؤْتِيهِ، أَيُ لَا يَأْخُذُهُ غِبٌّ، بَلْ يُلَازِمُهُ دَائِمًا، وَصَدَقَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَإِنَّ حُبَّ الدُّنْيَا رَأْسُ كُلِّ خَطِيئَةٍ، وَحُبُّ الدُّنْيَا هُوَ الْمَوْجِبُ لِلْهَمِّ وَالْغَمِّ وَالْجُرْصِ وَالْأَمَلِ وَالْخَوْفِ عَلَى مَا أَكْتَسَبَهُ أَنْ يَنْقُذَ، وَلِلشُّغْ بِمَا حَوَّثَ بِهِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَخْلَاقِ الذَّمِيمَةِ.

- ٢٢٥ -

**الأصل:** كَفَى بِالْقَنَاعَةِ مُلْكًا، وَيُحْسِنُ الْخُلُقَ نَعِيمًا.

**الشرح:** قَدْ تَقَدَّمَ الْقَوْلُ فِي هَذَيْنِ، وَهُمَا الْقَنَاعَةُ وَحُسْنُ الْخُلُقِ.

وَكَانَ يُقَالُ: يَسْتَحِقُّ الْإِنْسَانِيَّةَ مَنْ حَسَنَ خُلُقُهُ، وَيَكَادُ السَّيِّئُ الْخُلُقِ يُعَذَّبُ مِنَ السَّعَابِ.

وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ: حَدُّ الْقَنَاعَةِ هُوَ الرِّضَا بِمَا دُونَ الْكَفَايَةِ، وَالزَّهْدُ: الْإِقْتِسَارُ عَلَى الزُّهْدِ، أَيْ الْقَلِيلِ، وَهُمَا مُتَقَارِبَانِ، وَفِي الْأَغْلَبِ إِنَّمَا الزَّهْدُ هُوَ رَفْضُ الْأُمُورِ الدُّنْيَوِيَّةِ مَعَ الْقُدْرَةِ عَلَيْهَا، وَأَمَّا الْقَنَاعَةُ فَهِيَ الْإِزَامُ لِلنَّفْسِ الصَّبْرَ عَنِ الْمَشْتَهَاتِ الَّتِي لَا يَقْدِرُ عَلَيْهَا، وَكَلَّ زُهْدٌ حَصَلَ عَنْ قَنَاعَةٍ فَهُوَ تَزُهَّدٌ، وَلَيْسَ بِزُهْدٍ، وَكَذَلِكَ قَالَ بَعْضُ الصُّوفِيَّةِ: الْقَنَاعَةُ أَوَّلُ الزُّهْدِ، تَنْبِيْهَا عَلَى أَنَّ الْإِنْسَانَ يَحْتَاجُ أَوَّلًا إِلَى قَدْغِ نَفْسِهِ وَتَخَصُّصِهِ بِالْقَنَاعَةِ لِيَسْهَلَ عَلَيْهِ تَعَاطِيُ الزُّهْدِ، وَالْقَنَاعَةُ الَّتِي هِيَ الْغِنَى بِالْحَقِيقَةِ، لِأَنَّ النَّاسَ كُلَّهُمْ فَقَرَاءُ مِنْ وَجْهَيْنِ: أَحَدُهُمَا لَا فِتْنَارِهِمْ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى كَمَا قَالَ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾<sup>(١)</sup>.

وَالثَّانِي: لِكثْرَةِ حَاجَاتِهِمْ فَأَغْنَاهُمْ لَا مَحَالَةَ أَقْلَهُمْ حَاجَةً، وَمِنْ سَدِّ مَقَارِفِهِ بِالْمُقْتَنِيَّاتِ فَمَا فِي أَنْسَادِهَا مَطْمَعٌ، وَهُوَ كَمَنْ يَرْقَعُ الْخَرْقَ بِالْخَرْقِ، وَمَنْ يَسُدُّهَا بِالِاسْتِغْنَاءِ عَنْهَا بِقَدْرِ وَسْعِهِ وَالِإِقْتِسَارِ عَلَى تَنَاوُلِ ضَرُورَاتِهِ فَهُوَ الْغَنِيُّ الْمُقَرَّبُ مِنَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ، كَمَا أَشَارَ إِلَيْهِ فِي قِصَّةِ طَالُوتَ: ﴿إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَلْعَمْهُ فَلَهُ مِنِّي إِلَّا مَنْ أَغْرَقَ غُرْفَةً يَجُوزُ﴾<sup>(٢)</sup>، قَالَ أَصْحَابُ الْمَعَانِي وَالْبَاطِنِ: هَذَا إِشَارَةٌ إِلَى الدُّنْيَا.

**الأصل:** وسئل عليه السلام عن قول الله عز وجل: ﴿فَلَنَنبِئَنَّكُمْ حَيٰوةَ مِثْبَدٍ﴾ <sup>(١)</sup>، فقال: هي القناعة.

**الشرح:** لا ريب أن الحياة القلبية هي حياة الغنى، وقد يتنا أن الغنى هو القنوع، لأنه إذا كان الغنى عدم الحاجة فأغنى الناس أفلهم حاجة إلى الناس، ولذلك كان الله تعالى أغنى الأغنياء، لأنه لا حاجة به إلى شيء، وعلى هذا دل النبي بقوله عليه السلام: «ليس الغنى بكثرة العرض، إنما الغنى غنى النفس» <sup>(٢)</sup>.

وقال الشاعر:

فَمَنْ أَشْرَبَ الْيَأْسَ كَانَ الْغَنَى      وَمَنْ أَشْرَبَ الْجُرْصَ كَانَ الْفَقِيرَ  
وقال الشاعر:

غِنَى النَّفْسِ مَا يَكْفِيكَ مِنْ سَدِّ خَلَةٍ      فَإِنْ زَادَ شَيْئاً عَادَ ذَاكَ الْغِنَى فَقُرَا  
وقال بعض الحكماء: المخير بين أن يستغني عن الدنيا وبين أن يستغني بالدنيا كالمخير بين أن يكون مالِكاً أو مملوكاً.

ولهذا قال عليه السلام: «تعبس عبد الدينار والدرهم، تعبس فلا انتعش، وشيك فلا انتفش» <sup>(٣)</sup>.  
وقيل لحكيم: لم لا تغتم؟ قال: لأنني لم أتحذ ما يغتمني فغده.  
وقال الشاعر:

فَمَنْ سَرَّهُ أَلَّا يَرَى مَا يَسُوهُ      فَلَا يَتَّخِذْ شَيْئاً يَخَافُ لَهُ فَقْداً

(١) سورة النحل، الآية: ٩٧.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب: الرقاق، باب: الغنى غنى النفس (٦٤٤٦)، ومسلم، كتاب: الزكاة باب: ليس الغنى عن كثرة العرض (١٠٥١)، والترمذي، كتاب: الزهد، باب: ما جاء أن الغنى غنى النفس (٢٣٧٣) وابن ماجه، كتاب: الزهد، باب: القناعة (٤١٣٧) بلفظ: «ولكن الغنى» بدل قوله: «إنما الغنى».

(٣) أخرجه نحوه البخاري، كتاب: الجهاد والسير، باب: الحراسة في الغزو (٢٨٨٧)، وابن ماجه، كتاب: الزهد، باب: في المكثرين (٤١٣٦)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٨٢٧٩)، والطبراني في «الأوسط» (٢٥٩٥).

وقال أصحاب هذا الشأن: القناعة من وجوه صبر، ومن وجوه جود، لأن الجود ضربان: جود بما في يدك منتزعا، وجود عما في يد غيرك متورعا، وذلك أشرفهما، ولا يحصل الزهد في الحقيقة إلا لمن يعرف الدنيا ما هي، ويعرف عيوبها وأفاتها، ويعرف الآخرة وأفتقاره إليها، ولا بد في ذلك من العلم، ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بَلِّغْنَا مَا آوَيْنَا فَتَرَوْهُم إِذْ لَدُوْهُ حَطُّ عَظِيمٍ ۝٧٨ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلْقِيْهَا إِلَّا الْمُسْكِرُونَ ۝٧٩﴾ (١).

ولأن الزاهد في الدنيا راغب في الآخرة وهو يبيعها بها، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنْ الْمُؤْمِنِينَ...﴾ (٢) الآية.

والكيس لا يبيع عينا بأثر، إلا إذا عرفهما وعرف فضل ما يتنازع على ما يبيع.

- ٢٢٧ -

**الأصل:** شَارِكُوا الَّذِينَ قَدْ أَقْبَلَ عَلَيْهِمُ الرِّزْقُ، فَإِنَّهُ أَخْلَقَ لِلْغَنَى، وَأَجْدَرُ بِإِقْبَالِ الْحَظِّ.

**الشرح:** قد تقدم القول في الحظ والبخت.

وكان يقال: الحظ يُعْطَى كما يُعْطَى الْجَرْبُ، وهذا يطابق كلمة أمير المؤمنين عليه السلام لأن مخالطة المجدود ليست كمخالطة غير المجدود، فإن الأولى تقتضي الاشتراك في الحظ والسعادة، والثانية تقتضي الاشتراك في الشقاء والحرمان.

والقول في الحظ وسيع جداً.

وقال بعضهم: البُخْتُ على صورة رجلٍ أعمى أصم آخرس، وبين يديه جواهرٌ وحجارة، وهو يرمي بكلتا يديه.

وكان مالك بن أنس فقيه المدينة، وأخذ الفقه عن الليث بن سعد، وكانوا يزدحمون عليه والليث جالس لا يلتفتون إليه، ففيل لليث: إنا مالكا إنما أخذ عنك فما لك خاملاً وهو أنه الناس ذكرنا! فقال: دائقٌ بختٍ خيرٌ من جملٍ بُختي حُمْلٌ علماً.

وقال الرضي:

أَسِيغَ الْغَيْظَ مِنْ تُوبِ اللَّيَالِي      وَمَا يَحْفَلُنَ بِالْجَنَاحِ الْمَغِيظِ  
وَارْجُو الرِّزْقَ مِنْ خَرَقِ دَقِيقِي      يُسَدُّ بِسَلَكِ حَرَمَانِ غَلِيظِ  
وَارْجِعْ لَيْسَ فِي كَفُّي مِنْهُ      سِوَى عَضِّ يَدَيْنِ عَلَى الْحَظُوطِ

- ٢٢٨ -

**الأصل:** وقال عليه السلام في قوله عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾<sup>(١)</sup>: الْعَدْلُ الْإِنصَافُ، وَالْإِحْسَانُ التَّقْضُلُ.

**الشرح:** هذا تفسير صحيح اتفق عليه المفسرون كافة، وإنما دخل التذنب تحت الأمر لأن له صفة زائدة على حسنه، وليس كالمباح الذي لا صفة له زائدة على حسنه.

وقال الزمخشري: العَدْلُ هو الواجب؛ لأن الله عز وجل عَدَلَ فيه. على عباده، فجعل ما فَرَضَهُ عليهم منه واقعاً تحت طاعتهم، والإحسان التذنب، وإنما علق أمره بهما جميعاً؛ لأنَّ الفَرْضَ لا بد أن يقع فيه تفريط، فيَجْبِرُهُ التذنب، ولذلك قال رسول الله ﷺ لإنسان علمه الفرائض فقال: والله لا زدْتُ فيها ولا نقصْتُ منها: «أَفْلَحَ إِنْ صَدَّقَ»<sup>(٢)</sup>، فَعَدَّ الْفَلَاحَ بِشَرْطِ الصَّدْقِ وَالسَّلَامَةِ مِنَ التَّفْرِيطِ، وقال ﷺ: «اسْتَقِيمُوا، وَلَنْ تَحْصُوا»<sup>(٣)</sup>، فليس ينبغي أن يترك ما يجبر كسر التفريط من التوافل.

ولقائل أن يقول: إن كان إنما سمي الواجب عَدْلاً لأنه داخلٌ تحت طاقة المكلف فليسَمِ التذنب عَدْلاً لأنه داخلٌ تحت طاقة المكلف، وأما قوله: إنما أمر بالتذنب لأنه يجبر ما وَقَعَ فيه التفريط من الواجب، فلا يصح على مذهبه، وهو من أعيان المعتزلة لأنه لو جُبرت النافلة بالتفريط في الواجب لكانت واجبةً مثله، وكيف يقول الزمخشري هذا ومن قول مشايخنا إن

(١) سورة النحل، الآية: ٩٠.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب: الإيمان، باب: الزكاة في الإسلام (٤٦)، ومسلم، كتاب: الإيمان باب: بيان الصلوات التي هي أحد أركان الإسلام (١١)، والنسائي، كتاب: الصلاة، باب: كم فرضت في اليوم والليلة (٤٥٨)، وأبو داود، كتاب: الصلاة، باب: فرض الصلاة (٣٩١).

(٣) أخرجه الحاكم في «المستدرک» (٤٤٧)، والدارمي، كتاب: الطهارة، باب: ما جاء في الطهور (٦٥٥)، وابن ماجه، كتاب: الطهارة باب: المحافظة على الوضوء (٢٧٧)، وأحمد في كتاب: مسند الأنصار، باب: ومن حديث ثوبان (٢١٨٧٣).

تارك صلاة واحدة من الفرائض لو صلى مائة ألف ركعة من النوافل لم يكفر ثوابها عقاب ترك تلك الصلاة

- ٢٢٩ -

**الأصل:** وقال عليه السلام: مَنْ يُعْطِ بِالْيَدِ الْقَصِيرَةِ يُعْطِ بِالْيَدِ الطَّوِيلَةِ.

قال الرضوي رحمه الله تعالى: وَمَعْنَى ذَلِكَ أَنَّ مَا يُنْفَقُ مِنَ الْمَالِ فِي سَبِيلِ الْخَيْرِ وَالْبِرِّ وَإِنْ كَانَ بَسِيراً فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَجْعَلُ الْجَزَاءَ عَلَيْهِ عَظِيماً كَثِيراً، وَالْيَدَانِ هَاهُنَا عِبَارَةٌ عَنِ التَّعْمَتَيْنِ كَقَرْنٍ عليه السلام بَيْنَ نِعْمَةِ الْعَبْدِ وَنِعْمَةِ الرَّبِّ تَعَالَى ذِكْرُهُ، بِالْقَصِيرَةِ وَالطَّوِيلَةِ، فَجَعَلَ تِلْكَ قَصِيرَةً وَهَلْوَ طَوِيلَةً؛ لِأَنَّ نِعَمَ اللَّهِ أَبَدًا تَنْصَتِفُ عَلَى نِعَمِ الْمُخْلُوقِينَ أَضْعَافاً كَثِيرَةً، إِذْ كَانَتْ نِعَمُ اللَّهِ أَصْلَ النِّعَمِ كُلِّهَا، فَكُلُّ نِعْمَةٍ إِلَيْهَا تَرْجِعُ، وَمِنْهَا تَنْزَعُ.

**الشرح:** هذا الفصل قد شرحه الرضوي رحمه الله، فأغنى عن التمرض بشرحه.

- ٢٣٠ -

**الأصل:** وقال عليه السلام: لَا تَدْعُوَنَّ إِلَى مُبَارَزَةٍ، فَإِنْ دُعِيتَ إِلَيْهَا فَاجِبٌ، فَإِنْ الدَّاعِيَ إِلَيْهَا بَاغٍ، وَالْبَاغِي مَضْرُوعٌ.

نُبذَ عَنْ شَجَاعَةِ عَلِيٍّ عليه السلام

**الشرح:** قد ذكر عليه السلام الحكمة، ثم ذكر العلة، وما سمعنا أنه عليه السلام دعا إلى مُبَارَزَةٍ قَطُّ، وإنما كان يدعى هو بعينه، أو يدعو من يبارز، فَيُخْرَجُ إِلَيْهِ لِيُقَاتِلَهُ، دعا بنو ربيعة بن عبد بن شمس بني هاشم إلى البراز يوم بدر، فخرج عليه السلام فقتل الوليد واشترك هو وحمة عليه السلام في قتل عُتْبَةَ، ودعا طَلْحَةُ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ إِلَى الْبَرَازِ يَوْمَ أُحُدٍ، فخرج إليه فقتله، ودعا مَرْحَبٌ إِلَى الْبَرَازِ يَوْمَ خَيْبَرٍ فخرج إليه فقتله.

فَإِذَا الْخَرْجَةُ الَّتِي خَرَجَ بِهَا يَوْمَ الْخَنْدَقِ إِلَى عَمْرِو بْنِ عَبْدِ وَدٍّ فَإِنَّهَا أَجَلٌ مِنْ أَنْ يَقَالَ جَلِيلَةً،

وأعظم من أن يقال عظيمة، وما هي إلا كما قال شيخنا أبو الهذيل وقد سأله سائل: أيما أعظم منزلة عند الله، عليّ أم أبو بكر؟ فقال: يا بن أخي، والله لمبارزة عليّ عَمراً يوم الخندق تعدل أعمال المهاجرين والأنصار وطاعاتهم كلها وتُرَبِّي عليها فضلاً عن أبي بكر وحده. وقد روي عن حذيفة بن اليمان ما يُناسِب هذا، بل ما هو أبلغ منه، رَوَى قيسُ بن الربيع عن أبي هارون العبدِي، عن ربيعة بن مالك السعدي، قال: أتيتُ حذيفة بن اليمان فقلت: يا أبا عبد الله، إن الناس يتحدثون عن عليّ بن أبي طالب ومناقبه، فيقول لهم أهل البصرة: إنكم لتُفَرِّطون في تَقْرِيط هذا الرجل، فهل أنت محدثي بحديث عنه أَذْكُرُهُ للناس؟ فقال: يا ربيعة، وما الذي تسألني عن عليّ، وما الذي أحذثك عنه! والذي نفسُ حذيفة بيده لو وُضِعَ جميعُ أعمال أمة محمد ﷺ وآله في كِفَّة الميزان مُنذُ بَعَثَ الله تعالى محمداً إلى يوم الناس هذا، ووُضِعَ عملُ واحدٍ من أعمال عليّ في الكفة الأخرى لَرَجَحَ على أعمالهم<sup>(١)</sup> كلها.

فقال ربيعة: هذا المذح الذي لا يقام له ولا يُقعد ولا يُحمل، إنني لأظنه إسرافاً يا أبا عبد الله! فقال حذيفة: يا لكع، وكيف لا يُحمل! وأين كان المسلمون يوم الخندق وقد عبر إليهم عمرو وأصحابه فملكهم الهلع والجزع، ودعا إلى المبارزة فأخجموا عنه حتى برز إليه عليّ فقتله! والذي نفسُ حذيفة بيده لَعَمَلَهُ ذلك اليوم أعظم أجراً من أعمال أمة محمد ﷺ إلى هذا اليوم وإلى أن تقوم القيامة.

وجاء في الحديث المرفوع: «إن رسول الله ﷺ قال ذلك اليوم حينَ برزَ إليه: «برز الإيمان كله إلى الشُّرك كله»<sup>(٢)</sup>.

وقال أبو بكر بن عيَّاش: لقد ضَرَبَ عليّ بنُ أبي طالب ﷺ ضربةً ما كان في الإسلام أَيْمَنَ منها ضَرْبَتُهُ عَمراً يومَ الخندق، وقد ضُرِبَ عليّ ضربة ما كان في الإسلام أشأمَ منها - يعني ضربة ابن مُلْجَم لَعَنَهُ الله.

وفي الحديث المرفوع أن رسول الله ﷺ لَمَّا بَارَزَ عليّ عَمراً ما زال رافعاً يَدَيْهِ مُقِمِحاً رَأْسَهُ نحوَ السماء، داعياً رَبَّهُ قائلاً: «اللهم إِنَّكَ أَخَذْتَ مِنِّي هُبَيْدَةً يَوْمَ بُلْدُرٍ، وَحِمَزةً يَوْمَ أُحُدٍ، فَاحْفَظْ عَلِيَّ الْيَوْمَ عَلِيًّا رَبِّي لَا تَذَرْنِي فَكْرًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ»<sup>(٣)</sup>.

(١) هو مأخوذ من قول النبي ﷺ: لو أن السموات والأرض وضعتا في كفة ووضع إيمان علي في كفة لرجح إيمان علي، أخرجه المغازلي في المناقب رقم ٣٣٠، والديلمي في الفردوس رقم ٥١٠٠ - ٥١٣٨.

(٢) أخرجه العلامة المجلسي في البحار: ٢١٥/٢٠.

(٣) سورة الأنبياء، الآية: ٨٩.



وقال جابر بن عبد الله الأنصاري: والله ما شبهت يوم الأحزاب، قتل عليّ عمرًا وتخاذل المشركين بعده، إلا بما قصه الله تعالى من قصة طالوت وجالوت في قوله: ﴿فَهَزَمُوهُمْ يَوْمَ الْأُحُدِّ وَقَتْلَ دَاوُدَ جَالُوتَ﴾ (١).

وروى عمرو بن أذهر، عن عمرو بن عبّيد، عن الحسن أن عليًا عليه السلام لما قتل عمرًا اختز رأسه وحمله فالتقاء بين يدي رسول الله ﷺ، فقام أبو بكر وعمر فقبلا رأسه، ووجه رسول الله ﷺ يتهلّل، فقال: «هذا النصر» أو قال: هذا أول النصر.

وفي الحديث المرفوع: أن رسول الله ﷺ قال يوم قُتل عمرو: «ذهبت ريحهم، ولا يغرّونا بعد اليوم، ونحن نغرّوهم إن شاء الله».

### خبر غزوة الخندق

وينبغي أن نذكر ملخص هذه القصة من مغازي الواقدي وابن إسحاق، قال: خرج عمرو بن عبد وذي يوم الخندق وقد كان شهد بدرًا فارتث جريحاً، ولم يشهد أحدًا، فحضر الخندق شاهراً سيفه معلماً، مُدلاً يشجاعته وبأسه، وخرج معه ضرار بن الخطاب الفهريّ وعكرمة بن أبي جهل وهيب بن أبي وهب ونوفل بن عبد الله بن المغيرة المخزوميون، فطافوا بخيولهم على الخندق إصعاداً وانحداراً، يطلبون موضعاً ضيقاً يعبرونه، حتى وقفوا على أضيّق موضع فيه في المكان المعروف بالمزار، فأكروها خيولهم على العُبور فعبرت، وصاروا مع المسلمين على أرض واحدة ورسول الله ﷺ جالسٌ وأصحابه قيام على رأسه، فتقدم عمرو بن عبّيد وذهب إلى البراز مراراً، فلم يقدّم إليه أحد، فلما أُخّر، قام عليّ عليه السلام فقال: أنا أبارزه يا رسول الله، فأمره بالجلوس، وأعاد عمرو النداء والناس سكوت كأن على رؤوسهم الطير، فقال عمرو: أيها الناس، إنكم تزعمون أن قتلاكم في الجنة وقتلانا في النار، أفما يحب أحدكم أن يقدم على الجنة أن يقدم عدواً له إلى النار فلم يقدم إليه أحد، فقام عليّ عليه السلام دفعةً ثانية وقال: أنا له يا رسول الله، فأمره بالجلوس، فجاء عمرو بفرسه مثقلاً ومديرًا، وجاءت عظماء الأحزاب فوفقت من وراء الخندق ومدت أعناقها تنظر، فلما رأى عمرو أن أحدًا لا يجيبه، قال:

ولقد بحثت من النداء	وبجفهم: هل من مبارز!
ووقفت مذجبن المشي	مع موقفت القيزن المناجز
إنني كذلك لم أزل	منسرعاً قبل الهزائم
إن الشجاعة في الفئى	والجود من خير الفرائز

فَقَامَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَتَذَنُّ لِي فِي مُبَارَزَتِهِ، فَقَالَ: أَذَنٌ، فَدَنَا قَلْدَهُ سَيْفَهُ، وَعُثِمَهُ بَعَامَتِهِ، وَقَالَ: امْضِ لِشَانِكَ، فَلَمَّا انصَرَفَ قَالَ: «اللَّهُمَّ أَجِنِّهِ عَلَيْهِ»<sup>(١)</sup>، فَلَمَّا قُرِبَ مِنْهُ قَالَ لَهُ مَجِيئاً إِلَيْهِ عَنْ شِعْرِهِ:

لَا تَسْجُلُنَّ فَقْدَ أَنَا      كَ مُجِيبُ صَوْتِكَ غَيْرَ عَاجِزٍ  
ذَرِ نَيْتَهُ وَبَصِيرَةً      يَرْجُو بِذَلِكَ نَجَاةً فَائِزٌ  
إِنِّي لِأَتْلُ أَنْ أَتْلُ      يَمُ عَلَيْكَ نَائِحَةُ الْجَنَائِزِ  
مِنْ ضَرِيَّةٍ قَسْوَاهَا يَبُ      قَمِي ذِكْرُهَا عِنْدَ الْهَزَائِزِ

فَقَالَ عَمْرُو: مَنْ أَنْتَ! وَكَانَ عَمْرُو شَيْخاً كَبِيراً قَدْ جَاوَزَ الثَّمَانِينَ، وَكَانَ نَدِيمَ أَبِي طَالِبٍ بِن عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَانْتَسَبَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَهُ وَقَالَ: أَنَا عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، فَقَالَ: أَجَلٌ، لَقَدْ كَانَ أَبُوكَ نَدِيماً لِي رَصِيقاً، فَارْجِعْ فَإِنِّي لَا أَحِبُّ أَنْ أَقْتَلَكَ - كَانَ شَيْخَنَا أَبُو الْخَيْرِ مَصْدُوقُ بَنِ شَيْبِ بْنِ الْحَوَيْ يَقُولُ إِذَا مَرَّزْنَا فِي الْقِرَاءَةِ عَلَيْهِ بِهَذَا الْمَوْضِعِ: وَاللَّهِ مَا أَمَرَهُ بِالزَّوْجِ إِيْقَاءً عَلَيْهِ، بَلْ خَوْفاً مِنْهُ، فَقَدْ عَرَفَ قَتْلَاهُ بِئِذْ وَأَحْدُ، وَعَلِمَ أَنَّهُ إِنْ نَاهَضَهُ قَتَلَهُ، فَاسْتَحْيَا أَنْ يُظْهِرَ الْقَتْلَ، فَظَهَرَ الْإِيْقَاءُ وَالْإِرْعَاءُ، وَإِنَّهُ لَكَاذِبٌ فِيهِمَا - قَالُوا: فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لَكُنِّي أَحِبُّ أَنْ أَقْتَلَكَ، فَقَالَ يَا بَنَ أَخِي، إِنِّي لَأَكْرَهُ أَنْ أَقْتَلَ الرَّجُلَ الْكَرِيمَ مِثْلَكَ، فَارْجِعْ وَرَأَيْكَ خَيْرٌ لَكَ، فَقَالَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنْ قَرِشاً تَتَحَدَّثُ عَنْكَ أَنْكَ قُلْتَ: لَا يَدْعُونِي أَحَدٌ إِلَى ثَلَاثٍ إِلَّا أَجِبتُ وَلَوْ إِلَى وَاحِدَةٍ مِنْهَا، قَالَ: أَجَلٌ، فَقَالَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: فَإِنِّي أَدْعُوكَ إِلَى الْإِسْلَامِ، قَالَ: دَعْ عَنْكَ هَذِهِ، قَالَ: فَإِنِّي أَدْعُوكَ إِلَى أَنْ تَرْجِعَ بِمَنْ تَبِعَكَ مِنْ قُرَيْشٍ إِلَى مَكَّةَ، قَالَ: إِذَنْ تَتَحَدَّثُ نِسَاءَ قُرَيْشٍ عَنِّي أَنْ غَلَاماً خَذَعَنِي، قَالَ: فَإِنِّي أَذْهَبُكَ إِلَى الْبِرَازِ، فَحَمِيَّ عَمْرُو وَقَالَ: مَا كُنْتُ أَظُنُّ أَنْ أَحَدًا مِنَ الْعَرَبِ يَرُومُهَا مِنِّي، ثُمَّ نَزَلَ فَتَقَرَّرَ فَرَسَهُ - وَقِيلَ: ضَرْبٌ وَجْهَهُ فَرَسٌ - وَتَجَاوَلَا، فَثَارَتْ لِهَمَا غَبْرَةٌ رَاوَتْهُمَا مِنَ الْعَيُونِ، إِلَى أَنْ سَمِعَ النَّاسُ التَّكْبِيرَ عَالِيّاً مِنْ تَحْتِ الْغَبْرَةِ، فَعَلِمُوا أَنَّ عَلِيّاً قَتَلَهُ، وَانْجَلَّتِ الْغَبْرَةُ عَنْهُمَا، وَعَلِيٌّ رَاكِبٌ صَدْرُهُ يَحْزُ الْغَبْرَةَ، وَفَرَّ أَصْحَابُهُ لِيَعْبُرُوا الْخَنْدَقَ، فَظَفَرَتْ بِهِمْ خَيْلُهُمْ إِلَّا نَوْفَلَ بَنَ عَبْدِ اللَّهِ، فَإِنَّهُ قَصَرَ فَرَسَهُ، فَوَقَعَ فِي الْخَنْدَقِ، فَرَمَاهُ الْمُسْلِمُونَ بِالْحِجَارَةِ، فَقَالَ: يَا مَعَاشِرَ النَّاسِ، قَتَلْتُ أَكْرَمَ مِنْ هَذِهِ، فَنَزَلَ إِلَيْهِ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَتَلَهُ، وَأَدْرَكَ الزُّبَيْرُ هَبِيرَةً بَنَ أَبِي وَهَبٍ فَضَرَبَهَا فَقَطَعَ نَفْسَ فَرَسِهِ وَسَقَطَتْ دُونَكَ كَانَ حَمَلُهَا مِنْ وَرَائِهِ، فَاتَّخَذَهَا الزُّبَيْرُ، وَأَلْقَى عِكْرَمَةَ رَمَحِهِ، وَنَاقَشَ حُمُرَ بَنَ الْخَطَّابِ ضَرَارَ بَنَ عَمْرُو، فَحَمَلَ عَلَيْهِ ضَرَارٌ حَتَّى إِذَا وَجَدَ عَمْرُو مَسَّ الرَّمْحِ رَفَعَهُ عَنْهُ وَقَالَ: إِنِّهَا لَنْعَمَةٌ مَشْكُورَةٌ، فَاحْفَظْهَا يَا بَنَ الْخَطَّابِ، إِنِّي كُنْتُ أَكْبِتُ إِلَّا تُمَكِّنَنِي يَدَايَ مِنْ قَتْلِ قُرَشِي فَأَقْتُلَهُ. وَانصَرَفَ ضَرَارٌ رَاجِعاً إِلَى

أصحابه، وقد كان جرى له معه مثل هذه في يوم أُحد. وقد ذُكر هاتين القصتين معاً محمد بن عُمَر الواقدي في كتاب المَغَازِي<sup>(١)</sup>.

- ٢٣١ -

**الأصل:** خِيَارُ خِصَالِ النِّسَاءِ شِرَارُ خِصَالِ الرِّجَالِ: الرُّهُوءُ وَالْجُبْنُ وَالْبُخْلُ، فَإِذَا كَانَتِ الْمَرْأَةُ مَرْهُوءَةً لَمْ تُمْكِنْ مِنْ نَفْسِهَا، وَإِذَا كَانَتْ بِخِيلَةٍ خَفِظَتْ مَالَهَا وَمَالَ بَغْلِهَا، وَإِذَا كَانَتْ جَبَانَةً فَرَقَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يَغْرِضُ لَهَا.

**الشرح:** أخذ هذا المعنى الطُّفْرَانِيُّ شاعرُ العَجَمِ فقال:

الجود والإقدام في فُشْيَانِهِمْ      والبُخْلُ في الفُتَيَاتِ والإشفاقِ  
والظعن في الأحادي دَابُّ رُمَاتِهِمْ      والراميات يساهمها الأحداقِ  
وله:

قد زاد طيبَ أحاديث الكرامِ بها      ما بالكرائم من جُبْنٍ ومن بَخْلٍ  
وفي حكمة أفلاطون: من أقوى الأسباب في محبة الرجل لامراته وأتفاق ما بينهما أن يكون صوتها دون صوتها بالطبع، وتميُّزها دون تميُّزه، وقلوبها أضعف من قلبه، فإذا زاد من هذا عندها شيء على ما عند الرجل تناقرا على مقداره.  
وتقول: رُهِمَ الرجلُ علينا فهو مَرْهُوءٌ، إذا افتخر، وكذلك نُجِيَ فهو مَنْخَوْزٌ، من النُّخوة، ولا يجوز زها إلا في لغة ضعيفة. وفُرِقت: خافت. والفرق: الخوف.

- ٢٣٢ -

**الأصل:** وَقِيلَ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: صِفْ لَنَا الْعَاقِلَ، فَقَالَ: هُوَ الَّذِي يَضَعُ الشَّيْءَ مَوَاضِعَهُ.  
فَقِيلَ: فَصِفْ لَنَا الْجَاهِلَ، قَالَ: قَدْ قُلْتُ.  
قَالَ الرَّضِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: يَنْغِي أَنْ الْجَاهِلَ هُوَ الَّذِي لَا يَضَعُ الشَّيْءَ مَوَاضِعَهُ، فَكَأَنَّ صِفَةً لَهُ، إِذْ كَانَ بِخِلَافِ وصف العَاقِلِ.

(١) أخرجه العلامة المجلسي في البحار: ٦/٣٩.

**الشرح:** هذا مثلُ الكلام الذي تُنسبُه العربُ إلى الضُّبِّ . قالوا: اِخْتَصَمَتِ الضُّبُعُ والضُّعْبُ إلى الضُّبِّ، فقالت الضُّعْبُ: يا أبا الحِصْلِ إِنِّي التَّقَطْتُ ثَمَرَةً، قال: طَيِّباً جَنِيْتُ، قالت: وإن هذا أَخْذُما مِنِّي، قال: حَظُّ نفسه أَحْرَزُ، قالت: فَأَتَيْتُ لَطْمَتَهُ، قال: كَرِيمٌ حَمَى حَقِيقَتَهُ، قالت: فَلَطَمَنِي، قال: حُرّاً انْتَصَرَ، قالت: اقْضِ بَيْنَنَا، قال: قد لَعَلْتُ.

- ٢٣٣ -

**الأصل:** وَاللَّهُ لَدُنْيَاكُمْ هَلْهُوَ أَهْوَنُ فِي عَنِّي مِنْ عِرَاقٍ خَنْزِيرٍ فِي يَدٍ مَجْدُومٍ.

**الشرح:** العِرَاقُ: جمع عِرْقٍ، وهو العَظْمُ عليه شيءٌ من اللَّحْمِ، وهذا من الجُمُوعِ النادرة، نحو رُخْلٍ ورُخَالٍ وقُودٍ وقُؤَامٍ، ولا يكون شيءٌ أَحقرَ ولا أَبْغَضَ إلى الإنسان من عِرَاقٍ خَنْزِيرٍ فِي يَدٍ مَجْدُومٍ، فإنه لم يَرَضْ بِأَن يَجْعَلَهُ فِي يَدٍ مَجْدُومٍ - وهو غَايَةُ مَا يَكُونُ مِنَ التَّنْفِيرِ - حتى يَجْعَلَ عِرَاقٍ خَنْزِيرٍ.

ولعُفْرِي لَقَدْ صَدَّقَ - وما زال صادقاً - ومن تأملَ سِيرَتَهُ فِي حَالَتِي خُلُوءِهِ مِنَ الْعَمَلِ وَوِلَايَتِهِ الْخِلَافَةِ عَرَفَ صَحَّةَ هَذَا الْقَوْلِ.

- ٢٣٤ -

**الأصل:** إِنَّ قَوْمًا عَبَدُوا اللَّهَ رَغْبَةً فَوَيْلَكَ عِبَادَةَ التُّجَّارِ، وَإِنَّ قَوْمًا عَبَدُوا اللَّهَ رَهْبَةً فَوَيْلَكَ عِبَادَةَ الْعَبِيدِ، وَإِنَّ قَوْمًا عَبَدُوا اللَّهَ شُكْرًا فَوَيْلَكَ عِبَادَةَ الْأَخْرَارِ.

**الشرح:** هذا مقامٌ جليلٌ تتقاصر عنه قُوَى أَكْثَرِ الْبَشَرِ، وقد شَرَحْنَاهُ فِيمَا تَقَدَّمَ، وقلنا: إِنَّ الْعِبَادَةَ لِرَجَاءِ الثَّوَابِ تِجَارَةً وَمُعَاوَضَةً، وَإِنَّ الْعِبَادَةَ لَخَوْفِ الْعِقَابِ لِمَنْزِلَةٍ مَنْ يَسْتَجِدِّي لِسُلْطَانٍ قَاهِرٍ يَخَافُ سَطْوَتَهُ.

وهذا معنى قوله: «عبادة العبيد»، أي خَوْفِ السُّوْطِ وَالْعِصَا، وتلك ليس عبادةً نافعة، وهي كمن يَعتَظِرُّ إلى إنسان خَوْفَ أَذَاهُ وَتَقْصَمَتِهِ، لَا لِأَنَّهُ مَا يَعتَظِرُّ مِنْهُ فَيُجِيبُ لَا يَنْهِي لَهُ فِعْلَهُ، فَأَمَّا الْعِبَادَةُ

لله تعالى شكراً لأنعمه فهي عبادة نافعة؛ لأن العبادة شكرٌ مخصوص، فإذا أوقعها على هذا الوجه فقد أوقعها الموضع الذي وُضِعَتْ عليه.

فأما أصحابنا المتكلمون فيقولون: ينبغي أن يفعل الإنسان الواجب لوجه وجوبه، ويترك الفحيح لوجه قبحه، وربما قالوا: يفعل الواجب لأنه واجب، ويترك الفحيح لأنه قبيح، والكلام في هذا الباب مشروح مبسوط في الكتب الكلامية.

- ٢٣٥ -

**الأصل:** المرأة شرٌ كُلُّهَا، وَشَرُّ مَا فِيهَا أَنَّهُ لَا بُدَّ مِنْهَا.

**الشرح:** خَلَفَ إنسانٌ عند بعض الحكماء أنه ما دخل بابي شرٍ قط، فقال الحكيم: فمن أين دَخَلَتْ امرأتك!

وكان يقال: أسباب فِتْنَةِ النساءِ ثلاثة: عَيْنٌ ناظرة، وصورةٌ مستحسنة، وشهوةٌ قادرة، فالحكيم من لا يردّد النظرَ حتّى يعرفَ حقائقَ الصورة، ولو أن رجلاً رأى امرأةً فأعجبته ثمّ طالَبَهَا فامتنعت، هل كان إلا تاركها! فإن تَأَيَّبَ عقله عليه في مطالبتها كتابتها عليه في مُسَاعَفَتِهَا قَدَحَ نفسه عن لذّة قَدَحِ الْغَيُورِ إِيَّاهُ عن حُرْمَةِ مُسْلِم.

وكان يقال: من أتعِبَ نفسه في الحلال من النساء لم يَتَّقِ إلى الحرامِ منهنّ كالطَّلِيحِ مِنْهُنَّ أَنْ يَسْتَرْيَحَ.

- ٢٣٦ -

**الأصل:** مَنْ أَطَاعَ التَّوَانِي صَبَحَ الْحَقُوقَ، وَمَنْ أَطَاعَ الْوَأَشِي صَبَحَ الصَّلَيقَ.

**الشرح:** قد تقدّم الكلام في التواني والمعجز، وتقدّم أيضاً الكلام في الوشاية والسماحة.

ورُفِعَ إلى كسرى أبرويز أن النصارى الذين يحضرون بابَ الْمَلِكِ يُعرَفون بالتجسس إلى ملك الروم، فقال: مَنْ لم يَظْهَرْ له ذنب لم يَظْهَرْ مَتَا عُقُوبَةٍ لَهُ.

وَرُفِعَ إِلَيْهِ أَنَّ بَعْضَ النَّاسِ يُنْكِرُ إِصْغَاءَ الْمَلِكِ إِلَى أَصْحَابِ الْأَخْبَارِ، فَوَقَعَ هَؤُلَاءُ بِمَنْزِلَةِ مَدَاحِلِ الضِّيَاءِ إِلَى الْبَيْتِ الْمُظْلِمِ، وَلَيْسَ لِقَطْعِ مَوَادِّ النُّورِ مَعَ الْحَاجَةِ إِلَيْهِ وَجَهٌ عِنْدَ الْعُقْلَاءِ.

قَالَ أَبُو حَيَّانَ: أَمَّا الْأَصْلُ فِي التَّدْبِيرِ فَصَحِيحٌ؛ لِأَنَّ الْمَلِكَ مُحْتَاجٌ إِلَى الْأَخْبَارِ، لَكِنْ الْأَخْبَارُ تَنْقَسِمُ إِلَى ثَلَاثَةِ أَوْجِهٍ:

خَبَرٌ يَتَّصِلُ بِالذِّينِ، فَالْوَاجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يُبَالِغَ وَيَحْتَاطَ فِي حِفْظِهِ وَجِرَاسَتِهِ وَتَحْقِيقِهِ وَنَفْيِ الْقَذَى عَنْ طَرِيقِهِ وَسَاحَتِهِ.

وَخَبَرٌ يَتَّصِلُ بِالذُّلَّةِ وَرُسُومِهَا، فَيَنْبَغِي أَنْ يَتَّقِظَ فِي ذَلِكَ خَوْفًا مِنْ كَيْدٍ يَنْفُذَ، وَيَغْنِي بِسَرِيٍّ. وَخَبَرٌ يَدُورُ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَنْصَرَفِهِمْ وَشَأْنِهِمْ وَحَالِهِمْ، مَتَى زَاخَمَتْهُمْ فِيهِ اضْطَرَّغُوا عَلَيْهِ، وَتَمَنَّوْا زَوَالَ مُلْكِكَ، وَأَرْصَدُوا الْقِدَاوَةَ لَكَ، وَجَهَرُوا إِلَى عُدُوكَ وَفَتَحُوا لَهُ بَابَ الْحِيلَةِ إِلَيْكَ.

وَأَمَّا لِحَقِّ النَّاسِ مِنْ هَذَا الْخَبَرِ هَذَا الْعَارِضُ، لِأَنَّ فِي مَنَعِ الْمَلِكِ لِيَأْهُمْ عَنْ تَصَرُّفَاتِهِمْ وَتَتَبِعَهُ لَهُمْ فِي حَرَكَاتِهِمْ، كَرُبَاً عَلَى قُلُوبِهِمْ، وَلِهَيْباً فِي صُدُورِهِمْ، وَلَا يَذْ لُهُمْ فِي الذَّمِّ الصَّالِحِ وَالزَّمَانِ الْمَعْتَدِلِ، وَالْخِصْبِ الْمَمْتَنِّعِ، وَالسَّبِيلِ الْأَمْنِ، وَالْخَيْرِ الْمَتَّصِلِ، مِنْ فُكَاةٍ وَطِيبِ وَاسْتِرْسَالٍ وَأَثَرٍ وَيَطْرُ، وَكُلُّ ذَلِكَ مِنْ آثَارِ النِّعْمَةِ الدَّارَةِ، وَالْقُلُوبِ الْفَازَةِ، فَإِنْ أَغْضَى الْمَلِكُ بَصَرَهُ عَلَى هَذَا الْقِسْمِ عَائِثٌ مُجْزِئٌ، وَإِنْ تَنَكَّرَ لَهُمْ فَقَدْ اسْتَأْذَنَ أَعْدَاءَهُ. وَالسَّلَامُ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

- ٢٣٧ -

السَّيِّئَاتِ  
تَارِيخُ سَنَةِ ١٢٣٦  
تَحْقِيقُ الصَّاحِبِ

الأصل: أَلْجَحْرُ الْقَضْبُ فِي الدَّارِ رَهْنٌ عَلَى خَرَابِهَا.

قَالَ الرَّضِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: وَقَدْ وُيِّ مَا يَنَاسِبُ هَذَا الْكَلَامَ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ، وَلَا عَجَبُ أَنْ يَشْتَبِهَ الْكَلَامَانِ فَإِنَّ مُسْتَقَامَهُمَا مِنْ قَلْبٍ، وَمَفْرَعُهُمَا مِنْ ذَنْبٍ.

الشرح: الذُّنُوبُ: الدُّلُ الْمَلَاي، وَلَا يُقَالُ لَهَا وَهِيَ فَارَعَةٌ: ذَنْبٌ، وَمَعْنَى الْكَلِمَةِ أَنَّ الدَّارَ الْمَبْنِيَّةَ بِالْحِجَارَةِ الْمَنْصُوبَةِ وَلَوْ بِحَجَرٍ وَاحِدٍ، لَا يَذُ أَنْ يَتَعَجَّلَ خَرَابُهَا، وَكَأَنَّمَا ذَلِكَ الْحَجَرُ رَهْنٌ عَلَى حَصُولِ التَّخَرُّبِ، أَيْ كَمَا أَنَّ الرَّهْنَ لَا يَذُ أَنْ يُفْتَكَ، كَذَلِكَ لَا يَذُ لَمَّا جُمِلَ ذَلِكَ الْحَجَرُ رَهْنًا عَلَيْهِ أَنْ يَحْصُلَ.

وقال ابن بَسَامٍ لَأَمِيٍّ عَلِيٍّ بِنِ مَثَلَةٍ لَمَّا بَنَى دَارَهُ بِالزَّاهِرِ يَبْغِدَادَ مِنَ الْقَضْبِ وَظَلَمِ الرِّعْيَةِ:  
بِجَنِّكَ دَارَانِ مَهْدُومَتَانِ وَدَارُكَ ثَالِثَةٌ تُهْدَمُ

فَلَيْتَ السَّلَامَةَ لِلْمُنْصَرِفِ — ن دَامَتْ فَكَيْفَ لِمَنْ يَظْلَمُ!  
والدَّارَان: دَارُ أَبِي الْحَسَنِ بْنِ الْفَرَات، وَدَارُ مُحَمَّدِ بْنِ دَاوُدَ بْنِ الْجَرَّاحِ.  
وَقَالَ فِيهِ أَيْضًا:

قُلْ لَابْنِ مُقَلَّةٍ مَهْلًا لَا تَكُنْ عَجَلًا — فَإِنَّمَا أَنْتَ فِي أَصْنَافِ أَحْلَامِ  
تَبْنِي بِأَنْقَاضِ دُورِ النَّاسِ مُجْتَهِدًا — دَارًا سَتُنْقَضُ أَيْضًا بَعْدَ أَيَّامِ  
وَكَانَ مَا تَفَرَّسَهُ ابْنُ بَشَّامٍ فِيهِ حَقًّا، فَإِنَّ دَارَهُ تَقُضَتْ حَتَّى سَوَّيْتُ بِالْأَرْضِ فِي أَيَّامِ الرَّاضِي بِاللَّهِ.

— ٢٣٨ —

**الأصل:** يَوْمُ الْمَظْلُومِ عَلَى الظَّالِمِ، أَشَدُّ مِنْ يَوْمِ الظَّالِمِ عَلَى الْمَظْلُومِ.

**الشرح:** قد تقدّم الكلام في الظلم مراراً.

وَكَانَ يُقَالُ: أَذْكَرَ عِنْدَ الْقَلَمِ عَدْلُ اللَّهِ تَعَالَى فِيكَ، وَعِنْدَ الْقُدْرَةِ قُدْرَةُ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْكَ.  
وإِنَّمَا كَانَ يَوْمُ الْمَظْلُومِ عَلَى الظَّالِمِ أَشَدُّ مِنْ يَوْمِهِ عَلَى الْمَظْلُومِ، لِأَنَ ذَلِكَ الْيَوْمَ يَوْمُ الْجَزَاءِ  
الْكُلِّيِّ، وَالْإِنْتِقَامِ الْأَعْظَمِ، وَقُصَاوَى أَمْرِ الظَّالِمِ فِي الدُّنْيَا أَنْ يَقْتُلَ غَيْرَهُ فَيُؤْمِتَهُ بَيْتَهُ وَاحِدَةً، ثُمَّ  
لَا سَبِيلَ لَهُ بَعْدَ إِمَاتَتِهِ إِلَى أَنْ يُدْخَلَ عَلَيْهِ الْمَاءُ آخِرًا، وَأَمَّا يَوْمُ الْجَزَاءِ فَإِنَّهُ يَوْمٌ لَا يَمُوتُ الظَّالِمُ فِيهِ  
فَيَسْتَرْحِ، بَلْ عَذَابُهُ دَائِمٌ مُتَجَدِّدٌ، نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ سُخُوطِهِ وَعِقَابِهِ!

— ٢٣٩ —

**الأصل:** ائْتِيَ اللَّهُ بِنُصْرِ التَّقَى وَإِنْ قُلَّ، وَأَجْعَلَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللَّهِ بَشِيرًا وَإِنْ رَقِيَ.

**الشرح:** يُقَالُ فِي الْمَثَلِ: مَا لَا يُدْرِكُ كُلَّهُ لَا يَبْرُكُ كُلُّهُ.

فَالْوَاجِبُ عَلَى مَنْ عَسُرَتْ عَلَيْهِ التَّقْوَى بِأَجْمَعِهَا أَنْ يَتَّقِيَ اللَّهَ فِي الْبَعْضِ، وَأَنْ يَجْعَلَ بَيْنَهُ  
وَبَيْنَهُ بَشِيرًا وَإِنْ كَانَ رَقِيقًا.

وَفِي أَمْثَالِ الْعَامَةِ: اجْعَلْ بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللَّهِ رُوزَنَةً، وَالرُّوزَنَةُ لَفْظَةٌ صَحِيحَةٌ مُعَرَّبَةٌ، أَيْ لَا تَجْعَلْ  
مَا بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ مُسَدَّدًا مَظْلَمًا بِالْكُلِّيَّةِ.

- ٢٤٠ -

**الأصل:** إِذَا أَرَدَ كَمَ الْجَوَابُ، خَفِيَ الصَّوَابُ.

**الشرح:** هذا نحو أن يورد الإنسان إشكالاً في بعض المسائل النظرية بحضرة جماعة من أهل النظر، فيتغالب القوم ويتسابقون إلى الجواب عنه، كلٌ منهم يورد ما يحظر له. فلا ريب أن الصواب يخفى حينئذ، وهذه الكلمة في الحقيقة أمر للنّاظر البّحث أن يتحرى الإنصاف في بحثه ونظره مع رفيقه، وألا يقصد الجراء والمغالبة والفهر.

- ٢٤١ -

**الأصل:** إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى فِي كُلِّ نِعْمَةٍ حَقًّا، فَمَنْ أَدَّاهُ زَادَهُ مِنْهَا، وَمَنْ قَصَّرَ فِيهِ خَاطَرَ بِزَوَالِ نِعَمِهِ.

**الشرح:** قد تقدّم الكلام في هذا المعنى. وجاء في الخبر: مَنْ أَوْتِيَ نِعْمَةً فَأَدَّى حَقَّ اللَّهِ مِنْهَا بِرَدِّ اللَّهْفَةِ، وَاجَابَةِ الدَّعْوَةِ وَكَشَفِ الْمَظْلَمَةِ، كَانَ جَدِيرًا بِدَوَامِهَا وَمَنْ قَصَّرَ قُصِّرَ بِهِ.

- ٢٤٢ -

**الأصل:** إِذَا كَثُرَتْ الْمُقْدَرَةُ قَلَّتِ الشُّهُوءَةُ.

**الشرح:** هذا مثل قولهم: كلُّ مقدورٍ عليه مملول، ومثل قول الشاعر.

وكلُّ كثيرٍ عدوُّ الطَّبِيعَةِ

ومثل قول الآخر:

وَإِذَا كَثُرَتْ عَلَيْهِ حَتَّى مَلَّنِي      وَالشَّيْءُ مَمْلُولٌ إِذَا هُوَ بِرِخْصٍ  
بِالْبَيْتِ إِذَا بَاعَ وَدِّيْ بَاعَهُ      مَتَى يَزِيدُ عَلَيْهِ لَا مِنْ يَنْقُصُ



ولهذا الحكم علة في العلم العقلي، وذلك أن النفس عندهم غنية بذاتها، مكتفية بنفسها، غير محتاجة إلى شيء خارج عنها، وإنما عرضت لها الحاجة والفقر إلى ما هو خارج عنها لمقارنتها الهويلى، وذلك أن أمر الهويلى بالخذ من أمر النفس في الفقر والحاجة، ولما كان الإنسان مرغبا من النفس والهويلى عرض له الشوق إلى تحصيل العلوم والقنيات لاتفاجه بهما، والتناؤ بهما، فأما العلوم فإنه يحصلها في شبيه بالخزانه له، يرجع إليها متى شاء، ويستخرج منها ما أراد، أعني القوى النفسانية التي هي محل الصور والمعاني على ما هو مذكور في موضعه. وأما القنيات والمحسوسات فإنه يروم منها مثل ما يروم من تلك، وأن يؤدعها خزانه محسوسة خارجة عن ذاته، لكنه يغلط في ذلك من حيث يستكثر منها، إلى أن يتنبه بالحكمة على ما ينبغي أن يقتنى منها، وإنما حرص على ما مئع لأن الإنسان إنما يطلب ما ليس عنده، لأن تحصيل الناحيل محال، والطلب إنما يتوجه إلى المعلوم، لا إلى الموجود، فإذا حصله سكن وعلم أنه قد آذخه، ومتى رجع إليه وخذله إن كان مما يبقى بالذات، حزنه وشوق إلى شيء آخر منه، ولا يزال كذلك إلى أن يعلم أن الجزئيات لا نهاية لها وما لا نهاية له، فلا مطلق في تحصيله، ولا فائدة في النزوع إليه، ولا وجه لطلبه سواء كان معلوماً أو محسوساً، فوجب أن يقصد من المعلومات إلى الأهم ومن المقتنيات إلى ضرورات البدن ومقوماته، ويعدل عن الاستكثار منها، فإن حصولها كلها مع أنها لا نهاية لها غير ممكن، وكلما فضل عن الحاجة وقدر الكفاية فهو مادة الأخران والهموم، وضروب المكاره. والغلط في هذا الباب كثير، وسبب ذلك طمع الإنسان في الغنى من معدن الفقر، لأن الفقر هو الحاجة، والغنى هو الاستقلال، إلى أن يحتاج إليه، ولذلك قيل: إن الله تعالى غني مطلقاً، لأنه غير محتاج إليه، فأما من كثرت قنياته فإنه يستكثر حاجاته بحسب كثرة قنياته، وعلى قدرها رغبه إلى الاستكثار بكثرة وجوه فقره، وقد بين ذلك في شرائع الأنبياء، وأخلاق الحكماء، فأما الشيء الرخيص الموجود كثيراً فإنما يرغب عنه، لأنه معلوم أنه إذا التمس وجد والغالي فإنما يقدر عليه في الأحيان ويصيبه الواحد بعد الواحد، وكل إنسان يتمنى أن يكون ذلك الواحد ليصيبه وليحصل له ما لا يحصل لغيره.

الأصل: اخذوا بفار التعم، كما كل شاريد يمدود.

الشرح: هذا أمر بالشكر على النعمة وترك المعاصي، فإن المعاصي تزيد التعم كما قيل:

إِذَا كُنْتَ فِي نِعْمَةٍ فَارْغَبْهَا فَإِنَّ الْمَعَاصِي تُزِيلُ النِّعَمَ  
وقال بعض السلف: كُفِّرَانِ الثَّغْمَةِ بَوَارٍ، وَقَلَمًا أَقْلَعْتَ نَافِرَةً فَرَجَعْتَ فِي نَصَابِهَا، فَاسْتَدْعَ  
شَارِدَهَا بِالشُّكْرِ، وَاسْتَدِيمَ رَاهِنَهَا بِكَرَمِ الْجَوَارِ، وَلَا تَحْسَبْ أَنَّ سُبُوغَ سِتْرِ اللَّهِ عَلَيْكَ غَيْرُ مُتَقَلِّصٍ  
عَمَّا قَلِيلٍ عِنْدَكَ إِذَا أَنْتَ لَمْ تَرْجُ اللَّهَ وَقَارًا.

وقال أبو عصمة: شَهِدْتُ سُفْيَانَ وَفُضَيْلًا فَمَا سَمِعْتُهُمَا يَتَذَكَّرَانِ إِلَّا النِّعَمَ، يَقُولَانِ: أَنْعَمَ  
اللَّهُ سُبْحَانَهُ عَلَيْنَا بِكَذَا، وَقَعَلَ بِنَا كَذَا.

وقال الحسن: إِذَا اسْتَوَى يَوْمُكَ فَأَنْتَ نَاقِصٌ، قِيلَ لَهُ: كَيْفَ ذَاكَ؟ قَالَ: إِنَّ زَادَكَ اللَّهُ الْيَوْمَ  
نِعْمًا فَعَلَيْكَ أَنْ تَزِدَّادَ عَدَا لَكَ شُكْرًا.

وكان يقال: الشُّكْرُ جُفَّةٌ مِنَ الزَّوَالِ، وَأَمْنَةٌ مِنَ الْإِنْقَالِ.

وكان يقال: إِذَا كَانَتِ النِّعْمَةُ وَسِيمَةً فَاجْعَلِ الشُّكْرَ لَهَا نَعِيمَةً.

- ٢٤٤ -

**الأصل:** الْكَرَمُ أَفْظَلُ مِنَ الرَّجْمِ.

**الشرح:** وَثَلُ هَذَا الْمَعْنَى قَوْلُ أَبِي تَمَامٍ لِابْنِ الْجَهْمِ:

إِلَّا يَكُنْ نَسَبٌ يُولَّفُ بَيْنَنَا أَدَبٌ أَقْمِنَاهُ مَقَامَ الْوَالِدِ

أَوْ يَخْتَلِفُ مَاءُ الْوَصَالِ فَمَاؤُنَا عَذْبٌ تَحْلُوهُ مِنْ غَمَامٍ وَاحِدٍ

وَمِنْ قَصِيدَةٍ لِي فِي بَعْضِ أَغْرَاضِي:

وَوَسَائِلُ الْأَدَبِ عَاطِفَةٌ إِلَى مُفْلَاءٍ فَوْقَ وَشَائِلِ النَّسَبِ

- ٢٤٥ -

**الأصل:** مَنْ ظَنَّ بِكَ خَيْرًا كَصَدَّقْتَ ظَنَّهُ.

**الشرح:** هَذَا قَدْ تَقَدَّمَ فِي وَصِيَّتِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَوْلِيهِ الْحَسَنِ.

ومن كلام بعضهم: إني لأستحي أن يأتيني الرجلُ يحمرُّ وجهه تارةً من الحَجَل، أو يصفرُّ أخرى من خوف الرِّذ قد ظَنَّ بي الخيرَ وبات عليه وغداً عليَّ أن أَرُدَّه خائباً.

- ٢٤٦ -

**الأصل:** أَفْضَلُ الْأَحْمَالِ مَا أَكْرَهْتَ نَفْسَكَ عَلَيْهِ.

**الشرح:** لا ريب أن الثواب على قدر المشقة، لأنه كالموَض عنها، كما أن الموَض الحقيقي موَض عن الألم، ولهذا قال عليه السلام: «أفضل العبادة أحمَرُّها»<sup>(١)</sup>. أي أشَقُّها.

- ٢٤٧ -

**الأصل:** عَرَفْتُ اللَّهَ سُبْحَانَهُ بِفَسْخِ الْعَزَائِمِ، وَحَلِّ الْمُقُودِ، وَتَقْضِي أَلْهِمِّ.

**الشرح:** هذا أحدُ الطُّرُق إلى معرفة الباري سبحانه، وهو أن يَعِزَّ الإنسانُ على أمرٍ، ويَصْغُرَ رأيه عليه، ثم لا يَلْبَثَ أن يُخْطِرَ الله تعالى بباله خاطراً صارِفاً له عن ذلك الفعل، ولم يكن في حسابه، أي لولا أن في الوجود ذاتاً مدبرةً لهذا العالم لما خَطَرَتِ الخواطرُ التي لم تكن محتسبة، وهذا فصلٌ يتضمَّن كلاماً دقيقاً يذكره المتكلمون في الخاطر الذي يُخْطِرُ عن غير مُوجب لخطوره، فإنه لا يجوز أن يكون الإنسان أعظمه بباله، وإلا لكان ترجيحاً من غير مرجع لجانب الوجود على جانب العدم، فلا بد أن يكون المخيطر له بالبال شيئاً خارجاً عن ذات الإنسان، وذاك هو الشيء المسمَّى بصانع العالم.

وليس هذا الموضع ممَّا يحتول استقصاء القول في هذا المبحث.

ويقال: إنَّ عَضُدَ الدَّوْلَةِ وقعت في يده قِصَّةٌ وهو يتَصَفَّحُ الْقِصَصِ، فأمر بضَلْبِ صاحبها، ثم أتبع الخادمَ خادماً آخر يقول له: قل للمطهر - وكان وزيره - لا يَصْلُبْ، ولكن أخرجه من الحبس فاقطع يده اليمنى، ثم أتبعه خادماً ثالثاً، فقال: بل تقول له: يقطع أعصاب رجلَيْه، ثم

(١) ذكره المجلوني في كشف الخفاء (٤٥٩) وقال: لا يُعرف.

اتبعه خادماً آخر فقال له: ينقله إلى القلعة بسيراف في قيوده فيجعله هناك، فاختلفت دواعيه في ساعة واحدة أربع مرات.

- ٢٤٨ -

**الأصل:** مَرَارَةُ الدُّنْيَا حَلَاوَةُ الْآخِرَةِ، وَحَلَاوَةُ الدُّنْيَا مَرَارَةُ الْآخِرَةِ.

**الشرح:** لما كانت الدنيا ضد الآخرة، وجب أن يكون أحكام هذه ضد أحكام هذه، كالسواد يجمع البصر والبياض يفرق البصر، والحرارة توجب الخفة، والبرودة توجب الثقل، فإذا كان في الدنيا أحوال هي مرة المذاق على الإنسان قد ورد الشرع بإيجابها فتلك الأفعال تقتضي وتوجب لفاعلها ثواباً حلو المذاق في الآخرة.

وكذلك بالعكس ما كان من المشتبهات الدنيوية التي قد نهى الشرع عنها توجب، - وإن كانت حلوة المذاق - مرارة العقوبة في الآخرة.

- ٢٤٩ -

**الأصل:** قَرَضَ اللهُ الْإِيمَانَ تَطْهِيراً مِنَ الشُّرْكِ، وَالصَّلَاةَ تَزْهِياً عَنِ الْكِبَرِ، وَالزَّكَاةَ تَنْسِيّاً لِلرِّزْقِ، وَالصَّيَامَ ابْتِلَاءً لِلْإِحْلَاصِ الْخَلْقِيِّ، وَالْحَجَّ تَقْوِيَةً لِلدِّينِ، وَالْجِهَادَ حِزْماً لِلْإِسْلَامِ، وَالْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ مَضْلَحَةً لِلْعَوَامِّ، وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ رُحْماً لِلشُّفَهَاءِ، وَصِلَةَ الرَّجَمِ مَنَافَةً لِلْمَدَدِ، وَالْقِضَاصَ حَقّاً لِلنَّمَاءِ، وَإِقَامَةَ الْحُدُودِ إِعْظَاماً لِلْمَحَارِمِ، وَتَرَكَ شُرْبِ الْخَمْرِ تَحْصِيّاً لِلْمَقْلِ، وَمُجَانَبَةَ السَّرِقَةِ إِيْجَاباً لِلْعَقْلِ، وَتَرَكَ الزُّنَى تَحْصِيّاً لِلنَّسَبِ، وَتَرَكَ اللَّوْاطِ تَكْثِيراً لِلنَّسْلِ، وَالشَّهَادَاتِ اسْتِظْهَاراً عَلَى الْمُجَاحِدَاتِ، وَتَرَكَ الْكُذِبِ تَشْرِيفاً لِلصِّدْقِ، وَالسَّلَامَ أَمَاناً مِنَ الْمَخَافِ، وَالْأَمَانَةَ نِقَاماً لِلْأَمْنِ، وَالطَّاعَةَ تَعْظِيماً لِلْإِمَامَةِ.

**الشرح:** هذا الفصل يتضمن بيان تحليل العبادات لإيجاباً وسلباً.

قال ﷺ: قَرَضَ اللهُ الْإِيمَانَ تَطْهِيراً مِنَ الشُّرْكِ، وذلك لأنَّ الشُّرْكَ نَجَاسَةٌ حُكْمِيَّةٌ لَا

عينية، وأي شيء يكون أنجس من الجهل أو أقيح! فالإيمان هو تطهير القلب من نجاسة ذلك الجهل.

وفُرضت الصلاة تنزيهاً من الكثير، لأن الإنسان يقوم فيها قائماً، والقيام مُنافٍ للتكبر وطارد له، ثم يرفع يديه بالتكبير وقت الإحرام بالصلاة فيصير على هيئة من يمد عنقه ليوسطه السياف، ثم يستكنف كما يفعل العبيد الأذلاء بين يدي السادة العظماء، ثم يركع على هيئة من يمد عنقه ليضربها السياف، ثم يسجد فيضع أشرف أعضائه وهو جبهته على أدون المواضع، وهو التراب. ثم تتضمن الصلاة من الخضوع والخشوع والامتناع من الكلام والحركة الموهمة لمن رآها أن صاحبها خارج عن الصلاة، وما في غضون الصلاة من الأذكار المتضمنة للذل والتواضع لعظمة الله تعالى.

وفُرضت الزكاة تسيباً للرزق، كما قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ﴾<sup>(١)</sup>، وقال: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقرضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ﴾<sup>(٢)</sup>.

وفُرض الصيام ابتلاءً لإخلاص الخلق، قال النبي ﷺ حاكياً عن الله تعالى: «الصوم لي وأنا أجزي به»<sup>(٣)</sup>، وذلك لأن الصوم أمر لا يطلع عليه أحد، فلا يقوم به على وجهه إلا المخلصون.

وفُرض الحج تقوية للذنين، وذلك لما يحصل للحاج في غيابه من المناجر والمكاييب، قال الله تعالى: ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَثَارٍ مُسْلُوسَةٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ﴾<sup>(٤)</sup>. وأيضاً فإن المشركين كانوا يقولون: لولا أن أصحاب محمد كثير وأولو قوة لما حجوا، فإن الجيش الضعيف يعجز عن الحج من المكان البعيد.

وفُرض الجهاد عزاً للإسلام، وذلك ظاهر، قال الله تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفُتَّتْ صُلُوحُ قَوْمٍ وَمَسَلَاتُ يَدِ كُفْرٍ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا﴾<sup>(٥)</sup>، وقال سبحانه: ﴿وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَقْبَلَتْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْغَيْلِ تُهْلِكُ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾<sup>(٦)</sup>.

وفُرض الأمر بالمعروف مصلحة للعوام، لأن الأمر بالعدل والإنصاف ورد الودائع، وأداء

(٢) سورة الحديد، الآية: ١١.

(١) سورة سبأ، الآية: ٣٩.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب: التوحيد، باب: قول الله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلِمَ اللَّهِ﴾

(٧٤٩٢)، ومسلم، كتاب: الصيام، باب: فضل الصيام (١١٥١)، والترمذي، كتاب: الصوم،

باب: ما جاء في فضل الصوم (٧٦٤)، والتسائي، كتاب: الصيام، باب: فضل الصيام (٢٢١١).

(٥) سورة الحج، الآية: ٤٠.

(٤) سورة الحج، الآية: ٢٨.

(٦) سورة الأنفال، الآية: ٦٠.

الأمانات إلى أهلها، وقضاء الديون، والصّدق في القول، وإيجاز الوعد، وغير ذلك من محاسن الأخلاق، مصلحة للبشر عظيمة لا محالة.

وفُرض النهي عن المنكر زُجراً للسنهاء، كالنهي عن الظلم والكذب والسّفه، وما يجري مجرى ذلك. وفُرضت صلة الرّحم مثمّاة للعَدَد، قال النبي ﷺ: «صلة الرّحم تزيد في العمر وتُنمي العَدَد»<sup>(١)</sup>.

وفُرض القصاص حقناً للدماء، قال سبحانه: «وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ»<sup>(٢)</sup> وفُرضت إقامة الحدود إعظماً للمحارم، وذلك لأنه إذا أقيمت الحدود امتنع كثير من الناس عن المعاصي التي تجبّ الحدود فيها، وظهر عظم تلك المعاصي عند العامة فكانوا إلى تركها أقرب.

وحُرّم شرب الخمر تحصيئاً للعقل، قال قوم لحكيم: اشرب الليلة معنا، فقال: أنا لا أشرب ما يشرب عقلي، وفي الحديث المرفوع: «إِنَّ مُلْكاً ظالماً خَيْرٌ إِنْسَاناً بَيْنَ أَنْ يُجَامَعَ أَمَهُ أَوْ يَقْتُلَ نَفْساً مُؤْمِنَةً، أَوْ يَشْرَبَ الْخَمْرَ حَتَّى يَسْكُرَ، فَرَأَى أَنَّ الْخَمْرَ أَهْوَنُهَا، فَشَرِبَ حَتَّى سَكِرَ، فَلَمَّا غَلِبَهُ قَامَ إِلَى أُمِّهِ فَوَطَّئَهَا، وَقَامَ إِلَى تِلْكَ النَّفْسِ الْمُؤْمِنَةِ فَقَتَلَهَا»، ثم قال ﷺ: «الْخَمْرُ جَمَاعُ الْإِثْمِ، الْخَمْرُ أُمُّ الْمَعَاصِي»<sup>(٣)</sup>.

وحُرّمت السرقة إيجاباً للعفة، وذلك لأنّ العفة خُلُقٌ شريف، والطمَع خُلُقٌ دنيء، فحرمت السرقة ليمرّن الناس على ذلك الخُلُقِ الشريف، ويجانبوا ذلك الخُلُقَ الذميمة، وأيضاً حرّمت لما في تحريمها من تحصين أموال الناس.

وحُرّم الزنى تحصيئاً للنسب، فإنه يُفضي إلى اختلاط المياه واشتباؤ الأنساب، وألا يُنسب أحدٌ بتقدير ألا يشرع النكاح إلى أب، بل يكون نسبُ الناس إلى أمهاتهم، وفي ذلك قلبُ الحقيقة، وعكسُ الواجب؛ لأنّ الولد مخلوقٌ من ماء الأب، وإنّما الأم وعاء وظرف.

وحُرّم اللواط تكثيراً للنسل، وذلك اللواط بتقدير استغاضته بين الناس والاستغناء به عن النساء يُفضي إلى انقطاع النسل والذرية، وذلك خلاف ما يريد الله تعالى من بقاء هذا النوع الشريف الذي ليس في الأنواع مثله في الشرف، لمكان النفس الناطقة التي هي نسخة ومثال للحضرة الإلهية، ولذلك سمّت الحكماء الإنسان العالم الصغير.

(١) أخرجه الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٩٤/٨)، والطبراني في «الأوسط» (٩٤٣) دون قوله: «وتنمي العدد».

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٧٩.

(٣) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه رقم: ١٢٥٧٩، وذكره القرطبي في تفسيره: ١٣٢/٧.

وَحُرْمُ الاستمناء باليد وإتيان البهائم للمعنى الذي لأجله حُرْمُ اللواط، وهو تقليل النسل، ومن مستحسن الكلمات النبوية قوله ﷺ في الاستمناء باليد: «ذلك الواد الحَفَنِي»<sup>(١)</sup>؛ لأنَّ الجاهلية كانت تُدِّد البنات أي تَعْتُلُهُنَّ خُفْعاً، وقد قَدَّمنا ذَكَر سبب ذلك، فشبهه ﷺ بِإِتْلَافِ النطفة التي هي وَلَدٌ بالقُوَّة بِإِتْلَافِ الولد بالفعل.

وأوجِبَتِ الشهادَةُ على الحقوق استظهاراً على المجاحِذات، قال النبي ﷺ: «لو أُهْطِيَ النَّاسُ بِدَعَاوِيهِمْ لاسْتَحْلَقَ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ»<sup>(٢)</sup>، وَوَجِبَ تَرْكُ الكَذِبِ تَشْرِيفاً لِلصَّدَقِ، وذلك لأنَّ مصلحة العامة إنما تَتِمُّ وتَنْتَظِمُ بِالصَّدَقِ، فَإِنَّ النَّاسَ يَبْتَئُونَ أَكْثَرَ أُمُورِهِمْ فِي مَعَامِلَاتِهِمْ عَلَى الْأَخْبَارِ، فَإِنَّهَا أَعَمُّ مِنَ الْبَيَانِ وَالْمُشَاهَدَةِ، فَإِذَا لَمْ تَكُنْ صَادِقَةً وَقَعَ الْخَطَأُ فِي التَّدْبِيرَاتِ، وَفَسَدَتْ أَحْوَالُ الْخَلْقِ.

وَشُرِعَ رَدُّ السَّلَامِ أَمَاناً مِنَ الْمَخَافِ؛ لِأَنَّ تَفْسِيرَ قَوْلِ الْقَائِلِ: «سَلَامٌ عَلَيْكُمْ»، أَيْ لَا حَرْبَ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ، بَلْ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ السَّلَامَ، وَهُوَ الصَّلَحُ.

وَفُرِضَتِ الْإِمَامَةُ نِظَاماً لِلأُمَّةِ، وَذَلِكَ لِأَنَّ الْخَلْقَ لَا يَرْتَفِعُ الْهَزَجُ وَالْعُسْفُ وَالظُّلُمُ وَالْعُصْبُ وَالسَّرَقَةُ عَنْهُمْ إِلَّا بِوِازِعٍ قَوِيٍّ، وَلَيْسَ يَكْفِي فِي امْتِنَاعِهِمْ قُبْحُ الْقَبِيحِ، وَلَا وَعِيدُ الْآخِرَةِ، بَلْ لَا بَدَلَهُمْ مِنْ سُلْطَانٍ قَاهِرٍ يَنْظِمُ مَصَالِحَهُمْ، فَيَرْدَعُ ظَالِمَهُمْ، وَيَأْخُذُ عَلَى أَيْدِي سُفَهَائِهِمْ.

وَفُرِضَتِ الطَّاعَةُ تَعْظِيماً لِلْإِمَامَةِ، وَذَلِكَ لِأَنَّ أَمْرَ الْإِمَامَةِ لَا يَنْتَمِ إِلَّا بِطَاعَةِ الرَّعِيَّةِ، وَالْأَفْلُو عَصَتِ الرَّعِيَّةُ إِمَامَتَهَا لَمْ يَتَّصِفُوا بِإِمَامَتِهِ وَرِثَاسَتِهِ عَلَيْهِمْ.

- ٢٥٠ -

**الأصل:** وَكَانَ ﷺ يَقُولُ: أَخْلِفُوا الطَّالِمَ إِذَا أَرَدْتُمْ بِأَنَّهُ بَرِيءٌ مِنْ حَوْلِي اللَّهِ وَقُوَّتِهِ، فَإِنَّهُ إِذَا خَلَفَ بِهَا كَذِباً هُوَ جَلٌّ، وَإِذَا خَلَفَ بِاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَمْ يَمَاجِلْ، لِأَنَّهُ قَدْ وَحَّدَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

(١) ذَكَرَ الْقُضَاعِيُّ فِي «مُسْنَدِ الشَّهَابِ» (٥٦)، وَالْمِجْلُونِيُّ فِي «كُشْفِ الْخُفَاءِ» (١٢٢٥)، دُونَ قَوْلِهِ: «الْخُمَرُ أَمْ الْمَعَاصِي».

(٢) أَخْرَجَ نَحْوَهُ الْبُخَارِيُّ، كِتَابُ: تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، بَابُ: إِنْ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا (٤٥٥٢)، وَمُسْلِمٌ، كِتَابُ: الْقَضِيَّةِ، بَابُ: الْيَمِينِ عَلَى الْمَدْعَى عَلَيْهِ (١٧١١)، وَالنَّسَائِيُّ، كِتَابُ: آدَابِ الْقَضَاةِ، بَابُ: عِظَةِ الْحَاكِمِ الْيَمِينِ (٥٤٢٥)، وَابْنُ مَاجَهَ، كِتَابُ: الْأَحْكَامِ، بَابُ: الْبَيِّنَةِ عَلَى الْمَدْعَى (٢٣٢١).

**الشرح:** رَوَى أبو الفرج علي بن الحسين الأصمّهاني في كتاب «مَقَاتِلِ الطَّالِبِينَ» أَنَّ يَحْيَى بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام لَمَّا أَتَاهُ الرَّشِيدُ بَعْدَ خُرُوجِهِ بِالذِّلِّمْ وَصَارَ إِلَيْهِ بِالْغُيُورِ فِي إِكْرَامِهِ وَبَرِّهِ، فَسَعَى بِهِ بَعْدَ مَدَّةٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُصْعَبٍ الزَّيْرِيُّ إِلَى الرَّشِيدِ - وَكَانَ يُغْضَهُ - وَقَالَ لَهُ: إِنَّهُ قَدْ عَادَ يَدْعُو إِلَى نَفْسِهِ سِرًّا، وَحَسَنَ لَهُ نَقَضُ أَمَانِهِ، فَأَحْضَرَهُ وَجَمَعَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُصْعَبٍ لِيُنَازِلُوهُ فِيمَا قَذَفَهُ بِهِ وَرَفَعَهُ عَلَيْهِ فَجَبَهَ ابْنُ مُصْعَبٍ بِحَضْرَةِ الرَّشِيدِ، وَأَذَى عَلَيْهِ الْحَرَكَةَ فِي الْخُرُوجِ وَشَقَّ الْمَصَا، فَقَالَ يَحْيَى: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَتَصَدَّقُ هَذَا عَلَيَّ وَتَسْتَنْصِحُهُ، وَهُوَ ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزَّيْرِ، الَّذِي ادْخَلَ أَبَاكَ عَبْدُ اللَّهِ وَلَدَهُ الشُّعْبَ، وَأَضْرَمَ عَلَيْهِمُ النَّارَ حَتَّى خَلَصَهُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْجَدَلِيُّ، صَاحِبُ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام مِنْهُ قَتْلًا، وَهُوَ الَّذِي تَرَكَ الصَّلَاةَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله أَرْبَعِينَ جُمُعَةً فِي خُطْبَتِهِ، فَلَمَّا أَتَاكَ عَلَيْهِ النَّاسُ قَالَ: إِنْ لَهُ أَهْلٌ سَوْءٌ إِذَا صَلَّيْتَ عَلَيْهِ أَوْ ذَكَرْتَهُ أَتْلَعُوا أَعْنَاقَهُمْ وَأَشْرَبُوا لِدِكْرِهِ، فَأَكْرَهَ أَنْ أَسْرَهُمْ أَوْ أَقِرَّ أَعْيُنَهُمْ، وَهُوَ الَّذِي كَانَ يَشْتُمُّ أَبَاكَ وَيُلْصِقُ بِهِ الْعِيُوبَ حَتَّى وَرِمَ كِبْدَهُ، وَلَقَدْ ذُبِحَتْ بِقَرَّةٍ يَوْمًا لِأَبِيكَ فَوُجِدَتْ كِبْدُهَا سَوْدَاءَ قَدْ نَفِيتُ، فَقَالَ عَلِيٌّ ابْنَهُ: أَمَا تَرَى كِبْدَ هَذِهِ الْبَقَرَةِ يَا ابْنَتِ! فَقَالَ: يَا بَنِي هَكَذَا تَرَكَ ابْنُ الزَّيْرِ كِبْدَ أَبِيكَ، ثُمَّ نَفَاهُ إِلَى الطَّائِفِ، فَلَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ قَالَ لِابْنَتِهِ عَلِيٍّ: يَا بَنِي إِذَا مِتَّ فَالْحَقَّ بِقُيُومِكَ مِنْ بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ بِالشَّامِ، وَلَا تُقِمَّ فِي بَلَدٍ لِابْنِ الزَّيْرِ فِيهِ إِثْرَةٌ، فَاخْتَارَ لَهُ صَحْبَةً يُزِيدُ بِنَ مَعَاوِيَةَ عَلَى صَحْبَةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزَّيْرِ. وَوَالِدُهُ إِنَّ عَدَاوَةَ هَذَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَنَا جَمِيعًا بِمَنْزِلَةِ سَوَاءٍ، وَلَكِنَّهُ قَوِيٌّ عَلَيَّ بِكَ، وَضَمَّتْ عَنْكَ، فَتَغَرَّبْتُ بِبِي إِلَيْكَ لِيُظْفَرَ مِنْكَ بِي بِمَا يَرِيدُ، إِذَا لَمْ يَقْدِرْ عَلَى مِثْلِهِ مِنْكَ، وَمَا يَنْبَغِي لَكَ أَنْ تَسُوْغَهُ ذَلِكَ فَنِي، فَإِنَّ مَعَاوِيَةَ بْنَ أَبِي سُفْيَانَ وَهُوَ أَبْعَدُ نَسَبًا مِنْكَ إِلَيْنَا ذَكَرَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ يَوْمًا قَسَبَهُ، فَسَاعَدَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزَّيْرِ عَلَى ذَلِكَ، فَزَجَرَهُ وَاتْتَهَرَهُ، فَقَالَ: إِنَّمَا سَاعَدْتُكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، فَقَالَ: إِنْ الْحَسَنُ لِحَمِي أَكْثَلُهُ وَلَا أَوْكَلُهُ. وَمَعَ هَذَا فَهُوَ الْخَارِجُ مَعَ أَخِي مُحَمَّدٍ عَلَى أَبِيكَ الْمَنْصُورِ أَبِي جَعْفَرٍ، وَالْقَائِلُ لِأَخِي فِي قَصِيدَةٍ طَوِيلَةٍ أَوْلَاهَا:

إِنَّ الْحَمَامَةَ يَوْمَ الشَّعْبِ مِنْ وَثْنٍ      هَاجَتْ فَوَادٍ مُجِيبٌ دَائِمُ الْحَزَنِ  
يُحَرِّضُ أَخِي فِيهَا عَلَى الْوُثُوبِ وَالنَّهْوِضِ إِلَى الْخِلَافَةِ، وَيَمْدَحُهُ وَيَقُولُ لَهُ:

لَا عَزَّ رُكْنًا نَزَارَ عِنْدَ سَطْوَتِهَا      إِنْ أَسْلَمْتَنِي وَلَا رُكْنًا ذَوِي يَمَنِ  
أَلَسْتُ أَكْرَمَهُمْ عُزْدًا إِذَا انْتَسَبُوا      يَوْمًا وَأَطْهَرَهُمْ ثُوبًا مِنَ الدَّرَنِ  
وَأَعْظَمُ النَّاسِ عِنْدَ النَّاسِ مَنْزِلَةً      وَأَبْعَدُ النَّاسِ مِنْ عَيْبٍ وَمِنْ وَهْنِ  
قَوْمُوا يَبْتَغِيَنِي نَهْضَ بَطَاعَتِهَا      إِنَّ الْخِلَافَةَ فِيمُنْكُمْ يَا بَنِي عَاسِنِ  
إِنَّا لَنَأْمُلُ أَنْ تَرْتَدَّ أَلْفَتَنَا      بَعْدَ التَّدَايُرِ وَالْبَغْضَاءِ وَالْإِحْنِ  
حَتَّى يَنَابَ عَلَى الْإِحْسَانِ مُحْسِنُنَا      وَيَأْمَنُ الْخَائِفُ الْمَأْخُودُ بِالذَّمِّ  
وَتَنْقَضِي دَوْلَةُ أَحْكَامٍ قَادِتِهَا      فِيمَا كَأَحْكَامِ قَوْمِ عَابِدِي وَثْنِ



فطالما قد بروا بالجور أعظمنا      بَرَى الصَّنَاعِ قِدَاحَ النَّبْعِ بالسفني  
فتغير وجه الرشيد عند سماع هذا الشعر، وتغيظ على ابن مصعب، فابتدأ ابن مصعب  
يُحْلِفُ بالله الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَيَأْمَانُ الْيَعْنَى أَنَّ هَذَا الشَّعْرَ لَيْسَ لَهُ، وَأَنَّهُ لَسَدِيفٌ، فَقَالَ يَحْيَى:  
وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَا قَالَهُ غَيْرُهُ، وَمَا حَلَفْتُ كَاذِبًا وَلَا صَادِقًا بِاللَّهِ قَبْلَ هَذَا، وَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ  
إِذَا مَجَّدَ الْعَبْدَ فِي يَمِينِهِ فَقَالَ: وَاللَّهِ الطَّالِبُ الْغَالِبُ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ، اسْتَعْنِيَ أَنْ يَعْاقِبَهُ، فَذَعَنِي  
أَنْ أَحْلِفَ بِيَمِينٍ مَا حَلَفَ بِهَا أَحَدٌ قَطُّ كَاذِبًا إِلَّا غُوجِلَ، قَالَ فَحَلَفَهُ، قَالَ قُلْ: بَرِئْتُ مِنْ حَوْلِ اللَّهِ  
وَقُوَّتِهِ، وَاعْتَصَمْتُ بِحَوْلِي وَقُوَّتِي، وَتَقَلَّدْتُ الْحَوْلَ وَالْقُوَّةَ مِنْ دُونِ اللَّهِ، اسْتَكْبَارًا عَلَى اللَّهِ  
وَاسْتِعْلَاءً عَلَيْهِ، وَاسْتِغْنَاءً عَنْهُ إِنْ كُنْتُ قُلْتُ هَذَا الشَّعْرَ! فَامْتَنَعَ عَبْدُ اللَّهِ مِنَ الْحِلْفِ بِذَلِكَ،  
فَغَضِبَ الرَّشِيدُ، وَقَالَ لِلْفَضْلِ بْنِ الرَّبِيعِ: يَا عَبَّاسِيُّ مَا لَكَ لَا يَحْلِفُ إِنْ كَانَ صَادِقًا! هَذَا عَلَيَّ لِسَانِي  
عَلَيَّ، وَهَذِهِ ثِيَابِي لَوْ حَلَفَنِي بِهِذِهِ الْيَمِينِ أَنَّهُ لِي لِحْلَفْتُ. فَوَكَّزَ الْفَضْلُ عَبْدَ اللَّهِ بِرِجْلِهِ - وَكَانَ  
لَهُ فِيهِ هَوَى - وَقَالَ لَهُ: احْلِفْ وَيَحْكُ! فَجَعَلَ يَحْلِفُ بِهِذِهِ الْيَمِينِ، وَوَجْهُهُ مُتَغَيِّرٌ، وَهُوَ يُرْعَدُ،  
فَضَرَبَ يَحْيَى بَيْنَ كَتِفَيْهِ، وَقَالَ: يَا بَنَ مُصْعَبٍ، قَطَعْتَ عُمُرَكَ، لَا تُفْلِحَ بَعْدَهَا أَبَدًا!  
قَالُوا: فَمَا بَرِحَ مِنْ مَوْضِعِهِ حَتَّى عَرَضَ لَهُ أَهْرَاضُ الْجَذَامِ، اسْتَدَارَتْ عَيْنَاهُ، وَتَفَقَّاهُ وَجْهَهُ،  
وَقَامَ إِلَى بَيْتِهِ فَتَقَطَّعَ وَتَشَقَّقَ لَحْمُهُ وَانْتَشَرَ شَعْرُهُ، وَمَاتَ بَعْدَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ، وَحَضَرَ الْفَضْلُ بْنُ الرَّبِيعِ  
جَنَازَتَهُ، فَلَمَّا جُعِلَ فِي الْقَبْرِ انْحَسَفَ اللَّحْدُ بِهِ حَتَّى خَرَجَتْ مِنْهُ غَبْرَةٌ شَدِيدَةٌ، وَجَعَلَ الْفَضْلُ يَقُولُ:  
الْتَرَابُ الثَّرَابُ! فَطَرَحَ التَّرَابَ وَهُوَ يَهْوِي، فَلَمْ يَسْتَطِيعُوا سَدَّهُ حَتَّى سَقَفَ بِخَشَبٍ، وَطَمَ عَلَيْهِ،  
فَكَانَ الرَّشِيدُ يَقُولُ بَعْدَ ذَلِكَ لِلْفَضْلِ: أَرَأَيْتَ يَا عَبَّاسِيُّ مَا أَسْرَعَ، مَا أَدِيلَ لِيَحْيَى مِنْ ابْنِ مُصْعَبٍ!

- ٢٥١ -

**الأصل:** يَا بَنَ آدَمَ، كُنْ وَصِيَّ نَفْسِكَ، وَأَعْمَلْ فِي مَالِكَ مَا تُؤْتِرُ أَنْ يَفْعَلَ فِيهِ مَنْ بَعْدَكَ.

**الشرح:** لَا رَيْبَ أَنَّ الْإِنْسَانَ يُؤْتِرُ أَنْ يُخْرِجَ مَالَهُ بَعْدَ مَوْتِهِ فِي وَجْهِ الْبِرِّ وَالصَّدَقَاتِ وَالْفَرَائِطِ  
لِيَصِلَ ثَوَابُ ذَلِكَ إِلَيْهِ، لَكِنَّهُ يَفْهِنُ بِإِخْرَاجِهِ وَهُوَ حَيٌّ فِي هَذِهِ الْوُجُوهِ لِحَبِّهِ الْمَاجِلَةَ  
وَخَوْفِهِ مِنَ الْفَقْرِ وَالْحَاجَةِ إِلَى النَّاسِ فِي آخِرِ الْعُمُرِ، فَيَقِيمُ وَصِيًّا يَفْعَلُ ذَلِكَ فِي مَالِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ.  
وَأَوْصَى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ الْإِنْسَانَ أَنْ يَفْعَلَ فِي مَالِهِ وَهُوَ حَيٌّ مَا يُؤْتِرُ أَنْ يُجْعَلَ فِيهِ وَصِيَّةٌ  
بَعْدَ مَوْتِهِ، وَهَذِهِ حَالَةٌ لَا يَقْدِرُ عَلَيْهَا إِلَّا مَنْ أَخَذَ التَّوْفِيقَ بِيَدِهِ.

- ٢٥٢ -

**الأصل:** أَلْحَدَةُ ضَرَبٌ مِنَ الْجُنُونِ، لِأَنَّ صَاحِبَهَا يَنْدَمُ، فَإِنْ لَمْ يَنْدَمْ فَبُحُونُهُ مُسْتَحْكِمٌ.

**الشرح:** كان يقال: الحدة كُتَيْبَةُ الجهل.

وكان يقال: لا يصحّ لحديد رأي؛ لأن الحدة تُضِدُّ العُقل كما يُضِدُّ الخُلُ المرأة، فلا يَرَى صاحبُه فيه صورة حَسَنَ فَيَفْعَلَه، ولا صُورَةَ قَبِيحَ فَيَجْتَنِبَه.

وكان يقال: أَوَّلُ الحِدَّةِ جنونٌ وآخِرُهَا نَدَمٌ.

وكان يقال: لَا تَحْمِلَنَّ الحِدَّةَ عَلَى أَقْتَرافِ الإِثْمِ، فَتَشْفِي غَيْظَكَ، وَتُسْقِمَ دِيْنَكَ.

- ٢٥٣ -

**الأصل:** صِبْحَةُ الْجَسَدِ مِنَ قِلَّةِ الْحَسَدِ.

**الشرح:** معناه: أَنَّ القليلَ الحَسَدِ لَا يَزَالُ مُعَاكِي فِي بَدَنِهِ، والكثيرُ الحَسَدِ يُعْرِضُهُ مَا يَجِدُهُ فِي نَفْسِهِ مِنْ مَضَاضَةِ الْمُنَافَسَةِ، وَمَا يَتَجَرَّعُهُ مِنَ الْغِيْظِ، وَمَزَاجِ الْبَدَنِ يَنْبَغِ أَحْوَالِ النَّفْسِ.

قال المأمون: مَا حَسَدْتُ أَحَدًا قَطُّ إِلَّا أَبَا دُلْفٍ عَلَى قَوْلِ الشَّاعِرِ فِيهِ:

إِنَّمَا الدُّنْيَا أَبُو دُلْفٍ      بَيْنَ بَادِيهِ وَمَحَضَرِهِ

فَإِذَا وَلَّى أَبُو دُلْفٍ      وَلَّتِ الدُّنْيَا عَلَى أَثَرِهِ

وَرَوَى أَبُو الْفَرَجِ الْأَصْبَهَانِيُّ عَنْ عَبْدِ دُوسِ بْنِ أَبِي دُلْفٍ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، قَالَ: قَالَ لِي الْمَأْمُونُ: يَا قَاسِمُ، أَنْتَ الَّذِي يَقُولُ فَيْكَ عَلِيُّ بْنُ جَبَلَةَ:

إِنَّمَا الدُّنْيَا أَبُو دُلْفٍ

الْبَيْتِ، فَقُلْتُ مُسْرِعًا: وَمَا يَنْفَعُنِي ذَلِكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَعَ قَوْلِهِ فِي:

أَبَا دُلْفٍ يَا أَكْذَبَ النَّاسِ كُلِّهِمْ      سِوَايَ فَبُئْسَ فِي مَدِيحِكَ أَكْذَبُ

وَمَعَ قَوْلِ بَكْرِ بْنِ النَّظَّاحِ فِي:

أَبَا دُلْفٍ إِنَّ الْفَقِيرَ بَعْضُهُ      لَمَنْ يَرْتَجِي جَذْوَى يَدَيْكَ وَيَأْمُلُهُ

أرى لك باباً مُغلقاً متمتعاً إذا فَتَحُوهُ عَنْكَ فالبُوسُ دَاخِلُهُ  
كَأَنَّكَ طَبْلٌ مَائِلٌ الصَّوْتُ مَعْجَبٌ خَلِيٌّ مِنَ الْحَيَاتِ نَفْسٌ مَذَاخِلُهُ  
وَأَعْجَبُ شَيْءٍ فِيكَ تَسْلِيمُ إِسْرَةٍ عَلَيْكَ عَلَى ظَنَرٍ وَأَنْتَ قَابِلُهُ  
قال: فلما انصرفتُ قال المأمون لمن حوله: لله ذَرَّةٌ خَفِظَ هَجَاءُ نَفْسِهِ حَتَّى انْتَفَعَ بِهِ عِنْدِي،  
وَأَطْفَا لِهَيْبِ الْمُنَاقَسَةِ.

- ٢٥٤ -

**الأصل:** وَقَالَ ﷺ لَكُمَيْلُ بْنُ زِيَادٍ النَّخَعِيُّ:

يَا كُمَيْلُ، مَرُّ أَهْلِكَ أَنْ يَرُوحُوا فِي كَسْبِ الْمَكَارِمِ، وَيُزِلُّجُوا فِي حَاجَةِ مَنْ هُوَ نَائِمٌ،  
فَوَالَّذِي وَسِعَ سَمْعُهُ الْأَصْوَاتَ، مَا مِنْ أَحَدٍ أَوْدَعَ قَلْبًا سُورًا إِلَّا وَخَلَقَ اللَّهُ لَهُ مِنْ ذَلِكَ  
السُّرُورَ لُطْفًا، فَإِذَا تَرَكْتَ بِهِ نَافِيَةً جَرَى إِلَيْهَا كَالْمَاءِ فِي أَنْجَادَارِهِ، حَتَّى يَظَرَّهَا عَنْهُ كَمَا تُظَرُّ  
غَرِيبةُ الْإِبِلِ.

**الشرح:** قال عمرو بنُ العاص لمعاوية: ما بقي من لَذَّتِكَ؟ فقال: ما من شيء يُصِيبُهُ النَّاسُ من  
اللَّذَّةِ إِلَّا وَقَدْ أَصَبْتُهُ حَتَّى مَلَكْتُه، فَلَيْسَ شَيْءٌ عِنْدِي الْيَوْمَ اللَّهُ مِنْ شَرِيَةِ مَاءٍ بَارِدٍ فِي يَوْمٍ  
صَائِفٍ، وَنَظَرِي إِلَى يَتِيٍّ وَبَنَاتِي يَدْرُجُونَ حَوْلِي، فَمَا بَقِيَ مِنْ لَذَّتِكَ أَنْتَ؟ فَقَالَ: أَرْضٌ أَغْرَسَهَا وَأَكَلُ  
ثَمَرَتِهَا، لَمْ يَبْقَ لِي لَذَّةٌ خَيْرَ ذَلِكَ. فَالْتَفَتَ مَعَاوِيَةُ إِلَى وَرْدَانَ غُلَامٍ عَمَرُو، فَقَالَ: لَمَا بَقِيَ مِنْ لَذَّتِكَ يَا  
وَرِيدُ؟ فَقَالَ: سُرُورٌ أَدْخَلَهُ قُلُوبُ الْإِخْوَانِ، وَصَنَائِعُ اعْتَقِدُهَا فِي أَهْوَائِ الْكِرَامِ، فَقَالَ مَعَاوِيَةُ لِعَمَرُو:  
يَبْنَ لِمَجْلِسِي وَمَجْلِسِكَ! لَقَدْ غَلَبَنِي وَغَلَبَكَ هَذَا الْعَبْدُ، ثُمَّ قَالَ: يَا وَرْدَانُ، أَنَا أَحَقُّ بِهَذَا مِنْكَ، قَالَ:  
قَدْ امْكَنَتْكَ فَافْعَلْ.

فإن قلت: السُّرُورُ عَرَضٌ، فَكَيْفَ يَخْلُقُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْهُ لُطْفًا؟  
قلت: مِنْ هَاهُنَا هِيَ مِثْلُ «مِنْ» فِي قَوْلِهِ: ﴿وَلَوْ كُنَّا نَعْلَمُ سِرَّكَ لَكُنَّا بِكَ فِي الْأَرْضِ بِخَلْقُونَ﴾<sup>(١)</sup>،  
أَيَ عَوَاضًا مِنْكُمْ.  
ومثله:

فَلَيْتَ لَنَا مِنْ مَاءٍ زَمَزَمَ شَرِبَةً مَبْرُوءَةً بِسَاتِثٍ عَلَى طَهْيَانٍ

أي ليت لنا شربة مبردة باتت على طهيان، وهو اسم جبل، بدلاً وعوضاً من ماء زمزم.

- ٢٥٥ -

**الأصل:** إذا أنلقتُم فتأجروا الله بالصدقة.

**الشرح:** قد تقدم القول في الصدقة.

وقالت الحكماء: أفضل العبادات الصدقة، لأن نفعها يتعدى، ونفع الصلاة والصوم لا يتعدى.

وجاء في الأثر أن علياً عليه السلام عجل ليهودي في سقي نخل له في حياة رسول الله ﷺ بمذ من شعير، فخبزه قرصاً، فلما هم أن يظطر عليه، أتاه سائل يستطمع، فدفعه إليه، وبات طاوراً وتأجر الله تعالى بتلك الصدقة، فعذ الناس هذه الفعلة من أعظم السخاء، وعدوها أيضاً من أعظم العبادات.

وقال بعض شعراء الشيعة يذكر إعادة الشمس عليه، وأحسن فيما قال:

جاء بالقرص والطلوى ملء جنبى وعاف الطعم وهو سئوب  
فأعاد القرص المنير عليه الـ قرص المقرض الكرام كسوب

- ٢٥٦ -

**الأصل:** الوفاء لأهل الغدر عذر عند الله، والغدر بأهل الغدر وفاة عند الله.

**الشرح:** معناه أنه إذا اعتيد من العدو أن يغير ولا يفي بأقواله وإيمانه وعهوده، لم يجز الوفاء له، ووجب أن ينقض عهوده ولا يوقف مع العهد المعقود بيننا وبينه، فإن الوفاء لمن هذه حاله ليس بوفاء عند الله تعالى، بل هو كالغدر في نفسه، والغدر بمن هذه حاله ليس بقيح، بل هو في الحسن كالوفاء لمن يستحق الوفاء عند الله تعالى.

- ٢٥٧ -

**الأصل:** كَمْ مِنْ مُسْتَدْرِجٍ بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِ، وَمَقْرُورٍ بِالسُّرِّ عَلَيْهِ، وَمَقْتُولٍ بِحُسْنِ الْقَوْلِ فِيهِ، وَمَا ابْتَلَى اللَّهُ سُبْحَانَهُ أَحَدًا بِمِثْلِ الْإِمْلَاءِ لَهُ.

قَالَ الرَّضِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: وَقَدْ مَضَى هَذَا الْكَلَامُ فِيمَا نَقَدَّمْ، إِلَّا أَنَّ فِيهِ هَاهُنَا زِيَادَةً جَيِّدَةً.

**الشرح:** قد تقدم الكلام في الاستدراج والإملاء.

وقال بعض الحكماء: احذر النعم المتواصلة إليك أن تكون استدراجاً، كما يحذر المحارب من اتباع عدوه في الحرب إذا فر من بين يديه من الكمين، وكم من عدو فر مستدرجاً، ثم إذ هو عاطف، وكم من ضارِعٍ في يدك ثم إذ هو خاطف.

- ٢٥٨ -

**الأصل:** ومن كلامه عليه السلام المتضمن ألفاظاً من الغريب تحتاج إلى تفسير: قوله عليه السلام في حديثه: فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ ضَرَبَ يَغْسُوبُ الدِّينِ بِدِينِهِ، فَيَجْتَمِعُونَ إِلَيْهِ كَمَا يَجْتَمِعُ قُرْعُ الْخَرِيفِ.

قَالَ الرَّضِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: يَغْسُوبُ الدِّينِ: السَّيِّدُ الْعَظِيمُ الْمَالِكُ لِأُمُورِ النَّاسِ يَوْمَئِذٍ، وَالْقُرْعُ: قِطْعُ الْغَنِيمِ الَّتِي لَا مَاءَ فِيهَا.

**الشرح:** أصاب في التفسير، فأما القُرْع فلا يُشترط فيها أن تكون خالية من الماء، بل القُرْع يُقَطَّع من السحاب رقيقة، سواء كان فيها ماء أو لم يكن، الواحدة قُرْعَةٌ بِالْفَتْحِ، وإنما غرّه قول الشاعر يصف جيشاً بالقلّة والخفة.

كَأَنَّ رَعَالَهُ قُرْعَ الْجَهَامِ

وليس يدل ذلك على ما ذكره، لأن الشاعر أراد المبالغة، فإنَّ الجهام الذي لا ماء فيه إذا كان أظلماً متفرقة خفيفة، كان ذكره أبْلَغَ فيما يريد من التشبيه، وهذا الخبر من أخبار الملاحم

التي كان يُخبر بها ﷺ ، وهو يُذكر فيه المهدي الذي يُوجد عند أصحابنا في آخر الزمان . ومعنى قوله : «ضرب بذنبيه» أقام وثبت بعد اضطرابه ، وذلك لأنّ اليَعسوب فحل النخل وسَيدها ، وهو أكثرُ زمانه طائرَ بجناحيه ، فإذا ضرب بذنبيه الأرض فقد أقام وترك الطيران والحركة .

فإن قلت : فهذا يشبه مذهب الإمامية في أنّ المهدي خائف مستتر ينتقل في الأرض ، وأنه يظهر آخر الزمان ويثبت ويقيم في دار ملكه .

قلت : لا يبعد على مذهبنا أن يكون الإمام المهدي الذي يظهر في آخر الزمان مضطرب الأمر ، منتشر الملك في أول أمره لمصلحة يعلمها الله تعالى ، ثم بعد ذلك يثبت ملكه ، وتنظم أموره .

وقد وردت لفظة اليَعسوب عن أمير المؤمنين ﷺ في غير هذا الموضع ، قال يومَ الجمل لعبد الرحمن بن عتاب بن أسيد وقد مرّ به قتيلاً : «هذا يسوب قريش» ، أي سيدها .

- ٢٥٩ -

**الأصل :** وفي حديثه ﷺ : هَذَا الْخُطْبُ الشَّخْشُ .

قال : يُريدُ المَاهِرَ بِالْخُطْبَةِ ، الْمَاضِي فِيهَا ، وَكُلُّ مَاضٍ فِي كَلَامٍ أَوْ سِرٍّ فَهُوَ شَخْشٌ . وَالشَّخْشُ فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْضِعِ : التَّبْخِيلُ الْمُتَمَسِّكُ .

**الشرح :** قد جاء الشَّخْشُ بمعنى الْفَيُورِ ، وَالشَّخْشُ بمعنى الشُّجَاعِ ، وَالشَّخْشُ بمعنى الْمَوَاطِبِ عَلَى الشَّيْءِ الْمَلَازِمِ لَهُ ، وَالشَّخْشُ : الْحَارِي ، وَمِثْلُهُ الشَّخْشَانُ .

وهذه الكلمة قالها عليّ ﷺ لَصَنْعَةِ بْنِ صُوحَانَ الْعَبْدِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ ، وَكَفَى صَعَصَعَةً بِهَا فَعَرَأَ أَنْ يَكُونَ مِثْلَ عَلِيٍّ ﷺ يُثْنِي عَلَيْهِ بِالْمَهَارَةِ وَقَصَاحَةِ اللِّسَانِ ، وَكَانَ صَعَصَعَةً مِنْ أَفْصَحِ النَّاسِ ، ذَكَرَ ذَلِكَ شَيْخُنَا أَبُو عِثْمَانَ الْجَاظُ .

- ٢٦٠ -

**الأصل :** وَمِنْهُ : إِنَّ لِلْخُصُومَةِ قُحْمًا .

قال الرضی رحمۃ اللہ: یُریدُ بالْفَحَمِ الْمَهَالِكُ؛ لَأَنَّهُا تُفَحِمُ أَصْحَابَهَا فِي الْمَهَالِكِ وَالْمَتَالِفِ فِي الْأَكْثَرِ فَمِنْ ذَلِكَ فَحَمَةُ الْأَهْرَابِ، وَهُوَ أَنْ تُصِيبَهُمُ السَّنَةُ فَتَنْفَرُقَ أَمْوَالُهُمْ، فَذَلِكَ تَفْحَمُهَا فِيهِمْ. وَقِيلَ فِيهِ وَجْهٌ آخَرُ، وَهُوَ أَنَّهَا تُفَحِمُهُمْ بِلَادَةِ الرَّيْفِ، أَيْ تُخَوِّجُهُمْ إِلَى دُخُولِ الْحَضَرِ عِنْدَ مُحُولِ الْبَدْوِ.

الشَّرْحُ: أَصْلُ هَذَا الْبِنَاءِ لِلدُّخُولِ فِي الْأَمْرِ عَلَى غَيْرِ رَوِيَّةٍ وَلَا تَثْبُتٍ، فَحَمَ الرَّجُلُ فِي الْأَمْرِ بِالْفَتْحِ فَحُومًا، وَأَفْحَمَ فَلَانَ فَرَسَهُ الْبَحْرَ فَانْفَحَمَ، وَاقْتَحَمَتْ أَيْضًا الْبَحْرَ دَخَلَتْهُ مَكَافِحُهُ، وَقَحَمَ الْفَرَسُ فَارِسَهُ تَفْحِيمًا عَلَى وَجْهِهِ، إِذَا رَمَاهُ، وَفَحَلَّ بِقَحَامٍ، أَيْ بِقَتْلِهِ الشُّوْلَ مِنْ غَيْرِ إِرْسَالٍ فِيهَا.

وهذه الكلمة قالها أمير المؤمنين حين وكَّلَ عبدُ اللَّهِ بن جعفرٍ في الخصومة عنه، وهو شامد.

وأبو حنيفة لا يُجيزُ الزُكَاةَ على هذه الصُّورَةِ، ويقول: لا تجوز إلا من غائبٍ أو مريضٍ، وأبو يوسف ومحمد يُجيزانها أَخْذًا بفعل أمير المؤمنين عليه السلام.

- ٢٦١ -

**الأصل:** ومنه: إذا بلغ النساءُ نَصَّ الْحَقَائِقِ فَالْعَصْبَةُ أُولَى.

قال الرضی رحمۃ اللہ: ويروي «نصُّ الحقائق»، والنصُّ منتهى الأشياء ومبلغُ أقصاها كالنصِّ في السيرِ لأنه أقصى ما تقدَّرُ عليه الدَّابَّةُ، ويقال: نصصْتُ الرجلَ عن الأمرِ إذا استقصيتُ مسألته لتستخرجَ ما عنده فيه، ونصُّ الحقائق يريدُ به الإدراكُ، لأنه منتهى الصُّغَرِ، والوقتُ الذي يخرجُ منه الصغيرُ إلى حدِّ الكبيرِ، وهو من أفضحِ الكِنَايَاتِ عن هذا الأمرِ وأغربها، يقول: فإذا بلغَ النساءُ ذلكَ فالعصبةُ أُولَى بالمرأةِ من أمِّها إذا كانوا محرماً مثلُ الإخوةِ والأعمامِ، وتزويجها إن أرادوا ذلكَ.

والْحَقَائِقُ: مُحَاقَّةُ الْأُمِّ لِلْعَصْبَةِ فِي الْمَرَاةِ، وَهُوَ الْجِدَالُ، وَالْخُصُومَةُ، وَقَوْلُ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا لِلْآخَرِ: أَنَا أَحَقُّ مِنْكَ بِهَذَا، يُقَالُ مِنْهُ: حَاقَقْتُ جِقَاقًا، وَقُلُّ جَادَلْتُ جِدَالًا. قال: وقد قيلَ إِنَّ نَصَّ الْحَقَائِقِ بُلُوغُ الْعَقْلِ وَهُوَ الْإِدْرَاكُ؛ لِأَنَّهُ عليه السلام إِنَّمَا أَرَادَ مُنْتَهَى الْأَمْرِ الَّذِي تَجِبُ بِهِ الْحَقُوقُ وَالْأَحْكَامُ. قال: وَمَنْ رَوَاهُ «نَصُّ الْحَقَائِقِ» فَإِنَّمَا أَرَادَ جَمْعَ حَقِيقَةٍ، هَذَا مَعْنَى مَا ذَكَرَهُ أَبُو حُبَيْدٍ الْقَاسِمُ بْنُ سَلَامٍ.

قال: والذي عندي أنَّ المراد بنصِّ الحقائق هاهنا بُلُوغُ المرأة إلى الحدِّ الذي يجوزُ فيه تزويجُها ونَصْرُها في حقوقها، تشبيهاً بالحقاق مِنَ الإِبِلِ، وهي جَمْعُ حَقَّةٍ وَحَقٍّ، وهو الذي استكمل ثلاثَ سنينَ ودخلَ في الرابعة، وعند ذلك يبلغُ إلى الحدِّ الذي يُمكنُ فيه من رُكوبِ ظهره ونَصْرِهِ في سببه. والحقائقُ أيضاً: جَمْعُ حَقَّةٍ، فالروايتان جميعاً ترجعان إلى معنى واحدٍ، وهذا أشبهُ بطريقةِ العربِ مِنَ المعنى المذكورِ أولاً.

**الشرح:** أما ما ذكره أبو عُبيد فإنه لا يَشْفِي الغليلَ؛ لأنه فُسِّرَ معنى النَّصِّ، ولم يفسَّرَ معنى نَصْرٍ الحقائق، بل قال: هو عبارةٌ عن الإدراك، لأنه منتهى الصَّغَرِ، والوقت الذي يَخْرُجُ منه الصغيرُ إلى حدِّ الكِبَرِ، ولم يبيِّن من أيِّ وجهٍ يدلُّ لفظُ نَصْرٍ الحقائق على ذلك، ولا اشتقاق الحقائق وأصله، ليظهر من ذلك مُطابَقةَ اللَّفْظِ للمعنى الذي أُشيرَ إليه.

فأما قوله: «الحقاق هاهنا مَصْدَرٌ حاقٌّ يُحاقُّ»، فليقابل أن يقول: إن كان هذا هو مقصوده عليه السلام فقبل الإدراك يكون الحقائق أيضاً، لأنَّ كلَّ واحدة من القرايات تقول للأخرى: أنا أحقُّ بها منك، فلا معنى لتخصيص ذلك بحالِ البُلُوغِ، إلا أن يزعمَ زاعمٌ أنَّ الأَمَّ قبل البُلُوغِ لها الحضانة، فلا يُنازِعها قبلَ البلوغِ في البُنتِ أحدٌ ولكن في ذلك خلافٌ كثير بين الفقهاء.

وأما التفسير الثاني، وهو أنَّ المراد بنصِّ الحقائق منتهى الأمر الذي تَجِبُ به الحقوق فإنَّ أهلَ اللغة لم يَقُولُوا عن العَرَبِ أنَّها استَمَلَّت الحقائق في الحقوق، ولا يُعرَفُ هذا في كلامهم.

فأما قوله: «ومن رَواه نَصْرُ الحَقَائِقِ»، فإنَّما أراد جمع حقيقة، فليقابل أن يقول: وما معنى الحقائق إذا كانت جمع حقيقة هاهنا؟ وما معنى إضافة «نَصْرٍ» إلى «الحقائق» جمع حقيقة، فإنَّ أبا عُبيدٍ لم يفسِّر ذلك مع شدَّة الحاجة إلى تفسيره!

وأما تفسير الرضوي - رحمه الله - فهو أشبهُ من تفسير أبي عُبيد، إلا أنه قال في آخره: والحقائق أيضاً جمعُ حَقَّةٍ، فالروايتان ترجعان إلى معنى واحد. وليس الأمرُ على ما ذكر من أنَّ الحقائق جمعُ حَقَّةٍ، ولكنَّ الحقائق جمعُ حَقاقٍ، والحقاق جمعُ حَقٍّ، وهو ما كان من الإِبِلِ أبَنُ ثلاث سنينَ، وقد دخل في الرابعة، فاستحقَّ أن يُحمَلَ عليه ويُنتفع به، فالحقائق إذْ ذن جمعُ الجَمْعِ لِحَقٍّ لا لحَقَّةٍ، ومثل إفاة وأفائل. قال: ويُمكنُ أن يقال: الحقائق هاهنا الخصومة، يقال: ما لَه فيه حق ولا حِقاق أي ولا خصومة، ويقال لمن يُنازع في صِغار الأشياء إنه لبرق الحِقاق، أي خصومته في الدَّيْنِ من الأمر، فيكون المعنى إذا بَلَغَت المرأةُ الحدَّ الذي يستطيع الإنسانُ فيه الخصومةَ والجِدالَ فَصَصَبُها أولى بها من أمِّها، والحدُّ الذي تَكْمُلُ فيه المرأةُ والثَّلَامُ للخصومة والحكومة والجِدال والمناظرة هو سَبُّ البُلُوغِ.



- ٢٦٢ -

**الأصل:** ومنه: إِنَّ الْإِيمَانَ يَبْدُو لِنُظَّةٍ فِي الْقَلْبِ، كُلَّمَا أَرَادَ الْإِيمَانُ أَرْدَاثَ اللَّئِمَّةِ.  
قال الرُّضِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: اللَّئِمَّةُ مِثْلُ التُّكْتَةِ أَوْ نَحْوَهَا مِنَ الْبَيَاضِ، وَمِنْهُ قِيلَ: قَرَسَ أَلْمَطُ إِذَا كَانَ بِجَهْلَتِهِ شَيْءٌ مِنَ الْبَيَاضِ.

**الشرح:** قال أبو عبيدة: هي لُئِمَّةٌ بضم اللام، والمحدثون يقولون: لُئِمَّةٌ بالفتح، والمعروف من كلام القَرَبِ الضم، مِثْلُ اللَّئِمَّةِ والشُّبَّةِ والخُمْرة. قال: وقد رواه بعضهم: لُئِمَّةٌ، بالقاء المهملة، وهذا لا نعرفه.

قال: وفي هذا الحديث حُجَّةٌ عَلَى مَنْ أَنْكَرَ أَنْ يَكُونَ الْإِيمَانُ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ، أَلَا تَرَاهُ يَقُولُ: كُلَّمَا أَرَادَ الْإِيمَانُ أَرْدَاثَ اللَّئِمَّةِ.

- ٢٦٣ -

**الأصل:** ومنه: إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا كَانَ لَهُ الذَّنْبُ الظُّنُونُ يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يُزَكِّيَهُ لِمَا مَضَى إِذَا قَبَضَهُ.  
قال الرُّضِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: الظُّنُونُ: الَّذِي لَا يُعْلَمُ صَاحِبُهُ أَيَفْضِيهِ مِنَ الَّذِي هُوَ عَلَيْهِ أَمْ لَا، فَكَأَنَّهُ الَّذِي يُظَنُّ بِهِ ذَلِكَ، فَمَرَّةٌ يَرْجُوهُ، وَمَرَّةٌ لَا يَرْجُوهُ، وَهُوَ مِنْ أَفْصَحِ الْكَلَامِ، وَكَذَلِكَ كُلُّ أَمْرٍ تَقْلُبُهُ وَلَا تَذَرِي عَلَى أَيِّ شَيْءٍ أَنْتَ مِنْهُ فَهُوَ ظُنُونٌ، وَعَلَى ذَلِكَ قَوْلُ الْأَعْمَشِيِّ:

مَنْ يَجْعَلِ الْجُدَّ الظُّنُونُ الَّذِي جُنِبَ صَوْبُ اللَّجِبِ الْمَاطِرِ  
مِثْلُ الْفُرَاتِي إِذَا مَا طَمَا يَفْزِفُ بِالْبُوصِي وَالْمَاهِرِ  
وَالْجُدُّ: الْبُئْرُ الْعَادِيَّةُ فِي الصَّخَرَاءِ. وَالظُّنُونُ: الَّتِي لَا يُعْلَمُ هَلْ فِيهَا مَاءٌ أَمْ لَا.

**الشرح:** قال أبو عبيدة: في هذا الحديث من الفقه أن من كان له ذنب على الناس فليس عليه أن يزكّيه حتى يقبضه، فإذا قبضه زكاه لما مضى، وإن كان لا يرجوه، قال: وهذا يرده قول من قال: إنما زكاه على الذي عليه المال؛ لأنه المتضيق به، قال: وكما يروى عن إبراهيم، والعمل عندنا على قول علي عليه السلام، فأما ما ذكره الرضوي من أن الجدة هي البئر العادية في الصحراء،

فالمعروف عند أهل اللغة أن الجذ البئر التي تكون في موضع كثير الكَلأ، ولا تُسمى البئر العادية في الصُخراء المَوَاتِ جُذًا، ويشعر الأعشى لا يدل على ما فسره الرضي؛ لأنه إنما شبه حَلَقَمَةً بالبئر والكَلأ، يُظَنُّ أن فيها ماءً لمكان الكَلأ، ولا يكون موضع الظن هذا هو مراده ومقصوده، ولهذا قال: الظنون، ولو كان عادية في يَدَاءٍ مقفلة لم تكن قُنُونًا، بل كان يُعَلَمُ أنه لا ماء فيها، فسقط عنها اسمُ القُنُون.

- ٢٦٤ -

الأصل: ومنه: أنه شَجَّ جيشاً يُغزِيه فقال: اهْزُبُوا عَنِ النَّسَاءِ مَا اسْتَظَفْتُمْ. وَمَعْنَاهُ: اضِدُّوا عَنْ دُخْرِ النَّسَاءِ وَشَغْلِ الْقُلُوبِ بِهِنَّ، وَامْتَقِعُوا مِنَ الْمَقَارِبَةِ لَهُنَّ، لِأَنَّ ذَلِكَ يَفُتُّ فِي عَضْدِ الْحَبِيبَةِ، وَيَقْدَحُ فِي مَعَايِدِ الْعَزِيمَةِ، وَيَكْسِرُ عَنِ الْعَدُوِّ، وَيَلُوثُ عَنِ الْإِعَادِ فِي الْغَزْوِ، فِكُلُّ مَنْ امْتَنَعَ مِنْ شَيْءٍ فَقَدْ اِهْزَبَ عَنْهُ، وَالْعَارِزُ وَالْعَزُوبُ: الْمُتَمَتِّعُ مِنَ الْأَكْلِ وَالشَّرْبِ.

الشرح: التفسير صحيح، لكن قوله: «من امتنع من شيء فقد اِهْزَبَ عنه» ليس بجيد، والصحيح «فقد هَزَبَ عنه» ثلاثي، والصواب: وكلُّ مَنْ مَنَعَ مِنْ شَيْءٍ فَقَدْ اِهْزَبَتْ عَنْهُ، تُعَلِّبُهُ بِالْهَمْزَةِ، كَمَا تَقُولُ: أَقْنَتْه وَأَقْعَدْتَهُ، وَالْفِعْلُ ثَلَاثِي قَامَ وَقَعَدَ، وَالذَّلِيلُ عَلَى أَنَّ الْمَاضِي ثَلَاثِي هَاهُنَا. قوله: «والعازب والعزوب: الممتنع من الأكل والشرب، ولو كان رُبَاعِيًّا لَكَانَ «الْمُعْزَبُ»، وَهُوَ وَاضِحٌ، وَعَلَى هَذَا تَكُونُ الْهَمْزَةُ فِي أَوَّلِ الْحَرْفِ هَمْزَةً وَصِلَ مَكْسُورَةً، كَمَا فِي «اضْرِبُوا» لِأَنَّ الْمَضَارِعَ يَعْزَبُ بِالْكَسْرِ.

- ٢٦٥ -

الأصل: ومنه: كَالْيَابِسِ الْفَالِجِ، يَنْتَظِرُ أَوَّلَ فَوْزَةٍ مِنْ قِدَاجِهِ. قَالَ: الْيَابِسُونَ هُمُ الَّذِينَ يَنْتَظِرُونَ بِالْقِدَاجِ عَلَى الْجُرُورِ، وَالْفَالِجُ: الْقَاهِرُ الْغَالِبُ، يُقَالُ: قَدْ قَلَجَ عَلَيْهِمْ وَكَلَبَهُمْ، قَالَ الرَّاجِزُ: لِمَا رَأَيْتُ قَالِجًا قَدْ نَلَجَا

**الشرح:** أَوَّلُ الْكَلَامِ أَنَّ الْمَرْءَ الْمُسْلِمَ مَا لَمْ يَغْتَنِ دَنَاءَهُ يَخْشَعُ لَهَا إِذَا ذَكَرَتْ، وَيَغْرِي بِهِ لِنَامِ النَّاسِ، كَالْيَاسِرِ الْفَالِجِ يَنْتَظِرُ أَوَّلَ فَوْزَةٍ مِنْ قَدَاحِهِ، أَوْ دَاخِيَّ اللَّهِ، فَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ، يَقُولُ: هُوَ بَيْنَ خَيْرَتَيْنِ: إِمَّا أَنْ يَصِيرَ إِلَى مَا يُحِبُّ مِنَ الدُّنْيَا، فَهُوَ بِمَنْزِلَةِ صَاحِبِ الْقَدَحِ الْمَعْمَلِيِّ، وَهُوَ أَوْفَرُهَا نَصِيبًا، أَوْ يَمُوتَ فَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لَهُ وَأَبْقَى.

وَلَيْسَ بِعَنِيِّ بِقَوْلِهِ: الْفَالِجُ: الْقَامِرُ الْغَالِبُ كَمَا فَسَّرَهُ الرُّضْمِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ، لِأَنَّ الْيَاسِرَ الْغَالِبَ الْقَامِرَ لَا يَنْتَظِرُ أَوَّلَ فَوْزَةٍ مِنْ قَدَاحِهِ، وَكَيْفَ يَنْتَظِرُ وَقَدْ غَلَبَ! وَأَيُّ حَاجَةٍ لَهُ إِلَى الْإِنْتِظَارِ! وَلَكِنَّهُ يَعْنِي بِالْفَالِجِ الْمَيْمُونِ الثَّقِيَّةَ الَّذِي لَهُ عَادَةٌ مَظْرُودَةٌ أَنْ يَغْلِبَ، وَقُلَّ أَنْ يَكُونَ مَقْهُورًا.

- ٢٦٦ -

**الأصل:** وَمِنْهُ: كُنَّا إِذَا اخْمَرَ الْبَاسُ اتَّعَيْنَا بِرَسُولِ اللَّهِ فَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ مِنَّا أَقْرَبَ إِلَى الْعَدُوِّ مِنْهُ. قَالَ: مَعْنَى ذَلِكَ أَنَّهُ إِذَا عَظَّمَ الْخَوْفَ مِنَ الْعَدُوِّ، وَاشْتَدَّ عِضَاضُ الْحَرْبِ فَرَعَ الْمُسْلِمُونَ إِلَى قِتَالِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، بِتَفْسِيهِ، فَيُنْزِلُ اللَّهُ تَعَالَى النَّصْرَ عَلَيْهِمْ بِهِ، وَيَأْتُمُّونَ مَا كَانُوا يَخَافُونَهُ بِمَكَانِهِ.

وَقَوْلُهُ: «إِذَا اخْمَرَ الْبَاسُ»: كِتَابَةٌ عَنِ اشْتِدَادِ الْأَمْرِ، وَقَدْ قِيلَ فِي ذَلِكَ أَقْوَالٌ، أَحْسَنُهَا أَنَّهُ شَبَّ حَمِي الْحَرْبِ بِالنَّارِ الَّتِي تَجْمَعُ الْحَرَارَةُ وَالْحُمُرَةُ بِفِعْلِهَا وَلَوْنُهَا، وَمِمَّا يَقْوِي ذَلِكَ قَوْلُ الرَّسُولِ ﷺ وَقَدْ رَأَى مُجْتَلِدَ النَّاسِ يَوْمَ حُنَيْنٍ وَهِيَ حَرْبُ هَوَازِنَ: «إِنَّا حَمِي الْوُطَيْسُ»<sup>(١)</sup>، وَالْوُطَيْسُ: مُسْتَوْقَدُ النَّارِ، فَشَبَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَا اسْتَحَرَّ مِنْ جِلَادِ الْقَوْمِ بِاخْتِدَامِ النَّارِ وَشِدَّةِ نَتَائِجِهَا.

**الشرح:** الْجِدِّ فِي تَفْسِيرِ هَذَا اللَّفْظِ أَنْ يَقَالَ: الْبَاسُ الْحَرْبُ نَفْسُهَا، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنْقَبَيْنِ فِي الْبَاسَاءِ وَالْأَمَّاءِ وَبَيْنَ الْبَاسِ﴾<sup>(٢)</sup>، وَفِي الْكَلَامِ حَذْفُ مِصْرَفٍ تَقْدِيرُهُ إِذَا اخْمَرَ مَوْضِعَ الْبَاسِ، وَهُوَ الْأَرْضُ الَّتِي عَلَيْهَا مَعْرَكَةُ الْقَوْمِ، وَاحْمَرَّاهَا لِمَا يَسِيلُ عَلَيْهَا مِنَ الدَّمِ.

- (١) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ، كِتَابُ: الْجِهَادِ وَالسَّيْرِ، بَابُ: فِي غَزْوَةِ حُنَيْنٍ (١٧٧٥)، وَاحْمَدُ، كِتَابُ: وَمِنْ مُسْنَدِ بَنِي هَاشِمٍ، بَابُ: حَدِيثِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمَطْلُبِ (١٧٧٨).  
(٢) سُورَةُ الْبَقَرَةِ، آيَةُ: ١٧٧.

## من غريب كلام الإمام علي وشرحه أبي عبيد

ولما كان تفسير الرضي رحمه الله قد تعرض للغريب من كلامه عليه السلام، ورأينا أنه لم يذكر من ذلك إلا اليسير، أقرنا أن نذكر جملة من غريب كلامه عليه السلام مما نقله أرباب الكتب المصنفة في غريب الحديث عنه عليه السلام.

فمن ذلك ما ذكره أبو عبيد القاسم بن سلام رحمه الله في كتابه: لأن أظلي بجواء قدر أحب إلي من أن أظلي بزغفران.

قال أبو عبيد: هكذا الرواية عنه «بجواء قدر»، قال: وسمنت الأصمعي يقول: إنما هي الجاوة، وهي: الوعاء الذي يجعل القدر فيه وجمعها جيا.

قال: وقال أبو عمرو: يقال لذلك الوعاء: جواء وجيا، قال: ويقال للخزقة التي ينزل بها الوعاء عن الأثافي: جعال.

ومنها قوله عليه السلام: حين أقبل يريد العراق فأشار إليه الحسن بن علي عليه السلام أن يرجع: والله لا أكون ينزل الضبع تسمع الليم حتى تخرج فتصاد.

قال أبو عبيد: قال الأصمعي: اللدم صوت الحجر، أو الشيء يقع على الأرض، وليس بالصوت الشديد، يقال منه: لدم الليم بالكسر، وإنما قيل ذلك للضبع، لأنهم إذا أرادوا أن يصيدوها رموا في جحرها بحجر خفيف، أو ضربوا بأيديهم فتحسبه شيئاً تصيده فتخرج لتأخذه فتصاد، وهي زعموا أنها من أحرق الذواب، بلغ من حُمقها أن يدخل عليها فيقال: أم عامر نائمة، أو ليست هذه! والضبع، هذه أم عامر، فتسكت حتى تؤخذ، فأراد علي عليه السلام: أني لا أخدع كما تُخدع الضبع باللدم.

ومنها قوله عليه السلام: من وجد في بطنه رزاً فلينصرف وليتوضأ.

قال أبو عبيد: قال أبو عمرو: إنما هو أرزاً مثل أرز الحية، وهو دورانها وحركتها، فشب دوران الريح في بطنه بذلك.

قال: وقال الأصمعي: هو الرز، يعني الصوت في البطن من القرقرة ونحوها قال الراجز:

كان في ربابه الكبار رزاً عشار جُلن في عشار

وقال أبو عبيد: فقه هذا الحديث أن يتصرف فيتوضأ ويبنى على صلاته ما لم يتكلم، وهذا إنما هو قبل أن يتحدث.

قلت: والذي أعرفه من الأرز أنه الانتقباض لا الدوران والحركة، يقال: أرز فلان بالفتح وبالكسر، إذا تضام وتقبض من بخله فهو أرز، والمصدر أرزاً وأروزاً، قال رؤية:

فذاك يَحَالُ أرز الأوز

فأضاف الاسم إلى المصدر كما يقال: عُمر العذل وعُمرُ الدهاء، لما كان العدل والذهاء أغلب أحوالهما، وقال أبو الأسود الدؤلي يذُم إنساناً: إذا سئل أرز، وإذا دُعي امتز - يعني إلى الطعام، وفي الحديث: إن الإسلام ليأرز إلى المدينة كما تأرز الحية إلى حُجرها<sup>(١)</sup>. أي يجتمع إليها وينضم بعضه إلى بعض فيها.

ومنها قوله: لئن وليتُ بني أمية لأنقضنهم نفص القصاب الثراب الوذمة. وقد تقدّم منا شرح ذلك والكلام فيه.

ومنها قوله في ذي الثدية المقتول بالتهروان: إنه مُودن اليد أو مُثدن اليد أو مخدج اليد. قال أبو عبيدة: قال الكسائي وغيره: المودن اليد: القصير اليد، ويقال: أودنت الشيء أي قصرتَه، وفيه لغة أخرى، وذنته فهو مودون، قال حسان يذم وجلاً:

وأُثك سوداء مودونة كأن أميلها الحنظل

وأما مُثدن اليد، بالثاء فإن بعض الناس قال: نراه أخذه من الثدوة، وهي أصل الثدي، فشبه يده في قصرها واجتماعها بذلك، فإن كان من هذا فالقياس أن يقال: يثد، لأن النون قبل الدال في الثدوة، إلا أن يكون من المقلوب، فذاك كثير في كلامهم.

وأما مخدج اليد فإنه القصير اليد أيضاً، أخذ من إخداج الناقة ولدها، وهو أن تضعه لغير تمام في خلقه، قال: وقال الفراء: إنما قيل ذو الثدية، فأدخلت الهاء فيها، وإنما هي تصغير «ثدي»، والثدي مذكر، لأنها كانتا بنية ثدي قد دُعب أكثره فقللها كما تقول لُحمة وشُحمة، فأنت على هذا التأويل، قال: وبعضهم يقول ذو اليدية، قال أبو عبيد: ولا أرى الأضل كان إلا هذا، ولكن الأحاديث كلها تتابعث بالثاء ذو الثدية.

(١) أخرجه البخاري، كتاب: الحج، باب: الإيمان يأرز إلى المدينة (١٨٧٦)، ومسلم، كتاب: الإيمان، باب: بيان أن الإسلام بدأ غريباً (١٤٧)، وابن ماجه، كتاب: المناسك، باب: فضل المدينة (٣١١١)، وأحمد، كتاب: باقي مسند الكثرين، باب: مسند أبي هريرة (٧٧٨٧).

ومنها قوله ﷺ لقوم وهو يعاتبهم: ما لَكُمْ لا تُنْظَفُونَ عَذِرَاتِكُمْ  
قال: العذرة فناء الدار، وإنما سُميت تلك الحاجة عذرة لأنها بالأفنية كانت تُلْقَى، فَكُنَى  
عنها بالعذرة كما كُنَى عنها بالغائط، وإنما الغائط الأرض المطمئنة، وقال الحطّية يهجو قوماً:  
لَعَمْرِي لَقَدْ جَرَيْتُكُمْ فوجدتُكُمْ فَباحَ الوجوه سِيئَ العذرات

ومنها قوله ﷺ: لا جُمعة ولا تَشْرِيق إلا في مصرٍ جامع.  
قال أبو عبيد: التَّشْرِيق هاهنا صلاة العيد، وسُميت تَشْرِيقاً لإضاءة وقتها، فإنَّ وقتها إشراقُ  
الشمس وصفاؤها وإضاءتها، وفي الحديث المرفوع: «من ذبح قبل التَّشْرِيقِ فَلْيُعِدْ»<sup>(١)</sup>، أي قبل  
صلاة العيد.  
قال: وكان أبو حنيفة يقول: التَّشْرِيق هاهنا هو التَّكْبِير في دُبُر الصلاة، يقول: لا تَكْبِير إلا  
على أهل الأمصار تلك الأيام، لا على المسافرين أو من هو في غير مصر.  
قال أبو عبيد: وهذا كلامٌ لم نجد أحداً يَعْرِفُه، إنَّ التَّكْبِير يقال له التَّشْرِيق، وليس يأخذ به  
أحدٌ من أصحابه لا أبو يوسف ولا محمد، كلُّهم يَرَى التَّكْبِير على المسلمين جميعاً حيث كانوا  
في السَّفر والحَضَر وفي الأمصار وغيرها.

ومنها قوله ﷺ: «استكثروا من الطُّلوف بهذا البيت قبل أن يُحَال بينكم وبينه، فكأنِّي  
برجلٍ من الحَبَشَةِ أَصْعَلُ أَصْعَلُ حَمَشِ السَّاقِين قاعداً عليها وهي تُهْدَمُ»<sup>(٢)</sup>.  
قال أبو عُبيد: هكذا يَرَوِي «أصْعَلُ» وكلامُ الغَرَب المعروف «صَعْلُ» وهو الصَّغِيرُ الرَّاسُ،  
وكذا رُؤُوس الحَبَشَةِ، ولهذا قيل لِلظَّلِيم: صَعْلُ، وقال عَتَرَةُ يَصِفُ ظَلِيماً:  
صَعْلٌ يَلُودُ بِذِي الْعَشِيرَةِ بَيْضُهُ كَالْعَبْدِ فِي الْقَرَوِ الطَّوِيلِ الْأَصْلَمِ  
قال: وقد أَجَارَ بَعْضُهُمْ أَصْعَلُ فِي الصَّعْلِ، وَذَكَرَ أَنَّهَا لَعَةُ لَا أَدْرِي عَمَّنْ هِيَ! وَالْأَصْعَلُ:  
الصَّغِيرُ الْأُذُن، وامرأة صَمْعَاءُ.  
وفي حديث ابن عَبَّاس: إِنَّهُ كَانَ لَا يَرَى بَأْساً أَنْ يُضْحَكِي بِالصَّمْعَاءِ. وَحَفَشَ السَّاقِين  
بِالتَّسْكِينِ دَقِيقَهَا.

(١) أخرجه البيهقي في «السنن الكبرى» (٦٠٥٨)، بلفظ: «قبل الصلاة» بدل قوله: «قبل التَّشْرِيق».

(٢) أخرجه عبد الرزاق في «المصنف» (٩١٧٨).

ومنها: أَنْ قوماً أتَوْهُ برجل فقالوا: إِنَّ هذا يؤمُّنا ونحن له كارهون، فقال له: إِنَّكَ لَحُرُوط،  
أَتَوْمَ قوماً هم لَكَ كارهون!

قال أبو عبيد: الْحُرُوط: المتهوِّر في الأمور، الرَّاكِبُ برأيه جَهْلًا، ومنه قيل: انْحَرَطَ علينا فلان، أي اندرأ بالقول السيئ والفعل. قال: وفقه هذا الحديث أَنَّهُ ما أَفتى ﷺ بفسادِ صلاته لأنه لم يأمُرْ بالإعادة، ولكنّه كَرِهَ له أَنْ يَوْمَ قوماً هم له كارهون.

ومنها: أَنْ رجلاً أَناه وعليه ثوبٌ من قَهْز، فقال: إِنَّ بني فلان ضَرَبُوا بني فلانة بالكناسة، فقال ﷺ: صَدَقَنِي سَنُ بَكْرِهِ.

قال أبو عبيد: هذا مَثَلٌ تُضَرِّبُهُ الْعَرَبُ للرجل يأتي بالخبر على وجهه ويصدق فيه. ويقال: إِنَّ أصله أَنَّ الرجل رَمَا باع بَعِيرَهُ فَيَسْأَلُ الْمُشْتَرِي عَنْ سِنِّهِ فَيَكْذِبُهُ، فَعَرَضَ رَجُلٌ بَكْرًا لَهُ فَصَدَّقَ فِي سِنِّهِ، فقال الآخر: صَدَقَنِي سَنُ بَكْرِهِ، فصار مَثَلًا.

والقَهْز بكسر القاف: ثياب بيض يُخالطها حرير، ولا أَرَاهَا عَرَبِيَّة، وقد استعملها العربُ، قال ذو الرِّمَّة يصف البُرَّةَ البيضاء:

مِنَ الزُّوقِ أَوْ صُفْعِ كَأَنَّ رُؤُوسَهَا      مِنَ الْقَهْزِ وَالْقُوهِيِّ بَيْضُ الْمَقَانِجِ

ومنها: ذَكَرَ ﷺ آخِرَ الزَّمانِ وَالْفِتَنِ، فقال: خَيْرُ أَهْلِ ذَلِكَ الزَّمانِ كُلِّ نُوْمَةٍ، أُولَئِكَ مَصَابِيحُ الْهُدَى، لَيْسُوا بِالْمَسايِجِ وَلَا الْمَذايِجِ الْبُئْرُ. وقد تقدَّم شرح ذلك.

ومنها: أَنْ رجلاً سافر مع أصحاب له فلم يرجع حين رجعوا، فَأَتَهُمْ أَهْلُهُ أَصْحَابُهُ وَرَفَعُوهُمْ إِلَى شُرَيْحٍ، فَسَأَلَهُمُ الْبَيِّنَةَ عَلَى قَتْلِهِ، فَأَرَفَعُوهُ إِلَى عَلِيٍّ ﷺ، فَأَخْبَرُوهُ بِقَوْلِ شُرَيْحٍ، فقال: أَوَرَدَهَا سَعْدٌ وَسَعْدٌ مُشْتَمِلٌ      يَا سَعْدُ لَا تَرَوْى بِهِذَلِكَ الْإِبِلُ  
ثم قال: إِنَّ أَهْوَنَ السَّقْيِ التَّشْرِيعَ، ثُمَّ فَرَّقَ بَيْنَهُمْ وَسَأَلَهُمْ، فَاخْتَلَفُوا، ثُمَّ أَقْرَأُوا بِقَتْلِهِمْ، فقتلهم به.

قال أبو عبيد: هذا مَثَلٌ، أصله أَنَّ رجلاً أَوَرَدَ إِلَيْهِ مَاءً لَا تَصِلُ إِلَيْهِ الْإِبِلُ إِلَّا بِالْإِسْتِغْنَاءِ، ثُمَّ اشْتَمَلَ وَنَامَ وَتَرَكَهَا لَمْ يَسْتَسْقِ لَهَا، وَالْكَلِمَةُ الثَّانِيَةُ مَثَلٌ أَيْضًا، يَقُولُ: إِنَّ أَيْسَرَ مَا كَانَ يَنْبَغِي أَنْ

يُفَعِّلُ بِالْإِبِلِ أَنْ يَمَكَّنَهَا مِنَ الشَّرِيعَةِ وَيَعْرِضَ عَلَيْهَا الْمَاءَ. يَقُولُ: أَقَلُّ مَا كَانَ يَجِبُ عَلَى شُرَيْحٍ أَنْ يَسْتَقْصِيَ فِي الْمَسْأَلَةِ وَالْبَحْثِ عَنْ خَيْرِ الرِّجْلِ وَلَا يَقْتَصِرَ عَلَى طَلَبِ الْبَيْتَةِ.

ومنها قوله، وقد خرج على الناس وهم ينتظرونه للصلاة قياماً: «ما لي أراكم سامدين».

قال أبو عبيد: أي قائمين، وكلُّ رافع رأسه فهو سامد، وكانوا يكرهون أن ينتظروا الإمام قياماً ولكن قعوداً، والسامد في غير هذا الموضع: اللّاهي اللّاعب، ومنه قوله تعالى: «وَأَنْتُمْ سَكُونٌ»<sup>(١)</sup>، وقيل: السُّمُودُ الْغَنَاءُ بِلُغَةِ حِمَيْرٍ.

ومنها: أنه خرج فرأى قوماً يصلّون قد سدّلوا ثيابهم، فقال: كأنهم اليهود خرجوا من فُهرهم.

قال أبو عبيد: فُهْرُهُمْ بضم الفاء: موضع مذرأسهم الذي يجتمعون فيه كالعيد يصلّون فيه ويسدّلون ثيابهم، وهي كلمة بَطَلِيَّةٌ أو عبرانية أصلها بُهْرٌ بالباء فَعُرِبَتْ بالفاء. والسدّل: إسدال الرّجل ثوبه من غير أن يضمّ جانبيه بين يديه، فإن ضمّه فليس بسدّل، وقد رويث فيه الكراهة عن النبي ﷺ.

ومنها: أن رجلاً أتاه في فريضة وعنده شُرَيْحٌ، فقال: أتقول أنت فيها أيها العبد الأبطر! قال أبو عبيد: هو الذي في شَفَتِهِ الْعُلْيَا طُولٌ وَنَتْوٌ فِي وَسْطِهَا مُحَاذِي الْأَنْفِ. قال: وإنما نراه قال لشُرَيْح: «أيها العبد»، لأنه كان قد وقع عليه سُنِّيٌّ فِي الْجَاهِلِيَّةِ.

ومنها: أن الأشعث قال له وهو على المنبر: غلبتنا عليك هذه الحمراء، فقال عبيد بن جراح: من هؤلاء الضباطرة، يتخلف أحدهم يتقلّب على فراشه وحشاياه كالقير ويهجر هؤلاء للذكرا أأظروهم؟ إني إن طردتهم لمن الظالمين، والله لقد سمعت يقول: والله ليضربنكم على الدين عوداً كما ضربتوهم عليه بذهأ.

قال أبو عبيد: الحمراء: العجم والموالي، سموا بذلك لأن الغالب على ألوان العرب السُمرّة، والغالب على ألوان المعجم البياض والحُمرة. والضباطرة: الضخام الذين لا نفع عندهم ولا غناء، واحدهم ضَبِيطَارٌ.



ومنها: قوله ﷺ: اقلوا الجانَ ذا الطَّفِيفَيْنِ، والكلبَ الأسودَ ذا الثُّرَيْنِ.

قال أبو عبيد: الجانَ حية بيضاء، والطفية في الأصل: خوصة المقل، وجمعها طفى، ثم شبهت الخطنان على ظهر الحية بطفيتين. والثرة: اليافى في الوجه.

### من غريب كلام الإمام علي وشرحه لابن قتيبة

وقد ذكر ابن قتيبة في غريب الحديث له ﷺ كلمات أخرى:

فمنها قوله: من أراد البقاء - ولا بقاء - فليباكر الغداء، وليخفف الرداء، وليقل غشيان النساء. فقيل له: يا أمير المؤمنين، وما خفة الرداء في البقاء؟ فقال: الدين.

قال ابن قتيبة: قوله «الرداء الدين» مذهب في اللغة حسن جيد، ووجه صحيح، لأن الدين أمانة، وأنت تقول: هو لك علي وفي عنقي حتى أؤديه إليك، فكان الدين لازم للعنق، والرداء موضعه صفحتا العنق، فسمى الدين رداءً وكفى عنه به، وقال الشاعر:

إن لي حاجةً إليسك فقالت . بين أذني وعاتقي ما تريد

يريد بقوله: «بين أذني وعاتقي ما تريد» في عنقي، والمعنى أنني قد ضمته فهو علي، وإنما قيل للسيف رداء لأن حمالة تقع موقع الرداء، وهو في غير هذا الموضع العطاء، يقال: فلان غمر الرداء أي واسع العطاء، قال: وقد يجوز أن يكون كنى بالرداء عن الظهر، لأنه يقع عليه، يقول: فليخفف ظهره ولا يثقله بالدين، كما قال الآخر: «خماص الأزر»، يريد خماص البطون.

وقال: وبلغني نحو هذا الكلام عن أبي عبيد، قال: قال فقيه العرب: من سره النساء - ولا نساء - فليباكر العشاء، وليباكر الغداء، وليخفف الرداء، وليقل غشيان النساء قال: فالنساء التأخير، ومنه: ﴿لَمَّا أَلَيْنَهُ زِيَادَةً فِي الْكَفَرِ﴾<sup>(١)</sup>.

وقوله: فليباكر العشاء، أي فليؤخره، قال الشاعر:

فأكريث العشاء إلى سهيل

ويجوز أن يريد فليقتص العشاء، قال الشاعر:

والطل لم يفضل ولم يكر

ومنها: أنه أنبي ﷺ بالمال فكوم كومة من ذهب وكومة من فضة، فقال: يا حمراء ويا بيضاء احمرّي وابيضّي وعُرّي عُرّي.

هذا جنائي وخياره فيه وكل جان يذو إلى فيه

قال ابن قتيبة: هذا مثل ضربه، وكان الأصمعي يقول: «وهجانه فيه»، أي خالصه، وأصل المثل لعمرو بن عدي ابن أخت جذيمة الأبرش، كان يجني الكماء مع أثراب له، فكان أثرابه يأكلون ما يجدون، وكان عمرو يأتي به خاله ويقول هذا القول.

ومنها حديث أبي جاب قال: جاء عمي من البصرة يذهب بي وكنت عند أمي، فقالت: لا أتركك تذهب به، ثم أتت علياً عليه السلام فذكرت ذلك له، فجاء عمي من البصرة، فقال: نعم والله لأذهبن به وإن رغم أنفك، فقال علي عليه السلام: كذبت والله، ولقئت، ثم ضرب بين يديه بالدرة. قال: ولقئت مثل كذبت وكذلك ولعت بالعين، وكانت عائشة تقرأ: ﴿إِنَّ تَقْوَىٰ وَالْيَتِيمَ﴾<sup>(١)</sup> وقال الشاعر:

وهن من الأحلاف والولعان

يعني النساء أي من أهل الأخلاف.

ومنها قوله عليه السلام: إن من روائكم أموراً متماحلة رُدْحاً وبلاء مكلّحاً مبلّحاً. قال ابن قتيبة: المتماحلة الطّوال: يعني فتناً يَطْلُو أمرها ويعظم، ويقال: رجل مُتماحل وسبب متماحل، والرّدح جمع رداح، وهي العظيمة، يقال للكتيبة إذا عظمت: رَدّاح، ويقال للمرأة العظيمة العجيزة: رَدّاح. قال: ومنه حديث أبي موسى، وقيل له زمن علي ومعاوية: أمي أمي، فقال: إنما هذه الفتنة خبيثة من حيضات الفتن، وبقيت الرّداح المظلمة التي من أشرف أشرفت له. ومكلّحاً أي يكلح الناس بشدها، يقال كَلَح الرجل وأكلحه، الكلحة الهم. والمبلّح، من قولهم: بلّح الرجل إذا انقطع من الإعياء، فلم يقدر على أن يتحرك، وأبلّحه السير، وقال الأعشى:

واشتكى الأوصال منه ويلّح

ومنها قوله عليه السلام يوم خيبر:

أنا الذي سمّيت أمي خيذرة كليل غابات كرم المنظره  
أفيهم بالصّاع كيل السنذرة

قال ابن قتيبة: كانت أم علي عليه السلام ستمته وأبو طالب غائب حين ولدته أسدًا باسم أبيها أسد بن هاشم بن عبد مناف، فلما قدم أبو طالب غيّر اسمه وسمّاه عليًا. وحيدرة: اسم من أسماء الأسد، والسندرة: شجرة يُعمل منها القسي والتّبل، قال:

حَنَوْتُ لَهُم بِالسُّنْدَرِيِّ الْمَوْثَرِ

فالسندرة في الرّجَز يُحتمل أن تكون ميكالاً يُتخذ من هذه الشجرة، سمي باسمها كما يسمّى القوس بنبعة. قال: وأحسب إن كان الأمر كذلك أنّ الكيل بها قد كان جزافاً فيه إفراط، قال: ويحتمل أن تكون السندرة هاهنا امرأة كانت تكيل كَيْلاً وافيّاً أو رجلاً.

ومنها قوله عليه السلام: من يَظُلُّ أُمِّ أَبِيهِ يَمُنْطَقُ بِهِ.

قال ابن قتيبة: هذا مثَلٌ ضرّيه، يريد من كثرت إخوته عزّ وأشدتّ ظهْرُه، وضربَ المِنْطَقَة إذا كانت تشدّ الظهر مثلاً لذلك، قال الشاعر:

فَلَوْ شَاءَ رَبِّي كَانَ أَيْزُ أَبِيكُم طَوِيلاً كَأَيْزِ الْحَارِثِ بْنِ سَدُوسٍ

قيل: كان للحارث بن سدوس أحدٌ وعشرون ذكراً، وكان ضاراً بن عمرو الضبي يقول: ألا إن شرّ حائل أمّ، فزوّجوا الأمّهات، وذلك أنه ضرع، فأخذته الرّماح، فاشتبك عليه إخوته لآثمه حتى خلصوه.

قال: فأما المَثَلُ الآخرُ وهو قولهم: من يَظُلُّ ذَيْلَهُ يَمُنْطَقُ بِهِ، فليس من المَثَلِ الأوّل في شيء، وإنما معناه من وجد سعةً وضعها في غير موضعها، وأنفق في غير ما يلزمه الإنفاق فيه.

ومنها قوله: خيرُ بئرٍ في الأرض زَمْزَم، وشرُّ بئرٍ في الأرض بَرهوت.

قال ابن قتيبة: هي بئرٌ بحضرموت يُروى أن فيها أرواحَ الكفار.

قال: وقد ذكر أبو حاتم عن الأصمعي عن رجل من أهل حضرموت قال: نجد فيها الرائحة الممتنة الفظيعة جداً، ثم نمكث حيناً فبأيتنا الخبر بأنّ عظيماً من عظماء الكفار قد مات، فرأى أنّ تلك الرائحة منه، قال: وربما سَمِعَ منها مثل أصوات الحاجّ، فلا يستطيع أحدٌ أن يمسي بها.

ومنها قوله عليه السلام: أيما رجل تزوّج امرأة مجنونةً، أو جذّماء، أو بَرصاء، أو بها قَرَن، فهي امرأته، إن شاء أمسك، وإن شاء طلق.

قال ابن قتيبة: القَرَن بالشّكّين: العقلة الصغيرة، ومنه حديث شريح أنّه اختصم إليه في قَرَنٍ بجارية، فقال: أقعدوها فإن أصاب الأرض فهو غيب، وإن لم يُصيب الأرض فليس بعب.

ومنها قوله عليه السلام: لو دُعِيَ معاويةُ أَنَّهُ ما بقي من بني هاشم نافعٌ ضِرْمةٌ إلا طعن في نيطه.

قال ابن قتيبة: الضِرْمة النار، وما بالدار نافعٌ ضِرْمة، أي ما بها أحد.

قال: وقال أبو حاتم عن أبي زيد: طعن فلانٌ في نيطه أي في جنازته، ومن ابتدأ في شيء أو دَخَلَ فيه فقد طعن فيه، قال: ويقال: النيط: الموت، وماء الله بالنيط، قال: وقد روي «إلا طعن» بضم الطاء، وهذا الراوي يذهب إلى أن النيط نياط القلب، وهي علاقته التي يتعلق بها، فإذا طعن إنسانٌ في ذلك المكان مات.

ومنها قوله عليه السلام: إن الله أوحى إلى إبراهيم عليه السلام أن ابن لي بيتاً في الأرض، فضاقت بذلك ذُرْعاً، فأرسل الله إليه السكينة، وهي ريحٌ خجوج، فتطوقت حول البيت كالبحفة.

وقال ابن قتيبة: الخجوج من الرياح: السريعةُ المرور، ويقال أيضاً: خجوجاء، قال ابن أحرر:

مَوجاءٌ رَغَبَلَةُ الرِّواحِ خَجَوُ جَاءَ الْغُدُو رَوَّاحُهَا شَهْرُ

قال: وهذا مثلُ حديث علي عليه السلام الآخر، وهو أَنَّهُ قال: السكينة لها وجهٌ كوجه الإنسان، وهي بعدُ ريحٌ هفافة، أي خفيفةٌ سريعة، والبحفة: الثرس.

ومنها أن مكاتبا لبعض بني أسد، قال: جئتُ بنقذ أجلبه إلى الكوفة، فأنتهيتُ به إلى الجسر، فأتيتُ لأسرته عليه إذ أقبل موثقٌ ليكرهن وائل يتخلل الغنم ليقتلها، فنفرتُ نقدة، ففطرت الرجل في الفرات، فغرق، فأخذت. فارتفعتنا إلى علي عليه السلام فقضضنا عليه القصة، فقال: انطلقوا فإن عرفتُم النقدة بعينها فأدفعوها إليهم. وإن اختلطت عليكم فأدفعوا شروها من الغنم إليهم. قال ابن قتيبة: النقدة: غنمٌ صغار، الواحدة نقدة، ومنه قولهم في التثني: «أذل من النقدة». وقوله: «أسرته» أي أزميله قطعةً قطعة. وشروها: مثلها.

ومنها قوله عليه السلام في ذكر المهدي من ولد الحسين عليه السلام، قال: إنه رجلٌ أجلى الجبين، أفتى الأنف، صخم البطن، أزيل الفخذين، أفلج الشايب، بمخذه اليمنى شامة<sup>(١)</sup>.

(١) أخرجه ابن منظور في لسان العرب: ٣١٧/١١، وأخرجه العلامة المجلسي في البحار: ٤٠/٥١.

قال ابن قتيبة: الأجلَى والأجَلَج شيء واحد، والقَنَا في الأنف: طوله ودَقَّة أَرْبَتِهِ وَحَدَبَتْ فِي وَسْطِهِ. والأَرَبَلُ الفَحْدَيْن: المتباعد ما بينهما، وهو كالأَفْحَج، تَرَبَّلَ الشيء، أي انْفَرَجَ، والفَلَج: صُفْرَةٌ فِي الْأَسْنَانِ.

ومنها قوله عليه السلام: إِنَّ بَنِي أُمَيَّة لَا يَزَالُونَ يَطْعُنُونَ فِي مَسْجِدِ صَلَاطَةٍ، وَلَهُمْ فِي الْأَرْضِ أَجَلٌ حَتَّى يُهْرِقُوا الدَّمَ الْحَرَامَ فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ، وَاللَّهُ لَكَائِي أَنْظَرُ إِلَى غِرَزَنُوقٍ مِنْ قُرَيْشٍ يَتَخِيطُ فِي دَمِهِ، فَلَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ لَمْ يَبْقَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ عَاوِرٌ، وَلَمْ يَبْقَ لَهُمْ مُلْكٌ، عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ.

قال ابن قتيبة: هو من قولك: رَكَبَ فَلَانٌ مَسْجِدَهُ، إِذَا جَدَّ فِي أَمْرٍ هُوَ فِيهِ كَلَامًا كَانَ أَوْ غَيْرَهُ، وَهُوَ مِنَ السَّجَلِ وَهُوَ الصَّبَبُ. والغِرَزَنُوق: الشَّابُّ.

قلت: والغِرَزَنُوق: الْقُرَشِيُّ الَّذِي قَتَلُوهُ، ثُمَّ انْقَضَى أَمْرُهُمْ عَقِيبَ قَتْلِ إِبْرَاهِيمَ الْإِمَامِ، وَقَدْ اخْتَلَفَتِ الرَّوَايَةُ فِي كَيْفِيَّةِ قَتْلِهِ، قُتِلَ بِالسَّيْفِ، وَقِيلَ: حُخِقَ فِي جِرَابٍ فِيهِ نُورَةٌ، وَحَدِيثُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام يُسَيِّدُ الرَّوَايَةَ الْأُولَى.

ومنها ما رَوَى أَنَّهُ اشْتَرَى قَمِيصًا بِثَلَاثَةِ دَرَاهِمٍ ثُمَّ قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ هَذَا مِنْ رِيَاشِهِ.

قال ابن قتيبة: الرِّيشُ والرِّيشُ واحد، وَهُوَ الْكِسْوَةُ، قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَبْنِي آدَمَ قَدْ أَرْزَلْنَا عَبْدَكَ لِيَأْسَا يَوْمَى سَوْءٍ يَكُمُ رَيْشًا﴾<sup>(١)</sup>، وَقُرِئَ: ﴿وَرِيَاشًا﴾.

ومنها قوله عليه السلام: لَا قَوْدَ إِلَّا بِالْأَسَلِ.

قال ابن قتيبة: هو ما أَرِهَفَ وَأَرِقَّ مِنَ الْحَدِيدِ، كَالسَّنَانِ وَالسَّيْفِ وَالسَّكِينِ، وَمِنْهُ قِيلَ: أَسَلَةُ الدَّرَاعِ لَمَّا اسْتَدَقَّ مِنْهُ، قَالَ: وَأَكْثَرُ النَّاسِ عَلَى هَذَا الْمَذْهَبِ وَقَوْمٌ مِنَ النَّاسِ يَقُولُونَ: قَدْ يَجُوزُ أَنَّ الْقَوْدَ بغيرِ الْحَدِيدِ كَالْحَجَرِ وَالْعَصَا إِنْ كَانَ الْمَقْتُولُ قُتِلَ بِغَيْرِ ذَلِكَ.

ومنها أَنَّهُ عليه السلام رَأَى رَجُلًا فِي الشَّمْسِ، فَقَالَ: قُمْ عَنْهَا فَإِنَّهَا مَبْتَحَرَةٌ مَجْفَرَةٌ، تَنْفُلُ الرِّيحَ، وَتُبْلِي الثَّوْبَ، وَتُظْهِرُ الدَّاءَ الدَّوِينَ.

قال ابن قتيبة: مَبْكُرة: تُورث البَخر في الفم. وَمَجْفُرة: تَقطع عن التكاك وتُذهب شهوة الجماع، يقال جفر الفحل عن الإبل، إذا أكثر الضراب حتى يملّ وينقطع، ومثله قَدَر، وتقْدَر، فذوراً، ومثله أَقْطع فهو مقطوع.

وجاء في الحديث أن عثمان بن مظعون قال: يا رسول الله، إني رجل تشق عليّ العزبة في المغازي، أفأذن لي في الخضاء؟ قال: لا، ولكن عليك بالصوم فإنه مُجْفِر.

قال: وقد روى عبد الرحمن عن الأصمعي عنه، قال: تكلم أعرابي فقال: لا تنكحن واحدة فتحيض إذا حاضت، وتمرض إذا مرضت، ولا تنكحن اثنتين فتكون بين صرتين ولا تنكحن ثلاثاً فتكون بين أثاف، ولا تنكحن أربعاً فيفلسنك ويهزرنك، ويثجلنك ويخفرنك فقبل له: لقد حرمت ما أحل الله، فقال: سبحان الله! كوزان، وقُرْصان، وطمران وعبادة الرحمن، وقوله: «تثفل الريح»، أي تُثْنِيها، والاسم الثفل، ومنه الحديث «وليخرجن ثفلات». والداء الذفين، المستر الذي قد فُهِرَتْه الطليعة، فالشمس تُعِينُهُ على الطليعة وتُظهِرُهُ.

ومنها قوله ﷺ وهو يذكر مسجد الكوفة في زأوته: فَاَرِ التَّوَر، وفيه هَلَك يَغُوث وَيَمُوق، وهو الفاروق، ومنه يستير جبل الأنواز، وَوَسَطُهُ على رَوْضَةٍ من رياض الجنة، وفيه ثلاثُ أُعْيُنٍ أنبتت بالصُّغْتِ، تذهب الرُّجس، وتُظهِرُ الْمُؤْمِنِينَ: عَيْنٌ من لَبَن، وعَيْنٌ من دُهْن، وعَيْنٌ من ماء، جانب الأيمن ذُكْر، وفي جانبه الأيسر مَكْر، ولو يعلم الناس ما فيه من الفضل لآتَوْهُ ولو حَبِوْا.

قال ابن قتيبة: قوله «أنبتت بالصُّغْتِ» أحسبه الصُّغْتُ الذي ضرب أبواب أهله. والعَيْنُ التي ظهرت لما رَكَضَ الماء برجله. قال: والباء في «بالصُّغْتِ» زائدة، تقديره: أنبتت الصُّغْتِ، كقوله تعالى: «تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ»<sup>(١)</sup>، وكقوله: «يَسْرُبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ»<sup>(٢)</sup>.

وأما قوله: «في جانبه الأيمن ذُكْر»، فإنه يعني الصلاة: «وفي جانبه الأيسر مَكْر» أراد به المَكْر به حتى قُتِلَ ﷺ في مسجد الكوفة.

ومنها أن رسول الله ﷺ بعث أبا رافع مولاه يتلقى جعفر بن أبي طالب لما قَدِمَ من الحِمْيَر، فأعطاه عليّ ﷺ حَبِيَّةً وَعُكَّةً سَمْنًا، وقال له: أنا أعلم بجعفر أنه إن علم نراه مرة واحدة ثم أطعمه، فادفع هذا السمن إلى أسماء بنت عميس قلن به بني أخي من صحر البخر، وتطعمهم من الحَبِيَّة.

قال ابن قتيبة: الحَيِّ: سَوِيْقٌ يَتَّخِذُ مِنَ الْمُقْلُ، قال الهذلي يذُكُرُ أَضْيافَهُ:  
لَا ذَرَّ ذَرِّيَ إِنْ أَطْعَمْتُ نَارَ لَكُمْ قَرَفَ الْحَيِّ وَعِنْدِي الْبُرَّ مَكْنُوزُ  
وقوله: «ثَرَاهُ مَرَّةٌ أَيْ بَلَّةٌ دَفْعَةٌ وَاحِدَةٌ وَأَطْعَمَهُ النَّاسَ، وَالثَّرَى: النَّدَا. وَصَمَّرُ الْبَحْرِ: نَثَتْهُ  
وَعَمَّمَتْهُ، وَمِنْهُ قِيلَ لِلذُّبْرِ الصَّمَارَى.

ومنها قوله ﷺ يَوْمَ الثُّورَى لَمَّا تَكَلَّمَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَخَذَ مُحَمَّدًا مَتَانِيًّا، وَابْتَعَثَهُ إِلَيْنَا  
رَسُولًا، فَنَحْنُ أَهْلُ بَيْتِ النَّبَوَّةِ، وَمَعْدِنُ الْحِكْمَةِ، أَمَّا نَا لَأَهْلِ الْأَوْصِ، وَنَجَاةٌ لِمَنْ طَلَّبَ، إِنَّ لَنَا  
حَقًّا إِنْ نَقَطَهُ نَاخِذُهُ، وَإِنْ تُنَمِّنْهُ نَرْكَبُ أَعْجَازَ الْإِبِلِ، وَإِنْ طَالَ السَّرَى، لَوْ عَهْدَ إِلَيْنَا  
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَهْدًا لَجَالَدْنَا عَلَيْهِ حَتَّى نَمُوتَ، أَوْ قَالَ لَنَا قَوْلًا لَأَنْفِلْنَا قَوْلَهُ عَلَى رَغْمِنَا. لَنْ  
يُسْرِعَ أَحَدٌ قَبْلِي إِلَى صَلَاةٍ رَجِمَ وَدَعْوَةٍ حَقٍّ، وَالْأَمْرُ إِلَيْكَ يَا بَنِي هَوَى عَلَى صَدَقِ النِّيَّةِ، وَجُهْدِ  
النُّطْحِ، وَاسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ.

قال ابن قتيبة: أَيْ أَنْ مَغْنَاهُ رَكِبْنَا مَرْكَبَ الضَّنِيمِ وَالذَّلِّ، لِأَنَّ رَاكِبَ حَجَرٍ الْبَعِيرِ يَجِدُ مَشَقَّةً،  
لَا سِيْمًا إِذَا تَطَاوَلَ بِهِ الزَّكُوبُ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ أَرَادَ نَصْبَهُ عَلَى أَنْ نَكُونَ أَتْبَاعًا  
لَعَنَرِنَا، لِأَنَّ رَاكِبَ حَجَرٍ الْبَعِيرِ يَكُونُ رِدْفًا لغيره.

ومنها قوله ﷺ لَمَّا قَتَلَ ابْنُ آدَمَ أَخَاهُ: عَمَصَ اللَّهُ الْخَلْقَ وَنَقَصَ الْأَشْيَاءَ.

قال ابن قتيبة: يُقَالُ عَمَصْتُ فَلَانًا أَغْوَيْتُهُ وَاعْتَمَصْتُهُ، إِذَا اسْتَضَعَّرْتَهُ وَاحْتَمَرَّتَهُ، قَالَ: وَمَعْنَى  
الْحَدِيثِ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى نَقَصَ الْخَلْقَ مِنْ عَظَمِ الْأَبْدَانِ وَطَوْلِهَا مِنَ الْقُوَّةِ وَالْبَطْشِ وَطَوْلِ الْعُمُرِ  
وَنَحْوِ ذَلِكَ.

ومنها أَنَّ سَلَامَةَ الْكَنْدِيِّ قَالَ: كَانَ عَلَيَّ ﷺ يَعْلَمُنَا الصَّلَاةَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَيَقُولُ:  
اللَّهُمَّ دَاخِي الْمَدْحُوتَاتِ، وَيَارِي الْمَسْمُوكَاتِ، وَجَبَّارِ الْقُلُوبِ عَلَى فِطْرَاتِهَا، شَقِيهَا وَسَعِيدِهَا،  
اجْعَلْ شَرَائِفَ صَلَوَاتِكَ، وَنَوَامِي بَرَكَاتِكَ، وَرَأْفَةَ تَحِيَّاتِكَ، عَلَى مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ، الْفَاتِحِ  
لِمَا أَغْلَقَ، وَالْخَاتِمِ لِمَا سَبَقَ، وَالْمُعْلِنِ الْحَقِّ بِالْحَقِّ، وَالْدَامِغِ جِيْشَاتِ الْآبَاطِيلِ، كَمَا حَمَلْتَهُ  
فَاضْطَلَعَ بِأَمْرِكَ لِعَاطِيكَ، مُسْتَوْفِزًا فِي مَرْضَاتِكَ، لَغَيْرِ نَكَلٍ فِي قَدَمٍ، وَلَا وَهْنٍ فِي عِزِّمْ، ذَاْعِيًّا  
لَوْحِيكَ، حَافِظًا لِعَهْدِكَ، مَاضِيًّا عَلَى نَفَازِ أَمْرِكَ، حَتَّى أَوْزَى قَبْسًا لِقَابَسِ، آلَاءُ اللَّهِ تَصِلُ بِأَهْلِهِ  
أَسْبَابِهِ بِهِ، هَدِيَّتِ الْقُلُوبِ بَعْدَ خَوْضَاتِ الْفِتَنِ وَالْإِثْمِ، مَوْضِحَاتِ الْأَعْلَامِ، وَنَاثِرَاتِ الْأَحْكَامِ،  
وَمُنِيرَاتِ الْإِسْلَامِ، فَهُوَ أَمِينُكَ الْمَأْمُونُ، وَخَازِنُ عِلْمِكَ الْمَخْزُونُ، وَشَهِيدُكَ يَوْمَ الدِّينِ، وَبِعَيْتِكَ  
نِعْمَةً، وَرَسُولُكَ بِالْحَقِّ رَحْمَةً. اللَّهُمَّ افْسَحْ لَهُ مَفْسَحًا فِي عَذْلِكَ، وَاجْزِهِ مِضَاعِفَاتِ الْخَيْرِ مِنْ

فضلك، مهتاتٍ غير مكدرات، من قُوزِ ثوابك المخلول، وجزل عطائك المَعْلُول، اللهم أعلِ على بناءِ البانين بناءً، وأكرِمْ مثوَاهُ لَدَيْكَ ونُزْلَهُ، وأتمم له نوره، واجزه من ابتعائك له مقبول الشهادة، مُرضي المقالة، ذا منطق عذَل، وخُطَّة فصل، وبرهان عظيم<sup>(١)</sup>.

قال ابن قتيبة: داحي المدحوات، أي باسط الأرضين، وكان الله تعالى خَلَقَهَا رَتْبَةً ثم بَسَطَهَا، قال سبحانه: ﴿وَالْأَرْضُ بَدَا ذِكَّهَا﴾<sup>(٢)</sup>، وكلَّ شيء بسطته فقد دَحَوْتُهُ ومنه قيل لموضع يَبِضُ النعامة: أذْجِي، لأنها تَذْخُوهُ للبيض أي تُوسِّعُهُ، ووَزَنَتْهُ أفعول.

وبارئ المسموكات: خالق السموات. وكلَّ شيء رفعته وأعليته فقد سَمَكْتُهُ، وسَمَكَ البيت والحائط ارتفاعه، قال الفرزدق:

إِنَّ الَّذِي سَمَكَ السَّمَاءَ بَنَى لَنَا بَيْتاً ذَهَائِمُهُ أَحَزُّ وَأَطْوَلُ

وقوله: جبار القلوب على فطرانها. من قولك جَبَرْتَ الْعَظْمَ فَجَبَرْتُ الْقُلُوبَ إِذَا كَانَ مَكْسُوراً فَلَأَمْتَهُ وَأَقَمْتَهُ، كَانَهُ أَقَامَ الْقُلُوبَ وَأَثْبَتَهَا عَلَى مَا فَطَرَهَا عَلَيْهِ مِنْ مَعْرِفَتِهِ وَالْإِقْرَارِ بِهِ، شَقِيهَا وَسَعِيدَهَا، قال: ولم أجعل جباراً هائناً، من أجبرت فلاناً على الأمر إذا أدخلته فيه كَرْهاً، وَقَسَرْتَهُ، لأنه لا يقال من أفعَلَ فَعَال، لا أعلم ذلك إلا أَنَّ بعضَ القراء قرأ ﴿أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرِّشَادِ﴾<sup>(٣)</sup> بتشديد الشين، وقال: الرِّشَادُ الله، فهذا فَعَالٌ من أفعَلَ، وهي قراءة شاذة، غير مستعملة، فأنا قول الله عز وجل: ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ﴾<sup>(٤)</sup> فإنه أراد وما أنت عليهم بمسلِّطٍ تسلِطُ الملوك. والجبارية: الملوك، واعتبار ذلك قوله: ﴿كُنْتُ عَلَيْهِمْ بِمُحِيطٍ﴾<sup>(٥)</sup> أي: بِمُتَسَلِّطٍ تسلُّطُ الملوك، فإن كان يجوز أن يقال من أجبرت فلاناً على الأمر: أنا جَبَّارٌ لَهُ، وكان هذا محفوفاً، فقد يجوز أن يُجْعَلَ قولُ علي عليه السلام: جبار القلوب من ذلك، وهو أَحْسَنُ فِي الْمَعْنَى.

وقوله: «الدامغ جيشات الأباطيل»، أي مُهْلِك ما نَجَمَ وارفع من الأباطيل، وأصل الدَّمَغ من الدَّمَاع، كَانَهُ الَّذِي يَضْرِبُ وَسَطَ الرَّأْسِ فَيَدْمَعُهُ، أي: يَصِيبُ الدَّمَاعُ مِنْهُ. ومنه قولُ الله عز وجل: ﴿بَلْ تَقِفْ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَلِيلِ فَيَدْمَعُهُ﴾<sup>(٦)</sup> أي يُبْطِلُهُ وَالدَّمَاعُ مَقْتَلٌ، فإذا أصيبَ هَلَكَ صاحبه.

وجيشات: مأخوذ من جاش الشيء أي ارتفع، وجاش الماء إذا طمى، وجاشت النفس.

وقوله: «كما حمل فاضطلع» اقتتل من الضلالة وهي القوة.

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه رقم: ٣، وأخرجه الطبراني في الأوسط: ٤٤/٩.

(٢) سورة النازعات، الآية: ٣٠.

(٣) سورة ق، الآية: ٤٥.

(٤) سورة الغاشية، الآية: ٢٢.

(٥) سورة الأنبياء، الآية: ١٨.



وقوله: «لغير نكّل في قَدَم»، النكّل: مَصَدَر وهو النكول، يقال: نكّل فلان عن الأمر يَنْكُل نكولاً، فهذا المشهور ونكّل بالكسر يَنْكُل نكلاً قليلة.

والقَدَم: التقدم، قال أبو زيد: رجلٌ وقْدَام إذا كان شجاعاً، فالقدم يجوز أن يكون بمعنى التقدم، وبمعنى المتقدم.

قوله: «ولا وَهْنٌ في عَزم، أي ولا ضَعْفٌ في رأي.

وقوله: «حتى أوري قَبْساً لقابس»، أي أظهر نوراً من الحق، يقال: أوزنت النار إذا قَدَحْتَ ما ظهر بها، قال سبحانه: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ﴾ (١).

وقوله: «آلاء الله تصلُّ بأهلِهِ أسبابه»، يريد نِعَم الله تصلُّ بأهلِ ذلك القَبَس، - وهو الإسلام والحق سبحانه - أسبابه وأهله، المؤمنون به.

قلت: تقديرُ الكلام حتى أوري قَبْساً لقابس، تصلُّ أسبابُ ذلك القَبَس آلاء الله ونِعَمُهُ بأهلِهِ المؤمنين به. وأعلم أن اللام في «لغير نكّل» متعلّقة بقوله: «مستوفزاً»، أي هو مُستوفزٌ لغير نكول، بل للخوف منك، والخضوع لك.

قال ابنُ قُتَيْبَةَ: قوله ﷺ: «به هُذِيتِ القلوب بعدَ الكُفْرِ، والفَتْنُ مُوضِحَاتُ الأعلام»، أي هديتها لمُوضِحَاتِ الأعلام، يقال هُذِيتِ الطريق وللطريق وإلى الطريق.

وقوله: «فانثارت الأحكام، ومُثِيرَاتُ الإسلام، يريد الواضحات البيّنات، يقال: نار الشيء وأَنَارَ، إذا وَضَحَ.

وقوله: «شَهِيدك يومَ الدين»، أي الشاهد على الناس يومَ القيامة. وَيَعْيِيْتُكَ رَحْمَةً، أي مَبْهُوثُكَ، فَيُبَيِّلُ في معنى مَفْعُول.

وقوله: «افسَحْ له مَفْسَحاً»، أي أوسع له سَعَةً، وَرُوي «مُفْتَسِحاً» بالناء.

قوله: «في عَذْلِكَ» أي في دار عدلك، يعني يومَ القيامة، ومن رَواه: «عَذْلِكَ» بالتون، أراد جَنَّةَ عَذْنٍ.

وقوله: «من جَزَلْ عَطَانِكَ المغلول»، من العَلَل، وهو الشُّرْبُ بعد الشُّرْبِ، فَالشُّرْبُ الأوَّلُ نَهْلٌ، والثاني عَلَلٌ، يريد أنْ عَطَاءَهُ عَزَّ وَجَلَّ مُضَاعَفٌ، كَأَنَّهُ يَغْلُ عِبَادَهُ، أي يُعْطِيهِمْ عَطَاءً بعد عَطَاءٍ.

وقوله: «أَعْلَى على بناءِ البازينِ بِنَاءً»، أي اذْقَعْ فَوْقَ أَعْمَالِ الْعَامِلِينَ عَمَلَهُ. وَأَكْرِمِ مَثْوَاهُ، أي مَنَزِلَتَهُ، من قولك: ثَوَيْتُ بِالْمَكَانِ أَي نَزَلْتُهُ وَأَقَمْتُ بِهِ، ونَزَلَهُ: رَزَقَهُ.

ونحن قد ذكرنا بعض هذه الكلمات فيما تقدم على رواية الرضي رحمه الله وهي مخالفة لهذه الرواية، وشرحنا ما رواه الرضي، وذكرنا الآن ما رواه ابن قتيبة وشرحه لأنه لا يخلو من فائدة جديدة.

ومنها قوله عليه السلام: خُذِ الْحِكْمَةَ أَتَى أَثْنُكَ، فَإِنَّ الْكَلِمَةَ مِنْ الْحِكْمَةِ تَكُونُ فِي صَدْرِ الْمَنَافِقِ فَتَلْجُلُ فِي صَدْرِهِ حَتَّى تَسْكُنَ إِلَى صَاحِبِهَا.

قال ابن قتيبة: يريدُ الكلمة قد يعلمها المنافق فلا تزال تتحرك في صدره ولا تسكن حتى يسمعها منه المؤمن أو العالم فيعيها ويفقهها ويفقهها منه، فتسكن في صدره إلى أخواتها من كلم الحكمة.

ومنها قوله عليه السلام: الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ يَتَأَقُّ الْكَعْبَةُ مِنْ فَوْقِهَا. قال ابن قتيبة: يتأق الكعبة، أي مظل عليها من فوقها، من قول الله سبحانه: ﴿وَإِذْ نَفَخْنَا الْبَرْقَ نَوْفَهُمْ كَانَتْ ظُلُمَةً﴾<sup>(١)</sup>، أي زعزع فأظلم عليهم.

ومنها قوله عليه السلام: «أَنَا قَسِيمُ النَّارِ»، قال ابن قتيبة: أراد أن الناس فريقان: فريق معي فهم على هدى، وفريق علي فهم على ضلالة، كالخوارج، ولم يجسر ابن قتيبة أن يقول: «وكأهل الشام» يتورع يزعم، ثم إن الله أنطقه بما تورع عن ذكره، فقال متمماً للكلام بقوله: «أَنَا قَسِيمُ النَّارِ، نصف في الجنة معي، ونصف في النار، قال: وقسيم في معنى مقاسم، مثل جليس وأكيل وشريب.

قلت: قد ذكر أبو عبيد الهروي هذه الكلمة في الجمع بين العريين، قال: وقال قوم: إنه لم يرد ما ذكره، وإنما أراد: هو قسيم النار والجنة يوم القيامة حقيقة، يقسم الأمة فيقول هذا للجنة، وهذا للنار.

### خطبة الإمام علي عليه السلام الخالية من الألف

وأنا الآن أذكر من كلامه الغريب ما لم يورده أبو عبيد وابن قتيبة في كلامهما وأشرحه أيضاً، وهي خطبة رواها كثير من الناس له عليه السلام خالية من حرف الألف، قالوا: تذاكر قوم من

أصحاب رسول الله ﷺ: أي حروف الهجاء أدخل في الكلام؟ فأجمعوا على الألف، فقال علي عليه السلام:

حَمِدْتُ مَنْ عَظَّمَتْ مِثَّتَهُ، وَسَبَّحَتْ نِعْمَتَهُ، وَسَبَّحَتْ غَضَبَهُ رَحْمَتَهُ، وَتَمَّتْ كَلِمَتُهُ، وَنَفَذَتْ مَشِيئَتَهُ، وَبَلَغَتْ قَضِيَّتَهُ، حَمْدُهُ حَمْدُ مُؤَيَّدٍ بِرُيُوبِيَّتِهِ، تَخَضُّعٌ لِعِبَادِيَّتِهِ، مُتَّصِلٌ مِنْ خَطِيئَتِهِ، مُتَفَرِّدٌ بِتَوْحِيدِهِ، مُؤَمِّلٌ مِنْهُ مَغْفَرَةٌ تُنَجِّيهِ، يَوْمٌ يُشْمَلُ عَنْ فَصْلِيَّتِهِ وَبَيْنِهِ.

ونستعينه ونسترشده ونستهديه، ونؤمِّنُ بِهِ ونَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ، وشهدتُ له شهوداً مُخْلِصِينَ مَوْفِينَ، وَفَرَّدْتُهُ تَفْرِيدَ مُؤَيَّدٍ مُتَيَقِّنٍ، وَوَحَّدْتُهُ تَوْحِيدَ عَبْدٍ مَذِينٍ، لَيْسَ لَهُ شَرِيكٌ فِي مُلْكِهِ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ فِي صَنْعِهِ، جَلَّ عَنْ مَشِيرٍ وَوَزِيرٍ، وَعَنْ عَوْنٍ مُعِينٍ وَتَصِيرٍ وَنَقِيرٍ.

عَلِمَ فَسْتَرُ، وَظَنَ فَخَبِرَ، وَمَلَكَ فَفَقِهَرَ، وَغَصَى فَغَفَرَ، وَحَكَمَ فَعَدَلَ، لَمْ يَزَلْ وَلَنْ يَزُولَ، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ (١)، وَهُوَ بَعْدَ كُلِّ شَيْءٍ رَبٌّ مُتَعَزِّدٌ بِعَزَّيَّتِهِ، مُتَمَكِّنٌ بِقُوَّتِهِ، مُتَقَدِّسٌ بِعِلَافَتِهِ، مُتَكَبِّرٌ بِسَمُوَّتِهِ، لَيْسَ يَدْرُكُهُ بَصَرٌ، وَلَمْ يُحِطْ بِهِ نَظَرٌ، قَوِيٌّ مُنِيعٌ، يَهَيِّرُ سَمِيعَ، رُؤُوفٌ رَحِيمٌ. جَزَّ عَنْ وَصْفِهِ عَنِ يَصْفِهِ، وَقَدَّ عَنْ نَعْتِهِ مَنْ يَعْرِفُهُ.

قَرُبَ فَبَعُدَ، وَبَعُدَ فَعُزُّهُ، يُجِيبُ دَعْوَةَ مَنْ يَدْعُوهُ، وَيَرْزُقُهُ وَيُحِبُّهُ، ذُو لُطْفٍ خَفِيٍّ، وَيُطْلِقُ قُوَّةً، وَرَحْمَةً مُوسِعَةً، وَعَقُوبَةً مُوجِعَةً، رَحْمَتُهُ جَنَّةٌ عَرِيضَةٌ مُوَفِّقَةٌ، وَعَقُوبَتُهُ جَحِيمٌ مُمَدَّودَةٌ مُوَفِّقَةٌ.

وشهدتُ ببعث محمد رسولِهِ، وعجلِيهِ وَصَفِيَّتِهِ، وَنَبِيِّهِ وَنَجِيَّتِهِ، وَحَبِيبِيهِ وَخَلِيلِيهِ، بَعَثَهُ فِي خَيْرِ عَصْرِ، وَحِينَ فَتْرَةٍ وَكَفَرٍ، رَحْمَةً لِعَبِيدِهِ، وَنِعْمَةً لِمُزِيلِيهِ، خَتَمَ بِهِ نَبُوَّتَهُ، وَشَيَّدَ بِهِ حُجَّتَهُ، فَوَعظَ وَنَصَحَ، وَبَلَغَ وَكَدَحَ، رُؤُوفٌ بِكُلِّ مُؤْمِنٍ، رَحِيمٌ سَخِيٌّ، رَضِيٌّ وَلِيٌّ زَكِيٌّ، عَلَيْهِ رَحْمَةٌ وَتَسْلِيمٌ، وَبَرَكَهٌ وَتَكْرِيمٌ، مِنْ رَبِّ غَفُورٍ رَحِيمٍ، قَرِيبٍ مُجِيبٍ.

وَصَيِّتُكُمْ مَعَشَرَ مَنْ حَضَرَ نَبِيَّ بَوْصِيَّتِي رِسْكُمْ، وَذَكَرْتُكُمْ بِسَنَةِ نَبِيِّكُمْ، فَعَلَيْكُمْ بِرَهْبِيَّةٍ تَسْكُنُ قُلُوبَكُمْ، وَخَشْيَةً تُذَرِّي دُمُوعَكُمْ، وَتَقِيَّةً تَنْجِيكُمْ قَبْلَ يَوْمِ تُبْلِيكُمْ وَتَذِلُّكُمْ، يَوْمَ يَفُورُ فِيهِ مَنْ تَغَلَّ وَزَنُ حَسَبَتِهِ، وَخَفَّ وَزَنُ سَيِّئِهِ، وَلَتَكُنْ مَسْأَلَتُكُمْ وَتَمَلُّقُكُمْ مَسْأَلَةَ ذُلٍّ وَغَضُوبٍ، وَشُكْرِ وَخَشُوعٍ، بِتَوْبَةٍ وَتَوَرُّعٍ، وَنَدَمٍ وَرُجُوعٍ، وَلِيَقْتَنِمَ كُلُّ مُغْتَنِمٍ مِنْكُمْ صَحَّتَهُ قَبْلَ سَقَمِهِ، وَشَبِيئَتَهُ قَبْلَ هَرَمِهِ، وَمَعْتَهُ قَبْلَ قَفَرِهِ، وَفَرَحَتَهُ قَبْلَ شُغْلِهِ، وَخَضِرَتَهُ قَبْلَ سَفَرِهِ، قَبْلَ تَكْبُرٍ وَتَهَرُّمٍ وَتَسْلَمٍ، يَمْلَأُ طَبِيعَتَهُ وَيَغْرِضُ عَنْهُ حَبِيبُهُ وَيَنْقَطِعُ غَمُّهُ، وَيَتَغَيَّرُ عَقْلُهُ، ثُمَّ قِيلَ: هُوَ مَوْعُوكٌ، وَجَسْمُهُ مِنْهُوَكٌ، ثُمَّ جُدَّ فِي نَزْعِ شِدِيدِهِ، وَخَضِرَتُهُ كُلُّ قَرِيبٍ وَبَعِيدٍ، فَشَخَّصَ بَصَرَهُ، وَطَمَحَ نَظَرَهُ، وَرَشَّحَ جَنِينَهُ، وَحَفَظَ عَرِيئَتَهُ، وَسَكَنَ خَنِينَتَهُ، وَحَزَنَتَهُ نَفْسَهُ، وَبَكَتَهُ عَرْسَهُ، وَجُوزَ رَمْسَهُ، وَتَمَّتْ مِنْهُ وَلَدُهُ، وَتَفَرَّقَ مِنْهُ عَدُوُّهُ، وَفُيِّسَ جَمْعُهُ، وَذَهَبَ بَصَرُهُ وَسَمْعُهُ، وَمَدَّدَ وَجْرُهُ، وَغَرَّيَ وَغَسِلَ، وَنُشِفَ وَسُجِّيَ،

وَيُسَبِّطُ لَهُ وَيُعْتَبَرُ، وَتُشِيرُ عَلَيْهِ كَفَّتُهُ، وَتُدْمِئُهُ ذَقَّتُهُ، وَتُقَمِّصُ وَعَمَمُ، وَوُدُوعُ وَسَلَمٌ، وَخَمِيلٌ نَوَاقٍ  
سَوِيرٌ، وَصُلْبِي عَلَيْهِ بَتَكِيرٌ، وَتَقِيلُ مِنْ دَوْرِ مَرْخَرَقَةٍ، وَتَقْصُرُ مُشِيدَتُهُ، وَخَجَرٌ مُتَجَلِّدٌ، وَجَعَلُ فِي  
ضَرْبِ مَلْحُودٍ وَغَيْبِ مَرْصُودٍ، يَلْبِسُ مَتَّصُودٌ، مُسَقَّبٌ بِجَلْمُودٍ، وَهَيْلٌ عَلَيْهِ حَقَرَةٌ، وَخُنْيٌ عَلَيْهِ  
مَدْرَةٌ، وَتَحَقُّقٌ جَلْدُهُ، وَنَيْبِي خَيْرَةٌ، وَرَجَّعَ عَنْهُ وَلِيَّهُ وَصَقِيَّةٌ، وَنَدِيمَةٌ وَتَيْبِيَّةٌ، وَتَبَدَّلُ بِهِ قَرِينُهُ  
وَحَيِيَّةٌ، فَهَوُ حَشَوِ قَبْرِ، وَرَهْمِيُنْ قَفْرِ، يَسْمَى بِجِسْمِهِ دُودُ قَبْرِ، وَيَسِيلُ صَلِيلُهُ مِنْ مَنَجَرِهِ، يَسْحَقُ  
تُرْبُهُ لَحْمَهُ، وَيَنْشَقُّ تَمَعَهُ، وَيَرْمُ عَظْمَهُ حَتَّى يَوْمَ حَشْرِهِ، فَتُشِيرُ مِنْ قَبْرِهِ حَيٌّ يُنْفَخُ فِي صُورٍ،  
وَيُدْعَى بِحَشْرِ وَتُشِيرُ.

فَتَمُ بِحَثْرِ قَبْرِ، وَخُصِّلَتْ سِرِيرَةُ صُدُورٍ، وَجِيءَ بِكُلِّ نَبِيٍّ وَصَلْبِيٍّ وَشَهِيدٍ، وَتَوَحَّدَ لِلْفَضْلِ  
قَلْبِيٌّ بِعَلْبِيٍّ خَيْرٌ بِهَيْبِيٍّ، فَكُنْ مِنْ زُفَرَةٍ تُضْنِيهِ، وَحَسْرَةٍ تُضْهِبِيهِ، فِي مَوْقِفٍ مَهُولٍ، وَمَشْهَدٍ جَلِيلٍ،  
بَيْنَ يَدَيِّ مَلِكٍ عَظِيمٍ، وَبِكُلِّ صَخِيرٍ وَكَبِيرٍ عَلِيمٍ، فَحَيْثُكَ يَلْجِئُهُ حَرَقُهُ، وَيُحْصِرُهُ قَلَقُهُ، عِبْرَتُهُ غَيْرُ  
مَرْحُومَةٍ، وَصَرَخَتُهُ غَيْرُ مَسْمُوعَةٍ، رَحْمَتُهُ غَيْرُ مَقُولَةٍ، زَالَتْ جَرِيدَتُهُ، وَنَشَرَتْ صَحِيفَتُهُ، نَظَرَ فِي  
سُوءِ عَمَلِهِ، وَشَهِدَتْ عَلَيْهِ عَيْنُهُ بِنَظَرِهِ، وَبَدَأَ بِبَطْشِهِ، وَرَجَلُهُ بِخَطْوِهِ، وَفَرْجُهُ بِلَمْسِهِ، وَجَلَدُهُ  
بِمَسِّهِ، فَسَلْسِلَ جِلْدَهُ، وَغُلَّتْ يَدُهُ، وَسَقَى فُسْحَبَ وَخُلْفَ، فَوَرَّدَ جَهَنَّمَ بِكَرْبٍ وَشِدَّةٍ، نَظَلَ بِعَذَابٍ  
فِي جَحِيمٍ، وَتُسْقَى شَرِبَةً مِنْ حَيِيمٍ، تَشْوِي وَجْهَهُ، وَتَسْلُخُ جِلْدَهُ، وَتَضْرِبُهُ زَنْبِيَّةٌ بِمَقْشَعٍ مِنْ  
حَدِيدٍ، وَيَعْرُدُّ جِلْدَهُ بَعْدَ نُضْجِهِ كَجِلْدِ حَدِيدٍ، يَسْتَعْيِثُ فَتَعْرِضُ عَنْهُ خَزَنَةُ جَهَنَّمَ، وَيَسْتَفْرِخُ  
فِيلِبْثَ حَقَبَةٍ يَنْدُمُ.

تَعُوذُ بِرَبِّ قَلْبِيٍّ، مِنْ شَرِّ كُلِّ مَصِيرٍ، وَتَسْأَلُهُ عَفْوً مِنْ رَضِي عَنْهُ، وَمَغْفِرَةً مِنْ قَبْلِهِ، فَهَوُ وَلِيٌّ  
مَسَالَتِي، وَمُنْجَعٌ طَلْبَتِي، فَمَنْ زُخْرَجَ عَنْ تَعْذِيبِ رَبِّي جَعَلَ فِي جَنَّتِهِ بِغُزْبِهِ، وَخَلَدَ فِي قَصُورِ  
مُشِيدَةٍ، وَمَلِكٌ بِحُورٍ عَيْنٍ وَحَفْدَةٍ، وَطَيْفٌ عَلَيْهِ بِكُورِ، أَسْكِنَ فِي حَظِيرَةِ قُدُّوسٍ، وَتَقَلَّبَ فِي  
نَعِيمٍ، وَسُقِيَ مِنْ تَسْنِيمٍ، وَشَرِبَ مِنْ عَيْنِ سَلْسِيلٍ، وَفُزَّجَ لَهُ بِزَنْجِيلٍ، مُخْتَمٌ بِمَسْكٍ وَعَبِيرٍ،  
مُسْتَدِيمٌ لِلْمَلِكِ، مُسْتَشْعِرٌ لِلسُّرْرِ، يَشْرَبُ مِنْ خُمُورٍ، فِي رَوْضٍ مُغْدِقٍ، لَيْسَ يُصَدِّعُ مِنْ شَرِبِهِ،  
وَلَيْسَ يُزَفُّ.

هَذِهِ مَنْزِلَةٌ مِنْ خَشْيِ رَبِّي، وَحَذَرِ نَفْسِهِ مَعْصِيَتِهِ، وَتِلْكَ عُقُوبَةٌ مِنْ جَحْدِ مَشِيَّتِهِ، وَسَوَّلَتْ لَهُ  
نَفْسُهُ مَعْصِيَتَهُ، فَهَوُ قَوْلُ فَصْلٍ، وَحُكْمٌ عَذَلٌ وَخَبَرٌ فَصَصَ قَصٌّ، وَوَعظٌ نَصٌّ، «تَزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ  
جَمِيدٍ» <sup>(١)</sup> نَزَلَ بِهِ رُوحٌ قُدُّوسٌ مُبِينٌ، عَلَى قَلْبِ نَبِيِّ مُهْتَدٍ رَشِيدٍ، صَلَّتْ عَلَيْهِ رُسُلُ سَفَرَةٍ، مُكْرَمُونَ  
بَرَّةً، عَذَّتْ بِرَبِّ عَالِمٍ، رَجِيمٌ كَرِيمٌ، مِنْ شَرِّ كُلِّ عَدُوٍّ لَيِيمٍ رَجِيمٍ، فَلْيَتَضَرَّعْ مُتَضَرَّعًا، وَلْيَسْتَهْزِئْ  
مُبْتَهِلًا، وَلْيَسْتَفْزِ كُلُّ مَرْبُوبٍ مِنْكُمْ لِي وَلَكُمْ، وَحَسْبِي رَبِّي وَحْدَهُ.

**الشرح:** فصيلَةُ الرجل: رهطه الأذنُون. وكَدَح: سعى سعيًا فيه تمب، وفرغته: الواحدة من الفراغ، تقول: فَرَّغْتُ فِرْغَةً، كقولك: ضربتُ ضربةً. وَسَجَى الميت: بسط عليه رداءً. ونَشَرَ الميت من قبره بفتح النون والشين، وأنشَرَه الله تعالى. ويُعْثِر قبور: انتثرت ونُبِثَتْ.

قوله: «وسيق بسحب وحده»، لأنه إذا كان معه غيره كان كالمتأسي بغيره، فكان أخف لآلمه وعذابه، وإذا كان وحده كان أشدَّ ألمًا وأهول، وروي «فسيق يُسحب وحده» وهذا أقرب إلى تناسب الفقرتين، وذلك أفخم معنى.

وزينية على وزن «عجْرية» واحد الزبانية، وهم عند العرب الشرط، وسُمِّيَ بذلك بعض الملائكة لدفعهم أهل النار إليها كما يفعل الشرط في الدنيا، ومن أهل اللغة من يجعل واحد الزبانية زباني. وقال بعضهم: زابن، ومنهم من قال: هو جمع لا واحد له، نحو أبا بيل وعباديد، وأصل الزين في اللغة الدُّفْع، ومنه ناقة زَبُون: تضرب حالها وتدفعه.

وتقول: مَلِكٌ زَيْدٌ بفلاحة بغير ألف، والباء هاهنا زائدة كما زيدت في «كَمْى بالله حسيباً»، وإنما حَكَمْنَا بزاداتها لأنَّ العرب تقول: ملكْتُ أنا فلانةً أي تزوجتها، وأملكْتُ فلانةً بزَيْدٍ أي زوجتها به، فلما جاءت الباء هاهنا ولم يكن بُدٌّ من إثبات الألف لأجل مجيئها جعلناها زائدة، وصار تقديره: ومَلَكٌ حُوراً عيناً.

وقال المفسرون في تسنيم: إنه اسمُ ماءٍ في الجنة سُمِّيَ بذلك لأنه يجري من فوق العُرف والقصور.

وقالوا في سلسيل: إنه اسمُ عَيْنٍ في الجنة ليس يُنْزَف ولا يُخْمَرُ كما يُخْمَرُ شارب الخمر في الدنيا.

انقضى هذا الفصل، ثم رجعنا إلى سنن الغرض الأول.

**الأصل:** وقال ﷺ: لَمَّا بَلَغَهُ إِغَارَةُ أَصْحَابِ مَعَاوِيَةَ عَلَى الْأَنْبَارِ، فَخَرَجَ بِفَرَسِهِ مَاشِياً حَتَّى أَتَى النَّخِيلَةَ، وَأَذْرَكَ النَّاسَ وَقَالُوا: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، نَحْنُ نَكْفِيكَهُمْ، فَقَالَ ﷺ: وَاللَّهِ مَا تَكْفُونَنِي أَنْفُسَكُمْ، فَكَيْفَ تَكْفُونَنِي غَيْرَكُمْ! إِنْ كَانَتْ الرَّعَايَا قَبْلِي لَتَشْكُو حَيْفَ رُعَاتِيهَا، فَإِنِّي الْيَوْمَ لَأَشْكُو حَيْفَ رَعِيَّتِي، كَأَنِّي الْمَقُودُ وَهُمْ الْقَادَةُ، أَوْ الْمَوْزُوعُ وَهُمْ الْوَزْعَةُ.

قال: فلما قال هذا القول في كلام طويل قد ذكرنا مُخْتَارَهُ في جملة الخطب، تقدّم إليه رَجُلان من أصحابه، فقال أحدهما: ﴿إِنِّي لَا أَتِيكَ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي﴾<sup>(١)</sup>، فمَرْنَا بِأَمْرِكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ نَفْعًا، فقال: وَأَيِّنْ تَقَعَانِ مِنَّا أَرِيدُ!

الشرح: السنن: الطريقة، يقال: تَنَحَّ عن السنن، أي عن وَجْهِ الطريق. والتَّخِيلَة: بظاهر الكُوفَة، وَرُوي «ما تَكْفُونِي» بحذف النون. والحيث: الظلم.

والوَزْعَة: جمع وازع، وهو الدافع الكاف.

ومعنى قوله: «ما تكفوني أنفسكم»، أي أفعالكم رديئة فيحسُّ تحتاج إلى جند غيركم أستعين بهم على تنقيتكم وتهذيبكم، فَمَنْ هذه حاله كيف أثَقَّ به غيره، وأهذب به سواء. وإن كانت الرعايا: إن هاهنا مخففة من الثقلة، ولذلك دخلت اللام في جوابها.

وقد تقدّم ذكرنا هذين الرجلين، وإن أحدهما قال: يا أمير المؤمنين، أقول لك ما قاله العبد الصالح: ﴿رَبِّ إِنِّي لَا أَتِيكَ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي﴾. فشكر لهما وقال: وأين تقعان منّا أريد!

- ٢٦٨ -

الأصل: وَقِيلَ: إِنَّ الْحَارِثَ بْنَ حَظُوطٍ أَتَاهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَالَ لَهُ: أَتَرَانِي أَكْفُرُ أَنْ أَصْحَابَ الْجَبَلِ كَانُوا عَلَى ضَلَالَةٍ؟

فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: يَا حَارِثُ، إِنَّكَ نَظَرْتَ نَحْتَكَ، وَلَمْ تَنْظُرْ نَوْفَكَ فَعَجَزْتَ، إِنَّكَ لَمْ تَعْرِفِ الْحَقَّ فَتَعْرِفِ أَهْلَهُ، وَلَمْ تَعْرِفِ الْبَاطِلَ فَتَعْرِفِ مَنْ أَنَا.

فَقَالَ الْحَارِثُ: فَإِنِّي أَغْتَرِلُ مَعَ سَعْدِ بْنِ مَالِكٍ وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ.

فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنَّ سَعْدًا وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ لَمْ يَنْصُرَا الْحَقَّ، وَلَمْ يَخْذُلَا الْبَاطِلَ.

**الشرح:** اللفظة التي وردت قبل أحسن من هذه اللفظة، وهي: أولئك قوم خذلوا الحق ولم ينصروا الباطل، وتلك كانت حالتهم، فإنهم خذلوا علياً ولم ينصروا معاوية ولا أصحاب الجمل.

فإنما هذه اللفظة فيها إشكال، لأن سلطاناً وعبد الله لعمري إنهما لم ينصرا الحق، وهو جانب علي عليه السلام، لكنهما خذلا الباطل، وهو جانب معاوية وأصحاب الجمل، فإنهم لم ينصروهم في حرب قط، لا بأنفسهم ولا بأموالهم ولا بأولادهم، فينبغي أن تتأول كلامه فنقول: إنه ليس يعني بالخذلان عدم المساعدة في الحرب، بل يعني بالخذلان هائلاً كل ما أثر في منح الباطل وإزالتة، قال الشاعر يصف قوساً:

وهو كالذلوبكف المستقي خذلت عنه العراقي فأنجذم

أي بانيته العراقي، فلما كان كل مؤثر في إزالة شيء ملبياً له نقل اللفظ بالاشتراك في الأمر العام إليه، ولما كان سداً وعيداً لله لم يقووا خطيئين في الناس يعلمانهم باطل معاوية وأصحاب الجمل، لم يكشفوا اللئس والشبهة الداخلة على الناس في حرب هذين الفريقين، ولم يوضحوا وجوب طاعة علي عليه السلام فبرد الناس عن اتباع صاحب الجمل وأهل الشام. صلت عليهما أنهما لم يخذلا الباطل. ويمكن أن يتأول على وجوه آخر، وذلك أنه قد جاء خذلت الوحشية إذا قامت على وليها، فيكون معنى قوله: «ولم يخذلا الباطل»، أي لم يقيما عليه وينصرا، فترجع هذه اللفظة إلى اللفظة الأولى، وهي قوله: «أولئك قوم خذلوا الحق ولم ينصروا الباطل».

والحارث بن حوط بالحاء المهملة. ويقال: إن الموجود في خط الرضي «ابن حوط» بالحاء المعجمة المضمومة.

- ٢٦٩ -

**الأصل:** صاحب السلطان كراكب الأسد يُغَبِّط بِمَوْقِعِهِ، وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَوْضِعِهِ.

بعض ما قيل في صحبة السلطان

**الشرح:** قد جاء في صحبة السلطان أمثال جكمية مستحسنة تناسب هذا المعنى، أو تجري مجراها في شرح حال السلطان، نحو قولهم: صاحب السلطان كراكب الأسد يهابه الناس، وهو لمزكوه الغيب.

وكان يقال: إذا صَحِبَتِ السُّلْطَانُ فَلتَكُنْ مُدَارَاتُكَ لَهُ مُدَارَاةَ الْمَرَأَةِ الْقَبِيحَةِ لِبَغْلِهَا الْمُبْغِضِ لَهَا، فَإِنَّهَا لَا تَدَعُ التَّصْنُعَ لَهُ عَلَى حَالٍ.

قيل للعتابي: لم لا تَقْصِدَ الْأَمِيرَ؟ قَالَ: لِأَنِّي أَرَاهُ يُعْطِي وَاحِدًا لَغَيْرِ حَسَنَةٍ وَلَا يَدِي، وَيَقْتُلُ آخَرَ بِلَا سَبَبٍ وَلَا ذَنْبٍ، وَلَسْتُ أَدْرِي أَيُّ الرَّجُلَيْنِ أَكُونُ! وَلَا أَرْجُو مِنْهُ مَقْدَارًا مَا أَخَاطِرُ بِهِ.

وكان يقال: الْعَاقِلُ مَنْ طَلَبَ السَّلَامَةَ مِنْ عَمَلِ السُّلْطَانِ، لِأَنَّهُ إِنْ عَفَّ جَنَى عَلَيْهِ الْعَفَافُ عِدَاةَ الْخَاصَّةِ، وَإِنْ بَسَطَ يَدَهُ جَنَى عَلَيْهِ الْبَسْطُ السِّتَةَ الرَّعِيَّةَ.

وكان سعيد بن حميد يقول: عَمَلُ السُّلْطَانِ كَالْحَمَامِ، الْخَارِجُ يُؤْثِرُ الدُّخُولَ، وَالذَّاخِلُ يُؤْثِرُ الْخُرُوجَ.

ابن المقفع: إقبالُ السُّلْطَانِ عَلَى أَصْحَابِهِ تَعَبٌ، وَإِعْرَاضُهُ عَنْهُمْ مَذَلَّةٌ.

وقال آخر: السُّلْطَانُ إِنْ أَرْضَيْتَهُ أَنْعَمَ، وَإِنْ أَغْضَبْتَهُ أَعْتَبَكَ.

وكان يقال: إِذَا كُنْتَ مَعَ السُّلْطَانِ فَكُنْ حَذِيرًا مِنْهُ عِنْدَ تَقْرِيبِهِ، كَاتِمًا لِسِرِّهِ إِذَا اسْتَسْرَكَ، وَأَمِينًا عَلَى مَا أَتَمَمْتَكَ، تَشْكُرُ لَهُ وَلَا تَكْلِفُهُ الشُّكْرَ لَكَ، وَتَعْلَمُهُ وَكَأَنَّكَ تَعْلَمُ مِنْهُ وَتُؤَدِّبُهُ وَكَأَنَّهُ يُؤَدِّبُكَ، بِصِرَافٍ بَهْوَاهُ، مَوْثِرًا لِمَنْفَعَتِهِ، ذَلِيلًا إِنْ ضَامَكَ، رَاضِيًا إِنْ أَعْطَاكَ، قَانِعًا إِنْ حَزَمَكَ، وَلَا فَايَعُذُ مِنْ كُلِّ الْبُعْدِ.

وقيل لبعض من يَخْدُمُ السُّلْطَانَ: لَا تَصْخَبْهُمْ، فَإِنْ مَثَلَهُمْ مَثَلُ قِدْرِ الثَّوَرِ، كَلِمَا مَتَّهِ الْإِنْسَانُ اسْوَدَّ مِنْهُ، فَقَالَ: إِنْ كَانَ خَارِجَ تِلْكَ الْقِدْرِ اسْوَدَّ قَدَاخِلُهَا أَيْضًا.

وكان يقال: أَفْضَلُ مَا عُوْثِرَ بِهِ الْمُلُوكُ قِلَّةُ الْخِلَافِ، وَتَخْضِيفُ الْمُؤُونَةِ.

وكان يقال: لَا يَقْبَلِ عَلَى صُحْبَةِ السُّلْطَانِ إِلَّا مَنْ يَسْتَقِلُّ بِمَا حَمَلُوهُ، وَلَا يُلْجِفُ إِذَا سَأَلْتَهُمْ، وَلَا يَغْتَرِبُهُمْ إِذَا رَضُوا عَنْهُ، وَلَا يَغْتَبِرُ لَهُمْ إِذَا سَخَطُوا عَلَيْهِ، وَلَا يَطْلِي إِذَا سَلَطُوهُ، وَلَا يَيطِرُ إِذَا أَكْرَمُوهُ.

وكان يقال: إِذَا جَمَعَكَ السُّلْطَانُ أَخَاً فَاجْمَعْهُ رِثًا، وَإِنْ زَادَكَ فِرْدُهُ.

وقال أبو حازم: لِلْسُّلْطَانِ كُخْلٌ يَكْحُلُ بِهِ مَنْ يُولِيهِ، فَلَا يُبْصِرُ حَتَّى يُعْزَلَ.

وكان يقال: لَا يَنْبَغِي لِصَاحِبِ السُّلْطَانِ أَنْ يَبْتَدِئَهُ بِالسَّأَلَةِ عَنْ حَالِهِ، فَإِنْ ذَلِكَ مِنْ كَلَامِ التَّوَكُّي، وَإِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَقُولَ: كَيْفَ أَصْبَحَ الْأَمِيرُ؟ فَقُلْ: صَبَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ بِالْكَرَامَةِ، وَإِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَقُولَ: كَيْفَ يَجِدُ الْأَمِيرُ نَفْسَهُ؟ فَقُلْ: وَهَبَ اللَّهُ الْأَمِيرَ الْعَافِيَةَ، وَنَحْوَ هَذَا، فَإِنَّ الْمَسْأَلَةَ تُرْجَبُ الْجَوَابُ، فَإِنْ لَمْ يُجِبْكَ اشْتَدَّ عَلَيْكَ، وَإِنْ أَجَابَكَ اشْتَدَّ عَلَيْهِ.

وكان يقال: صُحْبَةُ الْمُلُوكِ بِغَيْرِ أَدَبٍ كَرُكُوبُ الْفَلَاحِ بِغَيْرِ مَاءٍ.



وكان يقال: ينبغي لمن صَحب السلطان أن يستعدَّ للعُدْرِ عن ذَنْبٍ لم يَجْهِ، وأن يكون آتس ما يكون به، أوحش ما يكون منه.

وكان يقال: شِدَّة الانقباض من السلطان تُورث التهمة، وسهولة الانبساط إليه تُورث الملامة.

وكان يقال: أصحَب السلطان بإعمالِ الحذر، ورَفُض الذَّالة، والاجتهاد في النصيحة، وليُكُن رأس مالك عنده ثلاث: الرِّضا، والصبر، والصَّدق.

واعلم أن لكل شيء حَدًّا، فما جاوزَه كان سَرَفًا، وما قَصَرَ عنه كان عَجْزًا، فلا تُلْغ بك نصيحة السلطان أن تُعادي حاشيته وخاصته وأهله، فإن ذلك ليس من حَقِّه عليك، وليُكُن أَقْصَى لحَقِّه عنك، وأدعى لاستمرار السلامة لك، أن تستصلح أولئك جُهدك، فإنك إذا فعلت ذلك شكرت نعمته، وأمنت سطرته، وقللت عدوك عنده، وإذا جارت عند السلطان كُفُوًا من أكفائك فلتكن مُجاراتك ومُباراتك إِياء بالحجة، وإن عَصَيْتْ، وبالرفق وإن خَرَف بك. واحذر أن يستلحك فتحمي، فإن الغُصْب يُعوي عن الفرصة، ويقطع عن الحجة، ويظهر عليك الخضم، ولا تنوزد على السلطان بالذَّالة وإن كان أخاك، ولا بالحجة وإن وثقت أنها لك، ولا بالنصيحة وإن كانت له دونك، فإن السلطان يعرض له ثلاث دون ثلاث: القدرة دون الكرم، والحيمة دون النصفة، واللجاج دون الحظ.

- ٢٧٠ -

**الأصل:** اخسئوا في عَقِبِ غَيْرِكُمْ تَحْفَظُوا فِي عَقِيْبِكُمْ.

**الشرح:** أكثر ما في هذه الدنيا يقع على سبيل القرض والمكافأة، فقد رأينا حيائاً من ظلم الناس فظلم عَقبَهُ وولَّده، ورأينا من قَتَلَ الناس فقتل عَقبَهُ وولَّده، ورأينا من اغترَب دُوراً فأخربت دأره، ورأينا من أحسن إلى أعقاب أهل النعم فأحسن الله إلى عَقبِهِ وولَّده.

وقرأت في تاريخ أحمد بن طاهر أن الرشيد أرسل إلى يحيى بن خالد وهو في محبسه بقرعه بذنوبه، ويقول له: كيف رأيت! ألم أخرب دارك؟ ألم أقتل ولدك جعفرًا؟ ألم أنهب مالك؟ فقال يحيى للرسول: قُلْ له: أما إخراجك داري فستخرب دارك، وأما قتلك ولدي جعفرًا فسيقتل ولدك محمد، وأما نهبك مالي فسيُنهب مالك وخزائنك. فلما عاد الرسول إليه بالجواب وجَم طويلاً وحزن، وقال: والله ليكونن ما قال، فإنه لم يَقُلْ لي شيئاً قط إلا وكان كما قال، فأخبرت

داره - ومي الخلد - في جِصَارِ بَقْدَاد، وقُتِلَ ولده محمد، ونُهِبَ ماله، ونِجَازَتُهُ، نهبها طاهر بن الحسين.

- ٢٧١ -

**الأصل:** إِنْ كَلَامِ الْحُكَمَاءِ إِذَا كَانَ صَوَابًا كَانَ دَوَاءً، وَإِذَا كَانَ خَطَأً كَانَ دَاءً.

**الشرح:** كُلَّ كَلَامٍ يَقْلَدُ الْمُتَكَلِّمُ بِهِ لِحَسَنِ عَقِيدَةِ النَّاسِ فِيهِ نَحْوُ كَلَامِ الْحُكَمَاءِ وَكَلَامِ الْفُضَلَاءِ وَالْعُلَمَاءِ مِنَ النَّاسِ إِذَا كَانَ صَوَابًا كَانَ دَوَاءً وَإِذَا كَانَ خَطَأً كَانَ دَاءً، لِأَنَّ النَّاسَ يَحَذُّونَ خَذَوَ الْمُتَكَلِّمِ بِهِ، وَيَقْلُدُونَهُ فِيمَا يَتَضَمَّنُهُ ذَلِكَ الْكَلَامُ مِنَ الْأَدَابِ وَالْأَوَامِرِ وَالنَّوَاصِي، فَإِذَا كَانَ حَقًّا أَفْلَحُوا، وَحَصَلَ لَهُمُ الثَّوَابُ وَاتَّبَعَ الْحَقُّ، وَكَانُوا كَالَّذِينَ رَوَى الْمُبَرِّئُ لِلْسَّقَمِ، وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ الْكَلَامُ خَطَأً وَاتَّبَعُوهُ خَسِرُوا وَلَمْ يَقْلَحُوا، فَكَانَ بِمَنْزِلَةِ الدَّاءِ وَالْمَرَضِ.

- ٢٧٢ -

**الأصل:** وَقَالَ ﷺ حِينَ سَأَلَهُ رَجُلٌ أَنْ يُعَرِّقَهُ مَا الْإِيمَانُ، فَقَالَ: إِذَا كَانَ غَدًا فَأَتَيْتَنِي حَتَّى أَخْبِرَكَ عَلَى أَسْمَاعِ النَّاسِ، فَإِنْ نَسِيتَ مَقَالَتِي حَقَّقْتُهَا عَلَيْكَ غَيْرُكَ، فَإِنَّ الْكَلَامَ كَالشَّارِدَةِ يَتَّقِفُهَا هَذَا وَيُخْطِئُهَا هَذَا.

قال: وقد ذكرنا ما أجابه ﷺ فيما تقدّم من هذا الباب، وهو قوله: «الْإِيمَانُ عَلَى أَرْبَعِ شُعَبٍ».

**الشرح:** يَقُولُ: إِذَا كَانَ غَدًا فَأَتَيْتَنِي فَتَكُونُ «كَانَ» هَاهُنَا تَامَةً، أَيْ إِذَا حَدَّثْتُ وَوُجِدْتُ، وَتَقُولُ: إِذَا كَانَ غَدًا فَأَتَيْتَنِي فَيَكُونُ النَّصْبُ بِاعْتِبَارِ آخَرٍ، أَيْ إِذَا كَانَ الزَّمَانُ غَدًا، أَيْ مَوْصُوفًا بِأَنَّهُ مِنَ الْغَدِ، وَمِنَ النَّحْوِينَ مَنْ يَقْدَرُهُ: إِذَا كَانَ الْكُونُ غَدًا، لِأَنَّ الْفِعْلَ يَدُلُّ عَلَى الْمَصْدَرِ، وَالْكُونُ هُوَ التَّجَدُّدُ وَالْحُدُوثُ.

وقائل هذا القول يُرْجِّحُهُ عَلَى الْقَوْلِ الْآخَرِ، لِأَنَّ الْفَاعِلَ عِنْدَهُمْ لَا يُحَذَفُ إِلَّا إِذَا كَانَ فِي الْكَلَامِ دَلِيلٌ عَلَيْهِ.

وَيُثَمِّهَا، يَجِدْهَا، تَقِفْتُ كَذَا بِالْكَسْرِ، أَيْ وَجَدْتُهُ وَصَادَفْتُهُ.  
والشاردة: الضالة.

- ٢٧٣ -

**الأصل:** يَا بَنَ آدَمَ، لَا تَحْمِلْ هَمَّ يَوْمِكَ الَّذِي لَمْ يَأْتِكَ عَلَى يَوْمِكَ الَّذِي أَتَاكَ، فَإِنَّهُ إِنْ يَكُنْ مِنْ  
عُمْرِكَ يَأْتِ اللَّهُ فِيهِ بِرِزْقِكَ.

**الشرح:** قد تقدّم هذا الفصلُ بتمامه. واعلم أن كل ما ادخرته مما هو فاضل عن قوتك فإنما أنت  
فيه خازنٌ لقُتُوك.

وخلاصة هذا الفصل النهي عن الجزم على الدنيا والاهتمام لها، وإعلام الناس أن الله  
تعالى قد قسم الرزق لكل حيٍّ من خلقه، فلو لم يتكلف الإنسان فيه لأتاه رزقه من حيث لا  
يحتسب.

وفي المثل: يَا رِزَاقَ الْبُعَاثِ فِي عَشَّة.

وإذا نظر الإنسان إلى الذودة المكنونة داخل الصخرة كيف تُرزق، علم أن صانع العالم قد  
تكفل لكل ذي حياة بما دونه تقيم حياته إلى انقضاء عُمره.

- ٢٧٤ -

**الأصل:** أَخْبِثْ حَبِيبَكَ هَوْنًا مَا، عَسَى أَنْ يَكُونَ بَغِيضَكَ يَوْمًا مَا، وَأَبْغِضْ بَغِيضَكَ هَوْنًا مَا،  
عَسَى أَنْ يَكُونَ حَبِيبَكَ يَوْمًا مَا.

**الشرح:** الهون بالفتح: التآخي، والبغض: المبغض.

وخلاصة هذه الكلمة: النهي عن الإسراف في المودة والبغضة، فربما انقلب من تودّ فصار  
عدوًّا، وربما انقلب من تُعاديهِ فصار صديقًا.

وقد تقدّم القول في ذلك على أتم ما يكون.

وقال بعض الحكماء: تَوَقَّ الإفراط في المحبة، فإن الإفراط فيها دأب إلى التقصير منها، ولأن تكون الحال بينك وبين حبيبك نامية أَوْلَى من أن تكون مُتَنَاهِيَةً.

ومن كلام عَمَر: لا يكن حُبُّكَ كَلْفًا، ولا بغضُكَ تَلْفًا.

وقال الشاعر:

وَأَحِبِّ إِذَا أَحَبَبْتَ حُبًّا مَقَارِبًا      فَإِنَّكَ لَا تَلْزِي مَتَى أَنْتَ نَانُجٌ  
وَابْغُضْ إِذَا أَبْغَضْتَ غَيْرَ مُبَايِنٍ      فَإِنَّكَ لَا تَلْزِي مَتَى أَنْتَ رَاجِعٌ

وقال عدي بن زيد:

وَلَا تَأْمَنْ مِنْ مُبْغِضٍ قَرَبَ دَارِهِ      وَلَا مِنْ مُحِبٍّ أَنْ يَمْلَأَ فَيْبَعْدَا

- ٢٧٥ -

**الأصل: النَّاسُ فِي الدُّنْيَا عَابِلَانِ:**

عَابِلٌ فِي الدُّنْيَا لِلدُّنْيَا، قَدْ شَقَّقَتْ دُنْيَاهُ عَنْ آخِرَتِهِ، يَخْشَى عَلَى مَنْ يُخْلِفُ الْفَقْرَ، وَيَأْمَنُ عَلَى نَفْسِهِ، فَيُبْنِي عَمْرَهُ فِي مَتَمَعَةِ حَيَرِهِ.

وَعَابِلٌ عَمِلَ فِي الدُّنْيَا لِمَا بَعْدَهَا، فَبَاءَهُ الْإِلَهِي لَهُ مِنَ الدُّنْيَا بِغَيْرِ عَمَلٍ، فَأَخْرَجَ الْحَقَّائِنَ مَعًا، وَمَلَكَ الدَّارَيْنِ جَمِيعًا، فَأَصْبَحَ وَجِيهًا عِنْدَ اللَّهِ، لَا يَسْأَلُ اللَّهَ حَاجَةً فَيُؤْتِمَهُ.

**الشرح:** معنى قوله: «ويأمن على نفسه»، أي ولا يبالي أن يكون هو فقيرًا، لأنه يعيش يعيش الفقراء وإن كان ذا مالٍ، لكنه يدخر المال لولده فَيُبْنِي عَمْرَهُ فِي مَتَمَعَةِ حَيَرِهِ.

ويجوز أن يكون معناه إنه لكثرة ماله قد أَمِنَ الْفَقْرَ عَلَى نَفْسِهِ مَا دَامَ حَيًّا، ولكنه لا يَأْمَنُ الْفَقْرَ عَلَى وَلَدِهِ لَأنه لَا يَثِقُ مِنْ وَلَدِهِ بِحُسْنِ الْاِكْتِسَابِ كَمَا يَثِقُ مِنْ نَفْسِهِ، فَلَا يَزَالُ فِي الْاِكْتِسَابِ وَالْاَزْدِيَادِ مِنْهُ لِمَتَمَعَةِ وَلَدِهِ الَّذِي يَخَافُ عَلَيْهِ الْفَقْرَ بَعْدَ مَوْتِهِ.

فأما العَامِلُ فِي الدُّنْيَا لِمَا بَعْدَهَا فَهُمْ أَصْحَابُ الْعِبَادَةِ، يَأْتِيهِمْ رِزْقُهُمْ بِغَيْرِ اِكْتِسَابٍ وَلَا كَدٍّ، وَقَدْ حَصَلَتْ لَهُمُ الْآخِرَةُ، فَقَدْ حَصَلَ لَهُمُ الْحَقَّانُ جَمِيعًا.

**الأصل:** وَرَوَى أَنَّهُ ذُكِرَ عِنْدَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ فِي أَيَّامِهِ حُلِّيَ الْكَعْبَةُ وَكَثُرَتْهُ، فَقَالَ قَوْمٌ: لَوْ أَخَذْتَهُ فَجَهَزْتَهُ بِوَجُوشِ الْمُسْلِمِينَ، كَانَ أَحْظَمَ لِلْأَجْرِ، وَمَا تَضَعُ الْكَعْبَةُ بِالْحُلِيِّ فَهُمْ عُمَرُ بِذَلِكَ، وَسَأَلَ عَنْهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام؛ فَقَالَ: إِنَّ هَذَا الْقُرْآنُ أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ عليه السلام، وَالْأَمْوَالُ أَرْبَعَةٌ: أَمْوَالُ الْمُسْلِمِينَ، فَقَسَمَهَا بَيْنَ الْوَرَثَةِ فِي الْفَرَاغِ، وَالْفَنَى، فَقَسَمَهُ عَلَى مُسْتَحَقِّهِ، وَالْخُمْسُ قَوْضَاهُ اللَّهُ حَيْثُ وَضَعَهُ، وَالصَّدَقَاتُ فَعَمَلُهَا اللَّهُ حَيْثُ جَعَلَهَا، وَكَانَ حُلِّيَ الْكَعْبَةِ فِيهَا يَوْمِيذٍ، فَتَرَكَهُ اللَّهُ عَلَى حَالِهِ، وَلَمْ يَتْرُكْهُ نِسْيَانًا، وَلَمْ يَخُفْ عَنْهُ مَكَانًا، فَأَقْرَهُ حَيْثُ أَقْرَهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: لَوْلَاكَ لَا تَقْضِي خَنَا وَتَرِكَ الْحُلِيَّ بِحَالِهِ.

**الشرح:** هذا استدلال صحيح، ويمكن أن يورد على وجهين:

أحدهما: أن يقال: أصلُ الأشياءِ الحظر والتحريم، كما هو مذهب كثيرٍ من أصحابنا البغداديين، فلا يجوز التصرف في شيء من الأموال والمنافع إلا بإذن شرعي، ولم يوجد إذن شرعي في حُلِّيِ الْكَعْبَةِ، فبقينا فيه على حُكْمِ الْأَصْلِ.

والوجه الثاني: أن يقال: حُلِّيِ الْكَعْبَةِ مال مختص بالكعبة، هو جَارٍ مَجْرَى سُتُورِ الْكَعْبَةِ، وَمَجْرَى بَابِ الْكَعْبَةِ، فكما لا يجوز التصرف في سُتُورِ الْكَعْبَةِ وبابها إلا بنقض فكذلك حُلِّيِ الْكَعْبَةِ، والجامع بينهما الاختصاص الجاعلُ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْ ذَلِكَ كَالْجُزْءِ مِنَ الْكَعْبَةِ، فعلى هذا الوجه ينبغي أن يكون الاستدلالُ.

ويجب أن يُحْمَلَ كَلَامُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام عليه، وَأَلَّا يُحْمَلَ عَلَى ظَاهِرِهِ، لِأَنَّهُ لَمَعْتَرِضٌ أَنْ يَعْتَرِضَ اسْتِدْلَالُهُ إِذَا حُمِلَ عَلَى ظَاهِرِهِ، بِأَنَّهُ يَقُولُ: الْأَمْوَالُ الْأَرْبَعَةُ الَّتِي عَدَّدَهَا إِنَّمَا قَسَمَهَا اللَّهُ تَعَالَى حَيْثُ قَسَمَهَا لِأَنَّهَا أَمْوَالٌ مُتَكَرِّرَةٌ بِتَكَرُّرِ الْأَوْقَاتِ عَلَى مَرِّ الزَّمَانِ يَذْهَبُ الْمَوْجُودُ مِنْهَا وَيُخْلَفُهُ غَيْرُهُ، فَكَانَ الْإِعْتِنَاءُ بِهَا أَكْثَرَ، وَالْإِهْتِمَامُ بِوُجُودِهَا أَشَدَّ، لِأَنَّ حَاجَاتِ الْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَأَمْثَالَهُمْ مِنْ ذَوِي الْإِسْتِحْقَاقِ كَثِيرَةٌ وَتَتَجَدَّدُ بِتَجَدُّدِ الْأَوْقَاتِ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ حُلِّيِ الْكَعْبَةِ، لِأَنَّهُ مَالٌ وَاحِدٌ بَاقٍ غَيْرُ مُتَكَرِّرٍ، وَأَيْضًا فَهُوَ شَيْءٌ قَلِيلٌ يَسِيرٌ، لَيْسَ مِثْلُهُ مِمَّا يَقَالُ: يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ الشَّارِعُ قَدْ تَعَرَّضَ لَوْجُودِ مُصْرَفِهِ حَيْثُ تَعَرَّضَ لَوْجُودِ مُصْرَفِ الْأَمْوَالِ، فَانْتَرَقَ الْمَوْضِعَانِ.

- ٢٧٧ -

**الأصل:** رُوِيَ أَنَّهُ رُفِعَ إِلَيْهِ رَجُلَانِ سَرَقَا مِنْ مَالِ اللَّهِ، أَحَدُهُمَا عَبْدٌ مِنْ مَالِ اللَّهِ، وَالْآخَرُ مِنْ غُرَضِي النَّاسِ، فَقَالَ: أَمَّا هَذَا فَهُوَ مِنْ مَالِ اللَّهِ فَلَا حَدَّ عَلَيْهِ، مَالُ اللَّهِ أَكْلُ بَعْضُهُ بَعْضًا، وَأَمَّا الْآخَرُ فَعَلَيْهِ الْحَدُّ الشَّيْءُ. فَقَطَعَ يَدَهُ.

**الشرح:** هذا مذهب الشيعة أن عبد المَغْنَمِ إذا سَرَقَ من المَغْنَمِ لم يَقْطَعْ، فأما العبدُ الغريبُ إذا سَرَقَ من المَغْنَمِ فإنه يَقْطَعْ إذا كان ما سَرَقَهُ زائدًا عما يَسْتَحِقُّهُ من الغنيمة بمقدار النصاب الذي يجب فيه القَطْع، وهو رُئُعُ دينار، وكذلك الحرُّ إذا سَرَقَ من المَغْنَمِ حُكْمُهُ هذا الحُكْمُ بِعَيْنِهِ، فَوَجِبَ أَنْ يَحْمَلَ كَلَامَ أمير المؤمنين على أن العبدَ المَقْطُوعَ قد كان سَرَقَ من المَغْنَمِ ما هو أَرَبُّهُ من حَقِّهِ من الغنيمة بمقدارِ النصاب المذكور أو أكثر.

فأما الفقهاء فإنهم لا يُوجِبُونَ القَطْعَ على مَنْ سَرَقَ من مال الغنيمة قبل قِسْمَتِهَا، سواء كان ما سَرَقَهُ أكثر من حَقِّهِ أو لم يكن، لأنَّ مُخَالَطَةَ حَقِّهِ وَمُؤَاوَجَتَهُ للمسروق شُبْهَةٌ فِي الْجُمْلَةِ تَمْنَعُ من وجوب القَطْع، هذا إن كان له حَقٌّ فِي الغنيمة بأن يكونَ شَهِيدَ الْقِتَالِ بِإِذْنِ سَيِّدِهِ، فإن لم يكن ذلك وكان لسيده فيها حَقٌّ لم يَقْطَعْ أيضًا، لأنَّ حِصَّةَ سَيِّدِهِ الشَّاعَةُ شُبْهَةٌ تَمْنَعُ من قَطْعِهِ، فإن لم يَشْهَدْ الْقِتَالَ ولا شَهِدَهُ سَيِّدُهُ وسَرَقَ من الغنيمة قبل الْقِسْمَةِ ما يجب فِي مِثْلِهِ القَطْعُ وَجِبَ عَلَيْهِ القَطْعُ.

- ٢٧٨ -

**الأصل:** لَوْ قَدْ اسْتَوَتْ قَدَمَايَ مِنْ هَذِهِ الْمَدَاحِضِ لَتَغَيَّرَتْ أَشْيَاءُ.

**الشرح:** لَسْنَا نَشْكُ أَنَّهُ كَانَ يَذْهَبُ فِي الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ وَالْقَضَايَا إِلَى أَشْيَاءٍ يُخَالِفُ فِيهَا أَقْوَالَ الصَّحَابَةِ، نَحْوَ قَطْعِهِ يَدِ السَّارِقِ مِنْ رُؤُوسِ الْأَصَابِعِ، وَبَيْعِهِ أَتَهَاتِ الْأَوْلَادِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَإِنَّمَا كَانَ يَمْنَعُهُ مِنْ تَغْيِيرِ أَحْكَامٍ مَن تَقَدَّمَ اشْتِغَالُهُ بِغَرَبِ الْبُعَاةِ وَالْخَوَارِجِ، وَإِلَى ذَلِكَ بِشِيرُ بِالْمَدَاحِضِ الَّتِي كَانَ يَوْمَلُ اسْتَوَاءَ قَدَمَيْهِ مِنْهَا، وَلِهَذَا قَالَ لِقَضَائِهِ: «اقْضُوا كَمَا كُنْتُمْ تَقْضُونَ حَتَّى يَكُونَ لِلنَّاسِ جَمَاعَةٌ»، فَلَنُظَلَّةَ (حَتَّى) - هَامِنَا - مُؤَذِّنَةً بِأَنَّهُ فَسَحَ لَهُمْ فِي اتِّبَاعِ عَادَتِهِمْ فِي الْقَضَايَا

والأحكام التي يَعِدُونَهَا إِلَى أَنْ يَصِيرَ لِلنَّاسِ جَمَاعَةٌ، وَمَا بَعْدَ «إِلَى» وَ«حَتَّى» يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ مُخَالَفًا لِمَا قَبْلَهُمَا.

فَأَمَّا أَصْحَابُنَا فَيَقُولُونَ: إِنَّهُ كَانَ فِيمَا يُحَاوِلُ أَنْ يَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ مُجْتَهِدًا، وَيَجُوزُ لغيرِهِ مِنَ الْمُجْتَهِدِينَ مُخَالَفَتُهُ.

وَالْإِمَامِيَّةُ تَقُولُ: مَا كَانَ يَحْكُمُ إِلَّا عَنْ نَصِّ وَتَوْقِيفٍ، وَلَا يَجُوزُ لِأَحَدٍ مِنَ النَّاسِ مُخَالَفَتُهُ. وَالْقَوْلُ فِي صَحَّةِ ذَلِكَ وَفَسَادِهِ فَرْعٌ مِنْ فُرُوعِ مَسْأَلَةِ الْإِمَامَةِ.

- ٢٧٩ -

الأصل: اَعْلَمُوا عِلْمًا يَبِينُ أَنَّ اللَّهَ لَمْ يَجْعَلْ لِلْعَبْدِ وَإِنْ عَظُمَتْ حِيلَتُهُ، وَاشْتَدَّتْ طَلِبَتُهُ، وَقَوِيَّتْ مَكِيدَتُهُ، أَكْثَرَ مِمَّا سُمِّيَ لَهُ فِي الذِّكْرِ الْحَكِيمِ، وَلَمْ يَحُلْ بَيْنَ الْعَبْدِ فِي ضَعْفِهِ وَقَلَّةِ حِيلَتِهِ، وَبَيْنَ أَنْ يَتَلَعَّ مَا سُمِّيَ لَهُ فِي الذِّكْرِ الْحَكِيمِ. وَالْعَارِفُ لِهَذَا، الْعَايِلُ بِهِ، أَعْظَمُ النَّاسِ رَحْمَةً فِي مَنْفَعَةٍ، وَالتَّارِكُ لَهُ، الشَّاكُّ فِيهِ، أَعْظَمُ النَّاسِ شُغْلًا فِي مَضَرَّةٍ. وَرُبَّ مُنْعَمٍ عَلَيْهِ مُسْتَدْرِجٍ بِالنُّعْمَى، وَرُبَّ مُبْتَلَى مُضْئِجٍ لَهُ بِالْبَلَوَى. فَرِّدْ أَيُّهَا الْمُسْتَمِعُ فِي شُكْرِكَ، وَقَصِّرْ مِنْ عَجَلَتِكَ، وَقِفْ عِنْدَ مُتَنَهَى رِزْوَانِكَ.

الشرح: قد تقدّم القول في الجزس والجشع وذمهما وذم الكاوح في طلب الرزق، ومذح القناعة والاعتصار، ونذكر هنا طرَفًا آخر من ذلك. قال بعض الحكماء: وجدت أطول الناس غمًا الحسود، وأما هم عيشًا القنوع، وأصبرهم على الأذى الحريص، وأخفصهم عيشًا أرخصهم للدنيا، وأعظمهم ندامة العالم المفرط.

وقال عمر: القمع فقر، والياس غنى، ومن يش مما عند الناس استغنى عنهم. وقيل لبعض الحكماء: ما الغنى؟ قال: قلّة تمنّيك، ورياضك بما ينجّيك، ولذلك قيل: العيش ساعات تمرّ، وخطوب تكثر. وقال الشاعر:

اقتنع بعيشك ترزضه      واترك هواك وأنت حُرُّ  
فلرب حثيف فوقه      ذهاب وواقوثة ودُرُّ  
وقال آخر:

إلى متى أنا في جِلٍّ وتَرْحالٍ      من طول سَفْيٍ وإدبارٍ وإقبالٍ  
ونازح الدارِ لا أنفَكُ مغترباً      عن الأحبة لا يَذرون ما حالي  
بمشرق الأرض طَوَّراً ثم مغربها      لا يخطر الموت من جرحٍ على بالي  
ولو قَنِعتُ أناني الرزق في دَعَةٍ      إنَّ القُنُوعَ الغِنَى لا كثرَةُ المالِ  
وجاء في الخبر المرفوع: «أَجْمَلُوا في الطلب، فإنه ليس لعبيد إلا ما كُتِبَ له، ولن يَخْرُجَ  
عبدٌ من الدنيا حتى يَأْتِيَهُ ما كُتِبَ له في الدنيا وهي راحة»<sup>(١)</sup>.

- ٢٨٠ -

**الأصل:** لا تَجْمَلُوا عِلْمَكُمْ جَهْلًا، وَبِقِيَّتِكُمْ شَكًّا، إِذَا عَلِمْتُمْ فاعْمَلُوا، وَإِذَا تَبَيَّنَتْ فاقْدِمُوا.

**الشرح:** هذا نهْيٌ للعلماء عن تَرْكِ العمل، يقول: لا تَجْمَلُوا عِلْمَكُمْ كالجَهِلِّ، فَإِنَّ الجاهلَ قد يقول: جَهِلْتُ فلم أَعْمَلْ، وأنتم فلا تُحْذِرْ لكم، لأنكم قد عَلِمْتُمْ وانكشفت لكم بَرُّ الأمر، فَوَجِبَ عليكم أن تَعْمَلُوا، ولا تَجْمَلُوا عِلْمَكُمْ جَهْلًا، فَإِنَّ مَنْ عِلِمَ المنفعة في أمرٍ ولا حائل بينه وبينه ثم لم يَأْتِهِ كان سَفِيهًا.

- ٢٨١ -

**الأصل:** إِنْ الطَّمَعُ مُورِدٌ غَيْرُ مُضْهِرٍ، وَضَائِرٌ غَيْرُ وَفِيٍّ، وَرُبَّمَا شَرِقَ شَارِبُ الْمَاءِ قَبْلَ رِيٍّ، وَكُلَّمَا عَظُمَ قَدْرُ الشَّيْءِ الْمُتَنَاقَسِ فِيهِ عَظُمَتِ الرِّزْيَةُ لِفَقْدِهِ، وَالْأَمَانِيُّ تُغْمِي أَغْيُنَ الْبَصَائِرِ، وَالْحَظُّ يَأْتِي مَنْ لَا يَأْتِيهِ.

**الشرح:** قد تقدم القول في هذه المعاني كلها.

وقد ضرب الحكماء مثلاً لفرط الطمع، فقالوا: إن رجلاً صَادَ قُبْرَةً فقالت: ما تريد أن

(١) أخرج نحوه ابن ماجه، كتاب: التجارات، باب: الاقتصاد في طلب المعيشة (٢١٤٤)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٠١٤٧).



تصنع بي؟ قال: أذبحك وأكلك، قالت: والله ما أشفي من قَرَم، ولا أشبع من جُوع، ولكني أعلمك ثلاث خصالٍ هنَّ خيرٌ لك من أكلِي، أما واحدة فأعلمك إياها وأنا في يدك، وأما الثانية فإذا صرْتُ على الشجرة، أما الثالثة فإذا صرْتُ على الجبل. فقال: هاتي الأولى، قالت: لا تَلْهَقَنَّ على ما فات، فخلّاهَا، فلما صارت على الشجرة قال: هاتي الثانية، قالت: لا تُصدّقَنَّ بما لا يكون أنه يكون، ثم طارت، فصارت على الجبل، فقالت: يا شقِي لو ذُبَحْتَنِي لأخرَجْتَنِي من حَوْصَلَتِي دُرَّتَيْنِ وزنُ كُلِّ واحدةٍ ثلاثون مثقالاً، فعَضَّ على يَدَيْهِ وتَلَهَّفَ تَلَهُّفاً شديداً، وقال: هاتي الثالثة، فقالت: أنت قد أنسيْتَ الاثنين، فما تصنع بالثالثة؟ ألم أقل لك: لا تَلْهَقَنَّ على ما فات! وقد تَلَهَّفْتَنِي، وألم أقل لك لا تُصدّقَنَّ بما لا يكون أنه يكون، وأنا وَلَحَمِي وَدَمِي وريشي لا يكون عشرين مثقالاً، فكيف صدقت أن في حَوْصَلَتِي دُرَّتَيْنِ كُلِّ واحدةٍ منهما ثلاثون مثقالاً! ثم طارت وذهبت.

وقوله: وربما شَرِقَ شاربُ الماء قبلَ رِيهِ، كلامٌ فصيح، وهو مَثَلٌ لمن يُخْتَرَمَ بَغْتَةً، أو تَطَرُّفه الحوادثُ والمُحْطوب وهو في تَلَهُّفَةٍ مِنْ عَيْنِهِ.

ومثل الكلمة الأخرى قولهم: على قدر العطية تكون الرزية.

والقول في الأمانى قد أوسعنا القول فيه من قبل، وكذلك في المحظوظ.

- ٢٨٢ -

**الأصل:** اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ تَحْسُنَ فِي لَائِمَةِ الْعُيُونِ عَلَانَتِي، وَتَقْبَحَ فِيمَا أَبْطَنَ لَكَ سِرِّي، مُحَافِظاً عَلَى رِيَاءِ النَّاسِ مِنْ نَفْسِي بِجَمِيعِ مَا أَنْتَ مُطَّلَعٌ عَلَيْهِ مِنِّي، فَأُبْدِي لِلنَّاسِ حُسْنَ ظَاهِرِي، وَأُلْفِي بِإِلَيْكَ سَوْءَ عَمَلِي، تَقَرُّباً إِلَى عِبَادِكَ، وَتَبَاعُداً مِنْ مَرْصَاتِكَ.

**الشرح:** قد تقدّم القول في الرِّياء، وأن يظهر الإنسان من العبادة والفعل الجميل ما يُبطن غيره، ويقصد بذلك السُّمعة والصِّيت لا وجه الله تعالى.

وقد جاء في الخبر المرفوع: «أَخَوْفُ مَا أَخَافُ عَلَى أَمْنِي الرِّياءَ والشَّهْوَةَ الخفية»<sup>(١)</sup>.

قال المفسرون: والرِّياء من الشَّهْوَةِ الخفية، لأنه شَهْوَةُ الصِّيت والجاه بين الناس بأنه متين

الدين، مواظب على نوافل العبادات، وهذه هي الشهوة الخفية، أي ليست كشهوة الطعام والنكاح وغيرهما من المَلَذَّ الحسية.

وفي الخبر المرفوع أيضاً: أَنَّ الْيَسِيرَ مِنَ الرِّيَاءِ شِرْكٌ، وَأَنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْأَتْقِيَاءَ الْأَخْفِيَاءَ الَّذِينَ هُمْ فِي بُيُوتِهِمْ إِذَا غَابُوا لَمْ يُفْتَقَدُوا، وَإِذَا حَضَرُوا لَمْ يُعْرَفُوا، قُلُوبُهُمْ مَصَابِيحُ الْهَدَى، يَنْجُونَ مِنْ كُلِّ غَبْرَاءٍ مُظْلِمَةٍ<sup>(١)</sup>.

- ٢٨٣ -

**الأصل:** وَقَالَ ﷺ: لَا وَالَّذِي أَمْسَيْنَا مِنْهُ فِي غُبَرٍ لَيْلَةٍ دَفَعْنَا، تَكْثِيرٌ عَنْ يَوْمٍ آخَرَ، مَا كَانَ كَذَا وَكَذَا.

**الشرح:** قَدْ رُوِيَ: «تَفَرَّعَ عَنْ يَوْمٍ آخَرَ».

وَالْغُبَرُ: الْبَقَايَا، وَكَذَلِكَ الْإِخْبَارُ، وَكَثُرَ أَيِ بَسَمَ، وَأَصْلُهُ الْكُثْفُ.

وَهَذَا الْكَلَامُ إِمَّا أَنْ يَكُونَ قَالَهُ عَلَى جِهَةِ التَّضَاوُلِ، أَوْ أَنْ يَكُونَ إِخْبَاراً بِغَيْبٍ، وَالْأَوَّلُ أَوْجَهُ.

- ٢٨٤ -

**الأصل:** قَلِيلٌ تَذَوُّمٌ عَلَيْهِ، أَرْجَى مِنْ كَثِيرٍ مَمْلُوءٍ مِنْهُ.

**الشرح:** لَا رَيْبَ أَنَّ مَنْ أَرَادَ حِفْظَ كِتَابٍ مِنَ الْكُتُبِ الْعِلْمِيَةِ فَحَفِظَ مِنْهُ قَلِيلاً قَلِيلاً، وَدَامَ عَلَى

ذَلِكَ، فَإِنَّ ذَلِكَ أَنْفَعُ لَهُ وَأَرْجَى لِفَلَاحِهِ مِنْ أَنْ يَحْفَظَ كَثِيراً، وَلَا يَذَوُّمُ عَلَيْهِ لِمَلَالِهِ إِيَّاهُ وَصَحْبِهِ مِنْهُ، وَالتَّجَرِبَةُ تَشْهَدُ بِذَلِكَ.

وَالْقَوْلُ فِي غَيْرِ الْحِفْظِ كَالْقَوْلِ فِي الْحِفْظِ، نَحْوُ الزَّيَارَةِ الْقَلِيلَةِ لِلصَّدِيقِ، وَنَحْوِ الْعَطَاءِ الْبَسِيرِ الدَّائِمِ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ مِنَ الْكَثِيرِ الْمَنْقُطِ، وَنَحْوُ ذَلِكَ.

- ٢٨٥ -

الأصل: إِذَا أَصْرَبَ التَّوَائِلُ بِالْفَرَائِضِ فَأَرْقُصُوا.

الشرح: قد تقدم القول في النافلة: هل تصح من عليه فريضة لم يؤدّها، وذكرنا مذاهب الفقهاء في ذلك.

ولا ريب أنّ من استغرق الوقت بالتوافل حتى آن أوقات الفرائض لم يفعل الفرائض فيها، وسَعَلَهَا بِالْعِبَادَةِ الثَّقَلِيَّةِ، فقد أخطأ، والواجب أن يَرُقُصَ النافلة حيث يتضيّق وقت الفريضة، لا خلاف بين المسلمين في ذلك، ويصلح أن يكون هذا مثلاً ظاهره ما ذكرنا، وباطنه أمر آخر.

- ٢٨٦ -

الأصل: مَنْ تَذَكَّرَ بَعْدَ السَّفَرِ اسْتَعَدَّ.

الشرح: هذا مثل قولهم في المثل: «الليل طویل، وانت مقبر»، وقال أيضاً: عَشَّ ولا تَعْتَر. وقال أصحاب المعاني: مثل الدنيا كركب في فلاة ورَدُوا ماءً طيباً، فمنهم من شرب من ذلك الماء شرباً يسيراً، ثم أفكر في بُعد المسافة التي يقصِدونها، وأنّه ليس بعد ذلك الماء ماءً آخر، فتزوّد منه ماءً أوصلّه إلى مقصده، ومنهم من شرب من ذلك الماء شرباً عظيماً، ولها عن الزوّد والاستعداد، وظنّ أنّ ما شرب كافٍ له ومُعِنْ عن ادّخار شيء آخر، فقطع به، وأخلّفه ظنّه، فطعش في تلك الفلاة ومات.

وقد روي عن النبي ﷺ أنّه قال لأصحابه: «إنما مثلي ومثلكم ومثل الدنيا كقوم سلكوا مفازة غبراء حتى إذا لم يَدْرُوا ما سلكوا منها أكثر أم ما بقي! أنفدوا الزاد وحسروا الظهر، وبقوا بين ظهرائي المفازة لا زاد ولا حَمُولَة، فأيقنوا بالهلكة، فبينما هم كذلك خرج عليهم رجل في حُلّة يقطر رأسه ماء، فقالوا: هذا قريب عهد بريف، وما جاءكم هذا إلا من قريب، فلما انتهى إليهم وشاهد حالهم قال: أرايتم إن هديتكم إلى ماء زوّاء، ورياض خضر ما تعملون؟ قالوا: لا نَعْبِصُكَ شيئاً، قال: عهدكم ومواثيقكم بالله، فأعطوه ذلك، فأوردهم ماء زوّاء ورياضاً خضراً، ومكث بينهم ما شاء الله، ثم قال: إني مفارقكم، قالوا: إلى أين؟ قال: إلى ماء ليس

كما فيكم، ورياضي ليست كرياضيكم، فقال الأَكثَرُونَ منهم: والله ما وَجَدْنَا ما نحن فيه حتى ظننا أننا لا نجد، وما نَصْنَعُ بمنزلة خير من هذا! وقال الأَقَلُّونَ منهم: ألم تُعْطُوا هذا الرجل مَوَائِقَكُمْ وعهودكم بالله لا تُعْصِرُونَهُ شيئاً، وقد صدقكم في أوّل حديثه، والله ليصدّقنكم في آخره، فراحَ فِيمَنْ تَبِعَهُ منهم، وتخلّف الباقيون، فدَمَعَهُم عدوٌ شديد البأس عظيم الجيش، فأصْبَحُوا ما بين أسيرٍ وقَتيلٍ<sup>(١)</sup>.

- ٢٨٧ -

**الأصل:** لَيْسَتْ الرُّؤْيَا مَعَ الإِبْصَارِ، فَقَدْ تَكْذِبُ العُيُونُ أَهْلَهَا، وَلَا يَغْنُثُ العَقْلُ مَنْ اسْتَنْصَحَهُ.

**الشرح:** هذا مثلُ قوله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا لَا تَمُنُّ بِالْأَبْصَارِ وَلَكِنْ تَمُنُّ الْقُلُوبُ إِلَهِي فِي السُّدُورِ﴾<sup>(٢)</sup>. أي ليس العَمَى عَمَى العين، بل عَمَى القَلْب. كذلك قولُ أمير المؤمنين عليه السلام، ليست الرؤية مع العُيُون، وإنما الرؤية الحقيقية مع العُقُول. وقد ذهب أكابرُ الحُكَمَاءِ إلى أن اليَقِينِيَّاتِ هي المَعْقُولَاتِ لا المَحْسُوسَاتِ، قالوا: لأنَّ حُكْمَ الحِسِّ في مَظَنَّةِ العَلَطِ، وطالَ ما كَذَبَ الحِسُّ، واعتقدنا بطريقه اعتقادات باطلة، كما نرى الكبيرَ صغيراً، والصغيرَ كبيراً، والمتحركَ ساكناً، والساكنَ متحركاً، فأما العقل فإذا كان المعقول به بديهيّاً أو مُسْتَبْدَداً إلى مُقَدِّمَاتٍ بديهيّة فإنه لا يَقَعُ فيه غَلَطٌ أضلاً.

- ٢٨٨ -

**الأصل:** بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ المَوْعِظَةِ حِجَابٌ مِنَ الغُرَّةِ.

**الشرح:** قد تقدّم ذكرُ الدُّنْيَا وغُرُورها، وأنها بِشَهَوَاتِهَا وَلَذَائِهَا حِجَابٌ بين العبد وبين المَوْعِظَةِ، لأنَّ الإنسانَ يَغْتَرُّ بالعَاجِلَةِ، ويتوهم دَوَامَ ما هو فيه، وإذا خَطَرَ بِيَالِهِ المَوْتُ والفَنَاءُ وَعَدَّ

(١) أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (١/١٧٦)، وابن رجب الحنبلي في «جامع العلوم والحكم» (١/٣٨١).

(٢) سورة الحج، الآية: ٤٦.

نفسه رحمة الله تعالى وعفوه، هذا إن كان ممن يعترف بالمعاد، فإن كثيراً ممن يظهر القول بالمعاد هو في الحقيقة غير مستيقن له، والإخلاص إلى عفو الله تعالى والالتكال على المغفرة مع الإقامة على المعصية، غرور لا محالة، والحازم من قول لما بعد الموت، ولم يمت نفسه الأمانى التي لا حقيقة لها.

- ٢٨٩ -

**الأصل:** جَاهِلُكُمْ مُزْدَادٌ، وَهَالِكُكُمْ مُسَوِّفٌ.

**الشرح:** هذا قريب مما سلف: يقول: إن الجاهل من الناس مُزْدَادٌ من جهله، مُصِرٌّ على خطيئته، مُسَوِّفٌ من توهّماته وعقيدته الباطلة بالعفو عن ذنبه، وليس الأمر كما توهّمه. ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَمْلِكُ سَوْأَ يُجَزِّ بِه. وَلَا يَجِدُ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾<sup>(١)</sup>.

- ٢٩٠ -

**الأصل:** قَطَعَ الْعِلْمُ عِزَّ الْمُتَعَلِّلِينَ.

**الشرح:** هذا أيضاً قريب مما تقدم، يقول: قَطَعَ الْعِلْمُ عِزَّ الَّذِينَ يُعَلِّلُونَ أَنْفُسَهُمْ بِالْبَاطِلِ، ويقولون: إنَّ الرَّبَّ كَرِيمٌ رَحِيمٌ، فلا حاجة لنا إلى إعتاب أنفسنا بالعبادة، كما قال الشاعر:

قَدِمْتُ عَلَى الْكَرِيمِ بِغَيْرِ زَادٍ      مِنْ الْأَعْمَالِ ذَا ذَنْبٍ عَظِيمٍ  
وَسُوءِ الظَّنِّ أَنْ تَعْتَدَ زَاداً      إِذَا كَانَ الْقُدُومُ عَلَى الْكَرِيمِ

وهذا هو التعليل بالباطل، فإن الله تعالى وإن كان كريماً رحيماً عفواً غفوراً، إلا أنه صادق القول، وقد توعد العصاة وقال: ﴿وَلَا الْفَجَّارُ لِي بِحَبِيرٍ﴾<sup>(٢)</sup> يَصَلُّونَ يَوْمَ الْبَيْنِ ﴿٥﴾ وَمَا مِنْهَا بَأْسٌ<sup>(٣)</sup>، وقال: ﴿لَا تَحْشَرُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِالْوَيْدِ مَا يُبَدِّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ

(٢) سورة الانفطار، الآيات: ١٤ - ١٦.

(١) سورة النساء، الآية: ١٢٣.

قَيِّدُ<sup>(١)</sup>، ويكفي في رحمته وعفوه وكرمه أن يغفر للتائب أو لمن ثوابه أكثر مما يستحقه من العقاب، فالقول بالوعيد معلوم بأولئـه السمع المتظاهرة المتناصرة التي قد أطنب أصحابنا في تعدادها وإيضاحها، وإذا كان الشيء معلوماً، فقد قطع العلم به عذر أصحاب التعلل والتـمـني، ووجب العمل بالمعلوم ورفض ما يخالفه.

- ٢٩١ -

**الأصل:** كُلُّ مُتَاجِلٍ يَسْأَلُ الْإِنْتِظَارَ، وَكُلُّ مُؤَجِّلٍ يَتَعَلَّلُ بِالتَّسْوِيفِ.

**الشرح:** قال الله سبحانه: ﴿حَقَّ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْتَدُّوا ۚ لَعَلَّ أَعْمَلَ صَلَاحًا فِيمَا تَرَكَتُمْ كَلَّا إِنَّهَا لَكِنَّةٌ مِّنْ قَالِبُهَا وَمِن دَرَائِمِهِمْ بَرِيحٌ لِّإِن يَوْرَ يَمُوتُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

فهذا هو سؤال الإنتظار لمن عوَّجِلَ، فأمّا من أُجِّلَ فإنه يعلِّل نفسه بالتسويق، ويقول: سوف أتوب، سوف أفلح عما أنا عليه، فأكثـرهم يُخـتـرم من غير أن يبلُغ هذا الأمل، وتأتي المنيّة وهو على أتبـح حال وأسوءها، ومنهم من تشمله السعادة فيتوب قبل الموت، وأولئك الذين خُيِّمت أعمالهم بخاتمة الخير، وهم في العالم كالشجرة البيضاء في الثور الأسود.

- ٢٩٢ -

**الأصل:** مَا قَالَ النَّاسُ لِشَيْءٍ: طَوْبَى لَهَا إِلَّا وَقَدْ خَبَأَ لَهُ الدَّهْرُ يَوْمَ سَوْمٍ.

**الشرح:** قد تقدم هذا المعنى، وذكرنا فيه نكتاً جيدة.

**بعض ما ورد في تقلبات الدهر**

كان محمد بن عبد الله بن طاهر أمير بغداد في قصره على دجلة يوماً، وإذا بحشيش على وجه الماء، في وسطه قصبة عليها رُقعة، غامر بأخذها، فإذا فيها:

(٢) سورة المؤمنون، الآيةان: ٩٩، ١٠٠.

(١) سورة ق، الآيةان: ٢٨، ٢٩.

نَاة الْأَعْيُرِجِ وَاسْتَوَلَى بِهِ الْبَطَرُ فَقُلْ لَهُ: خَيْرٌ مَا اسْتَعْمَلْتَهُ الْحَذَرُ  
أَحْسَنْتَ ظَنُّكَ بِالْأَيَّامِ إِذْ حَسَنْتَ وَلَمْ تَحْتَفِ سَوْءَ مَا يَأْتِي بِهِ الْقَدَرُ  
وَسَالَمْتُكَ اللَّيَالِي فَاعْتَرَزْتُ بِهَا وَعِنْدَ صَفْوِ اللَّيَالِي يَحْدُثُ الْكَدَرُ  
فَمَا أَتَنَفَّعَ بِنَفْسِهِ مَذَّةً. وَفِي الْمَثَلِ: الدَّهْرُ إِذَا أَتَى بِسَخَوَاءٍ سَخَّحَ، يُعَقِّبُهَا بِنُكْبَاءٍ زَغَزَعَ.  
وَكَذَاكَ شَرِبَ الْعَيْشَ فِيهِ تَلَوْنٌ، يَتَنَاهَا عَذْبًا إِذْ تَحَوَّلَ أَجْنَأً.

يحيى بن خالد:

أَعْطَانَا الدَّهْرَ فَاسْرَفَ، ثُمَّ مَالَ عَلَيْنَا فَأَجْخَفَ.

وقال الشاعر:

فِيَا لِلنَّعِيمِ سَاعِدَتُنَا رِقَابُهُ وَخَاسَتْ بِنَا أَكْفَالُهُ وَالرُّوَادِفُ<sup>(١)</sup>  
إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْمُؤَصِّلِي:

هِيَ الْمَقَادِيرُ تَجْرِي فِي أَعْنَتِهَا فَاصْبِرْ فَلَيْسَ لَهَا صَبْرٌ عَلَى حَالِ  
يَوْمًا تَرِيشُ<sup>(٢)</sup> خُسَيْسَ الْحَالِ تَرْقَعُهُ إِلَى السَّمَاءِ وَيَوْمًا تَخْفِضُ الْعَالِي  
إِذَا أَدْبَرَ الْأَمْرُ أَتَى الشَّرُّ مِنْ حَيْثُ كَانَ يَأْتِي الْخَيْرُ.

هَانِئُ بْنُ مَسْعُودٍ:

إِنْ يَسْرَى أَبَى عَلَى الْمَلِكِ الثُّغْدُ مَا نَحْتِى سَقَاهُ أَمَ الرُّقُوبِ  
كُلُّ مُلْكٍ وَإِنْ تَصْعَدُ يَوْمًا بِأَنْاسٍ يَعُودُ لِلتَّصَوُّبِ  
أَخْبَنَةُ بْنُ الْجَلَّاحِ:

وَمَا يَدْرِي الْفَقِيرُ مَتَى غِنَاهُ وَمَا يَدْرِي الْغَنِيُّ مَتَى يَمِيلُ  
وَمَا تَدْرِي إِذَا أَضْرَبْتَ شَوْلاً أَتَلْقَحُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْ تَجِيلُ  
وَمَا تَدْرِي إِذَا أَزْمَعْتَ سَيْرًا بِأَيِّ الْأَرْضِ يُذَوِّجُكَ الْمَقِيلُ  
آخَرُ:

فَمَا دَرَنَ الدُّنْيَا بِبَاقِي لَاهِلِهِ وَلَا ثِيرَةَ الدُّنْيَا بِفَرَسِيهِ لَا زِمَ  
آخَرُ:

رُبَّ قَوْمٍ غَبَرُوا مِنْ عَيْشِهِمْ فِي سُرُورٍ وَنَعِيمٍ وَعَذَقُوا

(١) الروادف: وراكيب النخلة، والراكوب ما نبت في أصل النخلة وليس له في الأرض عرق اللسان، مادة (ردف).

(٢) تريش: من الريش وهو الخصب والمعاش والمال والأثاث واللباس الحسن الفاخر. اللسان، مادة (ريش).

سَكَّتِ الدَّهْرُ زَمَاناً عَنْهُمْ      نَمَّ أَبْكَاهُمْ دَمَآ حِينَ نَطَقَ  
 وَمِنَ الشَّعْرِ الْمُنْسُوبِ إِلَى مُحَمَّدٍ الْأَمِينِ بْنِ زَيْنَبَ:  
 يَا نَفْسُ قَدْ حَقَّ الْحَذَرُ      أَيْنَ الْفِرَارِ مِنَ الْقَدَرِ  
 كُلُّ أَمْرٍ مِمَّا يَخَا      فِى وَرْتَجِيهِ عَلَى خَطَرِ  
 مِنْ يَرْتَجِفُ صَفْوُ الزَّمَا      نَ يَفْصُصُ يَوْمَاً بِالْكَدَرِ

- ٢٩٣ -

**الأصل:** وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: وَقَدْ سُئِلَ عَنِ الْقَدَرِ: طَرِيقٌ مُظْلِمٌ فَلَا تَسْلُكُوهُ. ثُمَّ سئلَ ثَانِيًا فَقَالَ: بَخْرٌ عَمِيقٌ فَلَا تَلْجُوهُ، ثُمَّ سئلَ ثَالِثًا، فَقَالَ: سِرٌّ اللَّهُ فَلَا تَتَكَلَّفُوهُ.

**الشرح:** قد جاء في الخبر المرفوع: الْقَدَرُ سِرٌّ لَهِىَ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ، وَرُوي: سِرُّ اللَّهِ فِي عِبَادِهِ، وَالْمَرَادُ نَهْيُ الْمُسْتَضْعَفِينَ عَنِ الْخَوْضِ فِي إِرَادَةِ الْكَاتِنَاتِ، وَفِي خَلْقِ أَعْمَالِ الْعِبَادِ، فَإِنَّهُ رُبَّمَا أَفْضَى بِهِمُ الْقَوْلُ بِالْجَبْرِ، لَمَّا فِي ذَلِكَ مِنَ التَّمُوضِ، وَذَلِكَ أَنَّ الْعَامِيَ إِذَا سَمِعَ قَوْلَ الْقَائِلِ: كَيْفَ يَجُوزُ أَنْ يَقَعَ فِي هَآئِلِهِ مَا يَكْرَهُهُ، وَكَيْفَ يَجُوزُ أَنْ تَقْلِبَ إِرَادَةُ الْمَخْلُوقِ إِرَادَةَ الْخَالِقِ؟ وَيَقُولُ أَيْضًا: إِذَا عَلِمَ فِي الْقَدَمِ أَنَّ زَيْدًا يَتَكَبَّرُ، فَكَيْفَ لَزِيدٍ أَنْ لَا يَتَكَبَّرَ؟ وَهَلْ يُمَكِّنُ أَنْ يَقَعَ خِلَافًا مَا عَلَّمَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي الْقَدَمِ، اشْتَبَهَ عَلَيْهِ الْأَمْرُ، وَصَارَ شُبْهَةً فِي نَفْسِهِ، وَقَوِيَ فِي ظَنِّهِ مَذْهَبُ الْمُجْبَرَةِ، فَنَهَى عَلَيْهِ هَؤُلَاءِ عَنِ الْخَوْضِ فِي هَذَا النُّحُوِّ مِنَ الْبَحْثِ، وَلَمْ يَنْهَ غَيْرَهُمْ مِنْ ذَوِي الْعُقُولِ الْكَامِلَةِ، وَالرِّيَاضَةِ الْقَوِيَّةِ، وَالْمَلَكَةِ التَّامَّةِ، وَمَنْ لَهُ قُدْرَةٌ عَلَى حَلِّ الشُّبْهِ، وَالتَّقْصِي الْمَشْكَلَاتِ. فَإِنْ قُلْتَ: فَإِنَّكُمْ تَقُولُونَ: إِنَّ الْعَامِيَ وَالْمُسْتَضْعَفَ يَجِبُ عَلَيْهِمَا النَّظَرُ! قُلْتَ: نَعَمْ إِلَّا أَنَّهُ لَا يَدُلُّهُمَا مِنْ مَوْقِفٍ بَعْدَ إِعْمَالِهَا مَا يَنْتَهِي إِلَيْهِ جُوهُودُهُمَا مِنَ النَّظَرِ، بِحَيْثُ يُرْشِدُهَا إِلَى الصَّوَابِ، وَالتَّهْيِ إِنَّمَا هُوَ لِمَنْ يَسْتَبِذُّ مِنْ ضَعْفَاءِ الْعَامَةِ بِنَفْسِهِ فِي النَّظَرِ وَلَا يَبْتَاحُ مَعَ غَيْرِهِ لِيُرْشِدَهُ.

- ٢٩٤ -

**الأصل:** إِذَا أَرَادَ اللَّهُ عَبْدًا حَظَرَ عَلَيْهِ الْعِلْمَ.



**الشرح:** أَرَدَ: جملة رَدْلًا، وكان يقال: مِنْ علامة يُغْضِ اللهُ تعالى للمبدَأَنْ يُغْضِ إِلَيْهِ الْعِلْمُ.  
وقال الشاعر:

شَكَوْتُ إِلَى وَكَيْعٍ سُوءَ جَفَظِي      فَأَرْشَدَنِي إِلَى تَرْكِ الْمَعَاصِي  
وَقَالَ لَأَنْ حَفِظَ الْعِلْمَ فَضْلٌ      وَفَضْلُ اللَّهِ لَا يُوتِيهِ عَاصِي

وقال رجل لحكيم: ما خَيْرُ الْأَشْيَاءِ لِي؟ قَالَ: أَنْ تَكُونَ عَالِمًا، قَالَ: فَإِنْ لَمْ أَكُنْ؟ قَالَ: أَنْ  
تَكُونَ مُثْرِيًا، قَالَ: فَإِنْ لَمْ أَكُنْ؟ قَالَ: أَنْ تَكُونَ شَارِيًا، قَالَ: فَإِنْ لَمْ أَكُنْ؟ قَالَ: فَانْ تَكُونَ  
مَيْتًا.

أخذ هذا المعنى بعضُ المحدثين فقال:

إِذَا فَاتَكَ الْعِلْمُ جُذِّ بِالْقَرَى      وَإِنْ فَاتَكَ الْمَالُ سُبِّ بِالْقِرَاعِ  
فَإِنْ فَاتَكَ هَذَا وَهَذَا وَذَاكَ      فَمِتْ فحَيَاتُكَ شَرُّ الْمَتَاعِ

وقال أيضاً في المعنى بعينه:

وَلَوْ لَا الْحِجَابُ وَالْقَرَى وَالْقِرَاعُ      لَمَّا فَضَّلَ الْآخِرَ الْأَوَّلَا  
ثَلَاثٌ مِنِّي يَخْلُ مِنْهَا الْفَتَى      يَكُنْ كَالْبَهِيمَةِ أَوْ أَرْدَلَا

- ٢٩٥ -

**الأصل:** وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: كَانَ لِي فِيمَا مَضَى أَحٌ فِي اللَّهِ، وَكَانَ يُعَظِّمُهُ فِي عَيْنِي صَعْرُ الدُّنْيَا فِي  
عَيْنِي، وَكَانَ خَارِجًا مِنْ سُلْطَانِ بَطْنِي، فَلَا يَنْشَهُ مَا لَا يَجِدُ، وَلَا يُخَيِّرُ إِذَا وَجَدَ،  
وَكَانَ أَكْثَرَ دَفْعِهِ صَابِتًا، فَإِنْ قَالَ بَدَّ الْقَائِلِينَ، وَنَقَعَ حُلِيلَ السَّائِلِينَ، وَكَانَ ضَعِيفًا مُسْتَظْفَعًا، فَإِنْ  
جَاءَ الْجِدُّ فَهُوَ لَيْتٌ عَادٍ، وَصِلٌ وَادٍ، لَا يُبْلِي بِحُبِّهِ حَتَّى يَأْتِيَ قَانِصِيًا، كَانَ لَا يَلُومُ أَحَدًا عَلَى مَا  
لَا يَجِدُ الْعُذْرَ فِيهِ وَنِيلَهُ حَتَّى يَسْمَعَ اغْتِيَاؤَهُ، وَكَانَ لَا يَشْكُو وَجَعًا إِلَّا جِندَ بَرِّهِ، وَكَانَ يَفْعَلُ مَا  
يَقُولُ، وَلَا يَقُولُ مَا لَا يَفْعَلُ، وَكَانَ إِنْ حُلِبَ عَلَى الْكَلَامِ لَمْ يَغْلِبْ عَلَى السُّكُوتِ، وَكَانَ عَلَى أَنْ  
يَسْمَعَ أَحْرَصَ مِنْهُ عَلَى أَنْ يَتَكَلَّمَ، وَكَانَ إِذَا بَدَعَهُ أَمْرَانِ نَظَرَ إِلَيْهِمَا أَقْرَبَ إِلَى الْهُوَى فَحَالَتهُ،  
فَعَلَيْكُمْ بِهِذِهِ الْخَلَائِقِ فَالزَّمُوهَا، وَتَنَاسَّوْا فِيهَا، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِيعُوا فَاغْلَمُوا أَنْ أَخَذَ الْقَلِيلُ خَيْرٌ  
مِنْ تَرْكِ الْكَثِيرِ.

**الشرح:** قد اختلف الناس في المعنى بهذا الكلام، ومن هو هذا الأخ المشار إليه؟ فقال قوم: هو رسول الله ﷺ، واستبعدوه قوم لقوله: «وكان ضعيفاً مستضعفاً»، فإن النبي ﷺ لا يقال في صفاته مثل هذه الكلمة، وإن أمكن تأويلها على لين كلامه وسماحة أخلاقه، إلا أنها غير لائقة به ﷺ.

وقال قوم: هو أبو ذر الغفاري واستبعدوه قوم لقوله: «فإن جاء الجذ فهو ليث عادٍ، وصلِّ واده»، فإن أبا ذر لم يكن من الموصوفين بالشجاعة، والمعروفين بالبسالة.

وقال قوم: هو المقداد بن عمرو المعروف بالمقداد بن الأسود، وكان من شيعة علي عليه السلام المخلصين، وكان شجاعاً مجاهداً حسن الطريقة، وقد ورد في فضله حديث صحيح مرفوع. وقال قوم: إنه ليس بإشارة إلى أخ معين، ولكنه كلام خارج مخرج المثل، وعادة العرب جارية بمثل ذلك، مثل قولهم في الشعر: فقلت لصاحبي، ويا صاحبي، وهذا عندي أقوى الوجوه.

### بعض ما ورد في حمد القناعة وقلة الأكل

وقد مضى القول في صغر الدنيا في عين أهل التحقيق، فأما سلطان البطن ومذح الإنسان بأنه لا يكتر من الأكل إذا وجد أكلاً، ولا يشتهي من الأكل ما لا يجده، فقد قال الناس فيه فأكثروا. قال أعشى باهلة يرثي المستشرق وهب:

طاري المصير على العزائم منصلي	بالقوم ليلة لا ماء ولا شجر
تكفيه فليد لحم إن ألم بها	من الشواء ويروي شره العمر
ولا يباري لما في القدر يزقبه	ولا تراه أمام القوم يفتقر
لا يغمز الساق من أين ولا وصب	ولا يحض على شرفه الصفير

وقال الشنفرى:

وأطري على الحميم الحوايا كما انطوت	خيوطه ماري ثنار وثفتل
وإن مذت الأيدي إلى الزاد لم أكن	بأعجلهم إذ أجشع القوم أعجل
وما ذاك إلا بسطة عن تفضل	عليهم وكان الأفضل المتفضل

وقال بعضهم لابنه: يا بني عود نفسك الأثرة، ومجاهدة الهوى والشهوة، ولا تنهش نهش السباع، ولا تقضم قضم البرادين، ولا تلعن الأكل إدمان النعاج، ولا تلغم لغم الجمال، إن الله جعلك إنساناً، فلا تجعل نفسك بهيمة ولا سباعاً، واحذر سرعة الكفة، وداء البطنة، فقد قال الحكيم: إذا كنت بطناً فقد نفسك من الزمى وقال الأعشى:

والبطنة يوماً تسفه الأخلاما

واعلم أن الشَّبَع داعية البَشَم، والبَشَم داعية السَّقَم، والسَّقَم داعية الموت، ومن مات هذه الميتة فقد مات مائة لثيمة، وهو مع هذا قاتل نفسه، وقاتل نفسه ألوم من قاتل غيره. يا بُنَيَّ، والله ما أدى حق السجود والركوع ذو كِفْطَةٍ، ولا خَشَعُ الله ذو بَطْنَةٍ، والصومُ مصحَّة، ولربما طالت أعمارُ الهند، وصحت أبدانُ العرب، والله ذرُّ الحارث بن كَلْدَةَ حيث زَعَمَ أن الدَّواء هو الأزم، وأن الدَّاء إدخالُ الطعام في أثر الطعام، يا بُنَيَّ لم صَفَتْ أذهانُ الأعراب، وصَحَّت أذهانُ الرُّفبان مع طول الإقامة في الصوامع، حتى لم تُعرف وَجَعُ المفاصل، ولا الأورام، إلا لِقْلَةَ الرِّزءِ، ووقاحة الأكل، وكيف لا ترغب في تغيير يَجْمَعُ لك بين صِغَةِ البدن ودُكَاءِ الذَّهْنِ وصلاح المَعَادِ والقرب وعَيْشِ الملائكة. يا بُنَيَّ لم صار الضَّبُّ أطول شيءَ دُمَاءٍ! إلا لأنه يتبَلَّغ بالتَّسِيمِ. ولم زَعَمَ رسولُ الله ﷺ أن الصومَ وجاء! إلا لِيَجْعَلَهُ حجاباً دُونَ الشهوات! فافهم تَأْدِيبَ الله ورسوله، فإنهما لا يَفْصِدَانِ إِلَّا بِمِثْلِكَ. يا بُنَيَّ، إني قد بلغت تسعين عاماً ما نَقَصَ لي سِنٌ، ولا انْتَشَرَ لي عَصَبٌ، ولا عرفتُ دَيْنِيْ أَنْفَ، ولا سَبِيلَانَ عَيْنٍ، ولا تَقْطِيرَ بَوْلٍ، ما لذلك علة إلا التَّخَفِيفُ مِنَ الزَّادِ، فإن كنتَ تحبُّ الحَيَاةَ فهذه سَبِيلُ الحَيَاةِ، وإن كنتَ تريدُ الموتَ فلا يُبْعِدُ الله إلا من ظَلَمَ.

وكان يقال: البَطْنَةُ تَذْهَبُ الْفِطْنَةُ.

وقال عمرو بنُ العاص لأصحابه يومَ حُكْمِ الحَكَمَانِ: أكثرُوا لأبي موسى من الطَّعام الطَّيِّبِ فوالله ما يُطِنُّ قَوْمٌ قطَّ إِلَّا فَقَدُوا عُقُولَهُمْ أو بعضها، وما مضى عزمُ رجلٍ باتَ بِطَيْئًا.

وكان يقال: أَقْلِلْ طَعَاماً تَحْمَدُ مَنَاماً.

ودعا عبدُ الملك بن مروان رجلاً إلى الغَدَاءِ فقال: ما فيَّ فضل، فقال: إني أحبُّ الرجلَ يأكلُ حتَّى لا يكونَ فيه فضل، فقال: يا أميرَ المؤمنين، عندي مُسْتَزَادٌ، ولكني أكره أن أصيرَ إلى الحال التي استَقْبَحَهَا أميرُ المؤمنين.

وكان يقال: مسكينٌ ابن آدم، أسيرُ الجُوعِ، صَرِيعُ الشَّبَعِ.

وسأل عبدُ الملك أبا الرُّعْرُعَةَ، فقال: هل أتَخِمْتُ قَطَّ؟ قال: لا، قال: وكيف؟ قال: لأنَّا إِذَا طَبَخْنَا أَنْضَجْنَا، وَإِذَا مَضَغْنَا دَقَقْنَا، وَلَا نُكَيِّفُ الْمَعْدَةَ وَلَا نُخْلِيهَا.

وكان يقال: من المُرُوءَةِ أن يترك الإنسانُ الطَّعامَ وهو بعدُ يَشْتَهِيهِ.

وقال الشاعر:

فإن قرأتَ البَطْلانَ يكفيك مَلُوءُهُ وَيَكفِيكَ سَوَاءُ الْأُمُورِ اجْتِنَابُهَا

وقال عبد الرحمن ابن أخي الأصمعي: كان عمي يقول لي: لا تخرج يا بني من منزلك حتَّى تأخذَ حِلْمَكَ - يعني تتغذَّى - فإذا أخذتَ حِلْمَكَ فلا تزددُ إليه حِلْماً، فإن الكثرة تؤولُ إلى

قَلَّة. وفي الحديث المرفوع: ما ملأ ابنُ آدم وعاءَ شراً من بطن، بحسب الرجل من طعامه ما أنامَ صُلْبُه، وأما إذا آتيتَ فثَلثَ طعام، وثَلثَ شراب، وثَلثَ نَفْسَ<sup>(١)</sup>.

ورَوَى حُذَيْفَةُ عن النبي ﷺ: «من قَلَّ طَعْمُهُ، صَحَّ بَطْنُهُ، وصَفَا قَلْبُهُ، وَمَنْ كَثُرَ طَعْمُهُ، سَقَمَ بَطْنُهُ وقسا قَلْبُهُ»<sup>(٢)</sup>.

وعنه ﷺ: «لا تُمِيتُوا القلوبَ بكثرة الطعام والشراب فإنَّ القلبَ يموت بهما، كالزَّوَجِ يموت إذا أكثر عليه الماء»<sup>(٣)</sup>. ورَوَى عَزَنُ بْنُ أَبِي جُحَيْفَةَ عن أبيه قال: أَكَلْتُ يوماً ثَرِيداً وَلَحْماً سَمِيئاً، ثُمَّ آتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ وَأَنَا أَتَجَشَّأُ، فَقَالَ: «احْسِنْ جَشَأَكَ أَبَا جُحَيْفَةَ، إِنْ أَكْثَرْتُمْ شَبِيعاً فِي الدُّنْيَا أَكْثَرْتُمْ جُوعاً فِي الْآخِرَةِ»<sup>(٤)</sup>، قال: فما أَكَلْتُ أَبُو جُحَيْفَةَ بعدَها مِلَّةً بَطْنُهُ إِلَى أَنْ قَبِضَهُ اللَّهُ. وَأَكَلَ عَلِيٌّ ﷺ<sup>(٥)</sup> قَلِيلاً مِنْ ثَمَرِ دَقَلٍ وَشَرِبَ عَلَيْهِ مَاءً، وَأَمْرِيذُهُ عَلَى بَطْنِهِ وَقَالَ: مَنْ أَدْخَلَهُ بَطْنُهُ النَّارَ قَابَعْدَهُ اللَّهُ، ثُمَّ تَمَثَّلَ:

فإِنَّكَ مَهْمَا تُعْطِ بَطْنَكَ سُؤْلُهُ      وَفَرَجَكَ نَالَا مُنْتَهَى الذَّمِّ أَجْمَعَا

وكان ﷺ يُفْطِرُ فِي رَمَضَانَ الَّذِي قُتِلَ فِيهِ عِنْدَ الْحَسَنِ لَيْلَةً، وَعِنْدَ الْحُسَيْنِ لَيْلَةً، وَعِنْدَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ لَيْلَةً، لَا يَزِيدُ عَلَى اللَّفْقَتَيْنِ أَوْ الثَّلَاثِ، فيقال له، فيقول: إِنَّمَا هِيَ لَيَالٍ قَلِيلٌ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَأَنَا خَبِيصُ الْبَطْنِ، فَضَرَبَهُ ابْنُ مُلْجَمٍ لَعْنَهُ اللَّهُ تِلْكَ اللَّيْلَةَ.

وقال الحسن: لَقَدْ أَدْرَكْتُ أَقْوَاماً مَا يَأْكُلُ أَحَدُهُمْ إِلَّا فِي نَاحِيَةِ بَطْنِهِ، مَا شَبِعَ رَجُلٌ مِنْهُمْ مِنْ طَعَامٍ حَتَّى فَارَقَ الدُّنْيَا، كَانَ يَأْكُلُ، فَإِذَا قَاوَبَ الشَّبِيعَ أَمْسَكَ. وَأَنْشَدَ الْمُبَرِّدُ:

فإن امتلاء البطن في حسب الفتى      قليل الغناء وهو في الجسم صالح

وقال عيسى ﷺ: يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ، لَا تُكْثِرُوا الْأَكْلَ، فَإِنَّهُ مَنْ أَكْثَرَ مِنَ الْأَكْلِ أَكْثَرَ مِنَ النَّوْمِ، وَمَنْ أَكْثَرَ النَّوْمِ أَقَلَّ الصَّلَاةَ، وَمَنْ أَقَلَّ الصَّلَاةَ كُتِبَ مِنَ الْغَافِلِينَ: وَقِيلَ لِيُوسُفَ ﷺ: مَا لَكَ لَا تَشَبِعُ وَفِي يَدِكَ خَزَائِنُ يَصْرَ؟ قَالَ: إِنِّي إِذَا شَبِعْتُ نَسِيتُ الْجَائِعِينَ.

(١) أخرجه الترمذي، كتاب الزهد، باب ما جاء في كراهية كثرة الأكل (٢٣٨٠)، وابن ماجه، كتاب الأطعمة، باب الاقتصاد في الأكل وكراهية الشبع (٣٣٤٩).

(٢) ذكره أبو نعيم في «الحلية» (٣٥١/٥)، مختصراً من كلام محمد بن واسع.

(٣) أخرجه الطبرسي في مشكاة الأنوار: ١٦٢.

(٤) أخرجه المتقي الهندي في كنز العمال: ٤٦٨/٦.

(٥) أخرجه الترمذي، كتاب: صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله (٢٤٧٨)، وابن ماجه كتاب: الأطعمة، باب: الاقتصاد في الأكل وكراهية الشبع (٣٣٥٠)، وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٣١/٥).

وقال الشاعر:

وأكلت أوقعت في الهلك صاحبها كحبة القمح دقت عُنُق عُصفور  
لِكسرة بجريرش الملح أكلها الذُّم من ثمرة تُحسَى بزُنْبور

ووصف لسابور ذي الأكتاف رجل من اضطخّر للقضاء، فاستقدمه، فدعاه إلى الطعام، فأخذ الملك دجاجة من بين يديه فنصقها، وجعل نصفها بين يدي ذلك الرجل، فأتى عليه قبل أن يفرغ الملك من أكل النصف الآخر، فصرفه إلى بلده، وقال: إن سلفنا كانوا يقولون: مَنْ شَرِه إلى طعام الملك كان إلى أموال الرعية أشْرَه.

قيل لسُمَيَّة بن حبيب: إن ابنك أكل طعاماً فأثخم، وكاد يموت، فقال: والله لو مات منه ما صلبت عليه. أنس يرقعه: إن من السرف أن تأكل كل ما اشتَهيت<sup>(١)</sup>.

دخل عمرُ على عاصم ابنه وهو يأكل لحماً، فقال: ما هذا؟ قال: قَرِمْنَا إليه، قال: أو كُلْما قَرِمْتَ إلى اللحم أَكَلْتَهُ! كَفَى بالمرء شراً أن يأكل كل ما يشتهي.

أبو سعيد يرقعه: استعينوا بالله من الرغب<sup>(٢)</sup>، قالوا: هو الشره، ويقال: الرغب شوم. أنس يرقعه: أصل كل داء البردة<sup>(٣)</sup>، قالوا: هي الثخمة، وقال أبو دؤيد: العَرَب تعبر بكثرة الأكل، وأنشد:

لست بأغال كأهل العبد ولا بنوام كنوم الفهد

وقال الشاعر:

إذا لم أُرْز إلا لأكل أكلة فلا رفعت كَفِي إلي طعامي

فما أكلة إن يُلْثها بغيري ولا جَزْعة إن جُعْثها بغيري

ابن عباس: كان رسول الله ﷺ يبيت طاوياً ليلي ما له ولا هله عشاء، وكان عامة طعامه الشعير<sup>(٤)</sup>، وقالت عائشة: والذي بعثت محمداً بالحق ما كان لنا منخل، ولا أكل رسول الله ﷺ خبزاً منخولاً منذ بعثه الله إلى أن قبض<sup>(٥)</sup>، قالوا: فكيف كنتم تأكلون دقيق الشعير؟ قالت: كنا نقول: أَفْ أَفْ.

(١) أخرجه ابن ماجه، كتاب الأطعمة، باب من الإسراف أن تأكل كل ما اشتَهيت (٣٣٥٢).

(٢) ذكره السيوطي في الجامع الصغير رقم ٣٣٣٥، والمتقي في الكنز رقم ٦٦٦٠.

(٣) أخرجه الدليمي في مسند الفردوس (١٦٩٨)، وابن عدي في الكامل (٨٣/٢).

(٤) أخرجه الترمذي في الزهد، باب: معيشة النبي ﷺ وأهله (٢٣٦٠)، وابن ماجه في الأطعمة، باب: خبز الشعير (٢٣٤٧)، وأحمد في مسند بني هاشم، باب: بداية مسند عبد الله بن العباس (٢٣٠٣).

(٥) ذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٣١٢/١٠)، والطبراني في «الكبير» (١٥٩/٦).

أنس: ما أكل رسول الله ﷺ رغيفاً مُحَوَّراً إلى أن لقي ربه عز وجل<sup>(١)</sup>.

أبو هريرة: ما شبع رسول الله ﷺ وأهله ثلاثة أيام متوالية من خُبْزِ جَنْطَةٍ حتى فارق الدنيا<sup>(٢)</sup>.

وروى مسروق قال: دخلتُ على عائشة وهي تبكي، فقلتُ: ما يبكيك؟ قالت: ما أشاء أن أبكي إلا بكيتُ، مات رسول الله ﷺ ولم يشبع من خُبْزِ البُرِّ في يومٍ مرتين، ثم انهارت علينا الدنيا<sup>(٣)</sup>.

حاتم الطائي:

وإنِّي لأستحيي صحابي أن يَرَوْا مكانَ يَدَي من جانب الزاد أفرعاً  
أضُرَّ كَفَي أن تَنال أكفَهُم إذا نحنُ أهوينا وحاجائنا مَعاً  
أبيتُ خَميصَ البطنِ مضطربَ الحشا حياءَ أخافُ الضَّيْم أن أتضلَّعاً  
فلأنك إن أعطيتَ نَفْسَكَ سُؤْلَهَا وفَرَجَكَ نالا مُنْتَهَى الذَّم أجمعا  
فأما قوله ﷺ: «كان لا يتنهي، ما لا يجد» فإنه قد نهى أن يتنهي الإنسان ما لا يجد، وقالوا: إنه دليلٌ على سقوط المُرودة.

وقال الأحنف: جئوا مَجالِسنا ذِكرَ تنهَي الأُطعمَةِ وحديثِ النكاح.

وقال الجاحظ: جَلَسنا في دارٍ فجعلنا نتشهى الأُطعمَةِ، فقال واحد: وأنا أَشْتَهِي سِكِّبَاجاً كثيرة الزعفران.

وقال آخر: أنا أَشْتَهِي طَبَاهِجَةَ ناشِفةً، وقال آخر: أنا أَشْتَهِي هَرِيسَةَ كثيرة الدَّارِصيني، وإلى جانبنا امرأةٌ بيننا وبينها بئر الدار، فضرِبَتِ الحائط وقالت: أنا حامل، فأعطوني مِلءَ هذه القَضارة من طبيخكم، فقال ثمامة: جارتنا تشمُّ رائحة الأمانِي.

(١) أخرجه ابن ماجه في الأُطعمَةِ، باب: الحواري (٣٣٣٧).

(٢) أخرجه البخاري في الأُطعمَةِ، باب: ما كان السلف يدخرون في بيوتهم (٥٤٢٣)، ومسلم في الزهد والرفائق (٢٩٧٠)، والترمذي في الزهد، باب: ما جاء في معيشة النبي ﷺ وأهله (٢٣٥٨) واللفظ له.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الأُطعمَةِ، باب ما كان السلف يدخرون في بيوتهم (٥٤٢٣)، ومسلم، كتاب الزهد والرفائق، باب منه (٢٩٧٠).

- ٢٩٦ -

**الأصل:** لَوْ لَمْ يَتَوَعَّدِ اللهُ سُبْحَانَهُ عَلَى مَعْصِيَتِهِ، لَكَانَ يَجِبُ أَلَّا يُعْصَى شُكْرًا لِنِعْمِهِ.

**الشرح:** قالت المعتزلة: إِنَّا لَوْ قَدَرْنَا أَنَّ الْوَحِيدَ السَّمْعِيَّ لَمْ يَرِدْ لِمَا أَخْلَ ذَلِكَ بِكَوْنِ الْوَاجِبِ وَاجِبًا فِي الْعَقْلِ، نَحْوُ الْعَدْلِ وَالضِّدْقِ، وَالْعِلْمِ، وَرَدِّ الْوَدِيعَةِ، هَذَا فِي جَانِبِ الْإِثْبَاتِ، وَأَمَّا فِي جَانِبِ السَّلْبِ فَيَجِبُ فِي الْعَقْلِ أَلَّا يَظْلِمَ، وَأَلَّا يَكْذِبَ، وَأَلَّا يَجْهَلَ، وَأَلَّا يَخُونُ الْأَمَانَةَ، ثُمَّ اخْتَلَفُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ، فَقَالَتْ مَعْتَزِلَةُ بَغْدَادَ: لَيْسَ الثَّوَابُ وَاجِبًا عَلَى اللَّهِ تَعَالَى بِالْعَقْلِ، لِأَنَّ الْوَاجِبَاتِ إِنَّمَا تَجِبُ عَلَى الْمَكْلُفِ، لِأَنَّ أَدَاءَهَا كَالشُّكْرِ لِلَّهِ تَعَالَى، وَشُكْرُ الْمُتَنِيمِ وَاجِبٌ، لِأَنَّهُ شُكْرُ مُنْعِمٍ، فَلَمْ يَبْقَ وَجْهٌ يَقْتَضِي وَجُوبَ الثَّوَابِ عَلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ، وَهَذَا قَرِيبٌ مِنْ قَوْلِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وقال البَصْرِيُّونَ: بَلِ الثَّوَابُ وَاجِبٌ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى عَقْلًا، كَمَا يَجِبُ عَلَيْهِ الْيُوزُفُ عَنْ إِيْلَامِ الْحَيِّ، لِأَنَّ التَّكْلِيفَ الْإِزَامَ بِمَا فِيهِ مَضَرَّةٌ، كَمَا أَنَّ الْإِيْلَامَ إِزَالُ مَضَرَّةٍ، وَالْإِزَامَ كَالْإِنْزَالِ.

- ٢٩٧ -

**الأصل:** وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِلأَشْعَثِ بْنِ قَيْسٍ وَقَدْ عَزَاهُ عَنْ ابْنِ لَهُ: يَا أَشْعَثُ، إِنْ تَخَزَنْ عَلَى ابْنِكَ فَقَدْ اسْتَحَقَّتْ ذَلِكَ مِنْكَ الرَّجْمُ، وَإِنْ تَضَيَّرَ فَعَلِيَ اللَّهُ مِنْ كُلِّ مُعْصِيَةٍ خَلَفْتُ.

يَا أَشْعَثُ، إِنْ صَبَرْتَ جَرَى عَلَيْكَ الْقَدَرُ وَأَنْتَ مُأْجُورٌ، وَإِنْ جَزَعْتَ جَرَى عَلَيْكَ الْقَدَرُ وَأَنْتَ مُأْزُورٌ. يَا أَشْعَثُ، ابْنُكَ سَرَّكَ، وَهُوَ بَلَاءٌ وَفِتْنَةٌ، وَخَزَنَكَ، وَهُوَ ثَوَابٌ وَرَحْمَةٌ.

**الشرح:** قَدْ رُوِيَ هَذَا الْكَلَامُ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى وَجْهِ مَخْتَلِفَةٍ وَرَوَايَاتٍ مُتَوَعَّةٍ، هَذَا الْوَجْهَ أَحَدُهَا، وَاتَّخَذَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ الْفَاظِلَةَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ لِمَنْ يَمُرُّ بِهِ مِنْ وَلَدٍ:

وَلَا بَدْ مِنْ جَرِيَانِ الْقَضَاءِ إِنَّمَا مُنَابَأٌ وَإِمَا أُبَيْمًا  
وَمِنْ كَلَامِهِمْ فِي التَّعَاذِي: إِذَا اسْتَأْثَرَ اللَّهُ بِشَيْءٍ فَالَهُ عَنْهُ، وَتُسَبِّحُ هَذِهِ الْكَلِمَةُ إِلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ.

وذكر أبو العباس في الكامل أَنَّ عُقْبَةَ بْنَ عِيَّاضِ بْنِ تَمِيمٍ أَحَدَ بَنِي عَامِرِ بْنِ لُؤَيٍّ اسْتَشْهَدَ،  
فَعَزَّى أَبَاهُ مُعَزِّزًا، فَقَالَ: احْتَسِبْنِي وَلَا تَجَزَّعْ عَلَيَّ، فَقَدْ مَاتَ شَهِيدًا، فَقَالَ عِيَّاضُ: أَتَرَانِي كُنْتُ  
أَسْرُ بِهِ وَهُوَ مِنْ زِينَةِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَأَسَاءَ بِهِ وَهُوَ مِنَ الْبَاقِيَّاتِ الصَّالِحَاتِ!  
وهذا الكلام مأخوذٌ من كلام أمير المؤمنين عليه السلام .

ومن التَّعَاذِي الْجَيِّدَةِ قَوْلُ الْقَائِلِ:

وَمَنْ لَمْ يَزَلْ غَرَضًا لِلْمَوْتِ      نَ يَسْرُكُهُ كُلَّ يَوْمٍ عَمِيدًا  
فَإِنْ هُنَّ أَخْطَأَتْهُ مَرَّةٌ      فَيُوشِكُ مُخِطُّهَا أَنْ يَعُودَا  
فَبَيْنَا يَحِيدُ وَأَخْطَأَتْهُ      قَصْدَنْ فَأَعْجَلْنَاهُ أَنْ يَحِيدَا

وقال آخر:

هُوَ الذَّمُّ قَدْ جَرَّبْتُهُ وَعَرَفْتُهُ      فَصَبْرًا عَلَى مَكْرُومِهِ وَتَجَلَّدًا  
وَمَا النَّاسُ إِلَّا سَابِقٌ ثُمَّ لَاحِقٌ      وَفَإِنَّ مَوْتَ سَوْفَ يَلْحَقُهُ غَدًا

وقال آخر:

أَيْنَا قَدِمَتْ طُرُوفُ اللَّيَالِي      فَالَّذِي أَثْرَتَ سَرِيعُ اللَّحَاقِ  
غَدَرَاتُ الْأَيَّامِ مَنْتَرِعَاتُ      غَنَقَيْنَا مِنْ أُنْسِ هَذَا الْعِنَاقِ

ابن بُيَّاتَةَ السَّعْدِيِّ:

نُعَلِّلُ بِالْإِدْوَاءِ إِذَا مَرَضْنَا      وَهَلْ يَشْفِي مِنَ الْمَوْتِ الدَّوَاءُ!  
وَنُخْتَارُ الطَّبِيبَ وَهَلْ طَبِيبٌ      يُوَخِّرُ مَا يَقْدُمُهُ الْقَضَاءُ!  
وَمَا أَنْفَاسُنَا إِلَّا حَسَابٌ      وَمَا حَرَكَاتُنَا إِلَّا فَنَاءُ

البُخَيْرِيُّ:

إِنَّ الرِّزْقَ فِي الْفَقِيدِ فَإِنْ هَمَّ      جَزَعٌ بَلْبُكَ فَالزَّرْقَةُ فِيكَ  
وَمَتَى وَجَدْتَ النَّاسَ إِلَّا تَارِكًا      لِحَبِيمِهِ فِي الثَّرْبِ أَوْ مَتْرُوكَا  
لَوْ يَنْجَلِي لَكَ ذَخْرُهَا مِنْ نَكْبَةٍ      جَلِيلٍ لِأَضْحَكِكَ الَّذِي يُبْكِيكََا

وكتب بعضهم إلى صديق له مات ابنه: كَيْفَ شُكْرُكَ لِلَّهِ تَعَالَى عَلَى مَا أَخَذَ مِنْ وَدِيعَتِهِ،  
وَعَوَّضَ مِنْ مَوْتِهِ!

وعزَّى عمر بن الخطاب أبا بكرٍ عن طفله، فقال: عَوَّضَكَ اللَّهُ مِنْهُ مَا عَوَّضَهُ مِنْكَ، فَإِنَّ  
الْطِفْلَ يَعَوِّضُ مِنْ أَبِيهِ الْجَنَّةَ.



وفي الحديث المرفوع: «مَنْ عَزَىٰ مَصَاباً كَانَ لَهُ بِمِثْلِ أَجْرِهِ»<sup>(١)</sup>.

وقال عليه السلام: «مَنْ كُنُوزَ السَّرِّ كَتَمَانُ الْمَصَابِ، وَكِثْمَانُ الْأَمْرَاضِ وَكَتَمَانُ الصَّدَقَةِ».

وقال شاعرٌ في رثاء ولده:

وَسَمِيئُهُ يَخْبِي لِيَخْيَا وَلَمْ يَكُنْ      إِلَى رَدِّ أَمْرِ اللَّهِ فِيهِ سَبِيلُ  
تَخَيَّرْتُ فِيهِ الْفَالَّ حِينَ رُزِقْتُهُ      وَلَمْ أَذِرْ أَنْ الْفَالَّ فِيهِ يَفِيلُ

وقال آخر:

وَهَوْنٌ وَجَدِي بَعْدَ نَفْدِكَ أَنْنِي      إِذَا شِئْتُ لَا قِيْتُ أَمْرًا مَاتَ صَاحِبُهُ  
آخر:

وَقَدْ كُنْتُ أَرْجُو لَوْ تَمَلَّيْتُ عَيْشَةً      عَلَيْكَ اللَّيَالِي مَرَّهَا وَانْتَقَالَهَا  
فَأَمَّا وَقَدْ أَصْبَحْتُ فِي قُبْضَةِ الرَّدَى      فَقُلْ لِلْيَالِي فَلْتُصِيبْ مَنْ بَدَأَ لَهَا  
أَخَذَ الْمَتْبِي فَقَالَ:

قَدْ كُنْتُ أَشْفِقُ مِنْ دَفْعِي عَلَى بَصْرِي      فَالْيَوْمَ كُلِّ عَزِيزٍ بَعْدَكُمْ هَانَا  
وَمِثْلُهُ لَغَيْرِهِ:

فَرَأَيْتُ كُنْتُ أَخْشَى فَاغْتَرَفْنَا      فَمَنْ فَارَقْتُ بَعْدَكَ لَا أَبَالِي

- ٢٩٨ -

**الأصل:** وقال عليه السلام: «عِنْدَ وَقُوفِهِ عَلَى قَبْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ سَاعَةَ دَفْنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِنْ الصَّبْرَ لَجَوِيلٌ إِلَّا عَنْكَ، وَإِنْ الْجَزَعَ لَقِيحٌ إِلَّا عَلَيْكَ، وَإِنْ الْمُصَابَ بِكَ لَجَلِيلٌ، وَإِنَّ بَعْدَكَ لَقَلِيلٌ».

**الشرح:** قَدْ أَخَذْتُ هَذَا الْمَعْنَى الشُّعْرَاءُ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ:

أَمَسْتُ بِجَفْنِي لِلْمُسْوَعِ كُلُّوْمُ      حَزَنًا عَلَيْكَ وَفِي الْخُدُودِ رُسُومُ  
وَالصَّبْرُ يُحَمَّدُ فِي الْمَوَاطِنِ كُلِّهَا      إِلَّا عَلَيْكَ فَإِنَّهُ مَذْمُومُ

(١) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ فِي الْجَنَائِزِ، بَابُ: مَا جَاءَ فِي أَجْرِ مَنْ عَزَىٰ مَصَاباً (١٠٧٣)، وَابْنُ مَاجَهٍ فِي مَا جَاءَ فِي الْجَنَائِزِ، بَابُ: مَا جَاءَ فِي ثَوَابِ مَنْ عَزَىٰ مَصَاباً (١٦٠٢).

وقال أبو تمام:

وقد كان يُدعى لابن الصبر حازماً فقد صار يُدعى حازماً حين يجزُّ

وقال أبو الطيب:

أجد الجفاء على سواك مُروءة والصبر إلا في نواك جميلاً

وقال أبو تمام أيضاً:

الصبر أجمل غير أن تلذذاً في الحب أولى أن يكون جميلاً

وقالت خنساء أخت عمرو بن الشريد:

ألا يا صخر إن أبكيت عيني لقد أضحكنتني دهرأ طويلاً

بكيتك في نساء مُغولات وكنت أحن من أبدي العوياً

دفعت بك الجليل وأنت حي فمن ذا يدفع الخطب الجليلاً

إذا بُح البكاء على قتيل رأيت بكاءك الحسن جميلاً

ومثل قوله **عليه السلام**: «وإنه بعدك لقليل»، يعني المصاب، أي لا مبالاة بالمصائب بعد المصيبة

بك، قول بعضهم:

قد قلت للموت حين نازلته والموت مقدامة على بهم

اذغب بمن شئت إذ ظفرت به ما بعد يحيى للموت من ألم

وقال الشمرذل اليزبوعي يرثي أخاه:

إذا ما أتى يوم من الدهر بيننا فحياك عنا شرقه وأصائله

أبي الصبر أن العين بعدك لم تزل يُحالف جفنيها قذى ما تُزايله

وكنت أعير الذم قبلك من بكى فانت على من مات بعدك شاغله

أعيني إذا أبكاكما الدهر فابكيا لمن نضره قد بان عنا ونائله

وكنت به أغشى القتال فعزني عليه من المقدار من لا أقاتله

لعمرك إن الموت منا لمولع بمن كان يُرجى نفعه وفواضله

قوله:

فانت على من مات بعدك شاغله

هو المعنى الذي نحن فيه، وذكرنا سائر الأبيات لأنها فائقة بعيدة النظر.

وقال آخر يرثي رجلاً اسمه جارية:

أَجَارِي مَا أَزْدَادُ إِلَّا صَبَابَةٌ  
أَجَارِي لَوْ نَفْسٌ فَذَتْ نَفْسَ مَيْتٍ  
وَقَدْ كُنْتُ أَرْجُو أَنْ أَرَكَ حَقِيقَةً  
أَلَا فَلَيْمُتْ مِنْ شَاءَ بَعْدَكَ إِنَّمَا  
وَمِنْ الشَّعْرِ الْمُنْسُوبِ إِلَى عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ - وَيُقَالُ: إِنَّهُ قَالَ يَوْمَ مَاتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

كُنْتُ السَّوَادُ لِنَاطِرِي  
مِنْ شَاءَ بَعْدَكَ فَلَيْمُتْ  
وَمِنْ شِعْرِ الْحَمَاسَةِ:

سَابِكِيكَ مَا فَاضَتْ دَمُوعِي فَإِنْ تَغَضُّ  
كَأَنَّ لَمْ يَمُتْ حَيٌّ سِوَاكَ وَلَمْ تَقُمْ  
لَنْ حَسُنَتْ فَيْكَ الْمَرَاثِي بِوَضْفِهَا  
فَمَا أَنَا مِنْ رُزْءٍ وَإِنْ جَلَّ جَانُحُ

- ٢٩٩ -

الأصل: لَا تَضَحِبِ الْمَاتِقَ فَإِنَّهُ يَزِينُ لَكَ فِعْلَهُ، وَيُؤَدُّ أَنْ تَكُونَ مِثْلَهُ.

الشرح: الماتق: التليد الحقيق، والموق: شدة الحقيق، وإنما يزين لك فعله لأنه يعتقد فعله صواباً بحقيقته فيزينه لك كما يزين العاقل لصاحبه فعله لاعتقاده كونه صواباً، ولكن هذا صواب في نفس الأمر، وذلك صواب في اعتقاد الماتق، لا في نفس الأمر، وأما كونه يؤد أن تكون مثله فليس معناه أنه يؤد أن تكون أحمق مثله، وكيف وهو لا يعلم من نفسه أنه أحمق، ولو علم أنه أحمق لما كان أحمق، وإنما معناه أنه لمحبه لك، وضحيه إياك، يؤد أن تكون مثله، لأن كل أحد يؤد أن يكون صديق مثله في أخلاقه وأفعاله، إذ كل أحد يعتقد صواب أفعاله، وطهارة أخلاقه، ولا يشعر بعيب نفسه لأنه يهوى نفسه، فعيب نفسه مطوي مستور عن نفسه، كما تخفى عن العاشق عيوب المغشوق.

- ٣٠٠ -

**الأصل:** وقال ﷺ وقد سُئِلَ عَنْ مَسَافَةٍ بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ، فَقَالَ: مَسِيرَةُ يَوْمٍ لِلشَّمْسِ.

**الشرح:** هكذا تقول العرب: «بينهما مسيرة يوم» بالهاء ولا يقولون «مسير يوم» لأن المسير المضمر، والمسيرة الاسم.

وهذا الجواب تسميه الحكماء جواباً إقناعياً، لأن السائل أراد أن يذكر له كمية المسافة مفصلة، نحو أن يقول: بينهما ألف فرسخ أو أكثر أو أقل، فعدل ﷺ عن ذلك وأجابه بغيره، وهو جواب صحيح لا ريب فيه، لكنه غير شاف لغليل السائل، وتحت غرض صحيح، وذلك لأنه سأل بحضور العامة تحت المنبر، فلو قال له: بينهما ألف فرسخ مثلاً، لكان للسائل أن يطالبه بالدلالة على ذلك، والدلالة على ذلك يشق حصولها على البديهة، ولو حصلت لشق عليه أن يوصلها إلى فهم السائل، ولو فهمها السائل لما فهمتها العامة الحاضرون، ولصار فيها قول وخلاف، وكانت تكون فتنة أو شبهة بالفتنة، فعدل إلى جواب صحيح إجمالي أسكت السائل به، وفتح به السامعون أيضاً واستحسنوه، وهذا من نتائج حكمته ﷺ.

- ٣٠١ -

**الأصل:** أَصْدِقَاؤُكَ ثَلَاثَةٌ، وَأَعْدَاؤُكَ ثَلَاثَةٌ، فَأَصْدِقَاؤُكَ: صَدِيقُكَ، وَصَلِيقُ صَدِيقِكَ، وَعَدُوُّكَ. وَأَعْدَاؤُكَ: عَدُوُّكَ، وَعَدُوُّ صَدِيقِكَ، وَصَلِيقُ عَدُوِّكَ.

**الشرح:** قد تقدم القول في هذا المعنى.

والأصل في هذا أن صديقك جار مجرى نفسك، فاحكم عليه بما تحكم به على نفسك، وعدوك ضدك، فاحكم عليه بما تحكم به على الضد، فكما أن من عاداك عدوك، وكذلك من عادى صديقك عدو لك، وكذلك من صادق صديقك فكأنما صادق نفسك، فكان صديقاً لك أيضاً، وأما عدو عدوك فعدو ضحك، وعدو ضحك ملائم لك، لأنك أنت ضد لذلك الضد، فقد اشتركتما في ضدية ذلك الشخص، فكنتما متناهيين، وأما من صادق عدوك فقد مائل ضدك، فكان ضدك لك أيضاً، ومثل ذلك يفاض مخصوص بإحدى سواداً مخصوصاً وبضاده.

وهناك بياض ثانٍ هُوَ مِثْلُ البياض الأول وصديقه، وهناك بياض ثالثٌ مِثْلُ البياض الثاني، فيكون أيضاً مِثْلُ البياض الأول وصديقه، وهناك بياضٌ رابعٌ تأخذه باعتبار ضدِّ السواد المخصوص المفروض، فإنه يكون ممثلاً وصديقاً للبياض الأول، لأنه عدوُّ عدوه، ثم نفرض سواداً ثانياً مضاداً للبياض الثاني، فهو عدوُّ للبياض الأول، لأنه عدوُّ صديقه، ثم نفرض سواداً ثالثاً هو ممثِّلُ السواد المخصوص المفروض، فإنه يكون ضدّاً للبياض المفروض المخصوص، لأنه مِثْلُ ضده، وإن مثَّل ذلك بالحروف كان أظهر وأكشف.

- ٣٠٢ -

**الأصل:** وَقَالَ ﷺ لِرَجُلٍ رَأَى يَسْمَى عَلَى عَدُوِّ لَهُ بِمَا فِيهِ إِضْرَارٌ بِنَفْسِهِ: إِنَّمَا أَنْتَ كَالطَّاعِنِ نَفْسَهُ لِيَقْتُلَ وَدَفْعَهُ.

**الشرح:** هذا يختلف باختلاف حال الساعي، فإنه إن كان يضرب نفسه أولاً ثم يضرب عدوه تبعاً لإضراره بنفسه، كان - كما قال أمير المؤمنين ﷺ - كالطاعن نفسه ليقْتُلَ رَدْفَهُ، والرَدْفُ: الرجل الذي تَرْتَدِيهِ خَلْقُكَ عَلَى فَرَسٍ أَوْ نَاقَةٍ أَوْ غَيْرِهِمَا، وقابل ذلك بكون أسفه الخلق وأقلهم عقلاً، لأنه يبدأ بقتل نفسه. وإن كان يضرب عدوه أولاً، يحصل في ضمن إضراره بعدوه إضراره بنفسه، فليس يكون مثلاً أمير المؤمنين ﷺ منطبقاً على ذلك، ولكن يكون كقولِي في غزلي من قصيدة لي:

إِنْ تَرَمَّ قَلْبِي تُضْمِ نَفْسَكَ إِنَّهُ لَكَ مَوْطِنٌ تَأْوِي إِلَيْهِ وَمَنْزِلٌ

- ٣٠٣ -

**الأصل:** مَا أَكْثَرَ الْبَيْرَ وَأَقَلَّ الْاِغْتِيَاوَا

**الشرح:** ما أوجز هذه الكلمة وما أعظم فائدتها! ولا ريب أن البئر كثيرة جداً، بل كل شيء في الوجود فيه جبرة، ولا ريب أن المعترين بها قليلون، وأن الناس قد غلب عليهم الجهل والهوى، وأرادهم حب الدنيا، وأسكرهم خمرةها، وإنَّ اليقين في الأصل ضعيف عندهم، ولولا ضعفه لكانت أحوالهم غير هذه الأحوال.

- ٣٠٤ -

الأصل: مَنْ بَالَعَ فِي الْخُصُومَةِ أَيْمًا، وَمَنْ نَصَرَ فِيهَا ظُلْمًا، وَلَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَتَّقِيَ اللَّهَ مِنْ خَاصَمٍ.

الشرح: هذا مثل قوله ﷺ في موضع آخر: الغالب بالشر مغلوب.

وكان يقال: ما تسابَّ اثنان إلا غلب الأئهما.

وقد نهى العلماء عن الجدل والخصومة في الكلام والفقه، وقالوا: إنها مظنة المباهاة وطلب الرئاسة والغلبة، والمجادل يكره أن يقهره خصمه، فلا يستطيع أن يتقي الله.

وهذا هو كلام أمير المؤمنين ﷺ بعينه.

وأما الخصومة في غير العلم كمنازعة الناس بعضهم بعضاً في أمورهم الدنيوية، فقد جاء في ذمها، والتهي عنها شيء كثير، وقد ذكرنا منه فيما تقدّم قولاً كافياً، على أن منهم من مدح الجهل والشر في موضعهما.

وقال الأحنف: ما قلّ سفهاء قوم إلا ذلّوا.

وقال بعض الحكماء: لا يخرج أحد من بيته إلا وقد أخذ في حُجْرته قيراطين من جهل، فإن الجاهل لا يدفعه إلا الجهل. وقالوا: الجاهل من لا جاهل له.

وقال الشاعر:

إذا كنت بين الجهل والحلم قاعداً      وخُبِرْتَ أُنَى شئت فالحلم أفضل  
ولكن إذا أنصفت من ليس منصفاً      ولم يرض منك الحلم فالجهل أمثل  
إذا جاءني من يطلب الجهل عامداً      فلاني سأعطيه الذي هو سائل

- ٣٠٥ -

الأصل: مَا أَمَتْنِي أَمْرٌ أَفْهَلْتُ بَعْدَهُ، حَتَّى أَصْلَيْ رَكْعَتَيْنِ وَأَسْأَلَ اللَّهَ الْعَافِيَةَ.

الشرح: هذا فتح لباب التوبة وتطريق إلى طريقها، وتعليم للنهضة إليها والاهتمام بها، ومعنى الكلام أن الذنب الذي لا يعاجل الإنسان عقبيه بالموت ينبغي للإنسان ألا يهتم به، أي

لا ينقطع رجاءه عن العفو وتأميله الغفران، وذلك بأن يقوم إلى الصلاة عاجلاً، ويستغفر الله، ويندم ويعزم على ترك المعاودة، ويسأل الله العافية من الذنوب والمعصية من المعاصي، والعون على الطاعة، فإنه إذا فعل ذلك بنية صحيحة واستوفى شرائط التوبة سقط عنه عقاب ذلك الذنب.

وفي هذا الكلام تحذير عظيم من مواقة الذنوب، لأنه إذا كان هذا هو محصول الكلام، فكأنه قد قال الحذر الحذر من الموت المفاجئ قبل التوبة، ولا ريب أن الإنسان ليس على ثقة من الموت المفاجئ قبل التوبة، إنه لا يفاجئه ولا يأخذه بغتة، فالإنسان إذا كان عاقلاً بصيراً يتوَقَّى الذنوب والمعاصي التَوَقَّى.

- ٣٠٦ -

**الأصل:** وَسُئِلَ عليه السلام: كَيْفَ يُحَاسِبُ الله الخَلْقَ عَلَى كَثْرَتِهِمْ؟ فَقَالَ: كَمَا يَرْزُقُهُمْ عَلَى كَثْرَتِهِمْ.

فَقِيلَ: كَيْفَ يُحَاسِبُهُمْ وَلَا يَرْوَنَّهُ! فَقَالَ: كَمَا يَرْزُقُهُمْ وَلَا يَرْوَنَّهُ.

**الشرح:** هذا جواب صحيح؛ لأنه تعالى لا يرزقهم على الترتيب، أعني واحداً بعد واحد، وإنما يرزقهم جميعهم دفعةً واحدة، وكذلك تكون محاسبتهم يوم القيامة.

والجواب الثاني صحيح أيضاً: لأنه إذا صَحَّ أن يرزقنا ولا نرى الرزاق، صَحَّ أن يحاسبنا ولا نرى المحاسب.

فإن قلت: فقد ورد أنهم يَمَكُثُونَ في الحساب ألف سنة، وقيل أكثر من ذلك، فكيف يجمع بين ما ورد في الخبر وبين قولكم: «إن حسابهم يكون ضربة واحدة»! ولا ريب أن الأخبار تدل على أن الحساب يكون لواحد بعد واحد.

قلت: إن أخبار الآحاد لا يُعْمَلُ عليها، لا سيما الأخبار الواردة في حديث الحساب والنار والمجّة، فإن المحدثين طعنوا في أكثرها، وقالوا: إنها موضوعة، وجملة الأمر أنه ليس هناك تكليف، فيقال إن ترتيب المحاسبة في زمانٍ طويل جداً يتضمن لطفاً في التكليف فيفعله الباري تعالى لذلك، وإنما الغرض من المحاسبة صدق الوعد وما سبق من القول، والكتاب العزيز لم ينطق إلا بالمحاسبة مجملة، فوجب القول بالمتيقن المعلوم فيها ورفض ما لم يثبت.

- ٣٠٧ -

الأصل: رَسُولَكَ تَرْجِمَانُ عَقْلِكَ، وَكِتَابُكَ أَبْلَغُ مَا يَنْطِقُ عَنْكَ.

الشرح: قالوا في المثل: الرسول على قدر المرسل.

وقيل أيضاً: رسولك أنت، إلا أنه إنسان آخر.

وقال الشاعر:

تَحْيِزُ إِذَا مَا كُنْتَ فِي الْأَمْرِ مَرِيلاً      فمبلغ آراء الرجال رسولها  
ورؤ وفكر في الكتاب فإتما      بأطراف أقلام الرجال عقولها

- ٣٠٨ -

الأصل: مَا الْمُبْتَلَى الَّذِي قَدْ اشْتَدَّ بِهِ الْبَلَاءُ، بِأَحْوَجَ إِلَى الدَّعَاءِ مِنَ الْمُعَاذِ الَّذِي لَا يَأْمَنُ الْبَلَاءَ.

الشرح: هذا ترغيب في الدعاء، والذي قاله عليه السلام حق؛ لأن المعاذ في الصورة مبتلى في المعنى، وما دام الإنسان في قيد هذه الحياة الدنيا فهو من أهل البلاء على الحقيقة، ثم لا يأمن البلاء الحسي، فوجب أن يتضرع إلى الله تعالى أنه ينقذه من بلاء الدنيا المعنوي، ومن بلائها الحسي في كل حال.

ولا ريب أن الأدعية مؤثرة، وأن لها أوقات إجابة، ولم يختلف المليون والحكماء في ذلك.

- ٣٠٩ -

الأصل: النَّاسُ أَبْنَاءُ الدُّنْيَا، وَلَا يُلَامُ الرَّجُلُ عَلَى حُبِّ أُمِّهِ.



**الشرح:** قد قال عليه السلام في موضع آخر: «الناس بزمانهم أشبه منهم بأبائهم»<sup>(١)</sup>.

وقال الشاعر:

ونحنُ بني الدنيا عُذِينَا بذرّها وما كنتَ منه فهو شيءٌ محبّبٌ

- ٣١٠ -

**الأصل:** إِنَّ الْمُسْكِينَ رَسُولُ اللَّهِ، فَمَنْ مَنَعَهُ فَقَدْ مَنَعَ اللَّهَ، وَمَنْ أَعْطَاهُ فَقَدْ أَعْطَى اللَّهَ.

**الشرح:** هذا حرصٌ على الصدقة، وقد تقدّم لنا قولٌ مقنع فيها.

وفي الحديث المرفوع: «اتقوا النار ولو بشق ثمرة»، فإن لم تجدوا بكلمة طيبة»<sup>(٢)</sup>.

وقال عليه السلام: «لو صدّق السائل لما أفلح من رده»<sup>(٣)</sup>.

وقال أيضاً: «من ردّ سائلاً خائباً لم تثنِ الملائكة ذلك البيت سبعة أيام»<sup>(٤)</sup>.

وكان عليه السلام لا يكلّ خصلتين إلى غيره: كان يصنع ظهوره بالليل ويخمره، وكان يناول المسكين يده.

وقال بعض الصالحين: من لم تكن نفسه إلى ثواب الصدقة أحوَجَ من الفقير إلى صدقته، فقد أبطل صدقته، وضرب بها وجهه.

وقال بعضهم: الصلاة تبلّغك نصف الطريق، والصّوم يبلغك باب الملك، والصدقة تُدخلك عليه.

- ٣١١ -

**الأصل:** مَا زَنَى عُبُورٌ قط.

(١) أخرجه العجلوني في كشف الخفاء رقم: ٢٧٨٨.

(٢) أخرجه البخاري في الزكاة، باب: الصدقة قبل الرد (١٤١٣)، ومسلم في الزكاة، باب: الحث على الصدقة (١٠١٦)، والنسائي في الزكاة، باب: القليل في الصدقة (٢٥٥٣).

(٣) أخرجه ابن عبد البر في «التمهيد» (٢٩٧/٥)، والعجلوني في «كشف الخفاء» (١/١٦١).

(٤) ذكره المناوي في «فيض القدير» (٣٢/٤).

**الشرح:** قد جاء في الأثر: مَنْ زَنَى زُنِيَ بِهِ وَلَوْ فِي عَقِبِ عَلَيْهِ<sup>(١)</sup>.

وهذا قد جُرِّبَ فوجد حقاً، وَقَلَّ مَنْ تَرَى مُقْدَمًا عَلَى الزَّنى إِلَّا والقول في حَرَمِهِ وأهله وذوي محارمه كثير فاشي.

والكلمة التي قالها عليه السلام حَقٌّ لَأَنَّ مَنْ اعتاد الزنى حتى صار ذُرْبَتَهُ وعادته وألفته نفسه، لا بدَّ أن يهون عليه حتى يظنّه مباحاً، أو كالمباح، لَأَنَّ مَنْ تَدَرَّبَ بشيءٍ ومَرَّنَ عليه زال قبحه من نفسه، وإذا زال قُبْحُ الزنى من نفسه لم يعظم عليه ما يقال في أهله، وإذا لم يعظم عليه ما يقال في أهله، فقد سقطت غيرته.

- ٢١٢ -

**الأصل:** كَفَى بِالْأَجْلِ حَارِساً!

**الشرح:** قد تقدّم القول في هذا المعنى.

وكان عليه السلام يقول: إِنْ عَلِيَ مِنْ اللَّهِ جُنَّةٌ حصينة، فإذا جاء يَوْمِي أسلمتني، فحيثُ لا يطيش السُّهم، ولا ييرا الكَلَم.

والقول في الأجل وكونه حارساً شُعْبَةٌ مِنْ شُعَبِ القول في القضاء والقَدَر، وله موضع هو أَمَلُكَ بِهِ.

- ٢١٣ -

**الأصل:** يَنَامُ الرَّجُلُ عَلَى التُّكْلِ، وَلَا يَنَامُ عَلَى الْحَرْبِ.

قال السيّد: وَمَعْنَى ذَلِكَ أَنَّهُ يُعْصِرُ عَلَى قَتْلِ الْأَزْلَادِ، وَلَا يُعْصِرُ عَلَى سَلْبِ الْأَمْوَالِ.

**الشرح:** كان يقال: المال جذل النفس.

وفي الأثر: أَنَّ مَنْ قُتِلَ مِنْ دُونِ مَالِهِ فهو شهيد.

(١) أخرجه السيوطي في جامعهم بما معناه رقم: ٨٧٢٣.

وقال الشاعر:

لَنَا إِبِلٌ غُرٌّ يَضِيقُ قَصَاؤُهَا      وَيَغْبِرُ عَنْهَا أَرْضُهَا وَسَمَاؤُهَا  
فَمَنْ دُونِهَا أَنْ تُسْتَبَاحَ دِمَاؤُنَا      وَمِنْ دُونِنَا أَنْ تُسْتَبَاحَ دِمَاؤُهَا  
حِمَى وَقَرَى فَالْمَوْتُ دُونَ مَرَامِهَا      وَأَيْسَرُ أَمْرِيَوْمَ حَقٌّ قَنَاؤُهَا

- ٣١٤ -

**الأصل:** مَوَدَّةُ الْأَبَاءِ قَرَابَةٌ بَيْنَ الْأَبْنَاءِ، وَالْقَرَابَةُ أَخَوْجُ إِلَى الْمَوَدَّةِ مِنَ الْمَوَدَّةِ إِلَى الْقَرَابَةِ.

**الشرح:** كان يقال: الْحَبُّ يُتَوَارَثُ، وَالْبُغْضُ يُتَوَارَثُ.

وقال الشاعر:

أَبْقَى الضَّغَائِنَ أَبَاءَ لَنَا سَلَفُوا      فَلَنْ تَبِيدَ وَلِلْأَبَاءِ أَبْنَاءُ  
وَلَا خَيْرَ فِي الْقَرَابَةِ مِنْ دُونِ مَوَدَّةٍ.  
وقد قال القائل لما قيل له: أَيُّمَا أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ أَخَوْكَ أَمْ صَدِيقُكَ؟ فقال: إِنَّمَا أَحَبُّ أَخِي إِذَا  
كَانَ صَدِيقًا.  
فالقرى محتاجة إلى المودة، والمودة مستغنية عن القرى.

- ٣١٥ -

**الأصل:** اتَّقُوا ظُلُومَ الْمُؤْمِنِينَ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى جَمَلَ الْحَقِّ عَلَى أَلْسِنِهِمْ.

**الشرح:** كان يقال: ظَلَمَ الْمُؤْمِنَ كَهَانَةً.

وهو أثر جاء عن بعض السلف.

قال أَوْسُ بْنُ حَجْرٍ:

الْأَلْمَعِيُّ الَّذِي يَظُنُّ بِكَ الظُّنَّ      كَانَ قَدْ رَأَى وَقَدْ سَمِعَا  
وقال أَبُو الطَّيِّبِ:

ذَكَرِي تَنْظَرِيهِ طَلِيعَةً عَيْنِهِ يَرَى قَلْبُهُ فِي يَوْمِهِ مَا يَرَى غَدًا

- ٣١٦ -

**الأصل:** لَا يَصْدُقُ إِيْمَانُ عَبْدٍ حَتَّى يَكُونَ بِمَا فِي يَدِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ أَوْثَقَ مِنْهُ بِمَا فِي يَدِهِ.

**الشرح:** هذا كلام في التوكل، وقد سبق القول فيه.

وقال بعض العلماء: لَا يَشْغُلُكَ الْمَضْمُونُ لَكَ مِنَ الرِّزْقِ عَنْ الْمَفْرُوضِ عَلَيْكَ مِنَ الْعَمَلِ، فَتَضَيِّعُ أَمْرَ آخِرَتِكَ، وَلَا تَنَالُ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكَ.

وقال يحيى بن معاذ في جود العبد: الرزق عن غير طلب دلالة على أن الرزق مأمور بطلب العبد.

وقال بعضهم: متى رضيَ بالله وكيلاً، وجدت إلى كل خير سبيلاً.

- ٣١٧ -

**الأصل:** وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَأَنْسَ بْنَ مَالِكٍ، وَقَدْ كَانَ بَعَثَهُ إِلَى طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرِ لَمَّا جَاءَ إِلَى الْبَصْرَةِ يُذَكِّرُهُمَا شَيْئاً قَدْ سَمِعَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي مَعْنَاهُمَا، فَلَوَّى عَنْ ذَلِكَ فَرَجَعَ إِلَيْهِ، فَقَالَ: إِنِّي أَتُسَيِّتُ ذَلِكَ الْأَمْرَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنْ كُنْتَ كَاذِباً فَضْرَبِكَ اللَّهُ بِهَا بِيضَاءَ لَا مِيعَةَ لَا تَوَارِيهَا الْعِمَامَةُ.

قال: يعني البرص، فأصاب أنساً هذا الداء فيما بعد في وجهه، فكان لَا يُرَى إِلَّا مُتَبَرِّقاً.

**الشرح:** المشهور أن علياً ﷺ ناشد الناس الله في الرحبة بالكوفة، فقال: أنشدكم الله رجلاً سمع رسول الله ﷺ يقول لي وهو متصرف من حجة الوداع: «من كنت مولاً فعلي مولاه، اللهم والِ مَنْ والاه، وعادِ مَنْ عاداه»<sup>(١)</sup> فقام رجال فشهدوا بذلك، فقال رسول الله ﷺ لأنس بن

(١) أخرجه ابن ماجه، كتاب: المقدمة، باب: فضل علي بن أبي طالب (١١٦)، وأحمد كتاب: العشرة المبشرين بالجنة، باب: ومن مسند علي بن أبي طالب (٩٥٣).

مالك: لقد حضرته، فما بالك! فقال: يا أمير المؤمنين كبرث سني، وصار ما أنساه أكثر مما أذكره، فقال له: إن كنت كاذباً فضربك الله بها يضاء لا توارىها العمامة، فما مات حتى أصابه البرص.

فأما ما ذكره الرضي من أنه بعث أنساً إلى طلحة والزبير فغير معروف، ولو كان قد بعث لذكرهما بكلام يختص بهما من رسول الله ﷺ لما أمكنه أن يرجع، فيقول: إني أنسيته، لأنه ما فارق متوجهاً نحوهما إلا وقد أقر بمعرفته وذكره، فكيف يرجع بعد ساعة أو يوم فيقول: إني أنسيته، فينكر بعد الإقراراً هذا مما لا يقع.

وقد ذكر ابن قتيبة حديث البرص، والدعوة التي دعا بها أمير المؤمنين عليه السلام على أنس بن مالك في كتاب «المعارف» في باب البرص من أعيان الرجال، وابن قتيبة غير متهم في حق علي عليه السلام، على المشهور من انحرافه عنه.

- ٣١٨ -

الأصل: **إِن لِّلْقُلُوبِ إِيْتَاباً وَإِذْبَاراً، فَإِذَا أَتَيْتَ فَاحْمِلُوهَا عَلَى التَّوَافِلِ، وَإِذَا أَذْبَرْتَ فَانْقَصِرُوا بِهَا عَلَى الْفَرَائِضِ.**

الشرح: لا ريب أن القلوب تمل كما تمل الأبدان، وتقبل تارة على العلم وعلى العمل، وتدبر تارة عنهما.

قال علي عليه السلام: فإذا رأيتموها مقبلة أي قد نشطت وارتاحت للعمل فاحملوها على التوافل، ليس يعني اقتصرُوا بها على النافلة، بل أدوا الفريضة وتنقلوا بعد ذلك. وإذا رأيتموها قد ملت العمل وسنمت فاقصروا بها على الفرائض، فإنه لا انتفاع بعمل لا يحضر القلب فيه.

- ٣١٩ -

الأصل: **فِي الْقُرْآنِ نَبَأٌ مَا قَبْلَكُمْ، وَخَبَرٌ مَا بَعْدَكُمْ، وَحُكْمٌ مَا بَيْنَكُمْ<sup>(١)</sup>.**

(١) هذا حديث: أخرجه الترمذي، كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء في فضل القرآن (٢٩٠٦)، وأحمد في كتاب مستند العشرة المبشرين بالجنة، باب مستند علي بن أبي طالب (٧٠٦)، والدارمي في كتاب فضائل القرآن، باب فضل من قرأ القرآن (٣٣٣١).

**الشرح:** هذا حق؛ لأن فيه أخبار القرون الماضية، وفيه أخبار كثيرة عن أمور مستقبله، وفيه أخبار كثيرة شرعية؛ فالأقسام الثلاثة كلها موجودة فيه.

- ٣٢٠ -

**الأصل:** رُدُّوا الْحَجَرَ مِنْ حَيْثُ جَاءَ، فَإِنَّ الشَّرَّ لَا يَذْفَعُهُ إِلَّا الشَّرُّ.

**الشرح:** هذا مثل قولهم في المثل: إن الحديد بالحديد يُقْلَعُ وقال عمرو بن كلثوم:

أَلَا لَا يَجْهَلُنْ أَحَدٌ عَلَيْنَا      فَجَهْلُ فَوْقِ جَهْلِ الْجَاهِلِينَ  
وقال الفند الزماني:

فَلَمَّا صَرَحَ الشَّرُّ      فَسَامَسِي وَمَوْعِرِيَانُ  
وَلَمْ يَبْقَ سِوَى الْعَذْوَا      نِ دِنَاهُم كَمَا دَانُوا  
وَبَعْضُ الْحَلَمِ عِنْدَ الْجَهْلِ      لِنَ لِّلذَّلَةِ إِذْ عَانِ  
وَفِي الشَّرِّ نَجَاةٌ حَيَّةٌ      نِ لَا يَنْجِيكَ إِحْسَانُ  
وقال الأحنف:

وَذِي ضِغْنٍ أَمَتَ الْقَوْلَ عَنْهُ      بِحَلَمِي فَاسْتَمَرَ عَلَى الْمَقَالِ  
وَمَنْ يَحْلُمُ وَلَيْسَ لَهُ سَفِيَّةٌ      يُلَاقِي الْمَعْضَلَاتِ مِنَ الرِّجَالِ  
وقال الراجز:

لَا بَدَ لِّلْسَوْدِ مِنْ أَرْجَاحٍ      وَمِنْ عَدِيدٍ يَتَّقِي بِالرَّاحِ  
وَمِنْ سَفِيَّةٍ دَائِمِ النُّبَاحِ  
وقال آخر:

وَلَا يَلْبِثُ الْجُهَالُ أَنْ يَتَهَضَّمُوا      أَخَا الْحَلَمِ مَا لَمْ يَسْتَعِزَّ بِجَهُولِ  
وقال آخر:

وَلَا أُنْمِئِي الشَّرَّ وَالشَّرُّ تَارِكِي      وَلَكِنْ مَتَى أُحْمَلْ عَلَى الشَّرِّ أَرْكَبُ

- ٣٢١ -

**الأصل:** وَقَالَ ﷺ لِكَاثِبِهِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي رَافِعٍ:  
أَبْنَى دَوَاتِكَ، وَأَطْلُ جِلْفَةَ قَلَمِكَ، وَفَرِّجْ بَيْنَ السُّطُورِ، وَفَرِّمِطْ بَيْنَ الْحُرُوفِ فَإِنَّ ذَلِكَ  
أَجْدَرُ بِصَبَاحَةِ الْخَطِّ.

**الشرح:** لاقَ الحَبِيرُ بالكَاغِدِ يَلِيقُ، أَيِ التَّصَقُّ، وَلَقْنَتُهُ أَنَا يَتَعَدَّى وَلَا يَتَعَدَّى، وَهَذِهِ دَوَاةٌ مَلِيْقَةٌ:  
أَيِ قَدْ أَصْلَحَ مَدَادُهَا، وَجَاءَ الْقِيَاسُ الدَّوَاةُ إِلَّا تَهْ فِي مَلِيْقَةٍ، وَهِيَ لُغَةٌ قَلِيلَةٌ وَعَلَيْهَا وَرَدَتْ  
كَلِمَةُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ﷺ.

وَيَقَالُ لِلْمَرْأَةِ إِذَا لَمْ تَحْظَ عِنْدَ زَوْجِهَا: مَا عَاقَتْ عِنْدَ زَوْجِهَا وَلَا لَاقَتْ، أَيِ مَا التَّصَقَّتْ  
بِقَلْبِهِ.

وَنَقُولُ: هِيَ جِلْفَةُ الْقَلَمِ بِالْكَسْرِ، وَأَصْلُ الْجِلْفِ الْقَشْرُ، جِلْفَتُ الْقَلَمِ مِنْ رَأْسِ الدَّنِّ،  
وَالْجِلْفَةُ هَيْئَةُ فَتْحَةِ الْقَلَمِ الَّتِي يَسْتَمَدُّ بِهَا الْمَدَادُ، كَمَا نَقُولُ: «هُوَ حَسَنُ الرُّكْبَةِ وَالْجِلْسَةِ وَنَحْوِ  
ذَلِكَ مِنَ الْهَيْئَاتِ».

وَنَقُولُ: قَدْ قَرِمِطَ فَلَانٌ خَطْوَهُ إِذَا مَشَى مَشْيًا فِيهِ ضَبِيقٌ وَتَقَارُبٌ، وَكَذَلِكَ الْقَوْلُ فِي تَضْيِيقِ  
الْحُرُوفِ.

فَأَمَّا التَّفْرِيجُ بَيْنَ السُّطُورِ فَيَكْسِبُ الْخَطَّ بَهَاءً وَوَضُوحًا.

- ٣٢٢ -

**الأصل:** أَنَا يَغْسُوبُ الْمُؤْمِنِينَ، وَالْمَالُ يَغْسُوبُ الْفُجَّارَ.  
قَالَ: مَعْنَى ذَلِكَ أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ يَتَّبِعُونَنِي، وَالْفُجَّارَ يَتَّبِعُونَ الْمَالَ، كَمَا تَتَّبِعُ النَّخْلُ يَغْسُوبُهَا،  
وَهُوَ رَئِيسُهَا.

**الشرح:** هَذِهِ كَلِمَةٌ قَالَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِلَفْظَيْنِ مُخْتَلِفَيْنِ، تَارَةً: «أَنْتَ يَغْسُوبُ الدِّينَ»<sup>(١)</sup>

(١) أَخْرَجَهُ الْعَلَمَةُ الْمَجْلِسِيُّ فِي الْبَحَارِ: ٦٧/٣٥.

وقارة: «أنت يعسوب المؤمنين»<sup>(١)</sup>، والكل راجع إلى معنى واحد، كأنه جعله رئيس المؤمنين وسيدهم، أو جعل الذين يتبعه، ويقفوا أثره، حيث سلك كما يتبع النحل العسب. وهذا نحو قوله: «وأدير الحق معه كيف دار»<sup>(٢)</sup>.

- ٣٢٣ -

الأصل: وقال لبعض اليهود حين قال له: ما دَقْتُمْ نَبِيَّكُمْ حَتَّى اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ فَقَالَ لَهُ: إِنَّمَا اخْتَلَفْنَا عَنْهُ لَا فِيهِ، وَلَكِنْ كُنْتُمْ مَا حَفَّتْ أَرْجُلُكُمْ مِنَ الْبَحْرِ حَتَّى قُلْتُمْ لِنَبِيِّكُمْ: «اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ» قَالَ لَكُمْ قَوْمٌ يَجْهَلُونَ<sup>(٣)</sup>.

الشرح: ما أحسن قوله: «اختلفنا عنه لا فيه»، وذلك لأن الاختلاف لم يكن في التوحيد والنبوة، بل في فروع خارجة عن ذلك، نحو الإمامة والميراث، والخلاف في الزكاة هل هي واجبة أم لا، واليهود لم يختلفوا كذلك، بل في التوحيد الذي هو الأصل. قال المفسرون: مروا على قوم يعبدون أصناماً لهم على هيئة البقر، فسألوا موسى أن يجعل لهم إلهاً كواحد منها، بعد مشاهدتهم الآيات والأعلام، وخلاصهم من رق العبودية، وعبرهم البحر، ومشاهدة غرق فرعون، وهذه غاية الجهل.

وقد روي حديث اليهودي على وجه آخر، قيل: قال يهودي لعلي عليه السلام: اختلفتم بعد نبيكم ولم يجف ماؤه - يعني غسله - فقال عليه السلام: وأنتم قلتم: اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة ولما يجف ماؤكم.

(١) أخرجه البزار في «المستند» (٣٨٩٨)، والطبراني بنحوه في «المعجم الكبير» (٦١٨٤)، والهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠٢/٩).

(٢) أخرجه الترمذي، كتاب: المناقب، باب: مناقب علي بن أبي طالب (٣٧١٤)، والحاكم في «المستدرک» (٤٦٢٩).

(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٣٨.



- ٣٢٤ -

**الأصل:** وَقِيلَ لَهُ ﷺ: بَايَ شَيْءٍ حَلَبْتَ الْأَقْرَانَ؟ قَالَ: مَا لَيْقِيْتُ أَحَدًا إِلَّا أَحَانَنِي عَلَى نَفْسِهِ. قَالَ الرَّضِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: يُؤْمِنُ بِذَلِكَ إِلَى تَمَكُّنِ هَيْبَتِهِ فِي الْقُلُوبِ.

**الشرح:** قالت الحكماء: الوهم مؤثر، وهذا حق، لأن المريض إذا تقرر في وهمه أن مرضه قاتل له ربما هلك بالوهم، وكذلك مَنْ تلبسه الحية، ويقع في خياله أنها قاتلته، فإنه لا يكاد يسلم منها، وقد ضربوا لذلك مثلاً، الماشي على جذع معترض على مهواة، فإن وهمه وتخيله السقوط يقتضي سقوطه، وإلا قمشه عليه وهو منصوب على المهواة كمشيه عليه وهو ملقى على الأرض، لا فرق بينهما إلا الوهم والخوف والإشفاق والحذر، فكذاك الذين بارزوا علياً ﷺ من الأقران، لما كان قد طار صيته، واجتمعت الكلمة أنه ما بارزه أحد إلا كان المقتول، غلب الوهم عليهم، فقصرت أنفسهم عن مقاومته، وانخذلت أيديهم وجوارحهم عن مناهضته، وكان هو في الغاية القصوى من الشجاعة والإقدام، فيقتحم عليهم ويقتلهم.

- ٣٢٥ -

**الأصل:** وَقَالَ ﷺ لَأَبْنَيْهِ: يَا بَنَيَّ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكَ الْفَقْرَ، فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنْهُ، فَإِنَّ الْفَقْرَ مَنَقَصَةٌ لِلدِّينِ، مَذْهَنَةٌ لِلْعَقْلِ، ذَاجِبَةٌ لِلْمَقَبِ.

**الشرح:** هذا موضع قد اختلف الناس فيه كثيراً، ففضل قوم الغنى، وفضل قوم الفقر. فقال أصحاب الغنى: قد وصف الله تعالى المال، فسماه خيراً، فقال: ﴿إِنِّي أُحِبُّ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي﴾<sup>(١)</sup>.

وقال ممتناً على عباده، واعدأ لهم بالإنتعام والإحسان: ﴿وَيَتَذَكَّرُ بِأَمْوَالِ رَبِّهِ﴾<sup>(٢)</sup>. وقال: ﴿وَجَعَلْتُ لَهُ مَا لَا مَثَدُوا﴾<sup>(٣)</sup>.

(٢) سورة نوح، الآية: ١٢.

(١) سورة ص، الآية: ٣٢.

(٣) سورة المدثر، الآية: ١٢.

وقال النبي ﷺ: «المال الحسب، إن أحساب أهل الدنيا هذا المال»<sup>(١)</sup>.

وقال ﷺ: «نعم العون على تقوى الله المال»<sup>(٢)</sup>.

قالوا: ولا ريب أن الأعمال الجليلة العظيمة الثواب لا يتهيأ حصولها إلا بالمال، كالحج والوقوف والصدقات والزكوات والجهاد.

وقد جاء في الخبر: «خير المال بركة مأبورة أو مَهْرَة مأبورة»<sup>(٣)</sup>.

وقالت الحكماء: المال يرفع صاحبه وإن كان وضع النسب، قليل الأدب وينصره وإن كان جباناً، ويبسط لسانه وإن كان عبياً، به تُوصل الأرحام، وتصل الأعراس، وتظهر المروءة، وتتم الرئاسة، ويعمر العالم، وتبلغ الأغراض، وتذكر المطالب، وتثال المآرب، يصلك إذا قطعك الناس، وينصرك إذا خذلوك، ويستعبد لك الأحرار، ولولا المال لما بان بكرم الكريم، ولا ظهر لوم اللئيم، ولا شكر جواد، ولا ذم بخيل، ولا حنين حريم، ولا أدرك نعيم.

وقال الشاعر:

المال أنفع للفتى من علمه      والفقر أقتل للفتى من جهله  
ما ضر من رفع الذراهم قدره      جهل يناط إلى دناءة أصله

وقال آخر:

دعوت أخي فولى مشمئزاً      ولبى درهمي لنمنا دعوت  
وقال آخر:

ولم أر أوفى ذمة من دراهمي      وأصدق عهداً في الأمور العظام  
فكم تخانني خل وثقت بعهده      وكان صديقاً لي زمان الذراهم  
وقال آخر:

أبو الأصفر المنقوش أنفع للفتى      من الأصل والعلم الخطير المقدم  
وما مدح العلم امرؤ ظفرت به      يداه ولكن كل مُفترٍ ومعيد  
وقال الشاعر:

ولم أر بعد الدين خيراً من الفنى      ولم أر بعد الكفر شراً من الفقر

(١) أخرجه النسائي، كتاب: النكاح، باب: الحسب (٣٢٢٥)، وأحمد في «مستدركه» (٢٢٤٨١).

(٢) أخرجه الشهاب في «مستدركه» (١٣١٧).

(٣) أخرجه أحمد في «مستدركه» (١٥٤١٨)، والبيهقي في «سننه» (٦٤/١٠)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٦٤٧٠).

وقال العثابني: الناس لصاحب المال ألزم من الشعاع للشمس، وهو عندهم أرفع من السماء، وأعذب من الماء، وأحلى من الشهد، وأزكى من الورد، خطوه صواب، وسيئته حسنة. وقوله مقبول، يُغشى مجلسه، ولا يُملّ حديثه، والمفلس عندهم أكذب من ليمان السراب، ومن رؤيا الكهنة، ومن مرآة اللقوة، ومن سحاب تموز، لا يسأل عنه إن غاب، ولا يسلم عليه إذا قدم، إن غاب شتموه، وإن حضر طردوه، مصافحته تنقض الوضوء، وقراءته تقطع الصلاة، أثقل من الأمانة، وأبغض من السائل المبرم.

وقال بعض الشعراء الظرفاء، وأحسن كل الإحسان مع خلاعة:

أصونُ دَراهِمِي وأدبُ عَنِّيَا      لِعَلَّوِي أَنهَا سَيَفِي وَتُرْسِي  
وَأَذْعُرُهَا وَأَجْمُتُهَا بِجَهْدِي      وَيَأْخُذُ وَارِثِي مِنْهَا وَعُزْسِي  
فِيَأْكُلُهَا وَيَشْرِبُهَا هَنِيئًا      عَلَى النَّغَمَاتِ مِنْ نَقْرِ وَجَسْ  
وَيَقْعُدُ فَوْقَ قَبْرِي بَعْدَ مَوْتِي      وَلَا يَتَصَدَّقُنْ عَنِّي بِفُلْسِ  
أَحِبَّ إِلَيَّ مِنْ قَصْدِي عَظِيمًا      كَبِيرًا أَصْلَهُ مِنْ عَبْدِ شَمْسِ  
أَمْدٌ إِلَيْهِ كَفِّي مُسْتَمِيحًا      وَأُضْبِحُ عَبْدَ خِدْمَتِهِ وَأُمِيسِي  
وَيَتْرَكُنِي أَجْرَ الرَّجُلِ مِتِّي      وَقَدْ صَارَتْ كَنَفْسِ الْكَلْبِ نَفْسِي  
وقال أصحاب الفقر: الغنى سبب الطغيان، قال الله تعالى: ﴿لَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّا﴾ (١) أَن رَّآهُ

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا أَقْمَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَاضَهُ وَكُنَّا بِمَحْيَاتِهِ﴾ (٢).

وكان يقال: الغنى يورث البطر، وغنى النفس خير من غنى المال.

وقال محمود البقال:

الفقر خيرٌ فأتَيْتُغٍ واقتصد      إِنَّ مِنَ الْعِصْمَةِ أَلَا تَجِدُ  
كَمْ وَاجِدٍ أَطْلُقَ وَجَدَانَهُ      عَنَانَهُ فِي بَعْضِ مَا لَمْ يُرِدْ  
وَمُذْمِنٍ لِلْخَمْرِ غَادٍ عَلَى      سَمَاعِ غُودٍ وَغِنَاءٍ غَرِدْ  
لَوْ لَمْ يَجِدْ خَمْرًا وَلَا مُسَمِّعًا      يَرُدُّ بِالْمَاءِ غَلِيلَ الْكَبِدْ  
كَمْ مِنْ يَدٍ لِلْفَقْرِ عِنْدَ امْرِئٍ      طَاطَأَ مِنْهُ الْفَقْرُ حَتَّى اقْتَصَدْ

وكان يقال: الفقر شعار الصالحين، والفقر لباس الأنبياء.

ولذلك قال البحري:

فقر كفقر الأنبياء وغربة وصباة ليس البلاء بواحد  
وكان يقال: الفقر مُخِفٌ، والغنى مُثْقَلٌ.

وفي الخير: نجا المخفون.

وما أحسن قول أبي العتاهية:

ألم تر أن الفَقْرَ يُرْجَى له الغنى وأن الغنى يُخْشَى عليه من الفقر  
وقد ذم الله تعالى المال، فقال: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ (١).

وكان يقال: المال ملول، المال ميتال، المال غاد ورائح، طبع المال كطبع الصبي، لا  
يوقف على وقت رضاه ولا وقت سخطه. المال لا ينفعك حتى يفارقك.

والى هذا المعنى نظر القائل:

وصاحب صدقٍ ليس ينفع قريبه ولا وده حتى تفارقه عندما  
يعني الديتار.

وَمَا أَحْسَنَ مَا قَالَ الْأَوَّلُ:

وقد يُهْلِكُ الإنسانَ حسنُ رِيَاثِهِ كما يُذْبَحُ الطَّائِسُ من أجل رِيَاثِهِ  
وقال آخر:

رُوِيَكَ إِنْ الْمَالُ يُهْلِكُ رَبَّهُ إِذَا جَمَّ وَاسْتَعْلَى وَسُدَّ طَرِيقُهُ  
وَمِنْ جَاوَزَ الْمَاءَ الْغَزِيرَ فَمَجَّهَ وَسُدَّ طَرِيقَ الْمَاءِ فَهُوَ غَرِيبُهُ

- ٣٢٦ -

الأصل: وقال لسائل سألَه عن مسألة:

سَلِّ نَفْعَهَا، وَلَا تَسْأَلْ تَعْتًا، فَإِنَّ الْجَاهِلَ الْمُتَمَلِّمَ شَيْءٌ بِالْعَالِمِ، وَإِنَّ الْعَالِمَ الْمُتَعَتِّ شَيْءٌ  
بِالْجَاهِلِ.

الشرح: قد ورد نهى كثير عن السؤال على طريق الإعنات.

وقال أمير المؤمنين عليه السلام في كلام له: مَنْ حَقَّ الْعَالَمُ أَلَّا تَكْثُرَ عَلَيْهِ السُّؤَالُ، وَلَا تُعَيِّتَ فِي

(١) سورة التغابن، الآية: ١٥.

الجواب، ولا تضع له غامضات المسائل، ولا تلخ عليه إذا كسل، ولا تأخذ بشوبه إذا نهض، ولا تُفسي له سراً، ولا تفتابن عنده أحداً، ولا تنقلن إليه حديثاً، ولا تطلبن عثرته، وإن زل قبلت معذرتَه، وعليك أن توقره وتُعظّمه لله ما دام حافظاً أمر الله، ولا تجلس أمامه، وإذا كانت له حاجة فاسبق أصحابك إلى خدمته<sup>(١)</sup>.

وقال ابن سيرين لسائل سأله: سل أخاك إبليس، إنك لن تسأل وأنت طالب رشد.  
وقالوا: اللهم إنا نعوذ بك أن نُغَيّب كما نعوذ بك أن نُغَيّب، ونستكفيك أن تُفَضِّح، كما نستكفيك أن تُفَضِّح.  
وقالوا: إذا آتس المعلم من التلميذ سؤال التعتُّت حرّم عليه تعليمه.

- ٣٢٧ -

**الأصل:** وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَقَدْ أَشَارَ إِلَيْهِ فِي شَيْءٍ لَمْ يُوَافِقْ رَأْيَهُ: لَكَ أَنْ تُبَيِّرَ عَلَيَّ وَأَرَى فَإِذَا عَصَيْتَكَ فَأَطِيعْنِي.

**الشرح:** الإمام أفضل من الرعية رأياً وتديبيراً، فالواجب على من يشير عليه بأمر فلا يقبل أن يطيع ويسلم ويعلم أن الإمام قد حرّف من المصلحة ما لم يعرف.  
ولقد أحسن الصابي في قوله في بعض رسائله: ولولا فضل الرّعاة على الرّعايا في بُعْدِ مَنَظَرِ النظر، واستشفاف غيب العاقبة، لتساوت الأقدام، وتقاربت الأفهام، واستغنى المأموم عن الإمام.

- ٣٢٨ -

**الأصل:** وَرُوِيَ أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا وَرَدَ الْكُوفَةُ قَادِمًا مِنْ صِفِّينَ مَرَّ بِالشَّابِئِيِّينَ، فَسَمِعَ بَغَاءَ النِّسَاءِ عَلَى قَتْلِي صِفِّينَ، وَخَرَجَ إِلَيْهِ حَزْبُ بْنُ شَرَحْبِيلِ الشَّابَامِيِّ، وَكَانَ مِنْ وَجُوهٍ قَوِيٍّ، فَقَالَ لَهُ: أَتَيْتُكُمْ نِسَاءُكُمْ عَلَى مَا أَسْمَعُ أَلَا تَنْهَوْنَهُنَّ عَنْ هَذَا الرَّئِيسِ!

(١) أخرجه البرقي في الجوهر في نسب الإمام علي: ٨٤.

وَأَقْبَلَ حَزْبَ يَمْنِي مَعَهُ وَهُوَ عَلَيْهِ السَّلَامُ رَاكِبٌ، فَقَالَ لَهُ: ارْجِعْ فَإِنَّ مَشْيَ مِثْلِكَ مَعَ يَمْنِي فِتْنَةٌ لِلْوَالِي وَمَذَلَّةٌ لِلْمُؤْمِنِ.

**الشرح:** قد ذكرنا نسب الشباميين فيما اقتصرناه من أخبار صفين في أول الكتاب. والزين: الصوت، وإنما جعله فتنة للوالي لما يتداخله من العُجب بنفسه والزُهو، ولا ريب أيضاً في أنه مذلة للمؤمن، فإن الرجل الماشي إلى ركاب الفارس أذل الناس.

- ٣٢٩ -

**الأصل:** وقال عليه السلام: وقد مرّ بقتلى الخوارج يوم النهران: يؤساً لكم! لقد طرؤكم من غرؤكم. فقبل له: مَنْ غرهم يا أمير المؤمنين؟ فقال: الشيطانُ المضِلّ، والنفسُ الأمارةُ بالسوء؛ غرّتهم بالأمانِي، وكَسَحَتْ لهم في المعاصي، ووعدتهم الإظهار؛ فاقتحمت بهم النار.

**الشرح:** يقال: بوسى لزيد وبوساً «بالتونين» لزيد، فبوسى نظيره نُعمى، وبوساً نظيره نعمة، يتصب على المصدر. وهذا الكلام ردّ على المجبرة، وتصريح بأن النفس الأمارة بالسوء هي الفاعلة. والإظهار: مصدر، أظهرته على زيد، أي جعلته ظاهراً عليه غالباً له، أي وعدتهم الانتصار والظفر.

- ٣٣٠ -

**الأصل:** اتَّقُوا مَعَاصِيَ اللَّهِ فِي الْخَلَوَاتِ، فَإِنَّ الشَّاهِدَ هُوَ الْحَاكِمُ.

**الشرح:** إذا كان الشاهد هو الحاكم استغنى عمن يشهد عنده، فالإنسان إذن جدير أن يتقي الله حقّ ثقافته، لأنه تعالى الحاكم فيه وهو الشاهد عليه.

- ٣٣١ -

**الأصل:** وقال عليه السلام لما بلغه قتل محمد بن أبي بكر رضي الله عنه: **إِنْ حَزَنَّا عَلَيْهِ عَلَى قَدْرِ سُورِهِمْ بِهِ، إِلَّا أَنَّهُمْ نَقَصُوا بِنِصْأًا، وَنُقِصْنَا حَيِّبًا.**

**الشرح:** قد تقدم ذكر مقتل محمد بن أبي بكر رضي الله عنه.

وقال عليه السلام: إن حزننا به في العظم على قدر قرحهم به، ولكن وقع التفاوت بيننا وبينهم من وجه آخر، وهو أننا نقصنا حبيباً إلينا، وأما هم فنقصوا بنيفاً إليهم.

فإن قلت: كيف نقصوا، ومعلوم أن أهل الشام ما نقصوا بقتل محمد شيئاً لأنه ليس في عددهم!

قلت: لما كان أهل الشام يعدّون في كل وقت أعداءهم ويفضّاهم من أهل العراق، وصار ذلك العدد معلوماً عنده محصور الكمية، نقصوا بقتل محمد من ذلك العدد واحداً، فإن النقص ليس من عدد أصحابهم، بل من عدد أعدائهم الذين كانوا يترقبون بهم الدوائر، ويتمنّون لهم الخُطوب والأحداث، كأنه يقول: استراحوا من واحد من جملة جماعة كانوا ينتظرون موتهم.

- ٣٣٢ -

**الأصل:** وقال عليه السلام: **الْعُمُرُ الَّذِي أَخَذَ اللَّهُ فِيهِ إِلَى ابْنِ آدَمَ سِتُونَ سَنَةً.**

**الشرح:** أخذ الله فيه، أي سَوَّغَ لابن آدم أن يعتذر، يعني أن ما قبل السنتين هي أيام الصبا والشبيبة والكهولة، وقد يُمكن أن يُعذر الإنسان فيه على اتباع هوى النفس لغلبة الشهوة وشَرِّهِ الحَدَاثَةِ، فإذا تَجَاوَزَ السَّتِينَ دَخَلَ فِي سِنِّ الشَّبَعُوحَةِ، وَذَهَبَ عَنْهُ غُلُوءُ شَبَابِهِ، فَلَا عُدْرَةَ لَهُ فِي الْجَهْلِ.

وقد قالت الشعراء نحو هذا المعنى في دُون هذه السَّنِ الَّتِي عَيَّنَهَا عليه السلام.

وقال بعضهم:

إِذَا مَا الْمَرْءُ قَصُرَتْ مَرَّتْ عَلَيْهِ الْأَرْبَعُونَ عَنِ الرِّجَالِ  
وَلَمْ يَلْحَقْ بِصَالِحِهِمْ قَدْعُهُ فَلَيْسَ بِلَاحِقٍ أُخْرَى اللَّيَالِي

- ٣٣٣ -

**الأصل:** ما ظَفِرَ مَنْ ظَفِيرِ الْإِثْمِ بِهِ، وَالْغَالِبُ بِالْشَّرِّ مَغْلُوبٌ.

**الشرح:** قد قال عليه السلام نحو هذا، وذكرناه في هذا الكتاب: مَنْ قَصُرَ فِي الْخَصُومَةِ ظُلْمٌ وَمَنْ بَالَعَ فِيهَا أَيْمٌ.

- ٣٣٤ -

**الأصل:** إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ فَرَضَ فِي أَمْوَالِ الْأَغْنِيَاءِ أَقْوَاتَ الْفُقَرَاءِ، فَمَا جَاعَ فَقِيرٌ إِلَّا بِمَا مُتَّعَ بِهِ هَنِيئٌ، وَاللَّهُ تَعَالَى جَدُّهُ سَائِلُهُمْ عَنْ ذَلِكَ.

**الشرح:** قد تقدم القول في الصَّدَقَةِ وفضلها وما جاء فيها. وقد ورد في الأخبار الصَّحِيحَةُ أَنَّ أَبَا ذَرٍّ قَالَ: انْتَهَيْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ جَالِسٌ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ، فَلَمَّا رَأَيْتِي قَالَ: «هَمُّ الْأَخْسَرُونَ وَرَبُّ الْكَعْبَةِ» فَقُلْتُ: مَنْ هُمْ؟ قَالَ: «هَمُّ الْأَكْثَرُونَ أَمْوَالاً، إِلَّا مَنْ قَالَ هَكَذَا وَهَكَذَا مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ وَعَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ، وَقَلِيلٌ مَا هُمْ، مَا مِنْ صَاحِبِ إِبِلٍ وَلَا بَقَرٍ وَلَا غَنَمٍ لَا يُؤَدِّي زَكَاتَهَا إِلَّا جَاءَتْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحْظَمٌ مَا كَانَتْ وَأَسَمَنَةً، تَنْطَلِحُهُ بَقَرُونَهَا، وَتَطْؤُهُ بِأُظْلَانِهَا، كُلَّمَا نَفَذَتْ أَحْرَاهَا عَادَتْ عَلَيْهِ أَوْلَاهَا حَتَّى يَقْضِيَ اللَّهُ بَيْنَ النَّاسِ»<sup>(١)</sup>...

- ٣٣٥ -

**الأصل:** الْإِسْتِثْنَاءُ عَنِ الْمُدَّرِ، أَعَزُّ مِنَ الصَّدَقِ بِهِ.

(١) أخرج بنحوه البخاري، كتاب: الأيمان والنذور، باب: كيف كانت يمين النبي ﷺ (٦٦٣٨)، ويلفظ المؤلف أخرجه مسلم، كتاب: الزكاة، باب: تغليب عقوبة من لا يؤدي الزكاة (٩٩٠) ..



**الشرح:** رُوِيَ «خَيْرٌ مِنَ الصَّدَقِ»، والمعنى: لا تفعل شيئاً تعتذر عنه وإن كنت صادقاً في العذر، فالأفضل خيرٌ لك وأحرُّ لك من أن تفعل ثم تعتذر وإن كنت صادقاً.

ومن جگم ابن المعتز: لا يقوم عزُّ الغضب بذل الاعتذار.

وكان يقال: إِيَّاكَ أَنْ تَقُومَ فِي مَقَامٍ مُغْلَرَةٍ، فربَّ عذرٍ أسجل بذنب صاحبه.

اعتذر رجلٌ إلى يحيى بن خالد، فقال له: ذَنْبُكَ يَسْتَغِيثُ مِنْ عُذْرِكَ.

ومن كلامهم: ما رأيت عُذْراً أَشْبَهَ بِذَنْبٍ مِنْ هَذَا.

ومن كلامهم: أَضْرِبْهُ عَلَى ذَنْبِهِ مِائَةً، وَأَضْرِبْهُ عَلَى عُذْرِهِ مِائَتَيْنِ.

قال شاعرهم:

إذا كان وجهُ العُذْرِ ليس بواضحٍ فإنَّ اطِّراحَ العُذْرِ خَيْرٌ مِنَ العُذْرِ  
كان التَّعَمُّيُّ يَكْرَهُ أَنْ يُعْتَذَرَ إِلَيْهِ وَيَقُولُ: اسْكُتْ مَغْذُوراً، فَإِنَّ الْمَعَاذِيرَ يَحْضُرُهَا الْكَذِبُ.

- ٣٣٦ -

**الأصل:** أَقْلُ مَا يَلْزَمُكُمْ اللَّهُ سُبْحَانَهُ أَلَّا تَسْتَعِينُوا بِنِعْمِهِ عَلَى مَعَاصِيهِ.

**الشرح:** لَا تُنْهَى أَنْ مِنَ الْقَبِيحِ الْفَاحِشُ أَنْ يُنْعَمَ الْمَلِكُ عَلَى بَعْضِ رَعِيَّتِهِ بِمَالٍ وَهَيْدٍ وَسِلَاحٍ، فَيَجْعَلَ ذَلِكَ الْمَالَ مَادَّةً لِعَصِيَانِهِ وَالْخُرُوجِ عَلَيْهِ، ثُمَّ يُحَارِبُهُ بِأُولَئِكَ الْعَبِيدِ، وَبِذَلِكَ السِّلَاحِ بَعِيْتَهُ.

وما أَحْسَنَ مَا قَالَ الصَّابِيُّ فِي رِسَالَتِهِ إِلَى سُبُكْتِكِينَ مِنْ عِزِّ الدَّوْلَةِ بِخِيَارٍ: وَلَيْتَ شِعْرِي بَأَيِّ قَدَمٍ تَوَافَقْنَا وَرِابِئُنَا خَافِقَةً عَلَى رَأْسِكَ، وَمَمَالِكُنَا عَنْ يَمِينِكَ وَشِمَالِكَ، وَخَيْلُنَا مُوسِمَةً بِأَسْمَانِنَا نَحْنُكَ، وَثِيَابُنَا مَعُوكَةً فِي طِرَازِنَا عَلَى جَسَدِكَ، وَسِلَاحُنَا الْمَشْحُودُ لِأَعْدَائِنَا فِي يَدِكَ!

- ٣٣٧ -

**الأصل:** إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ جَمَلَ الطَّاعَةَ غَنِيمَةَ الْاِكْبَاسِ عِنْدَ تَقْرِيطِ الْعَجْرَةِ.

الشرح: الأكياس: المقلّاء أوّلو الألباب.

قال عليه السلام: جعل الله طاعته غنيمة هؤلاء، إذا قرط فيها العجزة المخذلون من الناس، كصيد استذق لرجلين: أحدهما جلد والآخر عاجز، فقعد عنه العاجز لعجزه وجرمانه، واقتصه الجلد لشهامته وقوة جده<sup>(١)</sup>.

- ٣٣٨ -

الأصل: السلطان ورعة الله في أرضه.

الشرح: الوازع عن الشيء: الكاف عنه، والمانع منه، والجمع ورعة، مثل قاتل وقتلة. وقد قيل هذا المعنى كثيراً، قالوا: لا بد للناس من ورعة.

وقيل: ما يزع الله عن الدين بالسلطان أكثر مما يزع عنه بالقرآن. وتنسب هذه اللفظة إلى عثمان بن عفان.

قال الشاعر:

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم ولا سراة إذا جهالهم سادوا  
وكان يقال: السلطان القاهر وإن كان ظالماً خير للرجية وللملك من السلطان الضعيف وإن كان عادلاً.

وقال الله سبحانه: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ﴾<sup>(٢)</sup>.

قالوا في تفسيره: أراد السلطان.

- ٣٣٩ -

الأصل: وقال عليه السلام في صفة المؤمن: بشرته في وجهه، وحرزته في قلبه. أوسع شيء صدراً، وأذل شيء نفساً. يكره الرقعة، ويشتا الشمعة. طویل غمّه، يبيد همّه، كثير صنعه،

(١) في ديوانه: ١٠ (ضمن مجموعة الطرائف الأدبية).

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٥١.

مَشْقُولٌ وَقَتُهُ، شُكُورٌ صَبُورٌ، مَعْمُورٌ بِفِكْرَتِهِ، صَبِينٌ بِخَلْقِهِ، سَهْلٌ الْخَلِيقَةِ، لَيْنٌ الْمَرْيَكَةِ، نَفْسُهُ أَضَلَبٌ مِنَ الصَّلْدِ، وَهُوَ أَذَلُّ مِنَ الْعَبْدِ.

**الشرح:** هذه صفات العارفين، وقد تقدم كثير من القول في ذلك.

وكان يقال: الْبَشَرُ عُنُوانُ التَّجَاحِ، والأمر الذي يختص به العارف أن يكون بِشَرُهُ في وَجْهِهِ وهو حزينٌ وحزْنُهُ في قلبه، وإلا فالْبَشَرُ قد يوجد في كثير من الناس. ثم ذكر أنه أوسع الناس صَدْرًا، وأَذَلَّهُمْ نَفْسًا، وأنه يَكْرَهُ الرِّفْعَةَ والصَّيْتَ. وجاء في الْحَبَرِ في وصفهم: «كُلُّ خَائِلٍ نُومَةٌ».

وطولُ الْعَمِّ ويُعدُّ الهَمُّ من صفاتهم، وكذلك كثرةُ الصَّمتِ وشغلُ الْوَقْتِ بالذكر والعبادة، وكذلك الشُّكْرُ والصَّبْرُ والاستغراقُ في الْفِكْرِ وتدبُّرِ آيَاتِ اللَّهِ تعالى في خَلْقِهِ، وَالضَّنُّ بِالْخَلَةِ وَقِلَّةُ الْمُخَالَطَةِ والتَوَقُّفُ عَلَى الْعَزَلَةِ وَحُسْنُ الْخُلُقِ وَلِينُ الْجَانِبِ، وأن يكون قَوِيَّ النَّفْسِ جَدًّا، مع ذلِّ للناسِ وتَوَاضُعِ بينهم، وهذه الأمور كُلُّهَا قد أتى عليها الشرح فيما تقدم.

- ٣٤٠ -

**الأصل:** الْفَتَى الْكَبِيرُ الْيَاسُ عَمَّا فِي أَيْدِي النَّاسِ.

**الشرح:** هذه الكلمة قد رُوِيَ مرفوعةً، وقد تقدم القول في الطمع ودَمَهُ، واليَاسِ وَمَذْجِهِ. وفي الحديث المرفوع: «أَزْهَذَ فِي النَّاسِ يُحِبُّكَ اللَّهُ، وَأَزْهَذَ فِيمَا فِي أَيْدِي النَّاسِ يُحِبُّكَ النَّاسُ»<sup>(١)</sup>.

ومن كلام بعضهم: مَا أَكَلْتُ طَعَامَ وَاحِدٍ إِلَّا هُنْتُ عَلَيْهِ. وكان يقال: نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ طَلَعِ يَنْزِيهِ إِلَى طَلَعِ. وقال الشاعر:

أَرَحْتُ رُوحِي مِنْ عَذَابِ الْمَلَاخِ      لِيِيَاسٍ رُوحٍ مِثْلَ رُوحِ النَّجَاحِ

(١) أخرجه الحاكم في «المستدرک» (٧٨٧٣)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٥٩٧٢)، والشهاب في «مسنده» (٦٤٣).

وقال بعضُ الأدباء: هذا المعنى الذي قد أطنَبَ فيه الناسُ ليس كما يزعمونه، لعمري إنَّ للياس راحة، ولكن لا كراحة النَّجاح، وما هوَ إلا كقولِ مَنْ قال: لا أدري نصفُ العلم، قليل له: ولكنه النصف الذي لا ينفع!

وقال ابن الفضل:

لا أمدح اليأسَ ولكنَّه  
أفلح من أبصر رَوْضَ المُنى  
ومما يروى لعبد الله بن المبارك الزاهد:

أزوح للقلب من المطمَع  
يُزعى فلم يزغ ولم يزغ  
قد أرخنا واسترخنا  
واتصل بالأمير  
ومن غمدو ورواح  
ووزير ذي سماح  
بمفاني وكفاني  
وجعلنا اليأس مفتاحاً  
ولأبواب النُّجاح

- ٣٤١ -

الأصل: المسؤول خر حتى يمد.

بعض ما قيل في الوعد والمطل

الشرح: قد سبق القول في الوعد والمطل. ونحن نذكر هاهنا نكتاً أخرى: في الحديث المرفوع: «مَنْ وَعَدَ وَغَدَا فَكَأَنَّمَا عَاهَدَ عَهْدًا»<sup>(١)</sup>.

وكان يقال: الوعدُ ذين الكرام، والمطلُ ذين اللئام.

وكان يقال: الوعدُ شُبَّكة من شباك الأحرار يتصيدون بها المحاميد.

وقال بعضهم: الوعد مرض المعروف، والإنجاز بُرْوه.

وقال يحيى بن خالد: الوعد سحاب، والإنجاز مطرؤه.

وفي الحديث المرفوع «عِدَّةُ الْمُؤْمِنِ عَطِيَّةٌ»<sup>(٢)</sup>.

(١) ذكره المناوي في «فيض القدير» (٤/٣٧٨).

(٢) لم أجده بهذا اللفظ، وروى الديلمي في «مسنده» (٤١١٢): «عِدَّةُ الْمُؤْمِنِ دِينَ».

وعنه عليه السلام: «لا تُؤاخذ أخاك موعداً تُخلفه»<sup>(١)</sup>.

وقال يحيى بن خالد لبنيه: يا بني، كونوا أَسَدًا في الأقوال، تُجَازَا في الأفعال، ولا تُعَدُّوا إِلَّا وتُنجَزُوا، فَإِنَّ الْحَرَّ يَتَّقِي بَوْدَ الْكَرِيمِ، وربما أَدَانَ عليه.

وكان جعفر بن يحيى يكره الوعد ويقول: الوعد من العاجز، فأما القادر فالتَّغَدُّ.

وفي الحديث المرفوع: «مَظَلُّ الْغَنِيِّ ظُلْمٌ»<sup>(٢)</sup>.

وقال ابن الفضل:

أَثَرُوا وَلَمْ يَفْضُوا دِيُونَ غَرِيمِهِمْ وَاللَّؤْمُ كُلُّ اللَّؤْمِ مَظَلُّ الْمُسِيرِ  
وقال الآخر:

إِذَا أَتَيْتَ الْمُعْطِيَّ بَعْدَ مَظْلٍ فَلَا كَانَتْ وَإِنْ كَانَتْ سَنِيتُهُ  
وكان يقال: الْمَظْلُ يَسُدُّ عَلَى صَاحِبِهِ بَابَ الْعُدْرِ، وَيُوجِبُ عَلَيْهِ الْأَخْسَنَ وَالْأَكْثَرَ، وَالتَّعْجِيلُ يُحَسِّنُ سِتْرَهُ، وَيُسْطُ عُدْرَهُ فِي التَّقْلِيلِ.

وقال يحيى بن خالد لبنيه: يَا بَنِي لَا تَمْطَلُوا مَعْرُوفَكُمْ، فَإِنَّ كَثِيرَ الْعَطَاءِ بَعْدَ الْمَظْلِ قَلِيلٌ، وَعَجَلُوا فَإِنَّ عُدْرَكُمْ مَقْبُولٌ مَعَ التَّعْجِيلِ.

ومن كلام الحسن بن سهل: الْمَظْلُ يُذْهِبُ رَوْقَ الْبِرِّ، وَيَكْذُرُ صَفْوَ الْمَعْرُوفِ، وَيُحِيطُ أَجْرَ الصَّدَقَةِ، وَيَعْقِلُ اللِّسَانَ عَنِ الشُّكْرِ. وَلِلتَّعْجِيلِ حِلَاوَةٌ وَإِنْ قَلَّتِ الْعَارِفَةُ، وَلِذَلِكَ وَإِنْ صَغُرَتِ الصَّبِيغَةُ، وَرَبَّمَا عَرَضَ مَا يَمْنَعُ الْإِنْجَازَ مِنْ تَعْدِيرِ الْإِمْكَانِ، وَتَغْيِيرِ الزَّمَانِ، فَبَادِرِ الْمُكْتَنَةِ، وَعَاجِلِ الْقُدْرَةِ، وَانْتَهِزِ الْفُرْصَةَ.

وقال الشاعر:

تُجْبِلُ عَلَى الْفَرَاغِ قَضَاءَ شُغْلِي وَأَنْتَ إِذَا فَرَّغْتَ تَكُونُ مِثْلِي  
فَلَا أَذْعَى بِخَادِيكَ الْمُرْجَى وَلَا تُذْعَى بِسَيِّدِنَا الْأَجَلُ  
وقال آخر:

لَوْ عَلِمَ الْمَاطِلُ أَنَّ الْبِطْلَانَ نَقَذَ بِهِ يَذْهَبُ طَفْمُ النَّوَالِ  
وَأَنَّ أَغْلَى الْبِرِّ مَائَالَهُ طَالِبُهُ نَقَذًا عَوِيْبَ السَّوَالِ

(١) أخرجه ابن سلامة في مسند الشهاب رقم: ٩٣٦.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب: الحوالات، باب: الحوالة وهل يرجع في الحوالة (٢٢٨٧)، ومسلم، كتاب: المساقاة، باب: تحریم مظل الغني وصحة الحوالة (١٥٦٤).

عَجَلَ لِّلسَّائِلِ مَعْرُوفَهُ مَهْتَأَ مِنْ طُلُوبِ قَبِيلٍ وَقَالَ

- ٣٤٢ -

الأصل: لو رَأَى الْعَبْدُ الْأَجَلَ وَمَصِيرَهُ، لَأَبْقَضَ الْأَمَلَ وَهُرُورَهُ.

الشرح: قد تقدم من الكلام في الأمل ما فيه كفاية.  
وكان يقال: واعجباً لصاحب الأمل القليل! وربما يكون كَفَنُهُ في يد التناج وهو لا يعلم.

- ٣٤٣ -

الأصل: لِكُلِّ امْرِئٍ فِي مَالِهِ شَرِيكَانِ: الْوَارِثُ وَالْحَوَادِثُ.

الشرح: أَخَذَهُ الرُّضِيُّ فَقَالَ:  
خُذْ مِنْ ثُرَايِكَ مَا اسْتَطَعْتَ فَإِنَّمَا شُرَكَاءُكَ الْأَيَّامُ وَالْوَرَاثُ  
لَمْ يَقْضِ حَقَّ الْمَالِ إِلَّا مَعَشَرٌ نَظَرُوا الزَّمَانَ يَبْعِثُ فِيهِ فَعَائِلُوا  
وقد قال عليه السلام في موضع آخر: يَشْرُ مَالُ الْبَخِيلِ بِحَادِثٍ أَوْ وَارِثٍ.  
ورأيت بخط ابن الخشاب رحمه الله على ظهر كتاب العبد لله بن أحمد بن أحمد بن أحمد  
ثم لحديث أو وارث، كأنه يعني ضَنَّهُ به، أي لا أَخْرَجْهُ عَنْ يَدَيَّ اخْتِيَاراً.

- ٣٤٤ -

الأصل: الدَّاعِي بِلا عَمَلٍ، كَالرَّامِي بِلا وَتَرٍ.

الشرح: مَنْ خَلَا مِنَ الْعَمَلِ فَقَدْ أَخْلَى بِالْوَاجِبَاتِ، وَمَنْ أَخْلَى بِالْوَاجِبَاتِ فَقَدْ نَسَى، وَاللهُ تَعَالَى لَا يَقْبَلُ دُعَاءَ الْفَاسِقِ.

وَشَبَّهَ ﷺ بِالرَّامِيِ بِلَا وَتَرٍ، فَإِنْ سَهَمَهُ لَا يَنْفَذُ.

- ٣٤٥ -

**الأصل:** الْعِلْمُ عِلْمَانِ: مُطْبُوعٌ وَمَسْمُوعٌ، وَلَا يَنْفَعُ الْمَسْمُوعُ، إِذَا لَمْ يَكُنِ الْمَطْبُوعُ.

**الشرح:** هذه قاعدة كَلْبِيَّةٌ مذكورة في الكتب الحكمية، إن العلوم منها ما هو قَرِيزِيٌّ، ومنها ما هو تَكْلِيفِيٌّ، ثُمَّ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الْقِسْمَيْنِ يَخْتَلِفُ بِالْأَشَدِّ وَالْأَضْعَفِ، أَمَّا الْأَوَّلُ فَقَدْ يَكُونُ فِي النَّاسِ مَنْ لَا يَحْتَاجُ فِي النَّظَرِ إِلَى تَرْتِيبِ الْمَقْدَمَاتِ، بَلْ تَتَسَاقُ النَتِيجَةُ النَّظَرِيَّةُ إِلَيْهِ سَوْفًا مِنْ غَيْرِ احْتِاجٍ مِنْهُ إِلَى التَّأَمُّلِ وَالتَّدْبِيرِ، وَقَدْ يَكُونُ فِيهِمْ مَنْ هُوَ دُونَ ذَلِكَ، وَقَدْ يَكُونُ مَنْ هُوَ دُونَ الدُّوْنِ، وَأَمَّا الثَّانِي فَقَدْ يَكُونُ فِي النَّاسِ مَنْ لَا يُجِدِي فِيهِ التَّعْلِيمُ، بَلْ يَكُونُ كَالصَّخْرَةِ الْجَامِدَةِ بِلَادَةٍ وَغَبَاوَةٍ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ أَقَلُّ تَبَلُّدًا وَجُنُوحَ ذَهْنٍ مِنْ ذَلِكَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ الْوَقْفَةُ عِنْدَهُ أَقَلَّ، فَيَكُونُ ذَا حَالٍ مُتَوَسِّطَةً، وَبِالْجُمْلَةِ فَاسْتِغْرَاءُ أَحْوَالِ النَّاسِ بِشَهِيدٍ بِصَحَّةِ ذَلِكَ.

وقال ﷺ: لَيْسَ يَنْفَعُ الْمَسْمُوعُ، إِذَا لَمْ يَكُنِ الْمَطْبُوعُ، يَقُولُ: إِذَا لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ أَحْوَالٌ اسْتِعْدَادٌ لَمْ يَنْفَعِ الدَّرْسُ وَالتَّكْرَارُ، وَقَدْ شَاهَدْنَا مِثْلَ هَذَا فِي حَقِّ أَشْخَاصٍ كَثِيرَةٍ اسْتَعْقَلُوا بِالْعِلْمِ الذَّغَرِ الْأَطْوَلَ، فَلَمْ يَنْبَغِ مَعَهُمُ الْعِلَاجُ، فَارْقُوا الدُّنْيَا وَهُمْ عَلَى الْغَرِيزَةِ الْأُولَى فِي السَّادِجَةِ وَعَدَمِ الْفَهْمِ.

- ٣٤٦ -

**الأصل:** صَوَابُ الرَّأْيِ بِالذُّوْلِ يَقْبَلُ بِإِقْبَالِهَا، وَيُكْبَرُ بِإِدْبَارِهَا.

**الشرح:** قَالَ الصُّوْلِيُّ: اجْتَمَعَ بَنُو بَرْمَكٍ عِنْدَ يَحْيَى بْنِ خَالِدٍ فِي آخِرِ دَوْلَتِهِمْ وَهُمْ يَوْمَئِذٍ عَشْرَةٌ، فَأَدَارُوا بَيْنَهُمُ الرَّأْيَ فِي أَمْرِ فَلَمْ يَصْلُحْ لَهُمْ، فَقَالَ يَحْيَى: إِنْ أَلَّاهُ ذَهَبْتُ وَاللَّهِ دَوْلَتُنَا كُنَّا فِي إِقْبَالِنَا يُبْرِمُ الْوَاحِدُ مَتَا عَشْرَةِ آرَاءٍ مُشْكَلَةٍ فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ، وَالْيَوْمَ نَحْنُ عَشْرَةٌ فِي أَمْرِ غَيْرِ مُشْكَلٍ، وَلَا يَصِحُّ لَنَا فِيهِ رَأْيٌ إِلَّا اللَّهُ نَسْأَلُ حُسْنَ الْخَاتَمَةِ.

أَرْسَلَ الْمَنْصُورُ لَمَّا هَاضَهُ أَمْرُ إِبْرَاهِيمَ إِلَى عَمِّهِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَلِيٍّ وَهُوَ فِي السَّجَنِ يَسْتَشِيرُهُ مَا

يصنع ا وكان إبراهيم قد ظهر بالبصرة، فقال عبد الله: أنا مخبوس، والمخبوس مخبوس الرأي، قال له: فعلى ذاك؟ قال يفرق الأموال كلها على الرجال ويلقاء، فإن ظفر فذاك، وإلا يتوجه إلى أبيه محمد بجرجان، ويتركه يقدم على يوت أموال فارغة، فهو خير له من أن تكون الذبرة عليه، ويقدم عدوه على يوت أموال مملوءة.

قال سليمان بن عبد الملك ليزيد بن أبي مسلم صاحب شرطة الحجاج يوماً: لعن الله رجلاً أجرك رسته، وخرب لك آخرته. قال: يا أمير المؤمنين، رأيتني والأمر عني مُدبر ولو رأيتني والأمر عليّ مُقيل لاستكبرت مني ما استصغرت، ولا استعظمت مني ما استحققت.

- ٣٤٧ -

الأصل: العَفَافُ زِينَةُ الْفَقْرِ، وَالشُّكْرُ زِينَةُ الْفَتَى.

الشرح: قد سبق القول في أن الأجل بالفقير أن يكون حفيفاً، وألا يكون جشعاً حريصاً، ولا جاداً في القلب متهاكماً، وأنه ينبغي أنه إذا افتقر أن يتيه على الوقت وأبناء الوقت، فإن التيه في مثل ذلك المقام لا بأس به، ليعتد جداً عن مظنة الجرص والطمع.

وقد سبق أيضاً القول في الشكر عند النعمة وجوبه، وأنه سبب لاستدامةها، وأن الإخلاص به داعية إلى زوالها وانتقالها، وذكرنا في هذا الباب أموراً مستحسنة، فلترجع، وقال عبد الصمد بن المعذل في العفاف:

سأقني العَفَافَ وأَرْضَى الْكَفَافَ	وليس غنى النفس حوزُ الجَزِيلِ
ولا أنصدى لشُكْرِ الْجَوَادِ	ولا استعد لذم الْبَخِيلِ
وأغْلَسُ أن بنات الرِّجَاءِ	تُحِلُّ الْعَزِيزَ مَحَلُّ الدَّلِيلِ
وأن ليس مستغنياً بالكثير	رَمَنَ لَيْسَ مستغنياً بِالْقَلِيلِ

- ٣٤٨ -

الأصل: يَوْمُ الْمَذَلِّ عَلَى الظَّالِمِ، أَشَدُّ مِنْ يَوْمِ الْجَوْرِ عَلَى الْمَظْلُومِ.



**الشرح:** شيان مؤلمان: أحدهما ينقضي سريعاً، والآخر يدوم أبداً، فلا جرم، كان اليوم المذكور على القالَم، أشد من يوم الجور على المظلوم.

- ٣٤٩ -

**الأصل:** الأقاويلُ مخفوفةٌ، والسرايرُ مبلوغةٌ ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَوِيَّةٌ﴾<sup>(١)</sup>. والناسُ منقوصون مذخورون إلا من عصم الله، سألهم تمنعت، ومجيئهم متكلف، يكاد أفضلهم رأياً يرده عن فضل رأيه الرضا والسخط، ويكاد أضلهم عوداً تنكؤه اللحظة، وتستحيله الكلمة الواحدة.

**الشرح:** السرائر هاهنا: ما أثير في القلوب من النيات والعقائد وغيرها، وما يخفى من أعمال الجوارح أيضاً. وبلاؤها: تمرؤها وتصفحها، والتمييز بين ما طاب منها وما خبت. وقال عمر بن عبد العزيز للأحوص لما قال: سئلتني لها في مضمر القلب والحشا سريرة حب يوم تُبلى السرائر إنك يومئذ عنها لمشغول.

ذكر عليه السلام الناس فقال: قد همهم النقص إلا المنصومين. ثم قال: سألهم يسأل تمنعتا، والسؤال على هذا الوجه مذموم، ومجيئهم متكلف للجواب، وأفضلهم رأياً يكاد رضاء تارة وسخطه أخرى يرده عن فضل رأيه، أي يتبعون الهوى ويكاد أضلهم عوداً، أي أشدهم احتمالاً.

تنكؤه اللحظة، نكأ الثفرحة إذا صدمتها بشيء فتشربها.

قال: «وتستحيله الكلمة الواحدة»، أي تحيله وتغيره عن مقتضى طبعه، يصنفهم بسرعة التقلب والتلون، وأنهم ميطعون وداعى الشهوة والغضب. واستغفل بمعنى «فعل» قد جاء كثيراً استغفل العسل، أي غلط.

- ٣٥٠ -

الأصل: قال: مَعَاشِرَ النَّاسِ، اتَّقُوا اللَّهَ، فَكَمْ مِنْ مُؤْمِلٍ مَا لَا يَبْلُغُهُ، وَيَبَانِ مَا لَا يَسْكُنُهُ،  
وجامع مَا سَوْفَ يَتْرَكُهُ، وَلَعَلَّهُ مِنْ بَاطِلٍ جَمَعُهُ، وَمِنْ حَقٍّ مَنَعُهُ، أَصَابَهُ حَرَامًا،  
وَاحْتَمَلَ بِهِ آثَامًا، فَبَاءَ بِوُزْرِهِ، وَقَدِمَ عَلَى رِيُو، أَيْفًا لَا هِفَا، قَدْ «خَيْرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ» ذَلِكَ هُوَ  
التَّحْسَنُ الْيُسِينُ<sup>(١)</sup>.

الشرح: قد تقدم شرح هذه المعاني والكلام عليها، أما الآمال التي لَا تَبْلُغُ، فأكثَرُ من أن  
تُحْصَى، بل لَا نِهَاءَ لَهَا.

وما أحسن قول القائل:

واحسرتنا مات حظي من وصالكم      وللحظوظ كما للناس آجال  
إن مت شوقاً ولم أبلغ مدى أمني      كم تحت هذي القبور الخرس آمال  
وأما بناء ما لَا يَسْكُنُ، فنحو ذلك.

وقال الشاعر:

الم تر حوقباً بالأمن يبني      بناءً نفسه لبني نفيلة  
يؤمل أن يعمر عمر نوح      وأمر الله يطرُق كل ليلة  
وأما جامع ما سَوْفَ يَتْرَكُهُ، فأكثَرُ الناس، قال الشاعر:

وذي إبل يسعى ويحسبها له      أخوتعِبَ في رغبها ودؤب  
عَدَتْ وَعَدَا رَبِّ سِوَاهُ يَسُوقُهَا      ويُدَلُّ أَحْجَاراً وَجَالِ قَلِيبِ

- ٣٥١ -

الأصل: مِنَ الْعِصْةِ تَعَدُّرُ الْمَعَاصِي.

**الشرح:** قد وردت هذه الكلمة على صيغ مختلفة. من العِصمة ألا تقدر. وأيضاً، من العِصمة ألا تجدد.

وقد رُويت مرفوعة أيضاً.

وليس المراد بالعِصمة هاهنا العِصمة التي ذكرها المتكلمون، لأن العِصمة عند المتكلمين من شرطها القُدرة، وحقيقتها راجعة إلى لُطف يمنع القادرَ على المنصية من المعصية، وإنما المراد أن غير القادر في اندفاع العقوبة عنه كالقادر الذي لا يفعل.

- ٣٥٢ -

**الأصل:** ماء وجهك جايذ بقطره السوال، فانظر جند من تقطره.

**الشرح:** هذا حسن، وقد أخذَه شاعرٌ فقال:

إذا أظمأنك أحمف اللُمام      كفشك القناعة شُبُعاً ورياً  
فكن رجلاً رجُلُه في الثرى      وماءهُ همتُه في الثرى  
فلإن إراقه ماء الحيا      دون إراقه ماء الحيا  
وقال آخر:

رددت لي ماء وجهي في صفيحتي      ردَّ الصقال بهاء الصَّارم الجذم  
وما أبالي وخير القول أصدقه      حقنت لي ماء وجهي أو حقنت دمي  
وقال مصعب بن الزبير: إني لأستحي من رجل وجه إلي رغبته، فبات لي لته يتململ ويتقلقل على فراشه، يتنظر الصبح، قد جعلني أفلاً لأن يقطر ماء وجهه لدي أن أرده خائباً.

وقال آخر:

ما ماء كفيك إن أرسلت مُزنته      من ماء وجهي إذا استقطرته عوض

- ٣٥٣ -

**الأصل:** الشاء يكثر من الاستحقاق ملق، والتقصير عن الاستحقاق عي أو حسد.

**الشرح:** كانوا يكرهون أن يُثني الشاعر في شعره على الممدوح الثناء المفرط، ويقولون: خير المَدح ما قارب فيه الشاعر واقتصد، وهذا هو المَدح الصَّحيح، وإن كان قوم يقولون: إن خير الشعر المنظوم في المَدح ما كان أشدَّ مغالاةً وأكثر تَبجِيلاً وتعظيماً ووضفاً ونعتاً.

وينبغي أن يكون قوله **عَلَيْهِ** محمولاً على الثناء في وجوه الإنسان؛ لأنه هو الموصوف بالملق إذا أفرط، فأما من يُثني بظهور الغيب فلا يوصف ثناؤه بالملق، سواء كان مقتصداً أو مسرفاً.

وقوله **عَلَيْهِ**: «والتقصير عن الاستحقاق عي أو حسد» لا مزيد عليه في الحسن، لأنه إذا قصر به عن استحقاقه كان المانع إما من جانب المثني فقط من غير تعلق له بالمثني عليه، أو مع تعلق به، فالأول هو العي والحصر، والثاني هو الحسد والمنافسة.

- ٣٥٤ -

**الأصل:** أشدُّ الذُّنوب مما استهانَ به صاحبها.

**الشرح:** قد ذكرنا هذا فيما تقدّم وذكرنا العلة فيه، وهي أن فاعل ذلك الذنب قد جمع بين فعل الذنب وفعل ذنب آخر، وهو الاستهانة بما لا يستهان به؛ لأن المعاصي لاهين فيها، والصغير منها كبير، والحقير منها عظيم، وذلك لجلالة شأن المثني سبحانه. فأما من يذنب ويستعظم ما أتاه، فحاله أخف من حال الأول، لأنه يكاد يكون نادماً.

- ٣٥٥ -

**الأصل:** مَنْ نَظَرَ فِي عَيْبِ نَفْسِهِ اسْتَفْتَلَّ عَنْ عَيْبِ غَيْرِهِ، وَمَنْ رَضِيَ بِرِزْقِ اللَّهِ لَمْ يَحْزَنْ عَلَى مَا فَاتَهُ، وَمَنْ سَلَ سَيْفَ الْبُغْيِ قُتِلَ بِهِ، وَمَنْ كَابَدَ الْأُمُورَ حَطَبَ، وَمَنْ أَتَقَحَّمَ اللَّحْجَ حَرِقَ، وَمَنْ دَخَلَ مَدَاخِلَ السُّوءِ اتَّهَمَ. وَمَنْ كَثُرَ كَلَامُهُ كَثُرَ حَطَلُوهُ، وَمَنْ كَثُرَ حَطَلُوهُ قَلَّ حَيَاؤُهُ، وَمَنْ قَلَّ حَيَاؤُهُ قَلَّ وَرَعُهُ، وَمَنْ قَلَّ وَرَعُهُ مَاتَ قَلْبُهُ، وَمَنْ مَاتَ قَلْبُهُ دَخَلَ النَّارَ. وَمَنْ نَظَرَ فِي حُيُوبِ غَيْرِهِ فَأَتَكَرَّهَ ثُمَّ رَضِيَهَا لِنَفْسِهِ فَذَلِكَ الْأَحْمَقُ بِعَيْنِهِ.

وَالْقَنَاعَةُ مَا لَا يَنْفَدُ. وَمَنْ أَكْثَرَ مِنْ ذِكْرِ الْمَوْتِ رَضِيَ مِنَ الدُّنْيَا بِالْيَسِيرِ. وَمَنْ عَلِمَ أَنَّ  
كَلَامَهُ مِنْ عَمَلِهِ قَلَّ كَلَامُهُ إِلَّا فِيمَا يَغْنِيهِ.

الشرح: كل هذه الفصول قد تقدم الكلام فيها وهي عشرة:

اولها: من نظر في عيب نفسه اشتغل عن عيب غيره، كان يقال: أصلح نفسك أولاً، ثم  
أصلح غيرك.

وثانيها: من رضي برزق الله لم يحزن على ما فاتته، كان يقال: الحزن على المنافع الدنيوية  
سُمَّ نِزْيَاةُ الرِّضَا بِالْقَضَاءِ.

وثالثها: من سلَّ سيفَ البغي قُتل به، كان يقال: الباغي مضروع وإن كثُر جنوده.

ورابعها: مَنْ كَابَدَ الْأُمُورَ عَطِبَ، وَمَنْ اقْتَحَمَ اللَّجَجَ غَرِقَ، ومثل هذا قول القائل:

مَنْ حَارَبَ الْإِيَّامَ أَصْبَحَ رُمْحُهُ قِصْدًا وَأَصْبَحَ سَيْفُهُ مَفْلُولا

وخامسها: من دخل مداخِلَ السَّوءِ اتَّهَمَ، هذا مثل قولهم: من عَرَّضَ نَفْسَهُ لِلشُّبُهَاتِ فَلَا  
يُلَوِّمَنَّ مَنْ أَسَاءَ بِهِ الْقُلْنَ.

وسادسها: مَنْ كَثُرَ كَلَامُهُ... إِلَى قَوْلِهِ: دَخَلَ النَّارَ، قد تقدم القول في المنطق الزائد وما  
فيه من المحذور، وكان يقال: قَلَّمَا سَلِمَ وَكثَارَ، أَوْ أَمِنَ مِنْ عِثَارِ.

وسابعها: مَنْ نَظَرَ فِي غُيُوبِ غَيْرِهِ فَأَنْكَرَهَا ثُمَّ رَضِيَهَا لِنَفْسِهِ فذاك هو الْأَحْمَقُ بَعَيْنِهِ، وكان  
يقال: أَجْهَلُ النَّاسِ مَنْ يَرْضَى لِنَفْسِهِ بِمَا يَسْخَطُهُ مِنْ غَيْرِهِ.

وثامنها: الْقَنَاعَةُ مَا لَا يَنْفَدُ، قد سبق القول في هذا، وسيأتي أيضاً.

وتاسعها: من ذَكَرَ الْمَوْتَ رَضِيَ مِنَ الدُّنْيَا بِالْيَسِيرِ، كان يقال: إِذَا أَحْبَبْتَ إِلَّا تَحَسَّدَ أَحَدًا  
فَأَكْثَرَ ذِكْرَ الْمَوْتِ، وَاعْلَمْ أَنَّكَ وَمَنْ تَحَسَّدَ عَنْ قَلِيلٍ مِنْ عَبِيدِ الْهَلَكَى.

وحاشيئها: مَنْ عَلِمَ أَنَّ كَلَامَهُ مِنْ عَمَلِهِ قَلَّ كَلَامُهُ إِلَّا فِيمَا يَغْنِيهِ، لَا رَيْبَ أَنَّ الْكَلَامَ عَمَلٌ مِنَ  
الْأَعْمَالِ، وَفِعْلٌ مِنَ الْأَفْعَالِ، فَكَمَا يُسْتَهْجَنُ مِنَ الْإِنْسَانِ إِلَّا يَزَالُ يُحْرَكُ يَدُهُ وَإِنْ كَانَ عَابِتًا،  
كَذَلِكَ يُسْتَهْجَنُ إِلَّا يَزَالُ يُحْرَكُ لِسَانُهُ فِيمَا هُوَ عَبَثٌ، أَوْ يَجْرِي مَجْرَى الْعَبَثِ.

وقال الشاعر:

يَخْوَضُ أَنْاسٌ فِي الْكَلَامِ لِيُوجِزُوا      وَلِلصَّمْتِ فِي بَعْضِ الْأَحَابِيثِ أَوْجَزُ  
إِذَا كُنْتُ عَنْ أَنْ تُحِينِ الصَّمْتُ عَاجِزًا      فَأَنْتَ عَنِ الْإِبْلَاحِ فِي الْقَوْلِ أَعْجَزُ

- ٣٥٦ -

**الأصل:** لِلظَّالِمِ مِنَ الرِّجَالِ ثَلَاثُ عِلَامَاتٍ:  
يُظْلِمُ مَنْ فَوْقَهُ بِالْمَعْصِيَةِ، وَمَنْ دُونَهُ بِالْقَلْبِ، وَيُظَاهِرُ الْقَوْمَ الظَّالِمَةَ.

**الشرح:** يمكن أن يفسر هذا الكلام على وجهين:

أحدهما: أن كل من وجدت فيه إحدى هذه الثلاث فهو ظالم، إما أن يكون قد وجبت عليه طاعة من فوقه فعصاه، فهو بعصيانته ظالم له، لأنه قد وضعه في غير موضعه، والظلم في أصل اللغة، هو هذا المعنى، ولذلك سموا اللّبن يُشرب قبل أن يبلغ الرّوب مظلوماً، لأن الشرب منه كان في غير موضعه إذا لم يُروب ولم يُخرج زُبده، فكذاك من عصى من فوقه فقد زحزحه عن مقامه إذ لم يُطعمه. وإما أن يكون قد قهر من دونه وغلّبه. وإما أن يكون قد ظاهر الظّلمة. والوجه الثاني: أن كل ظالم فلا بد من اجتماع هذه العلامات الثلاث فيه، وهذا هو الأظهر.

- ٣٥٧ -

**الأصل:** عِنْدَ تَنَامِي الشَّدَةِ تَكُونُ الْفَرَجَةُ، وَعِنْدَ تَضَائِي حَلِي الْبَلَاءِ يَكُونُ الرَّخَاءُ.

**الشرح:** كان يقال: إذا اشتدّ المصيق، اتسعت الطريق، وكان يقال: تفرّقوا الفرج عند ارتجاج المخرج، وقال الشاعر:

إِذَا بَلَغَ الْحَوَادِثُ مُنْتَهَاهَا      فَرَجٌ بُعِيدُهُمَا الْفَرَجُ الْمُطْلَأُ  
فَكَمْ كَرِبَ تَوَلَّى إِذْ تَوَالَّى      وَكَمْ حَظَبَ تَجَلَّى حِينَ جَلَّى  
وفي الأثر: تَضَائِي تَفَرِّجِي، سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ الْعُسْرِ يُسْرًا.

والفرجة بفتح الفاء: التضيي من الهم، قال الشاعر:  
رَبَّمَا تَجَزَّعَ النُّفُوسُ مِنَ الْأَمْرِ      رَلَهُ فَرَجَةٌ كَحُلِّ الْوَقَالِ  
فأما الفرجة بالضم، فرجة الحائط وما أشبهه.

- ٣٥٨ -

**الأصل:** وَقَالَ ﷺ لِيَنْفِضِ أَصْحَابَهُ: لَا تَعْمَلَنَّ أَكْثَرَ شُغْلِكَ بِأَهْلِكَ وَوَلَدِكَ، فَإِنْ يَكُنْ أَهْلُكَ  
وَوَلَدُكَ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضَيِّعُ أَوْلِيَاءَهُ، وَإِنْ يَكُونُوا أَعْدَاءَ اللَّهِ فَمَا هُمْكَ وَشُغْلُكَ  
بِأَعْدَاءِ اللَّهِ!

**الشرح:** قد تقدّم القول نحو هذا المعنى، وهو أمر بالتقويض والتوكّل على الله تعالى فيمن يخلّفه  
الإنسان من ولده وأهله، فإن الله تعالى أعلم بالمصلحة، وأرأف بالإنسان من أبيه  
وأُمّه، ثم إن كان الولد في علم الله تعالى وليّاً من أولياء الله سبحانه، فإن الله تعالى لا يضيّعه، قال  
سبحانه: ﴿رَبِّنَا يَتَّكِلُ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾<sup>(١)</sup>.

وكلّ وليّ لله فهو متوكّل عليه لا محالة، وإن كان عدوّاً لله لم يَجْزِ الاهتمام له والاعتناء  
بأمره، لأن أعداء الله تجب مقاطعتهم، ويَحْرُمُ تولّيهم، فعلى كلّ حال لا ينبغي للإنسان أن  
يَحْفِلَ بأهله وولده بعد موته.

واعلم أن هذا كلام العارفين الصّديقين، لا كلام أهل هذه الطبقات التي نعرّفها، فإن هذه  
الطبقات تقصّر أقداّمهم عن الوصول إلى هذا المقام.

ويعجبني قول الشاعر:

أيا جامعَ المالِ وقُرْئتهُ      لغيرك إذ لم تكن خالدا  
فإن قلت: أجمعه للبرّيين      فقد يسبق الولدُ الوالدا  
وإن قلت أخشى صروف الزمان      فكن من تصاريغه واحدا

- ٣٥٩ -

**الأصل:** أَكْبَرُ الْمَيْبِ أَنْ تَعِيبَ مَا فِيكَ وَمِثْلُهُ.

(١) سورة الطلاق، الآية: ٣.

**الشرح:** قد تقدّم هذا المعنى مراراً.

وقال الشاعر:

إذا أنت عِبتَ الأمر ثم أتيتَه فأنْتَ ومَنْ تُزوي عليه سَوَاءٌ

- ٣٦٠ -

**الأصل:** وَمَتَا بَخَضَرِيهِ رَجُلٌ رَجُلًا آخَرَ بِغَلَامٍ وَلِذَلِكَ فَقَالَ لَهُ: لِيَهَيْتَكَ الْفَارِسُ! فَقَالَ ﷺ: لَا تَقُلْ ذَلِكَ، وَلَكِنْ قُلْ: شَكَرْتُ الْوَاحِبَ، وَبُورِكَ لَكَ فِي الْمُؤَهَّبِ، وَبَلَغَ أَشُدَّهُ، وَرُزِقَتْ بِرَّةٌ.

**الشرح:** هذه كلمة كانت من شعار الجاهلية، فتهي عنها كما تهي عن تحية الجاهلية: «آيت» اللعن، وجول عوضها «سلام عليكم».

وقال رجلٌ للحسن البصري وقد بشره بغلام: لِيَهَيْتَكَ الْفَارِسُ! فقال: بل الراجل، ثم قال: لا مرحباً بمن إن عاش كذني، وإن مات هدني، وإن كنت مُقَلًّا أنصبتني، وإن كنت غَنِيًّا أذهلني، ثم لا أرضى بسغيي له سغيًّا، ولا بكدي عليه في الحياؤ كدًّا، حتى أشفق عليه بعد موتي من الفاقة، وأنا في حالٍ لا يصل إلي من فرجه سرور، ولا من همه حزن.

- ٣٦١ -

**الأصل:** وَبَنَى رَجُلٌ مِنْ عُمَّالِهِ بِنَاءً فَخْمًا فَقَالَ ﷺ: أَظَلَمْتَ الْوَرِقَ رُؤُوسَهَا، إِنَّ الْبِنَاءَ يَصِفُ لَكَ الْفَنَى.

**الشرح:** قد رُوِيَتْ هذه الكلمة عن عمر - رضي الله عنه - ذكر ذلك ابن قتيبة في «عيون الأخبار»<sup>(١)</sup>.

(١) «عيون الأخبار»: للشيخ أبي محمد عبد الله بن مسلم المعروف بابن قتيبة النحوي الدينوري، المتوفى سنة (٢٧٦هـ). «كشف الظنون» (٢/ ١١٨٤).



وَرَوَى عَنْهُ أَيْضاً: لِي عَلَى كُلِّ خَائِنٍ أَمِينَانِ: الْمَاءُ وَالطِّينَ.

قال يحيى بن خالد لابنه جعفر حين اختطَّ دارَه بِبَغْدَادَ لِبَيْنَيْهَا: هِيَ قَمِيصُكَ، فَإِنْ شِئْتَ فَوْسَعَهُ، وَإِنْ شِئْتَ قَضَيْتَهُ.

وَرَأَهُ وَهُوَ يَجْصُصُ حِيطَانَ دَارِهِ الْمَبْنِيَّةِ بِالْأَجْرِ، فَقَالَ لَهُ: إِنَّكَ تَغْطِي الذَّهَبَ بِالْفِضَّةِ، فَقَالَ جَعْفَرُ: لَيْسَ فِي كُلِّ مَكَانٍ يَكُونُ الذَّهَبُ خَيْراً مِنَ الْفِضَّةِ، وَلَكِنْ هَلْ تَرَى عَيْباً؟ قَالَ: نَعَمْ، مَخَالَطَتُهَا دُورَ السُّوقَةِ.

وقيل ليزيد بن المهلب: أَلَا يَتَنَبَّي الْأَمِيرُ دَاراً، فَقَالَ: مَنْزِلِي دَارُ الْإِمَامَةِ أَوْ الْحَبْسِ.

وكان يقال في الدار: لَتَكُنْ أَوَّلُ مَا يَتَنَاعُ وَآخِرُ مَا تَبَاعُ.

ومرَّ رجلٌ من الخوارج بآخر من أصحابهم وهو يبني داراً فقال: مَنْ ذَا الَّذِي يَقِمُّ كَفِيلًا.

وقالوا: كُلُّ مَا يَخْرُجُ بِخُرُوجِكَ، وَيَرْجِعُ بِرُجُوعِكَ، كَالذَّارِ وَالنَّخْلِ وَنَحْوِهِمَا فَهُوَ كَفِيلٌ.

- ٣٦٢ -

**الأصل:** وَقِيلَ لَهُ ﷺ: لَوْ سُدَّ عَلَى رَجُلٍ بَابُ بَيْتٍ وَتَرِكَ فِيهِ، مِنْ أَيْنَ كَانَ يَأْتِيهِ رِزْقُهُ؟ فَقَالَ ﷺ: مِنْ حَيْثُ يَأْتِيهِ أَجَلُهُ.

**الشرح:** ليس يعني ﷺ أَنْ كُلَّ مَنْ يُسَدُّ عَلَيْهِ بَابُ بَيْتٍ، فَإِنَّهُ لَا يَدَّ أَنْ يَرْزُقَهُ اللَّهُ تَعَالَى، لِأَنَّ الْعِيَانَ وَالْمُشَاهَدَةَ تَقْتَضِي خِلَافَ ذَلِكَ، وَمَا إِنَّمَا مِنْ سُدَّ عَلَيْهِ بَابُ بَيْتٍ مَدَّةً طَوِيلَةً فَعَاشَ، وَلَا رَيْبَ أَنَّ مَنْ شَقَّ اسْطِوَانَةَ وَجَعَلَ فِيهَا حَيًّا ثُمَّ بَنَيْتِ الْأَسْطِوَانَةَ عَلَيْهِ فَإِنَّهُ يَمُوتُ مَخْتَفًا، وَلَا يَأْتِيهِ رِزْقُهُ وَلَا حَيَاتُهُ، وَلِأَنَّ لِلْحُكَمَاءِ أَنْ يَقُولُوا فِي الْفَرَقِ بَيْنَ الْمَوْضِعَيْنِ: إِنَّ أَجْلَهُ إِنَّمَا يَأْتِيهِ لِأَنَّ الْأَجَلَ عَدَمُ الْحَيَاةِ، وَالْحَيَاةُ تَعَدُّ لَعَدَمَ مَا يَوْجِبُهَا، وَالَّذِي يَوْجِبُ اسْتِمْرَارَهَا الْغِذَاءُ، فَلَمَّا انْقَطَعَ الْغِذَاءُ حَضَرَ الْأَجَلَ، فَهَذَا هُوَ الْوَجْهَ الَّذِي يَأْتِيهِ مِنْ أَجْلِهِ، وَلَا سَبِيلَ إِلَى ذِكْرِ مِثْلِهِ فِي حُضُورِ الرِّزْقِ لِمَنْ يُسَدُّ عَلَيْهِ الْبَابُ.

فإذاً معنى كلامه ﷺ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى إِذَا عَلِمَ فِيمَنْ يَجْعَلُ فِي دَارٍ وَسُدَّ عَلَيْهِ بَابُهَا أَنْ فِي بَقَاءِ حَيَاتِهِ لُطْفًا لِبَغْضِ الْمُكَلَّفِينَ فَإِنَّهُ يَجِبُ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى أَنْ يُدِيمَ حَيَاتَهُ، كَمَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ، إِمَّا بِغِذَاءٍ يَقِيمُ بِهِ مَادَّةَ حَيَاتِهِ، أَوْ يُدِيمُ حَيَاتَهُ بِغَيْرِ سَبَبٍ، وَهَذَا هُوَ الْوَجْهَ الَّذِي مِنْهُ يَأْتِيهِ أَجْلُهُ أَيْضاً، لِأَنَّ إِمَامَةَ اللَّهِ الْمُكَلَّفُ أَمْرٌ تَابِعٌ لِلْمَصْلَحَةِ، لِأَنَّهُ لَا يَدَّ مِنْ انْقِطَاعِ التَّكْلِيفِ عَلَى كُلِّ حَالٍ لِلْوَجْهِ

الذي يذكره أصحابنا في كتبهم، فإذا كان الموت تابعاً للمصلحة، وكان الإحياء تابعاً للمصلحة، فقد أتى الإنسان رزقه - يعني حياته - من حيث يأتيه أجله. وانتظم الكلام.

- ٣٦٣ -

**الأصل:** وعزى قوماً عن ميت مات لهم فقال عليه السلام: إن هذا الأمر ليس بكم بدأ، ولا إليكم انتهى، وقد كان صاحبكم هذا يسافر؟ فقالوا: نعم، قال: فعدوه في بغض سفرائه، فإن قدم عليكم ولأ قدمتم عليه.

**الشرح:** قد ألم إبراهيم بن المهدي ببعض هذا في شعره الذي رثى به ولده فقال:

يؤوب إلى أوطان كل غائب	وأحمد في الغياب ليس يؤوب
تبذل داراً غير دارٍ وجيرة	سوائٍ وأحداث الزمان تنوب
أقام بها مستوطناً غير أنه	على طول أيام المقام غريب
واني وإن قدمت قبلي لعالم	بائي وإن أبطأت عنك قريب
وإن صباحاً نلتقي في مسانه	صباح إلى قلبي الغداة حبيب

- ٣٦٤ -

**الأصل:** أيها الناس، ليراكم الله من النعمة، وجلين، كما يراكم من النعمة فرقين. إنه من وسع عليه في ذات يده، فلم ير ذلك استدرجاً، فقد آمن مخوفاً، ومن ضيق عليه في ذات يده، فلم ير ذلك اختياراً، فقد ضيع مأمولاً.

**الشرح:** قد تقدم القول في استدراج المترف الغني، واختيار الفقير الشقي، وأنه يجب على الإنسان وإن كان مشمولاً بالنعمة أن يكون وجلاً، كما يجب عليه إذا كان فقيراً أن يكون شكوراً صبوراً.

- ٣٦٥ -

**الأصل:** يا أَسْرَى الرُّغْبَةِ، اقْضُوا، فَإِنَّ الْمُعْرَجَ عَلَى الدُّنْيَا لَا يَرْوَعُهُ مِنْهَا إِلَّا صَرِيفُ أَنْيَابِ الْجَذَنَانِ. أَيُّهَا النَّاسُ، تَوَلَّوْا عَنْ أَنْفُسِكُمْ تَأْيِيدِيهَا، وَاعْدِلُوا بِهَا عَنْ ضِرَايَةِ عَادَاتِهَا.

**الشرح:** ضَرَى يَضْرِي ضِرَايَةً يَثَلُ رَمِي يَرْمِي رَمَايَةً، أَي جَرَى وَسَالَ، ذَكَرَهُ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ، وَعَلَيْهِ يَنْبَغِي أَنْ يُحْمَلَ كَلَامُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، أَي اعْدِلُوا بِهَا عَنْ عَادَاتِهَا الْجَارِيَةِ، مِنْ بَابِ إِضَافَةِ الصِّفَةِ إِلَى الْمَوْصُوفِ، وَهَذَا خَيْرٌ مِنْ تَفْسِيرِ الرَّائِدِيِّ، وَقَوْلُهُ: إِنَّهُ مِنْ ضَرَى الْكَلْبِ بِالضَّيْدِ؛ لِأَنَّ الْمَصْدَرَ مِنْ ذَلِكَ الضَّرَاوَةَ بِالْوَاوِ وَقَتَحَ الضَّادَ، وَلَمْ يَأْتِ فِيهِ ضِرَايَةً. وَقَوْلُهُ: «يَا أَسْرَى الرُّغْبَةِ» كَلِمَةٌ فَصِيحَةٌ.

وكَذَلِكَ قَوْلُهُ: «لَا يَرْوَعُهُ مِنْهَا إِلَّا صَرِيفُ أَنْيَابِ الْجَذَنَانِ»، وَذَلِكَ لِأَنَّ الْفَهْدَ إِذَا وَثَبَ وَالذَّنْبَ إِذَا حَمَلَ يَصْرِفُ نَابَهُ، وَيَقُولُونَ لِكُلِّ خَطْبٍ وَدَاهِيَةٍ: جَاءَتْ تَصْرِيفُ نَابِهَا. وَالصَّرِيفُ: صَوْتُ الْأَسْنَانِ إِذَا عِنْدَ رِغْدَةٍ أَوْ عِنْدَ شِدَّةِ الْغَضَبِ وَالْحَقِّقِ، وَالْجِرْصُ عَلَى الْإِنْتِقَامِ، أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ.

وَقَدْ تَقَدَّمَ الْكَلَامُ فِي الدُّنْيَا وَالرُّغْبَةِ فِيهَا، وَغَذَرْنَا حَوَادِثَهَا، وَوَجَّهَ الْعُدُولَ عَنْهَا، وَكَسَرَ عَادِيَةَ عَادَاتِ السَّوَاءِ الْمَكْتَسَبَةَ فِيهَا.

- ٣٦٦ -

**الأصل:** لَا تَنْظُنَّ بِكَلِمَةٍ خَرَجَتْ مِنْ أَحَدٍ سُوءًا وَأَنْتَ تَحِدُّ لَهَا فِي الْخَيْرِ مُحْتَمَلًا.

**الشرح:** هَذِهِ الْكَلِمَةُ يَرْوِيهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ لِعَمَرِ بْنِ الْخَطَّابِ، وَيَرْوِيهِ بَعْضُهُمْ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ. وَكَانَ ثُمَامَةُ يَحْدُثُ بِسُؤْدُو يَحْيَى بْنِ خَالِدٍ وَابْنِهِ جَعْفَرٍ. وَيَقُولُ: إِنَّ

الرَّشِيدَ نَكَبَ عَلَيَّ بَنَ عَيْسَى بْنِ مَاهَانَ وَالزَّهْمَةَ مِائَةَ أَلْفِ دِينَارٍ أَدَّى مِنْهَا خَمْسِينَ أَلْفًا، وَبَلَغَ بِالْبَاقِي، فَأَقْسَمَ الرَّشِيدُ إِنَّ لَمْ يُوَدَّ الْمَالُ فِي بَقِيَّةِ هَذَا الْيَوْمِ وَإِلَّا قَتَلَهُ. وَكَانَ عَلِيٌّ بَنُ عَيْسَى عَدُوًّا لِلْبَرَامِكَةِ مَكَاشَفًا، فَلَمَّا عَلِمَ أَنَّهُ مَقْتُولٌ سَأَلَ أَنْ يَمَكَّنَ مِنَ السَّمِيِّ إِلَى النَّاسِ يَسْتَنْجِدُهُمْ، فَفُتِّحَ لَهُ فِي ذَلِكَ، فَمَضَى وَمَعَهُ وَكَيْلُ الرَّشِيدِ وَأَعْوَانُهُ إِلَى بَابِ يَحْيَى وَجَعْفَرٍ، فَأَغْبَلَا عَلَيْهِ وَصَحَّحَا مِنْ صُلْبِ أَمْوَالِهِمَا

خمسین ألف دينار في باقي نهار ذلك اليوم بديوان الرشيد باسم علي بن عيسى، واستخلصاه، فنقل بعض المتصححين لهما إليهما أن علي بن عيسى قال في آخر نهار ذلك اليوم متملاً:

فما بُقِيََا عليّ ترثُمانِي ولكنْ جُفُئُما صَرَدَ النُّبَالِ  
فقال يحيى للناقل إليه ذلك: يا هذا إنَّ المرعوب ليسبق لسأته إلى ما لم يخطر بقلبه.

وقال جعفر: ومن أين لنا أنه تمثّل بذلك وعَنَّا، ولعله أراد أمراً آخر فكان ثمامة يقول: ما في الأرض أسودُّ من رجلٍ يتأوّل كلامَ عدوه فيه ويحوّله على أحسنِ مَحَاوِلِه.

وقال الشاعر:

إذا ما أنتَ من صاحبٍ لك زَلَّةٌ فكنْ أنتَ مُخْتِالاً لَزَلَتِه عُذْرًا

- ٣٦٧ -

الأصل: إذا كانت لك إلى الله سُبحانَه حاجةٌ فابدأ بِمَسْأَلَةِ الصَّلَاةِ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ، ثُمَّ سَلْ حاجَتَكَ، فَإِنَّ اللهَ أَكْرَمُ مِنْ أَنْ يُسْأَلَ حاجَتَيْنِ، فَيَقْضِي إحداهُمَا وَيَمْنَعَ الأُخْرَى.

الشرح: هذا الكلام على حَسَبِ الظَّاهِر الذي يَتَعَارَفُه الناسُ بينهم، وهو ﷺ يسلك هذا المسلك كثيراً، وَيُخَاطِبُ الناسَ على قُلُوبِهِمْ، وَأَمَّا باطنُ الأمرِ فَإِنَّ اللهَ تعالى لَا يُصَلِّي على النَّبِيِّ ﷺ لأجل دُعائنا إِيَّاهُ أَنْ يَصَلِّيَ عليه، لأنَّ معنى قولنا: اللهم صلِّ على محمد، أي اكْرِمْه، وارْفَعْ درجَتَه، والله سبحانه قد قَضَى له بالإكرام التَّامَ وَرَفَعَهُ الدَّرَجَةَ مِنْ دُونِ دُعَائِنَا، وَإِنَّمَا تَعَيَّنَا نحنُ بآن نَصَلِّي عليه لأنَّ لنا ثواباً في ذلك، لا لأنَّ إكرامَ الله تعالى له أمرٌ يَسْتَعْبِقُه وَيَسْتَتِمُّه دُعَاؤُنَا.

وأيضاً فَإِنَّ غَضاضَةَ على الكريم إذا شِئِل حاجَتَيْنِ فَقَضَى إحداهما دونَ الأُخْرَى، إِنْ كَانَ عليه في ذلك غَضاضَةٌ فعليه في وَدِّ الحاجة الواحدة غَضاضَةٌ أيضاً.

- ٣٦٨ -

الأصل: مَنْ ضَنَّ بِعَرَضِهِ فَلْيَدَعْ الجِوْرَاءَ.

**الشرح:** قد تقدّم من القول في الجراء ما فيه كفاية، وحد الجراء الجدال المتّصل لا يتّصل به الحق. وقيل لئيمون بن مهران: ما لك لا تُفارق أخاك عن قلبي؟ قال: لأنني لا أُنْشِره ولا أُمَارِيه. وكان يقال: ما ضلّ قومٌ بعد إذ هداهم الله تعالى إلا بالمرء والإصرار في الجدال على نُصرة الباطل. وقال سُفيان الثوري: إذا رأيتم الرجل لجوجاً مُمارياً معجباً بنفسه فقد تَمَّتْ خسارته.

- ٣٦٩ -

**الأصل:** مِنَ الْخُرْقِ الْمَجَالَةِ قَبْلَ الْإِتْكَانِ، وَالْأَنَاءُ بَعْدَ الْفُرْصَةِ.

**الشرح:** قد تقدّم القول في هذين المَعْنَيْنِ. ومن كلام ابن المعتز: إهمالُ الْفُرْصَةِ حَتَّى تَفُوتَ عَجْزاً، وَالْعَجَلَةُ قَبْلَ التَّمَكُّنِ خُرْقٌ. وقد جَعَلَ أميرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كِلْتَا الْحَالَتَيْنِ خُرْقاً، وَهُوَ صَحِيحٌ، لِأَنَّ الْخُرْقَ الْحَقُّ، وَقَلَّةُ الْعَقْلِ، وَكِلْتَا الْحَالَتَيْنِ دَلِيلٌ عَلَى الْحَقِّ وَالنَّقْصِ.

- ٣٧٠ -

**الأصل:** لَا تَسْأَلْ عَمَّا لَمْ يَكُنْ، قَبْلِي الَّذِي قَدْ كَانَ لَكَ شُغْلٌ.

**الشرح:** من هذا الباب قولُ أَبِي الطَّيِّبِ فِي سَيْفِ الدَّوْلَةِ: لَيْسَ الْمَدَانُحُ تَسْتَوْفِي مَنَاقِبَهُ فَمَنْ كَلَّيْبٌ وَأَهْلُ الْأَعْصُرِ الْأَوَّلِ! خُذْ مَا تَرَاهُ وَدَعْ شَيْئاً سَمِعْتَ بِهِ فِي طَلْعَةِ الْبَدْرِ مَا يُغْنِيكَ عَنْ رُحْلِ

- ٣٧١ -

**الأصل:** الْفَيْحُ مِرَاةٌ صَاقِيَةٌ، وَالْأَفْيَارُ مُنْذِرٌ نَاصِحٌ، وَكَفَى أَدَباً لِنَفْسِكَ تَجَنُّبُكَ مَا كَرِهَتْهُ لِقَيْرِكَ.

**الشرح:** قد تقدم القول في نحو هذا. وفي المثل: كفى بالاعتبار منذراً، وكفى بالشيب زاجراً، وكفى بالموت واعظاً، وقد سبق القول في وجوب تجنب الإنسان ما يكرهه من غيره. وقال بعض الحكماء: إذا أحببت أخلاق امرئ فكُنْه، وإن أبغضتها فلا تَكُنْه. اخذَه شاعرهم فقال:

إذا أعجبك خصال امرئ فكُنْه يكن منك ما يُعْجِبُكَ  
فليس على المجد والمكرُمات إذا جنتها حاجب يُعْجِبُكَ

- ٣٧٢ -

**الأصل:** العِلْمُ مَثْرُونٌ بِالْعَمَلِ، فَمَنْ عِلِمَ عَمَلٌ، وَالْعِلْمُ يَهْتَفُ بِالْعَمَلِ، فَإِنْ أَجَابَ وَإِلَّا ارْتَحَلَ عَنْهُ.

**الشرح:** لا خير في علم بلا عمل، والعلم بغير العمل حُجَّةٌ على صاحبه، وكلام أمير المؤمنين عليه السلام يُشِيرُ بآية لا عالم إلا وهو عايل، ومُرادُه بالعلم هاهنا العرفان، ولا ريب أن العارف لا بد أن يكون حاملاً.

ثم استأنف فقال: العلم يهتف بالعمل أي يُناديه، وهذه اللفظة استعارة.

قال: فإن أجابه وإلا ارتحل، أي إن كان الإنسان عالماً بالأمور الدينية ثم لم يعمل بها سلبه الله تعالى عِلْمَه، ولم يَمُتْ إلا وهو معدود في ذممة الجاهلين، وممكن أن يفسر على أنه أراد بقوله: ارتحل ارتحلت ثمرته ونتيجته، وهي الثواب، فإن الله تعالى لا يُثِيبُ المكلَّف على علمه بالشرائع إذا لم يعمل بها، لأن إخلاله بالعمل يُحِيط ما يستحقه من ثواب العلم لو قدرنا أنه استحقَّ على العلم ثواباً، وأتى به على الشرائط التي معها يستحق الثواب.

- ٣٧٣ -

**الأصل:** أَيُّهَا النَّاسُ مَتَاعُ الدُّنْيَا خُطَامٌ مُؤَبَّرٌ، فَتَجَنَّبُوا مَرْهَاءَ قَلْعَتِهَا أَخْطَى مِنْ طَمَآنِيَتِهَا، وَبَلَّغَتْهَا أَرْكَى مِنْ ثُرُوتِهَا، حَكِيمٌ عَلَى مُكْثَرِهَا بِالْفَاقَةِ، وَأَغْنَى مَنْ غَنَى عَنْهَا بِالرَّاحَةِ، مَنْ رَاقَهُ زِينَتُهَا أَغْبَتْ نَاطِرَتُهُ كَمَافٍ، وَمَنْ اسْتَشْفَرَ الشُّفْءَ بِهَا مَلَثَ صَمِيرَةَ اشْجَانَا، لَهُنَّ

رَقَصَ عَلَى سَوْدَاءَ قَلْبِهِ، هَمْ يَشْفَلُهُ، وَهَمْ يُحْزِنُهُ، حَتَّى يُلَاحِظَ بِكَظْمِهِ قِلَقِي بِالْفَضَاءِ، مُنْقَطِعًا  
أَبْهَرًا، مَبْنًى عَلَى اللَّهِ فَنَاقُهُ، وَعَلَى الْإِحْوَانِ الْفَاقَةُ.

وإنما يَنْظُرُ الْمُؤْمِنُ إِلَى الدُّنْيَا بِعَيْنِ الْإِعْتِبَارِ، وَيَنْتَاقُ مِنْهَا بِظَنِّ الْاضْطِرَارِ، وَيَسْمَعُ فِيهِ  
بِأَذُنِ الْمَقْتِ وَالْإِبْغَاضِ، إِنْ قِيلَ أَتَرَى قِيلَ أَتُحْذَى، وَإِنْ فُرِحَ لَهُ بِالْبَقَاءِ حُزِنَ لَهُ بِالْفَنَاءِ، هَذَا  
وَلَمْ يَأْتِيهِمْ يَوْمَ هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ.

**الشرح:** مَنَاقُ الدُّنْيَا: أُمُودُهَا وَقِيَّتَانِهَا. وَالْحُطَامُ: مَا تَكْسَرُ مِنَ الْحَشِيشِ وَالْيَسِّ، وَشَبَّهَ مَنَاقَ  
الدُّنْيَا بِذَلِكَ لِحَقَارَتِهِ. وَمُؤْمِي: مُحَدَّثٌ لِلْوَبَاءِ، وَهُوَ الْمَرَضُ الْعَامُّ. وَمَرَعَاةٌ: بَقْعَةٌ  
تَرَى، كَقَوْلِكَ مَاسِدَةً فِيهَا الْأَسَدُ، وَمُحْيَاةٌ، فِيهَا الْحَيَاتُ.

وَقَلَعْتَهَا - بِسُكُونِ اللَّامِ - خَيْرٌ مِنْ طُمَآنِينَتِهَا: أَيِ كَوْنِ الْإِنْسَانِ فِيهَا مُتَرَجِعًا مُتَهَيِّئًا لِلرَّحِيلِ  
عَنْهَا خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَكُونَ سَاكِنًا إِلَيْهَا، مَطْمَئِنًا بِالْمَقَامِ فِيهَا.

وَالْبُلْغَةُ: مَا يُبْلَغُ بِهِ. وَالثَّرْوَةُ: الْبَسَارُ وَالْيَتَى، وَإِنَّمَا حُكِمَ عَلَى مُكْتَرِبِهَا بِالْفَاقَةِ وَالْفَقْرِ لِأَنَّهُمْ  
لَا يَنْتَهَوْنَ إِلَى حَدٍّ مِنَ الثَّرْوَةِ وَالْمَالِ إِلَّا وَجَدُوا وَاجْتَهَدُوا، وَخَرَصُوا فِي طَلَبِ الزِّيَادَةِ عَلَيْهِ، فَهُمْ  
فِي كُلِّ أَحْوَالِهِمْ فَقَرَاءٌ إِلَى تَحْصِيلِ الْمَالِ، كَمَا أَنَّ مَنْ لَا مَالَ لَهُ أَصْلًا يَجِدُ وَيَجْتَهِدُ فِي تَحْصِيلِ  
الْمَالِ، بَلْ رُبَّمَا كَانَ جُدُّهُمْ وَجِرْصُهُمْ عَلَى ذَلِكَ أَعْظَمَ مِنْ كُدْحِ الْفَقِيرِ وَحِرْصِهِ، وَرُوي:  
«وَأَعْيَنَ مِنْ عَنَتِي عَنْهَا» وَمَنْ رَوَاهُ «أَغْنَى» أَيِ أَغْنَى اللَّهُ، مَنْ غَنِيَ عَنْهَا وَزَهَّدَ فِيهَا بِالرَّاحَةِ وَخَلَوَ  
بِالْبَالِ وَعَدِمَ الْهَمَّ وَالغَمَّ.

وَالزُّنْجُجُ: الزَّيْنَةُ، وَرَاقَهُ: أَحَبُّهُ. وَالْكَمَّةُ: الْعَمَى الشَّدِيدُ، وَقِيلَ: هُوَ أَنْ يُولَدَ أَعْمَى.  
وَالْأَشْجَانُ: الْأَخْزَانُ. وَالرَّقْصُ بِفَتْحِ الْقَافِ: الْاضْطِرَابُ وَالْعَلْيَانُ وَالْحَرَكَةُ. وَالكَظْمُ بِفَتْحِ  
الْقَافِ: مَجْرَى النَّفْسِ. وَالْأَبْهَرَانُ: جِرْقَانُ مُتَصِلَانِ بِالْقَلْبِ، وَيُقَالُ لِلْمَيِّتِ: قَدْ انْقَطَعَ أَبْهَرُهُ.

قوله: «وإنما يَنْظُرُ الْمُؤْمِنُ»: إِنْخِبَارٌ فِي الصُّورَةِ، وَأَمْرٌ فِي الْمَعْنَى، أَيِ لِيَنْظُرَ الْمُؤْمِنُ إِلَى  
الدُّنْيَا بِعَيْنِ الْإِعْتِبَارِ، وَلِيَأْكُلْ مِنْهَا بِظَنِّ الْاضْطِرَارِ، أَيِ قَدَرِ الضَّرُورَةِ، لَا احْتِكَارٍ أَوْ اسْتِكْثَارٍ،  
وَلَيْسَمَعَ حَدِيثَهَا بِأَذُنِ الْمَقْتِ وَالْبَغْضِ، أَيِ لِيَتَّخِذَهَا عُدُوًّا قَدْ صَاحَبَهُ فِي طَرِيقِ، فَلْيَأْخُذْ جِذْرَهُ  
مِنْ جَهْدِهِ وَطَاقَتِهِ، وَلْيَسْمَعْ كَلَامَهُ وَحَدِيثَهُ لَا اسْتِمَاعَ مُضْغٍ وَمَحَبٍّ وَامِقٍ، بَلِ اسْتِمَاعَ مُبْغِضٍ  
مَحْتَرَزٍ مِنْ غَائِلَتِهِ.

ثم عاد إلى وصف الدنيا وطالبها فقال: إِنْ قِيلَ أَتَرَى قِيلَ: أَتُحْذَى، وَفَاعِلٌ «أَتَرَى» هُوَ

الضمير العائد إلى من استشعر الشَّغَفَ بها . يقول : بينا يقال : أُنْزِي ، قيل : افتقر ، لأن هذه صفة الدنيا في قلبها بأهلها ، وإن فرح له بالحياة ودوامها ، قيل : مات وعديم ، هذا ولم يأتهم يوم القيامة يوم هم فيه مُبْلِسُونَ ، أبلِس الرجلُ يُبْلِسُ إِبْلَاساً أي قُيْطَ ويُس ، واللفظ من لَفَظَات الكتاب العزيز .

### بعض ما قيل في حال الدنيا وصروفها

وقد ذكرنا من حال الدنيا وصروفها وعُدَّهَا بأهلها فيما تقدّم أبواباً كثيرة نافعة . ونحن نذكر هاهنا زيادةً على ذلك .

فمن كلام بعض الحكماء : ويلٌ لصاحب الدنيا ، كيف يموت ويتركها ، وتغرّه ويأمنها وتُخَذِّلُه ويثقُ بها ! ويلٌ للمغتترِّين ، كيف أرثهم ما يكرهون ، وفانهم ما يُحِبُّون ، وجاءهم ما يوعدون ! ويل لمن الدنيا همّه ، والخطايا عمله ، كيف يفتضح غداً بذنبه .

وروى أنس قال : كانت ناقة رسول الله ﷺ العُضْبَاءُ لَا تُسَبِّقُ ، فجاء أعرابيٌّ بناقة له فسبّقتها ، فسقّ ذلك على المسلمين ، فقال رسول الله ﷺ : «حقّ على الله ألا يرفع في الدنيا شيئاً إلا وضعه»<sup>(١)</sup> .

وقال بعض الحكماء : من ذا الذي يبني على موج البحر داراً ! تلُكُم الدنيا ، فلا تتخذوها قراراً .

وقيل لحكيم : علّما عملاً واحداً إذا عولناه أحبنا الله عليه ، فقال : أبغضوا الدنيا يُحبِّبكم الله .

وقال أبو الدرداء : قال رسول الله ﷺ : «لو تعلّمون ما أعلم لَصَحِحْتُمْ قليلاً ، ولَبَكَيْتُمْ كثيراً ، ولهانت عليكم الدنيا ، ولا تُرْتَمُ الآخرة»<sup>(٢)</sup> .

ثم قال أبو الدرداء مِنْ قَبْلِ نفسه : أيها الناس ، لو تعلمون ما أعلم لخَرَجْتُمْ إلى الصُّعْدَاتِ تَبْكُونَ على أنفسكم ، ولتَرَكْتُمْ أموالكم لا حارسَ لها ، ولا راجعَ إليها إلا ما لا بدّ لكم منه ، ولكن غاب عن قلوبكم وَكُرُّ الآخرة ، وحضُرُها الأمل ، فصارت الدنيا أَمْلَكُ بأعمالكم ، وصِرْتُم كالذين لا يعلمون ، فبِعُضُكُمْ شَرٌّ مِنَ البهائم التي لا تَدْعُ هواها ، ما لكم لا تُحَابُّون ولا تتأصّحون في أموركم ، وأنتم إخوانٌ على دين واحد ، ما فرّق بين أهوائكم إلا حُبُّ سرائركم ، ولو اجتمعتم على البرِّ لتحاببتم ، ما لكم لا تتأصّحون في أموركم ، ما هذا إلا مِنْ قِلَّةِ الإيمان

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٦/٥٣١) .

(٢) أخرجه نحوه البخاري ، كتاب : الجمعة ، باب : الصدقة في الكسوف (١٠٤٤) ، ومسلم ، كتاب :

الصلاة ، باب : تحريم سبق الإمام بركوع أو سجود (٤٢٦) .



في قلوبكم، ولو كنتم توفنون بأمر الآخرة كما توفنون بالدنيا لآثرتم طلب الآخرة، فإن قلتم حب العاجلة غالب، فإننا نراكم تدعون العاجل من الدنيا للأجل منها، ما لكم تفرحون باليسير من الدنيا، وتحزنون على اليسير منها يفوتكم، حتى يتبين ذلك في وجوهكم، ويظهر على السيئكم، وتسمونها المصائب، وتقيمونها فيها المآثم، وعاشتكم قد تركوا كثيراً من دينهم ثم لا يتبين ذلك في وجوههم، ولا تتغير حال بهم، يلقي بعضهم بعضاً بالمسرة، ويكره كل منكم أن يستقبل صاحبه بما يكره مخافة أن يستقبله صاحبه بمثله، فاصطحبتم على الغل، وبنيتم مراعيكم على الدمن، وتصافيتم على رفض الأجل، أراخني الله منكم، والحقني بمن أحبه رؤيته.

وقال حكيم لأصحابه: ارضوا بدنيء الدنيا مع سلامة الدين، كما رضي أهل الدنيا بدنيء الدين مع سلامة الدنيا.

وقيل في معناه:

أرى رجالاً بأدنى الدين قد قنعوا ولا أراهم رضىوا في العيش بالدون  
فاستعن بالدين عن دنيا الملوك كما استغنى الملوك بدنياهم عن الدين  
وفي الحديث المرفوع: «لثأيتكم بغوي دنيا تأكل إيمانكم كما تأكل النار الحطب»<sup>(١)</sup>.

وقال الحسن رحمه الله: أدركت أقواماً كانت الدنيا عندهم دبة فاذوها إلى من اتهمهم عليها، ثم ركضوا خفافاً.

وقال أيضاً: من نافسك في دينك فنافسه، ومن نافسك في دنياك فآلقها في نحره.

وقال الفضيل: طالت فكرتي في هذه الآية: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لِّمَن يَسْتَوْهَرُ أَهْلُهَا﴾<sup>(٢)</sup> وَأَنَا لَجِئِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَبِيحًا جَزْأً<sup>(٣)</sup>.

ومن كلام بعض الحكماء: لن تصبح في شيء من الدنيا إلا وقد كان له أهل قبلك ويكون له أهل من بعدك، وليس لك من الدنيا إلا عشاء ليلة، وغداة يوم، فلا تهلك نفسك في أكلة، وضئ من الدنيا وأظفر على الآخرة، فإن رأس مال الدنيا الهوى، ويربها النار.

وفيل لبعض الزهّابان: كيف تترى الدهر؟ قال: يُخلق الأبدان، ويجدد الآمال، ويقرب العتية، ويباعد الأمنية. قيل: فما حال أهله؟ قال: من ظفر به تبع، ومن فاته اكتأب.

ومن هذا المعنى قول الشاعر:

وَمَنْ يَحْمَدِ الدُّنْيَا لِعَيْشٍ يَسْرُهُ فَسَوْفَ لَعَمْرِي عَنْ قَلِيلٍ يَلُومُهَا

(١) أخرجه نعيم بن حماد في الفتن (١٢٣).

(٢) سورة الكهف، الآيات: ٧، ٨.

إذا أدبرت كائنث على المرء حسرة وإن أقبلت كانت كثيراً همومها

وقال بعض الحكماء: كانت الدنيا ولم أكن فيها، وتذهب الدنيا ولا أكون فيها، ولست أشكن إليها، فإن عيشها نكد، وصفوها كدر، وأهلها منها على وجل، إما بنعمة زائلة، أو بليّة نازلة، أو بيّنة قاضية. وقال بعضهم: من غيب الدنيا أنها لا تعطي أحداً ما يستحق، إما أن تزيد له، وإما أن تنقص.

وقال سُفيان الثوري: أما ترون النعم كأنها مغضوبٌ عليها، قد وضعت في غير أهلها.

وقال يحيى بن معاذ: الدنيا حانوث الشيطان، فلا تسرق من حانوته شيئاً، فإنه يجيء في قلبك حتى يأخذك.

وقال الفضيل: لو كانت الدنيا من ذهب يفتنى والآخرة من خزف يفتنى لكان ينبغي لنا أن نختار خزفاً يفتنى على ذهب يفتنى، فكيف وقد اخترنا خزفاً يفتنى على ذهب يفتنى! وقال بعضهم: ما أصبح أحد في الدنيا إلا وهو ضيف، ولا شئمة في أن الضيف مُرتجل، وما أصبح ذو مال فيها إلا وماله عارية عنده، ولا رُب أن العارية مردودة.

ومثل هذا قول الشاعر:

وما المال والأهلون إلا وديعةٌ ولا بد يوماً أن تُردَّ الودائعُ

وقيل لإبراهيم بن أدهم: كيف أنت؟ فأنشد:

نُرْفَعُ دُنْيَانَا بتمزيق دِينِنَا فلا دِينُنَا يَبْقَى ولا ما نُرْفَعُ

وزار رابعة العدوية أصحابها، فذكروا الدنيا فأقبلوا على دُمُها، فقالت: اسكُتُوا عن ذِكْرِها وكُفُّوا، فلولاً موقِعُها في قلوبكم ما أكثرتم من ذِكْرِها، إن من أحب شيئاً أكثر من ذكره.

وقال مطرف بن الشخير: لا تنظروا إلى خفص عيش الملوك، ولين رياشهم، ولكن انظروا إلى سرعة ظفّهم، وسوء منقلبهم، قال الشاعر:

أرى طالب الدنيا وإن طال عمره ونال من الدنيا سروراً وأنعمها

كبان بنى بُنيانه فأقامه فلما استوى ما قد بناء تهذما

وقال أبو العتاهية:

تعالى الله يا سلم بن عمرو أذلّ الجرمُ أعناق الرجال

هب الدنيا تساق إليك عَفْواً ليس مصيرُ ذاك إلى الزوال

وما دُنْيَاكَ إلا مثلُ فني: أظنك ثم أذن بانتقال

وقال بعضهم: الدنيا جيفة، فمن أراد منها شيئاً فليصبر على معاينة الكلاب.

وقال أبو أمامة الباهلي: لَمَّا بَعَثَ اللهُ مُحَمَّدًا ﷺ أَنْتَ إِبْلِيسَ جَنُودُهُ وَقَالُوا: قَدْ بُعِثَ نَبِيٌّ وَجَدْتَ مِلَّةَ وَامَّةٍ، فَقَالَ: كَيْفَ حَالُهُمْ؟ أَيْجِبُونَ الدُّنْيَا؟ قَالُوا: نَعَمْ. قَالَ: إِنْ كَانُوا يَحِبُّونَهَا فَلَا أَبَالِي إِلَّا يَعْبُدُوا الْأَصْنَامَ، فَإِنَّمَا أَغْدُو عَلَيْهِمْ وَأَرْوَحُ بِثَلَاثٍ: أَخَذِ الْمَالَ مِنْ غَيْرِ حَقِّهِ، وَإِنْفَاقِهِ فِي غَيْرِ حَقِّهِ، وَإِمْسَاكِهِ عَنْ حَقِّهِ، وَالشَّرُّ كُلُّهُ لِهَذِهِ الثَّلَاثِ تَبِعَ.

وكان مالك بن دينار يقول: اتَّقُوا السَّحَاةَ فَإِنَّهَا تَسْحَرُ قُلُوبَ الْعُلَمَاءِ، يَعْنِي الدُّنْيَا.

وقال أبو سليمان الرازي: إِذَا كَانَتِ الْآخِرَةُ فِي الْقَلْبِ جَاءَتِ الدُّنْيَا فَرَاخَمَتْهَا، وَإِذَا كَانَتِ الدُّنْيَا فِي الْقَلْبِ لَمْ تُزَاجِمْهَا الْآخِرَةُ، لِأَنَّ الْآخِرَةَ كَرِيمَةٌ، وَالدُّنْيَا لُثْمَةٌ.

وقال مالك بن دينار: بِقَدَرِ مَا تُخْزِنُ لِلدُّنْيَا يَخْرُجُ هُمُّ الْآخِرَةِ مِنْ قَلْبِكَ، وَيَقْدُرُ مَا تَحْزَنُ لِلْآخِرَةِ يَخْرُجُ هُمُّ الدُّنْيَا مِنْ قَلْبِكَ. وَهَذَا مُقْتَبَسٌ مِنْ قَوْلِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ع: الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ ضَرَّتَانِ: فَبَقْدَرِ مَا تُرْضِي إِحْدَاهُمَا تُسْخِطِ الْآخَرَى.

وقال الشاعر:

يَا خَاطِبَ الدُّنْيَا إِلَى نَفْسِهَا      نَنَحُّ عَنْ خِطْبَتِهَا تَسْلَمُ  
إِنَّ الَّتِي تُخَطِّبُ عَدَاوَةً      قَرِيبَةً الْجِزْسِ مِنَ الْمَأْتَمِ

وقالوا: لَوْ وَصَفْتَ الدُّنْيَا نَفْسَهَا لَمَا قَالَتْ أَحْسَنَ مِنْ قَوْلِ أَبِي نُوَّاسٍ فِيهَا:

إِذَا امْتَحَنَ الدُّنْيَا لَبِيبٌ تَكْشِفُ      لَهُ عَنْ عَدُوِّ فِي ثِيَابِ صَدِيقٍ

وَمِنْ كَلَامِ الشَّافِعِيِّ يَعْطَى أَخَاهُ: يَا أَخِي، إِنَّ الدُّنْيَا دَخَضٌ مَزَلَّةٌ، وَدَارٌ مَذَلَّةٌ، غُرْمَانُهَا إِلَى الْخِرَابِ سَائِرٌ، وَسَاكِنُهَا إِلَى الْقُبُورِ زَائِرٌ، شَمَلُهَا عَلَى الْفُرْقَةِ مَوْقُوفٌ، وَغِنَاهَا إِلَى الْفَقْرِ مَضْرُوفٌ، الْإِكْتِسَارُ فِيهَا إِغْسَارٌ، وَالْإِعْسَارُ فِيهَا يَسَارٌ، فَافْزَعْ إِلَى اللَّهِ، وَارْضَ بِرِزْقِ اللَّهِ، وَلَا تَسْتَسْلِفْ مِنْ دَارِ بَقَائِكَ فِي دَارِ فَنَائِكَ، فَإِنَّ عَيْشَكَ فِيهِ زَائِلٌ، وَجِدَارُ مَائِلٌ، أَكْثَرُ مِنْ عَمَلِكَ، وَأَقْصَرُ مِنْ أَمَلِكَ.

وقال إبراهيم بن أدهم لرجل: أَوْرَهَمَ فِي الْمَنَامِ أَحَبُّ إِلَيْكَ أَمْ دِينَارٌ فِي الْيَقَظَةِ؟ فَقَالَ: دِينَارٌ فِي الْيَقَظَةِ. فَقَالَ: كَذَبْتَ إِنَّ الَّذِي تُحِبُّهُ فِي الدُّنْيَا فَكَأَنَّكَ تُحِبُّهُ فِي الْمَنَامِ، وَالَّذِي تُحِبُّهُ فِي الْآخِرَةِ فَكَأَنَّكَ تُحِبُّهُ فِي الْيَقَظَةِ.

وقال بعض الحكماء: مَنْ فَرِحَ قَلْبُهُ بِشَيْءٍ مِنَ الدُّنْيَا فَقَدْ أَخْطَأَ الْحِكْمَةَ، وَمَنْ جَعَلَ شَهْوَتَهُ تَحْتَ قَدَمَيْهِ فَرَّقَ الشَّيْطَانُ مِنْ ظِلِّهِ، وَمَنْ غَلَبَ عِلْمُهُ هَوَاهُ فَهُوَ الْغَالِبُ.

وقال بعضهم: الدُّنْيَا تُبْعِضُ إِلَيْنَا نَفْسَهَا وَنَحْنُ نَحْبُهَا، فَكَيْفَ لَوْ تَحْيَيْتُ إِلَيْنَا!

وقال بعضهم: الدُّنْيَا دَارُ خِرَابٍ، وَأَخْرَبَ مِنْهَا قَلْبٌ مَنْ يَعْمُرُهَا، وَالْجَنَّةُ دَارُ عُمْرَانٍ، وَأَعْمَرُ مِنْهَا قَلْبٌ مَنْ يَظْلُمُهَا.

وقال يحيى بن مُعَاذ: الْعُقَلَاءُ ثَلَاثَةٌ: مَنْ تَرَكَ الدُّنْيَا قَبْلَ أَنْ تَتَرُكَهُ، وَبَنَى قَبْرَهُ قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَهُ، وَارْزَى خَالِقَهُ قَبْلَ أَنْ يُلْقَاهُ.

وقال بعضهم: مَنْ أَرَادَ أَنْ يَسْتَنْفِي عَنِ الدُّنْيَا بِالدُّنْيَا كَانَ كَمُطْفِئِ النَّارِ بِالنَّارِ.

ومن كلام بعض فُصَحَاءِ الزَّهَادِ: آيَهَا النَّاسُ اعْمَلُوا فِي مَهَلٍ، وَكُونُوا مِنَ اللَّهِ عَلَى وَجَلٍ، وَلَا تَغْتَرَّوْا بِالْأَمَلِ، وَنَيْسَانَ الْأَجَلِ، وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الدُّنْيَا، فَإِنَّهَا حَذَارَةٌ غَرَارَةٌ خَدَاعَةٌ، قَدْ تَزَعَرْتُ لَكُمْ بِمُرُورِهَا، وَفَتَنَتْكُمْ بِأَمَانِيَّتِهَا، وَتَزَيَّنَتْ لِحُطَابِهَا، فَأَضْحَتْ كَالْعُرُوسِ الْمُتَجَلِّيةِ، الْعَيُونَ إِلَيْهَا نَاطِرَةٌ، وَالْقُلُوبُ عَلَيْهَا عَاكِفَةٌ، وَالنَّفُوسُ لَهَا عَاشِقَةٌ. فَمَنْ مِنْ عَاشِقٍ لَهَا قَتَلَتْ، وَمُطْمَئِنٍّ إِلَيْهَا خَذَلَتْ! فَانظُرُوا إِلَيْهَا بِعَيْنِ الْحَقِيقَةِ، فَإِنَّهَا دَارٌ كَثُرَتْ بِوَاقِعِهَا، وَدَمَّهَا خَالِقُهَا، جَدِيدُهَا يَبْلَى، وَمُلْكُهَا يَفْنَى، وَعَزِيزُهَا يَذَلُّ وَكَثِيرُهَا يَقَلُّ، وَحَيُّهَا يَمُوتُ، وَخَيْرُهَا يَفُوتُ، فَاسْتَقِظُوا مِنْ غَفْلَتِكُمْ، وَانْتَبِهُوا مِنْ رَقَدَتِكُمْ، قَبْلَ أَنْ يَقَالَ: فَلَانِ عَلي، وَمَدْنَتْ ثَقِيلَ، فَهَلْ عَلَى الدَّوَاءِ مِنْ دَلِيلٍ، وَهَلْ إِلَى الطَّيِّبِ مِنْ سَبِيلٍ؟ فَتَدْعَى لَكَ الْأَطْيَاءُ، وَلَا يُرْجَى لَكَ الشِّفَاءُ، ثُمَّ يَقَالَ: فَلَانِ أَوْصَى، وَمَالَهُ أَحْصَى، ثُمَّ يَقَالَ: قَدْ قُتِلَ لِسَانُهُ فَمَا يَكْلِمُ إِخْوَانَهُ، وَلَا يَعْرِفُ جِيرَانَهُ، وَغَرِقَ عِنْدَ ذَلِكَ جَبِينُكَ، وَتَتَابَعَ أَنْيْتُكَ، وَثَبَتَ يَقِينُكَ، وَطَمَحَتْ جَفُونُكَ، وَصَدَقَتْ طُنُونُكَ، وَتَلَجَّجَ لِسَانُكَ، وَبَكَى إِخْوَانُكَ، وَقِيلَ لَكَ: هَذَا أَبْنُكَ فَلَانِ، وَهَذَا أَخُوكَ فَلَانِ، مُنِعْتَ مِنَ الْكَلَامِ فَلَا تَنْطَلِقُ، وَخُتِمَ عَلَى لِسَانِكَ فَلَا يَنْطَلِقُ، ثُمَّ حَلَّ بِكَ الْقَضَاءُ، وَانْتَزَعْتَ رَوْحَكَ مِنَ الْأَعْضَاءِ، ثُمَّ عَرِجَ بِهَا إِلَى السَّمَاءِ، فَاجْتَمَعَ عِنْدَ ذَلِكَ إِخْوَانُكَ، وَأَحْضَرْتَ أَهْلَانُكَ، فَتَسْلُوكَ وَتَكْفُونَهُ، ثُمَّ حَمَلُوكَ فَذَفَنُوكَ، فَانْقَطَعَ عَوَاذُكَ، وَاسْتَرَحَ حُسَادُكَ، وَانْصَرَفَ أَهْلُكَ إِلَى مَالِكَ، وَبَقِيََتْ مَرْتَهَنًا بِأَعْمَالِكَ.

وقال بعضُ الزَّهَادِ لِبَعْضِ الْمُلُوكِ: إِنَّ أَحَقَّ النَّاسِ بِذِمِّ الدُّنْيَا وَقِلَافِهَا مَنْ يُسَيِّطُ لَهُ فِيهَا، وَأَعْطِي حَاجَتَهُ مِنْهَا، لِأَنَّهُ يَتَوَقَّعُ أَفَّةً تَغْدُو عَلَى مَالِهِ فَتُجَنِّحُهَا، وَعَلَى جَمِيعِهِ فَتَفَرِّقَهُ أَوْ تَأْتِي عَلَى سُلْطَانِهِ فَتَهْدِمُهُ مِنَ الْقَوَاعِدِ، أَوْ تَدْبُ إِلَى جِسْمِهِ فَتُسْقِمُهُ، أَوْ تَفْجَعُهُ بِشَيْءٍ هُوَ ضَعِيفٌ بِهِ مِنْ أَحْبَابِهِ، فَالدُّنْيَا الْأَحَقُّ بِالذِّمِّ، وَهِيَ الْأَخْذَةُ مَا تُعْطِي، الرَّاجِعَةُ فِيمَا تَهْبُ، فَبَيْنَا هِيَ تُضْجِكُ صَاحِبَهَا إِذَا أَضْحَكَتْ مِنْهُ غَيْرُهُ، وَبَيْنَا هِيَ تُبْكِي لَهُ إِذَا أَبْكَتْ عَلَيْهِ، وَبَيْنَا هِيَ تُبْسِطُ كَفَّهُ بِالْإِعْطَاءِ إِذَا بَسَطَتْ كَفُّهَا إِلَيْهِ بِالْإِسْتِرْجَاعِ وَالْإِسْتِرْدَادِ، تَعْقِدُ التَّاجَ عَلَى رَأْسِ صَاحِبِهَا الْيَوْمَ وَتُعْفِرُهُ فِي الْغَدِ غَدًا، سِوَاءَ عَلَيْهَا ذَهَابُ مِنْ ذَهَبٍ وَبَقَاءُ مِنْ بَقِيٍّ، تَجِدُ فِي الْبَاقِي مِنَ الذَّاهِبِ خَلْفًا، وَتَرْضَى بِكُلِّ مَنْ كُلٌّ بَدَلًا.

وكتب الحسنُ البصريُّ إلى عمر بن عبد العزيز: أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ الدُّنْيَا دَارٌ طَلَعَتْ لَيْسَتْ بِدَارِ إِقَامَةٍ، وَإِنَّمَا أَنْزَلَ إِلَيْهَا عَقُوبَةً فَاحْذَرُهَا فَإِنَّ الزَّادَ مِنْهَا رُبُّهَا، وَالْغَنَى مِنْهَا فَقْرُهَا، لَهَا فِي كُلِّ حِينٍ قَتِيلٌ، تَذِلُّ مَنْ أَعَزَّهَا، وَتُفْقِرُ مَنْ جَمَعَهَا، هِيَ كَالسُّمِّ يَأْكُلُهُ مَنْ لَا يَعْرِفُهُ وَهُوَ حَتْفُهُ، فَكُنْ

فيها كالمداوي جراحه، يحمي قليلاً مخافة ما يكرهه طويلاً، ويصبر على شدة الدواء، مخافة طول البلاء، فاحذر هذه الدنيا الغدارة المخارة، الخثالة الخداعة، التي قد تزينت بخدعها، وفنتت بغرورها، وتخلت بآمالها، وتشرفت لحظابها، فأصبحت بينهم كالعروس تجلى على بعلها، العيون إليها ناظرة، والقلوب عليها والهة، والنفوس لها عاشقة، وهي لأزواجها كلهم قاتلة، فلا الباقي بالماضي معتبر، ولا الآخر بالأول مزدجر، ولا العارف بالله حين أخبره عنها مذكّر، فمن عاشق لها قد ظفر منها بحاجته، فاعتز وطغى ونسي المعاد، وشغل بها لُبّه حتى زلت عنها قدمه، فعظمت ندامته، وكثرت حسرته، واجتمعت عليه سكرات الموت بالمه، وحسرات القوت بغضته، ومن راعب فيها لم يدرك منها ما طلب، ولم يُريح نفسه من التعب، خرج منها بغير زاد، وقديم على غير مهاد، فاحذرهما ثم احذرهما، وكن أسرّ ما تكون فيها أحذر ما تكون لها، فإن صاحبها كلما اطمأن منها إلى سرور أشخصته إلى مكروه، والساّر منها لأهلها غار، والنافع منها في غيد صار، قد وصل الرخاء منها بالبلاء، وجعل البقاء فيها للقاء، فسروها مشوب بالأحزان، ونعيمها مكثر بالأشجان، لا يرجع ما ولّى منها وأدبر، ولا يُدرى ما هو آت فينتظر، أمانتها كاذبة، وآمالها باطلة، وصفوها كدر، وعيشها نكد، والإنسان فيها على خطر إن عقل ونظر، وهو من النعماء على غرر، ومن البلاء على حذر، فلو كان الخالق لها لم يخبر عنها خبراً، ولم يقرب لها مثلاً، لكانت هي نفسها قد أيقظت النائم، ونهبت الغافل، فكيف وقد جاء من الله عنها زاجر، ويتصايفها واعظ، فما لها عند الله قدر، ولا نظر إليها منذ خلقها، ولقد عرضت على نبيك محمد ﷺ بمفاتيحها وخزائنها لا ينقصه ذلك عند الله جناح بعوضة، فابى أن يقبلها، كره أن يخالف على الله أمره، أو يحب ما أبغضه خالقه، أو يرفع ما وضعه عليه، زواها الرب سبحانه عن الصالحين اختباراً، ويسطها لأعدائه اغتراراً، فيظن المغرور بها، المقتدر عليها، أنه أكرم بها، وينسى ما صنع الله تعالى بمحمد ﷺ من شدة الحَجَر على بطنه، وقد جاءت الرواية عنه عن ربه سبحانه أنه قال لموسى: إذا رأيت الغنى مقبلاً فقل ذنب عجلت عقوبته، وإذا رأيت الفقر مقبلاً فقل مرحباً بشعار الصالحين، وإن شئت اقتديت بصاحب الروح والكلمة عيسى، كان يقول: إدامي الجوع، وشعاري الخوف، ولباسي الصوف، وصلائي في الشتاء مشارق الشمس، وسراجي القمر، ووسادي الحجر، ودابتي رجلاي، وفاكهي وطعامي ما أنبت الأرض، أيث وليس لي شيء، وليس على الأرض أحد أغنى مني.

وفي بعض الكتب القديمة: إن الله تعالى لما بعث موسى وهارون ﷺ إلى فرعون قال: لا يروعنكما لباسه الذي ليس من الدنيا، فإن ناصيته بيدي ليس ينطق ولا يطرف ولا يتنفس إلا بإذني، ولا يُعجبكما ما مُتّع به منها، فإن ذلك زهرة الحياة الدنيا، وزينة المترفين، ولو شئت أن أزينكما بزينة من الدنيا يعرف فرعون حين يراها أن مقدرته تعجز عما وهبنا لفعلت، ولكني

أرغب بكما عن ذلك، وأزوي ذلك عنكما، وكذلك أفلع بأوليائي، إني لأؤدعهم عن نعميها كما يذود الراعي الشفيق غنمه عن مراتع الهلكة، وإني لأجنبهم حُبَّ المُقام فيها كما يجنب الراعي الشفيق إبله عن مَبَارِكِ العَرِّ، وما ذاك لهُوانهم عليّ، ولكن ليستكملوا نصيهم من كرامتي سالماً موفوراً، إنما يترين لي أوليائي بالذلّ والخضوع والخوف، وإن التقوى لتثبت في قلوبهم، فتظهر على وجوههم، فهي ثيابهم التي يلبسونها، وديارهم الذي يظهرون، وضميرهم الذي يستشعرون، ونجاتهم التي بها يفوزون، ورجاؤهم الذي إياه يأملون، ومجدّهم الذي به يفتخرون، وسماهم التي بها يُعرَفون، فإذا لقيهم أحدكم فليخفص لهم جناحه، وليذلّ لهم قلبه ولسانه، وليعلم أنه مَنْ أخاف لي ولياً فقد بارَزني بالمحاربة، ثم أنا الثائر به يوم القيامة.

ومن كلام بعض الحكماء: الأيام يسهام، والناس أغراض، والدهر يرميك كلَّ يوم بسهامه، ويتخرمك بلباليه وآثامه، حتى يستغرق جميع أجزائك، ويُصبي جميع أبعاضك، فكيف بقاء سلامتك مع وقوع الأيام بك، وسرعة الليالي في بدنك! ولو كُشف لك عما أحدثت الأيام فيك من النقص لاستوحشت من كلِّ يوم يأتي عليك واستثقلت ممراً الساعات بك، ولكن تدبير الله تعالى فوق النظر والاعتبار.

وقال بعض الحكماء - وقد استوصف الدنيا وقَدَّر بقائها - : الدنيا وقتك الذي يرجع إليه طرفك، لأنَّ ما مضى عنك فقد فاتك إدراكه، وما لم يأتِ فلا عِلْم لك به، والدهر يومٌ مقبل تنمأ ليلته، وتطويه ساعاته، وأحداثه تتوالى على الإنسان، بالتغيير والتقصان، والدهر موكلٌ بنشيت الجماعات، وانخرام السُّمُل، وتنقُل الدُّوَل، والأمل طويل، والعمر قصير، وإلى الله تصير الأمور.

وقال بعض الفضلاء: الدنيا سريعة الفناء، قريبة الانقضاء، تعدُّ بالبقاء، وتُخلف في الوفاء، تنظر إليها فتراها ساكنةً مستقرّة، وهي سائرةٌ سَيْرًا عنيفاً، ومرحلة ارتحالاً سريعاً، ولكن الناظر إليها قد لا يُحسُّ بحركتها فيطمئن إليها، وإنما يحسُّ بذلك بعد انقضائها، ومثالها الظلُّ، فإنه متحرك ساكنٌ: متحرك في الحقيقة، وساكنٌ في الظاهر، لا تدرك حركته بالبصر الظاهر، بل بالبصرة الباطنة.

الأصل: إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَضَعَ الثَّوَابَ عَلَى طَاعَتِهِ، وَالْعِقَابَ عَلَى مَعْصِيَتِهِ، ذِيَادَةً لِعِبَادِهِ عَنْ يَفْعَتِهِ، وَجِبَاشَةً لَهُمْ إِلَى جَنَّتِهِ.

**الشرح:** زيادة، أي دَفَع. دُذِنَ من كذا، أي دَفَعته ورددته. وحياشة: مصدر حُشْتُ الصيد بضم الحاء، أحوشهُ، إذا جتته من حوائله لتصرفه إلى الجبالة، وكذلك أحيشتُ الصيد وأحوشته، وقد احتوش القوم الصيد إذا نفره بعضهم إلى بعض.

وهذا هو مذهب أصحابنا، إن الله تعالى لما كَلَّف العباد التكاليف الشاقة، وقد كان يمكنه أن يجعلها غير شاقة عليهم بأن يزيد في قدرهم، وجب أن يكون في مقابلة تلك التكاليف ثواب، لأن إلزام المشاق كإزالة المشاق، فكما يتضمن ذلك عوضاً، وجب أن يتضمن هذا ثواباً، ولا بد أن يكون في مقابلة فعل القبيح عقاب، وإلا كان سبحانه ممكناً الإنسان من القبيح، مغرياً له بفعله، إذ الطبع البشري يهوي العاجل، ولا يحفل بالذم، ولا يكون القبيح قبيحاً حينئذ في العقل، فلا بد من العقاب ليقع الانزعاج.

- ٣٧٥ -

**الأصل:** يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ لَا يَبْقَى فِيهِمْ مِنَ الْقُرْآنِ إِلَّا رَسْمُهُ، وَمِنَ الْإِسْلَامِ إِلَّا اسْمُهُ، مَسَاجِدُهُمْ يُؤَمِّدُ حَامِرَةٌ مِنَ الْبَنَاءِ، عَرَابٌ مِنَ الْهَدْيِ، سُكَّانُهَا وَعُمَارُهَا شَرُّ أَهْلِ الْأَرْضِ، مِنْهُمْ تَخْرُجُ الْفِتْنَةُ، وَإِلَيْهِمْ تَأْوِي الْحَوَاطِئُ، يَرُدُّونَ مَنْ شَدَّ عَنْهَا فِيهَا، وَيَسُوقُونَ مَنْ تَأَخَّرَ عَنْهَا إِلَيْهَا، يَقُولُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ فَبِي حَلَفْتُ، لَا أَبْعَثَنَّ عَلَى أَوْلِيكَ فِتْنَةً أَتُرْكُ الْحَلِيمَ فِيهَا حَيْرَانٌ، وَقَدْ فَعَلَ، وَنَحْنُ نَسْتَقِيلُ اللَّهَ عَثْرَةَ الْعَفَلَةِ.

**الشرح:** هذه صفة حال أهل الضلال والفسق والرياء من هذه الأمة، ألا تراه يقول: سكانها وعمارها، يعني سكان المساجد، وعمار المساجد شر أهل الأرض، لأنهم أهل ضلالة كمن يسكن المساجد الآن ممن يعتقد التجسم والتشبيه والصورة والتزول والصعود والأعضاء والجوارح، ومن يقول بالقدر يضيف فعل الكثر والجهل والقبيح إلى الله تعالى، فكل هؤلاء أهل فتنه، يردون من خرج منها إليها، ويسوقون من لم يدخل فيها إليها أيضاً.

ثم قال حاكياً عن الله تعالى: إنه حلف بنفسه ليعمّن على أولئك فتنه، يعني استصلاً وسيفاً حاصداً يترك الحليم أي العاقل اللبيب فيها حيران لا يعلم كيف وجه خلاصه.

ثم قال عليه السلام: وقد فعل.

وينبغي أن يكون قد قال هذا الكلام في أيام خلافته، لأنها كانت أيام السيف المسلط على

أهل الضلال من المسلمين، وكذلك ما بعثه الله تعالى على بني أمية وأتباعهم من سيوف بني هاشم بعد انتقاله ﷺ.

- ٣٧٦ -

الأصل: وَرَوَى اللَّهُ ﷻ قَلَمًا اغْتَدَلَ بِهِ الْجَنِيُّ إِلَّا قَالَ أَمَامَ حُطَيْبٍ: أَيُّهَا النَّاسُ، اتَّقُوا اللَّهَ فَمَا خُلِقَ امْرُؤٌ عَبْدًا قَلْبُهُ، وَلَا تَرَكَ سُدَى قَلْبُهُ، وَمَا دُنِيَاءُ الَّتِي تَحَسَّنَتْ لَهُ يَخْلُقُ مِنَ الْآخِرَةِ الَّتِي قَبَحَهَا سُوءُ النَّظَرِ عِنْدَهُ، وَمَا الْمَغْرُورُ الَّذِي ظَفِرَ مِنَ الدُّنْيَا بِأَعْلَى هِمَّتِهِ كَالْآخِرِ الَّذِي ظَفِرَ مِنَ الْآخِرَةِ بِأَدْنَى سَهْمَتِهِ.

الشرح: قال تعالى: «أَنصَبْتُمْ أَعْنَاقَكُمْ لِقَابِ رَبِّكُمْ وَأَكَلْتُم مَّا بِأَيْمَانِكُمْ لَا تَحْمِلُون» (١).

ومن الكلمات النبوية: «إِنَّ الْمَرْءَ لَمْ يُتْرَكْ سُدَى، وَلَمْ يُخْلَقْ عَبْدًا» (٢).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: إِنْ مِنْ ظَفِيرٍ مِنَ الدُّنْيَا بِأَعْلَى وَأَعْظَمِ أَمْنِيَةٍ لَيْسَ كَأَخْرِ ظَفِيرٍ مِنَ الْآخِرَةِ بِأَدْنَى دَرَجَاتِ أَهْلِ الثَّوَابِ، لَا مَنَاسِبَةَ وَلَا قِيَاسَ بَيْنَ نَعِيمِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

وفي قوله عليه السلام: «الَّتِي قَبَحَهَا سُوءُ النَّظَرِ عِنْدَهُ» تصريحٌ بمذهب أصحابنا أهل العدل رحمهم الله، وهو أن الإنسان هو الذي أضلَّ نفسه لسوء نظره، ولو كان الله تعالى هو الذي أضلَّهُ لما قال: قَبَحَهَا سُوءُ النَّظَرِ عِنْدَهُ.

- ٣٧٧ -

الأصل: لَا شَرَفَ أَعْلَى مِنَ الْإِسْلَامِ، وَلَا جِرْأَ أَعَزُّ مِنَ التَّقْوَى، وَلَا مَغْفَلَ أَحْسَنَ مِنَ الْوَرَعِ، وَلَا شَفِيعَ أَنْجَحَ مِنَ التَّوْبَةِ، وَلَا كَثْرَ أَغْنَى مِنَ الْقَنَاعَةِ، وَلَا مَالٌ أَذْهَبَ لِلْمَقَاتَةِ مِنَ الرِّضَى بِالْقَوْتِ.

وَمَنْ اقْتَصَرَ عَلَى بُلْغَةِ الْكَفَافِ لَقَدْ انْتَقَمَ الرَّاحَةَ، وَتَبَوَّأَ حَفْضَ الدَّعَةِ. وَالِدَّعَةُ مِفْتَاحُ



النَّصَبِ، وَطَبِئَةُ النَّصَبِ، وَالْجِرْصُ وَالْكَبِيرُ وَالْحَسَدُ دَوَاعٍ إِلَى التَّقَحُّمِ فِي الذُّنُوبِ، وَالشَّرُّ جَامِعٌ لِمَسَاوِيءِ الْعُيُوبِ.

الشرح: كل هذه المعاني قد سبق القول فيها مراراً شتى، نأتي كل مرة بما لم نأت به فيما تقدم، وإنما يكررها أمير المؤمنين عليه السلام لإقامة الحجة على المكلفين، كما يكرر الله سبحانه في القرآن المواعظ والزواجر، لذلك كان أبو ذر - رضي الله عنه - جالساً بين الناس فأنته امرأته فقالت: أنت جالس بين هؤلاء، ولا والله ما عندنا في البيت هفة ولا سفة، فقال: يا هذه، إن بين أيدينا عقبة كؤوداً، لا ينجو منها إلا كل مخفت. فرجعت وهي راضية.

وقبل لبعض الحكماء: ما مآلك؟ قال: التجلت في الظاهر، والفضد في الباطن، والغنى عما في أيدي الناس:

وقال أبو سليمان الذراني: تنفس فقير دون شهوة لا يقدر عليها أفضل من عبادة غني ألف عام.

وقال وجل لبشر بن الحارث: ادع لي فقد أضرت الفقر بي وبعيالي، فقال: إذا قال لك عيالك: ليس عندنا دقيق ولا خبز فادع لبشر بن الحارث في ذلك الوقت، فإن دعائك أفضل من دعائه. ومن دعاء بعض الصالحين: اللهم إني أسألك ذل نفسي، والزهد فيما جاوز الكفاف.

- ٣٧٨ -

الأصل: وقال عليه السلام لجابر بن عبد الله الأنصاري:

يا جابر، قِوَامُ الدِّينِ والدُّنْيَا بِأَرْبَعَةٍ: عَالِمٌ يَسْتَقْبَلُ عِلْمَهُ، وَجَاهِلٌ لَا يَسْتَكْتَفِ أَنْ يَتَعَلَّمَ، وَجَوَادٌ لَا يَبْخُلُ بِمَعْرُوفِهِ، وَفَقِيرٌ لَا يَبِيعُ آخِرَتَهُ بِدُنْيَا، فَلِذَا ضَيَّعَ الْعَالِمُ عِلْمَهُ اسْتَكْتَفَى الْجَاهِلُ أَنْ يَتَعَلَّمَ، وَإِذَا بَخَلَ الْغَنِيُّ بِمَعْرُوفِهِ بَاعَ الْفَقِيرُ آخِرَتَهُ بِدُنْيَا.

يا جابر، من كثرت نعمة الله عليه، كثرت حوائج الناس إليه، فمن قام بما يحب لله فيها عرض نعمة الله لِدَوَامِهَا، وَمَنْ ضَيَّعَ مَا يَحِبُّ لله فيها عرض نعمة لَزَوَالِهَا.

الشرح: قد تقدم القول في هذه المعاني. والحاصل أنه ربط اثنتين من أربعة إحداهما بالآخرى، وكذلك جعل في الاثنتين الآخرين، فقال: إن قوام الدين والدنيا بأربعة: عالم يستعمل

علمه، يعني بعمل ولا يقتصر على أن يعلم فقط ولا يعمل، وجاهل لا يستكيف أن يتعلم، وأضر ما على الجهلاء الاستكاف من التعلم، فإنهم يستمرون على الجهالة إلى الموت، والثالث جواد لا يبخل بالمعروف، والرابع فقير لا يبيع آخرته بدينه، أي لا يسرق، ولا يقطع الطريق، أو يكتسب الرزق من حيث لا يحبّه الله، كالقمار، والمواخير، والمزاجر، والمأصر، ونحوها.

ثم قال: فالثانية مرتبطة بالأولى إذا لم يستعمل العالم علمه استنكف الجاهل من التعلم، وذلك لأن الجاهل إذا رأى العالم يمضي ويجاهر الله بالفسق زهد في التعلم، وقال: لماذا تعلم العلم إذا كانت ثمرته الفسق والمعصية.

ثم قال: والرابعة مرتبطة بالثالثة، إذا بخل الغني بمعروفه، باع الفقير آخرته بدينه، وذلك لأنه إذا عدم الفقير المواساة مع حاجته إلى القوت دعت الضرورة إلى الدخول في الحرام، والاكتساب من حيث لا يحسن، وينبغي أن يكون عوض لفظة جواد لفظة غني ليطابق أول الكلام آخره، إلا أن الرواية هكذا وردت، وجواد لا يبخل بمعروفه، وفي ضمير اللفظ كون ذلك الجواد غنياً، لأنه قد جعل له معروفاً والمعروف لا يكون إلا عن ظهر غنى، وباقي الفصل قد سبق شرح أمثاله.

- ٣٧٩ -

الأصل: وَرَوَى ابْنُ جَرِيرٍ الْقَبْرِيُّ فِي تَارِيخِهِ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَيْلَى الْفَقِيه، وَكَانَ يَمُنْ حَرَجَ لِقَاتِ الْحَبَّاجِ مَعَ ابْنِ الْأَشْمَثِ، أَنَّهُ قَالَ فِيمَا كَانَ يَخْصُ بِهِ النَّاسَ عَلَى الْجِهَادِ: إِنِّي سَمِعْتُ عَلِيًّا رَفَعَ اللَّهُ دَرَجَتَهُ فِي الصَّالِحِينَ، وَأَنَابَهُ ثَوَابُ الشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ، يَقُولُ يَوْمَ لَقِينَا أَهْلَ الشَّامِ:

إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ، إِنَّهُ مَنْ رَأَى عُدُوَّنَا يُعْمَلُ بِهِ، وَمُنْكَرًا يَدْعَى إِلَيْهِ، فَأَنْكَرَهُ بِقَلْبِهِ فَقَدْ سَلِمَ وَبَرَّ، وَمَنْ أَنْكَرَهُ بِلِسَانِهِ فَقَدْ أَجْرَ، وَهُوَ أَفْضَلُ مِنْ صَاحِبِهِ، وَمَنْ أَنْكَرَهُ بِالسَّيْفِ لَتَكُونَ كَلِمَةً اللَّهُ فِي الْعَالِيَا وَكَلِمَةً الظَّالِمِينَ السُّفْلَى، فَلَذَلِكَ الَّذِي أَصَابَ سَبِيلَ الْهُدَى، وَقَامَ عَلَى الطَّرِيقِ، وَنَوَّرَ فِي قَلْبِهِ الْبَقِيَّةَ.

الشرح: قد تقدم الكلام في النهي عن المنكر، وكيفية تربيته، وكلام أمير المؤمنين في هذا الفصل مطابق لما يقوله المتكلمون - رحمهم الله.

وقد ذكرنا فيما تقدم، وسنذكر فيما بعد من هذا المعنى ما يجب. وكان النهي عن المنكر معروفاً في العرب في جاهليتها، كان في قريش جلف الفضول، تحالفت قبائل منها على أن يردعوا الظالم، ويصبروا المظلوم، ويردوا عليه حق ما بل بحر صوفة، وقد ذكرنا فيما تقدم.

- ٣٨٠ -

**الأصل:** وَقَالَ ﷺ في كلام له غير هذا يجري هذا المجرى:

فَمِنْهُمْ الْمُنْكَرُ لِلْمُنْكَرِ بِيَدِهِ وَلِسَانِهِ وَقَلْبِهِ، فَذَلِكَ الْمُسْتَكْمِلُ لِيَحْصَالَ الْخَيْرُ، وَمِنْهُمْ الْمُنْكَرُ بِلِسَانِهِ وَقَلْبِهِ وَالتَّارِكُ بِيَدِهِ، فَذَلِكَ مُتَمَسِّكٌ بِخَصْلَتَيْنِ مِنْ يَحْصَالَ الْخَيْرُ، وَمُضْطَبِّعٌ خَصْلَةً، وَمِنْهُمْ الْمُنْكَرُ بَقَلْبِهِ، وَالتَّارِكُ بِيَدِهِ وَلِسَانِهِ، فَذَلِكَ الَّذِي ضَيَّعَ أَشْرَفَ الْخَصْلَتَيْنِ مِنَ الثَّلَاثِ، وَتَمَسَّكَ بِوَاحِدَةٍ، وَمِنْهُمْ تَارِكٌ لِإِنْكَارِ الْمُنْكَرِ بِلِسَانِهِ وَقَلْبِهِ وَيَدِهِ، فَذَلِكَ مَيْتٌ الْأَخْيَارِ، وَمَا أَفْعَالُ الْبِرِّ كُلُّهَا وَالْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ حِنْدُ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالتَّنْهِي عَنِ الْمُنْكَرِ إِلَّا كُنْتُمْ فِي بَحْرٍ لَجَجِي، وَإِنَّ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالتَّنْهِي عَنِ الْمُنْكَرِ لَا يَقْرَبَانِ مِنْ أَجَلٍ، وَلَا يَنْقُصَانِ مِنْ رِزْقٍ، وَأَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ كَلِمَةُ عَدْلٍ حِنْدُ إِمَامٍ جَائِرٍ.

**الشرح:** قد سبق قولنا في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهو أحد الأصول الخمسة عند أصحابنا. ولجّة الماء: أعظمه، وبحر لججتي: ذو ماء عظيم. والثقّة: الفعلة الواحدة من نفث الماء من فمي، أي قدّفته بقوة.

قال ﷺ: لا يعتقدن أحد أنه إن أمر ظالماً بمعروف، أو نهى ظالماً عن منكر، أن ذلك يكون سبباً لقتل ذلك الظالم المأمور أو المنهي إياه، أو يكون سبباً لقطع رزقه من جهته، فإن الله تعالى قدر الأجل، وقضى الرزق، ولا سبيل لأحد أن يقطع على أحد عمره أو رزقه. وهذا الكلام ينبغي أن يحتمل على أنه حث وحض وتحريض على النهي عن المنكر والأمر بالمعروف، ولا يحتمل على ظاهره، لأن الإنسان لا يجوز أن يلقي بنفسه إلى التهلكة، معتدياً على أن الأجل مقدّر، وأن الرزق مقسوم، وأن الإنسان متى غلب على ظنه أن الظالم يقتله ويقيم على ذلك المنكر، ويضيف إليه منكراً آخر لم يجز له الإنكار.

فأما كلمة العدل عند الإمام الجائر فنحو ما روي أن زيد بن أرقم رأى عبيد الله بن زياد - ويقال: بل يزيد بن معاوية - يضرب بقضيب في يده ثنايا الحسين عليه السلام حين حمل إليه رأسه، فقال له: إيهما أرفع يدك، فطالما رايت رسول الله صلى الله عليه وآله يقتلها.

## النهي عن المنكر

ونحن نذكر خلاصة ما يقوله أصحابنا في النهي عن المنكر، ونترك الاستقصاء فيه للكتب الكلامية التي هي أولى بسط القول فيها من هذا الكتاب.

قال أصحابنا: الكلام في ذلك يقع من وجوه: منها وجوبه، ومنها طريق وجوبه، ومنها كيفية وجوبه، ومنها شروط حسنه، ومنها شروط وجوبه، ومنها كيفية إيقاعه، ومنها الكلام في النّاهي عن المنكر، ومنها الكلام في النهي عن المنكر.

أما وجوبه، فلا ريب فيه؛ لأن المنكر قبيح كله، والقيح يجب تركه، فيجب النهي عنه. وأما طريق وجوبه فقد قال الشيخ أبو هاشم رحمه الله: إنه لا طريق إلى وجوبه إلا السمع، وقد أجمع المسلمون على ذلك، ووَرَدَ به نص القرآن في غير موضع. قال الشيخ أبو علي - رحمه الله -: العقل يدل على وجوبه، وإلى هذا القول مال شيخنا أبو الحسين رحمه الله.

وأما كيفية وجوبه فإنه واجب على الكفاية دون الأعيان، لأن الغرض ألا يقع المنكر، فإذا وقع لأجل إنكار طائفة لم يبق وجه لوجوب الإنكار على من سواها.

وأما شروط حسنه فوجوه: منها أن يكون ما ينكره قبيحاً، لأن إنكار الحسن وتحريمه قبيح، والقيح على ضروب: فممنه ما يقبح من كل مكلف، وعلى كل حال، كالظلم. ومنه ما يقبح من كل مكلف على وجه دون وجه، كالرّمي بالسّهام، وتصريف الحمام، والعلاج بالسّلاح، لأن تعاطي ذلك لمعرفة الحرب والتقوى على العدو، ولتعرف أحوال البلاد بالحمام حسن لا يجوز إنكاره، وإن قصد بالاجتماع على ذلك الاجتماع على السّخف واللّهو ومعاشره ذوي الرّيب والمعاصي فهو قبيح يجب إنكاره.

ومنه ما يقبح من مكلف ويحسن من آخر على بعض الوجوه، كشرب النّبذ، والتشاغل بالشطرنج، فأما من يرى خطرهما، أو يختار تقليد من يفتي بخطرهما فحرام عليه تعاطيهما على كل حال، ومتى فعلهما حسن الإنكار عليه، وأما من يرى إباحتهما أو من يختار تقليد من يفتي بإباحتهما، فإنه يجوز له تعاطيهما على وجه دون وجه، وذلك أنه يحسن شرب النّبذ من غير سكر ولا معاورة والاشتغال بالشطرنج للفرجة وتخريج الرأي والعقل، ويقبح ذلك إذا قصد به السّخف، وقصد بالشرب المعاورة والسّكر، فالثاني يحسن إنكاره ويجب، والأول لا يحسن إنكاره لأنه حسن من فاعله.

ومنها أن يعلم المنكر أن ما يُنكره قبيح، لأنه إذا جوز حسنه كان بإنكاره له وتحريمه إيّاه محرماً لما لا يأمن أن يكون حسناً، فلا يأمن أن يكون ما فعله من النهي نهياً عن حسن، وكل فعل لا يأمن فاعله أن يكون مختصاً بوجه قبيح فهو قبيح، ألا ترى أنه يقبح من الإنسان أن يخبر على القطع بأن زيداً في الدار إذا لم يأمن ألا يكون فيها، لأنه لا يأمن أن يكون خبره كذِباً!

ومنها أن يكون ما ينهى عنه واقعاً، لأن غير الواقع لا يحسن النهي عنه، وإنما يحسن الذم عليه، والنهي عن أمثاله. ومنها ألا يغلب على ظن المنكر أنه إن أنكر المنكر، فعلة المنكر عليه، وضم إليه منكراً آخر، ولو لم ينكر عليه لم يفعل المنكر الآخر، فمتى غلب على ظنه ذلك قبح إنكاره، لأنه يصير مفسدة، نحو أن يغلب على ظنه أننا إن أنكرنا على شارب الخمر شربها شربها وقرن إلى شربها القتل، وإن لم ننكر عليه شربها ولم يقتل أحداً.

ومنها ألا يغلب على ظن الناهي عن المنكر أن نهي لا يؤثر، فإن غلب على ظنه ذلك قبح نهي عنده من يقول من أصحابنا إن التكليف من المعلوم منه أنه يكفر لا يحسن، إلا أن يكون فيه لطف لغير ذلك المكلف. وأما من يقول من أصحابنا إن التكليف من المعلوم منه أنه يكفر حسن وإن لم يكن فيه لطف لغير المكلف، فإنه لا يصح منه القول بقبح هذا الإنكار.

فأما شرائط وجوب النهي عن المنكر فأمر:

منها أن يغلب على الظن وقوع المعصية نحو أن يفتيق وقت صلاة الظهر، ويرى الإنسان لا يتهاون للصلاة، أو يراه تهاوناً لشرب الخمر بإعداد آت، ومتى لم يكن كذلك حسن منا أن ندعوه إلى الصلاة، وإن لم يجب علينا دعاؤه.

ومنها ألا يغلب على ظن الناهي عن المنكر أنه إن أنكر المنكر لحفته في نفسه وأعضائه مضرة عظيمة، فإن غلب ذلك على ظنه وأنه لا يمتنع من ينكر عليه من فعل ما يذكروه عليه أيضاً، فإنه لا يجب عليه الإنكار، بل ولا يحسن منه لأنه مفسدة. وإن غلب على ظنه أنه لا يفعل ما أنكره عليه ولكنه يضربه، نُظر فإن كان إضراره به أعظم قبحاً مما يتركه إذا أنكر عليه، فإنه لا يحسن الإنكار عليه، لأن الإنكار عليه قد صار والحالة هذه مفسدة، نحو أن ينكر الإنسان على غيره شرب الخمر، فيترك شربها ويقتله. وإن كان ما يتركه إذا أنكر عليه أعظم قبحاً مما ينزل به من المضرة، نحو أن يهّم بالكفر، فإذا أنكر عليه تركه وجرح المنكر عليه أو قتله فإنه لا يجب عليه الإنكار، ويحسن منه الإنكار، أما قولنا: لا يجب عليه الإنكار، فلأن الله تعالى قد أباحنا التكلم بكلمة الكفر عند الإكراه، فبأن يبيحنا ترك غيرنا أن يتلفظ بذلك عند الخوف على النفس أولى، وأما قولنا: إنه يحسن الإنكار، فلأن في الإنكار مع الظن لما ينزل بالنفس من المضرة إعزازاً للدين، كما أن في الامتناع من اظهار كلمة الكفر مع الصبر على قتل النفس إعزازاً للدين، لا فضل بينهما.

فأما كيفية إنكار المنكر فهو أن يتدبى بالسهل، فإن نفع ولا ترقى إلى الصعب، لأن الغرض ألا يقع المنكر، فإذا أمكن ألا يقع بالسهل فلا معنى لتكلف الصعب، ولأنه تعالى أمر بالإصلاح قبل القتال في قوله: ﴿فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَتَّ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْآخَرَىٰ فَذَلِيلُ الْآخَرَىٰ﴾ (١).

فأما الناهي عن المنكر مَنْ هو؟ فهو كلُّ مسلم تمكَّن منه واختصَّ بشرائطه؛ لأنَّ الله تعالى قال: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾<sup>(١)</sup>، ولإجماع المسلمين على أنَّ كلَّ مَنْ شاهد غيره تاركاً للصلاة غير محافظ عليها فله أن يأمره بها، بل يجب عليه، إلا أنَّ الإمام وخلفاءه أولى بالإنكار بالقتال، لأنَّه أعرف بسياسة الحرب وأشدَّ استعداداً لآلتها.

فأما المنهي مَنْ هو؟ فهو كلُّ مكلف اختصَّ بما ذكرناه من الشروط، وغير المكلف إذا هم بالإضرار لغيره يمنع منه، ويمنع الضبيان وينهون عن شرب الخمر حتى لا يتعودوه، كما يواخذون بالصلاة حتى يمرنوا عليها، وهذا ما ذكره أصحابنا.

فأما قوله عليه السلام: «ومنهم المنكر بلسانه وقلبه، والتارك بيده، فذلك متمسك بخصلتين من خصال الخير، ومضيع خصلة»، فإنه يعني به من يعجز عن الإنكار باليد المانع، لأنَّه لم يخرج هذا الكلام مخرج الدم، ولو كان لم يعن العاجز لوجب أن يخرج الكلام مخرج الدم، لأنَّه ليس بمعذور في أن يُنكر بقلبه ولسانه إذا أحلَّ بالإنكار باليد مع القدرة على ذلك، وارتفاع الموانع.

وأما قوله: «ضيع أشرف الخصلتين» فاللام زائدة، وأصله «ضيع أشرف خصلتين من الثلاث»، لأنَّه لا وجه لتعريف الممهود هاهنا في الخصلتين، بل تعريف الثلاث باللام أولى، ويجوز حذفها من الثلاث، ولكن إثباتها أحسن، كما تقول: قتلت أشرف رجلين من الرجال الثلاثة. وأما قوله: «فذلك ميت الأحياء»، فهو نهاية ما يكون من الدم.

واعلم أنَّ النهي عن المنكر، والأمر بالمعروف عند أصحابنا أصل عظيم من أصول الدين: وإليه تذهب الخوارج الذين خرجوا على السلطان، متمسكين بالدين وشعار الإسلام، مجتهدين في العبادة، لأنَّهم إنَّما خرجوا إما غلب على قلوبهم، أو غلبوا جور الولاة وظلمهم، وأنَّ أحكام الشريعة قد غيّرت، وحُكم بما لم يحكم به الله، وعلى هذا الأصل بُني الإسماعيلية من الشيعة قتل ولاء الجور غيلةً، وعليه بناء أصحاب الرُّهد في الدنيا الإنكار على الأمراء والخلفاء، ومواجهتهم بالكلام الغليظ لما عجزوا عن الإنكار باليد، وبالجمله فهو أصل شريف أشرف من جميع أبواب البر والعبادة، كما قال أمير المؤمنين عليه السلام.

- ٣٨١ -

**الأصل:** وروى أبو جحيفة قال: سمعت أمير المؤمنين عليه السلام يقول: إن أول ما تُقلبون عليه من الجهاد، الجهاد بأيديكم، ثم بآلسيتكم، ثم بقلوبكم، فمن لم يعرف بقلبه معروفاً ولم يتكبر منكراً، قلب فجيل أخلاء أسفله، وأسفله أخلاء.

**الشرح:** إنما قال ذلك لأن الإنكار بالقلب آخر المراتب، وهو الذي لا بد منه على كل حال، فأتا الإنكار باللسان وباليدين فقد يكون منهما بُدٌّ، وعنهما عُذر، فمن ترك النهي عن المنكر بقلبه، والأمر بالمعروف بقلبه، فقد سخط الله عليه لعصيانته، فصار كالمسوخ الذي يجعل الله تعالى أخلاء أسفله، وأسفله أخلاء تشويهاً لخلقته، ومن يقول بالأنفس الجسمانية، وإنها بعد المفارقة يصعد بعضها إلى العالم العلوي: وهي نفوس الأبرار وبعضها ينزل إلى المركز، وهي نفوس الأشرار، يتأول هذا الكلام على مذهبه، فيقول: إن من لا يعرف بقلبه معروفاً، أي لا يعرف من نفسه باحاً عليه ولا متقاضياً بفعله، ولا يتكبر بقلبه منكراً، أي لا يأنف منه ولا يستعجبه، ويمتنع من فعله بقلبه نفسه التي قد كان سبيلها أن تصعد إلى عالمها فتجمل هاوية في خضيب الأرض، وذلك عندهم هو العذاب والعقاب.

- ٣٨٢ -

**الأصل:** إن الحق قليل مريء، وإن الباطل خفيف وبيء.

**الشرح:** تقول: مرؤ الطعام بالضم، يمرؤ مرأة فهو مريء على «فعل» مثل خفيف وثقيل، وقد جاء مريء الطعام بالكسر، كما قالوا فقه الرجل وفقهه. ويرى البلد بالكسر يؤناً وباءة فهو وبيء على «فعل» أيضاً، ويجوز فهو ويرى على «فعل» مثل خدير وأثير.

يقول عليه السلام: الحق وإن كان قليلاً إلا أن عاقبته محمودة، ومعبته صالحة، والباطل وإن كان خفيفاً إلا أن عاقبته مذمومة، ومعبته غير صالحة، فلا يحملن أحدكم حلاوة عاجل الباطل على فعله، فلا خير في لذة قليلة عاجلة، يتعقبها مضارٌ عظيمةٌ آجلة، ولا يصرفن أحدكم عن الحق بقله فإنه سيحمد عقي ذلك، كما يحمد شارب الدواء المر شربه فيما بعد إذا وجد لذة العافية.

- ٣٨٣ -

**الأصل:** لَا تَأْمَنْ عَلَى غَيْرِ هَذِهِ الْأُمَّةِ عَذَابَ اللَّهِ، لِقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾<sup>(١)</sup> وَلَا يَأْمَنُ لِشَرِّ هَذِهِ الْأُمَّةِ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ تَعَالَى ﴿إِنَّهُمْ لَا يَأْتِسُّ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

**الشرح:** هذا كلامٌ ينبغي أن يُحمَل على أنه أراد ﷺ النهي عن القطع على مغيب أحد من الناس، وأنه لا يجوز لأحد أن يقول: فلان قد نجا، ووجبت له الجنة، ولا فلان قد هلك ووجبت له النار، وهذا القول حق؛ لأن الأعمال الصالحة لا يُحكم لصاحبها بالجنة إلا بسلامة العاقبة، وكذلك الأعمال السيئة لا يُحكم لصاحبها بالنار إلا إن مات عليها، فأما الاحتجاج بالآية الأولى فللقائل أن يقول: إنها لا تدل على ما أفتى ﷺ به، وذلك لأن معناها أنه لا يجوز للعاصي أن يأمن مكر الله على نفسه، وهو مقيم على عصيانه، لا ترى أن أولها: ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيِّنًا وَهُمْ يَقَابِلُونَ﴾<sup>(٣)</sup> أَوْ أَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضَعْفًا وَهُمْ يُلْعَبُونَ<sup>(٤)</sup> أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ<sup>(٥)</sup>، وليست دالة على ما نحن فيه، لأن الذي نحن فيه: هل يجوز لأحد أن يأمن على الضالعين من هذه الأمة عذاب الله.

فأما الآية الثانية فالاحتجاج بها جيد لا شبهة فيه، لأنه يجوز أن يتوب العاصي والتوبة من رَوْحِ اللَّهِ.

فإن قلت: وكذا يجوز أن يكفر المسلم المطيع. قلت: صدقت، ولكن كفره ليس من مكر الله، فدل على أن المراد بالآية أنه لا ينبغي للعاصي أن يأمن من عقوبة الله ما دام عاصياً، وهذا غير مسألتنا.

- ٣٨٤ -

**الأصل:** الْبُخْلُ جَامِعٌ لِمَسَاوِي الْمُنُوبِ، وَهُوَ زِمَامٌ يُقَادُّ بِهِ إِلَى كُلِّ سُوءٍ.

(٢) سورة يوسف، الآية: ٨٧.

(١) سورة الأعراف، الآية: ٩٩.

(٣) سورة الأعراف، الآيتان: ٩٧، ٩٩.



**الشرح:** قد تقدّم القول في البخل والشح. ونحن نذكر هاهنا زيادات أخرى.

### بعض ما ورد في الجود والبخل

قال بعض الحكماء: السخاء هيئة للإنسان، داعية إلى بذل المقتنيات، حصل معه البذل لها أو لم يحصل، وذلك خلق، ويقابله الشح، وأما الجود، فهو بذل الثقتى، ويقابله البخل، هذا هو الأصل، وإن كان كل واحد منها قد يستعمل في موضع الآخر، والذي يدل على صحة هذا الفرق أنهم جعلوا اسم الفاعل من السخاء والشح على بناء الأفعال الغريزية، فقالوا: شحيح وسخي، فبنّوه على «فعل» كما قالوا: حليم وسفيه وعفيف، وقالوا: جاد وباخل، فبنّوها على «فاعل» كضارب وقائل، فأما قولهم: ببخل، فمصرف عن لفظ «فاعل» للمبالغة، كقولهم في راحم رحيم، ويدل أيضاً على أن السخاء غريزة وخلق أنهم لم يصفوا البارئ سبحانه، به فيقولوا سخي، فأما الشح فقد عظم أمره وخوف منه، ولهذا قال عليه السلام: «ثلاث مهلكات: شح مطاع، وهوى متبع، وإعجاب المرء بنفسه»<sup>(١)</sup>، فخص المطاع تنبيهاً على أن وجود الشح في النفس فقط ليس مما يستحق به ذم لأنه ليس من فعله، وإنما يذم بالانقياد له، قال سبحانه: «وَمَنْ يَوْفُ شَحًّا نَفْسِهِ»<sup>(٢)</sup>، وقال: «وَأَحْزَنَتِ الْأَنْفُسُ الشَّحًّا»<sup>(٣)</sup>.

وقال عليه السلام: لا يجتمع شح وإيمان في قلب أبداً<sup>(٤)</sup>.

فأما الجود فإنه محمود على جميع السنة العالم، ولهذا قيل: كفى بالجود مدحاً أن اسمه مطلقاً لا يقع إلا في حمد، وكفى بالبخل ذمناً أن اسمه مطلقاً لا يقع إلا في ذم.

وقيل لحكيم: أي أفعال البشر أشبه بأفعال البارئ سبحانه؟ فقال: الجود.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «الجود شجرة من أشجار الجنة، من أخذ بقضن من أخصانها آذاه إلى الجنة، والبخل شجرة من أشجار النار من أخذ بقضن من أخصانها آذاه إلى النار»<sup>(٥)</sup>.

ومن شرف الجود أن الله سبحانه قرّن ذكره بالإيمان، ووصف أهله بالفلاح، والفلاح اسم جامع لسعادة الدارين.

(١) أخرجه الشهاب في «مسنده» (٣٢٦)، والديلمي في «مسند الفردوس» (٢٤٧٥).

(٢) سورة التغابن، الآية: ١٦. (٣) سورة النساء، الآية: ١٢٨.

(٤) أخرجه الحاكم في «المستدرک» (٢٣٩٥)، والنسائي في «سننه» (٣١١٤)، وأحمد في «مسنده».

(٥) (٧٤٧٤)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٠٨٢٨).

(٥) أخرجه السيوطي في جامعه رقم: ٤٨٠٣ وأخرجه السيوطي في الدر المنثور: ١٩٧/٦.

قال سبحانه: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ إلى قوله: ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾<sup>(١)</sup>. وقال: ﴿وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

وحق للجود بأن يُقرَن بالإيمان، فلا شيء أخص به وأشدَّ مجانسةً له منه، فإن من صفة المؤمن انشراح الصدر، كما قال تعالى: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرْبًا مَكَانًا يَغْجُجُ فِي السَّكَلَةِ﴾<sup>(٣)</sup>، وهذا من صفات الجواد والبخيل، لأن الجواد واسع الصدر، منشرح مستبشر للإتفاق والبذل، والبخيل قنوط ضيق الصدر، حرج القلب مُمسيك.

وقال النبي ﷺ: «وأي داء أذوا من البخل»<sup>(٤)</sup>.

والبخل على ثلاثة أضرب: بخل الإنسان بماله على نفسه، وبخله بماله على غيره، وبخله بمال غيره على نفسه أو على غيره، وأفحشها بخله بمال غيره على نفسه، وأهونها - وإن كان لا هيئ فيها - بخله بماله على غيره.

وقال ﷺ: «اللهم اجعل لمتفق خلفاً، ولمسيك تلفاً»<sup>(٥)</sup>.

وقال: «إن الله عز وجل يُنزل المعونة على قدر المؤونة»<sup>(٦)</sup>.

وقال أيضاً: «مَنْ وَسَّعَ وَسَّعَ عَلَيْهِ»<sup>(٧)</sup>.

وقالت الفلاسفة: الجود على أقسام: فمنها الجود الأعظم، وهو الجود الإلهي، وهو الفيض العام المطلق، وإنما يختلف باختلاف المواد واستعداداتها، وإلا فالفيض في نفسه عام غير خاص، ويعدّه جود الملوك، وهو الجود بجزء من المال على من تدعوهم الدواعي والأغراض إلى الجود عليه، ويتلوه جود السوقة، وهو بذل المال للشفاعة أو الندامى والشرب والمعاشرين والإحسان إلى الأقارب.

(٢) سورة الحشر، الآية: ٩.

(١) سورة البقرة، الآيات: ٣ - ٥.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ١٢٥.

(٤) أخرجه البخاري، كتاب: فرض الخمس، باب: من الدليل على أن الخمس لنواب المسلمين (٣١٣٧)، وأحمد في مسنده (١٣٨٨٩).

(٥) أخرجه البخاري، كتاب: الزكاة، باب: قوله تعالى: ﴿فَمَا تَزَلْ أَهْلًا وَلَاقَيْنَ﴾ (١٤٤٢)، ومسلم، كتاب: الزكاة، باب: في المنفق والممسك (١٠١٠).

(٦) ذكره في «فيض القدير» (٣١٨/٢)، والمتقي الهندي في «كنز العمال» (١٥٩٩٢)، ونسبه لابن لال.

(٧) ذكره في «فيض القدير» (٥٤/٤).

قالوا: واسم الجود مجاز، إلا الجود الإلهي العام، فإنه عارٍ عن الغرض والداعي. وأما من يعطي لغرضٍ وداعٍ نحو أن يحبَّ الثناء والمحمدة، فإنه مستبعض وتاجر يعطي شيئاً لياخذ شيئاً، قالوا قولٌ أمي نواس:

فَتَى يَشْتَرِي حُسْنَ الثَّنَاءِ بِمَالِهِ وَيَعْلَمُ أَنَّ الدَائِرَاتِ تَدُورُ  
ليس بناية في الوصف بالجود التام، بل هو وصف بتجارة محمودة، وأحسن منه قول ابن الرومي:

وَنَاجِرُ الْبِرِّ لَا يَزَالُ لَهُ رِيحَانٌ فِي كُلِّ مَشْجَرِ تَجَرَةٍ  
أَجْرٌ وَحَمْدٌ وَإِنَّمَا طَلَبُ الْأَجْرِ وَلَكِنْ كَلَامُ مَا اعْتَوَرَهُ  
وأحسن منهما قولٌ بشار:

لَيْسَ يُعْطِيكَ لِلرَّجَاءِ وَلَا الْخَوْفِ وَلَكِنْ يَلِدُ طَعْمَ الْعَطَاءِ  
ونحن قد ذكرنا ما في هذا الموضع من البحث العقلي في كُتُبنا العقلية.

— ٣٨٥ —

**الأصل:** يَا بَنَ آدَمَ، الرِّزْقُ رِزْقَانِ: رِزْقٌ تَطْلُبُهُ، وَرِزْقٌ يَطْلُبُكَ، فَإِنْ لَمْ تَأْتِهِ أَنَاكَ، فَلَا تَحْمِلْ  
هَمَّ سَيِّئِكَ عَلَى هَمِّ يَوْمِكَ، كَمَا أَنَّ كُلَّ يَوْمٍ مَا فِيهِ، فَإِنْ تَكُنِيَ السَّنَةُ مِنْ هَمِّكَ فَإِنَّ اللَّهَ  
تَعَالَى سَيُؤْتِيكَ فِي كُلِّ عَدِيدٍ مَا قُوسِمَ لَكَ، وَإِنْ لَمْ تَكُنِيَ السَّنَةُ مِنْ هَمِّكَ فَمَا تَصْنَعُ بِالْهَمِّ فِيمَا  
لَيْسَ لَكَ، وَلَمْ يَسْبِقْكَ إِلَى رِزْقِكَ طَالِبٌ، وَلَنْ يَفْلِيكَ عَلَيْهِ غَالِبٌ، وَلَنْ يَبْطِئَ عَنْكَ مَا قَدْ قُدِّرَ لَكَ.  
قال: وقد مضى هذا الكلام فيما تقدّم من هذا الباب، إلا أنه هاهنا أوضح وأشرح،  
فلذلك كررناه على القاعدة المقرّرة في أوّل هذا الكتاب.

**الشرح:** قد تقدّم القول في معاني هذا الفصل، ورُوي أن جماعة دخلوا على الجُنيد، فاستأذنه  
في طلب الرزق، فقال: إن علمتم في أي موضع هو فاطبوه، قالوا: فنسأل الله تعالى  
ذلك، قال: إن علمتم أنه يتساكم لذئبوه، قالوا: فندخل البيت وننظر ما يكون، فقال:  
التوكل على التجربة شك، قالوا: فما الحيلة؟ قال: ترك الحيلة.

ورُوي أن رجلاً لازم باب عمر فضجر منه، فقال له: يا هذا، هاجرت إلى الله تعالى أم إلى  
باب عمر! اذهب فتعلّم القرآن، فإنه سيفنيك عن باب عمر، فذهب الرجل وغاب مدة حتى

افتقده عمر، فإذا هو معتزل مشغل بالعبادة، فأثاء عمرُ فقال له: إني اشتقت إليك، فما الذي شغلك عنا! قال: إني قرأت القرآن فأغاني عن عمر وآل عمر، فقال: رحمك الله! فما وجدت فيه؟ قال: وجدت فيه: ﴿رَبِّ أَسْمَاءَ بِنْتِ نَجْدٍ وَمَا تُعَدُّونَ﴾<sup>(١)</sup>، فقلت: رزقي في السماء، وأنا أطلبه في الأرض، إني لبئس الرجل، فبكى عمرُ وقال: صدقت، وكان بعد ذلك يتتابه ويجلس إليه.

- ٣٨٦ -

**الأصل:** رَبُّ مُسْتَظِلِّ يَوْمًا لَيْسَ بِمُسْتَذِيرِهِ، وَمُغْبُوطٌ فِي أَوَّلِ لَيْلَةٍ قَامَتْ بِوَاكِئِهِ فِي آخِرِهِ.

**الشرح:** مثلُ هذا قولُ الشاعر:

يا راقِدَ الليلِ مسروراً بأَوَّلِهِ    إِنَّ الحَوَادِثَ قَدْ يَطْرُقُنَ أَسْحَارَهُ  
ومثله:

لَا يَغْفِرُنَاكَ عِشَاءً سَاكِنٌ    قَدْ يُوَاقِيهِ بِالْمَنْبِياتِ السَّحَرُ

- ٣٨٧ -

**الأصل:** الكلامُ في وثاقِكَ ما لَمْ تَتَكَلَّمْ بِهِ، فإذا تَكَلَّمْتَ بِهِ صِرْتَ فِي وَثَاقِهِ، فَاحْزُنْ لِسَانَكَ كما تَحْزُنْ ذَهَبَكَ وَوَرَقَكَ، فَرُبَّ كَلِمَةٍ سَلَبَتْ نِعْمَةً.

**الشرح:** قد تقدم القولُ في مدح الضمتِ وذمِّ الكلامِ الكثيرِ.

وكان يقال: لا خير في الحياة إلا لَصُمُوتِ رَجُلٍ، أو ناطقِ مُحِينٍ.

وقيل لحذيفة: قد أطلتْ سجنَ لسانِكَ! فقال: لأنه غيرُ مأمون إذا أُطْلِقَ. ومن أمثال العرب: رَبُّ كَلِمَةٍ يَقُولُ: دَغْنِي.

وقالوا: أصلها أَنَّ بعضَ ملوكِ الحيرة كان قد استراب ببعض خَوَلِهِ، فنزل يوماً وهو يتصيد على تَلْعَةٍ، ونزل أصحابُه حوله فأفاضوا في حديث كثير، فقال ذلك الإنسان: أترى لو أَنَّ رجلاً

(١) سورة الذاريات، الآية: ٢٢.

ذُبَحَ عَلَى رَأْسِ هَذِهِ الثَّلَاةِ هَلْ كَانَ يَسِيلُ دَمُهُ إِلَى أَوَّلِ الْغَائِطِ؟ فَقَالَ الْمَلِكُ: هَلَمُوا فَادْبَحُوهُ لِنَنْتَظِرَ، فَذَبَحُوهُ، فَقَالَ الْمَلِكُ: رَبِّ كَلِمَةٍ تَقُولُ: ذَغِي.

وَقَالَ أَكْتُمُ بْنُ صَيْفِي: مِنْ إِكْرَامِ الرَّجُلِ نَفْسَهُ أَلَّا يَتَكَلَّمَ بِكَلِّ مَا يَعْلَمُ.  
وَتَذَاكُرُ قَوْمٍ مِنَ الْعَرَبِ وَفِيهِمْ رَجُلٌ بَاهِلِي سَاكِتٌ، فَقِيلَ لَهُ: بِحَقِّ مَا سَمَّيْتُمْ خُزْنَ الْعَرَبِ،  
فَقَالَ: أَمَا عَلِمْتُمْ أَنَّ لِسَانَ الْمَرْءِ لَغَيْرِهِ، وَسَمْعُهُ لِنَفْسِهِ!

- ٣٨٨ -

**الأصل:** لَا تَقُلْ مَا لَا تَعْلَمُ، بَلْ لَا تَقُلْ كُلَّ مَا تَعْلَمُ، فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ قَدْ قَرَضَ عَلَى جَوَارِحِكَ  
كُلَّهَا قَرَائِضَ يَخْتِجُ بِهَا عَلَيْكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

**الشرح:** هَذَا نَهْيٌ عَنِ الْكُذْبِ، وَأَنْ تَقُولَ مَا لَا تَأْمَنُ مِنْ كَوْنِهِ كَذِبًا، فَإِنَّ الْأَمْرَيْنِ كِلَيْهِمَا قِيَعَانِ  
عَقْلًا عِنْدَ أَصْحَابِنَا.

فَإِنْ قُلْتَ كَيْفَ يَقُولُ أَصْحَابُكُمْ: إِنَّ الْخَبَرَ الَّذِي لَا يَأْمَنُ كَوْنُهُ كَذِبًا قَبِيحٌ، وَالنَّاسُ  
يَسْتَحْسِنُونَ الْأَخْبَارَ عَنِ الْمُظَنُّونَ.

قُلْتُ: إِذَا قَالَ الْإِنْسَانُ: زَيْدٌ فِي الدَّارِ وَهُوَ يَظُنُّهُ فِي الدَّارِ وَلَا يَقْطَعُ عَلَيْهِ، فَإِنَّ الْحَسَنَ مِنْهُ أَنْ  
يُخْبِرَ عَنْ ظَنِّهِ كَانَ يَقُولُ: أَخْبِرْ عَنْ أَنِّي أَظُنُّ أَنَّ زَيْدًا فِي الدَّارِ، وَإِذَا كَانَ هَذَا هُوَ تَقْدِيرُهُ فَالْخَبَرُ  
إِذَنْ خَبَرٌ عَنْ مَعْلُومٍ لَا عَنْ مَظْنُونٍ، لِأَنَّهُ قَاطِعٌ عَلَى أَنَّهُ ظَانَ أَنَّ زَيْدًا فِي الدَّارِ.

فَأَمَّا إِذَا فُرِضَ الْخَبَرُ لَا عَلَى هَذَا الْوَجْهِ بَلْ عَلَى الْقَطْعِ بِأَنَّ زَيْدًا فِي الدَّارِ وَهُوَ لَا يَقْطَعُ عَلَى  
أَنَّ زَيْدًا فِي الدَّارِ، فَقَدْ أَخْبَرَ بِخَبَرٍ لَيْسَ عَلَى مَا أَخْبَرَ بِهِ عَنْهُ، لِأَنَّهُ أَخْبَرَ عَنْ أَنَّهُ قَاطِعٌ، وَلَيْسَ  
بِقَاطِعٍ، فَكَانَ قَبِيحًا.

- ٣٨٩ -

**الأصل:** اخْذَرْ أَنْ يَرَاكَ اللَّهُ عِنْدَ مَعْصِيَتِهِ، وَيُثَبِّدَكَ عِنْدَ طَاعَتِهِ، فَتَكُونَ مِنَ الْخَاسِرِينَ، وَإِذَا  
قَوَيْتَ قَائِمًا عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ، وَإِذَا ضَمُنْتَ قَاضِيًا عَنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ.

**الشرح:** مَنْ علم يقيناً أَنَّ الله تعالى يراه عند معصيته، كان أَخَذَرَ الناس أَنْ يَحْتَنِبَهَا، كما إذا علمنا يقيناً أَنَّ الملك يرى الواحد منا وهو يراود جاريته عن نفسه، أو يحدث ولده ليفجر به، ولكنَّ اليقين في البَشَر ضعیف جداً، أو أنهم أحمقُ الحيوان وأجهلُه، وبحقِّ أقول: إنَّهم إن اعتقدوا ذلك اعتقاداً لا يخالطه الشكُّ، ثم واقعوا المعصية، وعندهم عقيدة أخرى ثابتة أَنَّ العقاب لاجئٌ بمن عصى، فإنَّ الإبلَ والبقرَ أقربَ إلى الرُّشادِ منهم.

وأقول: إنَّ الذي جزأ الناسَ على المعصية الطمُعُ في المغفرة، والعفو العام. وقولهم: الحلم والكرم والصفح من أخلاق ذوي الثَّباة والفضَّل من الناس، فكيف لا يكون من الباري سبحانه عفوٌ عن الذنوب! وما أحسن قولَ شيخنا أبي عليٍّ رحمه الله: لولا القولُ بالإزْجاء، لما عُصِيَ اللهُ في الأرض.

- ٣٩٠ -

**الأصل:** الرُّكُونُ إِلَى الدُّنْيَا مَعَ مَا تُعَايِنُ وَنَهَا جَهْلٌ، وَالتَّقْصِيرُ فِي حُسْنِ الْعَمَلِ إِذَا وَفَّقْتَ بِالشَّوَابِ عَلَيْهِ غَبْنٌ، وَالطَّمَأْنِينَةُ إِلَى كُلِّ أَحَدٍ قَبْلَ الْاِخْتِيَارِ لَهُ عَجْزٌ.

**الشرح:** قد تقدَّم الكلام في الدُّنْيَا وَخُتْمٌ مِنْ يَزْكُنُ إِلَيْهَا مَعَ مَعَايِنَةِ غَدْرِهَا، وَقَلَّةٌ وَفَائِثَةٌ وَنَقْضُهَا هَوْدَهَا، وَقَتْلُهَا عُشَاقَهَا.

ولا ريبَ أَنَّ الغَبْنَ وأعظمُ الغَبْنِ هو التقصير في الطاعة مع يقين الشَّوَابِ عليها، وأما الطَّمَأْنِينَةُ إِلَى مَنْ لَمْ يَعْرِفْ وَلَمْ يَخْتَبِرْ فَإِنَّا عَجْزٌ - كما قال عليه السلام - يَعْنِي عَجْزاً فِي الْعَقْلِ وَالرَّأْيِ، فَإِنَّ الْوُثُوقَ مَعَ التَّجَرِبَةِ فِيهِ مَا فِيهِ، فَكَيْفَ قَبْلَ التَّجَرِبَةِ! وقال الشاعر:

وَكُنْتُ أَرَى أَنَّ التَّجَارِبَ عُدَّةٌ فَخَانَتْ ثِقَاتُ النَّاسِ حِينَ التَّجَارِبِ

- ٣٩١ -

**الأصل:** مِنْ هَوَانِ الدُّنْيَا عَلَى اللَّهِ أَنَّهُ لَا يُعْصَى إِلَّا فِيهَا، وَلَا يُنَالُ مَا عِنْدَهُ إِلَّا بِتَرْكِهَا.

**الشرح:** هذا الكلام نسبته الغزالي في كتاب «إحياء علوم الدين» إلى أبي الدرداء، والصحيح أنه من كلام علي عليه السلام، ذكره شيخنا أبو عثمان الجاحظ في غير موضع من كتبه، وهو أعرف بكلام الرجال.

### بعض ما قيل في حال الدنيا

وقد تقدم من كلامنا في حال الدنيا وهوانها على الله واختار الناس بها وغدورها بهم، وذم العقلاء لها، وتحذيرهم منها ما فيه كفاية.

ونحن نذكرها هنا زيادةً على ذلك. يقال: إن في بعض كتب الله القديمة: الدنيا غنيمة الأكياس، وغفلة الجهال، لم يعرفوها حتى خرجوا منها فسألوا الرجعة فلم يرجعوا.

وقال بعض العارفين: من سأل الله تعالى الدنيا فإنما سأل طول الوقوف بين يديه.

وقال الحسن: لا تخرج نفس ابن آدم من الدنيا إلا بخسرات ثلاث: أنه لم يشبع مما جمع، ولم يدرك ما أمل، ولم يحسب الزاد لما يقدم عليه.

ومن كلامه: أهينوا الدنيا، فوالله ما هي لأحد بأهنا منها لمن أهانها.

وقال محمد بن المنكدر: أرايت لو أن رجلاً صام الدهر لا يفطر، وقام الليل لا يفتر، وتصدق بماله، وجاهد في سبيل الله، واجتنب محارم الله تعالى، غير أنه يؤتى به يوم القيامة فيقال: إن هذا مع ما قد عمل كان يعظم في عينه ما صغر الله، ويصغر في عينه ما عظم الله، كيف ترى يكون حاله! فمن منا ليس هكذا، الدنيا عظيمة عنده مع ما اقترفنا من الذنوب والخطايا.

وقد ضربت الحكماء مثلاً للدنيا نحن نذكره هاهنا، قالوا: مثل الدنيا وأهلها كقوم ركبوا سفينةً فانتهت بهم إلى جزيرة، فأمرهم الملاح بالخروج لقضاء الحاجة وحذرهم المقام، وخوفهم مرور السفينة، واستعجالها، ففرقوا في نواحي الجزيرة، ففقد بعضهم حاجته وبادر إلى السفينة، فصادف المكان خالياً، فأخذ أوسع المواضع واليئها وأوقفها لمراده. وبعضهم توقف في الجزيرة ينتظر إلى أزهارها وأنوارها العجيبة، وغياضها الملتفة، ونعائم طيورها الطيبة، والأحزان الموزونة الغربية، ولحظ في تزيينها أحجارها وجواهرها ومعادنها المختلفة الألوان ذوات الأشكال الحسنة المنظر، العجيبة النقش، السالبة أعين الناظرين بحسن زينها، وعجائب صورها، ثم تبته لخطر قوات السفينة، فرجع إليها فلم يصادف إلا مكاناً ضيقاً خروجا، فاستقر فيه. وبعضهم أكب فيها على تلك الأصداف والأحجار، وقد أعجبه حسنها، ولم تسمع نفسه بإهمالها وتركها، فأستصحب منها جملةً، فجاء إلى السفينة فلم يجد إلا مكاناً ضيقاً، وزاده ما حمله ضيقاً، وصار ثقلاً عليه وزيلاً، فندم على أخذه، ولم تطلع نفسه على رمية، ولم

يجد موضعاً له، فحمله على عنقه ورأسه، وجلس في المكان الضيق في السفينة، وهو متأسف على أخذه ونادى، وليس ينفعه ذلك. وبعضهم تولج بتلك الأنوار والغياض، ونسي السفينة وأبعد في متفرجه ومتنزهه، حتى إن نداء الملاح لم يبلغه لاشتغاله بأكل تلك الثمار، واشتغايه تلك الأنوار، والتفرج بين تلك الأشجار، وهو مع ذلك خائف على نفسه من السباع، والسقطات والنكبات، ونهش الحيات، وليس ينفك عن شوك يتشبث بشيا به، وغصن يخرج جسمه، ومروءة تدمي رجله، وصوت هائل يفرع منه، وغوسج يملأ طريقه، ويمنعه عن الانصراف لو أراد، وكان في جماعة ممن كان معه في السفينة حالهم حاله، فلما بلغهم نداء السفينة راح بعضهم مثقلاً بما معه فلم يجد في السفينة موضعاً واسعاً ولا ضيقاً، فبقي على الشط حتى مات جوعاً. وبعضهم بلغه النداء، فلم يعرج عليه، واستغرفته اللذة، وسارت السفينة، فمنهم من افترسته السباع، ومنهم من تاه وهام على وجهه حتى ملك، ومنهم من ارتطم في الأوحال، ومنهم من نهشته الحيات، ففترقوا ملكى كالحيث المتينة. فأما من وصل إلى السفينة مثقلاً بما أخذه من الأزهار والفاكهة اللذيذة، والأحجار المعجبة، فإنها استرقتة وشغله الحزن بحفظها والخوف من ذهابها عن جميع أموره، وضاق عليه بطريقها مكانه، فلم تلبث أن ذبلت تلك الأزهار، وفسدت تلك الفاكهة الفضة، وكمدت ألوان الأحجار وحالت، فظهر له تنن راحتها، فصارت مع كونها مضيقه عليه مؤذيه له بشئها ووخشتها، فلم يجد حيلة إلا أن القاهها في البحر هرباً منها وقد أثر في مزاجه ما أكله منها، فلم ينته إلى بلده إلا بعد أن ظهرث عليه الأسقام بما أكل وما شتم من تلك الروائح، فبلغ سقيماً وقيداً مديراً، وأما من كان رجع عن قريب وما فاته إلا سعة المخل، فإنه نادى بضيق المكان مدة، ولكن لما وصل إلى الوطن استراح، وأما من رجع أولاً فإنه وجد المكان الأوسع، ووصل إلى الوطن سالماً طيب القلب مسروراً.

فهذا مثال أهل الدنيا في اشتغالهم بحفظهم العاجلة، ونسيانهم مودتهم ومصدرهم، وغفلتهم عن عاقبة أمرهم، وما أقبح حال من يزعم أنه بصير عاقل وتغره حجارة الأرض، وهي الذهب والفضة، وهشيم الثبت وهو زينة الدنيا، وهو يعلم يقيناً أن شيئاً من ذلك لا يصحبه عند الموت، بل يصير كله وبالاً عليه، وهو في الحال الحاضرة شاغل له بالخوف عليه، والحزن والهتم لحفظه، وهذه حال المخل كلهم إلا من عصمه الله.

وقد ضرب أيضاً لها مثال آخر في عبور الإنسان عليها، قالوا: الأحوال ثلاثة: حال لم يكن الإنسان فيها شيئاً، وهي ما قبل وجوده إلى الأزل، وحال لا يكون فيها موجوداً مُشاهداً للذنيا، وهي بعد موته إلى الأبد، وحالة متوسطة بين الأزل والأبد، وهي أيام حياته في الدنيا، فلينظر العاقل إلى الطرفين الطويلين، ولينظر إلى الحالة المتوسطة، هل يجد لها نسبة إليها، وإذا رأى



العاقل الدنيا بهذه العين لم يركن إليها، ولم يُبالِ كيف تقضت أيامه فيها، في ضُرّ وضيّق، أو في سعة ورفاهة، بل لا يَبْني لِنَفسه على لَبْنة، توفي رسول الله ﷺ وما وَضَعَ لَبْنة على لَبْنة، ولا قَصْبة على قَصْبة. ورأى بعض الصّحابة بَنَى بيتاً من جِصٍّ فقال: أرى الأمرَ أَعْجَلَ من هذا، وأنكر ذلك، ولهذا قال النَّبي ﷺ: «ما لي وللدنيا، إنما مثلي ومثْلُها كراكِبٍ سارٍ في يومٍ صائفٍ، فرُفِعَتْ له شجرةٌ فقام تحت ظلّها ساعةً ثم راح وتركها»<sup>(١)</sup>.

والى هذا أشار عيسى ابن مريم حيث قال: الدنيا قنطرة، فاعبروها ولا تعمروها، وهو مثْلٌ صحيح، فإنّ الحياة الدنيا قنطرةٌ إلى الآخرة، والمهدّ هو أحد جانبي القنطرة، واللّحد الجانب الآخر، وبينهما مسافة محدودة، فمن النَّاس من قطع نصف القنطرة، ومنهم من قطع ثلثيها، ومنهم من لم يبق له إلّا خُطوة واحدة وهو غافل عنها، وكَيْفَما كان فلا بدّ من العبور والانتهاء، ولا ريب أنّ عبارة هذه القنطرة، وتزيينها بأصناف الزينة لمن هو محمول قسراً وقَهراً على عبورها، يسوقه سائقٌ عنيف، غاية الجهل والخذلان.

وفي الحديث المرفوع: «إنّ رسول الله ﷺ مرّ على شاةٍ مَيْتَةٍ، فقال: أترون أنّ هذه الشاة هَيْئَةٌ على أهلها؟ قالوا: نعم، ومنّ هوانها ألْقَوها، فقال: والذي نفسي بيده للدنيا أهون على الله من هذه الشاة على أهلها، ولو كانت الدنيا تعدل عند الله جناحَ بِمَوْضِعٍ لما سَقَى كافراً منها شربةً ماء»<sup>(٢)</sup>.

وقال ﷺ: «الدنيا سجنٌ المؤمن، وجنةٌ الكافر»<sup>(٣)</sup>.

وقال أيضاً: «الدنيا ملعونة، ملعونٌ ما فيها، إلّا ما كان لله منها»<sup>(٤)</sup>.

وقال أيضاً: «مَنْ أَحَبَّ دُنْيَاهُ أَضَرَّ بِآخِرَتِهِ، وَمَنْ أَحَبَّ آخِرَتَهُ أَضَرَّ بِدُنْيَاهُ، فَاتَّبِعُوا مَا يَبْقَى عَلَى مَا يَفْنَى»<sup>(٥)</sup>.

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» (٢٧٣٩)، والطيالسي في «مسنده» (٢٧٧)، وأبو يعلى في «مسنده» (٥٢٢٩).

(٢) أخرجه ابن ماجه، كتاب: «الزهد»، باب: مثل الدنيا (٤١١٠)، وأحمد في «مسنده» (٨٢٥٩)، والدارمي، كتاب: الرقاق، باب: في هوان الدنيا على الله (٢٧٣٧).

(٣) أخرجه مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب: (٢٩٥٦)، والترمذي، كتاب: الزهد، باب: ما جاء في أنّ الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر (٢٣٢٤)، وابن ماجه كتاب: الزهد، باب: مثل الدنيا (٤١١٣)، وأحمد في «مسنده» (٦٨١٦).

(٤) أخرجه الترمذي، كتاب: الزهد، باب: منه (٢٣٢٢)، وابن ماجه، كتاب: الزهد، باب: مثل الدنيا (٤١١٢).

(٥) أخرجه أحمد في «مسنده» (١٩١٩٨).

وقال أيضاً: «حُبُّ الدُّنْيَا رَأْسُ كُلِّ خَطِيئَةٍ»<sup>(١)</sup>.

وروى زيدُ بْنُ أَرْقَمَ قال: كُتِبَ مع أبي بكرٍ، فدعا بشارب، فأَتى بِماءٍ وَغَسَلَ، فلما أدناه مِنْ فيه بَكَى حتَّى أبكى أصحابه، فسكتوا وما سَكَت، ثم عاد لِيَشْرَبَ، فَبَكَى حتَّى ظَنُّوا أَنَّهُمْ لَا يَقْدِرُونَ على مسأَلَتِهِ، ثم مسح عينيه، فقالوا: يا خليفةَ رسولِ الله، ما أبكاكَ؟ قال: كُنْتُ مع رسولِ الله ﷺ فرأيتُهُ يَدْفَعُ بِيَدِهِ عن نفسه شيئاً، ولم أرَ معه أحداً، فقلت: يا رسولَ الله، ما الذي تدفع عن نفسك؟ قال: «هذه الدُّنْيَا مُثَلَّتْ لي»، فقلتُ لها: إليك عني، فرجعتُ وقالت: إِنَّكَ إِنْ أَفَلَتَ مِنِّي لم يَفَلِتْ مِنِّي مَنْ بَعْدَكَ. وقال ﷺ: «يَا عَجَباً كُلَّ الْعَجَبِ لِلْمَصْدُقِ بدارِ الخلود وهو يَسْتَمِي لدارِ الغرورِ»<sup>(٢)</sup>.

ومن الكلام المأثور عن عيسى ﷺ: لا تَتَّخِذُوا الدُّنْيَا رَبًّا فتتخذكم الدُّنْيَا عبيداً، فاكثروا كُنُوزَكُمْ عندَ من لا يَضِيْعُهُ، فإن صاحبَ كُنُزِ الدُّنْيَا يَخَافُ عليه الآفة، وصاحبُ كُنُزِ الآخرة لا يَخَافُ عليه.

- ٣٩٢ -

**الأصل:** مَنْ أَبْقَا بِوَعْمَلِهِ، لَمْ يُسْرِخْ بِوَسَبِّهِ.  
وفي روايةٍ أُخْرَى: مَنْ فَاثَةً حَسَبَ نَفْسِهِ، لَمْ يَنْفَعَهُ حَسَبُ آبَائِهِ.

**الشرح:** قد تقدّم مثلُ هذا، وقد ذكرنا ما عتدنا فيه، وقال الشاعر:

لئن فخرتُ بِآبَاءٍ دَوِي حَسْبٍ      لقد صدقتُ ولكنْ بشس ما وَلَدُوا  
وكان يقال: أَجْهَلُ النَّاسِ مَنْ افْتَخَرَ بِالْعِظَامِ الْبَالِيَةِ، وتبجحَ بِالقُرُونِ الْمَاضِيَةِ، واثكلَ على الأيامِ الْخَالِيَةِ.

وكان يقال: من طريفِ الْأُمُورِ حَيٌّ يَتَكَلَّمُ على مَيِّتٍ. وكان يقال: ضَعْفُ الدُّنْيَا في نفسه والرفيع في أصله، أقبح من ضعةِ الْوَضِيعِ في نفسه وأصله، لأن هذا تشبُّهٌ بِآبَائِهِ وسَلَفِهِ، وذاك

(١) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (١٠٤٥٨)، والبيهقي في «الزهد الكبير» (٢٤٧)، وابن أبي عاصم في «الزهد» (٩٢/١).

(٢) أخرج بنحوه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٨٢/٧)، والشهاب في «مسنده» (٥٩٥)، وأبو نعيم في «الحلية» (١٢٩/٣).

قَصَّرَ عَنْ أَصْلِهِ وَسَلَفَهُ، فَهُوَ إِلَى الْمَلَامَةِ أَقْرَبُ، وَعَنِ الْعُذْرِ أَبْعَدُ.

اِفْتَخَرَ شَرِيفٌ بِأَبِيهِ، فَقَالَ خَصَمَهُ: لَوْ وَقَفْتُ، لَمَا ذَكَرْتَ أَبَاكَ، لَأَنَّهُ حُجَّةٌ عَلَيْكَ تُنَادِي بِشَفْصِكَ، وَتَقَرُّ بِتَخْلُفِكَ.

كَانَ جَعْفَرُ بْنُ يَحْيَى يَقُولُ: لَيْسَ مِنَ الْكِرَامِ مَنْ اِفْتَخَرَ بِالْعِظَامِ.

وَقَالَ الْفَضْلُ بْنُ الرَّبِيعِ: كَفَى بِالْمَرْءِ عَاراً أَنْ يَفْتَخَرَ بِغَيْرِهِ.

وَقَالَ الرَّشِيدُ: مَنْ اِفْتَخَرَ بِآبَائِهِ فَقَدْ نَادَى عَلَى نَفْسِهِ بِالْعَجْزِ، وَأَقَرَّ عَلَى هِمَّتِهِ بِالذَّنَاءِ.

وَقَالَ ابْنُ الرُّومِيِّ:

وَمَا الْحَسَبُ الْمُرُورُ لَا دَرَّ ذَرُّهُ      بِمَحْسَبٍ إِلَّا بِأَخَرٍ مُكْتَئِبٍ  
إِذَا الْعُودُ لَمْ يُشْمَرْ وَإِنْ كَانَ شُعْبَةً      مِنَ الثَّمَرَاتِ اعْتَدَهُ النَّاسُ فِي الْحَطَبِ  
وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ:

لَسْنَا - وَإِنْ أَحْسَابُنَا كَرُمَتْ -      يَوْمًا عَلَى الْأَبَاءِ نَتَكَلَّمُ  
نَبْنِي كَمَا كَانَتْ أَوَائِلُنَا      نَبْنِي، وَنَفْعَلُ مِثْلَ مَا فَعَلُوا  
وَقَالَ آخَرُ:

وَمَا فَخْرِي بِمَجْدٍ قَامَ غَيْرِي      إِلَيْهِ إِذَا رَقَدْتُ اللَّيْلُ عَنْهُ  
إِلَى حَسَبِ الْفَتَى فِي نَفْسِهِ انْظُرُ      وَلَا تَنْظُرْ هُدَيْتَ إِلَى ابْنِ مَنْ هُوَ  
وَقَالَ آخَرُ:

إِذَا فَخَرْتُ بِآبَائِي وَأَجْدَادِي      فَقَدْ حَكَمْتُ عَلَى نَفْسِي لِأُضْدَادِي  
هَلْ نَافِعِي إِنْ سَعَى جَدِّي لِمَكْرَمَةٍ      وَنَمْتُ عَنْ اخْتِهَا فِي جَانِبِ الْوَادِي  
وَقَالَ آخَرُ:

أُيْقِنِعْنِي كَوْنِي بِمَنْ كَوْنِي ابْنَهُ      أَبَا لِي أَنْ أَرْضَى لِفَخْرِي بِمَجْدِهِ  
إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَحِوِ الْعِلَاءَ بِنَفْسِهِ      فَلَيْسَ بِحَاوٍ لِلْعِلَاءِ بِجَدِّهِ  
وَهَلْ يَقْطَعُ السَّيْفُ الْحَسَامَ بِأَصْلِهِ      إِذَا هُوَ لَمْ يَقْطَعْ بِصَارِمٍ حَدَّهُ

وَقِيلَ لِرَجُلٍ يُدْعَى بِشَرَفِ آبَائِهِ: لَعَمْرِي لَكَ أَوَّلُ، وَلَكِنْ لَيْسَ لَأَوَّلِكَ آخَرُ.

وَمِثْلُهُ أَنَّ شَرِيفًا بِآبَائِهِ فَآخِرٌ شَرِيفًا بِنَفْسِهِ، فَقَالَ الشَّرِيفُ بِنَفْسِهِ: انْتَهَى إِلَيْكَ شَرَفُ أَهْلِكَ،

وَمَنْيَ ابْتَدَأَ شَرَفُ أَهْلِي، وَشَتَانَ بَيْنَ الْإِبْتِدَاءِ وَالْإِنْتِهَاءِ!

وَقِيلَ لَشَرِيفٍ نَاقِصِ الْأَدَبِ: إِنَّ شَرَفَكَ بِأَبِيكَ لَغَيْرِكَ، وَشَرَفَكَ بِنَفْسِكَ لَكَ، فَافْرُقْ بَيْنَ مَا

لَكَ وَمَا لَغَيْرِكَ، وَلَا تَفْرَحْ بِشَرَفِ النَّسَبِ، فَإِنَّهُ دُونَ شَرَفِ الْأَدَبِ.

- ٢٩٣ -

الأصل: مَنْ طَلَبَ شَيْئاً نَالَهُ أَوْ بَعْضُهُ.

الشرح: هذا مثل قولهم: مَنْ طَلَبَ وَجَدَ وَجَدَ.

وقال بعض الحكماء: ما لازم أحد باب الملك فاحتمل الدل وكظم الغيظ ورفق بالبواب وخالط الحاشية إلا وصل إلى حاجته من الملك.

- ٢٩٤ -

الأصل: مَا خَيْرٌ بِخَيْرِ بَعْدَهُ النَّارُ، وَمَا شَرٌّ بِشَرِّ بَعْدَهُ الْجَنَّةُ، وَكُلُّ نَعِيمٍ دُونَ الْجَنَّةِ مُحْفُورٌ، وَكُلُّ بَلَاءٍ دُونَ النَّارِ عَاقِبَةٌ.

الشرح: موضع «بعده النار» رَفَعَ لآنه صفة «خير» الذي بعد «ما»، وخير يرفع لأنه اسم ما، وموضع الجار والمجرور نَضَبَ لأنه خبر ما، والباء زائدة، ويثلهما في قولك: ما أنت بزيد، كما تزداد في خبر ليس، والتقدير ما خيرٌ تتعقبه النار بخير، كما تقول: ما لذة تتلوها نفصة بلذة، ولا يتقدح في ما: الوجهان اللذان ذكرهما أرباب الصناعات النحوية في «لا» في قولهم: لا خير بخير بعده النار، أحدهما ما ذكرناه في ما، والآخر أن يكون موضع «بعده النار» جرّاً لأنه صفة خير المجرور، ويكون معنى الباء معنى في كقولك: زيد بالدار وفي الدار، ويصير تقدير الكلام: لا خير في خير تعقبه النار، وذلك أن ما تستدعي خبراً موجوداً في الكلام، بخلاف لا، فإن خبرها محذوف في مثل قولك: لا إله إلا الله، ونحوه، أي في الوجود أو لنا أو ما أشبه ذلك، وإذا جعلت بعده صفة خير المجرور لم يبق معك ما تجعله خبر ما.

وأيضاً فإن معنى الكلام يفسد في ما بخلاف لا؛ لأن لا لنفي الجنس، فكانه نفى جنس الخير عن خير تتعقبه النار، وهذا معنى صحيح، وكلام منتظم، وما هاهنا إن كانت نافية احتاجت إلى خبر ينتظم به الكلام، وإن كانت استفهاماً فسدت المعنى؛ لأن «ما» لفظ يطلب به معنى الاسم، كقوله: ما الغناء، أو يطلب به حقيقة الذات، كقولك: ما الملك؟ ولست تطبق

أَنْ تَدْعِي أَنْ مَا لِلْإِسْتِفْهَامِ هَاهُنَا عَنْ أَحَدِ الْقِسْمَيْنِ مَذْخَلًا لِأَنَّكَ تَكُونُ كَأَنَّكَ قَدْ قُلْتَ: أَيُّ شَيْءٍ هُوَ خَيْرٌ فِي خَيْرٍ تَتَعَقَّبُهُ النَّارُ؟ وَهَذَا كَلَامٌ لَا مَعْنَى لَهُ.

- ٣٩٥ -

**الأصل:** أَلَا وَإِنَّ مِنَ الْبَلَاءِ الْفَاقَةَ، وَأَشَدُّ مِنَ الْفَاقَةِ مَرَضُ الْبَدَنِ، وَأَشَدُّ مِنْ مَرَضِ الْبَدَنِ مَرَضُ الْقَلْبِ، أَلَا وَإِنَّ مِنَ النِّعَمِ سَعَةَ الْمَالِ، وَأَفْضَلُ مِنْ سَعَةِ الْمَالِ صِحَّةُ الْبَدَنِ، وَأَفْضَلُ مِنْ صِحَّةِ الْبَدَنِ تَقْوَى الْقَلْبِ.

**الشرح:** قد تقدّم الكلام في الفاقة والغنى، فأما المرض والمرض والعافية ففي الحديث المرفوع: «إِلَيْكَ انْتَهَتْ الْأَمَانِيُّ يَا صَاحِبَ الْعَافِيَةِ»<sup>(١)</sup>. فَأَمَّا مَرَضُ الْقَلْبِ وَصِحَّتُهُ فَالْمُرَادُ بِهِ التَّقْوَى وَضِدُّهَا، وَقَدْ سَبَقَ الْقَوْلُ فِي ذَلِكَ.

وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ يُونُسَ الْكَاتِبُ:

الْمَالُ لِلْمَرْءِ فِي مَعِيشَتِهِ      خَيْرٌ مِنَ الْوَالِدَيْنِ وَالْوَلَدِ  
وَإِنْ تَسُدُّ نِعْمَةً عَلَيْكَ تَجِدُ      خَيْرًا مِنَ الْمَالِ صِحَّةَ الْجَسَدِ  
وَمَا بَعْدَ نَالِ فَضْلِ عَافِيَةٍ      وَقَوْتُ يَوْمَ فَقَرٍّ إِلَى أَحَدٍ

- ٣٩٦ -

**الأصل:** لِلْمُؤْمِنِينَ ثَلَاثُ سَاعَاتٍ: فَسَاعَةٌ يَنَاجِي فِيهَا رَبَّهُ، وَسَاعَةٌ يَرُمُّ فِيهَا مَعَاشَهُ، وَسَاعَةٌ يُعَلِّي فِيهَا بَيْنَ نَفْسِهِ وَبَيْنَ لَذَّتِهَا فِيمَا يَحِلُّ وَيَجْعَلُ، وَلَيْسَ لِلْعَاقِلِ أَنْ يَكُونَ شَاخِصًا إِلَّا فِي ثَلَاثٍ: مَرَمَّةٍ لِمَعَاشٍ، أَوْ حُطْرَةٍ فِي مَعَادٍ، أَوْ لَذَّةٍ فِي غَيْرِ مُحَرَّمٍ.

**الشرح:** تقدير الكلام: يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ زَمَانُ الْعَاقِلِ مَقْسُومًا ثَلَاثَةَ أَقْسَامٍ.

(١) أَخْرَجَهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي «الْأَوْسَطِ» (٦٦٩٤)، وَالشَّهَابُ فِي «مُسْنَدِهِ» (١٤٩٥)، وَابِيهَقِي فِي «شُعَبِ الْإِيمَانِ» (١٠١٤٥).

ويزم معاشه: يُصلحه. وشاخصاً: راحلاً. وخطوة في معاد، يعني في عمل المعاد، وهو العبادة والطاعة.

وكان شيخنا أبو علي رحمه الله يقسم زمانه على ما أصف لك: كان يُصلي الصبح والكواكب طالعة، ويجلس في محرابه للذكر والتسبيح إلى بعد طلوع الشمس بقليل، ثم يتكلم مع التلامذة وطلبة العلم إلى ارتفاع النهار، ثم يقوم فيصلي الضحى، ثم يجلس فيتم البحث مع التلامذة إلى أن يؤذن للظهر، فيصليها بنوافلها، ثم يدخل إلى أهله فيصلح شأنه، ويقضي حوائجه، ثم يخرج للعصر فيصليها بنوافلها، ويجلس مع التلامذة إلى المغرب فيصليها، ويصلي العشاء، ثم يشتغل بالقرآن إلى ثلث الليل، ثم ينأى الثلث الأوسط، ثم يقعد فيصلي الثلث الأخير كله إلى الصبح.

- ٣٩٧ -

**الأصل:** ارْهَدْ فِي الدُّنْيَا يَبْصُرَكَ اللَّهُ عَوْرَاتِهَا، وَلَا تَغْفُلْ فَلَسْتَ بِمَغْفُولٍ عَنْكَ.

**الشرح:** أمره بالزهد في الدنيا، وجعل جزاء الشرط تبصير الله تعالى له عورات الدنيا، وهذا حق، لأن الراغب في الدنيا عاشق لها، والعاشق لا يرى عيب معشوقه، كما قال

القاتل:

وَعَيْنُ الرِّضَا عَنْ كُلِّ عَيْبٍ كَلِيلَةٌ وَلَكِنْ عَيْنُ السُّخْطِ تُبْدِي الْمَسَاوِيَا  
فَإِذَا زَهَدَ فِيهَا فَقَدْ سَخَطَهَا وَإِذَا سَخَطَهَا أَبْصَرَ عيوبَهَا مُشَاهِدَةً لَا رَايَةَ.

ثم نهاء عن الغفلة، وقال له: إنك غير مغفول عنك، فلا تغفل أنت عن نفسك، فإن أحق الناس وأولاهم ألا يغفل عن نفسه من ليس بمغفول عنه، ومن عليه رقيب شهيد يناقشه على القليل والتقصير.

- ٣٩٨ -

**الأصل:** تَكَلَّمُوا تُعْرِفُوا، فَإِنَّ الْمَرْءَ مَخْبُوءٌ تَحْتَ لِسَانِهِ.

**الشرح:** هذه إحدى كلماته ﷺ التي لا قيمة لها، ولا يقدر قدرها، والمعنى قد تداوله الناس قال:

وكائن ترى من صامت لك معجب زيادته أو نقصه في التكلّم  
لسان الفتى نصف ونصف فواذّه فلم يبق إلا صورة اللحم والدم  
وكان يحيى بن خالد يقول: ما جلس إليّ أحد قط إلا وبثته حتى يتكلّم، فإذا تكلمّ إمّا أن  
تزداد الهيبة أو تنقص.

- ٣٩٩ -

**الأصل:** نِعَمَ الطَّيِّبُ الْمِسْكُ، خَفِيفٌ مَحْمُولُهُ، عَطَّرَ رِيحُهُ.

**الشرح:** كان النبي ﷺ كثير التّطيّب بالمسك وبغيره من أصناف الطّيب. وجاء الخبر الصحيح عنه: «حُبُّ إِلَيَّ مِنْ دِيَاكُم ثَلَاثُ: الطَّيِّبُ، وَالنِّسَاءُ، وَفَرَّةٌ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ»<sup>(١)</sup>.

وقد رويت لفظة أمير المؤمنين عليه السلام عنه مرفوعة. ونحوها: «لَا تَرُدُّوا الطَّيِّبَ فَإِنَّهُ طَيِّبُ الرِّيحِ، خَفِيفٌ الْمَحْمَلِ»<sup>(٢)</sup>.

سرق أعرابي نافع مسك، فقيل له: «وَمَنْ يَقْتُلْ يَأْتِ بِمَا عَلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ»<sup>(٣)</sup>، قال: إذن أحملها طيبة الرّيح، خفيفة المحمل.

وفي الحديث المرفوع أنه عليه السلام بايع قوماً كان بيد رجلٍ منهم زحف مخلوق، فبايعه بأطراف أصابعه، وقال: «خَيْرُ طَيِّبِ الرِّجَالِ مَا ظَهَرَ رِيحُهُ وَخَفِيَ لَوْحُهُ، وَخَيْرُ طَيِّبِ النِّسَاءِ مَا ظَهَرَ لَوْحُهُ وَخَفِيَ رِيحُهُ»<sup>(٤)</sup>.

(١) أخرجه النسائي، كتاب عشرة النساء، باب: حب النساء (٣٩٣٩)، وأحمد في مسنده (١١٨٨٤).

(٢) ذكره المتقي الهندي في «كنز العمال» (١٧٣٥٥)، وعزاه لأبي نعيم في «المعرفة» وذكره ابن عبد البر في «التمهيد» (٢١٣/١١).

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٦٦.

(٤) أخرجه الترمذي، كتاب: الأدب، باب: ما جاء في طيب الرجال والنساء (٢٧٨٧)، والنسائي،

وعنه عليه السلام في صفة أهل الجنة: «وَمَجَارِئُهُمُ الْأَلْوَةُ»<sup>(١)</sup>، وهي العود الهندي. وروى سهل بن سعد عنه عليه السلام: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ لَمَرَاغاً مِنْ مِسْكِ مِثْلَ مَرَاغِ دَوَابِكُمْ هَذِهِ»<sup>(٢)</sup>. وروى عنه عليه السلام أيضاً في صفة الكوثر: جالؤه المسك - أي جانبُه - ورضراضه الثوم، وخصباؤه اللؤلؤ»<sup>(٣)</sup>.

وقالت عائشة: كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى وَبِصِّ الْمِسْكِ فِي مَفَارِقِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ مُحَرَّمٌ<sup>(٤)</sup>. وكان ابنُ عمر يَسْتَجِيرُ بِعُودِ غَيْرِ مُطَرَّى وَيَجْعَلُ مَعَهُ الْكَافُورَ، ويقول: هَكَذَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَصْنَعُ.

وروى أنس بن مالك قال: دخل علينا رسولُ اللَّهِ ﷺ فقال عندنا الوقتُ صيف، فَعَرِقَ، فَجَاءَتْ أُمِّي بِقَارُورَةٍ فَجَعَلَتْ تَسْلُتُ عَرَقَهُ، فَاسْتَيْقِظَ وَقَالَ: يَا أُمَّ سَلِيمَ، مَا تَصْنَعِينَ؟ قَالَتْ: هَذَا عَرَقُكَ نَجْعَلُهُ فِي طِينَا، فَإِنَّهُ مِنْ أَطْيَبِ الطَّيِّبِ، وَنَرْجُو بِهِ بَرَكَهَ صَيَانِنَا، فَقَالَ: أَصَبْتَ<sup>(٥)</sup>. ومن كلام عمر: لو كنتُ تاجراً ما اخترتُ غيرَ العطر، إن فأتني ريحُه لم يفتني ريحُه. ناول المتوكل أحمد بن أبي قُتَيْبَةَ فَاثَرَهُ مِسْكِ، فأنشده:

لَشَن كَانَ هَذَا طِيبِنَا وَهُوَ طَيِّبٌ لَقَدْ طَيَّبَتْهُ مِنْ يَدَيْكَ الْأَنَامِلُ  
قَالُوا: سُمِّيتِ الْغَالِيَةُ غَالِيَةً، لِأَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ جَعْفَرٍ أَهْدَى لِمَعَاوِيَةَ قَارُورَةً مِنْهَا، فَسَالَهُ، كَمْ أَنْفَقَ عَلَيْهَا، فَذَكَرَ مَالاً، فَقَالَ: هَذِهِ غَالِيَةٌ فَسُمِّيتِ غَالِيَةً.

سَمَّيْنَاكَ بَنُ أَسْمَاءَ بْنِ خَارِجَةَ الْفَزَارِيَّ مِنْ أُخْتِ هِنْدَ بِنْتِ أَسْمَاءَ رِيحَ غَالِيَةٍ، وَكَانَتْ تَحْتَ الْحِجَابِ، فَقَالَ: عَلِّمْنِي طِيْبِكَ، قَالَتْ: لَا أَفْعَلُ، أَنْتَرِدُ أَنْ تَعْلَمَهُ جَوَارِيكَ! هُوَ لَكَ عِنْدِي مَا أَرَدْتَهُ، ثُمَّ ضَحِكْتَ وَقَالَتْ: وَاللَّهِ مَا تَعْلَمُهُ إِلَّا مِنْ شِعْرِكَ حَيْثُ قُلْتَ:

= كتاب الزينة، باب: الفصل بين طيب الرجال طيب النساء (٥١١٧)، وأبو داود، كتاب: النكاح، باب: ما يكره من ذكر الرجل ما يكون من إصابتها أمه (٢١٧٤).

(١) أخرجه البخاري، كتاب: بدء الخلق، باب: ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة (٣٢٤٥)، ومسلم، كتاب: الجنة وصفة نعيمها، باب: أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر (٢٨٣٤).

(٢) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٥٨٤٥)، «الأوسط» (١٧٦١)، والرويان في «مسنده» (١٠٤٢). (٣) أخرجه الطبراني في «الكبير» (١٠٠١٧).

(٤) أخرجه البخاري، كتاب: الغسل، باب: من تطيب ثم اغتسل وأثر الطيب (٢٧١)، ومسلم، كتاب: الحج، باب: الطيب للمحرم عند الإحرام (١١٩٠).

(٥) أخرجه بنحوه مسلم، كتاب: الفضائل، باب: طيب عرق النبي ﷺ والتبرك به (٢٣٣١)، وأحمد في «مسنده» (١١٩٨٨).



أَطِيبَ الطَّلِبِ طِيبٌ أَمْ أَبَانٍ فَأَرِمْسِكِ بِعَنْبَرٍ مَسْحُوقٍ  
خَلَطْتَهُ بِمُودِمَا وَبِبَانٍ فَهُوَ أَحْوَى عَلَى الْبَيْدَيْنِ شَرِيقُ  
وَرَوَى أَبُو قِلَابَةَ قَالَ: كَانَ ابْنُ مَسْعُودٍ إِذَا خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ إِلَى الْمَسْجِدِ عَرَفَ مَنْ فِي الطَّرِيقِ أَنَّهُ  
قَدْ مَرَّ مِنْ طِيبٍ رِيحِهِ.

وَوَوَى الْحُسَيْنُ بْنُ زَيْدٍ عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: وَابْتُ ابْنُ عَبَّاسٍ حِينَ أَحْرَمَ وَالْغَالِيَةُ عَلَى صَلَئَتِهِ كَأَنَّهَا  
الرُّبُوبُ.

أَوَلَمْ الْمُتَوَكِّلُ فِي طُهْرٍ بَنِيهِ، فَلَمَّا كَثُرَ اللَّعِبُ قَالَ لِيَحْيَى بْنُ أَكْثَمٍ: انصَرِفْ إِلَيْهَا الْقَاضِي،  
قَالَ: وَلَمْ؟ قَالَ: لِأَنَّهُمْ يَرِيدُونَ أَنْ يَخْلُطُوا، قَالَ: أَحْوَجُ مَا يَكُونُونَ إِلَى قَاضٍ إِذَا خَلَطُوا،  
فَاسْتَظَرَفَهُ وَأَمَرَ أَنْ تُغْلَفَ لِحْيَتُهُ، فَقُفِّلَ، فَقَالَ يَحْيَى: إِنَّا لِلَّهِ! ضَاعَتِ الْغَالِيَةُ، كَانَتْ هَذِهِ تَكْفِينِي  
دَعْرًا لَوْ دُفِعَتْ إِلَيَّ، فَأَمَرَ لَهُ بِزُورَقٍ لَطِيفٍ مِنْ ذَهَبٍ مَمْلُوءٍ مِنْ غَالِيَةٍ وَدُرُجٍ بِخُورٍ، فَاخَذَهُمَا  
وَانصَرَفَ.

وَرَوَى عِكْرَمَةُ أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ كَانَ يَطْلِي جَسَدَهُ بِالسَّكِّ، فَلِذَا مَرَّ بِالطَّرِيقِ قَالَ النَّاسُ: أَمْرُ ابْنِ  
عَبَّاسٍ أَمْ الْوَسْكَ؟

وَقَالَ أَبُو الضُّحَى: رَأَيْتُ عَلَى رَأْسِ ابْنِ الزَّيْرِ مِنَ الْوَسْكِ مَا لَوْ كَانَ لِي لَكَانَ رَأْسُ مَالِي.  
لَمَّا بَنَى عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ عَلَى فَاطِمَةَ بِنْتِ عَبْدِ الْمَلِكِ أَسْرَجَ فِي مَسَارِجِهِ تِلْكَ اللَّيْلَةَ الْغَالِيَةَ  
إِلَى أَنْ طَلَعَتِ الشَّمْسُ.

كَانَتْ لِابْنِ عُمَرَ بُدُقَةٌ مِنْ مَسْكِ يُوَكِّئُهَا بَيْنَ رَاحَتَيْهِ فَتَفْرُوحُ رَاحَتُهُمَا.  
كَانَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ فِي إِمَارَتِهِ الْمَدِينَةَ يَجْعَلُ الْوَسْكَ بَيْنَ قَدَمَيْهِ وَنَعْلَيْهِ، فَقَالَ فِيهِ الشَّاعِرُ  
بِمَدْحِهِ:

لَهُ نَعْلٌ لَا تَطْلِي الْكَلْبَ رِيحُهَا وَإِنْ وَضِيعَتْ فِي مَجْلِسِ الْقَوْمِ شُمْتُ  
سَمِعَ عُمَرُ قَوْلَ سَحِيمِ بْنِ الْحَسَنَاسِ:  
وَهَبْتَ شِمَالًا آخِرَ اللَّيْلِ قِرَّةً وَلَا ثَوْبَ إِلَّا يَوْعُهَا وَرِدَائِيسَا  
فَمَا زَالَ بُرْدِي طِيبًا مِنْ ثِيَابِهَا - مَدَى الْحَوْلِ حَتَّى أَنْهَجَ الْبُرْدُ بِالْيَا  
فَقَالَ لَهُ: وَيَنَحْ! إِنَّكَ مُقْتُولٌ، فَلَمْ تَمُضْ عَلَيْهِ أَيَّامٌ حَتَّى قُتِلَ.

قَالَ الشَّعْبِيُّ: الرَّائِحَةُ الطَّيِّبَةُ تَزِيدُ فِي الْعَقْلِ.

كَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ زَيْدٍ يَتَخَلَّقُ بِالْحُلُوقِ، ثُمَّ يَجْلِسُ فِي الْمَجْلِسِ.  
وَكَانُوا يَسْتَحْبِبُونَ إِذَا قَامُوا مِنَ اللَّيْلِ أَنْ يَمَسَحُوا مَقَادِيمَ لِحَاهِمَ بِالطَّلِبِ.

واشترى نعيم الدَّارِ حُلَّةً بشمازمة درهم، وهياً طيباً، فكان إذا قام من اللَّيل تطيب وليس حُلَّتُهُ، وقام في المحراب.

وقال أنس: يا جميلة، هبتي لنا طيباً أمسح به يدي، فإن ابنَ أُمِّ ثابت إذا جاء قبل يدي - يعني ثابِتَ البَنَانِي.

وقال سلم بن قتيبة: لقد شممتُ من فلانٍ رائحةً أطيبَ من مُشطَةِ العُروس الحُسناء في أنف العاشق الشَّقِيق.

ومن كلام بعض الصَّالحين: الفاسق رجس ولو تَضَمَّحَ بالغالية.

عَرَضْتُ مَدِينَةً لَكثيرٍ فقالت له: أنت القاتل:

فما روضةً بِالْحَزْنِ طَيِّبَةُ الشَّرِّ يَمُحُّ الشَّدَى جَفْجَأُهَا وَعَرَاوِهَا

بِأَطْيَبِ سِنِ أَرْدَانٍ عَزَّةٌ مَوْهِنَةٌ وَقَدْ أَوْدَعْتُ بِالْمَنْدَلِ الرُّطْبَ نَارُهَا

لو كانت هذه الصِّفَةُ لَزَنْجِيَّةٌ تَجْتَلِي الحَلَّةَ لَطَابِتِ، هَلَّا قُلْتُ كَمَا قَالَ سَيِّدُكَ أَمْرُو الْقَيْسِ:

الْمُ تَرَيَانِي كُلَّمَا جِئْتُ طَارِقاً وَجَدْتُ بِهَا طَيِّباً وَإِنْ لَمْ تَطْطِيبِ

وقال الزَّمخشرِي: إِنَّ التَّوَيَّ الْمُتَنَفِّعَ بِالْمَدِينَةِ يَتَابُ أَشْرَافُهَا الْمَوَاضِعَ الَّتِي يَكُونُ فِيهَا التَّمَسُّاءُ لَطِيبَ رِيحِهِ، وَإِذَا وَجَدُوا رِيحَهُ بِالْعِرَاقِ هَرَبُوا مِنْهَا لِحُبِّهَا، قَالَ: وَمِنْ اخْتَلَفَ فِي طُرُقَاتِ الْمَدِينَةِ وَجَدَ رَائِحَةً طَيِّبَةً وَبَنَةً<sup>(١)</sup> عَجِيْبَةً، وَلِذَلِكَ سُمِّيَتْ طَيِّبَةً، وَالزَّنْجِيَّةُ بِهَا تَجَعَلُ فِي رَأْسِهَا شَيْئاً مِنْ بَلَحٍ وَمَا لَا قِيَمَةَ لَهُ، فَتَجِدُ لَهُ خُمْرَةً لَا يَمُدُّهَا بَيْتُ عُرُوسٍ مِنْ دَوَاتِ الْأَقْدَارِ.

قَالَ: وَلَوْ دَخَلْتُ كُلَّ غَالِيَةٍ وَعَطَرْتُ قَصَبَةَ الْأَهْوَازِ وَقَصَبَةَ أَنْطَاكِيَّةٍ لَوَجَدْتُهَا قَدْ تَغَيَّرَتْ وَفَسَدَتْ فِي مَدَّةٍ يَسِيرَةٍ.

أَرَادَ الرَّشِيدَ الْمُقَامَ فِي أَنْطَاكِيَّةٍ، فَقَالَ لَهُ شَيْخٌ مِنْهَا: إِنَّهَا لَيْسَتْ مِنْ بِلَادِكَ، فَإِنَّ الطَّيِّبَ الْفَاحِرَ يَتَغَيَّرُ فِيهَا حَتَّى لَا يُتَفَنَّعَ مِنْهُ بِشَيْءٍ، وَالسَّلَاحُ يَصْدَأُ فِيهَا.

سِيرَاف: مِنْ بِلَادِ فَارَسَ، لَهَا فُغْمَةٌ طَيِّبَةٌ.

فَارَةُ الْمِسْكِ دَوْبَةٌ شَبِيهَةٌ بِالْخُشْفِ تَكُونُ فِي نَاحِيَةٍ تُبَيَّنُ تُصَادُ لِأَجْلِ سُرَّتِهَا، فَإِذَا صَادَهَا الصَّائِدُ عَصَبَ سُرَّتِهَا بِعَصَابٍ شَدِيدٍ وَهِيَ مَدْلَاةٌ، فَيَجْتَمِعُ فِيهَا دَمُهَا، ثُمَّ يَذْبَحُهَا، وَمَا أَكْثَرَ مَنْ يَأْكُلُهَا، ثُمَّ يَأْخُذُ السَّرَّةَ فَيَدْفِنُهَا فِي الشَّعْرِ حَتَّى يَسْتَحِيلَ الدَّمُ الْمَحْتَقِنُ فِيهَا مَسْكاً ذَكِيّاً بَعْدَ أَنْ كَانَ لَا يَرَامُ ثَنّاً، وَقَدْ يَوْجَدُ فِي الْبُيُوتِ جِرْذَانٌ سُودٌ يُقَالُ لَهَا: فَارُ الْمِسْكِ لَيْسَ عِنْدَهَا إِلَّا رَائِحَةٌ لِأَزْمَةِ لَهَا.

(١) البنة: الريح الطيبة والمنتنة القاموس، مادة (بنن).

وذكر شيخنا أبو عثمان الجاحظ قال: سألت بعض أصحابنا المعتزلة عن شأن المسك فقال: لولا أن رسول الله ﷺ تطيب بالمسك لما تطيب به، لأنه دم، فأما الزباد فليس مما يقرب ثيابي، فقلت له: قد يرتضع الجندي من لبن خنزيرة فلا يحرم لحمه، لأن ذلك اللبن استحالة لحم، وخرج من تلك الطليعة، وعن تلك الصورة، وعن ذلك الاسم، وكذا لحم الجلالة، فالمسك غير الدم، والخل غير الخمر، والجوهر لا يحرم لذاته وعينه، وإنما يحرم للأعراض والعلل فلا تقزز منه عند ذكرك الدم، فليس به بأس.

قال الزمخشري: والزبادة هرة. ويقال للزئلع، وهم الذين يجتلبون الزباد يا زئلع الزبادة ماتت، فيغضب.

وقال ابن جرلة الطبيب في المنهاج: الزباد طيب يؤخذ من حيوان كالسُور يقال: إنه وسخ في رجمها.

وقال الزمخشري: العنبر يأتي طفاوة على الماء لا يدري أحد معدنه، يقذفه البحر إلى البر فلا يأكل منه شيء إلا مات، ولا ينقره طائر إلا بقي منقاره فيه، ولا يقع عليه إلا نصلت أظفاره، والبحريون والعطارون ربما وجدوا فيه المتقار والظفر.

قال: والبال، وهو سمكة طولها خمسون ذراعاً، يؤكل منه اليسير فيموت.

قال: وسبع ناساً من أهل مكة يقولون: هو ضف ثور في بحر الهند، وقيل: هو من زيد بحر سرنديب، وأجوده الأشهب، ثم الأزرق، وأدونه الأسود.

وفي حديث ابن عباس: «ليس في العنبر زكاة، إنما هو شيء يذسره البحر»<sup>(١)</sup>، أي يدفعه.

فأما صاحب «المنهاج في الطب»<sup>(٢)</sup> فقال: العنبر من عين في البحر، ويكون جماجم أكبرها وزنه ألف مثقال، والأسود أردأ أصنافه، وكثيراً ما يوجد في أجواف السمك التي تأكله وتموت. وتوجد فيه شهوة.

وقال في المسك: إنه سرة دابة كالطبي، له نابان أبيضان معقشان إلى الجانب الإنسي كقرنين. جاء في الحديث المرفوع: «لا تمنعوا إماء الله مساجد الله، وليخرجن إذا خرجن فيلات»<sup>(٣)</sup>، أي غير متطيبات.

(١) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٧/١٣٣).

(٢) أخرجه أبو داود، كتاب: الصلاة، باب: ما جاء في خروج النساء إلى المسجد (٥٦٥)، وأحمد في «مسنده» (٩٣٦٢).

(٣) منهاج الركان في الطب: للشيخ الحاذق أبي المنى داود أدى نصر بن حفاظ المعروف بالكوهين العطار الهاروني. كشف الظنون (٢/١٨٧١).

وفي الحديث أيضاً: «إذا شهدت إحداكن العشاء فلا تَمْسِ طَبِيءاً»<sup>(١)</sup>، والمراد من ذلك ألا تهيج عليهن شهوة الرجال.

قال الشاعر:

والمِسْك بينا تراه ممتَهِناً      بفَهْرٍ عَظَّاهِ وساحقهِ  
حتى تراه في عارِضِي مَلِكٍ      أو مَوْضِعِ التَّاجِ من مَفارِقِهِ  
الصَّنَوْبَرِي في استِهادِ المِسْكِ:

المِسْك أشبه شيء بالشباب فَهَبَ      بعضُ الشباب لبعضِ العُصْبَةِ الشَّيْبِ  
يقال: إن رجلاً وَجَدَ قِرطاساً فيه اسم الله تعالى، فَرَفَعَهُ، وكان عنده دينار، فاشترى به شُكْلاً، فطَبَّخَهُ، فرأى في المنام قائلاً يقول له كما طَبَّخْتَ اسمي لأطِيبَ ذِكْرَكَ.

قال خالد بن صَفْوَانَ ليزيد بن المهلب: ما رأيت صداً المِغْفَرِ، ولا عبقَ العَنْبَرِ بأحد اليَقَ منه بك، فقال: حاجتك، قال: ابنُ أخٍ لي في حَبْسِكَ، فقال: يسبقك إلى المنزل.

شاعر:

كَانَ دُخَانُ النَّدْمِ ما بين جَنْفَيْهِ      بقايا ضبابٍ في رياضِ شَقِيصٍ  
قالوا: خيرُ العُودِ المَنْدَلِيّ، وهو منسوبٌ إلى مَنَدَل: قريةٌ من قُرَى الهند، وأجودُهُ أصْلَبُهُ، وامتحانُ رُطْبِهِ أن ينطِيعَ فيه نَقْشُ الخاتَمِ، واليابسُ يُفَصِّحُ عنه النارَ، ومن خاصيةِ المَنْدَلِيّ أن رائحته تثبت في الثوب أسبوعاً، وأنه لا يقلع ما دامت فيه.

قال صاحبُ الجِوهَرِ: العُودُ عروقُ أشجارٍ تُقْلَعُ وتُدفَنُ في الأرضِ حتى تتعَفَّنَ، منها الخَشَبِيَّةُ والقَشَرِيَّةُ، ويبقى العودُ الخالصُ، وأجودُهُ المَنْدَلِيّ، ويُجلبُ من وَسَطِ بلادِ الهند، ثم العودُ الهِنْدِيّ، وهو يفضلُ على المَنْدَلِيّ بأنه لا يولَدُ القَمَلُ، وهو أعقبُ بالثيابِ.

قال: وأفضلُ العُودِ أَرَسَبُهُ في الماءِ، والطافي رديءٌ.

قال أبو العباس الأعمى:

ليت شِعْري من أين رائحةُ المِسْكِ      لي وما إن أخالُ بالخيفِ أنْسي  
حين غابَتْ بنو أُمَيَّةٍ عنه      والبَهالِيلُ من بني عَبدِ شَمْسٍ  
خُطباءُ على المنابرِ قُرُسا      نَ على الخَيْلِ قالةٌ غيرُ خُرْسِ

(١) أخرجه مسلم، كتاب: الصلاة، باب: خروج النساء إلى المساجد إذا لم يترتب عليه فتنة (٤٤٣)، والنسائي، كتاب: الزينة، باب: النهي للمرأة أن تشهد الصلاة إذا أصابت من البخور (٥١٣٠)، وأحمد في «مسنده» (٢٦٥٠٦).

بُحْلُومٍ مِثْلَ الْجِبَالِ رِزَانٍ      وَوَجُوهٍ مِثْلَ الدَّنَانِيرِ مُلَسِّ  
الْمُسْتَبِ بْنِ عَلَسٍ.

تَبِيتَ الْمَلُوكُ عَلَى عَثْبِهَا      وَشَيْبَانٍ إِنْ غَضِبْتَ تُغْتَبُ  
وَكَالشَّهْدِ بِالرَّاحِ الْفَاظُهَا      وَاخْلَاقُهُمْ مِنْهُمَا أَعَذَبُ  
وَكَالْمِسْكِ تُرْبُ مَقَامَاتِهِمْ      وَتُرْبُ قُبُورِهِمْ أَطْيَبُ  
أَخَذَهُ الْعَبَّاسُ بْنُ الْأَحْنَفِ فَقَالَ:

وَأَنْتَ إِذَا مَا وَطِئْتَ الثُّرَا      بَ كَانَ تَرَابُكَ لِلنَّاسِ طَيِّبَا  
وَهَجَا بَعْضُ الشُّعْرَاءِ الْعَمَّالِ فِي أَيَّامِ عَمْرٍ، وَوَقَعَ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ فِي بَعْضِ شِعْرِهِ:  
نُزُوبٌ إِذَا أَبَاوَا وَنَخَزُوا إِذَا عَزَّوَا      فَأَتَى لَهُمْ وَفَرَّ وَلَسْنَا دَوِي وَفَرَّ  
إِذَا السَّاجِرُ الدَّارِيُّ جَاءَ بِفَارَةٍ      مِنَ الْمِسْكِ رَاحَتْ فِي مَفَارِقِهِمْ تَجَرِي  
فَقَبِضَ عَمْرٌ عَلَى الْعَمَّالِ وَصَادَرَهُمْ.

قَالُوا فِي الْكَافُورِ: إِنَّهُ مَاءٌ فِي شَجَرٍ مَكْفُورٍ فِيهِ يَغْرُزُونَهُ بِالْحَدِيدِ، فَإِذَا خَرَجَ إِلَى ظَاهِرِ ذَلِكَ  
الشَّجَرِ ضَرَبَهُ الْهَوَاءُ فَانْقَدَّ كَالصَّمُوغِ الْجَامِدَةِ عَلَى الْأَشْجَارِ.

وَقَالَ صَاحِبُ الْمَنْهَاجِ: هُوَ أَصْنَافٌ: مِنْهَا الْفَنَصُورِيُّ، وَالرِّبَاحِيُّ، وَالْأَزَادُ، وَالْإِشْفَرُكَ  
الْأَزْرَقُ، وَهُوَ الْمَخْتَطُ بِخَشْبِهِ، وَقِيلَ إِنْ شَجَرَتُهُ عَظِيمَةٌ تَطَّلُ أَكْثَرَ مِنْ مِائَةِ فَارَسٍ، وَهِيَ بَحْرِيَّةٌ،  
وَخَشَبُ الْكَافُورِ أَيْضًا إِلَى الْحُمْرَةِ خَفِيفٌ، وَالرِّبَاحِيُّ يَوْجَدُ فِي بَدَنِ شَجَرَتِهِ قِطْعَ كَالثَّلْجِ، فَإِذَا  
شَقِقَتْ الشَّجَرَةُ تَنَاطَرَتْ مِنْهَا الْكَافُورُ.

النَّدَى: هُوَ الْغَالِيَّةُ، وَهُوَ الْعُودُ الْمَطْرِيُّ بِالْمِسْكِ وَالْعَنْبَرِ وَدُهْنِ الْبَانِ، وَمِنْ النَّاسِ مَنْ لَا  
يُضِيفُ إِلَيْهِ دُهْنَ الْبَانِ، وَيَجْعَلُ عَوْضَهُ الْكَافُورَ، وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يَضِيفُ إِلَيْهِ الْكَافُورَ أَيْضًا، وَمِنْ  
النَّاسِ مَنْ يَرْكَبُ الْغَالِيَّةَ مِنَ الْمِسْكِ وَالْعَنْبَرِ وَالْكَافُورِ وَدُهْنِ التِّلُوفَرِ.

قَالَ الْأَصْمَعِيُّ: قُلْتُ لِأَبِي الْمَهْدِيَّةِ الْأَعْرَابِيِّ: كَيْفَ تَقُولُ، لَيْسَ الطَّلِيبُ إِلَّا الْمِسْكَ؟ فَلَمْ  
يُحْفَلِ الْأَعْرَابِيُّ، وَذَهَبَ إِلَى مَذْهَبٍ آخَرَ، فَقَالَ: فَأَيْنَ أَنْتَ عَنِ الْعَنْبَرِ؟ فَقُلْتُ: كَيْفَ تَقُولُ: لَيْسَ  
الطَّلِيبُ إِلَّا الْمِسْكَ وَالْعَنْبَرُ؟ قَالَ: فَأَيْنَ أَنْتَ عَنِ الْبَانِ؟ قُلْتُ: فَكَيْفَ تَقُولُ: لَيْسَ الطَّلِيبُ إِلَّا  
الْمِسْكَ وَالْعَنْبَرِ وَالْبَانِ؟ قَالَ: فَأَيْنَ أَنْتَ عَنِ أَذْهَانِ بَحْجَرٍ - يَعْنِي الْيَمَامَةِ؟ - قُلْتُ: فَكَيْفَ تَقُولُ  
لِي لَيْسَ الطَّلِيبُ إِلَّا الْمِسْكَ وَالْعَنْبَرِ وَالْبَانِ وَأَذْهَانِ بَحْجَرٍ؟ قَالَ: فَأَيْنَ أَنْتَ عَنْ فَارَةِ الْإِبِلِ  
صَادِرَةٍ؟ فَرَأَيْتَ أَنِّي قَدْ أَكْثَرْتُ عَلَيْهِ، فَتَرَكْتُهُ قَالَ: وَفَارَةُ الْإِبِلِ رِيحُهَا حِينَ تَصُدُّرُ عَنِ الْمَاءِ. وَقَدْ  
أَكَلْتُ الثُّشْبَ الطَّيِّبَ.

وَفِي فَارَةِ الْإِبِلِ يَقُولُ الشَّاعِرُ:

كَانَ فَاةً مَسْكٍ فِي مَبَاءَتِهَا إِذَا بَدَأَ مِنْ فَيْصَاءِ الصَّبْحِ تَنْتَشِرُ  
كَانَ لِأَبِي أَيُّوبَ الْمَرْزِيَانِيِّ وَزِيرِ الْمَنْصُورِ دُهْنٌ طَيِّبٌ يَدُهْنُ بِهِ إِذَا رَكِبَ إِلَى الْمَنْصُورِ فَلَمَّا  
رَأَى النَّاسَ غَلَبَتْهُ عَلَى الْمَنْصُورِ وَطَاعَتُهُ لَهُ فِيمَا يَرِيدُهُ، حَتَّى إِنَّهُ رِيَمَا كَانَ يَسْتَحْضِرُهُ لِيُوقِعَ بِهِ،  
فَلَمَّا رَأَاهُ تَبَسَّمَ إِلَيْهِ وَطَابَتِ نَفْسُهُ قَالُوا: دُهْنُ أَبِي أَيُّوبَ مِنْ عَمَلِ السَّحَرَةِ، وَضَرَبُوا بِهِ الْمَثَلَ،  
فَقَالُوا لِمَنْ يَغْلِبُ عَلَى الْإِنْسَانِ: مَعَهُ دُهْنُ أَبِي أَيُّوبَ.

أَعْرَابِيٌّ: فِيهَا مَذْرُوءٌ كَفْتُ وَمَشَمُ أَنْفٍ.

وَقَالَ عَيْنَةُ بْنُ أَسْمَاءَ بْنِ خَارِجَةَ الْفَزَارِيِّ:

لَوْ كُنْتُ أَحْمَلُ خَمْرًا حِينَ رُزْتُكُمْ لَمَ يَنْكَرُ الْكَلْبُ أَنِّي صَاحِبُ الدَّارِ  
لَكِنْ أَتَيْتُ وَرِيحُ الْمَسْكِ يَقْدُمُنِي وَالْعَنْبَرُ الْوَرْدَ مَشْبُوبًا عَلَى النَّارِ  
فَأَنْكَرَ الْكَلْبُ رِيحِي حِينَ خَالَطَنِي وَكَانَ بِأَلْفِ رِيحِ الرِّقِّ وَالسَّقَارِ  
قَالَ الْأَصْمَعِيُّ: ذَكَرَ لِأَبِي أَيُّوبَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَتَّقِفُونَ، فَقَالَ: مَا عَلِمْتُ أَنَّ الْقَدْرَ وَالذُّفْرَ  
مِنَ الدِّينِ.

رِيحُ الْكَلْبِ مَثَلٌ فِي الشُّتَّى، قَالَ الشَّاعِرُ:

رِيحُهَا رِيحُ كِلَابٍ هَارِشَتْ فِي يَوْمٍ طَلَّ  
وَقَالَ آخَرُ:

يَزْدَادُ لَوْمًا عَلَى الْمَدِيحِ كَمَا يَزْدَادُ نَشْنُ الْكِلَابِ فِي الْمَطْرِ  
وَقَالَتْ امْرَأَةٌ امْرَأَةُ الْقَيْسِ لَهُ وَكَانَ مُفْرَكًا<sup>(١)</sup> عِنْدَ النِّسَاءِ: إِذَا عَرَقَتْ عَرَقَتْ بِرِيحِ كَلْبٍ. قَالَ:  
صَدَقَتْ؛ إِنَّ أَهْلِي أَرْضَعُونِي مَرَّةً بِلَبَنِ كَلْبَةٍ.

قَالَ سَلَمَةُ بْنُ عِيَّاشٍ، يَقُولُ لَجَعْفَرِ بْنِ سُلَيْمَانَ:

فَمَا شَمُّ أَنْفِي رِيحَ كَفِّ رَأَيْتُهَا مِنْ النَّاسِ إِلَّا رِيحَ كَفِّكَ أَطِيبُ  
فَأَمَرَ لَهُ بِأَلْفِ دِينَارٍ وَمِائَةِ مِثْقَالٍ مِنَ الْمَسْكِ وَمِائَةِ مِثْقَالٍ مِنَ الْعَنْبَرِ.

وَجَهَّ عَمْرُؤُ إِلَى مَلِكِ الرُّومِ بَرِيدًا فَاشْتَرَتْ أُمُّ كَلْثُومٍ امْرَأَةً عَمْرَ طَيِّبًا بِدَنَانِيرَ وَجَعَلَتْهُ فِي قَارُورَتَيْنِ  
وَأَهْدَتْهُمَا إِلَى امْرَأَةِ مَلِكِ الرُّومِ، فَرَجَعَ الْبَرِيدُ إِلَيْهَا وَمَعَهُ مِلءُ الْقَارُورَتَيْنِ جَوَاهِرَ، فَدَخَلَ عَلَيْهَا  
عَمْرُ، وَقَدْ صَبَّتِ الْجَوَاهِرَ فِي حَجَرِهَا، فَقَالَ: مِنْ أَيْنَ لَكَ هَذَا؟ فَأَخْبَرَتْهُ، فَقَبِضَ عَلَيْهِ، وَقَالَ:  
هَذَا لِلْمُسْلِمِينَ، قَالَتْ: كَيْفَ وَهُوَ عِيَّوَضُ هَدِيَّتِي؟ قَالَ: بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَبُوكَ، فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ:  
لَكَ مِنْهُ بِقِيَمَةِ دِينَارِكَ، وَالباقِي لِلْمُسْلِمِينَ جُمْلَةً لِأَنَّ بَرِيدَ الْمُسْلِمِينَ حَمَلَهُ.

(١) الْمُفْرَكُ: الرَّجُلُ الَّذِي تَبَغَضَهُ النِّسَاءُ. الْقَامُوسُ، مَادَّةُ (فِرْكَ).

قيل لخديجة بنت الرشد: رُسل العباس بن محمد على الباب، معهم زنبيل يحمله وجلان. فقالت: تراه بعث إليّ باقلاء؟ فكشف الزنبيل عن جرة مملوءة غالبية فيها مسحاة من ذهب، وإذا برقعة: هذه جرة أصيبت هي وأختها في خزان بني أمية، فأما أختها فقلب عليها الخلفاء، وأما هذه فلم أر أحداً أحقّ بها منك.

- ٤٠٠ -

**الأصل: صَنَعَ فَعَرَكَ، وَاحْطَطَ كَيْزَكَ، وَأَذْكُرَ قَبْرَكَ.**

**الشرح:** قد تقدّم القول في العجب والكبر والفخر.

**بعض ما قيل في الفخر**

في الحديث المرفوع: «إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ عِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ وَفَخَّرَهَا بِالْأَبَاءِ، النَّاسُ لَأَدَمَ، وَأَدَمٌ مِنْ تَرَابٍ، مُؤْمِنٌ تَقِيٌّ، وَفَاجِرٌ شَقِيٌّ، لِيَنْتَهِيَنَّ أَقْوَامٌ يَتَخَاخَرُونَ بِرِجَالِ إِنْمَا هُمْ فَحَمٌ مِنْ فَحَمِ جَهَنَّمَ أَوْ لِيَكُونَ أَهْوَنَ عَلَى اللَّهِ مِنْ جُعَلَاتٍ تَدْفَعُ الثَّنَّ بِأَنْفِهَا»<sup>(١)</sup>.

ومن وصيته عليه السلام إلى علي عليه السلام: «لَا فُخْرَ أَشَدَّ مِنَ الْجَهْلِ، وَلَا وَحْشَةَ أَفْحَشَ مِنَ الْعُجْبِ»<sup>(٢)</sup>.

أتى وائل بن حجر النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأقطعه أرضاً<sup>(٣)</sup>، وأمر معاوية أن يمضي معه فيريه الأرض ويعرضها عليه، ويكتبها له، فخرج مع وائل في هاجرة شايوة، ومشى خلف ناقته فأحرقته الرمضاء، فقال: أردفتي: قال: لست من أزداف الملوك، قال: فادفع إليّ نعلك، قال: ما يُبْخَلُ يَمْنَعُنِي يَا بْنَ أَبِي سُفْيَانَ، ولكن أكره أن يبلغ أقبال اليمن أنك لبست نعلي، ولكن امش في ظل ناقتي فحسبك بذاك شرفاً، ويقال: إنه عاش حتى أدرك زمن معاوية فأجلسه معه على سرير.

(١) أخرجه الترمذي، كتاب: تفسير القرآن، باب: ومن سورة الحجرات (٣٢٧٠)، وأبو داود، كتاب: الأدب، باب: في التواضع بالأحساب (٥١١٦)، وأحمد في «مسنده» (٨٥١٩).

(٢) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٢٦٨٨)، والشهاب في «مسنده» (٨٣٦)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٤٦٤٧).

(٣) أخرجه ابن حبان في «صحيحه» (٧٢٠٥)، والترمذي، كتاب: الأحكام، باب: ما جاء في القطائع (١٣٨١)، وأحمد في «مسنده» (٢٦٦٩٧).

قيل لحكيم: ما الشيء الذي لا يحسن أن يقال وإن كان حقاً؟ فقال: الفخر.

حبس هشام بن عبد الملك الفرزدق في سجن خالد بن عبد الله القسري، فوفد جرير إلى خالد ليشفع فيه، فقال له خالد: ألا يسرك أن الله قد أخزى الفرزدق؟ فقال: أيها الأمير، والله ما أحب أن يخزيه الله إلا بشعري، وإنما قدمت لأشفع فيه. قال فاشفع فيه في ملا ليكون أخزى له، فشفع فيه، فدعا به فقال: إني مُطلقك بشفاعتي جرير، فقال: أسير قسري، وطلقك كلي، فبأي وجه أفاخر العرب بعدها! ردتني إلى السجن.

ذكر أعرابي قوماً فقال: ما نالوا بأناملهم شيئاً إلا وقد وطنناه بأخامص أقدامنا، وإن أقصى مناهم لأدنى فعالنا.

نظر رجل إلى بعض ولد أبي موسى يخال في مشيته، فقال: ألا ترون مشيته؟ كأن أباه خدع عمرو بن العاص!

وسمع الفرزدق أبا بردة يقول: كيف لا أتبختر وأنا ابن أحد الحكيمين، فقال: أحدهما مائق، والآخر فاسق، فكن ابن أيهما شئت.

نظر رسول الله ﷺ إلى أبي دجانة وهو يتبختر بين الصقيين، فقال: «إن هذه مشية يبغضها الله إلا في هذا الموطن»<sup>(١)</sup>.

لما بلغ الحسن بن علي عليه السلام قول معاوية: إذا لم يكن الهاشمي جواداً والأموي حليماً والعزامي شجاعاً والمخزومي تهاً لم يشبهوا آباءهم، فقال: إنه والله ما أراد بها النصيحة، ولكن أراد أن يُفني بنو هاشم ما في أيديهم فيحتاجوا إليه، وأن يشجع بنو العوام فيقتلوا، وأن يتيه بنو مخزوم فيمقتلوا، وأن يحلم بنو أمية فيحبهم الناس»<sup>(٢)</sup>.

كان قاضي القضاة محمد بن أبي الشوارب الأموي تاهماً، فهجّاه عبد الأعلى البصري فقال:

إني رأيت محمداً متشاوراً مستصغراً لجميع هذي الناس  
ويقول لما أن تنفس خالياً نفساً له يفعلو على الأنفاس  
ويح الخلافة في جوانب لحيتي تستن دون لحى بني العباس!  
بعض الأموية:

إذا تائه من عبد شمس رأيتُه يتيه فرثحه لكل عظيم

(١) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٦٥٠٧).

(٢) أخرجه العلامة المجلسي بما معناه في البحار: ١٠٦/٤٤.



وإن تاة تَيَّاة سواه فإنه  
لبعض الأموة أيضاً:

السنا بني مَزوان كيف تبدلت  
إذا وُلد المولود منا تهللت  
بعض التَّاهين:

أتية على إنس البلاد وجنَّها  
أتية فلا أدري من التَّيه من أنا  
فإن زعموا أنني من الإنس مثلهم  
بعض العلوة:

لقد نازعشنا من قريش عصابةً  
فلما تنازعنا الفُخَّار قضى لنا  
ترانا سُكوتاً والشَّهيدُ بفضلنا  
بأن رسول الله لا شك جدنا

كان عُمارة بنُ حمزة بن ميمون مولى بني العباس مثلاً في التَّيه، حتى قيل: أتية من عُمارة.  
وكان يتولَّى دواوين السَّفاح والمنصور، وكان إذا أخطأ مضى على خطئه تكبراً عن الرجوع،  
ويقول: نُقِص وإبرام في حالة واحدة، الإصرار على الخطأ أهون من ذلك.

وافترخت أم سلمة المخزومية امرأة السَّفاح ذات ليلة بقومها على السَّفاح، وبنو مخزوم  
يُضْرَب بهم المثل في الكِبَر والتَّيه، فقال: أنا أحضرك الساعة على غير أُمِّة مولى من موالِي  
ليس في أهلك مثله، فأرسل إلى عُمارة، وأمر الرسول أن يُعجِّله عن تغيير زِيَّه، فجاء على  
الحال التي وجده عليها الرسول في ثياب ممسكة مززرة بالذهب، وقد غُلِّف لحيته بالغالية حتى  
قامت، فرمى إليه السَّفاح بِمُدَّهن ذهب مملوء غالية، فلم يلتفت إليه، وقال: هل ترى لها في  
لحيته موضعاً؟ فأخرجت أم سلمة عِقْداً لها ثميناً، وأمرت خادماً أن يضعه بين يديه، فقام  
وتركه، فأمرت الخادم أن يَتَّبِعَه به، ويقول: إنها تسالك قبوله، فقال للخادم: هو لك، فانصرف  
بالعقد إليها، فأعطت الخادم فكاه عشرة آلاف دينار، واسترجعته، وعجبت من نفس عُمارة،  
وكان عُمارة لا يذلُّ للخلفاء وهم مواليه ويتَّيه عليهم.

نظر رجل إلى المهديّ ويده في يد عُمارة، وهما يمشيان، فقال: يا أمير المؤمنين من هذا؟  
قال: هذا أخي، وابن عمي عُمارة بن حفْزة، فلما ولَّى الرجل ذكر المهديّ الكلمة كالمازح  
لعُمارة، فقال عُمارة: والله لقد انتظرت أن تقول: مولاي فأنقض يدي من يدك، فتبسم المهديّ.

وكان أبو الربيع القنوي أعرابياً جافياً ثباتاً شديد الكبر، قال أبو العباس المبرد في الكامل: فذكر الجاحظ أنه أتاه ومعه رجل هاشمي، قال: فناديت: أبو الربيع هنا؟ فخرج إليّ وهو يقول: خرج إليك رجلٌ أكرم الناس، فلما رأى الهاشمي استحيا وقال: أكرم الناس رديفاً، وأشرفهم حليفاً - أراد بذلك أبا مَرْثَد القنوي، لأنه كان رديف رسول الله ﷺ وحليف أبي بكر - قال: حدثنا ساعة ثم نهض الهاشمي فقلت له: مَنْ خير الخلق؟ قال: الناس والله، قلت: مَنْ خير الناس؟ قال: القَرَب والله، قلت: فَمَنْ خير العرب؟ قال: مُضَر والله، قلت: فَمَنْ خير مُضَر؟ قال: قيس والله، قلت: فَمَنْ خير قيس؟ قال: يَعْمُر والله، قلت: فَمَنْ خير يَعْمُر، قال: غُنيّ والله، قلت: فَمَنْ خير غُنيّ؟ قال: المخاطبُ لك والله، قلت: أفأنت خير الناس؟ قال: إي والله، قلت: أيسرُك أن تكون تحتك ابنة يزيد بن المهلب؟ قال: لا والله، قلت: ولك ألف دينار، قال: لا والله، قلت: فألفا دينار، قال: لا والله، قلت: ولك الجنة، قال: فأطرق ثم قال: على ألا تلد متي، ثم أنشد:

تأبى ليعصُر أعرافُ مهذبٌ      من أن تُناسب قوماً غيرَ أكفاءِ  
فلن يكن ذاك حُثماً لا مَرَدَّ له      فاذكر حذيف فإني غيرُ أباءِ  
أراد حذيفة بن بدر الفزاري، وكان سيّد قيس في زمانه.

رأى عمرُ رجلاً يمشي مُرخياً يديه، طارحاً رجليه، يتبختر، فقال له: دع هذه المشية، فقال: ما أطيق، فجلده ثم خلّاه، فترك التبختر، فقال عمر: إذا لم أجلد في هذا ففيم أجلد، فجاهه الرجل بعد ذلك فقال: جزاك الله يا أمير المؤمنين خيراً، إن كان إلا شيطاناً سلّط عليّ فأذهب الله بك.

- ٤٠١ -

الأصل: خُذْ مِنَ الدُّنْيَا مَا أَنَاكَ، وَقَوَّلْ عَمَّا تَوَلَّى عَنْكَ، فَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَفْعَلْ فَأَجْبِلْ فِي الطَّلَبِ.

الشرح: كان يقال: اجعل الدنيا كقريم السوء حصل منه ما يرضخ لك به، ولا تأس على ما دُفِعَ عنه، ثم قال ﷺ: فإن لم تفعل فأجبل في الطلب، وهي من الألفاظ النبوية: «لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها، فأجبلوا في الطلب»<sup>(١)</sup>.

(١) أخرجه ابن حبان في «صحيحه» (٣٢٤١)، ومالك في الموطأ (٩٠١/٢)، وأبو يعلى في «مسنده» (٦٥٨٣)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٦٧/٢)، وابن عبد البر في «المتميد» (٤٣٤/٢٤).

قيل لبعض الحكماء: ما الغنى؟ فقال: قلة تمليك، ورضاك بما يكتفيك.

- ٤٠٢ -

الأصل: رَبِّ قَوْلٍ، انْفُذْ مِنْ صَوْلٍ.

الشرح: قد قيل هذا المعنى كثيراً، فمنه قولهم:

والقولُ يَنْفُذُ ما لا تَنْفُذُ الإِبرُ

ومن ذلك: القول لا تملكه إذا نَمَا، كالسهم لا تملكه إذا رمى، وقال الشاعر:

وقافية: مثلُ حَذِّ السِّنا      نِ تَبْقَى وَيَذْعَبُ مَنْ قَالَهَا  
تَخَيَّرْتُهَا ثُمَّ أَرْسَلْتُهَا      ولم يُطِقِ النَّاسُ إِرْسَالَهَا  
وقال محمود الرزاق:

أنا نبي منك ما ليس      على مكروهه صبرُ  
فاغضبت على عَمْدٍ      وكم يُغْضِي الْفَتَى الْخُرُ  
وأدبُك بالهَجَرِ      فما أدبُك الهَجَرُ  
ولا رَدُّكَ عَمَّا كَا      ن منك الصَّفْحُ وَالْبِرُ  
فلما اضطررتي المكرو      ة واشتدَّ بي الأمرُ  
تناولتُك مِن شِعْري      بماليس له قَدْرُ  
فحرَّمتُ جَنَاحَ الطُّر      لَمَّا مَتَّكَ الْقُصْرُ  
إذا لم يُصلح الخير أم      رأ أصلحه الشَّرُ  
وقال الرضوي رحمه الله:

سامضُ بالاقوال أعراض قومكم      وللقول أنيابٌ لديّ جدادُ  
يُرى للقواني والسماء جليّة      عليكم برؤوق جَمّة ورِعَادُ  
وقال أيضاً:

كَمَنْتُ لِسَانِي أَنْ يَقُولَ وَإِنْ يُقَلِّ      قُلْ فِي الْجُورِ الْعُصْبُ إِنْ فَارَقَ الْعُمْدَا  
وَأَنْ يَرُوداً لِلْمَخَازِي مُعَدَّة      فَمَنْ شَاءَ مِنْ ذَا الْحَيِّ أَسْحَبُهُ بُرْدَا  
فلائد في الأعناق بالعار لا تهي      على مَرِّ أَيَّامِ الزَّمَانِ وَلَا تَضُدَا

إذا صَلَّصْتُ بين القنا قَضَت القنا وإن زُفَرْتُ في السردِ قَطَعَت السردا

- ٤٠٣ -

الأصل: كلُّ مُقْتَصَرٍ عَلَيْهِ كافي.

الشرح: هذا من باب القناعة، وإن من اقتصر على شيء وقنمَتْ به نفسه فقد كفاه، وقام مقام الفضول التي يَرْغَب فيها المُتَرْفُونَ، وقد تقدّم القولُ في ذلك.

- ٤٠٤ -

الأصل: المَيَّةُ ولا الذِّيَّةُ، والتَّقْلُّ ولا التَّوَسُّلُ.

الشرح: قد تقدّم من كلامنا في هذا الباب شيء كثير، وقال الشاعر:

أَقِيمْ بِاللَّهِ لِمَصِّ النَّوَى	وشربُ ماءِ الثُّلُبِ المالحِ
أَحْسَنْ بِالْإِنْسَانِ مِنْ ذَلِكَ	ومن سؤال الأوجهِ الكالِحِ
فَاسْتَنْ بِاللَّهِ تَكُنْ ذَا غِنَى	مَغْتَبِطاً بِالضَّفَقَةِ الرَّابِحِ
فَالزَّهْدُ عَزٌّ وَالثَّقَى سُودٌ	وَذَلَّةُ النَّفْسِ لَهَا فَاضِحِ
كَمْ سَالِمٍ صَبَحَ بِهِ بَغْتَةً	وقائِلٍ عَهْدِي بِهِ الْبَارِحِ
أَمْسَى وَأَمْسَتْ عِنْدَهُ قَيْنَةٌ	وأصْبَحَتْ تَنْدُبُهُ نَائِحِ
طَوْبَى لِمَنْ كَانَتْ مَوَازِينُهُ	يَوْمَ يَلَاقِي رَبَّهُ رَاجِحِ

وقال أيضاً:

لِمَصِّ الثَّمَادِ<sup>(١)</sup> وَخَرْطِ الْقَتَادِ<sup>(٢)</sup> وَشَرْبِ الْأَجَاجِ<sup>(٣)</sup> أَوَانِ الظَّمَا

(١) الثماد: الماء القليل الذي لا ماذ له. اللسان، مادة (ثمد).

(٢) القتاد: شجر له شوك أمثال الإبر. اللسان، مادة (قن).

(٣) الأجاج: الملح المر. القاموس، مادة (أجج).

على المرء أمّون من أن يُرى ذليلاً لخلقٍ إذا أعْدَمَا  
وخيرٌ لعينيك من منظرٍ إلى ما بأيدي اللّثام العَمَى  
قلت: لحاء الله، هَلَا قال: بأيدي الرّجال.

- ٤٠٥ -

**الأصل:** مَنْ لَمْ يُنْظَرْ قَاعِدًا، لَمْ يُنْظَرْ قَائِمًا.

**الشرح:** مراده أن الرزق قد قَسَمه الله تعالى، فمن لم يرزقه قاعداً لم يجب عليه القيام والحركة. وقد جاء في الحديث: أَنَّهُ ﷺ ناول أعرابياً ثَمرة، وقال له: اخُذْهَا فَلَوْ لَمْ تَأْتِهَا لِأَنْتَكَ<sup>(١)</sup>.

وقال الشاعر:

جَرَى قَلَمُ الْقَضَاءِ بِمَا يَكُونُ فَسَيَانَ التَّحَرُّكَ وَالسَّكُونُ  
جُنُونٌ مِنْكَ أَنْ تَسْتَمَى لِرِزْقٍ وَيُرْزَقُ فِي غِشَاوَتِهِ الْجَنِينُ

- ٤٠٦ -

**الأصل:** الدَّهْرُ يَوْمَانِ: يَوْمٌ لَكَ، وَيَوْمٌ عَلَيْكَ، فَإِذَا كَانَ لَكَ فَلَا تَبْطُرُ، وَإِذَا كَانَ عَلَيْكَ فَاصْبِرْ.

**الشرح:** قديماً قيل هذا المعنى: الدهر يومان: يوم بلاء، ويوم رخاء. والدهر: ضَرَبَانِ: حَبْرَةٌ<sup>(٢)</sup> وَهَبْرَةٌ. والدهر وقتان: وقت سرور، ووقت ثبور. وقال أبو سفيان يوم أحد: يَوْمٌ يَوْمٌ بَدْرٌ، وَالدُّنْيَا دَوْلٌ. قال ﷺ: فَإِذَا كَانَ لَكَ فَلَا تَبْطُرُ، وَإِذَا كَانَ عَلَيْكَ فَاصْبِرْ.

(١) أخرجه ابن حبان في «صحيحه» (٣٢٤٠)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١١٩٠)، والدارقطني في «العلل» (٢٨٣/٥).

(٢) الحبرة: النعمة. القاموس، مادة (جبر).

قد تقدم القول في ذم البطر ومدح الصبر، ويحمل ذم البطر هاهنا على محملين: أحدهما البطر بمعنى الأشر، وشدة المرح، بطر الرجل بالكسر يبطر، وقد أبطره المال، وقالوا: يطر فلان معيشته، كما قالوا: زئيد فلان أمره. والثاني البطر بمعنى الحيرة والدَّهْش، أي إذا كان الوقت لك فلا تقطن زمانك بالحيرة والدَّهْش عن شكر الله ومكافأة النعمة بالطاعة والعبادة والمحمل الأول أوضح.

- ٤٠٧ -

**الأصل:** إِنَّ لِلْوَالِدِ عَلَى الْوَلَدِ حَقًّا، وَإِنَّ لِلْوَلَدِ عَلَى الْوَالِدِ حَقًّا، فَحَقُّ الْوَالِدِ عَلَى الْوَلَدِ أَنْ يُطِيعَهُ فِي كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا فِي مَنْصِبِهِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ، وَحَقُّ الْوَلَدِ عَلَى الْوَالِدِ أَنْ يُحَسِّنَ اسْمَهُ، وَيُحَسِّنَ آدَبَهُ، وَيُعَلِّمَهُ الْقُرْآنَ.

**الشرح:** أما صدر الكلام فمن قول الله سبحانه: ﴿أَنْ أَتُكْذِرَ لِي وَلَوْلَايَ إِلَى الْآخِرِ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِيعُهُمَا﴾<sup>(١)</sup>.

#### نوادير حول الأسماء والكنى

وأما تعليم الوالد الولد القرآن والأدب فمأمور به، وكذلك القول في تسميته باسم حسن، وقد جاء في الحديث: تسموا بأسماء الأنبياء، وأحب الأسماء إلى الله عبد الله وعبد الرحمن. وأصدقها حارث وهمام. وأقبحها حزب ومرة<sup>(٢)</sup>.

وروى أبو الذرداء عن النبي ﷺ: «إِنَّكُمْ تُذْهَبُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِأَسْمَائِكُمْ وَأَسْمَاءِ آبَائِكُمْ، فَاحْسِنُوا أَسْمَاءَكُمْ»<sup>(٣)</sup>.

وقال ﷺ: «إِذَا سَمَّيْتُمْ فَعَبِّدُوا» أي: سَمُّوا بَنِيكُمْ عَبْدَ اللَّهِ ونحوه من أسماء الإضافة إليه عز اسمه.

وكان رسول الله ﷺ يغيّر بعض الأسماء، سَمَّى أَبَا بَكْرٍ عَبْدَ اللَّهِ، وكان اسمه في

(١) سورة لقمان، الآيتان: ١٤، ١٥.

(٢) أخرجه أبو داود في الأدب، باب: في تغيير الأسماء (٤٩٥٠)، وأحمد في (مسنده) (١٨٥٥٣).

(٣) أخرجه أبو داود في الأدب، باب: في تغيير الأسماء (٤٩٤٨). وأحمد في (مسنده) (٢١١٨٥)،

والدارمي في الاستئذان، باب: في حسن الأسماء (٢٦٩٤).

الجاهلية عبد الكعبة، وسُمي ابن عوف عبد الرحمن، وكان اسمه عبد الحارث، وسُمي شُعْبُ الضلالة شُعْبُ الهدى، وسُمي يَتْرَب طَلِيبة، وسُمي بني الرُّبِية بني الرُّشْدَة؛ وبني معاوية بني مُرْشِدَة.

كان سعيدُ بنُ المسيَّب بن حَزْنِ المخزومي أحدَ الفقهاء المشهورين، أتى جده رسول الله ﷺ فقال له: ما اسمك؟ قال: حَزْن، قال: لا، بل أنت سَهْل، فقال: لا، بل أنا حَزْن، عاوده فيها ثلاثاً، ثم قال: لا أَحِبُّ هذا الاسمَ، السَّهْلُ يوطأ وَيُمْتَهَن، فقال: فانت حَزْن، فكان سعيد يقول: فما زلتُ أعْرِفُ تلكَ الحزونةَ فينا.

وروي جابر عنه عليه السلام: «ما من بيت فيه أحدُ أسماءِ محمد إلا وسَّعَ الله عليه الرزق فإِذا سَمَّيْتَهُم بِهِ فلا تَضْرِبُوهُمْ ولا تَسْتَمُوهُمْ»، ومن وُلِدَ له ثلاثة ذُكُور ولم يسمَ أحدهم أحمداً أو محمداً فقد جفاني»<sup>(١)</sup>.

أبو هريرة عنه عليه السلام، أنه نهى أن يجمع بين اسمه وكنيته لأحد<sup>(٢)</sup>.

وروي أنه أذن لعلي بن أبي طالب عليه السلام في ذلك، فسَمَّى ابنه محمد بن الحنفية محمداً، وكناه أبا القاسم.

وقد رُوي أنَّ جماعةً من أبناء الضحابة جُمع لهم بين الاسم والكنية.

وقال الرُّمَّحْشَرِي: قد قدَّم الخلفاء وغيرهم من الملوك رجالاً بحُسْنِ أسمائهم، وأقَصُوا قوماً لشناعة أسمائهم، وتعلَّقَ المدح والذَّمُّ بذلك في كثير من الأمور.

وفي رسالة الجاحظ إلى أبي الفَرَجِ نجاح بن سلمة: قد أظهر الله في أسمائكم وأسماء آبائكم وكنائكم وكُنَى أجدادكم من بُرْهانِ الفالِ الحَسَنِ، ونفي طيرة السوء، ما جمع لكم صنوف الأمل، وصرف إليكم وجوه الطلب، فأسماءكم وكنائكم بين فرَجٍ ونجاح، وسلامة وفضل، ووجوهكم وأخلاقكم وثَقُ أعرافكم وأفعالكم، فلم يضربِ التفاوتُ فيكم بنصيب.

أراد عمرُ الاستعانة برجلٍ فسأله عن اسمه واسم أبيه، فقال: سَرَّاقُ بنُ ظالم، فقال: تشرق أنت ويظلم أبوك! فلم يَسْتَعِنْ بِهِ.

سأل رجلٌ رجلاً: ما اسمك؟ فقال: بحر؟ قال: أبو مَنْ؟ قال: أبو الفَيْض، قال: ابنُ مَنْ؟ قال: ابنُ الفُرَات، قال: ما ينبغي لصديقك أن يلقاك إلا في زُورُق.

(١) ذكره الإمام الديلمي في «مسنده الفردوس» (٥٩٨١)، بلفظ: «من ولد له أربعة...».

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» (٩٣١٥)، من حديث سيدنا أبي هريرة بلفظ: «لا تجمعوا بين اسمي وكنيتي، فإني أنا أبو القاسم الله ﷺ يعطيني وأنا أقسم». وأخرجه الترمذي أيضاً في كتاب: الأدب، باب ما جاء في كراهية الجمع بين اسم النبي وكنيته (٢٨٤١).

وكان بعضُ الأعراب اسمه وثَّاب، وله كَلْب اسمه عمرو، فهجاه أعرابي آخر فقال:  
 وَلَوْ بَالَهُ اللَّهُ مِنْ التَّوْفِيقِ أَسْبَاباً  
 لَسَمَّيْ نَفْسَهُ عَمْرَافاً وَسَمَّيْ الْكَلْبَ وَثَّاباً  
 قالوا: وكلُّما كان الاسم غريباً كان أشهرً لصاحبه وأمنع من تعلق التَّبْزِ به. قال رؤية:  
 قَدْ رَفَعَ الْعَجَّاجُ ذِكْرِي فَادْعُنِي بِاسْمِي إِذَا الْأَسْمَاءُ طَالَتْ تَكْفِينِي  
 ومن هاهنا أخذ المعريُّ قوله يمدِّح الرضعي والمرضى رحمهما الله:  
 أَنْتُمْ ذَوُو النَّسَبِ الْقَصِيرِ فَطَوَّلْكُمْ بِأَدِ عَلَى الْكِبَرِ وَالْأَشْرَافِ  
 وَالرَّاحِ إِنْ قِيلَ ابْنَةُ الْعَنْبِ اكْتَفَتْ بِأَبٍ عَنِ الْأَسْمَاءِ وَالْأَوْصَافِ  
 وسأل التَّسَابُةَ الْبُكْرِيَّ رؤية عن نسبه ولم يكن يَعْرِفْهُ، قال: أنا ابن العجَّاج، قال: قصرت  
 وعرفت.

صاح أعرابي بعبد الله بن جعفر: يا أبا الْفَضْلِ! قيل: ليست كنيته، قال: وإن لم تكن كنيته  
 فإنَّها صِفَتُهُ. نظر عمرُ إلى جارية له سوداء تَبْكِي فقال: ما شأنك! قالت: ضَرَبَنِي ابْنُكَ أَبُو  
 عَيْسَى، قال: أَوْ قَدْ تَكُنَّى بِأَبِي عَيْسَى عَلَيَّ بِهِ، فَأَحْضَرُوهُ، فقال: وَنَحْكُ! أَكُنْ لِعَيْسَى أَب  
 فَتَكُنِّي بِهِ! أَتَدْرِي مَا كُنِيَ الْعَرَبُ! أَبُو سَلَمَةَ، أَبُو عُرْفُطَةَ، أَبُو طَلْحَةَ، أَبُو حَنْظَلَةَ، ثُمَّ أَذَبَهُ.  
 لما أقبل حنظلة بنُ شَيْبٍ نحو ابن مُبِيرَةَ أراد ابنُ مُبِيرَةَ أَنْ يَكْتُبَ إِلَى مِرْوَانَ بِخَبْرِهِ، وَكَرِهَ أَنْ  
 يَسْمِيَهُ، فقال: أَقْبِلُوا اسْمَهُ، فوجدوه هبط حق، فقال: دَعُوهُ عَلَى هَيْتِهِ.

قال بَرْصُومُ الزَّامِرُ لَأَمَتِهِ: وَنَحْكُ! أَمَا وَجَدْتِ لِي اسْماً تَسْمِينِي بِهِ غَيْرَ هَذَا! قالت: لو  
 عَلِمْتُ أَنَّكَ تَجَالِسُ الْخُلَفَاءَ وَالْمُلُوكَ سَمَيْتُكَ يَزِيدَ بْنَ مَرْزُودٍ.

قيل لبعض صبيان الأعراب: ما اسمُكَ؟ قال: قَرَاد، قيل: لَقَدْ ضَيَّقَ أَبُوكَ عَلَيْكَ الْاسْمَ،  
 قال: إِنْ ضَيَّقَ الْاسْمَ لَقَدْ أَوْسَعَ الْكُنْيَةَ، قال: مَا كُنْيَتُكَ؟ قال: أَبُو الصَّحَارَى.

نظر المأمونُ إلى غلام حَسَنَ الْوَجْهِ فِي الْمَوْكِبِ، فقال له: يَا غَلَامُ، مَا اسْمُكَ؟ قال: لَا  
 أَدْرِي، قال: أَوْ يَكُونُ أَحَدٌ لَا يَعْرِفُ اسْمَهُ؟ فقال له: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، اسْمِي الَّذِي أَعْرِفُ بِهِ لَا  
 أَدْرِي، فقال المأمونُ:

وَسُمِّيتَ لَا أَدْرِي لِأَنَّكَ لَا تَدْرِي بِمَا فَعَلَ الْحُبُّ الْمَبْرُحُ فِي صَدْرِي  
 وَلِذَلِكَ لَعَبَدَ اللَّهُ بَنَ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَلَدَ ذَكَرَ، فَبَشَّرَ بِهِ وَهُوَ عِنْدَ مَعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ،  
 فَقَالَ لَهُ مَعَاوِيَةُ، سَمِّهِ بِاسْمِي وَلَكَ خَمْسَمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ، فَسَمَّاهُ مَعَاوِيَةَ، فَدَفَعَهَا إِلَيْهِ، وَقَالَ  
 اشْتَرِ بِهَا لِسَمِيٍّ ضَمِيعةً.



ومن حديث علي عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم : «إِذَا سَمَّيْتَ الْوَلَدَ مُحَمَّدًا فَأكْرِمُوهُ، وَأَوْسَمُوا لَهُ فِي الْمَجْلِسِ، وَلَا تَقْبَحُوا لَهُ وَجْهًا»<sup>(١)</sup>.

وعنه عليه السلام : «أما من قوم كانت لهم مشورة فحضر معهم عليها من اسمه محمد أو أحمد فادخلوه في مشورتهم إلا خير لهم، وما من مائدة وضعت فحضر عليها من اسمه محمد أو أحمد إلا قُدس ذلك المنزل في كل يوم مرتين»<sup>(٢)</sup>.

من آيات المعاني:

وَحَلَلْتُ مِنْ مَضَرٍ بِأَمْنٍ ذُرْوَةً مَنَعْتُ بِحَدِّ الشُّوكِ وَالْأَحْجَارِ  
قالوا: يريد بالشوك أخواله، وهم: قَتَادَةُ وَطَلْحَةُ وَغَوْسَجَةُ، وبالأحجار أعمامه، وهم  
صَفْوَانٌ وَفَهْرٌ وَجَنْدَلٌ وَصَخْرٌ وَجَزُولٌ.

سَمَى عَبْدُ الْمَلِكِ ابْنًا لَهُ الْحِجَّاجَ لِحُبِّهِ الْحِجَّاجَ بَنَ يَوْسَفَ وَقَالَ فِيهِ:

سَمِيئُهُ الْحِجَّاجُ بِالْحِجَّاجِ النَّاصِحِ الْمَكَاشِفِ الْمُدَاجِي  
استأذن الجاحظُ والشَّحَّاكُ - وهو من المتكلمين - على رئيس، فقال الخادم لمولاه:  
الجاحد والشَّحَّاكُ، فقال: هَذَا مِنَ الزَّنَادِقَةِ لَا مَحَالَةَ فَصَاحَ الْجَاحِظُ: وَيْحَكَ! ارْجِعْ قُلْ:  
الْحَدِثِي بِالْبَابِ - وَهِيَ كَانَتْ يُعْرَفُ - فَقَالَ الْخَادِمُ: الْحَلَقِي بِالْبَابِ، فَصَاحَ الْجَاحِظُ وَيْلَكَ! ارْجِعْ  
إِلَى الْجَاحِدِ.

جمع ابنُ دُرَيْدٍ ثَمَانِيَةَ أَسْمَاءَ فِي بَيْتٍ وَاحِدٍ فَقَالَ:

فَنَعْمَ أَخُو الْجُلَى وَمُسْتَنْبِطُ النَّدَى وَمَلْجَأُ مَكْرُوبٍ وَمَفْزَعُ لَاهِثٍ  
عِيَادُ بْنُ عَمْرٍو بْنِ الْجَلِيسِ بْنِ جَابِرِ بْنِ زَيْدِ بْنِ مَظْهُورِ بْنِ زَيْدِ بْنِ وَارِثٍ.  
قال محمد بنُ صدقة المقرئ ليموت بن المزعج: صدق الله فيك اسمك! فقال له: أَحْوَجَكَ  
الله إلى اسم أبيك.

سأل رجلٌ أبا عبيدة عن اسم رجلٍ من العرب، فلم يَعرِفْهُ، فقال كَيْسَانُ غَلَامُهُ: أَنَا أَعَرَفْتُ  
النَّاسَ بِهِ، هُوَ خِرَاشٌ أَوْ خِدَاشٌ أَوْ رِيَّاشٌ أَوْ شَيْءٌ آخَرُ، فقال أَبُو عبيدة مَا أَحْسَنَ مَا عَرَفْتَهُ يَا  
كَيْسَانُ! قَالَ: إِي وَالله، وَهُوَ قَرَشِيٌّ أَيْضًا، قَالَ: وَمَا يُدْرِيكَ بِهِ؟ قَالَ: أَمَا تَرَى كَيْفَ احْتَوَشْتَهُ  
الْقِيَانُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ! قَالَ الْفَرَزْدَقُ:

وَقَدْ تَلَقَّيَ الْأَسْمَاءَ فِي النَّاسِ وَالْكُتَى كَثِيرًا وَلَكِنْ مُيزُوا فِي الْخِلَائِقِ

(١) ذكره العجلوني في «كشف الخفاء» (١/٩٤).

(٢) ذكره الدليمي في «مسند الفردوس» (٦١٣٧).

رَأَى الإسْكَندَرُ فِي عَسْكَرِهِ رَجُلًا لَا يَزَالُ يَنْهَزِمُ فِي الْحَرْبِ، فَسَأَلَهُ عَنْ اسْمِهِ؟ فَقَالَ: اسْمِي الإسْكَندَرُ، فَقَالَ: يَا هَذَا، إِنَّمَا أَنْ تَغَيِّرَ اسْمَكَ، وَإِنَّمَا أَنْ تَغَيِّرَ فِعْلَكَ.  
قَالَ شَيْخُنَا أَبُو عَثْمَانَ: لَوْلَا أَنْ الْقَدَمَاءَ مِنَ الشُّعْرَاءِ سَمَّيْتُ الْمُلُوكَ وَكَتَبْتُهَا فِي أَشْعَارِهَا، وَأَجَازْتُهَا وَاصْطَلَحْتُ عَلَيْهِ مَا كَانَ جَزَاءُ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ إِلَّا الْعُقُوبَةُ، عَلَى أَنْ مَلُوكَ بَنِي سَامَانَ لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ مِنْ رِعَايَاهَا فَقَدْ، وَلَا سَمَاهَا فِي شَعْرِ وَلَا حُطْبَةٍ، وَإِنَّمَا حَدَّثَ هَذَا فِي مُلُوكِ الْحِيرَةِ، وَكَانَتِ الْجَفَاءُ مِنَ الْعَرَبِ لِسُوءِ أَذْبَهِا وَغِلْظِ تَرْكِيبِهَا إِذَا أَتَوْا النَّبِيَّ ﷺ خَاطَبُوهُ بِاسْمِهِ وَكُنْيَتِهِ، فَأَمَّا أَصْحَابُهُ فَكَانَتْ مَخَاطِبُهُمْ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَهَكَذَا يَجِبُ أَنْ يُقَالَ لِلْمَلِكِ فِي الْمَخَاطَبَةِ: يَا خَلِيفَةَ اللَّهِ، وَيَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ.

وَيَنْبَغِي لِلدَّخَالِ عَلَى الْمَلِكِ أَنْ يَتَلَفَّفَ فِي مِرَاعَةِ الْأَدَبِ، كَمَا حَكَى سَعِيدُ بْنُ مُرَّةَ الْكَنْدِيُّ، دَخَلَ عَلَى مُعَاوِيَةَ فَقَالَ: أَنْتَ سَعِيدٌ؟ فَقَالَ: أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ السَّعِيدُ، وَأَنَا ابْنُ مُرَّةَ.  
وَقَالَ الْمَأْمُونُ لِلْسَّيِّدِ بْنِ أَنَسٍ الْأَزْدِيِّ: أَنْتَ السَّيِّدُ؟ فَقَالَ: أَنْتَ السَّيِّدُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، وَأَنَا ابْنُ أَنَسٍ. شَاعِرٌ:

لَسَمْرُكَ مَا الْأَسْمَاءُ إِلَّا عَلَامَةٌ مَنَارٌ وَمِنْ خَيْرِ الْمَنَارِ ارْتِفَاعُهَا  
كَانَ قَوْمٌ مِنَ الصَّحَابَةِ يَخَاطِبُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: «يَا نَبِيَّ اللَّهِ» بِالْهَمْزَةِ، فَأَنْكَرَ ذَلِكَ وَقَالَ: «لَسْتُ بِنَبِيِّ اللَّهِ، وَلَكِنِّي نَبِيُّ اللَّهِ»<sup>(١)</sup>. وَكَانَ الْبَحْتَرِيُّ إِذَا ذَكَرَ الْخُثْعَمِيَّ الشَّاعِرَ يَقُولُ: ذَاكَ الْعَثَّ الْعَمِي. وَكَانَ صَاحِبُ رِبْعٍ يَشْتَبِعُ، فَارْتَفَعَ إِلَيْهِ خُضَمَانٌ: اسْمُ أَحَدِهِمَا عَلِيٌّ، وَالْآخَرُ مُعَاوِيَةُ، فَانْحَنَى عَلَى مُعَاوِيَةَ فَضَرَبَهُ مِائَةَ سَوْطٍ مِنْ غَيْرِ أَنْ اتَّجَهَتْ عَلَيْهِ حِجَّةٌ، فَفَطِنَ مِنْ أَيْنَ أَتَى! فَقَالَ: أَصْلَحَكَ اللَّهُ! سَلْ خُثْعَمِي عَنْ كُنْيَتِهِ، فَإِذَا هُوَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ - وَكَانَتْ كُنْيَةُ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ - فَبَطَّخَهُ وَضَرَبَهُ مِائَةَ سَوْطٍ، فَقَالَ لِصَاحِبِهِ: مَا أَخَذْتَهُ مِنِّي بِالْأَسْمِ اسْتَرْجَعْتَهُ مِنْكَ بِالْكُنْيَةِ.

- ٤٠٨ -

الأصل: التَّيْنُ حَقٌّ، وَالرُّقَى حَقٌّ، وَالسَّخَرُ حَقٌّ، وَالْقَالَ حَقٌّ وَالْعِيرَةُ لَيْسَتْ بِحَقٍّ، وَالْعَدْوَى لَيْسَتْ بِحَقٍّ. وَالطَّيْبُ نُفْرَةٌ، وَالْعَسَلُ نُفْرَةٌ، وَالرُّكُوبُ نُفْرَةٌ، وَالنَّظَرُ إِلَى الْخَضِرَةِ نُفْرَةٌ.

(١) أخرجه الديلمي في «مسند الفردوس» (٥٢٨٤)، وابن حجر في «لسان الميزان» (٥/٤)، والمقبلي في «الضعفاء» (٨١/٣).

**الشرح:** ويروى: «والفصل نُشرة» بالعين المعجمة، أي التطهير بالماء.

### أخبار حول العين والطيرة والقبال والسحر والعدوى

وقد جاء في الحديث المرفوع: «العين حق»، ولو كان شيء يسبق القدر لسبقته العين، وإذا استغسلتم فاغسلوا<sup>(١)</sup>، قالوا في تفسيره: إنهم كانوا يطلبون من العائن أن يتوضأ بماء ثم يسقى منه المعين ويغتسل بسائره.

وفي حديث عائشة: «العين حق كما أن محمداً حق».

وللحكماء في تحليل ذلك قول لا بأس به، قالوا: هذا عائد إلى نفس العائن، وذلك لأن الهوى مطبوعة للأنفس، متأثرة بها، ألا ترى أن نفوس الأفلاك تؤثر فيها بتعاقب الصور عليها والنفوس البشرية من جواهر نفوس الأفلاك، وشديدة الشبه بها، إلا أن نسبتها إليها نسبة السراج إلى الشمس، فليست عامة التأثير، بل تأثيرها في أغلب الأمر في بدنها خاصة، ولهذا يحس مزاج الإنسان عند الغضب، يستعد للجماع عند تصور النفس صورة المعشوق، فإذا قد صار تصور النفس مؤثراً فيما هو خارج عنها، لأنها ليست حالة في البدن، فلا يستبعد وجود نفس لها جوهر مخصوص مخالفت لغيره من جواهر النفوس تؤثر في غير بدنها، ولهذا يقال: إن قوماً من الهند يقتلون بالوهم، والإصابة بالعين من هذا الباب، وهو أن تستحس النفس صورة مخصوصة وتتعجب منها، وتكون تلك النفس خبيثة جداً، فينفع جسم تلك الصورة مطبوعاً لتلك النفس كما يفعل البدن للشمس.

وفي حديث أم سلمة أن رسول الله ﷺ رأى في وجه جارية لها سفقة، فقال: «إن بها نظرة فاسترقوا لها»<sup>(٢)</sup>.

وقال عوف بن مالك الأشجعي: كنا نرقى في الجاهلية، فقلت: يا رسول الله، ما ترى في ذلك؟ فقال: «اعرضوا علي رقاكم فلا بأس بالرقى ما لم يكن فيها شرك»<sup>(٣)</sup>.

كان ناس من أصحاب رسول الله ﷺ في سفر، فمروا بحي من أحياء العرب، فاستضافوهم فلم يضيفوهم وقالوا لهم: هل فيكم من راق، فإن سيد الحي ليدبغ؟ فقال رجل

(١) أخرجه مسلم في السلام، باب: الطب والنمى والرقى (٢١٨٨)، والترمذي في الطب، باب: ما جاء في الرقية من العين (٢٠٥٩)، وأحمد في مسنده (٢٦٩٣٤).

(٢) أخرجه البخاري في الطب، باب: رقية العين (٥٧٣٩)، ومسلم في السلام، باب: استحباب الرقية من العين (٢١٩٧)، وأحمد في مسند المكثرين في الصحابة، باب: مسند عبد الله بن عمر بن العاص (٦٩٨٦).

(٣) أخرجه الطحاوي في شرح معاني الآثار (٣٢٨/٤).

منهم: نعم، فأتاه فَرَقَاهُ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ فَبَرَّ، فَأَعْطِي قَطِيعاً مِنَ الْغَنَمِ، فَأَمَى أَنْ يَقْبَلَهَا حَتَّى يَأْتِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فذكر ذلك لرسول الله ﷺ، وقال: وَعَيْشَكَ مَا رَقِيتُهُ إِلَّا بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ، فقال: «ما أدرأكم إِنْهَا رُقِيَتْ! خُذُوا مِنْهُمْ، واضربوا لي معكم بَسْمَهُمْ»<sup>(١)</sup>.

وَرَوَى بُرَيْدَةَ، قال: قال رسول الله ﷺ: وقد ذُكِرْتُ عَنْهُ الطَّيْرَةُ: «مَنْ عَرَضَ لَهُ مِنْ هَذِهِ الطَّيْرَةِ شَيْءٌ فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ لَا طَيْرَ إِلَّا طَيْرُكَ، وَلَا خَيْرَ إِلَّا خَيْرُكَ، وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ»<sup>(٢)</sup>.

وعنه ﷺ: «ليس منا من تَطَيَّرَ أو تَطَيَّرَ لَهُ، أو تَكْتَهَنَ أو تَكْتَهَنَ لَهُ»<sup>(٣)</sup>.

أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ يَرْفَعُهُ: «لَا عَذْوَى وَلَا طَيْرَةَ، وَيُعْجِبُنِي الْفَالُ الصَّالِحُ»<sup>(٤)</sup>، قالوا: فما الْفَالُ الصَّالِحُ؟ قال: الكلمة الطيبة.

وعنه ﷺ: «تَقَاءَلُوا وَلَا تَطَيَّرُوا».

وَرَوَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ بُرَيْدَةَ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ لَا يَتَطَيَّرُ مِنْ شَيْءٍ، وَكَانَ إِذَا بَعَثَ عَامِلاً سَأَلَ عَنْ اسْمِهِ، فَإِذَا أَحَبَّهُ سَرَّ بِهِ، وَرَبِي بِشَرِّ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ، وَإِنْ كَرِهَ اسْمَهُ رُئِيتِ الْكِرَاهَةُ عَلَى وَجْهِهِ، وَإِذَا دَخَلَ قَرْيَةً سَأَلَ عَنْ اسْمِهَا فَإِنْ أَحَبَّهُ ظَهَرَ عَلَى وَجْهِهِ.

بَنَى عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ زِيَادٍ بِالْبَصْرَةِ دَاراً عَظِيمَةً، فَمَرَّ بِهَا بَعْضُ الْأَهْرَابِ، فَرَأَى فِي دِفْلِيزِهَا صُورَةَ أَسَدٍ وَكَلْبٍ وَكَبْشٍ، فَقَالَ: أَسَدٌ كَالْحِجَابِ، وَكَبْشٌ نَاطِعٌ، وَكَلْبٌ نَابِحٌ، وَاللَّهِ لَا يُمْتَنَعُ بِهَا، فَلَمْ يَلْبَثْ عَيْدَ اللَّهِ فِيهَا إِلَّا أَيَّاماً يَسِيرَةً.

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي الْإِجَارَةِ، بَابُ: مَا يُعْطَى فِي الرِّقَةِ عَلَى أَحْيَاءِ الْعَرَبِ فِي فَاتِحَةِ الْكِتَابِ (٢٢٧٦)، وَمُسْلِمٌ فِي السَّلَامِ، بَابُ: جَوَازُ اخْتِذَاكِ الْأَجْرَةَ عَلَى الرِّقَةِ بِالْقُرْآنِ (٢٢٠١)، وَالتِّرْمِذِيُّ فِي الطَّبِّ، بَابُ: اخْتِذَاكِ الْأَجْرَةَ عَلَى التَّمْوِيدِ (٢٠٦٤)، وَأَبُو دَاوُدَ فِي الْيَبُوعِ، بَابُ: كَسْبُ الْأَطْبَاءِ (٣٤١٨).

(٢) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ فِي الْمَكْتُوبِينَ مِنَ الصَّحَابَةِ، بَابُ: مُسْنَدُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ (٧٠٠٥)، وَابْنُ أَبِي شَيْبَةَ فِي «الْمَصْنَفِ» (٧٠/٦)، دُونَ قَوْلِهِ: «وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ» وَهُوَ بِلَفْظِهِ عِنْدَ أَبِي نَعِيمٍ فِي «الْحَلِيقَةِ» (٢١/٦)، وَابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ فِي «التَّمْهِيدِ» (٢٤/٢٠١).

(٣) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «الْمُسْنَدِ» (٢٥٧٨)، وَالتِّرْمِذِيُّ فِي «الْأَوْسَطِ» (٤٨٤٤)، وَأَبُو نَعِيمٍ فِي «الْحَلِيقَةِ» (١٩٥/٤)، وَابْنُ عَدِيٍّ فِي «الْكَامِلِ» (٧٨٠).

(٤) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي الطَّبِّ، بَابُ: الْفَالُ (٥٧٥٦)، وَمُسْلِمٌ فِي السَّلَامِ، بَابُ: الطَّيْرَةِ وَالْفَالِ (٢٢٢٣)، وَأَبُو دَاوُدَ فِي الطَّبِّ بَابُ فِي الطَّيْرَةِ (٣٩١٦)، وَابْنُ مَاجَةَ فِي الطَّبِّ، بَابُ: مَنْ كَانَ يَعْجِبُهُ الْفَالُ وَيَكْرَهُ الطَّيْرَةَ (٣٥٣٧).

أبو هريرة يرفعه: «إذا ظننتم فلا تُحَقِّقُوا، وإذا تطيَّرتُم فامضُوا، وعلى الله فتوكلُوا»<sup>(١)</sup>.  
وقال **عبد الله بن عباس**: «أحسنها الفأل، ولا يَزِدُّ قَدْرًا، ولكن إذا رأى أحدكم ما يكره فليقل: اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت، ولا يدفع السيئات إلا أنت، ولا حول ولا قوة إلا بك»<sup>(٢)</sup>.  
وقال بعض الشعراء:

لا يَعْلَمُ المرءُ لَيْلًا ما يُصْبِحُه      إلا كواذب ما يَجْري به الفأل  
والفأل والزجر والكُفَّان كلُّهُم      مضللون ودون الغيب أفتال  
وعن النبي **ﷺ**: «القيافة والكرق والطيرة من الخَبَث»<sup>(٣)</sup>.

ابن عباس يرفعه: «من اقتبس علماً من النجوم اقتبس شعبة من السُّخْرِ»<sup>(٤)</sup>.  
أبو هريرة يرفعه: «من أتى كاهناً فصدقه فيما يقول فقد بَرئ مما أنزل الله على أبي القاسم»<sup>(٥)</sup>.

شاعر:

لَعَمْرُكَ ما تَدْرِي الطَّوارِقُ بِالحِصَى      ولا زاجِراث الطَّيْرِ ما اللّهُ صانعُ  
وقال آخر:

لا يُثْمِرُ مَدَنُكَ عَنِ بَغَا      الخبير تعمقاد العزائم  
فلقد عَدَوْتُ وَكُنْتُ لا      أغدو على راقٍ وحائم  
فلذا الأثائمُ كالآيما      مِن والأيا مَنُ كالآثائم  
وكذاك لا خَبِيرٌ ولا      شرٌّ على أحدٍ بدائم  
تفاهل هشامُ بن عبد الملك بنصر بن سيار فقلده خُراسان، فبقي فيها عشر سنين.

- (١) أخرجه ابن عبد البر في «المهيد» (٦/ ١٢٥)، وابن عدي في الكامل (١١٤٣).
- (٢) أخرجه أبو داود في الطب، باب: في الطيرة (٣٩١٩)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٦٢٩٨)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٢٦٣٩٢)، والديلمي في «مسند الفردوس» (٢٠٢٠).
- (٣) أخرجه أبو داود في الطب، باب في الحظ والجلب الطير (٣٩٠٧)، وأحمد في مسند المكيين، باب: حديث قبيصة بن مخارق (١٥٤٨٥)، بلفظ: «القيافة والطيرة والطرق من الحيت».
- (٤) أخرجه أبو داود في الطب، باب في النجوم (٣٩٠٥)، وابن ماجه في الأدب، باب: تعلم النجوم (٣٧٢٦)، وأحمد في مسند بني هاشم، باب: بداية مسند عبد الله بن عباس (٢٨٣٦).
- (٥) أخرجه ابن ماجه في الطهارة، باب: النهي عن إثبات الحائض (٦٣٩)، وأحمد في باقي مسند المكثرين (٩٢٥٢)، والدارمي في الطهارة، باب: من أتى امرأته فيلبرها (١١٣٦)، بلفظ: «فقد كفر بما أنزل على محمد» بدل قوله: «يرى» مما أنزل على أبي القاسم.

وتَقَاعِلَ عَامِرُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ قَاتِلَ مَرْوَانَ بْنِ مُحَمَّدٍ بِاسْمِ وَجَلِّ لَقِيَهُ، فَسَأَلَهُ عَنْ اسْمِهِ، فَقَالَ: منصور بن سعد، قال: من أي العرب؟ قال: من سَعْدِ الْعَشِيرَةِ، فَاسْتَصْحَبَهُ وَطَلَبَ مَرْوَانَ فَظَفِرَ بِهِ وَقَتْلَهُ.

وتَقَاعِلَ الْمَأْمُونُ بِمَنْصُورِ بْنِ بِشَامٍ فَكَانَ سَبَبَ مَكَانَتِهِ عِنْدَهُ.  
قالوا: إنما أصل اليد الْيُسْرَى الْعُسْرَى، إلا أَنَّهُمْ أَبَدَلُوا الْيُسْرَى مِنَ الْبَسْرِ تَقَاوُلًا.  
مَزْرُودُ بْنُ ضِرَارٍ:

وَأَتَيْتُ امْرُؤًا لَا تَقْشَعِرُ ذَوَابِنِي مِنْ الذَّلْبِ يَعْوِي وَالْغَرَابِ الْمَحْجَلِ الْكَمَيْتِ:

وَلَا أَنَا مَتْنٌ يَزْجُرُ الطَّيْرَ مَهْمَا أَصَاحَ غُرَابًا أَمْ تَعْرِضُ نَعْلَبُ  
وقال بعض العرب: خرجت في طلب ناقة ضلّت لي، فسمعت قائلًا يقول:

وَلَسْتُ بِمَعْتٍ لَهَا بُفَاةٌ فَمَا الْبِفَاةُ بِوَأَجِدِينَا

فلم أنظير ومضيت لوجهي، فلقيني رجلٌ يبيع الوجه به ما شئت من عاهة، فلم أنظير وتقدّمت فلاحت لي أكمة فسمعت منها صائحًا:

وَالشَّرَّ يَلْقَى مَطَالِيعَ الْأَكْمِ

فلم أكتثر ولا انثنيت وعلوتها، فوجدت ناقتي قد تفاجت للولادة فتنتجتها، وعدت إلى منزلي بها ومعها ولدها.

وقيل لعليّ عليه السلام: لا تحاربهم اليوم فإن القمر في العُقُوبِ، فقال: قَمَرُنَا أَمْ قَمَرُهُمْ أَوْ رُؤْيٍ عَنْهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ كَانَ يَكْرَهُ أَنْ يُسَافَرَ أَوْ يَتَزَوَّجَ فِي مَحَاقِ الشَّهْرِ، وَإِذَا كَانَ الْقَمَرُ فِي الْعُقُوبِ.

وروي أن ابن عباس قال على منبر البصرة: إن الكلاب من الحنّ وإن الحنّ من ضُعفاء الجنّ، فإذا غشيكم منهم شيء فآلقوا إليه شيئاً أو اطردوه، فإن لها أنفُسَ سوء.

وقال أبو عثمان الجاحظ: كان علماء الفُرس والهند وأطبّاء اليونانيين ودُعاة العرب وأهل التجربة من نازلة الأمصار وحذاق المتكلمين يكرهون الأكل بين يدي السباع يخافون عيونها للذي فيها من التَّهَمِ وَالْقَرَّةِ، ولما ينحلّ عند ذلك من أجوافها من البخار الرديء، وينفصل من عيونها ممّا إذا خالط الإنسان نقض بنية قلبه وأفسده. وكانوا يكرهون قيام الخدم بالمُذَابِ وَالْأَشْرِيَةِ عَلَى رُؤُوسِهِمْ خَوْفًا مِنْ أَعْيُنِهِمْ وَشِدَّةِ مَلاحِظَتِهِمْ لِإِيَّاهُمْ، وكانوا يأمرّون بإشباعهم قبل أن يأكلوا، وكانوا يقولون في الكلب والسَّتُورِ إمّا أَنْ يُطَرَّهَ أَوْ يُشْغَلَ بِمَا يُطَرِّحُ لَهُ.

وقالت الحكماء: نفوسُ السَّباعِ أردأُ النفوسِ وأخبثُها لَفَرَطُ شَرِّها وشَرِّها. قالوا: وقد وجدنا الرجل يضرب الحية بعضاً فيموت الضارب والحية، لأن سَمَ الحيةِ فُصِّلَ منها حتى خالط أحشاء الضارب وقلْبُه، ونفذ في مَسَامٍ جسده.

وقد يُدِيمُ الإنسانُ النظرَ إلى العينِ المحمَّرة فتعتري عينه حمرة، والتشاوب يُعدي إعداءً ظاهراً، ويكره دَنُو الطامثِ من اللَّبنِ لتسوطه، لأن لها رائحةً وبُخاراً يُفْسِدُ اللَّبنَ المُسَوِّطَ.

وقال الأصمعي: رأيت رجلاً عيوناً كان يذكُر عن نفسه أنه إذا أعجبه شيء وجدَّ حرارة تخرج من عينه.

وقال أيضاً: كان عندنا عيوان فمَرَّ أحدهما بحَوْضٍ من حجارة، فقال: تالله ما رأيتُ كالـيـومِ حَوْضاً! فانصدع فَلَقتَينِ، فمَرَّ عليه الثاني، فقال: وأبيك لعلَّما ضرزت أهلك فيك! فتطير أربع يَلَقُ.

وسمع آخر صوت بَوَلٍ من وراء جدار حائط، فقال: إنك كثيرُ السُّخْبِ، فقالوا: هُوَ أَبْنُكَ! فقال: أوه انقطع ظَهْرُه! فقيل: لا بأس عليه إن شاء الله، فقال: والله لا يَبُولُ بَعْدَها أبداً، فما بال حتى مات.

وسَمِعَ آخَرَ صوت سُخْبٍ ناقِةٍ بِقُوَّةٍ فأعجبه، فقال: أبتن هذه؟ فوروا بأخرى عنها، فهلكتا جميعاً، المورى بها والمورى عنها.

قال رجل من خاصَّةِ المنصور له قبل أن يقتل أبا مسلم بيوم واحد: إني رأيتُ اليوم لأبي مسلم ثلاثاً تطيرت له منها. قال: ما هي؟ قال: ركب فوقعتْ فَلَنَسُوتهُ عن رأسه، فقال المنصور: الله أكبر! تَبِعها والله رأسه، فقال: وكبأ به فرسه، فقال: الله أكبر! كبأ والله جَدُّه، وأصلد زَنْدُه، فما الثالثة؟ قال: إنه قال لأصحابه: أنا مقتول، وإنما أخادع نفسي، وإذا رجلاً يُنادي آخر من الصحراء: اليوم آخر الأجل يا فلان. فقال: الله أكبر! انقضى أجله إن شاء الله، وانقطع من الدنيا أثره. فقيل في غد ذلك اليوم.

تجهزُ التابعةُ الذبياني للـغزو - واسمه زياد بن عمرو - مع زَيَّان بن سَيَّار الفزاري فلما أراد الرحيل سقطت عليه جُرادة فتطير، وقال: ذات لَوْنين تجرد، غُرِّي من خرج، فأقام، ولم يلتفت زَيَّان إلى طيرته، فذهب وَرَجَعَ غانماً، فقال:

تطير طيرة يوماً زياد	لتخبره وما فيها خبير
أقام كأن لقمان بن عاد	أشار له بحكمته مُشير
نعم لم أنه لا طير إلا	على متطير وهو الثبور
بلى شيء يوافق بعض شيء	أحايبنا وباطله كثير

حضر عمر بن الخطاب الموسم، فصاح به صائح: يا خليفة رسول الله، فقال رجل من بني لهب، وهم أهل عيافة وزجر: دعاه باسم ميت، مات والله أمير المؤمنين عليه السلام، فلما وقف الناس للجمار إذا حصاة صكت صلعة عمر، فأدبها منها، فقال ذلك القاتل: أشعر والله أمير المؤمنين، لا والله ما يقف هذا الموقف أبداً، فقتل عمر قبل أن يحول الحول. وقال كثير بن عبد الرحمن:

تيممت لهباً أبغني الجلم عندها      وقد صار علم العائفين إلى لهب  
كان للعرب كاهنان اسم أحدهما شيق، وكان نصف إنسان، واسم الآخر سطيع، وكان يطوى طي الحصر، ويتكلمان بكل أعجوبة في الكهانة، فقال ابن الرومي:

لك رأي كأنه رأي شيق      وسطيح قريعي الكهان  
يستشف الغيوب عما تواري      بعينون جلية الإنسان  
وقال أبو عثمان الجاحظ: كان مسلمة قبل أن يتنبأ يدور في الأسواق التي كانت بين دور العرب والعجم كسوق الأبله وسوق بقّة وسوق الأنبار وسوق الحيرة يلتبس تعلم الحيل والتبرنجيات واحتيالات أصحاب الرقي والمعازم والنجوم، وقد كان أحكم علم الحزاة<sup>(١)</sup> وأصحاب الزجر والخط، فعمد إلى بيضة فصب إليها خلأ حاذقاً قاطعاً، فلأنت، حتى إذا مدها الإنسان استطالت ودقت كالعلك، ثم أدخلها قارورة ضيقة الرأس وتركها حتى انضمت واستدارت وجمدت، فعادت كهيتها الأولى، فأخرجها إلى قوم وهم أعراب واستغواهم بها، وفيه قيل:

ببيضة قارور وراية شادين      وتوصيل مقطوع من الطير حاذق  
قالوا: أراد براية الشادن التي يعملها الصبي من القيرطاس الرقيق، ويجعل لها ذنباً وجناحين ويرسلها يوم الرّيح بخيط طويل.

كان مسلمة يعمل رايات من هذا الجنس، ويعلق فيها الجلاجل، ويرسلها ليلاً في شدة الريح، ويقول: هذه الملائكة تنزل عليّ، وهذه خشخشة الملائكة وزجلها، وكان يصل جناح الطير المقصوص بريش معه فيطير ويستغوي به الأعراب. شاعر في الطيرة:

وأمنع الباسمين الغص من حذري      عليك إذ قيل لي نصف اسمي ياس  
وقال آخر:

أهدت إليه سفيرجلاً فتطيراً      منه وظل مفكراً مستعبراً

(١) الحزاة: الكهانة. القاموس، مادة (حزو).



خوف الفراق لأن شطر هجائه      سَفَرٌ وَحُقُّ لَه بِأَنْ يَنْطَيِّرَا  
وقال آخر:

يا ذا الذي أهدى لنا سَوْسَنًا      ما كنت في إهدائه محسنا  
نصف اسمه سَوْ فَقَدْ ساءني      يا ليت أني لم أر السَّوْسَنَا  
ومثله:

لا تراني طُلُوال دُفٍّ      يري أموي التُّقائِقَا  
إن يكن يُشبهه الخدو      د فنصف اسمه ثَقَا  
وكانوا يتغاملون بالأسى لدوامه، ويتطَيرون من الترجس لسرعة انقضائه، ويسمونه القَدَار.  
وقال العباس بن الأحنف:

إن الذي سَمَّاكَ يا منيَتي      بالترجس القَدَار ما أنصفا  
لرأته سَمَّاكَ بالأسوة      وفيه إن الأسَّ أهلُ السَّوفا  
خرج كثير يريد عَزَّةَ ومعه صاحبٌ له من نَهْدٍ، فرأى غراباً ساقطاً فوق بَانَةٍ يَنْتِف ريشه، فقال  
له التَّهْدِي: إن صَدَقَ الطَّيْرُ فَقَدْ مَاتَ عَزَّةَ، فوافى أهلها وقد أخرجوا جَنَازَتَهَا، فقال:

وما أغيَفَ النهديُّ لا دَرَّ دَرَّةٌ      وأزجره للطير لا عَرَّ ناصِرَةٌ  
رايتُ غراباً ساقطاً فوق بَانَةٍ      ينتف أصلى ريشه ويطايرَةٌ  
فقال غرابٌ لا غتراب، وبَانَةٌ      لبين، وفقد من حبيبٍ ثَعَايرَةٌ  
وقال الشاعر:

وسميتُه يحيى ليحيا ولم يكن      إلى رَدِّ حُكْمِ اللَّهِ فيه سَبيلُ  
تيمنتُ فيه الفأل حين رَزَقْتُهُ      ولم أدِرْ أن الفأل فيه يَفيلُ

فأما القول في السحر فإن الفقهاء يشبهونه ويقولون: فيه القَوْد، وقد جاء في الخبر أن  
رسول الله ﷺ سحره لَيْدُ بن أعصَمَ اليهودي حتى كان يُخِيلُ إليه أنه عَولَ الشيء ولم يَعْمَلْهُ<sup>(١)</sup>.  
وروي أن امرأة من يهود سحرته بِشَرٍّ وقصاص وجعلت السحر في بئر، وأن الله تعالى ذلَّه  
على ذلك، فبعث علياً عليه السلام فاستخرجه وقتل المرأة<sup>(٢)</sup>.

(١) أخرجه البخاري في بدي الخلق، باب: صفة إيليس وجنوده (٢٢٦٨)، ومسلم في السلام، باب:  
في السحر (٢١٨٩)، وابن ماجه في الطب، باب السحر (٣٥٤٥)، وأحمد في باقي مسند  
الأنصار، باب: حديث السيدة عائشة (٢٣٧٧٩).

(٢) شعراء النصرانية: ٢٣٥ في وصف سنة ومجاعة.

وقوم من المتكلمين يثنون هذا عنه عليه السلام، ويقولون: إنه معصوم من مثله.  
والفلاسفة تزعم أن السحر من آثار النفس الناطقة، وأنه لا يبعد أن يكون في النفوس نفس  
تؤثر في غير بدنها المرض والحُب والبُغض ونحو ذلك، وأصحاب الكواكب يجعلون للكواكب  
في ذلك تأثيراً، وأصحاب خواص الأحجار والنبات وغيرها يُسندون ذلك إلى الخواص،  
وكلام أمير المؤمنين عليه السلام دالٌّ على تصحيح ما يدعى من السحر.  
وأما العَدْوَى فقد قال رسول الله ﷺ: «لا عدوى في الإسلام»<sup>(١)</sup>. وقال لمن قال: أعدى  
بعضها بعضاً - يعني الإبل - : فمن أعدى الأول؟ وقال: «لا عدوى ولا هامة ولا صَفَر»<sup>(٢)</sup>،  
فالعدوى معروفة، والهامة: ما كانت العرب تزعمه في المقتول لا يؤخذ بشأه، والصَفَر: ما  
كانت العرب تزعمه من الحيّة في البطن تعض عند الجوع.

### أخبار حول مذاهب العرب وتخيّلاتها

وسنذكرها هنا نكتاً مُتَبَعَةً من مذاهب العرب وتخيّلاتها، لأن الموضوع قد ساقنا إليه، أنشد  
هشام بن الكلبي لامية بن أبي الصلت:

سَنَةُ أَزْمَةٍ تُبْرِحُ بَالِنَا	مِنْ تَرَى لِلْعِضَاءِ فِيهَا صَرِيرَا
لَا عَلَى كَرْكِبٍ تَنْوُو وَلَا رِيَا	حِجْ جَنْوِبٍ وَلَا تَسْرِ طُخْرُورَا
وَيُسْقَوْنَ بِأَقْرَ السَّهْلِ لِلطُّورِ	دِمَهازِيلَ خَشْبَةً أَنْ تَبُورَا
عَاقِدِينَ النُّيْرَانَ فِي تُكْنِ الْأَذَى	نَابَ مِنْهَا لَكِي تَهِيَجَ الْبُحُورَا
سَلَعٌ مَا وَمِثْلُهُ عُشْرٌ مَا	عَايِلٌ مَا وَعَالَتِ الْبَيْقُورَا

يُروى أن عيسى بن عمر قال: ما أدري معنى هذا البيت! ويقال: إن الأصمعيّ صحف فيه،  
فقال: «وَعَالَتِ الْبَيْقُورَا» بِالْعَيْنِ الْمُعْجَمَةِ، وفسره غيره فقال: عَالَتْ بمعنى أثقلت البقر بما  
حملتها من السَّلَعِ والعُشْرِ، والْبَيْقُور: البقر. وعائل: غالب، أو مُثْقَل.

وكانت العرب إذا أُجْدِبَتْ وأمسكت السماء عنهم وأرادوا أن يُسْتَمَطَّرُوا عَمَدُوا إِلَى السَّلَعِ  
وَالْعُشْرِ فَحَزَمُوهُمَا وَعَقَدُوهُمَا فِي أَذْنَابِ الْبَقَرِ، وَأَضْرَمُوا فِيهَا النَّيْرَانَ، وَأَصْعَدُوها فِي جَبَلٍ  
وَعَرٍ، وَاتَّبَعُوها يَدْعُونَ اللَّهَ وَيَسْتَشْفِقُونَهُ، وَإِنَّمَا يَضْرِمُونَ النَّيْرَانَ، فِي أَذْنَابِ الْبَقَرِ تَفَاوُلًا لِلْبَرَقِ  
بِالنَّارِ، وَكَانُوا يَسُوقُونَهَا نَحْوَ الْمَغْرِبِ مِنْ دُونِ الْجِهَاتِ. وَقَالَ أَهْرَابِي:

(١) أخرجه مسلم في صحيحه بما معناه: ٣١/٧.

(٢) أخرجه البخاري في الطب، باب: لا هامة (٥٧٥٧)، ومسلم في السلام، باب: لا عدوى  
(٢٢٢٠)، وأبو داود في الطب باب: في الطيرة (٣٩١١)، وابن ماجه في الطب، باب: من كان  
يعجبه النّال (٣٥٣٩).

شَفَعْنَا بِبِقُورٍ إِلَى هَاطِلِ الْحَيَا فَلَمْ يُغْنِ عَنَّا ذَاكَ بَلْ زَادَنَا جَذْبًا  
فَعُدْنَا إِلَى رَبِّ الْحَيَا فَأَجَارَنَا وَصِيرَ جَذَبِ الْأَرْضِ مِنْ عِنْدِهِ يَخْضِبَا  
وقال آخر:

قُلْ لِبَنِي نَهْشَلٍ أَصْحَابِ الْحَوْزِ: أَنْتَظِلُّونَ الْغَيْثَ جَهْلًا بِالْبَقَرَا  
وَسَلِّحْ مِنْ بَعْدِ ذَاكَ وَعُشْرُ لَيْسَ بِذَا يُجَلِّلُ الْأَرْضَ الْمَطَرُ

ويمكن أن يُحتمل تفسير الأصمعي على محمل صحيح، فيقال: غالت بمعنى أهلكث، يقال: غالته كذا وَاغْتَالَهُ أَي أَهْلَكَهُ، وَغَالَتْهُمْ غَوْلٌ، يعني المنيّة، ومنه الغَضْبُ غَوْلُ الْحَلَمِ.

وقال آخر:

لَمَّا كَسَوْنَا الْأَرْضَ أَذْنَابَ الْبَقَرِ بِالسَّلْعِ الْمَعْقُودِ فِيهَا وَالْعُشْرُ  
وقال آخر:

يَا كُحْلُ قَدْ أَتَقَلَّتْ أَذْنَابُ الْبَقَرِ بِسَلْعٍ يَمُقَدِّ فِيهَا وَعُشْرُ  
فَهَلْ تَجُودِينَ بِبَرَقِي وَمَطَرُ

وقال آخر يعيب العربَ بِفَعْلِهِمْ هَذَا:

لَا دَرَّ ذَرَّ رَجَالٍ خَابَ سَعْيُهُمْ يَسْتَمْطِرُونَ لَدَى الْإِعْسَارِ بِالْعُشْرِ  
أَجَاعِلُ أَنْتَ بَيَقُورًا مَسْلَعَةً ذَرِيعَةً لَكَ بَيْنَ اللَّهِ وَالْمَطَرِ

وقال بعضُ الأذكياء: كُلُّ أَمَةٍ قَدْ تَخَذُوا فِي مَذَاهِبِهَا مَذَاهِبَ بِلَّةٍ أُخْرَى، وَقَدْ كَانَتْ الْهِنْدُ تَزْعُمُ أَنَّ الْبَقَرَ مَلَائِكَةُ سَخَطِ اللَّهِ عَلَيْهَا فَجَعَلَهَا فِي الْأَرْضِ، وَأَنَّ لَهَا عِنْدَهُ حَرَمَةً، وَكَانُوا يُلْطَخُونَ الْأَبْدَانُ بِأَخْثَانِهَا، وَيَغْسِلُونَ الْوُجُوهَ بِبَوْلِهَا وَيَجْعَلُونَهَا مُهَوَّرَ نِسَائِهِمْ، وَيَتَبَرَّكُونَ بِهَا فِي جَمِيعِ أَحْوَالِهِمْ، فَلَعَلَّ أَوَائِلَ الْعَرَبِ حَدَّثُوا هَذَا الْحَدِيثَ، وَاتَّهَجُوا هَذَا الْمَسْئَلَةَ.

وَاللَّعَرَبُ فِي الْبَقَرِ خِيَالٌ آخَرُ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ إِذَا أَوْرَدَوْهَا فَلَمْ تَرِدْ، ضَرَبُوا الثَّوْرَ لِيَقْتَحِمَ الْمَاءَ، فَتَقْتَحِمَ الْبَقَرُ بَعْدَهُ، وَيَقُولُونَ: إِنَّ الْجَنَّ تَصُدُّ الْبَقَرَ عَنِ الْمَاءِ، وَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَرْكَبُ قَرْنَيْ الثَّوْرِ، وَقَالَ قَائِلُهُمْ:

إِنِّي وَقَتْلِي سُلَيْكًا حِينَ أَغْرِقُهُ كَالثَّوْرِ يُضْرَبُ لَمَّا عَافَتْ الْبَقَرُ  
وقال نَهْشَلُ بْنُ حَرِيٍّ:

كَذَاكَ الثَّوْرُ يُضْرَبُ بِالْهَرَاوِي إِذَا مَا عَافَتْ الْبَقَرُ الظَّمَاءَ  
وقال آخر:

كَالثَّوْرُ يُضْرَبُ لِلْوَرُو إِذَا تَمَسَّعَتِ الْبَقَرُ

فَإِنْ كَانَ لَيْسَ إِلَّا هَذَا فَلَيْسَ ذَاكَ بِعَجِيبٍ مِنَ الْبَقْرِ وَلَا بِمَذْقَبٍ مِنْ مَذَاهِبِ الْعَرَبِ: لِأَنَّهُ قَدْ يَجُوزُ أَنْ تَمْتَنِعَ الْبَقْرُ مِنَ الْوُرُودِ حَتَّى يَرِدَ الثَّوْرُ كَمَا تَمْتَنِعُ الْغَنَمُ مِنْ سُلُوكِ الطَّرِيقِ أَوْ دُخُولِ الدَّوْرِ وَالْأَخْيَةِ حَتَّى يَتَقَدَّمَهَا الْكَيْشُ أَوْ النَّيْسُ، وَكَالْنَحْلِ تَتَّبِعُ الْيَغْسُوبَ، وَالْكَرَاكِي تَتَّبِعُ أَمِيرَهَا، وَلَكِنَّ الَّذِي تَدُلُّ عَلَيْهِ أَشْعَارُهَا أَنَّ الثَّوْرَ يَرِدُ وَيَشْرَبُ وَلَا يَمْتَنِعُ، وَلَكِنَّ الْبَقَرَ تَمْتَنِعُ وَتَعَاثُ الْمَاءَ وَقَدْ رَأَتْ الثَّوْرَ يَشْرَبُ، فَحِثَّ ذَلِكَ يُضْرَبُ الثَّوْرُ مَعَ إِجَابَتِهِ إِلَى الْوُرُودِ فَتَشْرَبُ الْبَقْرُ عِنْدَ شُرْبِهِ، وَهَذَا هُوَ الْعَجَبُ، قَالَ الشَّاعِرُ:

فَلَيْتُنِي إِذْ ذُنُ كَالثَّوْرِ يُضْرَبُ جَنْبُهُ إِذَا لَمْ يَعْثُ شَرِبًا وَعَاثَتْ صَوَاجِبُهُ  
وَقَالَ آخَرُ:

فَلَا تَجْعَلُونِي كَالْبَقِيرِ وَفَعَلَهَا يَكْسُرُ ضَرْبًا وَهُوَ لِلْوَرْدِ طَائِعُ  
وَمَا ذَنْبُهُ إِنْ لَمْ يَرِدْ بِقَرَاتِهِ وَقَدْ فَاجَأَتْهَا عِنْدَ ذَاكَ الشَّرَائِعُ  
وَقَالَ الْآخَرُ:

لِكَالْثَّوْرِ وَالْجَنْتِيِّ يُضْرَبُ وَجْهُهُ وَمَا ذَنْبُهُ إِنْ عَاثَتْ الْمَاءَ مَشْرِبًا  
وَمَا ذَنْبُهُ إِنْ عَاثَتْ الْمَاءَ بِاقْتِرُ وَمَا إِنْ يَعْاثُ الْمَاءَ إِلَّا لِيُضْرِبَا

قَالُوا فِي تَفْسِيرِهِ: لَمَّا كَانَ امْتِنَاعُهَا بِتَعَقُّبِهِ الضَّرْبَ، حَسُنَ أَنْ يُقَالَ: عَاثَتْ الْمَاءَ لِتُضْرَبَ، وَهَذِهِ اللَّامُ هِيَ لَامُ الْعَاقِبَةِ، كَقَوْلِهِ: «لِدُّوا لِلْمَوْتِ»، وَعَلَى هَذَا فَسَّرَ أَصْحَابُنَا قَوْلَهُ سَبَحَانَهُ: «وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ النَّارِ وَالْإِنسِ» (١).

وَمِنْ مَذَاهِبِ الْعَرَبِ أَيْضًا تَعْلِيقُ الْحَلِيِّ وَالْجَلَّاجِلِ عَلَى اللَّدِيغِ يَرَوْنَ أَنَّهُ يُفِيقُ بِذَلِكَ، وَيُقَالُ: إِنَّهُ إِنَّمَا يَعْلَقُ عَلَيْهِ لِأَنَّهُمْ يَرَوْنَ أَنَّهُ إِنْ نَامَ يَسْرِى السَّمُّ فِيهِ فَيَهْلِكُ، فَشَعَلَوْهُ بِالْحَلِيِّ وَالْجَلَّاجِلِ وَأَصْوَاتُهَا عَنِ النَّوْمِ، وَهَذَا قَوْلُ النَّضْرِ بْنِ شَمِيلٍ، وَبَعْضُهُمْ يَقُولُ: إِنَّهُ إِذَا عَلِقَ عَلَيْهِ حَلِي الذَّهَبِ بَرًّا، وَإِنْ عَلِقَ الرُّصَاصَ أَوْ حَلِي الرُّصَاصِ مَاتَ.

وَقِيلَ لِبَعْضِ الْأَعْرَابِ: أَتُرِيدُونَ شُهْرَةً؟ فَقَالَ: إِنَّ الْحَلِيَّ لَا تُشْهَرُ، وَلَكِنَّهَا سُنَّةٌ وَرِثَانَا.  
وَقَالَ النَّابِغَةُ:

فَبِتَ كَانِي سَاوَرْتُنِي ضَمِيلَةً مِنْ الرُّقْشِ فِي أَنْيَابِهَا السَّمُّ نَاقِعُ  
يُسَهِّدُ مِنْ لَيْلِ الثَّمَامِ سَلِيمُهَا لِجَلِي النِّسَاءِ فِي يَدِيهِ قَعَايِقُ  
وَقَالَ بَعْضُ بَنِي عُذْرَةَ:

كَانِي سَلِيمٌ نَالَهُ كُلُّمُ حَيَّةٌ تَرَى حَوْلَهُ حَلِي النِّسَاءِ مَرْمَعَا

وقال آخر:

وقد غُلِّمُوا بِالْبُظْلِ فِي كُلِّ مَوْضِعٍ وَعُرُوا كَمَا عَرَّ السَّلِيمَ الْجَلَّاجِلُ  
وقال جَمِيلٌ وَطُرِفَ فِي قَوْلِهِ، وَلَوْ قَالَ الْعَبَّاسُ بْنُ الْأَحْنَفِ لَكَانَ ظَرِيفاً:

إِذَا مَا لَدَيْكَ أَمْرٌ الْحَلِيُّ دَاءَهُ فَحَلِيكَ أَمْسَى يَا بُيُوتَ دَائِيَا  
وقال عُثْمَانُ التَّبَّهَانِيُّ وَهُوَ يُؤَكِّدُ قَوْلَ النَّضْرِ بْنِ شُمَيْلٍ:

فَبِتُّ مُعْتِئاً بِالْهَمُومِ كَأَنِّي سَلِيمٌ نَقَى عَنْهُ الرُّقَادَ الْجَلَّاجِلُ  
ومثله قول الآخر:

كَأَنِّي سَلِيمٌ سَهَّدَ الْحَلِيَّ عَيْنَهُ فَرَأَيْتُ مِنَ لَيْلِ الثَّمَامِ الْكَوَاكِبَا  
وَشَبَّهَ مَذْهَبَهُمْ فِي ضَرْبِ الثَّوْرِ مَذْهَبَهُمْ فِي الْعَرِّ يَصِيبُ الْإِبِلَ فَيُكْوِي الصَّحِيحَ لَيِّباً السَّقِيمَ.  
وقال النابغة:

وَكَلَّفْتَنِي ذَنْبَ امْرِئٍ وَتَرَكْتَهُ كَذِي الْعَرِّ يَكْوِي غَيْرَهُ وَهُوَ رَائِعُ  
وقال بعض الأعراب:

كَمَنْ يَكْوِي الصَّحَّاحَ يَرُومُ بُزْأً بِهِ مِنْ كُلِّ جَرَبَاءِ الْإِهَابِ  
وهذا البيت يُبْطِلُ رَاوِيَهُ مَنْ رَوَى بَيْتَ النَّابِغَةِ «كَذِي الْعَرِّ» بِضَمِّ الْعَيْنِ، لِأَنَّ الْعَرَّ بِالضَّمِّ:  
فَرَحٌ فِي مَشَاوِرِ الْإِبِلِ غَيْرِ الْجَرَبِ، وَالْعَرُّ بِالْفَتْحِ: الْجَرَبُ نَفْسُهُ، فَإِذَا ذَلَّ الشَّعْرُ عَلَى أَنَّهُ يَكْوِي  
الصَّحِيحَ لَيِّباً الْأَجْرَبِ، فَالْوَاجِبُ أَنْ يَكُونَ بَيْتُ النَّابِغَةِ «كَذِي الْعَرِّ» بِالْفَتْحِ.

ومثله هذا البيت قول الآخر:

فَالزَّمْنِي ذَنْباً وَغَيْرِي جَرَّهُ حَنَانِيكَ لَا يُكْوِي الصَّحِيحُ بِأَجْرِي  
إِلَّا أَنْ يَكُونَ إِطْلَاقُ لَفْظِ الْجَرَبِ عَلَى هَذَا الْمَرَضِ الْمَخْصُوصِ مِنْ بَابِ الْمَجَازِ لِمِشَابَهَةِ  
له.

وَمِنْ تَخِيلَاتِ الْعَرَبِ وَمَذَاهِبِهَا أَنَّهُمْ كَانُوا يَقْفُوزُونَ عَيْنَ الْفَحْلِ مِنَ الْإِبِلِ إِذَا بَلَغَتْ أَلْفاً،  
كَأَنَّهُمْ يَذْفَعُونَ الْعَيْنَ عَنْهَا، قَالَ الشَّاعِرُ:

فَبَقْنَا عِيوناً مِنْ نُحُولِ بَهَازِيرٍ وَأَنْتُمْ بَرَقِي الْبُهْمِ أَوْلَى وَأَجْدَرُ  
وقال آخر:

وَمَبْنَتْهَا وَكُنْتُ ذَا امْتِنَانٍ تَفَقَّأَ فِيهَا أَعْيُنُ الْبُغْرَانِ  
وقال الآخر:

أَعْطَيْتُهَا أَلْفاً وَلَمْ تَبْخَلْ بِهَا فَفَقَاتَ عَيْنٌ فُحِّلَ لَهَا مُغْنَا

وقد ظن قوم أن بيت الفرزدق وهو:

عَلَبْتُكَ بِالمُفْقِيءِ والمُعْنَى      وبيت المحتسبي والخافقات  
من هذا الباب، وليس الأمر على ذلك، وإنما أراد بالفقه قوله لجريز:

ولست ولو فقا عنيك واجداً      أخاً كلقبيط أو أباً مثل دارم  
وأراد بالمعنى قوله لجريز أيضاً:

وإنك إذ تسقى لشدرك دارماً      لأنت المعنى يا جريز المكلف  
وأراد بقوله: «بيت المحتسبي» قوله:

بيت زارة مختبٍ بغنائيه      ومجاشع وأبو الفوارس نهشل  
وبيت الخافقات، قوله:

ومعصّب بالثاج يخفيق فروقه      خرق الملوك له خميس جحفل

فأما مذهبهم في البلية، وهي ناقة تعقل عند القبر حتى تموت، فمذهب مشهور، والبلية أنهم إذا مات منهم كريم بلوا نافته أو بعيره، فعكسوا عنقها، وأداروا رأسها إلى مؤخرها، وتركوها في حفرة لا تطعم ولا تسقى حتى تموت، وربما أحرقت بعد موتها، وربما سليخت وملئ جلدها ثمناً. وكانوا يزعمون أن من مات ولم يُبلّ عليه خير ماضياً، ومن كانت له بلية خسر ركباً على بليته، قال جريرة بن الأشيم الفقيسي لابنه:

يا سفد إما أهلكن فلأنني      أوصيك إن أخا الوصاة الأقرب  
لا أغرفن أباك يحشر خلقكم      نعيماً يُجرى على البدين ونكب  
واحمل أباك على بعير صالح      وثقي الخطيئة إنه هو أصوب  
ولعل لي ممّا جمعت مطية      في الحشر أركبها إذا قيل اركبوا  
وقال جريرة أيضاً:

إذا ميت فادفنتي بجذاة ما بها      سوى الأصرخين أو يفوز ركب  
فإن أنت لم تعفر علي مطيتي      فلا قام في مال لك الدهر جالب  
ولا تدفنتي في سوى وادفنتني      بذنومة تنزو عليها الجنادب

وقد ذكرت في مجموعي المسمى «بالعقري الحسن» أن أبا عبد الله الحسين بن محمد بن جعفر الخالعه رحمه الله ذكر في كتابه في آراء العرب وأدبائها هذه الأبيات، واستشهد بها على ما كانوا يعتقدون في البلية، وقلت: إنه وهم في ذلك، وإنه ليس في هذه الأبيات دلالة على هذا المعنى، ولا لها به تعلق، وإنما هي وصية لولده أن يعفر مطيته بعد موته، إما لكيلا يركبها غيره

بعده، أو على هيئة القُرْبَان كَالْهَذِي المَعْقُور بِمَكَّة، أو كما كانوا يَعْقِرُونَ عند القبور، ومذهبهم في العَقْر على القبور، كقول زياد الأعجم في المغيرة بن المهلب:

إِنَّ السَّمَاخَةَ وَالْمَرْوَةَ ضُفُنَا      قَبْرًا بِمَرْوٍ عَلَى الطَّرِيقِ الْوَاضِحِ  
فَإِذَا مَرَرْتُ بِقَبْرِهِ فَاعْقِرْ بِهِ      كَوْمَ الْهَجَانِ وَكُلَّ طَرْفٍ سَابِحٍ  
وقال الآخر:

نَفَرْتُ قَلْبُوصِي عَنْ حِجَارَةِ حَرَّةٍ      بُنِيتَ عَلَى طَلْقِ الْيَدَيْنِ وَهَوْبِ  
لَا تُنْفِرِي يَا نَأَقُ مِنْهُ فَإِنَّهُ      شِرْيَبٌ خَمْرٍ يَسْتَمِرُّ لِحُرُوبِ  
لَوْلَا السُّفَارُ وَتُعَدُّ خَرْقِي مَهْمُومٍ      لَتَرَكْتُهَا تَحْبُو عَلَى الْمُعْرُوبِ

ومذهبهم في العَقْر على القبور مشهور، وليس في هذا الشعر ما يدل على مذهبهم في البلية، فَإِنَّ ظَنَّ ظَانَ أَنَّ قَوْلَهُ: «أَوْ يُقَوِّزُ رَاكِبٌ»، فيه إيماء إلى ذلك، فليس الأمر كما ظنت. ومعنى البيت ادْفَنِي بِفَلَاحٍ جَدَاءٍ مَقْطُوعَةٍ عَنِ الْإِنْسِ، ليس بها إِلَّا الذُّبُّ وَالْغُرَابُ، أو أن يعتسف راكِبُهَا الْمَفَازَةَ وَهِيَ الْمَهْلَكَةُ، سَمَوَهَا مَفَازَةٌ عَلَى طَرِيقِ الْفَالِ. وقيل: إِنَّهَا تَسْمَى مَفَازَةً، مَنْ فَوَّزَ أَي هَلَكَ، فليس في هذا البيت ذِكْرُ الْبَلِيَّةِ، وَلَكِنَّ الْخَالَعَ أَخْطَأَ فِي إِيرَادِهِ فِي هَذَا الْبَابِ، كَمَا أَخْطَأَ فِي هَذَا الْبَابِ أَيْضاً فِي إِيرَادِهِ قَوْلَ مَالِكِ بْنِ الرَّيْبِ:

وَعَطَّلْتُ قَلْبُوصِي فِي الرُّكَّابِ فَإِنَّهَا      سَتُبْرِدُ أَكْبَاداً وَتُبْكِي بِوَاكِيبَا

فَظَنَّ أَنَّ ذَلِكَ مِنْ هَذَا الْبَابِ الَّذِي نَحْنُ فِيهِ، وَلَمْ يُرِدِ الشَّاعِرُ ذَلِكَ، وَإِنَّمَا أَرَادَ لَا تَرْكَبُوا رَاكِلَتِي بِعَدِي، وَعَطَّلُوهَا بِحَيْثُ لَا يَسَاهِدُهَا أَعَادِي وَأَصَادِقِي ذَاهِبَةً جَائِيَةً تَحْتَ رَاكِبِهَا، فَنَشِمَتِ الْعَدُوُّ وَبُسَاءُ الصَّدِيقِ، وَقَدْ أَخْطَأَ الْخَالَعَ فِي مَوَاضِعَ عَدَّةٍ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ، وَأَوْرَدَ أَشْعَاراً فِي غَيْرِ مَوَاضِعِهَا، وَظَنُّهَا مَنَاسِبَةً لِمَا هُوَ فِيهِ، فَمِنْهَا مَا ذَكَرْنَاهُ، وَمِنْهَا أَنَّهُ ذَكَرَ مَذْهَبَ الْعَرَبِ فِي الْحَلِيِّ وَوَضِعَهُ عَلَى اللَّدْبِغِ، وَاسْتَشْهَدَ عَلَيْهِ بِقَوْلِ الشَّاعِرِ:

يُبْلَاغِي مَنْ تَذَكَّرَ أَلَّا لَيْلَى      كَمَا يَلْقَى السَّلِيمُ مِنَ الْجِدَادِ

وَلَا وَجْهَ لِإِيرَادِ هَذَا الْبَيْتِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ، فَالْجِدَادُ مُعَاوَذَةُ السَّمِّ الْمَلْسُوعِ فِي كُلِّ سَنَةٍ فِي الْوَقْتِ الَّذِي يُبْلَغُ فِيهِ، وَلَيْسَ هَذَا مِنْ بَابِ الْحَلِيِّ بِسَبِيلِ.

وَمِنْ ذَلِكَ إِيرَادُهُ قَوْلَ الْفَرَزْدَقِ «غَلْبَتُكَ بِالْمَفْقِيءِ» فِي بَابِ فَوْءٍ غَيْرِونَ التُّعُولِ، إِذَا بَلَّغْتَ الْإِبِلَ الْفَأَ، وَقَدْ تَقَدَّمَ شَرْحُنَا لِمَوْضِعِ الْوَهْمِ فِي ذَلِكَ. وَسَنَذَكُرُ هَاهُنَا كَثِيراً مِنَ الْمَوَاضِعِ الَّتِي وَجَّهَ فِيهَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

وَمِمَّا وَرَدَ عَنِ الْعَرَبِ فِي الْبَلِيَّةِ قَوْلُ بَعْضِهِمْ:

أُبْنِي زَوْدَنِي إِذَا فَارَقْتَنِي فِي الْقَبْرِ راحلةً بِرَخْلٍ فَاتِرٍ  
لِلْبَغْتِ أَرْكُبُهَا إِذَا قِيلَ ارْكَبُوا مَسْتَوِثِقِينَ مَعَ لِحْشِرِ الْحَاثِرِ  
وَقَالَ عَزِيمُ التُّبَهَانِي:

أُبْنِي لَا تَنْسَ الْبَلِيَّةَ إِنَّهَا لِأَبِيكَ يَوْمَ نُشُورِهِ مَرْكُوبُ  
وَمِنْ تَخِيلَاتِ الْقَرْبِ وَمَذَاهِبِهَا مَا حَكَاهُ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ، قَالَ: كَانَتِ الْعَرَبُ إِذَا نَفَرَتِ النَّاقَةُ  
فَسَمِيَتْ لَهَا أُمُّهَا سَكَنَتْ مِنَ الثَّغَارِ، قَالَ الرَّاجِزُ:

أَقُولُ وَالْوَجْنَاءُ بِي تَقَعُكُمْ وَيَلِكُ قُلٌّ مَا اسْمُ أُمِّهَا يَا عَلَّكُمْ  
عَلَّكُمْ: اسْمُ عَيْدٍ لَهُ، وَإِنَّمَا سَأَلَ عَبْدَهُ تَوْعُلاً أَنْ يَعْرِفَ اسْمَ أُمِّهَا، لِأَنَّ الْعَبِيدَ بِالْإِبْلِ أَعْرَفَ،  
وَهُمْ رُعَاثَتَا. وَأَنْشَدَ السَّكْرِيُّ:

فَقُلْتُ لَهُ مَا اسْمُ أُمِّهَا هَاتِ فَادْعَهَا تُجِبْنِكُ وَيَسْكُنُ رَوْعُهَا وَيَنْفَارُهَا

ومما كانت العرب كالمجتمعة عليه الهامة، وذلك أنهم كانوا يقولون: ليس من مَيّت يموت  
ولا قَتِيل يُقْتَل، إِلَّا ويخرج من راسه هامة، فَإِنْ كَانَ قُتِلَ وَلَمْ يُوْخَذْ بِثَارِهِ نَادَتِ الْهَامَةُ عَلَى قَبْرِهِ:  
اسْقُونِي، فَإِنِّي صَدِيقَةٌ، وَعَنْ هَذَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا هَامَةَ»<sup>(١)</sup>.

وَحُكِيَ أَنَّ أَبَا زَيْدٍ كَانَ يَقُولُ: الْهَامَةُ مُشَدَّدَةُ الْمِيمِ إِحْدَى هَوَامِ الْأَرْضِ، وَأَنَّهَا هِيَ الْمَتَلَوْنَةُ  
الْمَذْكُورَةُ.

وَقِيلَ: إِنَّ أَبَا عُيَيْدٍ قَالَ: مَا أَرَى أَبَا زَيْدٍ حَفِظَ هَذَا، وَقَدْ يُسَمِّنُهَا الصَّدَى وَالْجَمْعُ أَصْدَاءُ،  
قَالَ:

وَكَيْفَ حَيَاءُ أَصْدَاءِ وَهَامٍ

وَقَالَ أَبُو دَوَادٍ الْإِيَادِي:

سُلْطَ الْمَوْتُ وَالْمَنُوتُ عَلَيْهِمْ فَلَهُمْ فِي صَدَى الْمَقَابِرِ هَامٌ  
وَقَالَ بَعْضُهُمْ لَا يَبْنِي:

وَلَا تَزُقُون لِي هَامَةً فَوْقَ مَرْقَبٍ فَإِنَّ رُقَاءَ الْهَامِ لِلْمَرُوءِ عَائِبٌ  
تُنَادِي أَلَا اسْقُونِي وَكُلَّ صَدَى بِهِ وَتِلْكَ الَّتِي تَبِيضُ مِنْهَا الذُّوَائِبُ

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي الطَّبِ، بَابُ لَا صَفَرٌ وَهُوَ دَاءٌ يَأْخُذُ الْبَطْنَ (٥٧١٧)، وَمُسْلِمٌ فِي السَّلَامِ،  
بَابُ: لَا عُدْوَى وَلَا طَيْرَةٌ وَلَا هَامَةٌ (٢٢٢٠). وَأَبُو دَاوُدَ فِي الطَّبِ، بَابُ: فِي الطَّيْرِ (٣٩١١)،  
وَابْنُ مَاجَةٍ فِي الْمَقْدَمَةِ، بَابُ: فِي الْعِلْرِ (٨٦)، وَأَحْمَدُ فِي «مُسْنَدِهِ» (١٥٠٥).



يقول له: لا تترك ثاوي إن قتلت، فإنك إن تركته صاحت هامتي: اسقوني، فإن كل صدى - وهو هاهنا العَطش - بأبيك، وتلك التي تبيض منها الذوائب، لصعوبتها وشِدَّتْها، كما يقال: أمرٌ يُشيب رأس الوليد، ويَحْتَمِل أن يريد به صُعوبة الأمر عليه، وهو مقبور إذا لم يثَارَ به، ويَحْتَمِل أن يريد به صعوبة الأمر على ابنه، يعني أن ذلك عارٌ عليك، وقال ذو الإصْبَع: يا عمرو إلا تَدْعُ شَتْمِي وَمَنْقَصَتِي أَصْرِيكَ حَيْثُ تَقُولُ الْهَامَةُ اسْقُونِي وقال آخر:

فيا وبَّ إن أهلك ولم تَرَوْ هَامَتِي بَلِيلِي أُمْتُ لَا قَبْرَ أَعْطَشُ مِنْ قَبْرِي  
ويَحْتَمِل هذا البيت أن يكون خارجاً عن هذا المعنى الذي نحن فيه، وأن يكون ويَّ هامة الذي طلبه من ربِّه هو وصالٌ لَيْلِي وهما في الدنيا. وهم يَكُونُ عما يَشْفِيهِمْ بأنه يُروِي هَامَتَهُمْ. وقال مغلّس الفَقْسي:

وإن أخاكم قد علمت مكانه بسَفْح قُبَا تَسْفِي عليه الأعاصِرُ  
له هامةٌ تَدْعُو إذا اللَّيْل جَنُّها بَنِي عامِرٍ هل للهِلالِ نائرُ  
وقال ثَوْبَةُ بن الحُمَيْر:

ولو أن لَيْلِي الأَخِيلِيَّةُ سَلَمْتُ عَلَيَّ وَدُونِي جَنْدَلٌ وَصَفَائِحُ  
لَسَلَمْتُ تَسْلِيمَ الْبَشَائِصِ أَوْزَقًا إِلَيْهَا صَدَى مِنْ جَانِبِ الْقَبْرِ صَائِحُ  
وقال قَيْسُ بن الْمُلَوَّح، وهو المَجْنُون:

ولو تلتقي أصدائنا بعد موتنا وَمِنْ دُونِنا رَمْسٌ<sup>(١)</sup> مِنْ الْأَرْضِ أَنْكَبُ  
لَقَلَّ صَدَى رَمْسِي وَإِنْ كُنْتُ رَمَةً لَصَوْتُ صَدَى لَيْلِي يَهْشُ وَيَطْرَبُ  
وقال حُمَيْدُ بنُ ثَوْر:

الأهل صَدَى أُمِّ الْوَلِيدِ مَكْلَمٌ صَدَايَ إِذَا مَا كُنْتُ رَمْسًا وَأَعْظَمَا

ومما أبطله الإسلام قولُ الْعَرَبِ بِالْصَّفَرِ، وزعموا أنَّ فِي الْبَطْنِ حَيَّةٌ إِذَا جَاعَ الْإِنْسَانُ عَضَتْ عَلَى شُرُوفِهِ وَكَبَدِهِ، وقيل: هو الْجُوعُ بَعَيْنُهُ، لَيْسَ أَنَّهَا تَعَضُّ بَعْدَ حَصُولِ الْجُوعِ، فَأَمَّا لَفْظُ الْحَدِيثِ: «لَا عُدْوَى وَلَا هَامَةٌ وَلَا صَفَرٌ وَلَا غَوْلٌ»<sup>(٢)</sup>، فَإِنَّ أَبَا عُبَيْدَةَ مَعْمَرُ بْنُ الْمَثَنِيِّ قَالَ: هُوَ صَفَرُ الشَّهْرِ الَّذِي بَعْدَ الْمُحَرَّمِ، قَالَ: نَهَى عَنْهُ عَنْ تَأْخِيرِهِمُ الْمُحَرَّمُ إِلَى صَفَرٍ، يَعْنِي مَا كَانُوا

(١) الرَّمْسُ: القبر. القاموس مادة (رمس).

(٢) تقدم تخريجه.

يفعلونه من النسيء، ولم يوافق أحد من العلماء أبا عبيدة على هذا التفسير، وقال الشاعر:  
 لَا يَتَأَرَى لِمَا فِي الْقِنْدِرِ يَرْقُبُهُ وَلَا يَعْصُ عَلَى شُرْشُوفِهِ الصَّفَرُ  
 وقال بعض شعراء بني عبس يذكر قيس بن زهير لما هجر الناس وسكن الفيافي وأبسن  
 بالوخش، ثم رأى ليلة ناراً فعشا إليها، فشم عندها قنار اللحم، فنازعته شهوته، فغلبها  
 وقهرها، ومال إلى شجرة سلم فلم يزل يكيدمها ويأكل من خبطها إلى أن مات:

إِنْ قَيْسًا كَانَ مَيْتَنَهُ كَرَمٌ وَالْحَيَّ مَنْطَلِقُ  
 شَامَ نَارًا بِالْهَوَى فَهَوَى وَشُجَاعَ الْبَطْنِ يَخْتَفِقُ  
 فِي دَرِيْسٍ لَيْسَ يَسْتُرُهُ رُبُّ حُرْثُوْبِهِ خَلَقُ  
 وقوله: «بالهوى» اسم موضع بعينه.

وقال أبو التجم العجلي:

إِنَّكَ يَا خَيْرَ فَنَى تَسْتَعِدِّي عَلَى زَمَانٍ مَسْنِيَةٍ بِجَهْدِ  
 عَضَاكَ عَصَ صَفَرٍ يَكْبِدِ

وقال آخر:

أَرَدْتُ شُجَاعَ الْبَطْنِ قَدْ تَعْلَمِينَهُ وَأَوْثَرَ غَيْرِي مِنْ عِيَالِكَ بِالطَّعَمِ

ومن خرافات العرب أن الرجل منهم كان إذا أراد دخول قرية فخاف وباءها أو جنّها، وقف  
 على بابها، قبل أن يدخلها فتهقق نهيق الحمار، ثم علق عليه كعب أرنب، كان ذلك عودة له  
 ورؤية من الزبباء والجنّ، ويسمّون هذا التهقّق الثّعشير، قال شاعرهم:

وَلَا يَنْفَعُ الثَّعْشِيرُ أَنْ حُمَ وَاقِعٌ وَلَا زَعْرَعٌ وَلَا كَنْفٌ أَرْنَبِ

وقال الهيثم بن عدي: خرج عروة بن الزرد إلى خيبر في رُفقه ليمتاووا، فلما قربوا منها  
 عشروا، وعاف عروة أن يفعل فعلهم، وقال:

لَعَمْرِي لَشَنَ عَشَرْتُ مِنْ خَيْفَةِ الرَّدَى نُهَاقَ حَمِيرٍ إِنْسِي لَجَزُوعُ  
 فَلَا وَاللَّيْلِ تِلْكَ النُّفُوسُ وَلَا أَتَتْ قُفُولًا إِلَى الْأَوْطَانِ وَهِيَ جَمِيعُ  
 وَقَالُوا أَلَا أَنْهَقَ لَا تَشْرَكَ غَيْبَرُ وَذَلِكَ مِنْ فَعْلِ الْيَهُودِ وَلُوعُ

الؤلوع بالضّم: الكذب، ولع الرجل إذا كذب، فيقال إن رُفقه مرضوا ومات بعضهم، ونجا  
 عروة من الموت والمرض.

وقال آخر:

لَا يُنْجِيَنَّكَ مِنْ جِمَامٍ وَاقِعٍ كَمَبِّ تَعْلُقُهُ وَلَا تَمَشِيرُ

وَيُشَابِهَ هَذَا أَنَّ الرَّجُلَ مِنْهُمْ كَانَ إِذَا ضَلَّ فِي فَلَاةٍ قَلْبَ قَمِيصِهِ، وَصَفَّقَ يَدَيْهِ كَأَنَّهُ يَوْمُنَ بِهِمَا إِلَى إِنْسَانٍ فِيهِتَدِي، قَالَ أَهْرَابِي:

قَلْبْتُ ثِيَابِي وَالظُّنُونُ تَجُولُ بِي وَتَرْوِي بِرِخْلِي نَحْوَ كُلِّ سَبِيلٍ  
فَلَأَيَّ بِلَايٍ مَا عَرَفْتُ جَلِيَّتِي وَأَبْصَرْتُ قَضْدًا لَمْ يَصِبْ بِذَلِيلٍ  
وَقَالَ أَبُو الْعَمَلَسِ الطَّائِي:

فَلَوْ أَبْصَرْتَنِي بِلَوَى بَطَانٍ أَصَفَّقَ بِالْبَنَانِ عَلَى الْبَنَانِ  
فَأَقْلَبُ تَارَةً خَوْفًا رَدَائِي وَأَصْرُخُ تَارَةً بِأَبِي فُلَانٍ  
لَقُلْتُ أَبُو الْعَمَلَسِ قَدْ دَمَاءُ مِنَ الْجِنَانِ خَالِعَةُ الْعِنَانِ

وَالْأَصْلُ فِي قَلْبِ الثَّيَابِ التَّفَاوُلُ بِقَلْبِ الْحَالِ، وَقَدْ جَاءَ فِي الشَّرِيعَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ نَحْوُ ذَلِكَ فِي الْإِسْتِقَاءِ.

وَمِنْ مَذَاهِبِ الْعَرَبِ أَنَّ الرَّجُلَ مِنْهُمْ كَانَ إِذَا سَافَرَ عَمَدًا إِلَى خَيْطٍ فَتَقَدَّه فِي غُصْنِ شَجَرَةٍ أَوْ فِي سَاقِهَا، فَإِذَا عَادَ نَظَرَ إِلَى ذَلِكَ الْخَيْطِ، فَإِنْ وَجَدَهُ بِحَالِهِ عَلِمَ أَنَّ زَوْجَتَهُ لَمْ تَكُنْهُ، وَإِنْ لَمْ يَجِدْهُ أَوْ وَجَدَهُ مُخْلَوْلًا، قَالَ: قَدْ خَانَتْنِي، وَذَلِكَ الْعَقْدُ يُسَمَّى الرِّثَمَ، وَيُقَالُ: بَلْ كَانُوا يَعْقِدُونَ طَرْفًا مِنْ غُصْنِ الشَّجَرَةِ بِطَرْفِ غُصْنٍ آخَرَ، وَقَالَ الرَّاجِزُ:

هَلْ يَنْفَعُنكَ الْيَوْمَ إِنْ هَمَّتْ بِهِمْ كَثْرَةُ مَا تُوصِي وَتَعْقَادُ الرِّثَمِ  
وَقَالَ آخَرُ:

لَا تَحْسِبَنَّ رَتَائِمًا عَقَدْتَهَا تُنْبِيكَ عَنْهَا بِالْبَقِيَّةِ الصَّادِقِ  
وَقَالَ آخَرُ:

يَمْلُلُ عَمَرُو بِالرَّتَائِمِ قَلْبَهُ وَفِي الْحَيِّ طَلْبِي قَدْ أَحَلَّتْ مَحَارِمُهُ  
فَمَا نَفَعْتُ تِلْكَ الْوَصَائِيَا وَلَا جَنَّتْ عَلَيْهِ سِوَى مَا لَا يَحِبُّ رَتَائِمُهُ  
وَقَالَ آخَرُ:

مَاذَا أَلَيْكَ تَدْنَةُ تِلْكَ الرَّتَائِمِ إِذَا صَبَحْتَ وَجِشْتُهَا مُلَازِمٌ  
وَهِيَ عَلَى لَذَاتِهَا تُدَاوِمُ يَزُورُهَا طَلِبُ الْفَوَادِ عَارِمٌ  
بِكُلِّ أَدْوَاءِ النِّسَاءِ عَالِمٌ

وَقَدْ كَانُوا يَعْقِدُونَ الرِّثَمَ لِلْحَيِّ، وَيَزُونُ أَنَّ مِنْ حَلَّهَا انْتَقَلَتِ الْحَيِّ إِلَيْهِ، وَقَالَ الشَّاعِرُ:

حَلَلْتُ رَنِيمَةً فَمَكْنْتُ شَهْرًا أَكْبَدُ كُلَّ مَكْرُوهِ الدَّوَاءِ

وقال ابنُ السَّكَيْتِ: إِنَّ العربَ كانت تقول: إِنَّ المرأةَ اليَقْلَات - وهي التي لا يَعِيشُ لها ولد - إِذَا وَطَّئْتُ القَتِيلَ الشَّرِيفَ عاشَ وَلَدُهَا، قال بِشْرُ بْنُ أَبِي خازِمٍ:

تُظَلُّ مَقَالِيْتُ النِّسَاءِ تَطَائِهِ يَقْلُنَ أَلَا يُلْقَى عَلَى المَرْءِ مِثْرُزُ  
وقال أبو عُبيدة: تتخطفه اليَقْلَات سبعَ مَرَّات، فذلك وَطْؤُهَا له .

وقال ابنُ الأعرابي: يَمْرُونَ به وَيَطْوُونَ حَوْلَهُ، وقيل: إِنَّمَا كانوا يَفْعَلُونَ ذلك بالشَّريفِ يَقْتُلُ غَدْرًا أَوْ قَوْدًا.

وقال الكُمَيْتُ:

وُطِئَ المَرْوَاتُ المَقَالِي - ثَ إِلَيْهِ القُعودُ بَعْدَ القِيَامِ  
وقال الآخرُ:

تَرْحُمَا الشُّغْمَيْنِ بِزَمَلٍ خَبِتِ زُرُورُهُمَا مَقَالِيْتُ النِّسَاءِ  
وقال الآخرُ:

بَنَفْسِي الَّتِي تَمْشِي المَقَالِيْتُ حَوْلَهُ يُطَافُ لَهُ كَشْحًا قَضِيمًا مُهْشَمَا  
وقال آخرُ:

تَبَاشَّرَتِ المَقَالِيْتُ حِينَ قَالُوا قَوَى عَمْرُو بْنُ مُرَّةٍ بِالْحَفِيرِ

ومن تخيلات العَرَبِ وَخُرافاتها، أَنَّ الغلامَ مِنْهُمْ كان إِذَا سَقَطَتْ لَهُ سِنَّ أَحَدُهَا بَيْنَ السَّبَّابَةِ وَالْإِبْهَامِ وَاسْتَقْبَلَ الشَّمْسُ إِذَا طَلَعَتْ وَقَدَّتْ بِهَا، وقال: يَا شَمْسُ أَبْيِلِينِي بَيْنَ أَحْسَنَ مِنْهَا، وَلِيَجْرَ فِي ظِلِّهَا لِإِيَّاكَ، أَوْ تقول: «لِإِيَّاكَ»، وهما جميعاً شُعاع الشمس، قال طرفة:

سَفَّتْهُ إِسَاءَةُ الشَّمْسِ

وإلى هذا الخيالِ أشارَ شاعرُهُمْ بقوله:

شَادِنٌ يَجْلُو إِذَا مَا ابْتَسَمَتْ عَنْ أَفَاحِ كَأَفَاحِ الرِّمْلِ غُرُ  
بَدَأَتْهُ الشَّمْسُ مِنْ مَنْبِتِهِ بَرْدًا أَبْيَضَ مَصْقُولِ الْأَثَرِ

وقال آخرُ:

وَأَسْنَبُ وَاضِحٌ عَذْبُ القَنَابِ كَأَنَّ رُضَابَهُ صَافِي المُدَامِ

كَسَتْهُ الشَّمْسُ لَوْناً مِنْ سَنَاهَا فَلَاحَ كَأَنَّهُ بَرَقَ السَّمَامُ  
وقال آخر:

بِذِي أَثَرٍ عَذَبَ الْمَذَاقَ تَفَرَّدْتُ بِهِ الشَّمْسُ حَتَّى عَادَ أَبْيَضَ نَاصِعَا  
وَالنَّاسُ الْيَوْمَ فِي صِيْبَانِهِمْ عَلَى هَذَا الْمَذْهَبِ.

وكانت العربُ تعتقد أن دمَ الرئيسِ يشفي من عضة الكلبِ الكلب، قال الشاعر:

بُخْءُ مَكَارِمٍ وَأَسَاسُ جُحْرِحٍ دِمَاؤُهُمْ مِنَ الْكَلْبِ<sup>(١)</sup> الشِّفَاءُ  
وقال عبد الله بن الزبير الأسدي:

مَنْ خَيْرِ بَيْتٍ عَلِمْنَاهُ وَآكِرِمَهُ كَانَتْ دِمَاؤُهُمْ تَشْفِي مِنَ الْكَلْبِ  
وقال الكميت:

أَحْلَامُكُمْ لِسَقَامِ الْجَهْلِ شَافِيَةٌ كَمَا دِمَاؤُكُمْ تَشْفِي مِنَ الْكَلْبِ  
وَمِنْ تَخِيلَاتِ الْعَرَبِ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا خَافُوا عَلَى الرَّجُلِ الْجُنُونَ وَتَعَرَّضَ الْأَرْوَاحُ الْخَبِيثَةَ لَهُ  
نَجَسُهُ بِتَغْلِيْقِ الْأَفْئَادِ عَلَيْهِ، كَخِرْقَةِ الْحَيْضِ وَعِظَامِ الْمَوْتَى، قَالُوا: وَأَنْفَعُ مِنْ ذَلِكَ أَنْ تَعْلُقَ  
عَلَيْهِ طَائِثَ عِظَامِ مَوْتَى، ثُمَّ لَا يَرَاهَا يَوْمَهُ ذَلِكَ، وَأَنْشَدُوا لِلْمَمْرُوقِ الْعَبْدِيِّ:

فَلَوْ أَنَّ عِنْدِي جَارَتَيْنِ وَرَاقِيَاً وَعَلَّقْتُ أَنْجَاساً عَلَيَّ الْمَعْلُوقُ  
قَالُوا: وَالتَّنْجِيسُ يَشْفِي إِلَّا بَيْنَ الْعِشْقِ، قَالَ أَعْرَابِي:

يَقُولُونَ عَلَّقْ يَا لَكَ الْخَيْرَ رَمَةً وَهَلْ يَنْفَعُ التَّنْجِيسُ مَنْ كَانَ عَاشِقًا!  
وقالت امرأة - وقد نجست ولدها فلم ينفعه ومات -:

نَجَسْتُهُ لَوْ يَنْفَعُ التَّنْجِيسُ وَالْمَوْتُ لَا تَفْوُتُهُ النَّفْسُ  
وكان أبو مَهْدِيَّةٍ يعلّق في عُقْبَةِ الْعِظَامِ وَالصُّوفِ حَذَرَ الْمَوْتِ، وَأَنْشَدُوا:

أَتَزْنِي بِأَنْجَاسٍ لَهُمْ وَمَنْجَسٍ فَقُلْتُ لَهُمْ مَا قَدَّرَ اللَّهُ كَائِنُ

وَمِنْ مَذَاهِبِهِمْ أَنَّ الرَّجُلَ مِنْهُمْ كَانَ إِذَا خَدِرَتْ رِجْلُهُ ذَكَرَ مِنْ يُحِبُّ أَوْ دَعَا فَيَذْهَبُ خَدِرُهَا.  
وَرَوَى أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرِو خَدِرَتْ رِجْلُهُ، فَقِيلَ لَهُ: ادْعُ أَحَبَّ النَّاسِ إِلَيْكَ، فَقَالَ: يَا  
رَسُولَ اللَّهِ.

(١) الْكَلْبُ: دَاءٌ يَعْضُ لِلْإِنْسَانِ، مِنْ عَضِّ الْكَلْبِ الْكَلْبِ، فَيَصِيْبُهُ شِبْهُ الْجُنُونِ، فَلَا يَعْضُ أَحَدًا إِلَّا  
كَلْبًا، وَيَعْضُ لَهُ أَعْرَاضُ رَدِيئَةٍ، وَيَمْتَنِعُ مِنْ شَرْبِ الْمَاءِ حَتَّى يَمُوتَ عَطْشًا. اللِّسَانُ، (مَادَّةُ  
كَلْب).

وقال الشاعر:

على أن رجلي لا يَزَالُ امْذِلَّالُهَا      مُقيماً بها حتى أُجِلكَ في فُجْري  
وقال كثير:

إذا مَذِلْتُ رجلي ذكركَ أَشْفَوِي      بدَعواكِ من مَذِلِّ بها فيهِونُ  
وقال جميل:

وأنتَ لَعِينِي قِرَّةً حينَ نلتقي      وذكركِ يَشْفُويني إذا خَدِرتَ رجلي  
وقالت امرأة:

إذا خَدِرتَ رجلي دعوتُ ابنَ مصعبٍ      فإن قلتَ عبدُ الله أَجلى فُتورُها  
وقال آخر:

صَبُّ محبٍ إذا ما رَجُلُهُ خَدِرتَ      نادى كُبَيْشَةَ حتى يذهبَ الحَدَرُ  
وقال المؤمل:

والله ما خَدِرتَ رجلي ولا عَثرتَ      إلا ذكركَ حتى يذهبَ الحَدَرُ  
وقال الوليد بن يزيد:

أُثِيبِي هانِماً كَلِيفاً مُعْنَى      إذا خَدِرتَ له رَجُلٌ دَعَاكِ  
ونظير هذا الزعم أن الرجل منهم كان إذا اخْتَلَجَتْ عَيْنُهُ قَالَ: أَرَى مَنْ أَجِبَهُ، فإن كان غائباً  
تَوَقَّعَ قَدُومَهُ، وإن كان بعيداً تَوَقَّعَ قُرْبَهُ.

وقال بشر:

إذا اخْتَلَجَتْ عيني أقولُ لعلَّها      فتاءُ بني عَمْرٍو بها العَيْنُ تَلْمَعُ  
وقال آخر:

إذا اخْتَلَجَتْ عيني تَبَيَّنْتُ أَتَنِي      أراكِ وإن كان المزارُ بَعِيداً  
وقال آخر:

إذا اخْتَلَجَتْ عيني أقولُ لعلَّها      لرويتُها تَهْتَاجُ عَيْنِي وتَطْرِفُ  
وهذا الزعم باقي في الناس اليوم.

ومن مذاهبهم أن الرجل منهم كان إذا عَشِقَ ولم يَسْلُ وأَقْرَطَ عليه العُشْقُ حَمَلَهُ رَجُلٌ على  
ظَهْرِهِ كما يَحْمِلُ الصَّبِيَّ، وقام آخر فأخَمَى حَدِيدَةً أو مِيلاً، وكوى به بين أَلْيَتَيْهِ فيذهبَ عِشْقُهُ  
فيما يزعمون.

وقال أعرابي:

كويتم بين وانفتي جهلاً ونار القلب يضرها الغرام  
وقال آخر:

شكوت إلى رفيقي اشتياقي فجاء اني وقد جمعا دواء  
وجاء بالطبيب ليكوياني ولا أبني - عديتهما - اكتواء  
ولو أتيا بسلمى حين جاء لعاضاني من السقم الشفاء  
واستشهد الخالع على هذا المعنى بقول كثير:

أغاضر لو شهدت غداة ينثتم حنور العائدات على وسادي  
أزوت لعاشقي لم ترجعوا برواقدة تلذع بالزناد

هذا البيت ليس بصريح في هذا الباب، ويحتمل أن يكون مراداً فيه المعنى المشهور المطروق بين الشعراء من ذكر حرارة الوجد ولذعه، وتشبيهه بالنار، إلا أنه قد روى في كتابه خبراً يؤكد المقصد الذي عزاه وأدعاه، وهو عن محمد بن سليمان بن فليح، عن أبيه، عن جده، قال: كنت عند عبد الله بن جعفر، فدخل عليه كثير وعليه أثر علة، فقال عبد الله: ما هذا بك؟ قال: هذا ما فعلت بي أم الحويرث، ثم كشف عن ثوبه وهو مكوي، وأنشد:

عفا الله عن أم الحويرث ذنبها علام تُعنيني وتكمي ذوائيا  
ولو آذنوني قبل أن يرقموا بها لقلت لهم: أم الحويرث دائيا

ومن أوهامهم وتخيلاتهم أنهم كانوا يزعمون أن الرجل إذا أحب امرأة وأحبه فشق بقرعها، وشقت رداءه، صلح حبهما ودام، فإن لم يفعل ذلك فسد حبهما، قال سحيم عبد بني الحساس:

وكم قد شققنا من رداء محبّر ومن بزرع عن طفلة غير عابس  
إذ شق بُرد شق بالبرد بقرع ذواليك حتى كلنا غير لابس  
نروم بهذا الفعل بقيا على الهوى وألف الهوى يغري بهذي الوسواس  
وقال آخر:

شقت ردائي يوم بقرع عالج وأمكنني من شق بقرعك السحفا  
فما بال هذا الوؤ يفسد بيننا ويمحق حبل الوصل ما بيننا محقا!

ومن مذاهم أنهم كانوا يزعمون أن أكل لحوم السباع تزيد في الشجاعة والقوة، وهذا مذهب طيبي، والأطباء يعتقدونه، قال بعضهم:

أبا الممارك لا تُثعِب بِأَكْلِكَ مَا تَنْظُرُ أَنَّكَ تُنَلِّفِي مِنْهُ كَرَارًا  
فَلَوْ أَكَلْتُ سِبْغَ الْأَرْضِ قَاطِبَةً مَا كُنْتُ إِلَّا جَبَانُ الْقَلْبِ خَوَارًا  
وَقَالَ بَعْضُ الْأَعْرَابِ - وَأَكُلُ فُؤَادَ الْأَسَدِ لِيَكُونَ شَجَاعًا - فَقَدَا عَلَيْهِ نِيرَ فَجْرَحَهُ:  
أَكَلْتُ مِنَ اللَّيْثِ الْهَاصِرِ فُؤَادَهُ لِأَصْبَحَ أَجْرَى مِنْهُ قَلْبًا وَأَقْدَمًا  
فَأَذْرَكَ مِنِّي ثَأْرَهُ بِابْنِ أَخِيهِ فَيَا لَكَ ثَأْرًا مَا أَشَدُّ وَأَعْظَمًا!  
وَقَالَ آخَرُ:

إِذَا لَمْ يَكُنْ قَلْبُ الْفَتَى غُذُوَّةَ الْوَعَى أَصَمَّ فَقَلْبُ اللَّيْثِ لَيْسَ بِنَافِعٍ  
وَمَا نَفَعُ قَلْبَ اللَّيْثِ فِي حَوْمَةِ الْوَعَى إِذَا كَانَ سَيْفُ الْمَرْءِ لَيْسَ بِقَاطِعٍ

وَمِنْ مَذَاهِبِهِمْ أَنَّ صَاحِبَ الْفَرَسِ الْمَهْقُوعِ إِذَا رَكِبَهُ فَغَرِقَ تَحْتَهُ اغْتَلَمَتْ أَمْرَأَتُهُ وَطَمَحَتْ إِلَى  
غَيْرِهِ، وَالْهَقَّةُ: دَائِرَةٌ تَكُونُ بِالْفَرَسِ، وَرَبَّمَا كَانَتْ عَلَى الْكَثِيفِ فِي الْأَكْثَرِ، وَهِيَ مُسْتَقْبِحَةٌ  
عِنْدَهُمْ، قَالَ بَعْضُهُمْ لَصَاحِبِهِ:

إِذَا غَرِقَ الْمَهْقُوعُ بِالْمَرْءِ أَنْعَمْتُ حَلِيلَتُهُ وَازْدَادَ حَرُّ عَجَانِهَا  
فَأَجَابَهُ صَاحِبُهُ:

قَدْ يَرْكَبُ الْمَهْقُوعُ مَنْ لَيْسَ مِثْلَهُ وَقَدْ يَرْكَبُ الْمَهْقُوعُ زَوْجَ حَصَانٍ

وَمِنْ مَذَاهِبِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا يُوقِدُونَ النَّارَ خَلْفَ الْمَسَافِرِ الَّذِي لَا يَحْبُونَ رَجُوعَهُ، يَقُولُونَ فِي  
دَعَائِهِمْ: أَبْعَدْهُ اللَّهُ وَأَسْحَقْهُ، وَأَوْقَدْ نَارًا أَثَرَهُ قَالَ بَعْضُهُمْ:

صَحُوتُ وَأَوْقَدْتُ لِلْجَهْلِ نَارًا وَرَدَّ عَلَيْكَ الصُّبَا مَا اسْتَعَارَا  
وَكَانُوا إِذَا خَرَجُوا إِلَى الْأَسْفَارِ أَوْقَدُوا نَارًا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْمَنْزِلِ الَّذِي يَرِيدُونَهُ، وَلَمْ يُوقِدُوها  
بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْمَنْزِلِ الَّذِي خَرَجُوا مِنْهُ تَفَاوُلًا بِالرَّجُوعِ إِلَيْهِ.

وَمِنْ مَذَاهِبِهِمُ الْمَشْهُورَةِ تَعْلِيْقُ كُغْبِ الْأَرْزَبِ، قَالَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ: قُلْتُ لِزَيْدِ بْنِ كَثُوءَ:  
أَتَقُولُونَ: إِنَّ مَنْ عُلِقَ عَلَيْهِ كُغْبُ أَرْزَبٍ لَمْ تَقْرَنِهِ جَنَّاتُ الدَّارِ، وَلَا عُثَارُ الْحَيِّ؟ قَالَ: إِي وَاللَّهِ،  
وَلَا شَيْطَانُ الْحَمَاطَةِ وَلَا جَارُ الْعُشْبِيرَةِ، وَلَا عُورُ الْفَقْرِ. وَقَالَ أَمْرُؤُ الْقَيْسِ:  
أَبَا مَنْدُ لَا تَنْكِحِي بُرْمَةً عَلَيْهِ عَفِيقَتُهُ أَحْسَبَا



مَرْتَعَةً بَيْنَ أَذْيَاقِهِ بِهِ عَسَمَ يَسْتَفِي أَرْبَا  
لِيَجْعَلَ فِي رَجُلِهِ كَغَبْهَا جِدَارَ الْمَزِينَةِ أَنْ يَعْطَبَا  
وَالْحَمَاطَةُ: شجرة، وَالْعُشِيرَةُ: تصغير العَشْرَةِ، وهي شجرة أيضاً.

وقال أبو محلّم: كانت العرب تعلق على الصبي بين ثعلب وبين هرة خوفاً من الخطفة والنظرة، ويقولون: إِنَّ جَنِيَّةً أَرَادَتْ صَبِيَّ قَوْمٍ فَلَمْ تَقْدِرْ عَلَيْهِ، فَلَامَهَا قَوْمُهَا مِنَ الْجَنِّ فِي ذَلِكَ، فَقَالَتْ تَعْتَذِرُ إِلَيْهِمْ:

كَأَنَّ عَلَيْهِ نُفْرَةً ثَمَّ اللَّبَّ وَهَرَّةَ  
وَالْحَنِضُ حَيْضُ السُّمُرَةِ

وَالسُّمُرَةُ شيء يسيل من السُّمُرِ كدم الغزال، وكانت العرب إذا ولدت المرأة أخذوا من دَمِ السُّمُرِ - وهو صَمْغُهُ الذي يسيل منه - ينقطونه بين عَيْنَيْ النِّفْسَاءِ، وخطوا على وجه الصبي خطاً، ويسمى هذا الصمغ السائل من السُّمُرِ الدُّوْدَمَ، ويقال بالذال المعجمة أيضاً، وتسمى هذه الأشياء التي تعلق على الصبي: الثُّقَرَاتُ.

قال عبد الرحمن بن أخي الأصمعي: إِنَّ بعض الْعَرَبِ قال لأبي: إذا وُلِدَ لَكَ وَلَدٌ فَفَرِّعْهُ، فقال له أبي: وما التفجير؟ قال: غَرَبَ اسْمُهُ، فَوُلِدَ لَهُ وَلَدٌ فَسَمَّاهُ قُنْفُذًا، وكناه أبا العذاء، قال: وأنشد أبي:

كَالْحُمْرِ مَرْجُ دَوَالِهَا مِنْهَا بِهَا تَشْفِي الصُّدَاعَ وَتُبْرِئِ الْمَنْجُودَا  
قال: يريد أَنَّ الْقُنْفُذَ مِنْ مَرَاكِبِ الْجَنِّ، فداوى منهم ولده بمراكبهم.

ومن مذاهبهم أَنَّ الرجل منهم كان إذا ركب مَفَازَةً وخاف على نفسه من طَوَارِقِ اللَّيْلِ عَمَدَ إلى وادي شجر فأنَاخَ راحلته في قرارته، وعَقَلَهَا وخطَّ عليها خطاً ثم قال: أعوذ بصاحب هذا الوادي، وربما قال: بعظيم هذا الوادي، وعن هذا قال الله سبحانه في القرآن: ﴿وَلَوْ أَنَّ كَانِ يَكُلُّ مِنَ الْإِنْسِ يُوَدُّونَ يَكُلُّونَ مِنْ لَيْلٍ فَرَادَوْهُمْ رَهَقًا﴾<sup>(١)</sup>.

واستعاذ رجل منهم ومعه وَلَدٌ فَأَكَلَهُ الْأَسَدُ، فقال:

قَدْ اسْتَعَاذْنَا بِعَظِيمِ الْوَادِي مِنْ شَرِّ مَا فِيهِ مِنَ الْأَعَادِي  
فَلَمْ يُجِرْنَا مِنْ هَزَبِ عَادٍ

وقال آخر:

أعوذ من شرّ البلاد السيّدة بسببٍ معظّمٍ مجيد  
أصبح ياوي بلوى زرد في عزةٍ وكاملٍ شديد  
وقال آخر:

يا جنّ أجراء اللوى من عالج عاذ بكّم ساري الظلام الدالج  
لا تُرهقوه بقوىّ مانج  
وقال آخر:

قد بت ضيفاً لعظيم الوادي المانعي من سظوة الأعاذي  
راجلتني في جاريه وزادي  
وقال آخر:

هيا صاحب الشجرء هل أنت مانعي فإني ضيف نازل بفنائكا  
وانك للجنان في الأرض سيّد ومثلك آوى في الظلام الضعاليكا

ومن مذاهبهم أنّ المسافر إذا خرج من بلده إلى آخر فلا ينبغي له أن يلتفت، فإنه إذا التفت عاد، فلذلك لا يلتفت إلا العاشق الذي يُريد العود، قال بعضهم:

دع التلفت يا مسعود وارم بها وجه الهواجر تامن رجعة البلد  
وقال آخر، أنشدّه الخالع:

عيل صبري بالثعلبية لما طال لييلي وملني قرنائي  
كلما سارت المطايا بنايب لأ تنقش والتفت ورائي

هذان البيتان ذكرهما الخالع في هذا الباب، وعندي أنه لا دلالة فيهما على ما أراد، لأن التلفت في أشعارهم كثير، ومراؤهم به الإبانة والإعراب عن كثرة الشوق، والتأسف على المفارقة، وكون الراحل عن المنزل حيث لم يمكنه المقام فيه بجثمانه يتبعه بصره، ويتزود من رؤيته، كقول الرضي رحمه الله:

ولقد مررت على ظلولهم ورؤسومهم بيد البلى نهب  
فوقفت حتى ضج من لغب ينضوي ولج بعذلي الرغب  
وتلفت عيني فعد خفيث عني الظلول تلفت القلب

وليس يقصد بالتلفت هاهنا التناول بالرجوع إليها، لأن رؤسومها قد صارت نهبا ليد البلى، فأي فائدة في الرجوع إليها! وإنما يريد ما قدّمنا ذكره من الحنين والتذكّر لما مضى من أيامها، وكذلك قول الأول:

تَلَقُّتُ نَحْوَ الْحَيِّ حَتَّى وَجَدْتُنِي وَجِئْتُ مِنَ الْإِضْغَاءِ لَيْتًا وَأَخَذَعَا  
وَمِثْلَ ذَلِكَ كَثِيرٌ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ فِي الْمَذْهَبِ الْأَوَّلِ:

تَلَقُّتُ أَرْجُو رَجْعَةً بَعْدَ نَيْتَةٍ فَكَانَ التَّفَاتِي زَائِدًا فِي بِلَانِيَا  
أَرْجُو رُجُوعًا بَعْدَ مَا حَالَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ حَزْنُ الْقَلَا وَالْقِيَا يَا!  
وَقَالَ آخَرُ، وَقَدْ طَلَّقَ امْرَأَتَهُ فَلَقْتُ إِلَيْهِ:

تَلَقُّتُ تَرْجُو رَجْعَةً بَعْدَ فُرْقَةٍ وَهَبَاهُ مَعَا تَرْجِي أُمَّ مَازِنَ!  
أَلَمْ تَعْلَمْ أَنِّي جَمُوحُ عَنَانِهِ إِذَا كَانَ مِنْ أَهْوَاءِ غَيْرِ مَلَائِنَ

وَمِنْ مَذَاهِبِهِمْ، إِذَا بَثِرَتْ شَفَّةُ الصَّبِيِّ حَمَلٌ مُنْخَلًا عَلَى رَأْسِهِ، وَنَادَى بَيْنَ بِيُوتِ الْحَيِّ:  
الْحَلَا الْحَلَا، الْقَلْعَامُ الطَّعَامُ، فَتَلْقِي لَهُ النِّسَاءَ كَسَرَ الْخَبْزِ وَأَقْطَاعِ التَّمْرِ وَاللَّحْمِ فِي الْمُنْخَلِ، ثُمَّ  
يَلْقَى ذَلِكَ لِلْكَلَابِ فَتَأْكُلُهُ فَيَبْرَأُ مِنَ الْمَرَضِ، فَإِنْ أَكَلَ صَبِيٍّ مِنَ الصَّبِيَّانِ مِنْ ذَلِكَ الَّذِي أَلْقَاهُ  
لِلْكَلَابِ تَمَرَةً أَوْ لُقْمَةً أَوْ لَحْمَةً أَصْبَحَ وَقَدْ بَثِرَتْ شَفَتُهُ. وَأَشَدُّ لَامِرَةٌ:

أَلَا حَلَا فِي شَفَةِ مَشْقُوقَةٍ فَقَدْ قَضَى مُنْخَلُنَا حُقُوقَهُ

وَمِنْ مَذَاهِبِهِمْ أَنَّ الرَّجُلَ مِنْهُمْ كَانَ إِذَا طَرِفَتْ عَيْنُهُ بِثُوبٍ آخَرَ مَسَحَ الطَّارِفَ عَيْنَ الْمَطْرُوفِ  
سَبْعَ مَرَّاتٍ، يَقُولُ فِي الْأَوَّلَى: بِإِحْدَى جَاءَتْ مِنَ الْمَدِينَةِ، وَفِي الثَّانِيَةِ: بِاثْنَتَيْنِ جَاءَتْ مِنَ  
الْمَدِينَةِ، وَفِي الثَّالِثَةِ بِثَلَاثٍ جِئْتُ مِنَ الْمَدِينَةِ، إِلَى أَنْ يَقُولَ فِي السَّابِعَةِ: بِسَبْعٍ جِئْتُ مِنَ الْمَدِينَةِ،  
فَتَبْرَأُ عَيْنُ الْمَطْرُوفِ.

وَفِيهِمْ مَنْ يَقُولُ: بِإِحْدَى مِنْ سَبْعٍ جِئْتُ مِنَ الْمَدِينَةِ، بِاثْنَتَيْنِ مِنْ سَبْعٍ، إِلَى أَنْ يَقُولَ بِسَبْعٍ مِنْ  
سَبْعٍ.

وَمِنْ مَذَاهِبِهِمْ أَنَّ الْمَرْأَةَ مِنْهُمْ كَانَ إِذَا عَسَرَ عَلَيْهَا خَاطِبُ النِّكَاحِ نَشَرَتْ جَانِبًا مِنْ شَعْرِهَا،  
وَكَحَلَتْ إِحْدَى عَيْنَيْهَا مَخَالَفَةً لِلشَّعْرِ الْمَشْهُورِ، وَحَجَلَتْ عَلَى إِحْدَى رِجْلَيْهَا وَيَكُونُ ذَلِكَ لَيْلًا،  
وَتَقُولُ: يَا لِنِكَاحٍ، أَهْنِي النِّكَاحَ، قَبْلَ الصَّبَاحِ، فَيَسْهَلُ أَمْرُهَا وَتَتَزَوَّجَ عَنْ قُرْبٍ، قَالَ رَجُلٌ  
لصَدِيقِهِ وَقَدْ رَأَى امْرَأَةً تَفْعَلُ ذَلِكَ:

أَمَا تَرَى أَمَّكَ تَبْغِي بَغْلًا قَدْ نَشَرَتْ مِنْ شَعْرِهَا الْأَقْلَا  
وَلَمْ تُؤَوِّ مَقْلَتَيْهَا كُغْلًا نَرَقَعَ رِجْلًا وَتَحُطُّ رِجْلًا

هذا وقد شابَ بَنُوها أضلا      وأصبَحَ الأصغرُ منهم كَهْلا  
خذ القُطيعَ ثم مِنها الذَّلا      ضَرِباً به تُشرك هذا الفُغْلا  
وقال آخر:

قد كَحَلْتُ عِيناً وأَعَفَّتْ عَيْنَا      وَحَجَلْتُ وَنَشَرْتُ قُرْنَا  
نُظُنُّ زَيْناً ما تراءَ قَيْنَا  
وقال آخر:

تَصْنَعِي ما شئتِ أَنْ تَصْنَعِي      وَكُحْلِي عَيْنِيكَ أَوْ لَا قَدَعِي  
ثم احْجَلِي فِي البَيْتِ أَوْ فِي المَجْمَعِ      ما لَكَ فِي بَغْلِ أَرَى مِنْ مَطْمَعِ

ومن مَذاهِبهم كانوا إذا رَحَلَ الضيف أو غيره عنهم وأَحْبَوْا ألا يعود كَسَرُوا شَيْئاً من الأواني وراءه، وهذا مما تَعَمَلَه الناسُ اليوم أيضاً، قال بعضهم:

كَسَرْنَا القِدْرَ بعد أَبِي سَواحٍ      فَعَادَ وَقَدَرْنَا ذَهَبْتُ ضِياعاً  
وقال آخر:

وَلَا نَكْسِرُ الكِبْزَانَ فِي إثرِ ضَيْفِنَا      وَلَكِنَّا نَقْفِيهِ زَاداً لِيَرْجِعَا  
وقال آخر:

أما وَاللَّهِ إِنَّ بَيْتِي نُقِيلُ      لَحَلَالُونَ بِالشَّرَفِ اليَفَاعِ  
أَناسٌ لَيْسَ تُكْسِرُ خَلْفَ ضَيْفٍ      أَوَانِيهِمْ وَلَا شَعْبَ القُصَاعِ

ومن مَذاهِبهم قولهم: إِنَّ من وَلَدَ فِي القَمَرِاءِ تَقَلَّصَتْ عُزْلَتُهُ، فكان كَالْمَحْتُونِ. ويجوز عندنا أن يكون ذلك من خواصِّ القمر، كما أَنَّ من خواصِّه إِيلاءُ الكَتَّانِ، وإِنْتانُ اللَّحْمِ، وقد رُوِيَ عن أمير المؤمنين عليه السلام: إِذَا رَأَيْتَ الغَلامَ طَوِيلَ العُرْلَةِ فَأَقْرِبْ به مِنَ السُّودِّدِ، وَإِذَا رَأَيْتَهُ قَصِيرَ العُرْلَةِ كَأَنما خَتَنَهُ القَمَرُ فَأَبْعِدْ به.

وقال امرؤ القيس لقيصر، وقد دخل معه الحمام فرآه أَثْلَفَ:

إِنِّي حَلَفْتُ بِمِنبَأٍ غَيْرِ كاذِبَةٍ      لَأَنْتَ أَغْلَفْتُ إِلَّا ما جَنَى القَمَرُ  
ومن مَذاهِبهم التَّشاؤمُ بِالْعُطاسِ، قال امرؤ القيس:

وقد أَغْتَدَيْ قَبْلَ العُطاسِ بِهَيْكَلِ

وقال آخر:

وَحَرَقِي إِذَا وَجَّهْتَ فِيهِ لَفْزَوَةً مَضِيَتْ وَلَمْ يَحْبِسْكَ عَنْهُ الْعَوَاطِشُ

ومن مذاهبهم قولهم في الدعاء: لا عشت إلا عيش القرادا يضربونه مثلاً في الشدة والصبر على المشقة، ويزعمون أن القراد يعيش ببطنه عاماً ويظهره عاماً، ويقولون: إنه يترك في طينة ويرمي بها الحائط فيبقى سنة على بقلته، وسنة على ظهره ولا يموت، قال بعضهم:

فَلا عَشْتُ إِلَّا كَعَيْشِ الْقُرَا دَعَاماً بِبَطْنِي وَعَاماً بِظَهْرِي

ومن مذاهبهم كانت النساء إذا غاب عنهن من يحببهن أخذن ثراباً من موضع رجله كانت العرب تزعم أن ذلك أسرع لرجوعه.

وقالت امرأة من العرب - واقتبضت من أثره -:

يَا رَبِّ أَنْتَ جَارُهُ فِي سَفَرِي وَجَارُ خَضْيَتِي وَجَارُ ذَكَرِي

وقالت امرأة:

أَخَذْتُ ثَرَاباً مِنْ مَوَاطِي رَجُلِهِ غَدَاةً عَدَا كَيْمَا يَدُوبُ مُسَلِّماً

ومن مذاهبهم، أنهم كانوا يستمن العشا في العين الهدب، وأصل الهدب، اللبن الخائر، فإذا أصاب أحدهم ذلك عمد إلى سنّام ففقطعه منه قطعةً ومن الكبد قطعة، وقلاهما، وقال عند كل لقمة يأكلها بعد أن يمسح جفنه الأعلى بسبائته:

فِيَا سَنَاماً وَكَبِدَ أَلَا أَذْغَبَا بِالْهُدْبِ

لَيْسَ شِفَاءُ الْهُدْبِ إِلَّا السَّنَامُ وَالْكَبِدُ

قال: فيذهب العشا بذلك.

ومن مذاهبهم اعتقادهم أن الازل<sup>(١)</sup> والفنذ والأرنب والظبي واليزبوع والتعام مراكب الجن يمتطونها، ولهم في ذلك أشعار مشهورة، ويزعمون أنهم يزؤون الجن ويظاهرونهم ويخاطبونهم، ويشاهدون الغول، وربما جامعوها وتزوجوها، وقالوا: إن عمرو بن يزبوع تزوج الغول وأولدها بنين، ومكثت عنده دهرأ، فكانت تقول له: إذا لاح البرق من جهة بلادي - وهي جهة كذا - فاسترني، فإني إن لم تسترني عني تركت ولك عليك، وطرئت إلى بلاد قومي، فكان عمرو بن يزبوع كلما برق البرق غطى وجهها بردائه فلا تبصره، وإلى هذا المعنى أشار أبو العلاء المعري في قوله يذكر الإبل وحنينها إلى البرق:

طَرِبْنِي لَصُوءِ الْبَارِقِ الْمُتَعَالِي بِبَغْدَادَ وَهَنَّا مَا لَهَنَ وَمَا لِي

(١) الازل: دابة على خيلة الضب إلا أنه أعظم منه يكون في الرمال والصحاري. اللسان مادة (ورل).

سَمَتْ نَحْوَهُ الْأَبْصَارُ حَتَّى كَانَهَا      بِنَارِئِهِ مِنْ هُنَا وَثَمَّ صَوَالِي  
إِذَا طَالَ عَنْهَا سَرَّهَا لَوْ رَوَّسَهَا      تَمَدُّ إِلَيْهِ فِي صُدُورِ عَوَالِي  
تَمَنَّتْ قَوِيْقًا وَالصَّرَاةَ أَمَامَهَا      تَرَابٌ لَهَا مِنْ أَيْتُنُقْ وَجَمَالِ  
إِذَا لَاحَ لِإِمَامُضْ سَتَرْتُ وَجُوهَهَا      كَأَنِّي عَمُرُو وَالْمَطْيِ سَعَالِي  
وَكَمْ هَمَّ يُضْفُو أَنْ يَطِيرَ مَعَ الصُّبَا      إِلَى الشَّامِ لَوْلَا حَبْنُسُهُ بِعِقَالِي  
قَالُوا: فَفَعَّلَ عَمُرُو بْنُ يَزْبُوعٍ عَنْهَا لَيْلَةً وَقَدْ لَمَعَ الْبَرْقُ فَلَمْ يَسْتَرْ وَجْهَهَا، فَطَارَتْ وَقَالَتْ لَهُ

وهي تطير:

أَمْسِكْ بَنِيكَ عَمُرُو إِنِّي أَبْقَى      بَرْقٌ عَلَى أَرْضِ السَّعَالِي الْيَقَى  
وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ: رَكِبْتُ بَعِيرًا وَطَارَتْ عَلَيْهِ - أَيِ اسْرَعَتْ - فَلَمْ يُدْرِكْهَا. وَعَنْ هَذَا قَالَ  
الشاعر:

رَأَى بَرْقًا فَأَوْضَعَ فَوْقَ بَكْرِ      فَلَا يَكْ مَا أَسَالَ وَلَا أَغَامَا  
قَالَ: فَبَنُو عَمُرُو بْنُ يَزْبُوعٍ إِلَى الْيَوْمِ يُدْعَوْنَ بَنِي السَّغَلَاةِ، وَلِذَلِكَ قَالَ الشَّاعِرُ يَهْجُوهُمْ:  
يَا قُبْحَ اللَّهِ بَنِي السَّغَلَاةِ      عَمُرُو بْنُ يَزْبُوعٍ شِرَارَ النَّبَا  
لَيْسُوا بِأَبْطَالٍ وَلَا أَكْثِيَابِ  
فَأَبْدَلَ السَّيْنِ تَاءً، وَهِيَ لُغَةٌ قَوْمٍ مِنَ الْعَرَبِ.

وَمِنْ مَذَاهِبِهِمْ فِي الْغُولِ قَوْلُهُمْ: إِنَّهَا إِذَا ضُرِبَتْ ضَرْبَةً وَاحِدَةً بِالسَّيْفِ هَلَكَتْ، فَإِنْ ضُرِبَتْ  
ثَانِيَةً عَاشَتْ، وَإِلَى هَذَا الْمَعْنَى أَشَارَ الشَّاعِرُ بِقَوْلِهِ:  
فَقَالَتْ: ثُنَى، قُلْتُ لَهَا: رُوَيْدَا      مَكَائِكَ، إِنْسِي تُبْتُ الْجِنَانِ

وَكَانَتْ الْعَرَبُ تَسْمِي أَصْوَاتَ الْجِنِّ الْعَزِيفَ وَقَوْلُ: إِنْ الرَّجُلُ إِذَا قَتَلَ قُتِلَ قُتْلًا أَوْ وَرَلًا لَمْ  
يَأْمَنْ الْجِنُّ عَلَى فُحْلٍ إِلَيْهِ، وَإِذَا أَصَابَ إِلَيْهِ خُطْبٌ أَوْ بَلَاءٌ حَمَلَهُ عَلَى ذَلِكَ، وَيَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ  
يَسْمَعُونَ الْهَاتِفَ بِذَلِكَ، وَيَقُولُونَ مِثْلَهُ فِي الْجَانِّ مِنَ الْحَيَاتِ، وَقَتْلُهُ عَنْدهُمْ عَظِيمٌ.  
وَرَأَى رَجُلٌ مِنْهُمْ جَانًّا فِي قَمَرٍ بَثْرٍ لَا يَسْتَطِيعُ الْخُرُوجَ مِنْهَا، فَتَزَلَّ وَأَخْرَجَهُ مِنْهَا عَلَى خَطَرٍ  
عَظِيمٍ، وَغَضَّ عَيْنَيْهِ لِئَلَّا يَرَى أَيْنَ يَدْخُلُ، كَأَنَّهُ يَرِيدُ بِذَلِكَ التَّقَرُّبَ إِلَى الْجِنِّ.  
وَقَالَ أَبُو عَثْمَانَ الْجَاهِظُ: وَكَانُوا يُسْمَوْنَ مَنْ يُجَاوِرُ مِنْهُمْ النَّاسَ عَامِرًا، وَالْجَمْعُ عُمَارٌ،  
فَإِنْ تَعَرَّضَ لِلصَّبِيَّانِ فَهُوَ رُوحٌ، فَإِنْ خَبُثَ وَتَعَرَّمَ فَهُوَ شَيْطَانٌ، فَإِنْ زَادَ عَلَى ذَلِكَ فَهُوَ مَارِدٌ، فَإِنْ  
زَادَ عَلَى ذَلِكَ فِي الْقُوَّةِ فَهُوَ عَجْرِيَّتٌ، فَإِنْ طَلَّهُ وَلَطَفَ وَصَارَ خَيْرًا كُلَّهُ فَهُوَ مَلَكٌ، وَيُفَاضِلُونَ  
بَيْنَهُمْ، وَيَعْتَقِدُونَ مَعَ كُلِّ شَاعِرٍ شَيْطَانًا، وَيَسْمَوْنَهُمْ بِأَسْمَاءٍ مُخْتَلَفَةٍ. قَالَ أَبُو عَثْمَانَ: وَفِي التَّهَارِ

ساعات يُرى فيها الصغيرُ كبيراً ويوجد لأوساط الفَيَاني والرمالِ والجِرارِ مثل الدَّوي، وهو طبع ذلك الوقت، قال ذو الرمة:

إذا قال حادينا لَتَرْزِيمَ نَبَاةٍ صَوْلِمَ يَكُنْ إِلَّا دَوِيَّ الْمَسَامِيعِ  
وقال أبو عثمان أيضاً في الذين يذكرون عزيّف الجنّ وتَقَوُّلُ الْغِيْلَانِ: إِنَّ أَمْرَ هَذَا الْأَمْرِ  
وابتداء هذا الْخِيَالِ أَنَّ الْقَوْمَ لَمَّا نَزَلُوا بِلَادَ الْوَحْشِ عَمِلَتْ فِيهِمُ الْوَحْشَةُ، وَمِنْ انْفِرَادِ طَوَالِ مَقَامِهِ  
فِي الْبِلَادِ الْخَلَاءِ اسْتَوْحَشَ، وَلَا سِوَا مَعَ قَلَّةِ الْأَشْغَالِ وَقُدَّةِ الْمُذَاكِرِينَ، وَالْوَحْدَةِ لَا تَقْطَعُ  
أَيَّامَهَا إِلَّا بِالْتَّمَنِيِّ وَالْأَفْكَارِ، وَذَلِكَ أَحَدُ أَسْبَابِ الْوَسْوَاسِ.

ومن عجائب اعتقادات العرب ومذاهبها اعتقادهم في الدَّيْكِ والغُرَابِ والحَمَامَةِ وساقِي  
حَرَ - وهو الهليل - والحية، فمنهم من يَعْتَقِدُ أَنَّ لِلْجِنِّ بِهَذِهِ الْحَيَوَانَاتِ تَعَلُّقَاتٍ، وَمِنْهُمْ مَنْ  
يَزْعَمُ أَنَّهَا نَوْعٌ مِنَ الْجِنِّ، وَيَعْتَقِدُونَ أَنَّ سُهَيْلًا وَالثُّمُرَةَ الضَّبَّ وَالذَّبَّ وَالضَّبْعَ مُسُوخٌ، وَمِنْ  
أَشْعَارِهِمْ فِي مَرَاكِبِ الْجِنِّ قَوْلُ بَعْضِهِمْ فِي قُنْفُذٍ رَأَى لَيْلًا:

فَمَا يُعْجِبُ الْجِنَّانَ مِنْكَ عَدِمَتْهُمْ  
أَيْسَرُجُ يَرْبُوعٌ وَيُلْجَمُ قَنْفُذٌ  
فَإِنْ كَانَتِ الْجِنَّانُ جُنَّتْ فَبِالْحَرَى  
وَمِنْ الشَّعْرِ الْمُنْسُوبِ إِلَى الْجِنِّ:

وَكُلَّ الْمَطَايَا قَدْ رَكَبْنَا فَلَمْ نَجِدْ  
وَمِنْ عَضْرُ قُوطٍ عَنْ لِي فَرَكِبْتُهُ  
وَقَالَ أَعْرَابِيٌّ يَكْذِبُ بِذَلِكَ:

أَيْسَرُجُ الْأَسْرَارِ رَاكِبٌ قُنْفُذٍ  
لَقَدْ ضَاعَ سِرُّ اللَّهِ يَا أُمَّ مَعْبِدَا

ومن أشعارهم وأحاديثهم في رواية الجنّ وخطابهم وعتابهم ما رواه أبو عثمان الجاحظ  
لسمير بن الحارث الضبي:

وَنَارٍ قَدْ حَضَاتُ بُعَيْدَ وَمِنْ  
سَوَى تَحْلِيلِ رَاحِلَةٍ وَعَيْنِ  
أَتَوْا نَارِي فَقُلْتُ: مَتَى أَنْتُمْ؟  
وَيَزْعَمُونَ أَنَّ عُمَيْرَ بْنَ ضَبِيْعَةَ رَأَى غُلَمَانًا ثَلَاثَةَ يَلْعَبُونَ نَهَارًا، فَوُتِبَ غُلَامٌ مِنْهُمْ فَقَامَ عَلَى  
بِدَارٍ لَا أُرِيدُ بِهَا مُقَامًا  
أَكَالُهَا مَخَافَةً أَنْ تَنَامَا  
فَقَالُوا: الْجِنُّ قُلْتُ: عَمُوا ظَلَامًا

عَاتِقِي صَاحِبِهِ، وَوَثِبَ الْآخَرُ، فَقَامَ عَلَى عَاتِقِي الْأَعْلَى مِنْهُمَا، فَلَمَّا رَأَاهُم كَذَلِكَ حَمَلَ عَلَيْهِم فَصَدَّمَهُمْ فَوْقَهُمَا عَلَى ظُهُورِهِمْ وَهُمْ يَضْحَكُونَ، فَقَالَ عَمِيرُ بْنُ ضُبَيْعَةَ: فَمَا مَرَرْتُ يَوْمَئِذٍ بِشَجَرَةٍ إِلَّا وَسَمِعْتُ مِنْ تَحْتِهَا ضَحْكَاً، فَلَمَّا رَجَعُ إِلَى مَنَازِلِهِ مَرَضَ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ.

وَحَكَى الْأَصْمَعِيُّ عَنْ بَعْضِهِمْ أَنَّهُ خَرَجَ هُوَ وَصَاحِبٌ لَهُ سَيْرَانٌ، فِإِذَا غَلَامٌ عَلَى الطَّرِيقِ، فَقَالَا لَهُ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: أَنَا مَسْكِينٌ قَدْ قُطِعَ بِي فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: أَزِدْهُ خَلْفَكَ، فَازْدَدَهُ، فَالْتَفَتَ الْآخَرُ إِلَيْهِ فَرَأَى فَمَهُ يَتَأَجَّجُ نَاراً، فَشَدَّ عَلَيْهِ بِالسَّيْفِ فَذَهَبَتِ النَّارُ فَرَجَعَ عَنْهُ، ثُمَّ التَفَتَ فَرَأَى فَمَهُ يَتَأَجَّجُ نَاراً فَشَدَّ عَلَيْهِ فَذَهَبَتِ النَّارُ، فَفَعَلَ ذَلِكَ مَرَّاراً، فَقَالَ ذَلِكَ الْغَلَامُ: قَاتِلْكُمْ اللَّهُ! مَا أَجَلَّدَكُمْ! وَاللهُ مَا فَعَلْتُهَا بِأَدَمِي إِلَّا وَانْخَلَعَ فَوَادُّهُ، ثُمَّ غَابَ عَنْهُمَا فَلَمْ يَعْلَمَا خَبْرَهُ.

وَقَالَ أَبُو الْبَلَادِ الطُّهَوِيُّ - وَيُرْوَى لِتَابُطٍ شَرًّا -:

لَهَانَ عَلَى جُفَيْئَةٍ مَا أَلَا قِي  
لَقِيْتُ الْغُولَ تَسْرِي فِي ظِلَامٍ  
فَقُلْتُ لَهَا: كَلَانَا يَنْقُضُ أَرْضِي  
فَشَدْتُ شِدَّةً نَحْوِي فَاَهْوَى  
فَقَالَتْ: زِدْ فَقُلْتُ: رُوَيْدَا إِنِّي  
وَالَّذِينَ يَزُودُونَ هَذَا الشَّعْرَ لِتَابُطٍ شَرًّا يَرُودُونَ أَوَّلَهُ:

بِمَا لَا قِيَّتُ عِنْدَ رَحَا بَطَانٍ  
بَمَرَّتْ كَالصَّحِيفَةِ صَحْصَحَانٍ<sup>(١)</sup>  
حُصَامٌ غَيْرَ مُؤْتَشِبٍ بِمَانِي  
فَخَرَّتْ لِلْيَدَيْنِ وَلِلْجِرَانِ  
مَكَانَكَ إِنِّي قُبْتُ الْجَنَانِ  
لَأَنْظُرَ مَصْبِحاً مَاذَا دَهَانِي  
كَرَّاسَ الْهَرَمِ مَشْقُوقِ اللِّسَانِ  
وَتُوبَ مِنْ عِبَاءٍ أَوْ ثِنَانٍ

وَقَالَ الْبُهْرَانِيُّ:

وَتَزَوَّجْتُ فِي التَّجْبِيبَةِ غُولاً  
وَقَالَ الْجَاظُ: أَصَدَّقَهَا الْخَمْرَ لَطِيبَ رِيحِهَا، وَالْغَزَالَ لِأَنَّهُ مِنْ مَرَاكِبِ الْجَنِّ.

(١) الْمَرَّتْ: الْأَرْضُ لَا يَجِفُّ ثَرَاهَا، وَلَا يَنْبِتُ مَرَعَاهَا. الْقَامُوسُ، مَادَّةُ (مَرَّت). وَالصَّحْصَحَانُ: مَا اسْتَوَى مِنَ الْأَرْضِ. الْقَامُوسُ، مَادَّةُ (صَحَّح).



وقال أبو عبيد بن أيوب القُتَيْبِيُّ أحد لصوص العرب :

تقول - وقد أَلَمَنْتُ بِالْإِنْسِ لَمَّةً  
أَهَذَا خَدِيقُ الْعُولِ وَالذُّبِ وَالَّذِي  
رَأَتْ خَلَقَ الذَّرْسَيْنِ أَسْوَدَ شَاحِباً  
تَعَوَّدَ مِنْ آبَائِهِ فَتَكَاتِيهِمْ  
إِذَا صَادَ صَيِّداً لَفَّهَ بِضَرَامِهِ  
وَنَهَساً كَنَهَسَ الصُّفْرُ ثُمَّ مِرَاسِهِ  
ومن هذه الآيات :

إِذَا مَا أَرَادَ اللَّهَ ذُلَّ قَبِيلِهِ  
وَأَوَّلَ عَجَزِ الْقَوْمِ عَمَّا يَتَوَبُّهُمْ  
وَأَوَّلَ حُبِّ الْمَاءِ حُبُّ ثُرَابِهِ  
وهذا الشعر من جَيْدِ شِعْرِ الْعَرَبِ، وَإِنَّمَا كَانَ غَرَضُنَا مِنْهُ مُتَعَلِّقاً بِأَوَّلِهِ، وَذَكَرْنَا سَائِرَهُ لِمَا فِيهِ مِنَ الْأَدَبِ.

وقال عُيَيْدُ بْنُ أَيُّوبَ أَيْضاً فِي الْمَعْنَى الَّتِي نَحْنُ بِصَدَدِهِ :

وَصَارَ خَلِيلُ الْعُولِ بَعْدَ عَدَاوَةٍ  
صَفِيًّا وَرَبَّتَهُ الْفِغَارُ الْبَسَابِئُ  
وقال أيضاً :

فَلِلَّهِ ذُرُّ الْعُولِ أَيْ زَفِيقَةٍ  
أَرْتَمْتُ بِلَحْنٍ بَعْدَ لَحْنٍ وَأَوْقَدْتُ  
وقال أيضاً :

وَعُولاً قَفُورَةً : ذُكُورٌ وَأُنْثَى  
كَانَ عَلَيْهِمَا قَطْعُ الْجِدَادِ<sup>(١)</sup>  
وقال أيضاً :

فَقَدْ لَاقَتْ الْغِزْلَانُ مِنِّي بَلِيَّةً  
وقال الْبَهْرَانِيُّ فِي قَتْلِ الْعُولِ :

ضُرِبَتْ ضَرْبَةً فَصَارَتْ هَبَاءً  
فِي مَحَاقِي الْقُمْرَاءِ آخِرَ شَهْرِ  
وقال أيضاً، يَزْعُمُ أَنَّهُ لَمَّا ثَنَى عَلَيْهَا الضَّرْبَ عَاشَتْ :

(١) الهراكل : لهركولة من النساء، العظيمة الوركين. اللسان، مادة (هركل).

(٢) الجداد : كساء مخطط من أكسية العرب. اللسان، مادة (بجد).

فَنَشِيتَ وَالْمَقْدَارُ يَحْرُسُ أَهْلَهُ      فَلَيْتَ يَجِئَنِي يَوْمَ ذَلِكَ شَلَبًا  
وَقَالَ تَأْبِطُ شَرًّا يَصِفُ الْقَوْلَ وَيَذْكُرُ أَنَّهُ رَأَوْهَا عَنْ نَفْسِهَا فَامْتَنَعَتْ عَلَيْهِ فَقَتَلَهَا :  
فَأَصْبَحْتُ وَالْغَوْلُ لِي جَارَةٌ      فَيَا جَارَةَ أَنْتِ مَا أَغْوَلَا  
وَطَالِبُهَا بِضَعْفِهَا فَالْتَوْتُ      فَكَانَ مِنَ الرَّايِ أَنْ تَقْتُلَا  
فَجَلَلْتُهَا مُرْهَفًا صَارِمًا      أَبَانَ الْمَرَاثِقَ وَالْمِفْصَلَا  
فَطَارَ بِقَحْفِ ابْنَةِ الْجَنِّ ذَا      شَقَاشِقَ قَدْ أَخْلَقَ الْمَحْمَلَا  
فَمَنْ يَكُ يَسْأَلُ عَنْ جَارَتِي      فَإِنَّ لَهَا بِاللَّوَى مَنْزِلَا  
عَقَّاءُ أَرْضٍ لَهَا حُلْنَا      نَ مِنْ وَرَقِ الطَّلَحِ لَمْ تُغْزَلَا  
وَكُنْتُ إِذَا مَا هَمَمْتُ ابْتِهَلْتُ      وَأُخْرَى إِذَا قُلْتُ أَنْ أَفْعَلَا

ومن اعاجيبهم أنهم كانوا إذا طالت علة الواحد منهم وظنوا أن به مسأ من الجن، لأنه قتل حية أو يزبوعاً أو قنفذاً، عَمِلُوا جَمَالاً مِنْ طِينٍ، وَجَعَلُوا عَلَيْهَا جُرَاقًا، وَمَلَوْهَا حِنطَةً وَشَعِيرًا وَتَمَرًا، وَجَعَلُوا تِلْكَ الْجَمَالَ فِي بَابٍ يُجْخَرُ إِلَى جِهَةِ الْمَغْرِبِ وَقَدْ غَرَبَ الشَّمْسُ، وَبَاتُوا لَيْتَهُمْ تِلْكَ، فَإِذَا أَصْبَحُوا نَظَرُوا إِلَى تِلْكَ الْجَمَالِ الطَّيْنِ، فَإِنْ رَأَوْا أَنَّهَا بِحَالِهَا قَالُوا: لَمْ تَقْبَلِ الدَّيَّةَ، فزادوا فيها، وَإِنْ رَأَوْهَا قَدْ تَسَاوَيْتْ وَتَبَدَّدَ مَا عَلَيْهَا مِنَ الْمَيِّرَةِ قَالُوا: قَدْ قُبِلَتِ الدَّيَّةُ، وَاسْتَدَلُّوا عَلَى شِفَاءِ الْمَرِيضِ وَضَرَبُوا بِالذُّفِّ، قَالَ بَعْضُهُمْ:

قَالُوا وَقَدْ طَالَ عَنَانِي وَالسَّقْمُ      أَحْمِلْ إِلَى الْجَنِّ جَمَالَاتٍ وَضَمَّ  
فَقَدْ فَعَلْتُ وَالسَّقْمُ لَمْ يَرَمْ      فَبِالَّذِي يَمْلِكُ بُرْنِي أَغْتَصِمُ  
وَقَالَ آخَرُ:

فَيَا لَيْتَ أَنَّ الْجَنِّ جَارُوا جَمَالَنِي      وَزُحْزِحَ عَنِّي مَا عَنَانِي مِنَ السَّقْمِ  
وَيَا لَيْتَهُمْ قَالُوا انْطَلْنَا كُلُّ مَا حَوْتُ      يَمِينُكَ فِي حَرْبِ عِمَاسٍ وَفِي سَلَمِ  
أَعْلَلُ قَلْبِي بِالَّذِي يَزْعُمُونَهُ      فَيَا لَيْتَنِي عُوفَيْتُ فِي ذَلِكَ الرَّعَمِ  
وَقَالَ آخَرُ:

أَرَى أَنَّ جَنَّاتِ النُّوْمِرَةِ أَصْبَحُوا      وَهُمْ بَيْنَ غَضَبَانِ عَلِيٍّ وَآسِفِ  
حَمَلْتُ وَلَمْ أَقْبَلْ إِلَيْهِمْ حِمَالَةً      تَسْكُرُ عَنْ قَلْبٍ مِنَ السُّوْمِ نَالِفِ  
وَلَوْ أَنْصَفُوا لَمْ يَطْلُبُوا غَيْرَ حَقِّهِمْ      وَمَنْ لِي مِنْ أَمْثَالِهِمُ بِالتَّنَاصُفِ  
تَغَطُّوا بِثَوْبِ الْأَرْضِ عَنِّي وَلَوْ بَدُوا      لِأَصْبَحْتُ مِنْهُمْ آيِنًا غَيْرَ خَائِفِ

وكانوا إذا غُم عليهم أمرُ الغائب ولم يعرفوا له خبراً جاؤوا إلى بئرٍ عاديةٍ أو حفرٍ قديمٍ ونادوا فيه: يا فلان، أو يا أبا فلان، ثلاث مرّات، ويُزعمون أنه إن كان ميتاً لم يسمِعوا صَوْتاً، وإن كان حياً سَمِعوا صَوْتاً ربّما تَوَهَّموه وَهْماً، أو سَمِعوه من الصُّدى، فَبَنُوا عليه عقيدَتَهُمْ، قال بعضهم:

دَعَوْتُ أبا المِنْوَارِ فِي الجَفْرِ دَعْوَةً      فَمَا أَصْرَ صَوْتِي بِالَّذِي كُنْتُ دَاعِيَا  
أَظُنُّ أبا المِنْوَارِ فِي قَفْرِ مُظْلِمٍ      تَجَرَّ عَلَيْهِ الذَّارِيَاتُ السُّوَارِيَا

وقال:

وَكَمْ نَادَيْتُهُ وَاللَّيْلُ سَاحٍ      بِعَادِيِ البِئَارِ فَمَا أَجَابَا  
وقال آخر:

غَابَ فَلَمْ أَرِجْ لَهُ إِيَابَا      والجَفَرُ لَا يَرْجِعْ لِي جَوَابَا  
وَمَا قَرَأْتُ مُذْنَأَى كِتَابَا      حَتَّى مَتَى أَسْتَنْشِدُ الرُّكَّابَا  
عنه وَكُلُّ يَمْنَعِ الخِطَابَا

وقال آخر:

أَلَمْ تَعْلَمِي أَنِّي دَعَوْتُ مُجَاشِعاً      مِنَ الجَفْرِ وَالظُّلُمَاءِ بِإِدْ كُسُورُهَا  
فَجَاوَيْتَنِي حَتَّى ظَنَنْتُ بِأَنَّهُ      سَيُطْلَعُ مِنْ جَوْفَاءِ صَعْبٍ خُذُورُهَا  
لَقَدْ سَكَنْتُ نَفْسِي وَابْقَنْتُ أَنَّهُ      سَيُقَدِّمُ وَالذَّنْيَا عَجَابُ أُمُورُهَا

وقال آخر:

دَعَوْنَاهُ مِنْ عَادِيَّةٍ نَضَبَ مَاؤُهَا      وَقَدَّمْ جَالِيْنَهَا اخْتِلَافُ عُصُورِ  
فَرَدَّ جَوَاباً مَا شَكَكْتُ بِأَنَّهُ      قَرِيبَ إِلَيْنَا بِالْإِيَابِ بِصِيرِ  
أَقْوَى فِي الْبَيْتِ الثَّانِي، وَسَكَنَ «نَضَبَ» ضَرْبَ كَمَا قَالَ:

لَوْ عُصِرَ مِنْهُ الْبَيَانُ وَالْمِسْكُ انْعَصَرَ

وَمِنْ أَعَاجِبِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا فِي الْحَرْبِ رَبَّماً أَخْرَجُوا النِّسَاءَ فَيُبْلَنُ بَيْنَ الصَّفَيْنِ، يَرَوْنَ أَنَّ ذَلِكَ يُطْفِئُ نَارَ الْحَرْبِ وَيَقُودُهُمْ إِلَى السَّلَامِ.

قال بعضهم:

لَقُونَا بِأَبْوَالِ النِّسَاءِ جَهَالَةً      وَنَحْنُ نُلَاقِيهِمْ بِبَيْضِ قَرَاظِبِ

وقال آخر:

بِالْثَّ نِسَاءُ بَنِي خُرَاشَةَ خَيْفَةٌ      مِنَّا وَأَدْبَرَتِ الرِّجَالُ ثِيْلَالَا

وقال آخر:

بِالْثَّ نِسَاؤُهُمْ وَالبَيْضُ قَدْ أَخَذَتْ      مِنْهُمْ مَا خِذَ يُسْتَشْفَى بِهَا الْكَلْبُ

وهذان البيتان يُمكن أن يراد بهما أن النساء يثُلْنَ خيفةً ودُّعراً، لا على المعنى الذي نحن في ذكره، فإذاً لا يكون فيهما دلالة على المراد.

وقال الآخر:

مِهَات رَدَّ الْخَيْلِ بِالْأَبْوَالِ إِذَا عَدَّتْ فِي صُورِ السَّعَالِي  
وقال آخر:

جَعَلُوا السُّيُوفَ الْمَشْرِفِيَّةَ مِنْهُمْ بَوْلُ النِّسَاءِ وَقَلَّ ذَاكَ عَنَاءٌ

فأما ذكرهم عَزِيفَ الْجَنِّ فِي الْمَفَاوِزِ وَالسَّبَابِيبِ فَكثير مشهور، كقول بعضهم:

وَحَزَقِي تَحَدَّثَ غِيْطَانَهُ حَدِيثَ الْعَدَّارِي بِأَسْرَارِهَا  
وقال آخر:

وَدَوَّقَتِ سَبَبٍ سَمَلَكِي مِنْ الْبَيْدِ تَعْرِفُ جَنَانَهَا  
وقال الأعشى:

وَبَهْمَاءَ تَعْرِفُ جَنَانَهَا مَنَامِلَهَا أَجْنَانَاتُ سُذُمٍ  
وقال:

وَبِلْدَةٍ مِثْلَ ظَهْرِ الثُّرَيَّاسِ مُوجِشَةٍ لِلْجَنِّ بِاللَّيْلِ فِي حَافَاتِهَا رَجَلُ  
وقال آخر:

بَبِينَاءَ فِي أَرْجَائِهَا الْجَنُّ تَعْرِفُ

وقال الشرقي بن القطامي: كَانَ رَجُلٌ مِنْ كَلْبٍ - يُقَالُ لَهُ عَبِيدُ بْنُ الْحُمَارِيسِ - شَجَاعاً، وَكَانَ نَازِلاً بِالسَّمَاوَةِ أَيَّامَ الرَّبِيعِ، فَلَمَّا حَسَرَ الرَّبِيعَ، وَقَلَّ مَاوُهُ، وَأَقْلَعَتْ أَنْوَاؤُهُ، تَحَمَّلَ إِلَى وَادِي ثَبَلٍ، فَرَأَى رَوْضَةً وَغَدِيرًا، فَقَالَ: رَوْضَةٌ وَغَدِيرٌ، وَخُطْبٌ يَسِيرٌ، وَأَنَا لَمَّا حَوَيْتُ مُجِيرَ، فَزَلْتُ هُنَاكَ، وَلَهُ امْرَأَتَانِ: اسْمُ إِحْدَاهُمَا الرُّبَابُ، وَالْأُخْرَى حَوْلَةٌ، فَقَالَتْ لَهُ حَوْلَةٌ:

أَرَى بِلْدَةً قَفَرًا قَلِيلًا أَنْبَسَهَا وَإِنَّا لَنُخْشَى إِنْ دَجَا اللَّيْلُ أَهْلَهَا  
وقالت له الرُّبَابُ:

أَرْنُكَ بِرَأْيِي فَاسْتَمِعْ عَنْكَ قَوْلَهَا وَلَا تَأْسَنْ جَنَّ الْعَزِيفِ وَجَهْلَهَا  
فقال مجيباً لهما:

أَلَسْتُ كَمِيًّا فِي الْحُرُوبِ مُجَرَّبًا شَجَاعًا إِذَا شَبَّتْ لَهُ الْحَرْبُ بِمُحَرَّبَا  
سَرِيعًا إِلَى الْهَيْجَا إِذَا حَمَسَ الْوَقَى فَاقْسِمْ لَا أَغْدُو الْقَدِيرَ مِنْكِبَا

ثمَّ صعد إلى جبل تُبَلِّ فرأى شَيْهَةً - وهي الأنثى من القنَّافذ - فرماها فأقعصها ومعهما ولدُها، فارتبطه، فلما كان الليل هتف به هاتفٌ من الجنِّ:

يا بنَ الحُمَارِسِ قد أسأتَ جوارِنا  
ورعرتَ لَفَحَتِهِ وَقُدَّتْ قَصَبِلُهَا  
ونزلتَ مَرْعَى شائِناً وظَلَمْتَنَا  
فلنسطرُقَنَّكَ بالذي أَوْلَيْتَنَا  
فاجابه ابنُ الحُمَارِسِ:

يا مدعي ظُلُمِي ولستُ بظالم  
إن كنتُم جِنًّا ظلمتُم فَنُفِّدُوا  
لا تَطْمَعُوا فيما لديّ فما لَكُم  
فاجابه الجنِّي:

يا ضاربَ اللَّفْحَةِ بالعَضْبِ الأَمَلِ  
وساقك الحَيْنِ إلى جنِّ تُبَلِّ  
فاجابه ابنُ الحُمَارِسِ:

يا صاحبَ اللَّفْحَةِ هل أنتَ بَجَلْ  
وكثرةِ المنطوقِ في الحربِ قَسَلْ  
ليكَ لُيُوثٌ وإذا هَمَّ قَسَلْ  
من كان بالعقوة من جنِّ تُبَلِّ

قال: فَسَمِعَهُمَا شَيْخٌ من الجنِّ، فقال: لا والله لا نرى قتلَ إنسانٍ ومثلَ هذا ثابتُ القَلْبِ ماضِي العزيمة، فقام ذلك الشيخ وحيد الله تعالى ثم أنشد:

يا بنَ الحُمَارِسِ قد نزلتَ بلادنا  
فبداًتُنَا ظُلُمًا بِمَقَرِّ لِقُوحِنا  
فاعمَدَ لِأمرِ الرُّشْدِ واجتَنِبِ الرُّدَى  
واغرمْ لِصاحبِنا لِقُوحاً متبعاً  
فاجابه ابنُ الحُمَارِسِ:

الله يَعْلَمُ حيثُ يَرْفَعُ عَرْشُهُ  
أنا إذا عاؤك ما أَصَبْتُ فِلَانِي  
فاسمُكُ فيها ما لَنَا ونزلتُها  
أثني لأكْرَهُ أنْ أَصِيبَ أَثامَا  
جئتُ البِلَادَ ولا أريدُ مَقامَا  
لأريحَ فيها ظَهْرنا أَثامَا

فَلْيَغْذُ صَاحِبُكُمْ عَلَيْنَا نَعْمَةً مَا قَدْ سَأَلْتَ وَلَا تَرَاهُ غَرَامَا  
ثم غرم للجن لقوحاً مُتَّبِعاً لَلْقَنَظِ وَلَوْلَاهَا .

وهذه الحكاية وإن كانت كَذِباً إلا أنها تتضمن أدباً، وهي من طرائف أحاديث العرب  
فذكرناها لأدبها وإنتاجها، ويقال: إِنَّ الشَّرْقِيَّ بِنَ الْفُطَامِيِّ كَانَ يَصْنَعُ أَشْعَاراً وَيَتَحَلَّاهَا غَيْرَهُ .

فأما مذهب العرب في أَنَّ لكلَّ شاعر شيطاناً يلقي إليه الشُّعْرَ فمذهب مشهور، والشعراء  
كافة عليه، قال بعضهم:

إِنِّي وَإِنْ كُنْتُ صَغِيرَ السِّنِّ وَكَانَ فِي الْعَيْنِ نَبْرٌ عَنِّي  
فَلَنْ شَيْطَانِي أَمِيرُ الْجِنِّ يَذْهَبُ بِي فِي الشُّعْرِ كُلِّ قَنِّ  
وقال حسان بن ثابت:

إِذَا مَا تَرَعَرَعَ فِينَا الْغُلَامُ فَمَا إِنْ يُقَالُ لَهُ: مَنْ هُوَ؟  
إِذَا لَمْ يَسْذُ قَبْلَ شَذِّ الْإِزَارِ فَذَلِكَ فِينَا الَّذِي لَا هُوَ  
وَلِي صَاحِبٌ مِنْ بَنِي الشُّيْبِصَانِ فَطَوْرًا أَقُولُ وَطَوْرًا هُوَ

وكانوا يزعمون أَنَّ أَسْمَ شَيْطَانِ الْأَعْشى سَحْلُ، واسم شيطان المخبل عمرو، وقال  
الأعشى:

دَعَوْتُ تَحْلِيلِي مِسْحَلًا وَدَعَا لَهُ جَهَنَّمَ جَذْعًا لِلْهَجِينِ الْمَنَّمِ  
وقال آخر:

لَقَدْ كَانَ جَنِّي الْفَرَزْدَقُ قُدْوَةً وَمَا كَانَ فِينَا مِثْلَ فُخْلِ الْمَخْبَلِ  
وَلَا فِي الْقَوَافِي مِثْلَ عَمْرٍو وَشَيْخِهِ وَلَا بَعْدَ عَمْرٍو شَاعِرٌ مِثْلَ مِسْحَلِ  
وقال الفرزدق يصف قصيدته:

كَأَنَّهَا الذَّهَبُ الْعَقِيَانُ حَبْرُهَا لِسَانُ أَشْعَرٍ خَلَقَ اللَّهُ شَيْطَانًا  
وقال أبو النجم:

إِنِّي وَكُلُّ شَاعِرٍ مِنَ الْبَشَرِ شَيْطَانُهُ أَنَشَى وَشَيْطَانِي ذَكَرَ  
وَأَنشُدُ الْخَالِجُ فِيمَا نَحْنُ فِيهِ لِبَعْضِ الرُّجَازِ:

إِنَّ الشَّيَاطِينَ أَتَوْنِي أَرْبَعَةً فِي غَلَسِ اللَّيْلِ وَفِيهِمْ زَوْبَعَةٌ  
وهذا لا يدلُّ على ما نحن بصده من أمر الشعر ولقائه إلى الإنسان، فلا وَجْهَ لإدخاله في

هذا الموضع .

ومن مذاهبهم أنهم كانوا إذا قتلوا الثَّغْبَانَ خافوا من الجنِّ أن يأخذوا بشأره، فيأخذون رؤْثَهُ ويقتونها على رأسه، ويقولون: رؤْثَةُ رَأْتِ ثَأْرَكَ.

وقال بعضهم:

طرخنا عليه الرُّوثَ والرَّجْرُ صادقُ فَرَاتَ علينا شَأْرَهُ والظُّرَّائِلُ  
وقد يُدْرُ على الحَيَّةِ المقتولة يسيرُ رماد، ويقال لها: قتلتك العين فلا تَأْرَ لكَ، وفي أمثالهم  
لَمِنْ ذَهَبَ دَمُهُ هَدْرًا: وهو قَتِيلُ العَيْنِ، قال الشاعر:

وَلَا أَكُنْ كَقَتِيلِ العَيْنِ وَسَطَكُمُ وَلَا ذَبِيحَةِ تَشْرِيقٍ وَتَنْحَارِ

فأما مَذَهَبُهُمْ فِي الْخَرَزَاتِ وَالْأَحْجَارِ وَالرُّقَى وَالْعَزَائِمِ فَمَشْهُورٌ، فَمِنْهَا السُّلُونَةُ - ويقال  
السُّلْوَةُ - وهي خَرَزَةٌ يُسْقَى الْعَاشِقُ مِنْهَا فَيَسْلُو فِي رُغْمِهِمْ، وهي بِيضَاءُ شَقَافَةٍ، قال الراجز:  
لَوْ أَشْرَبَ السُّلُونَانِ مَا سَلَيْتُ مَا بِي غِنَى عَنْكُمْ وَإِنْ غَنَيْتُ  
السُّلُونُ: جَمْعُ سُلْوَانَةٍ.

وقال اللَّحْيَانِي: السُّلْوَانَةُ ثُرَابٌ مِنْ قَبْرِ يُسْقَى مِنْهُ الْعَاشِقُ فَيَسْلُو، وقال عُروَةُ بْنُ حِزَامٍ:  
جَعَلْتُ لِعُرَافِ الْيَمَامَةِ حُكْمَهُ وَعُرَافَ نَجْدٍ إِنْ هُمَا شَقِيَانِي  
فَقَالَا: نَعَمْ نَشْفِي مِنَ الدَّاءِ كُلِّهِ وَقَامَا مَعَ الْعُوَادِ بِبُتْدِرَانِ  
فَمَا تَرَكَا مِنْ رُقِيَّةٍ يَعْرِفَانَهَا وَلَا سَلْسُوءٍ إِلَّا وَقَدْ سَقِيَانِي  
وقال آخر:

سَقَوْنِي سَلْوَةً فَسَلَوْتُ عَنْهَا سَقَى اللَّهُ الْمَنِيَّةَ مَنْ سَقَانِي  
أَي سَلَوْتُ عَنْ السُّلْوَةِ وَاسْتَدْبَيْتُ الْعِشْقَ وَدَامَ. وقال الشَّعْرَدِلُ:  
وَلَقَدْ سَقَيْتُ بِسَلْوَةٍ فَكَأَنَّمَا قَالَ الْمُدَاوِي لِلْحَبَالِ بِهَا أَزْدَدُ  
وَمِنْ خَرَزَاتِهِمُ الْهَيْمَةُ تُجْتَلَبُ بِهَا الرِّجَالُ وَتُعْطَفُ بِهَا قُلُوبُهُمْ، وَرُقِيَّتُهَا: أَخَذَتْهَا بِالْهَيْمَةِ،  
بِالذَّلِيلِ زَوْجٍ وَبِالنَّهَارِ أَمَةٍ.

ومنها الْفَطْسَةُ وَالْقَبْلَةُ وَالذَّرْدَبِيسُ، كُلُّهَا لاجْتِلَابِ قُلُوبِ الرِّجَالِ، قال الشاعر:

جَمَعْنِ مِنْ قَبْلِ لَهْنٍ وَقَطَسْتُ وَالذَّرْدَبِيسَ تَمَانِمًا فِي مَنْظَمِ  
فَانْقَادَ كُلُّ مَشْدُبٍ مَرِسِ الْقُوَى لِجِبَالِ الْهَنْ وَكُلُّ جَلْدٍ شَيْظَمِ

وقيل: الذَّرْدَبِيسُ خَرَزَةٌ سَوْدَاءُ يَتَحَبَّبُ بِهَا النِّسَاءُ إِلَى بُعُولَتِهِنَّ، تَوْجَدُ فِي الْقُبُورِ الْعَادِيَةِ،  
وَرُقِيَّتُهَا: أَخَذَتْهَا بِالذَّرْدَبِيسِ، تُبْزَى الْعَرَقُ الْبَيْسُ، وَتَذَرُ الْجَدِيدَ كَالدَّرِيسِ، وَأَنْشَدَ:

قطعك القيدَ والخَرَازات عني فمن لي من علاج الدُرْدَبِيسِ!  
وأصل الدُرْدَبِيسِ الداهية، ونُقِلَ إلى هذه لقوة تأثيرها.

ومن خَرَازاتهم القِرْزُحَلَة، أنشد ابنُ الأعرابي:

لا تَنفَعُ القِرْزُحَلَةُ العَجَازَا إذا قطعنَ دونَها المَفاوِزا  
وهي من خَرَازِ الضرائر، إذا ليستها المرأة مالَ إليها بعُلمها دونَ خَرتِها.

ومنها خَرَزة العُقرة تشدها المرأة على خَفَوْنِها فتمنع الحبل، ذكر ذلك ابنُ السكيت في  
إصلاح المنطق.

ومنها الينجلب، ورُقِيَتْها: أخذته بالينجلب، فلا يرم ولا يَنْب، ولا يَزَل عند الطُّنب.

ومنها كَرَار، مبنية على الكسر، ورُقِيَتْها: يا كَرَارِ كُرِّيهِ، إن أقبل نُسْرِيهِ، وإن أدبرَ فُصْرِيهِ،  
من قُرْجِه إلى فيه.

ومنها الهُمزة ورُقِيَتْها: يا هُمزة أعمريه، من أسيت إلى فيه، وماله وبيته.

ومنها الخَصْمة، خِرْزة للدخول على السلطان والخصومة، تُجَمَل تحت فَص الخاتم أو في  
زُر القَميص أو في حَمائل السيف، قال بعضهم:

يُعلّقُ غيري خصمة في لِقائهم وما لي عليكم خصمة غيرُ منطقي  
ومنها الوجبة، وهي كالخَصْمة حمراء كالعقيق.

ومنها العُظْفة، خَرَزة العُظْف، والكُخْلة، خَرَزة سوداء تُجَمَل على الصبيان لدفع العين  
عنهم، والقبلة خَرَزة بيضاء تُجَمَل في عُنق الفرس من العين، والْفُظْسة خَرَزة يَمْرَضُ بها العدو  
ويُقتل، ورُقِيَتْها: أخذته بالْفُظْسة، بالثوباء والعطسة، فلا يزال في نَفْسة، من أمره ونَكْسة، حتى  
يَوزرَ رُفْسَه.

ومن رُقامم للحُب: هَوَايَه هَوَايَه، البرقُ والسحابة، أخذته بمركن، فحبه تمكّن. أخذته  
بإبره، فلا يزال في عبْره. خَلِيْتَه بإشقي، فقلبه لا يَهْدا. خَلِيْتَه بمبرّد، فقلبه لا يبرّد.

وتَرْقي الفارُكُ زوجها إذا سافر عنها فتقول: بأقول القمر، وظلّ الشجر، شمالَ تَسْمَلَه،  
وَدَبور تدبره، ونَكْباء تنكبه، شَيْك فلا انتعش، ثم ترمي في أثره بحصاة ونواة وروثة وبعرة،  
وتقول: حصاة حصت أثره، نواة أناث داره، روثه راثَ خبره لقعته ببعرة.

وقالت فارُكُ في زوجها:

أنبعثه إذ رَحَلَ العيسَ ضَحَى بعد النواة روثه حيث انتوى  
الروث للرسني وللنأي النوى



وقال آخر:

رَمَتْ خَلْفَهُ لَمَّا رَأَتْ وَفُكَّ بَيْنَهُ  
وَقَالَتْ: نَأَتْ مِنْكَ الدِّيَارُ فَلَا دَنْتُ  
وَحَضَّتْ لَكَ الْأَثَارَ بَعْدَ ظُهُورِهَا  
وَقَالَ آخَرُ يُخَاطِبُ امْرَأَتَهُ:

لَا تَقْذِفِي خَلْفِي إِذَا الرِّكْبُ اغْتَدَى  
لَنْ يَدْفَعَ الْمَقْدَارَ أَسْبَابُ الرُّقَى  
رَوْثَةٌ عَنِيرٌ وَحَصَاةٌ وَنَسْوَى  
وَلَا التُّهَاقِيلُ عَلَى جَنْ الْفُلَا

هذا الرجز أورده الخالغ في هذا المعرض، وهو بأن يدل على عكس هذا المعنى أولى، لأن قوله: «لَنْ يَدْفَعَ الْمَقْدَارَ بِالرُّقَى»، ولا بالتهاويل على الجن، كلام يُشِيرُ بِأَنْ قُدِّفَ الْحَصَاةُ وَالتَّوَاهُ خَلْفَهُ كَالْعَوْدَةِ لَهُ، لَا كَمَا تَفْعَلُهُ الْفَارِكَ الَّتِي تَمْتَنِي الْفِرَاقَ. فَأَمَّا مَذْهَبُهُمْ فِي الْقِيَاةِ وَالزَّجْرِ وَالْكَهَانَةِ وَاخْتِلَافُهُمْ فِي السَّانِحِ وَالْبَارِحِ، وَتَشَابُهُمْ بِاللَّفْظَةِ وَالْكَلِمَةِ وَتَأْوِيلُهُمْ لَهَا وَتَيَمُّنُهُمْ بِكَلِمَةٍ أُخْرَى، وَمَا كَانُوا يَفْعَلُونَهُ مِنَ الْبَحِيرَةِ وَالسَّائِبَةِ وَالْوَصِيلَةِ وَالْحَامِي فَكَلَهُ مَشْهُورٌ مَعْرُوفٌ لَا حَاجَةَ لَنَا إِلَى ذِكْرِهِ هَاهُنَا.

فَأَمَّا لَفْظُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام فِي قَوْلِهِ: «نَشْرَةٌ»، فَإِنَّ النُّشْرَةَ فِي اللُّغَةِ كَالْعَوْدَةِ وَالرُّقِيَّةِ، قَالُوا: نَشَرْتُ فَلَانًا تَنْشِيرًا، أَيْ رَقَيْتُهُ وَعَوَّدْتُهُ. وَقَالَ الْكَلَابِي: إِذَا نَشَرَ الْمَسْفُوعُ فَكَأَنَّمَا أَنْشِطَ مِنْ عِقَالٍ، أَيْ يَذْهَبُ عَنْهُ مَا بِهِ سَرِيعًا.

وَفِي الْحَدِيثِ أَنَّهُ قَالَ: «فَلْعَلَّ طَبَّاءُ أَصَابَهُ»<sup>(١)</sup> يَعْنِي سَحَرًا، ثُمَّ عَوَّدَهُ بِـ «قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّي مِنَ النَّاسِ»<sup>(٢)</sup>، أَيْ رَقَاهُ، وَكَذَلِكَ إِذَا كَتَبَ لَهُ النُّشْرَةُ.

وَقَدْ عَدَّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام أُمُورًا أَرْبَعَةً ذَكَرَ مِنْهَا النُّشْرَةَ، وَلَمْ يَكُنْ عليه السلام لِيَقُولَ ذَلِكَ إِلَّا عَنْ تَوْقِيفٍ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

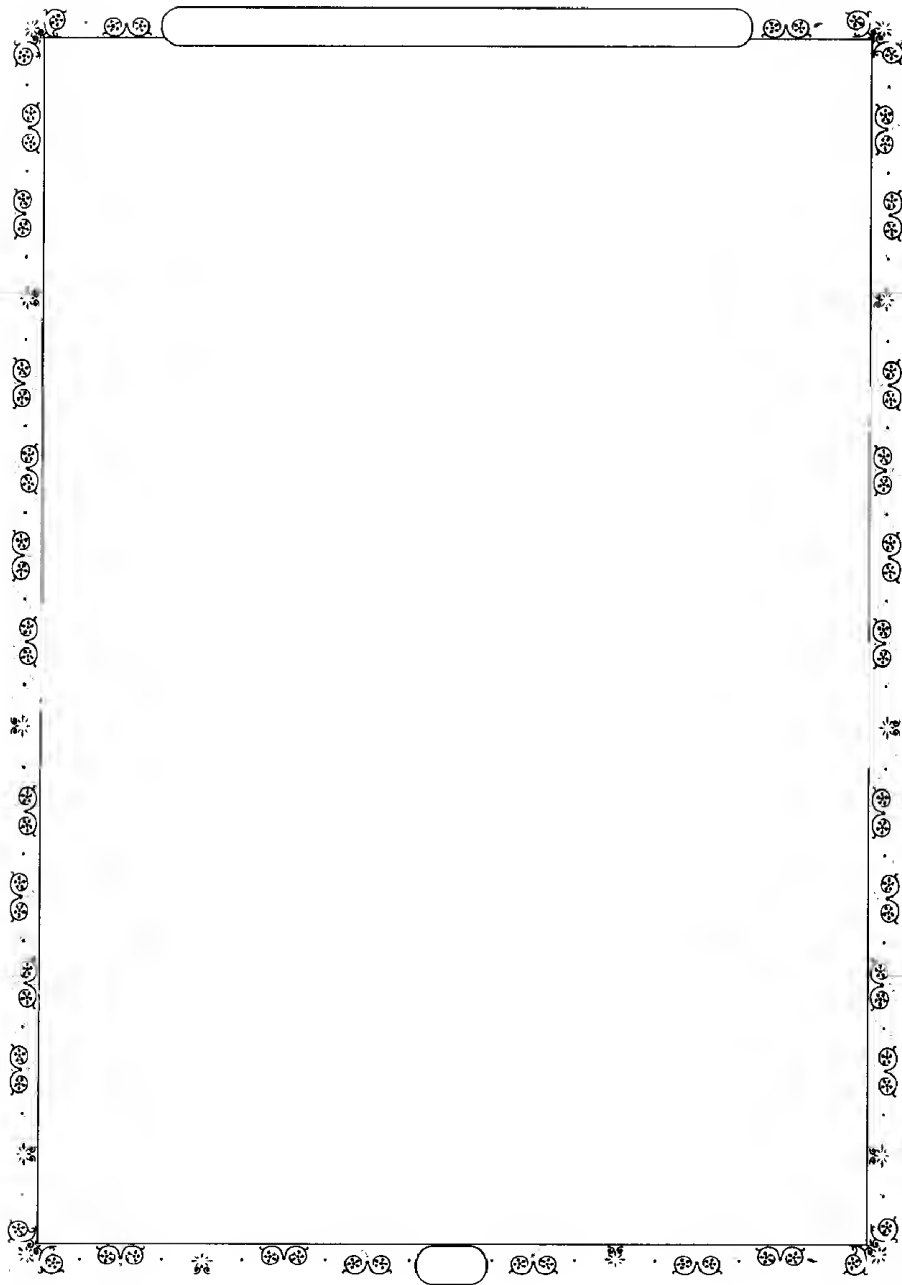
تم الجزء التاسع عشر من شرح نهج البلاغة  
لابن أبي الحديد ووليهِ الجزء العشرون

(١) ذكره في «هون المعبود» (٢٤٩/١٠)، وابن الأثير في «النهاية»، مادة (طبيب).

(٢) سورة الناس، الآية: ١.

# شرح نهج البلاغة

الجزء العشرون



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الواحد العدل

- ٤٠٩ -

**الأصل:** وقال عليه السلام مَقَارِبَةُ النَّاسِ فِي أَخْلَاقِهِمْ أَمْنٌ مِنْ هَوَائِهِمْ.

**الشرح:** إلى هذا نظر المتبني في قوله:

وَحَلَّةٌ فِي جَلِيسٍ اتَّقِيهِ بِهَا      كَيْمَا يَرَى أَنَّنَا مِثْلَانِ فِي الْوَهَنِ  
وِكَلِمَةٌ فِي طَرِيقٍ خِفْتُ أَغْرِبُهَا      فَيَهْتَدِي لِي فَلَمْ أَقْدِرْ عَلَى اللَّحَنِ  
وقال الشاعر:

وما أنا إلا كالزمان إذا صَحَا      صَحُوتُ وَإِنْ مَاقٍ <sup>(١)</sup> الزَّمانُ أَمُوقُ  
وكان يقال: إذا نزلت على قوم فتشبه بأخلاقهم، فإن الإنسان من حيث يوجد، لا من حيث يُولد. وفي الأمثال القديمة: مَنْ دَخَلَ ظَنَفَارٍ حُمِرَ.  
شاعر:

أَحَامِيْقُهُ حَتَّى يُقَالَ سَجِيَّةٌ      وَلَوْ كَانَ ذَا عَقْلٍ لَكُنْتُ أَعَاوِلُهُ

- ٤١٠ -

**الأصل:** وقال عليه السلام لِيَتَضَيَّ مُحَاطِيهِ وَقَدْ تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ يُسْتَضَمُّ مِثْلُهُ عَنْ قَوْلٍ وَمِثْلُهَا: لَقَدْ طُرْتُ شَكِيرًا، وَهَدَرْتُ سَقْبًا.

قَالَ: الشَّكِيرُ هَاهُنَا: أَوَّلُ مَا يَبْتُثُّ مِنْ رِيَشِ الطَّائِرِ قَبْلَ أَنْ يَقْوَى وَيَسْتَحْصِفَ. وَالسَّقْبُ: الصَّبِيرُ مِنَ الْإِبِلِ، وَلَا يَهْدُرُ إِلَّا بَعْدَ أَنْ يَسْتَفْجَلَ.

(١) ماق: حمق. القاموس مادة (موق).

**الشرح:** هذا يشلُّ قولهم: قد رُبِّبَ قبل أن يُحصَر. ومن أمثال العامة: يقرأ بالشراذ، وما حفظ بعد جزء المفصل.

- ٤١١ -

**الأصل:** وقال ﷺ: مَنْ أَوْمَأَ إِلَى مُتَّحَاتٍ خَذَلْتُهُ الْجِيلُ.

**الشرح:** قيل في تفسيره: من استدلَّ بالمشابهة من القرآن في التوحيد والمَدَل انكشف حيلته، فإن علماء التوحيد قد أوضحوا تاويل ذلك.

وقيل: مَنْ بَنَى عَقِيدَةً لَهُ مَخْصُوصَةً عَلَى أَمْرَيْنِ مُخْتَلَفَيْنِ: حَقٌّ وَبَاطِلٌ، كَانَ مُبْطَلًا. وقيل: مَنْ أَوْمَأَ بِطَمَعِهِ وَأَمَلَهُ إِلَى فَائِزٍ قَدْ مَضَى وَانْقَضَى لَنْ تَنْفَعَهُ حِيلَةٌ، أَي لَا يُجْبِرُنَّ أَحَدَكُمْ أَمَلُهُ مَا قَدْ فَاتَهُ، وَهَذَا ضَعِيفٌ لِأَنَّ الْمُتَّحَاتِ فِي اللَّفَّةِ غَيْرُ الْفَائِزِ.

- ٤١٢ -

**الأصل:** قَالَ ﷺ - وَقَدْ سُئِلَ عَنْ مَعْنَى قَوْلِهِمْ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ - : إِنَّا لَا نَمْلِكُ مَعَ اللَّهِ شَيْئًا، وَلَا نَمْلِكُ إِلَّا مَا مَلَكَنَا، فَمَعْنَى مَلَكَنَا مَا هُوَ أَمْلَكُ بِهِ مِنَّا كَلَفْنَا، وَمَعْنَى أَخَذَهُ مِنَّا وَضَعَ تَكْلِفَهُ عَلَيْنَا.

**الشرح:** مَعْنَى هَذَا الْكَلَامِ أَنَّهُ ﷺ جَمَعَ الْحَوْلَ عِبَارَةً عَنِ الْمَلَكِيَّةِ وَالتَّصَرُّفِ، وَجَمَعَ الْقُوَّةَ عِبَارَةً عَنِ التَّكْلِيفِ، كَأَنَّهُ يَقُولُ: لَا تَمْلِكُ وَلَا تَصْرُفُ إِلَّا بِاللَّهِ، وَلَا تَكْلِفُ لَأَمْرٍ مِنَ الْأُمُورِ إِلَّا بِاللَّهِ، فَنَحْنُ لَا نَمْلِكُ مَعَ اللَّهِ شَيْئًا، أَي لَا نَسْتَقِلُّ بِأَنْ تَمْلِكُ شَيْئًا، لِأَنَّهُ لَوْ لَا إِقْدَارُهُ لَإِنَّا وَخَلَقْتَهُ لَنَا أَحْيَاءَ لَمْ نَكُنْ مَالِكِينَ وَلَا مُتَصَرِّفِينَ، فَإِذَا مَلَكَنَا شَيْئًا هُوَ أَمْلَكُ بِهِ - أَي أَقْدَرُ عَلَيْهِ مِنَّا - صَرْنَا مَالِكِينَ لَهُ كَالْمَالِ مَثَلًا حَقِيقَةً، وَكَالْعَقْلِ وَالْجَوَارِحِ وَالْأَعْضَاءِ مَجَازًا، وَحِينَئِذٍ يَكُونُ مَكْلَفًا لَنَا أَمْرًا يَتَعَلَّقُ بِمَا مَلَكَنَا لِنَاهِ، نَحْوُ أَنْ يَكْلَفُنَا الرِّكَاعَةَ عِنْدَ تَمْلِكِنَا الْمَالِ، وَيَكْلَفُنَا النَّظَرَ عِنْدَ تَمْلِكِنَا الْعَقْلِ، وَيَكْلَفُنَا الْجِهَادَ وَالصَّلَاةَ وَغَيْرَ ذَلِكَ عِنْدَ تَمْلِكِنَا الْأَعْضَاءِ وَالْجَوَارِحِ، وَمَتَى أَخَذَ مِنَّا الْمَالِ وَضَعَ عَلَيْنَا تَكْلِيفَ الرِّكَاعَةِ، وَمَتَى أَخَذَ الْعَقْلَ سَقَطَ تَكْلِيفُ النَّظَرِ، وَمَتَى أَخَذَ الْأَعْضَاءَ وَالْجَوَارِحَ سَقَطَ تَكْلِيفُ الْجِهَادِ وَمَا يَجْرِي مَجْرَاهُ.

هذا هو تفسير قوله ﷺ، فأما غيره فقد فسر به شيء آخر، قال أبو عبد الله جعفر بن محمد ﷺ: فلا حَوْلَ على الطاعة ولا قُوَّةَ على ترك المعاصي إلا بالله، وقال قوم - وهم المجبرة: لا فعل من الأفعال إلا وهو صادر من الله، وليس في اللفظ ما يدل على ما ادَّعَوْا، وإنما فيه أنه لا اقتدار إلا بالله، وليس يلزم من نفي الاقتدار إلا بالله صدق قولنا: لا فعل من الأفعال إلا وهو صادر عن الله، والأولى في تفسير هذه اللفظة أن تُحمَل على ظاهرها، وذلك أن الحَوْلَ هو القُوَّةُ، والقُوَّةُ هي الحَوْلُ كلاهما مترادفان، ولا ريب أن القدرة من الله تعالى، فهو الذي أقدر المؤمن على الإيمان، والكافر على الكفر، ولا يلزم من ذلك مخالفة القول بالعدل، لأن القدرة ليست موجبة.

فإن قلت: فأي فائدة في ذكر ذلك وقد علم كل أحد أن الله تعالى خَلَقَ القُدْرَةَ في جميع الحيوانات؟

قلت: المراد بذلك الرد على من أثبت صانعاً غير الله، كالمجوس والنثوية، فإنهم قالوا باللهين: أحدهما يخلق قدرة الخير، والآخر يخلق قدرة الشر.

- ٤١٣ -

الأصل: وقال ﷺ لِمَعْمَارِ بْنِ يَاسِرٍ رَجِمَهُ اللهُ تَعَالَى وَقَدْ سَمِعَهُ يُرَاجِعُ الْمُغْيِرَةَ بِنَ شُعْبَةَ كَلَاماً:

دَعُهُ يَا عَمَّارُ، فَإِنَّهُ لَنْ يَأْخُذَ مِنَ الدِّينِ إِلَّا مَا قَارَبَهُ مِنَ الدُّنْيَا، وَعَلَى عَمْدٍ لَبَسَ عَلَى نَفْسِهِ، لِيَجْعَلَ الشُّبُهَاتِ عَازِراً لِسَقَطَاتِهِ.

الشرح: أصحابنا غير متفقين على السكوت على المغيرة، بل أكثر البغداديين يفسقونه، ويقولون فيه ما يقال في الفاسق، ولما جاء عروة بن مسعود الثقفي إلى رسول الله ﷺ حَامِ المَحْدِيَّةِ نظر إليه قائماً على رأس رسول الله مقلداً سبياً، فقيل: من هذا؟ قيل: ابن أخيك المغيرة، قال: وأنت هاهنا يا عَمَّارُ والله إني إلى الآن ما غسَلْتُ سَوْءَتَكَ<sup>(١)</sup>.

وكان إسلام المغيرة من غير اعتقاد صحيح، ولا إنابة ونية جميلة، كان قد صُحِبَ قوماً في بعض الطرق، فاستغفلهم وهم نيام، فقتلهم وأخذ أموالهم وهرب خوفاً أن يُلْحَقَ فيقتل، أو

(١) أخرجه ابن حبان في «صحيحه» (٤٥٨٣)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٤٠٤/٢٠).

يؤخذ ما فاز به من أموالهم، فقَدِم المدينة فأظهر الإسلام، وكان رسول الله ﷺ لا يرد على أحد إسلامه: أسلم عن علة أو عن إخلاص، فامتنع بالإسلام، واعتصم، وحَيَّ جانبه.

ذكر حديثه أبو الفرج علي بن الحسين الأصبهاني في كتاب «الأغاني»<sup>(١)</sup>، قال: كان المغيرة يحدث حديث إسلامه، قال: خرجت مع قوم من بني مالك ونحن على دين الجاهلية إلى الثَّقُفِ مَلِك مصر، فدخلنا إلى الإسكندرية، وأهدينا للملك هدايا كانت معنا، فكنتُ أهون أصحابي عليه، وقبض هدايا القوم، وأمر لهم بجوائز، وفضل بعضهم على بعض، وقصر بي فأعطاني شيئاً قليلاً لا ذكر له، وخرجنا، فأقبلت بنو مالك يشترون هدايا لأهلهم وهم مسرورون، ولم يعرض أحد منهم عليّ مواساةً، فلما خرجوا حملوا معهم خمرًا، فكانوا يشربون منها، فاشرب معهم، ونفسي تأبى أن تدعني معهم، وقلت: ينصرفون إلى الطائف بما أصابوا، وما حياهم به الملك، ويخبرون قومي بتقصيره بي وازدراؤه إياي! فأجمعتُ على قتلهم، فقلت: إني أجد ضداً، فوضعوا شرابهم ودعوني، فقلت: رأسي يُصدع، ولكن اجلسوا فاسقيكم، فلم يُنكروا من أمري شيئاً، فجلست أسقيهم وأشرب القَدَح بعد القَدَح، فلما دبت الكأس فيهم اشتهاوا الشراب، فجعلتُ أصرف لهم وأتبع الكأس، فيشربون ولا يدرون، فأهدمتهم الخمر حتى ناموا، ما يعقلون، فوثبت إليهم فقتلتهم جميعاً، وأخذت جميع ما كان معهم.

وقدِمَت المدينة فوجدتُ النبي ﷺ بالمسجد وعنده أبو بكر - وكان بي عارفاً - فلما رأيته قال: ابن أخي غروة؟ قلت: نعم، قد جئتُ أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: «الحمد لله»: فقال أبو بكر من مصر أقبلت؟ قلت: نعم؟ قال: فما فعل المالكيتون الذين كانوا معك؟ قلت: كان بيني وبينهم بعض ما يكون بين العرب، ونحن على دين الشرك، فقتلتهم، وأخذت أسلابهم، وجئتُ بها إلى رسول الله ﷺ ليُخَمَّسَها ويرى فيها رايه، فإنها غنيمة من المشركين، فقال رسول الله ﷺ: «أما إسلامك فقد قبلته، ولا تأخذ من أموالهم شيئاً ولا نخمَّسها، لأن هذا حُرٌّ، والعذر لا خير فيه»، فأخذني ما قَرُب وما بُعد، فقلت: يا رسول الله، إنما قتلتهم وأنا على دين قومي، ثم أسلمتُ حين دخلتُ إليك الساعة، فقال ﷺ: «الإسلام يجب ما قبله»<sup>(٢)</sup>. قال: وكان قتل منهم ثلاثة عشر إنساناً، واحتوى على ما معهم، فبلغ ذلك ثقيفاً بالطائف، فتداعوا للقتال، ثم اصطَلَحوا على أن حمل عتي غروة بن مسعود ثلاث عشرة دية.

(١) «الأغاني: لأبي الفرج علي بن الحسين الأصبهاني، المتوفى سنة (٣٥٦هـ)، وهو كتاب لم يؤلف مثله تفاقاً. «كشف الظنون» (١/١٢٩).

(٢) أخرجه ابن سعد في «الطبقات» (٤/٢٨٦)، والذهبي في «سير أعلام النبلاء» (٣/٢٥).

قال: فذلك معنى قول عُرْوَة يوم الحُدُيَّة: «يا عُذْر، أنا إلى الأَمْس أغسل سوءَكَ، فلا أستطيع أن أغسلها»، فلهذا قال أصحابنا البغداديون: مَنْ كان إسلامُهُ على هذا الوجه، وكانت خاتمته ما قد تواتر الخبر به، من لعن عليَّ عليه السلام على المنابر إلى أن مات على هذا الفعل، وكان المتوسط من عمره الفُسق والتُّجور وإعطاء البُظن والفرج سؤلها، وممالة الفاسقين، وصرف الوقت إلى غير طاعة الله، كيف نتولاه! وأي عُذْر لنا في الإمساك عنه، وألاً نكشف للناس فسقَهُ!

### مع أبي المعالي الجويني في أمر الصحابة والرد عليه

وحضرت عند النقيب أبي جعفر يحيى بن محمد العلوي البصري في ستة إحدى عشرة وستمائة ببغداد، وعنده جماعة، وأحدهم يقرأ في الأغاني لأبي الفرج، فمر ذكر المغيرة بن شعبة وخاض القوم، فذمه بعضهم، وأثنى عليه بعضهم، وأمسك عنه آخرون، فقال بعض فقهاء الشيعة ممن كان يشتغل بطرف من علم الكلام على رأي الأشعري: الواجب الكف والإمساك عن الصحابة، وعما شجر بينهم، فقد قال أبو المعالي الجويني: إن رسول الله صلى الله عليه وآله نهى عن ذلك، وقال: «إياكم وما شجر بين صحابتي»<sup>(١)</sup>، وقال: «دعوا لي أصحابي، فلو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً لما بلغ مدُّ أحدكم ولا نصيبُهُ»<sup>(٢)</sup>، وقال: «أصحابي كالنجوم، بأيهم اقتديتم اهتديتم»<sup>(٣)</sup>، وقال: «خيركم القرن الذي أنا فيه ثم الذي يليه، ثم الذي يليه، ثم الذي يليه»<sup>(٤)</sup>، وقد ورد في القرآن الثناء على الصحابة وعلى التابعين، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «وما يُدْرِك لعل الله اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم»<sup>(٥)</sup>! وقد روي عن الحسن

(١) ذكره ابن الأثير في «النهاية الحديث» (٤٤٦/٢)، مادة (شجر).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب: المناقب، باب: قول النبي صلى الله عليه وآله: «لو كنت متخذاً خليلاً»، (٣٦٧٣)، ومسلم، كتاب: فضائل الصحابة، باب: تحريم سب الصحابة (٢٥٤٠)، كلاهما بلفظ: «لا تسبوا أصحابي»، بدل «دعوا لي أصحابي»، أما رواية المؤلف فرواها أحمد في «مسنده» (١٣٤٠٠) بلفظ: «دعوا لي أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أنفقتم مثل أحد أو مثل الجبال ذهباً ما بلغت أعمالهم»، وكذلك أخرجه الطبري في «الرياض النضرة» (١٧٥/١).

(٣) أخرجه عبد بن حميد في «مسنده» (٧٨٣)، والشهاب في «مسنده» (١٣٤٦)، والحكيم الترمذي في «نوادير الأصول» (٦٢/٣)، والدليمي في «مسند الفردوس» (٦٤٩٧).

(٤) أخرجه البخاري، كتاب: الشهادات، باب: لا يشهد مع شهادة جور إذا أشهد (٢٦٥١)، ومسلم، كتاب: فضائل الصحابة، باب: فضل الصحابة ثم الدين يلونهم ثم الذين يلونهم (٢٥٣٥).

(٥) أخرجه البخاري، كتاب: الجهاد، باب: الجاسوس (٣٠٠٧)، ومسلم، كتاب: فضائل الصحابة، باب: فضل بدر وقصة حاطب (٢٤٩٤).



الْبَصْرِي أَنَّهُ ذَكَرَ عِنْدَهُ الْجَمَلُ وَصِفَيْنِ فَقَالَ: تِلْكَ دِمَاءُ طَهَّرَ اللَّهُ مِنْهَا أَسْيَافَنَا، فَلَا نَلَطُّ بِهَا السِّنَانَا.

ثُمَّ إِنَّ تِلْكَ الْأَحْوَالَ قَدْ غَابَتْ عَنَّا وَبُعِدَتْ أَخْبَارُهَا عَلَى حَقَائِقِهَا، فَلَا يَلِيقُ بِنَا أَنْ نَخْوَضَ فِيهَا، وَلَوْ كَانَ وَاحِدٌ مِنْ هَؤُلَاءِ قَدْ أَخْطَأَ لَوَجِبَ أَنْ يُحْفَظَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِيهِ، وَمِنْ الْمَرْوَةِ أَنْ يُحْفَظَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي عَائِشَةَ زَوْجَتِهِ، وَفِي الزَّبِيرِ ابْنِ عَمَّتِهِ، وَفِي طَلْحَةَ الَّذِي وَقَاهُ يَدُهُ. ثُمَّ مَا الَّذِي أَلْزَمَنَا وَأَوْجَبَ عَلَيْنَا أَنْ نَلْعَنَ أَحَدًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَوْ نَبْرَأَ مِنْهُ! وَإِنْ ثَوَابُ فِي اللَّعْنَةِ وَالْبِرَاءَةِ! إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِلْمَكْلُفِ: لَمْ تَلْعَنَ؟ بَلْ قَدْ يَقُولُ لَهُ: لِمَ لَعَنْتَ؟ وَلَوْ أَنَّ إِنْسَانًا عَاشَ عَمْرَهُ كُلَّهُ لَمْ يَلْعَنَ إِلَّا يَسْ لَمْ يَكُنْ عَاصِيًا وَلَا أَكْمَأًا، وَإِذَا جَعَلَ الْإِنْسَانُ يَوْضَ اللَّعْنَةِ اسْتَغْفَرَ اللَّهُ كَانَ خَيْرًا لَهُ. ثُمَّ كَيْفَ يَجُوزُ لِلْعَامَّةِ أَنْ تُدْخِلَ أَنْفُسَهَا فِي أُمُورِ الْخَاصَّةِ، وَأَوَّلُكَ قَوْمٌ كَانُوا أَمْرَاءَ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَقَادَتِهَا، وَنَحْنُ الْيَوْمَ فِي طَبَقَةِ سَافِلَةٍ جَدًّا عَنْهُمْ، فَكَيْفَ يَحْسُنُ بِنَا التَّمَرُّضُ لِذِكْرِهِمْ! أَلَيْسَ يَقْبَحُ مِنَ الرَّعِيَةِ أَنْ تَخْوَضَ فِي دَفَاقِ أُمُورِ الْمَلِكِ وَأَحْوَالِهِ وَشُؤُونِهِ الَّتِي تَجْرِي بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَهْلِهِ وَبَيْنَ عَمِّهِ وَنَسَائِهِ وَسَرَائِيهِ! وَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صِهْرًا لِمَعَاوِيَةَ. وَآخَتُهُ أُمُّ حَبِيبَةَ تَحْتَهُ، فَلَا دَبَّ أَنْ تُحْفَظَ أُمُّ حَبِيبَةَ وَهِيَ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ فِي أَخِيهَا.

وَكَيْفَ يَجُوزُ أَنْ يَلْعَنَ مَنْ جَعَلَ اللَّهُ تَعَالَى بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَسُولِهِ مَوَدَّةً! أَلَيْسَ الْمَفْسُورُونَ كُلَّهُمْ قَالُوا: هَذِهِ الْآيَةُ أَنْزِلَتْ فِي أَبِي سُفْيَانَ وَآلِهِ، وَهِيَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ كَذَبْتُمْ بِهِمْ مَوَدَّةً﴾<sup>(١)</sup>! فَكَانَ ذَلِكَ مُصَاهِرَةً رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَبَا سُفْيَانَ وَتَزْوِيجَهُ ابْنَتَهُ. عَلَى أَنَّ جَمِيعَ مَا تَنَقَّلَهُ الشَّيْعَةُ مِنَ الْإِخْتِلَافِ بَيْنَهُمْ وَالْمَشَاجِرَةِ لَمْ يَثْبُتْ، وَمَا كَانَ الْقَوْمُ إِلَّا كِبْنِي أُمُّ وَاحِدَةٍ وَلَمْ يَنْتَكِرْ بَاطِلٌ أَحَدٌ مِنْهُمْ عَلَى صَاحِبِهِ فَقَدْ، وَلَا وَقَعَ بَيْنَهُمْ إِخْتِلَافٌ وَلَا نِزَاعٌ.

فَقَالَ أَبُو جَعْفَرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: قَدْ كُنْتُ مِنْذُ أَيَّامٍ عَلَّقْتُ بِخَطْلِي كَلَامًا وَجَدْتُهُ لِبَعْضِ الزُّنَيدِيَةِ فِي هَذَا الْمَعْنَى نَقْضًا وَرَدًّا عَلَى أَبِي الْمَعَالِي الْجَوْنِيِّ فِيمَا اخْتَارَهُ لِنَفْسِهِ مِنْ هَذَا الرَّأْيِ، وَأَنَا أَخْرَجَهُ إِلَيْكُمْ لِاسْتِغْنَائِي بِتَأْمَلِهِ عَنِ الْحَدِيثِ عَلَى مَا قَالَهُ هَذَا الْفَقِيهَ، فَإِنِّي أَجِدُ أَلْمًا يَمْنَعُنِي مِنَ الْإِطَالَةِ فِي الْحَدِيثِ، لَا سِيَّمَا إِذَا خَرَجَ مَخْرَجَ الْجَدَلِ وَمُقَاوَمَةِ الْخُصُومِ، ثُمَّ أَخْرَجَ مِنْ بَيْنِ كُتُبِهِ كُرَاسًا قَرَأَنَاهُ فِي ذَلِكَ الْمَجْلِسِ وَاسْتَحْسَنَتُهُ الْحَاضِرُونَ، وَأَنَا أَذْكُرُهَا هُنَا خُلَاصَتَهُ.

قَالَ: لَوْلَا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَوْجَبَ مَعَادَاةَ أَعْدَائِهِ، كَمَا أَوْجَبَ مَوَالَاةَ أَوْلِيَائِهِ، وَضَيَّقَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ تَرْكُهَا إِذَا دَلَّ الْعَقْلُ عَلَيْهَا، أَوْ صَحَّ الْخَبَرُ عَنْهَا بِقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: ﴿لَا يَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾<sup>(٢)</sup>، وَبِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا أَتَيْنَا مَا نَكْتُمُ لَهُمْ

(١) سورة الممتحنة، الآية: ٧.

(٢) سورة المجادلة، الآية: ٢٢.

أَوَّلِيَّةٌ<sup>(١)</sup>، ويقول سبحانه: ﴿لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾<sup>(٢)</sup>، وإجماع المسلمين على أن الله تعالى فَرَضَ عداوة أعدائه، وولاية أوليائه، وعلى أن: البغض في الله واجب، والحب في الله واجب - لما تعرَّضنا لمعاداة أحد من الناس في الدين، ولا البراءة منه، ولكانت عداوتنا للمقوم تكلفاً. ولو ظننَّا أنَّ الله عزَّ وجلَّ يَعِزُّونَا إِذَا قُلْنَا: يَا رَبِّ غَابَ أَمْرُهُمْ عَنَّا، فلم يكن لَحُزْنُنَا فِي أَمْرٍ قَدْ غَابَ عَنَّا مَعْنَى، لاعتمدنا على هذا العُدْر، ووالئناهم، ولكنا نخاف أن يقول سبحانه لنا: إِنْ كَانَ أَمْرُهُمْ قَدْ غَابَ عَنَّا بِصَارِكُمْ، فلم يُغِبْ عَنَّا قُلُوبَكُمْ وَأَسْمَاعَكُمْ، قد أنتمكم به الأخبارُ الصحيحة التي بمثلها الزَّيْنَمُ أَنْفُسَكُمْ الْإِقْرَارَ بِالنَّبِيِّ ﷺ وَمُؤَالَاةً مَن صَدَقَهُ، ومعاداة مَنْ عَصَاهُ وَجَحَدَهُ، وَأَمْرُكُمْ بِتَدْبِيرِ الْقُرْآنِ وَمَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ، فهُلَّا حَزِنْتُمْ مَن أَنْ تَكُونُوا مَن أَهْلُ هَذِهِ الْآيَةِ غَدًا: ﴿رَبَّنَا إِنَّا أَلَمْنَا سَادَتَنَا وَكَرِهْنَا فَأَقِلَّوْنَاكَ الْيَسِيلَا﴾<sup>(٣)</sup>

فأما لفظة اللعن فقد أمر الله تعالى بها وأوجبها، ألا تَرَى إِلَى قَوْلِهِ: ﴿أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾<sup>(٤)</sup>، فهو إخبارٌ بمعناه الأمر، كقوله: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَرْتَضُونَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾<sup>(٥)</sup>، وقد لعن الله تعالى العاصين بقوله: ﴿لَوْ لَعَنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ﴾<sup>(٦)</sup>، وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا﴾<sup>(٧)</sup>، وقوله: ﴿يَلْعَنُوكَ أَهْلُكَ تُقِفُوا أَجْدَا وَتَقِيلُوا تَقِيلَا﴾<sup>(٨)</sup>، وقال الله تعالى لإبليس: ﴿وَلَعَنَ عَلَيْكَ لَعَنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ﴾<sup>(٩)</sup> وقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سِيرًا﴾<sup>(١٠)</sup>.

فأما قول من يقول: «أي ثواب في اللعن!» وإن الله تعالى لا يقول للمكلف لِمَ لم تلعن؟ بل قد يقول له: لم لَعَنْتَ؟ وأنه لو جعل مكان لَعَنَ الله فلاناً، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي لَكَ خيراً له، ولو أن إنساناً عاش عمره كله لم يَلْعَنَ إبليس لم يُؤَاخِذْ بِذَلِكَ، فكلامٌ جاهل لا يدري ما يقول، اللعن طاعة، ويُستحق عليها الثواب إذا فعلت على وجهها، وهو أن يُلْعَنَ مُسْتَحَقُّ اللُّعْنِ لله وفي الله، لا في العصية والهوى، ألا تَرَى أَنَّ الشَّرْعَ قَدْ زَوَّدَ بِهَا فِي نَفْيِ الْوَلَدِ، ونطق بها القرآن، وهو أن يقول الزوج في الخامسة: ﴿أَنْ لَعَنْتَ اللَّهَ عَلَيَّ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾<sup>(١١)</sup> فلو لم يكن الله تعالى يريد أن يتلفظ عباده بهذه اللفظة وأنه قد تعبد بهم بها، لما جعلها من معالم الشرع، ولما كَرَّرَهَا فِي كَثِيرٍ مِنْ كِتَابِهِ الْعَزِيزِ، ولما قال في حق القاتل: ﴿وَعَصَبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ﴾<sup>(١٢)</sup>، وليس المراد

(٢) سورة الممتحنة، الآية: ١٣.

(١) سورة المائدة، الآية: ٨١.

(٤) سورة البقرة، الآية: ١٥٩.

(٣) سورة الأحزاب، الآية: ٦٧.

(٦) سورة المائدة، الآية: ٧٨.

(٥) سورة البقرة، الآية: ٢٢٨.

(٨) سورة الأحزاب، الآية: ٦١.

(٧) سورة الأحزاب، الآية: ٥٧.

(١٠) سورة الأحزاب، الآية: ٦٤.

(٩) سورة ص، الآية: ٧٨.

(١٢) سورة النساء، الآية: ٩٣.

(١١) سورة النور، الآية: ٧.

من قوله: «ولعنه» إلا الأمر لنا بأن نلعنه، ولو لم يكن المراد بها ذلك لكان لنا أن نلعنه، لأن الله تعالى قد لعنه، أفليعن الله تعالى إنساناً ولا يكون لنا أن نلعنه! هذا ما لا يسوغ في العقل، كما لا يجوز أن يمدح الله إنساناً إلا ولنا أن نمدحه، ولا يذمه إلا ولنا أن نذمه، وقال تعالى: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرِّ ذَلِكَ مُنْجٍ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ أَثَمِهِ اللَّهُ؟﴾<sup>(١)</sup>، وقال: ﴿رَبَّنَا آتِنَا مِن مَّنْ ثَمَرِهِ ذَرًّا وَرَبَّنَا آتِنَا مِن مَّنْ ثَمَرِهِ ذَرًّا وَرَبَّنَا آتِنَا مِن مَّنْ ثَمَرِهِ ذَرًّا﴾<sup>(٢)</sup>، وقال عز وجل: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَقْلُوبَةٌ عَلَتْ أَيْدِيَهُمْ وَلَوْ أَنَّ يَدَايَا قُلُوبِهِمْ﴾<sup>(٣)</sup>. وكيف يقول القائل: إن الله تعالى لا يقول للمكلف: لِمَ لم تلعن؟ ألا يعلم هذا القائل أن الله تعالى أمر بولاية أوليائه، وأمر بعداوة أعدائه، فكما يسأل عن التولي يسأل عن التبري! ألا ترى أن اليهودي إذا أسلم يطالب بأن يقال له: تَلَفَّظ بكلمة الشهادتين، ثم قل: برئت من كل دين يخالف دين الإسلام، فلا بد من البراءة، لأن بها يتم العمل! ألم يسمع هذا القائل قول الشاعر:

تَوَدُّ عَدُوِّي ثُمَّ تَزْعُمُ أَنَّنِي صَدِيقُكَ، إِنَّ الرَّاْيَ عَنْكَ لِعَارِظٌ

فمودة العدو خروج عن ولاية الولي، وإذا بطلت المودة لم يبق إلا البراءة، لأنه لا يجوز أن يكون الإنسان في درجة متوسطة مع أعداء الله تعالى وعصائره بآلا يؤدهم ولا يبرأ منهم بإجماع المسلمين على نفي هذه الوسطة.

وأما قوله: «لو جعل عوض اللعنة استغفر الله لكان خيراً له»، فإنه لو استغفر من غير أن يلعن أو يعتقد وجوب اللعن لما نفعه استغفاره ولا قبل منه، لأنه يكون عاصياً لله تعالى، مخالفاً أمره في إمساكه عمن أوجب الله تعالى عليه البراءة منه، وإظهار البراءة، والمصر على بعض المعاصي لا تقبل توبته واستغفاره عن البعض الآخر، وأما من يعيش عمره ولا يلعن إبليس، فإن كان لا يعتقد وجوب لعنه فهو كافر، وإن كان يعتقد وجوب لعنه فهو مخطئ، على أن الفرق بينه وبين ترك لعنه رؤوس الضلال في هذه الأمة كعماوية والمغيرة وأمثالهما، أن أحداً من المسلمين لا يورث عنده الإمساك عن لعن إبليس شبهة في أمر إبليس، والإمساك عن لعن هؤلاء وأضرابهم يثير شبهة عند كثير من المسلمين في أمرهم، وتجنب ما يورث الشبهة في الدين واجب، فلهذا لم يكن الإمساك عن لعن إبليس نظيراً للإمساك عن أمر هؤلاء.

قال: ثم يقال للمخالفين: أرايتم لو قال قائل: قد غاب عنا أمر يزيد بن معاوية والحجاج بن يوسف، فليس ينبغي أن نخوض في قصتهما، ولا أن نلعنهما ونعاديهما ونبرأ منهما، هل كان

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٦٨.

(١) سورة المائدة، الآية: ٦٠.

(٣) سورة المائدة، الآية: ٦٤.

هذا إلا كقولكم: قد غاب عنا أمر معاوية والمغيرة بن شعبة وأضرابهما، فليس لخوضنا في قضتهم معنى!

وبعد، فكيف أدخلتم أيها العامة والحشوة وأهل الحديث أنفسكم في أمر عثمان وخضتم فيه، وقد غاب عنكم! وبرئتم من قتلته، ولعنتموهم! وكيف لم تحفظوا أبا بكر الصديق في محمد ابنه فإنكم لعتموه وفسقتموه، ولا حفظتم عائشة أم المؤمنين في أخيها محمد المذكور، ومنعتمونا أن نخوض وندخل أنفسنا في أمر علي والحسن والحسين ومعاوية الظالم له ولهما، المتغلب على حقّه وحقوقهما! وكيف صار لعن ظالم عثمان من السنة عندهم، ولعن ظالم عليّ والحسن والحسين تكلفاً! وكيف أدخلت العامة أنفسها في أمر عائشة وبرئت ممن نظر إليها، ومن القائل لها: يا حُمَيْراء، أو إنما هي حُمَيْراء، ولعنّته بكشفه سترها، ومنعنا نحن عن الحديث في أمر فاطمة وما جرى لها بعد وفاة أبيها.

فإن قلتم: إن بيت فاطمة إنما دُخل، وسترها إنما كُشف، حفظاً لنظام الإسلام، وكَيْلاً يَشْتَرِ الأمر ويُخْرِجَ قومٌ من المسلمين أعناقهم من رِيقَةِ الطاعة ولزوم الجماعة.

قيل لكم: وكذلك ستر عائشة إنما كُشف، وفُودجها إنما هُتِكَ، لأنها نشرت حبيل الطاعة، وشَقَّت عصا المسلمين، وأراقت دماء المسلمين من قبل وصول عليّ بن أبي طالب عليه السلام إلى البصرة، وجرى لها مع عثمان بن حُنيف وحكيم بن جَبَلَة ومن كان معهما من المسلمين الصالحين من القتل وسَفَك الدماء ما تَنطِقُ به كُتُبُ التواريخ والسِّير، فإذا جاز دُخُولُ بيت فاطمة لأمر لم يقع بعدُ جاز كُشْفُ سِتْرِ عائشة على ما قد وقع وتحقق، فكيف صار هُتِكَ ستر عائشة من الكبائر التي يجب معها التخليد في النار، والبراءة من فاعله، ومن أُوَكِّدَ غُرَى الإيمان، وصار كُشْفُ بيت فاطمة والدُخُولُ عليها منزلها وِجْمَعُ حَطَبِ بياها، وتهذُّدها بالتحريق من أُوَكِّدَ غُرَى الدين، وأثبت دعائم الإسلام، ومما أعزَّ الله به المسلمين وأطفاً به نار الفتنة، والخُرْمَتان واحدة، والستران واحد. وما نحب أن نقول لكم: إن حرمة فاطمة أعظم، ومكانها أرفع، وصبايتها لأجل رسول الله صلى الله عليه وآله أولى، فإنها بَصْعَةٌ منه، وجزء من لحمه ودمه، وليست كالزوجة الأجنبية التي لا نَسَبَ بينها وبين الزوج، وإنما هي وُضْعَةٌ مستعارة، وعَقْدٌ يجري مجرى إجارة المنفعة، وكما يملك رَقُّ الأمة بالبيع والشراء، ولهذا قال الفَرَضِيُّونَ: أسباب التوارث ثلاثة: سبب، ونسب، وولاء، فالنسب القرابة، والسبب النكاح، والولاء: ولأه العتق، فجعلوا النكاح خارجاً عن النسب، ولو كانت الزوجة ذات نسب لجعلوا الأقسام الثلاثة قسمين.

وكيف تكون عائشة أو غيرها في منزلة فاطمة، وقد أجمع المسلمون كلهم من يحبها ومن لا يحبها منهم أنها سيِّدة نساء العالمين!

قال: وكيف يَلْزَمُنَا اليوم حفظ رسول الله صلى الله عليه وآله في زوجته، وحفظ أم حبيبة في أخيها، ولم

تَلَزِمُ الصَّحَابَةُ أَنْفُسَهَا حِفْظَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي أَهْلِ بَيْتِهِ، وَلَا أَلَزِمَتِ الصَّحَابَةُ أَنْفُسَهَا حِفْظَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ صِيَرَهُ وَابْنَ عَمَّتِهِ ابْنَ عَفَانَ، وَقَدْ قَتَلُوهُمْ وَلَعَنُوهُمْ، وَلَقَدْ كَانَ كَثِيرٌ مِنَ الصَّحَابَةِ يَلْعَنُ عِثْمَانَ وَهُوَ خَلِيفَةُ، مِنْهُمْ عَائِشَةُ كَانَتْ تَقُولُ: اقْتُلُوا نَعْلًا، لَعَنَ اللَّهُ نَعْلًا، وَمِنْهُمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ، وَقَدْ لَعَنَ مَعَاوِيَةَ عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَابْنُهُ حَسَنًا وَحُسَيْنًا وَهُمْ أَحْيَاءُ يَرْزُقُونَ بِالْعِرَاقِ، وَهُوَ يَلْعَنُهُم بِالشَّامِ عَلَى الْمَنَابِرِ، وَيَقْتُلُ عَلَيْهِمْ فِي الصَّلَوَاتِ، وَقَدْ لَعَنَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ وَهُوَ حَيٌّ، وَبِرَثَا مَنَّهُ، وَأَخْرَجَاهُ مِنَ الْمَدِينَةِ إِلَى الشَّامِ، وَلَعَنَ عُمَرُ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ لَمَّا قَتَلَ مَالِكَ بْنَ نُوَيْرَةَ، وَمَا زَالَ اللَّعْنُ فَاشِيًا فِي الْمُسْلِمِينَ إِذَا عَرَفُوا مِنَ الْإِنْسَانِ مَعْصِيَةً تَقْتَضِي اللَّعْنَ وَالْبِرَاءَةَ.

قَالَ: وَلَوْ كَانَ هَذَا أَمْرًا مَعْتَبَرًا وَهُوَ أَنْ يُحْفَظَ زَيْدٌ لِأَجْلِ عَمْرٍو فَلَا يَلْعَنُ، لَوَجِبَ أَنْ تُحْفَظَ الصَّحَابَةُ فِي أَوْلَادِهِمْ، فَلَا يَلْعَنُوا لِأَجْلِ آبَائِهِمْ، فَكَانَ يَجِبُ أَنْ يُحْفَظَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَاصٍ فَلَا يَلْعَنُ ابْنُهُ عُمَرُ بْنُ سَعْدٍ قَاتِلُ الْحُسَيْنِ، وَأَنْ يُحْفَظَ مَعَاوِيَةُ فَلَا يَلْعَنُ يَزِيدُ صَاحِبُ وَقْعَةِ الْحَرَّةِ وَقَاتِلُ الْحُسَيْنِ، وَمَخِيفُ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ بِمَكَّةَ، وَأَنْ يُحْفَظَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ فِي عِبِيدِ اللَّهِ ابْنِ قَاتِلِ الْهَزْمَرِثَانِ، وَالْمَحَارِبِ عَلِيًّا ﷺ فِي صَفَيْنَ.

قَالَ: عَلَى أَنَّهُ لَوْ كَانَ الْإِمْسَاكُ عَنْ عِدَاوَةٍ مِنْ عَادَى اللَّهِ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ حِفْظِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي أَصْحَابِهِ وَرِعَايَةِ عَهْدِهِ وَعَقْدِهِ لَمْ تُعَادِهِمْ وَلَوْ ضَرَبْتُ رِقَابَنَا بِالسُّيُوفِ، وَلَكِنْ مَحَبَّةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِأَصْحَابِهِ لَيْسَتْ كَمَحَبَّةِ الْجَهَالِ الَّذِينَ يَضَعُ أَحَدُهُمْ مَحَبَّتَهُ لِصَاحِبِهِ مَوْضِعَ الْعَصِيَّةِ، وَإِنَّمَا أَوْجِبَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَحَبَّةَ أَصْحَابِهِ لَطَاعَتِهِمْ لِلَّهِ، فَإِذَا عَصَا اللَّهُ وَتَرَكُوا مَا أَوْجَبَ مَحَبَّتَهُمْ، فَلَيْسَ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مُحَابَاةٌ فِي تَرْكِ لَزُومٍ مَا كَانَ عَلَيْهِ مِنْ مَحَبَّتِهِمْ، وَلَا تَغَطُّرُ فِي الْعُدُولِ عَنِ التَّمَسُّكِ بِمَوَالِيهِمْ، فَلَقَدْ كَانَ ﷺ يَجِبُ أَنْ يُعَادِيَ أَعْدَاءَ اللَّهِ وَلَوْ كَانُوا عِثْرَتَهُ، كَمَا يَجِبُ أَنْ يُوَالِيَ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ وَلَوْ كَانُوا أَبْعَدَ الْخَلْقِ نَسَبًا مِنْهُ، وَالشَّاهِدُ عَلَى ذَلِكَ إِجْمَاعُ الْأُمَّةِ عَلَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ أَوْجَبَ عِدَاوَةَ مَنْ ارْتَدَّ بَعْدَ الْإِسْلَامِ، وَعِدَاوَةَ مَنْ نَافَقَ وَإِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ هُوَ الَّذِي أَمَرَ بِذَلِكَ وَدَعَا إِلَيْهِ وَذَلِكَ أَنَّهُ ﷺ قَدْ أَوْجَبَ قَطْعَ السَّارِقِ وَضَرْبَ الْقَافِظِ، وَجَلَّدَ الْبُكَرَ إِذَا زَنَى، وَإِنْ كَانَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ أَوْ الْأَنْصَارِ، أَلَا تَرَى أَنَّهُ قَالَ: لَوْ سَرَقَتْ فَاطِمَةُ لَقَطَعْتُهَا، فَهَذِهِ ابْنَتُهُ الْجَارِيَةُ مَجْرَى نَفْسِهِ، لَمْ يُحَابِهَا فِي دِينِ اللَّهِ، وَلَا رَاقَبَهَا فِي حُدُودِ اللَّهِ، وَقَدْ جَلَّدَ أَصْحَابَ الْإِفْقِ، وَمِنْهُمْ مِسْطَحُ بْنُ أَثَاثَةَ، وَكَانَ مِنْ أَهْلِ بَدْرٍ.

قَالَ: وَبَعْدَ، فَلَوْ كَانَ مُحَلًّا أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مُحَلًّا مِنْ لَا يُعَادَى إِذَا عَصَى اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَلَا يُذَكَّرُ بِالْقَبِيحِ، بَلْ يَجِبُ أَنْ يُرَاقَبَ لِأَجْلِ اسْمِ الصُّحْبَةِ، وَيَغْضَى عَنْ غُيُوبِهِ وَذُنُوبِهِ،

لكان كذلك صاحب موسى المسطور ثناؤه في القرآن لما أتبع هواه، فانسلك ممّا أوتي من الآيات وعوى، قال سبحانه: ﴿وَأَقْلَ عَلَيْهِمْ نَبَأُ الْآيَةِ ؕ أَنِّي أَنَا أَنَالُ بَنِيَّ وَأَقْلَعُ بِهَا الْبَاطِلَ ؕ لَكَآ مِنْ الْآيَاتِ ۝﴾<sup>(١)</sup>، ولكان ينبغي أن يكون محلّ عبدة العجل من أصحاب موسى هذا المحلّ، لأن هؤلاء كلّهم قد صحبوا رسولا جليلا من رسل الله سبحانه.

قال: ولو كانت الصحابة عند أنفسهم بهذه المنزلة، لعلمت ذلك من حال أنفسهم، لأنهم أعرّف بمحلّهم من عوامّ أهل دهرنا، وإذا قدرت أفعال بعضهم ببعض ذلك على أن القصة كانت على خلاف ما قد سبق إلى قلوب الناس اليوم، هذا عليّ وعقار، وأبو الهيثم بن التيهان، وخزيمة بن ثابت، وجميع من كان مع عليّ عليه السلام من المهاجرين والأنصار، لم يروا أن يتغافلوا عن طلحة والزبير حتى فعلوا بهما وبين مفعما ما يُفعل بالشراة في عصرنا، وهذا طلحة والزبير وعائشة ومن كان معهم وفي جانبهم لم يروا أن يُمسكوا عن عليّ، حتى قصدوا له كما يُقصد للمتغلبين في زماننا، وهذا معاوية وعفرو لم يروا عليا بالعين التي يرى بها العامي صديقه أو جازه، ولم يُقصّروا دون ضرب وجهه بالسيف ولعنوا أولاده وكلّ من كان حيا من أهله، وقتل أصحابه، وقد لعنهما هو أيضاً في الصلوات المفروضة، ولعن معهما أبا الأعور السلمي، وأبا موسى الأشعري، وكلاهما من الصحابة.

وهذا سعد بن أبي وقاص، ومحمد بن مسلمة، وأسامة بن زيد، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، وعبد الله بن عمر، وحسان بن ثابت، وأنس بن مالك، لم يروا أن يقتلوا عليا في حرب طلحة، ولا طلحة في حرب عليّ، وطلحة والزبير بإجماع المسلمين أفضل من هؤلاء المعدودين، لأنهم زعموا أنهم قد خافوا أن يكون عليّ قد غلط وزلّ في حربهما، وخافوا أن يكونا قد غلطا وزلا في حرب عليّ، وهذا عثمان قد نفى أبا ذر إلى الربيعة كما يفعل بأهل الحنا والرّيب، وهذا عمار وابن مسعود تلقيا عثمان بما تلقيا به لما ظهر لهما - بزعمهما - منه ما وعظاه لأجله، ثم فعل بهما عثمان ما تنهأ إليكم، ثم فعل القوم بعثمان ما قد علمتم وعلم الناس كلّهم، وهذا عمر يقول في قصة الزبير بن العوام لما استأذنه في القزو: ها إني ميسك بباب هذا الشعب أن يفرق أصحاب محمد في الناس فيضلّوهم، وزعم أنه وأبو بكر كانا يقولان: إن عليا والعباس في قصة الميراث زعماهما كافيين ظالمين فاجزئ<sup>(٢)</sup>، وما رأينا عليا والعباس اعتذرا ولا تنصلا، ولا نقل أحد من أصحاب الحديث ذلك، ولا رأينا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله أنكرُوا عليهما ما حكا عمر عنهما، ونسب إليهما، ولا أنكرُوا أيضاً على عمر قوله في أصحاب

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٧٥.

(٢) كما في الصحيح الترمذي وغيره أنظره في رقم ٣٨٢١، وجامع البيان للطبري: ٥٠ / ٢٨.

رسول الله ﷺ : إثمهم يريدون إضلال الناس ويهيمون به، ولا أنكروا على عثمان ذؤس بطن عمار، ولا كسر ضلع ابن مسعود، ولا على عمار وابن مسعود ما تلقيا به عثمان، كإنكار العامة اليوم الخوض في حديث الصحابة، ولا اعتقدت الصحابة في أنفسهم ما يعتقده العامة فيها، اللهم إلا أن يزعموا أنهم أعرف بحق القوم منهم. وهذا علي وفاطمة والعباس ما زالوا على كلمة واحدة يكذبون الرواية: فنحن معاشر الأنبياء لا نؤرث، ويقولون: إنها مختلفة.

قالوا: وكيف كان النبي ﷺ يُعرف هذا الحكم غيرنا ويكتمه عنا ونحن الورثة، ونحن أولى الناس بأن يؤدى هذا الحكم إليه، وهذا عمر بن الخطاب يشهد لأهل الشورى أنهم الثمر الذين ثوفا رسول الله ﷺ وهو عنهم راض، ثم يامر بضرب أعناقهم إن أخروا فصل حال الإمامة، هذا بعد أن ثلّبهم، وقال في حقهم ما لو سيعته العامة اليوم من قائل لوضعت ثوبه في عنقه سخبا إلى السلطان، ثم شهدت عليه بالرّفص واستحلّت دمه، فإن كان القطع على بعض الصحابة رفضا فعمّر بن الخطاب أرفض الناس وإمام الزوافض كلهم. ثم ما شاع واشتهر من قول عمر: كان بيعة أبي بكر قلّته، وقى الله شرها، فمن عاد إلى مثلها فاقتلوه، وهذا طعن في العقد، وقذح في البيعة الأصلية.

ثم ما نقل عنه من ذكر أبي بكر في صلاته، وقوله عن عبد الرحمن ابنه: ذؤيبة سوء ولهو خير من أبيه. ثم عمر القاتل في سعد بن عبادة، وهو رئيس الأنصار وسيدها: اقتلوا سعدا، قتل الله سعدا، اقتلوه فإنه منافق. وقد شتم أبا هريرة وطلّعن في روايته، وشتم خالد بن الوليد وطلّعن في دينه، وحكم بفسقه وبوجوب قتله، وخون عمرو بن العاص ومعاوية بن أبي سفيان ونسبهما إلى سرقة مال النبي وافتطاعه، وكان سريعا إلى المساءة، كثير الجبن والشتم والسب لكل أحد، وقل أن يكون في الصحابة من سلم من معرة لسانه أو يده، ولذلك أبغضوه وملأوا أيامه مع كثرة الفتوح فيها، فهلا احترم عمر الصحابة كما تحترمهم العامة! إنا أن يكون عمر مخطئا، وإنا أن تكون العامة على الخطأ! فإن قالوا: عمر ما شتم ولا ضرب، ولا أساء إلا إلى عاص مستحق لذلك، قبل لهم: فكأننا نحن نقول: إنا نريد أن نبرأ أو نعادي من لا يستحق البراءة والمعاداة! كلا ما قلنا هذا، ولا يقول هذا مسلم ولا عاقل.

وإنما غرضنا الذي إليه نجري بكلامنا هذا أن نوضح أن الصحابة قوم من الناس لهم ما للناس، وعليهم ما عليهم، من أساء منهم ذمناه، ومن أحسن منهم حمدناه، وليس لهم على غيرهم من المسلمين كبير فضل إلا بمشاهدة الرسول ومعاصريه لا غير، بل ربما كانت ذنوبهم أفحش من ذنوب غيرهم، لأنهم شاهدوا الأعلام والمعجزات، فقربت اعتقاداتهم من الضرورة، ونحن لم نشاهد ذلك، فكانت عقائدنا مخض النظر والفكر، وبعرضية الشبه والشكوك، فمعاصينا أخفت لانا أعذر.

ثم نعود إلى ما كنّا فيه فنقول: وهذه عائشة أم المؤمنين، خرجت بقميص رسول الله ﷺ فقالت للناس: هذا قميص رسول الله لم يبلّ، وعثمان قد أبلى سنته، ثم تقول: اقْتُلُوا نَعْلًا، قَتَلَ الله نَعْلًا، ثم لم ترض بذلك حتى قالت: أشهد أنّ عثمان جيفة على الصراط غدًا. فمن الناس من يقول: رُوِيَ في ذلك خبراً، ومن الناس من يقول: هو موقفٌ عليها، وبدون هذا لو قاله إنسان اليوم يكون عند العامة زنديقاً. ثم قد حصر عثمان، حصرته أعيان الصحابة، فما كان أحدٌ يُنكر ذلك، ولا يُعظمه ولا يَسْعَى في إزالته، وإنما أنكروا على من أنكر على المحاصرين له، وهو رجلٌ كما علمتم من وجوه أصحاب رسول الله ﷺ، ثم من أشرافهم، ثم هو أقرب إليه من أبي بكر وعمر، وهو مع ذلك إمام المسلمين، والمختارُ منهم للخلافة، وللإمام حق على رعيته عظيم، فإن كان القوم قد أصابوا فإذن ليست الصحابة في الموضع الذي وضعتها به العامة، وإن كانوا ما أصابوا فهذا هو الذي نقول، من أنّ الخطأ جائزٌ على آحاد الصحابة، كما يجوز على آحادنا اليوم. ولَسْنَا نَقْدَحُ في الإجماع، ولا نَدْعِي إجماعاً حقيقياً على قتل عثمان، وإنما نقول: إنّ كثيراً من المسلمين قَتَلُوا ذلك والمَحْضَمُ يَسْلَمُ أنّ ذلك كان خطأً ومعصيةً، فقد سَلِمَ أنّ الصحابيَّ يجوز أن يُخطِئَ ويَعْصِي، وهو المطلوب.

وهذا المغيرة بن شعبة وهو من الصحابة، ادّعى عليه الزنى، وشهد عليه قومٌ بذلك، فلم يُنكر ذلك عمر، ولا قال: هذا محال وباطل لأنّ هذا صحابيٌّ من صحابة رسول الله ﷺ لا يجوز عليه الزنى. وهَلَا أنكر عمرٌ على الشهود وقال لهم: وَيَحْكُمُ هَلَا تَغَالُتُمْ عَنْهُ لَمَّا رَأَيْتُمُوهُ يَفْعَلُ ذَلِكَ، فَإِنَّ الله تعالى قد أَوْجَبَ الإِمْسَاكَ عَنْ مِثَالِهِمْ أصحاب رسول الله ﷺ، وَأَوْجَبَ السِّرَّ عَلَيْهِمْ! وهَلَا تَرَكْتُمُوهُ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ فِي قَوْلِهِ: «دَعُوا لِي أَصْحَابِي»<sup>(١)</sup> مَا رَأَيْنَا عَمْرَ إِلَّا قَدْ انْتَصَبَ لِسَمَاعِ الدَّعْوَى، وَإِقَامَةَ الشَّهَادَةِ، وَأَقْبَلَ يَقُولُ لِلْمَغِيرَةِ: يَا مَغِيرَةُ، ذَهَبَ رُئُوعُكَ، يَا مَغِيرَةُ، ذَهَبَ نَصْفُكَ، يَا مَغِيرَةُ، ذَهَبَ ثَلَاثَةُ أَرْبَاعِكَ، حَتَّى اضْطَرَبَ الرَّابِعَ، فَجُلِدَ الثَّلَاثَةَ. وهَلَا قَالَ الْمَغِيرَةُ لِعَمْرٍ: كَيْفَ تَسْمَعُ فِي قَوْلِ هَؤُلَاءِ، وَلَيْسُوا مِنَ الصَّحَابَةِ، وَأَنَا مِنَ الصَّحَابَةِ، وَرَسُولُ اللهِ ﷺ قَدْ قَالَ: «أَصْحَابِي كَالْتَجُومِ، بَأْيَهُمْ أَهْتَدَيْتُمْ أَهْتَدَيْتُمْ»<sup>(٢)</sup> مَا رَأَيْنَا قَالَ ذَلِكَ، بَلِ اسْتَسَلِمَ لِحُكْمِ اللهِ تَعَالَى. وَهَاهُنَا مَنْ هُوَ أَمْثَلُ مِنَ الْمَغِيرَةِ وَأَفْضَلُ، قَدَامَةُ بْنُ مَطْعُونٍ، لَمَّا شَرِبَ الْخَمْرَ فِي أَيَّامِ عُمَرَ، فَأَقَامَ عَلَيْهِ الْحَدَّ، وَهُوَ رَجُلٌ مِنْ عِلْيَةِ الصَّحَابَةِ وَمِنْ أَهْلِ بَذْرِ، وَالْمَشْهُودُ لَهُمْ بِالْجَنَّةِ، فَلَمْ يَرِدْ عَمْرُ الشَّهَادَةَ، وَلَا دَرَأَ عَنْهُ الْحَدَّ لَعَلَّهُ أَنْهُ يَذَرِي، وَلَا قَالَ: قَدْ نَهَى رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنْ ذِكْرِ مِثَالِهِمْ الصَّحَابَةِ. وَقَدْ ضَرَبَ عَمْرُ أَيْضاً ابْنَهُ حَدًّا فَمَاتَ، وَكَانَ مَعْنَى عَصْرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَلَمْ تَنْتَهْ مَعَاصِرَتُهُ لَهُ مِنْ إِقَامَةِ الْحَدِّ عَلَيْهِ.

وهذا عليّ بن أبي طالب يقول: ما حدثني أحدٌ بحديثٍ عن رسول الله ﷺ إِلَّا اسْتَحْلَفْتُهُ عَلَيْهِ،



أليس هذا اتهاماً لهم بالكذب! وما استثنى أحداً من المسلمين إلا أبا بكر على ما ورد في الخبر، وقد صرح غير مرة بتكذيب أبي هريرة، وقال: لا أحد أكذب من هذا الدؤسي على رسول الله ﷺ. وقال أبو بكر في مرضه الذي مات فيه: وَبِذْتُ أَنِّي لَمْ أَكْثِفْ بَيْتَ فَاطِمَةَ وَلَوْ كَانَ أَغْلِقَ عَلَى حَرْبٍ، فَنَدِمَ وَالتَّدَمَّ لَا يَكُونُ إِلَّا عَنْ ذَنْبٍ.

ثم ينبغي للعاقل أن يفكر في تأخر علي عليه السلام عن بيعة أبي بكر بسنة أشهر إلى أن ماتت فاطمة، فإن كان مصيباً فأبو بكر على الخطأ في انتصابه في الخلافة، وإن كان أبو بكر مصيباً فعلي على الخطأ في تأخره عن البيعة وحضور المسجد، ثم قال أبو بكر في مرض موته أيضاً للصحابه: فَلَمَّا اسْتَخْلَفْتُ عَلَيْكُمْ خَيْرَكُمْ فِي نَفْسِي - يَعْنِي عُمَرَ - فَكُلُّكُمْ وَرِمَ لِلَّذِكْ أَنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَكُونَ الْأَمْرُ لَهُ، لَمَّا رَأَيْتُمُ الدُّنْيَا قَدْ جَاءَتْ، أَمَا وَاللَّهِ لَتَتَخَذَنَّ سَنَائِرَ الدِّيْبَاجِ وَنَضَائِدَ الْحَرِيرِ. أليس هذا تلغياً في الصحابة، وتصريحاً بأنه قد نسبهم إلى الحسد لعمر، لما نص عليه بالعهد! ولقد قال له طلحة لما ذكر عمر للأمر: مَاذَا تَقُولُ لِرَبِّكَ إِذَا سَأَلَكَ عَنْ عِبَادِهِ، وَقَدْ وَلَّيْتَ عَلَيْهِمْ فُظًّا غَلِيظًا! فقال أبو بكر: أَجْلِسُونِي أَجْلِسُونِي، بِاللَّهِ تَخَوَّفَنِي! إِذَا سَأَلَنِي قُلْتُ: وَلَّيْتَ عَلَيْهِمْ خَيْرَ أَهْلِكَ، ثُمَّ شَتَمَهُ بِكَلَامٍ كَثِيرٍ مَنَقُولٍ، فَهَلْ قَوْلُ طَلْحَةَ إِلَّا طَعَنٌ فِي عُمَرَ، وَهَلْ قَوْلُ أَبِي بَكْرٍ إِلَّا طَعَنٌ فِي طَلْحَةَ!

ثم الذي كان بين أبي بن كعب وعبد الله بن مسعود من السباب حتى نفى كل واحد منهما الآخر عن أبيه وكلمة أبي بن كعب مشهورة منقولة: مَا زَالَتْ هَذِهِ الْأُمَّةُ مَكْيُوبَةٌ عَلَى وَجْهِهَا مِنْذُ فَقَدُوا نَبِيَّهُمْ، وَقَوْلُهُ: أَلَا هَلْكَ أَهْلُ الْعَقِيدَةِ، وَاللَّهُ مَا آسَى عَلَيْهِمْ إِنَّمَا آسَى عَلَى مَنْ يَضِلُّونَ مِنَ النَّاسِ<sup>(١)</sup>.

ثم قول عبد الرحمن بن عوف: مَا كُنْتُ أَرَى أَنْ أَمِيشَ حَتَّى يَقُولَ لِي عُثْمَانُ: يَا مُنَافِقُ، وَقَوْلُهُ: لَوْ اسْتَقْبَلْتُ مِنْ أَمْرِي مَا اسْتَدْبَرْتُ مَا وَلَّيْتَ عُثْمَانَ شَيْعَ نَعْلِي، وَقَوْلُهُ: االلَّهُمَّ إِنْ عُثْمَانَ قَدْ أَبَى أَنْ يَقِيمَ كِتَابَكَ فَافْعَلْ بِهِ وَافْعَلْ<sup>(٢)</sup>.

وقال عثمان لعلي عليه السلام في كلام داو بينهما: أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ خَيْرٌ مِنْكَ، فَقَالَ عَلِيٌّ: كَذَبْتَ، أَنَا خَيْرٌ مِنْكَ وَمِنْهُمَا، عِدْتُ اللَّهَ قَبْلَهُمَا، وَعَبَدْتُهُ بَعْدَهُمَا<sup>(٣)</sup>.

وورى سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ عَنْ عَمْرِو بْنِ دِينَارٍ، قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ، فَتَذَاكَرْنَا كَمْ أَقَامَ النَّبِيُّ بِمَكَّةَ بَعْدَ الْوُخْيِ؟ فَقَالَ عُرْوَةُ: أَقَامَ عَشْرًا، فَقُلْتُ: كَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ يَقُولُ: ثَلَاثَ عَشْرَةَ،

(١) أنظر مواقف الشبهة: ٢/٢٦٨.

(٢) أنظر كتاب الأربعين للشيرازي: ٣٢٧.

(٣) المصدر السابق: ٣٢٨.

فقال: كذب ابن عباس. وقال ابن عباس: المُنْعَةُ حلال، فقال له جُبَيْرُ بْنُ مُطَيْمٍ: كان عمرُ ينهى عنها، فقال يا عُدَيَّ نفسه، مَنْ هَاهُنَا ضَلَلْتُمْ، أُحَدِّثُكُمْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وتحدثني عن عمرٍ وجاء في الخبر عن عليٍّ ﷺ، لولا ما فَعَلَ عمرُ بْنُ الخطاب في المُنْعَةِ ما زُنِيَ إِلَّا شَقِيًّا، وقيل: ما زُنِيَ إِلَّا شَقًّا، أَي قَلِيلًا<sup>(١)</sup>.

فَأَمَّا سَبُّ بَعْضِهِمْ بَعْضًا وَقَدْ حُذِّحَ بَعْضُهُمْ فِي بَعْضٍ فِي الْمَسَائِلِ الْفَقْهِيَّةِ فَأَكْثَرُ مِنْ أَنْ يُحْصَى، بِمِثْلِ قول ابن عباس وهو يَرِدُ عَلَى زَيْدٍ مَذْهَبِهِ الْقَوْلُ فِي الْفَرَائِضِ: إِنْ شَاءَ - أَوْ قَالَ: مَنْ شَاءَ - بِأَهْلَتِهِ إِنْ الَّذِي أَحْصَى رَمَلَ عَالِجٍ عَدَدًا أَعَدَّلَ مِنْ أَنْ يَجْعَلَ فِي مَالٍ نِصْفًا وَنِصْفًا وَثَلَاثًا، هَذَانِ النِّصْفَانِ قَدْ ذَهَبَا بِالمَالِ، فَأَيْنَ مَوْضِعُ الثَّلَاثِ

ومثل قول أبي بِنِ كَعْبٍ فِي الْقُرْآنِ: لَقَدْ قَرَأْتُ الْقُرْآنَ وَزَيْدٌ هَذَا غُلَامٌ ذُو ذَوَابْتَيْنِ يَلْعَبُ بَيْنَ صِبْيَانِ الْيَهُودِ فِي الْمَكْتَبِ<sup>(٢)</sup>.

وقال عليٌّ ﷺ فِي أَمْتِهَاتِ الْأَوْلَادِ وَهُوَ عَلَى الْيَمِينِ: كَانَ رَأْيِي وَرَأَى عَمْرًا لَا يُبْعَنَ، وَأَنَا أَرَى الْآنَ يُبْعَنُ، فَقَامَ إِلَيْهِ حَبِيبَةُ السَّلْمَانِيِّ، فَقَالَ: رَأَيْكَ فِي الْجَمَاعَةِ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْ رَأْيِكَ فِي الْفِرْقَةِ.

وكان أبو بكر يرى التسمية في قَسَمِ الْغَنَائِمِ، وخالفه عمر وأنكر فعله.

وأنكرت عائشة على أبي سلمة بن عبد الرحمن خلافه على ابن عباس في عِدَّةِ الْمُتَوَلَّى عَنْهَا زَوْجُهَا وَهِيَ حَامِلٌ، وَقَالَتْ: فَرَّوْجٌ يَصْقَعُ مَعَ الدَّيْكَةِ<sup>(٣)</sup>.

وأنكرت الصحابة على ابن عباس قوله في الصَّوْرِ، وَسَقَّهُوا رَأْيَهُ حَتَّى قِيلَ: إِنَّهُ تَابَ مِنْ ذَلِكَ عِنْدَ مَوْتِهِ.

واختلفوا فِي حَدِّ شَارِبِ الْخَمْرِ حَتَّى خَلَفَا بَعْضُهُمْ بَعْضًا.

وَرَوَى بَعْضُ الصَّحَابَةِ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «الشُّومُ فِي ثَلَاثَةِ: الْمَرْأَةِ وَالذَّارِ، وَالْفَرَسِ»<sup>(٤)</sup>، فَأَنْكَرَتْ عَائِشَةُ ذَلِكَ، وَكَذَّبَتْ الرَّوَايَ وَقَالَتْ: إِنَّهُ إِنَّمَا قَالَ ﷺ ذَلِكَ حِكَايَةً عَنْ غَيْرِهِ.

(١) كنز العمال: ٥٢٢/١٦ ح ٤٥٧٢٨.

(٢) كتاب الأربعين للشيرازي: ٣٢٨.

(٣) المستصفى للغزالي: ١٤٦.

(٤) أخرجه البخاري، كتاب: الجهاد والسير، باب: ما يذكر من شأم الفرس (٢٨٥٨)، ومسلم كتاب: السلام، باب: الطيرة والقال وما يكون فيه من الشوم (٢٢٢٥).

وروى بعض الصحابة عنه عليه السلام أنه قال: «التاجرُ فاجرٌ»<sup>(١)</sup>، فأكثرَ عائشةُ ذلك، وكذبت الراوي وقالت: إنما قاله عليه السلام في تاجرٍ دلّس<sup>(٢)</sup>.

وانكر قومٌ من الأنصار روايةَ أبي بكر: «الأئمة من قريش»<sup>(٣)</sup>، ونسبوه إلى افتعال هذه الكلمة.

وكان أبو بكر يقضي بالقضاء فينقضه عليه أصاغرُ الصحابة كبلال وصُهيب ونحوهما. قد روي ذلك في عدة قضايا.

وقيل لابن عباس: إن عبد الله بن الزبير يزعم أن موسى صاحب الحُضير ليس موسى بني إسرائيل، فقال: كذب عدو الله! أخبرني أبي بن كعب، قال: خطبنا رسول الله ﷺ وذكر كذا، بكلام يدل على أن موسى صاحب الحُضير هو موسى بني إسرائيل<sup>(٤)</sup>.

وباع معاوية أواني ذهب وفضة بأكثر من وزنها، فقال له أبو الدرداء: سمعتُ رسول الله ﷺ ينهى عن ذلك، فقال معاوية: أما أنا فلا أرى به بأساً، فقال أبو الدرداء: من عذيري من معاوية أخبره عن الرسول ﷺ، وهو يخبرني عن رأيه! والله لا أسألك بأرض أبدًا.

وطعن ابن عباس في أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ: «إذا استيقظ أحدكم من نومه فلا يدخل يده في الإناء حتى يتوضأ»<sup>(٥)</sup>، وقال: فما نصنع بالمهراس!

وقال علي عليه السلام لعمر وقد أفتاه الصحابة في مسألة وأجمعوا عليها: إن كانوا راقبوك فقد عَشوك، وإن كان هذا جهد رأيهم فقد أخطؤوا.

وقال ابن عباس: ألا يتقي الله زيد بن ثابت، يجعل ابن الابن ابنًا، ولا يجعل أب الأب أبًا! وقالت عائشة: أخبروا زيد بن أرقم أنه قد أحبط جهاده مع رسول الله ﷺ.

وانكرت الصحابة على أبي موسى قوله: إن النوم لا ينقض الوضوء، ونسبته إلى العفلة وقلة التحصيل، وكذلك أنكرت على أبي طلحة الأنصاري قوله: إن أكل البرد لا يفسد الصائم، وهزئت به ونسبته إلى الجهل.

(١) أخرجه الديلمي في «مسند الفردوس» (٢٤٤٨).

(٢) ذكره الحافظ المنائي في «فيض القدير» (٢١٦/٦).

(٣) أخرجه أحمد في «مسنده» (١١٨٩٨)، والحاكم في «المستدرک» (٦٩٦٢).

(٤) أخرجه البخاري، كتاب: أحاديث الأنبياء، باب: حديث الخضر مع موسى (٣٤٠١)، ومسلم، كتاب: الفضائل، باب: فضائل الخضر (٢٣٨٠)، لكن فيهما ليس عبد الله بن الزبير وإنما هو رجل يدعى على نوف البكالي ولم أجده من إنكار عبد الله بن الزبير.

(٥) أخرجه البخاري، كتاب الوضوء، باب الاستجمار وتراً (١٦٢)، ومسلم كتاب الطهارة، باب الإتيان في الاستنار والاستجمار (٢٣٨).

وسمع عمرُ عبدَ الله بنَ مسعود وأبي بن كعب يختلفان في صلاة الرجل في الثوب الواحد، فصعد المنبر وقال: إذا اختلف اثنان من أصحاب رسول الله ﷺ فعن أي فتياكم يصدر المسلمون! لا أسمع رجلين يختلفان بعد مُقامي هذا إلّا فعلتُ وصنعتُ.

وقال جرير بنُ كُليب: رأيتُ عمرَ ينهى عن المُتعة، وعليّ عليه السلام يأمرُ بها، فقلت: إن بينكما لشراً، فقال عليّ عليه السلام: ليس بيننا إلّا الخير، ولكن خيرنا أتبعنا لهذا الدين.

قال هذا المتكلم: وكيف يصح أن يقول رسول الله ﷺ: «أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم»<sup>(١)</sup>، لا شبهة أن هذا يُوجب أن يكون أهل الشام في صفين على هُدى، وأن يكون أهل العراق أيضاً على هُدى، وأن يكون قاتل عمار بن ياسر مهتدياً، وقد صَحَّ الخبرُ الصحيحُ أنه قال له: «تقتلك الفئة الباغية»<sup>(٢)</sup>، وقال في القرآن: «فَقَاتِلُوا آلَ بَنِي نَعْمٍ إِنَّ آلَ اللَّهِ لَهُمْ»<sup>(٣)</sup>، فدلَّ على أنها ما دامت موصوفة بالمقام على البغي، مُفارقة لأمر الله، ومَن يفارق أمر الله لا يكون مهتدياً.

وكان يجب أن يكون بُسرُ بن أبي أُرطاة الذي ذُبِح ولَدِي عُبيد الله بن عباس الصغيرين مهتدياً، لأن بُسرأ من الصحابة أيضاً، وكان يجب أن يكون عمرو بن العاص ومعاوية اللذان كانا يلحنان علياً أديار الصلاة ولولديه مهتدين، وقد كان في الصحابة من يزني ومن يشرب الخمر كأبي يخجن الثقفى، ومن يرتد عن الإسلام كطليحة بن خويلد، فيجب أن يكون كلٌّ مَن اقتدى بهؤلاء في أفعالهم مهتدياً.

قال: وإنما هذا من موضوعات متعصبة الأموية، فإن لهم مَن ينصرهم بلسانه، ويوضّعه الأحاديث إذا عجز عن نصرهم بالسيف.

وكذا القول في الحديث الآخر: وهو قوله: «القرن الذي أنا فيه»<sup>(٤)</sup>، ومما يدل على بطلانه أن القرن الذي جاء بعده بخمسين سنة شرُّ قرون الدنيا، وهو أحد القرون التي ذكرها في النص، وكان ذلك القرن هو القرن الذي قُتِل فيه الحسين، وأوقع بالمدينة، وحُوصرت مكة، ونُقِضت الكعبة، وشربت خلفاؤه والقائمون مقامه والمنصبون في منصب النبوة الخُمُور، وارتكبوا الفُجُور، كما جرى ليزيد بن معاوية وليزيد بن عائكة وللوليد بن يزيد، وأريقَت الدماء الحرام،

(١) تقدم تخريجه.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب: الصلاة، باب: التعاون في بناء المسجد (٤٤٧)، ومسلم، كتاب: الفتن وأشراف الساعة، باب: لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيتمنى أن يكون مكان الميت

من البلاء (٢٩١٦).

(٣) سورة الحجرات، الآية: ٩.

(٤) تقدم تخريجه.

وقُتِلَ المسلمون، وسُمِّيَ الحريم، واستُعبد أبناء المهاجرين والأنصار، ونُقشَ على أيديهم كما يُنقش على أيدي الرُّوم، وذلك في خلافة عبد الملك وإمرة الحجاج. وإذا تأملت كتب التواريخ وجدت الخمسين الثانية شراً كلها لا خير فيها، ولا في رؤسائها وأمرائها، والناس برؤسائهم وأمرائهم، والقرن خمسون سنة، فكيف يصح هذا الخبر.

قال: فأما ما ورد في القرآن من قوله تعالى: ﴿لَقَدْ رَفَعْنَا اللَّهُ عَنْ الْمُؤْمِنِينَ﴾<sup>(١)</sup>. وقوله: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾<sup>(٢)</sup>.

وقول النبي ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ أَطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ»<sup>(٣)</sup>، إن كان الخبر صحيحاً فكله مشروط بسلامة العاقبة، ولا يجوز أن يخبر الحكيم مكلِّفاً غير معصوم بأنه لا عقاب عليه، فليفعل ما شاء.

قال هذا المتكلم: وَمَنْ أَنْصَفَ وَتَأَمَّلَ أَحْوَالَ الصَّحَابَةِ وَجَدَهُمْ مِثْلَنَا، يجوز عليهم ما يجوز علينا، ولا فرق بيننا وبينهم إلا بالصَّحبة لا غير، فإنَّ لها منزلةً وشرفاً، ولكن لا إلى حدٍّ يتمتع على كلِّ من رأى الرسول أو صحبه يوماً أو شهراً أو أكثر من ذلك أن يخطيء ويَزَلْ، ولو كان هذا صحيحاً ما احتاجت عائشة إلى نزول براءتها من السماء، بل كان رسول الله ﷺ من أوَّل يوم يعلم كذب أهل الإفك، لأنها زوجته، وصحبتهَا له أَكْثَرُ من صُحبة غيرها. وصَفْوَانُ بْنُ الْمُعْتَلِّقِ أيضاً كان من الصَّحابة، فكان ينبغي ألا يقبض صدر رسول الله ﷺ، ولا يحل ذلك لهم والغم الشديد للذين حملهما ويقول: صَفْوَانُ مِنَ الصَّحابة، وعائشة من الصَّحابة، والمعصية عليهما ممتعة.

وأمثال هذا كثير، وأكثر من الكثير، لمن أراد أن يستقريء أَحْوَالَ القوم، وقد كان التابعون يَسْلُكُونَ بالصَّحابة هذا المسلك، ويقولون في الغُصاة منهم مِثْلَ هذا القول، وإنما اتخذهم العامة أرباباً بعد ذلك.

قال: وَمَنْ الَّذِي يَجْتَرِءُ عَلَى الْقَوْلِ بِأَنَّ أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ لَا تَجُوزُ الْبِرَاءَةُ مِنْ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَإِنْ أَسَاءَ وَعَصَى بَعْدَ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى لِلَّذِي شَرَّفُوا بِرُؤُسِهِ: ﴿لَنْ أَسْرُكَتَ لِيَحْبِلَنَّ عَنْكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾<sup>(٤)</sup>، بعد قوله: ﴿قُلْ إِيَّاهُ أَتَاكَ إِنْ عَصَيْتَ رَبِّي عَذَابٌ يَوْمَ عَظِيمٍ﴾<sup>(٥)</sup> وبعد قوله: ﴿كَلِمَاتُكَ مِنَ الْكَافِرِينَ بِالْحَقِّ وَلَا تَنْجِجِ الْهَوَى فَيُجْلِكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾<sup>(٦)</sup>، إلا من لا فهم له ولا نظر معه، ولا تمييز عنده.

(٢) سورة الفتح، الآية: ٢٩.

(١) سورة الفتح، الآية: ١٨.

(٤) سورة الزمر، الآية: ٦٥.

(٣) تقدم تخريجه.

(٦) سورة ص، الآية: ٢٦.

(٥) سورة الزمر، الآية: ١٣.

قال: وَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى اخْتِلَافِ الصَّحَابَةِ، وَطَمَنَ بَعْضُهُمْ فِي بَعْضٍ وَرَدَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ، وَمَا رَدَّ بِهِ التَّابِعُونَ عَلَيْهِمْ وَعَاتَرُوا بِهِ أَقْوَالَهُمْ، وَاخْتِلَافِ التَّابِعِينَ أَيْضاً فِيمَا بَيْنَهُمْ، وَقَدْ حَبَسَهُمْ فِي بَعْضٍ فَلْيَنْظُرْ فِي كِتَابِ النَّظَامِ، قَالَ الْجَاهِظُ: كَانَ النَّظَامُ أَشَدَّ النَّاسِ إِنْكَاراً عَلَى الرَّافِضَةِ، لَطَعْنَهُمْ عَلَى الصَّحَابَةِ، حَتَّى إِذَا ذَكَرَ الْفُتْيَا وَتَنَقَّلَ الصَّحَابَةَ فِيهَا، وَقَضَايَاهُمْ بِالْأُمُورِ الْمُخْتَلَفَةِ، وَقَوْلٍ مِنْ اسْتَعْمَلَ الرَّأْيَ فِي دِينِ اللَّهِ، انْتَضَمَ مَطَاعِنُ الرَّافِضَةِ وَغَيْرِهَا، وَزَادَ عَلَيْهَا، وَقَالَ فِي الصَّحَابَةِ أَضْعَافَ قَوْلِهَا.

قال: وقال بعض رؤساء المعتزلة: غَلَطَ أَبِي حَنِيفَةَ فِي الْأَحْكَامِ عَظِيمٍ، لِأَنَّهُ أَضَلَّ خَلْقاً وَغَلَطَ حَمَادُ أَعْظَمُ مِنْ غَلَطِ أَبِي حَنِيفَةَ، لِأَنَّ حَمَاداً أَضَلَّ أَبِي حَنِيفَةَ الَّذِي مِنْهُ تَفَرَّعَ، وَغَلَطَ إِبْرَاهِيمُ أَغْلَظَ وَأَعْظَمُ مِنْ غَلَطِ حَمَادٍ، لِأَنَّهُ أَضَلَّ حَمَادَ وَغَلَطَ عُلُقَمَةُ وَالْأَسْوَدُ أَعْظَمُ مِنْ غَلَطِ إِبْرَاهِيمَ، لِأَنَّهُمَا أَضَلَّهُ الَّذِي عَلَيْهِ اعْتَمَدَ، وَغَلَطَ ابْنُ مَسْعُودٍ أَعْظَمُ مِنْ غَلَطِ هَؤُلَاءِ جَمِيعاً، لِأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ بَدَأَ إِلَى وَضْعِ الْأَذْيَانِ بِرَأْيِهِ، وَهُوَ الَّذِي قَالَ: أَقُولُ فِيهَا بِرَأْيِي، فَإِنْ يَكُنْ صَوَاباً فَمِنْ اللَّهِ، وَإِنْ يَكُنْ خَطأً فَمِنِّْي.

قال: واستأذن أصحاب الحديث على ثمانية بخراسان حيث كان مع الرُّشَيْدِ بْنِ الْمُهَدِّيِّ، فَسَأَلُوهُ كِتَابَهُ الَّذِي صَنَفَهُ عَلَى أَبِي حَنِيفَةَ فِي اجْتِهَادِ الرَّأْيِ، فَقَالَ: لَسْتُ عَلَى أَبِي حَنِيفَةَ كَتَبْتُ ذَلِكَ الْكِتَابَ، وَإِنَّمَا كَتَبْتُهُ عَلَى عُلُقَمَةَ وَالْأَسْوَدَ وَعَبْدَ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ لِأَنَّهُمْ الَّذِينَ قَالُوا بِالرَّأْيِ قَبْلَ أَبِي حَنِيفَةَ.

قال: وكان بعض المعتزلة أيضاً إذا ذكر ابن عباس استصغره وقال: صَاحِبُ الذُّوَابَةِ يَقُولُ فِي دِينِ اللَّهِ بِرَأْيِهِ.

وذكر الجاهظ في كتابه المعروف «بكتاب التوحيد» أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ لَيْسَ بِثِقَةٍ فِي الرَّوَايَةِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: وَلَمْ يَكُنْ عَلَيَّ ﷺ يَوْقُهُ فِي الرَّوَايَةِ، بَلْ يَتَّهِمُهُ، وَيَقْدَحُ فِيهِ، وَكَذَلِكَ عَمْرٌ وَعَاشِيَةُ.

وكان الجاهظ يفسق عمر بن عبد العزيز ويستهزئ به ويكفره، وعمر بن العزيز وإن لم يكن من الصحابة فأكثر العامة يرى له من الفضل ما يراه لواحد من الصحابة.

وكيف يجوز أن نحكم حكماً جزئياً أن كل واحد من الصحابة عدل، ومن جملة الصحابة الحكم بن أبي العاص! وكفاك به عدواً مبغضاً لرسول الله ﷺ! ومن الصحابة الوليد بن عتبة الفاسق بنص الكتاب، ومنهم حبيب بن مسلمة الذي فعل ما فعل بالمسلمين في ذلة معاوية، ويُسَرُّ بْنُ أَبِي أَرْطَاةٍ عَدُوُّ اللَّهِ وَعَدُوُّ رَسُولِهِ، وَفِي الصَّحَابَةِ كَثِيرٌ مِنَ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْرِفُهُمُ النَّاسُ. وَقَالَ كَثِيرٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ: مَاتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَلَمْ يَعْرِفْهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ كُلُّ الْمُنَافِقِينَ بِأَعْيَانِهِمْ، وَإِنَّمَا كَانَ يَعْرِفُ قَوْمًا مِنْهُمْ، وَلَمْ يَعْلَمْ بِهِمْ أَحَدٌ إِلَّا حَذِيفَةُ فِيمَا زَعَمُوا، فَكَيْفَ يَجُوزُ أَنْ نَحْكُمَ

حَكَمًا جَزْأً أَنْ كُلَّ وَاحِدٍ مِمَّنْ صَحِبَ رَسُولَ اللَّهِ أَوْ رَأَاهُ أَوْ عَاصَرَهُ عَذَلُ مَأْمُونٍ، لَا يَقَعُ مِنْهُ خَطَا وَلَا مَعْصِيَةٌ، وَمَنْ الَّذِي يُمْكِنُهُ أَنْ يَتَحَبَّرَ وَاسِعًا كَهَذَا التَّحَبُّرِ، أَوْ يَحْكُمَ هَذَا الْحُكْمَ

قال: والعجب من الحشوية وأصحاب الحديث إذ يجادلون على معاصي الأنبياء، ويشبِّهون أنهم عصوا الله تعالى، وينكرون على من ينكر ذلك، ويطعنون فيه، ويقولون: قَدَّرِي معترلي، وربما قالوا: مُلْجِدٌ مَخَالِفٌ لنص الكتاب، وقد رأينا منهم الواحد والمائة والألف يُجادِلُ في هذا الباب، فتارة يقولون: إِنَّ يَوْسُفَ قَعَدَ مِنْ امْرَأَةِ الْعَزِيزِ مَقْعَدَ الرَّجُلِ مِنَ الْمَرَأَةِ، وَتَارَةً يَقُولُونَ: إِنَّ دَاوُدَ قَتَلَ أَوْرِيَّا لِيَنْكِحَ امْرَأَتَهُ، وَتَارَةً يَقُولُونَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ كَانَ كَافِرًا ضَالًّا قَبْلَ النَّبُوَّةِ، وَرَبِّمَا ذَكَرُوا زَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشٍ وَقِصَّةَ الْفِدَاءِ يَوْمَ بَدْرٍ.

فَأَمَّا قَدْ حُكِمَ فِي آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَإِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَنَبِيَّيْنِهِمَا، وَذَيْدُنَهُمَا، فَإِذَا تَكَلَّمَ وَاحِدٌ فِي عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ أَوْ فِي مُعَاوِيَةَ وَأَمثالِهِمَا وَنَسَبَهُمَا إِلَى الْمَعْصِيَةِ وَفَعَلَ الْقَبِيحَ، أَحْمَرَتْ وَجُوهُهُمْ، وَطَالَتْ أَعْنَاقُهُمْ، وَتَخَاوَرَتْ أَعْيُنُهُمْ، وَقَالُوا: مُبْتَدِعٌ رَافِضِيٌّ، يَسْبُ الصَّحَابَةَ، وَيُسْتَشْمُ السَّلَفَ، فَإِنْ قَالُوا: إِنَّمَا اتَّبَعْنَا فِي ذِكْرِ مَعَاصِي الْأَنْبِيَاءِ نصوصَ الْكِتَابِ، قِيلَ لَهُمْ: فَاتَّبِعُوا فِي الْبِرَاءَةِ مِنْ جَمِيعِ الْعَصَاةِ نصوصَ الْكِتَابِ، فَإِنَّهُ تَعَالَى قَالَ: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُفَتِّرُونَ بِاللَّهِ وَالْبُيُوتَ الْأَخْيَرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾<sup>(١)</sup>، وَقَالَ: ﴿إِنْ يَنْتَ إِحْدَهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَتَقُولُوا أَلَيْسَ بَيْنَهُمَا حَقٌّ قَبِيحٌ إِنَّهُ أَمْرٌ اللَّهِ﴾<sup>(٢)</sup>، وَقَالَ: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾<sup>(٣)</sup>.

ثُمَّ يَسْأَلُونَ عَنْ بَيْعَةِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: هَلْ هِيَ صَحِيحَةٌ لِأَزْمَةِ النَّاسِ؟ فَلَا بَدَّ مِنْ «بَلَى»، فَيَقَالُ لَهُمْ: فَإِذَا خَرَجَ عَلَى الْإِمَامِ الْحَقِّ خَارِجٌ أَلَيْسَ يَجِبُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ قِتَالُهُ حَتَّى يَعُودَ إِلَى الطَّاعَةِ؟ فَهَلْ يَكُونُ هَذَا الْقِتَالُ إِلَّا الْبِرَاءَةُ الَّتِي نَذَكَّرُهَا لِأَنَّهُ لَا فَرْقَ بَيْنَ الْأَمْرَيْنِ، وَإِنَّمَا بَرَّئْنَا مِنْهُمْ لِأَنَّا لَسْنَا فِي زَمَانِهِمْ، فَيُمْكِنُنَا أَنْ نَقَاتِلَ بِأَيْدِينَا، فَقُصَارَى أَمْرِنَا الْآنَ أَنْ نَبْرَأَ مِنْهُمْ وَنُلْعَنَهُمْ، وَلِيَكُونَ ذَلِكَ عَوْضًا عَنِ الْقِتَالِ الَّذِي لَا سَبِيلَ لَنَا إِلَيْهِ.

قَالَ هَذَا الْمُتَكَلِّمُ: عَلَى أَنَّ النِّظَامَ وَأَصْحَابَهُ دَقَّبُوا إِلَى أَنَّهُ لَا حُجَّةَ فِي الْإِجْمَاعِ، وَأَنَّهُ يَجُوزُ أَنْ تَجْتَمِعَ الْأُمَّةُ عَلَى الْخَطَا وَالْمَعْصِيَةِ، وَعَلَى الْفُسْقِ بِلِ عَلَى الرُّدَّةِ، وَلَهُ كِتَابٌ مَوْضُوعٌ فِي الْإِجْمَاعِ يَطْعَنُ فِيهِ فِي أَدْلَةِ الْفُقَهَاءِ، وَيَقُولُ: إِنَّهَا أَلْفَاظٌ غَيْرُ صَرِيحَةٍ فِي كَوْنِ الْإِجْمَاعِ حُجَّةً، نَحْوُ قَوْلِهِ: ﴿جَمَعْتُمْ أُمَّةً وَسَلًا﴾<sup>(٤)</sup> وَقَوْلِهِ: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾<sup>(٥)</sup> وَقَوْلِهِ: ﴿وَتَبِعَ خَيْرَ سَبِيلِ الْكَاثِبِينَ﴾<sup>(٦)</sup>.

(٢) سورة الحجرات، الآية: ٩.

(١) سورة المجادلة، الآية: ٢٢.

(٤) سورة البقرة، الآية: ١٤٣.

(٣) سورة النساء، الآية: ٥٩.

(٦) سورة النساء، الآية: ١١٥.

(٥) سورة آل عمران، الآية: ١١٠.

وأما الخبر الذي صورته: «لا تجتمع أمتي على الخطأ»<sup>(١)</sup>، فخبِر واحد، وأمثلة دليل للفقهاء قولهم: إنَّ الهمم المختلفة، والآراء المتباينة، إذا كان أربابها كثيرة عظيمة، فإنه يستحيل اجتماعهم على الخطأ، وهذا باطل باليهود والنصارى وغيرهم من فرق الضلال. هذه خلاصة ما كان الثقيب أبو جعفر، علَّقه بخطه من الجزء الذي أقرأناه.

ونحن نقول: أمَّا إجماع المسلمين فحجة، ولسنا نرتضي ما ذكره عنا من أنه أمثل دليل لنا أنَّ الهمم المختلفة، والآراء المتباينة، يستحيل أن تتفق على غير الصواب، ومن نظر في كتُبنا الأصولية علم وثاقة أدلتنا على صحة الإجماع وكونه صواباً، وحجة تحريم مخالفته، وقد تكلمت في اعتبار الذريعة للمرتضى على ما طعن به المرتضى في أدلة الإجماع.

وأما ما ذكره من الهجوم على دار فاطمة وجمع الحطب لتحريقها فهو خبر واحد غير موثوق به، ولا معول عليه في حق الصحابة، بل ولا في حق أحد من المسلمين ممن ظهرت عدالته.

وأما عائشة والزبير وطلحة فمذمُّون أنهم أخطؤوا ثم تابوا وأنهم من أهل الجنة، وأن علياً عليه السلام شهد لهم بالجنة بعد حرب الجمل.

وأما طعن الصحابة بعضهم في بعض، فإن الخلاف الذي كان بينهم في مسائل الاجتهاد لا يوجب إثمًا، لأن كل مجتهد مُصيب، وهذا أمرٌ مذكور في كُتُب أصول الفقه وما كان من الخلاف خارجاً عن ذلك فالكثير من الأخبار الواردة فيه غير موثوق بها وما جاء من جهة صحيحة نظر فيه ورجع جانب أحد الصحابيِّين على قدر منزلته في الإسلام كما يروى عن عمر وأبي هريرة.

فأمَّا علي عليه السلام فإنه عندنا بمنزلة الرسول ﷺ في تصويب قوله، والاحتجاج بفعله، ووجوب طاعته، ومتى صبح عنه أنه قد برى من أحد من الناس برئنا منه كائناً مَنْ كان، ولكنَّ الشأن في تصحيح ما يروى عنه عليه السلام، فقد أكثر الكذب عليه، ووُلدت العصبية أحاديث لا أصل لها.

فأمَّا براءته عليه السلام من المغيرة وعمرو بن العاص ومعاوية، فهو عندنا معلوم جاري مجرى الأخبار المتواترة، فلذلك لا يتولاَّهم أصحابنا، ولا يُشَوَّن عليهم، وهم عند المعتزلة في مقام غير محمود، وحاش لله أن يكون عليه السلام ذَكَرَ مَنْ سَلَفَ من شيوخ المهاجرين إلَّا بالجميل والذكر.

(١) أخرجه الترمذي، كتاب: الفتن، باب: ما جاء في لزوم الجماعة (٢١٦٧)، وأحمد في «مسنده» (٢٦٦٨٢)، بلفظ: «ضلالة» بدل «خطأ».



الحسن بموجب ما تقتضيه رئاسته في الدين، وإخلاصه في طاعة رب العالمين، ومن أحب تبع ما روي عنه مما يؤهم في الظاهر خلافت ذلك فليراجع هذا الكتاب، أعني شرح نهج البلاغة، فإننا لم نترك موضعاً يؤهم خلافت مذهبنا إلا وأوضحناه وفسرناه على وجوه يوافق الحق، وبالله التوفيق.

### اخبار عمار بن ياسر ونسبه

فأما عمار بن ياسر رحمه الله، فنحن نذكر نسبه وطرفاً من حاله مما ذكره ابن عبد البر في كتاب الاستيعاب، قال أبو عمر بن عبد البر رحمه الله.

هو عمار بن ياسر بن عامر بن مالك بن كنانة بن قيس بن حصين بن لؤذ بن نعلبة بن عوف بن حارثة بن عامر بن نام بن عنس - بالنون - بن مالك بن أدد العنسي المدحجي، يكنى أبا اليقظان، حليف لبني مخزوم، كذا قال ابن شهاب وغيره وقال موسى بن عقبة: وممن شهد بذراً عمار بن ياسر حليف لبني مخزوم بن يقظة.

وقال الواقدي وطائفة من أهل العلم: إن ياسراً والد عمار بن ياسر عربي فخطاني من عنس، من مدحج، إلا أن ابنه عماراً مولى لبني مخزوم، لأن أباه ياسراً تزوج أمة لبعض بني مخزوم فأولدها عماراً، وذلك أن ياسراً قديم مكة مع أخوين له يقال لهما: الحارث ومالك في طلب أخ لهم رابع، فرجع الحارث ومالك إلى اليمن، وأقام ياسر بمكة، فحالف أبا حذيفة بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، فزوجه أبو حذيفة أمة له يقال لها سمية بنت خياط، فولدت له عماراً فأعتقه أبو حذيفة، فصار ولاؤه لبني مخزوم، وللحلف والولاء الذي بين بني مخزوم وعمار بن ياسر كان اجتماع بني مخزوم إلى عثمان حين نال من عمار غلماناً عثمان ما نالوا من الضرب، حتى انفتق له قنق في بطنه وكسروا فيلماً من أضلاعه، فاجتمعت بنو مخزوم، وقالوا: والله لئن مات لا قتلنا به أحداً غير عثمان.

قال أبو عمر: وأسلم عمار وعبد الله أخوه وياسر أبوهما وسمية أمهما، وكان إسلامهم قديماً في أول الإسلام فعذبوا في الله عذاباً عظيماً، وكان رسول الله ﷺ يمر بهم وهم يعذبون فيقول: «صبراً يا آل ياسر، فإن موعدكم الجنة»<sup>(١)</sup>، ويقول لهم أيضاً: «صبراً يا آل ياسر، اللهم اغفر لآل ياسر، وقد فعلت»<sup>(٢)</sup>.

قال أبو عمر: ولم يزل عمار مع أبي حذيفة بن المغيرة حتى مات وجاء الله بالإسلام.

(١) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (١/١٤٠)، وابن هشام في «السيرة النبوية» (٢/١٦٢).

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» (٤٤١)، وابن الجوزي في «صفوة الصفوة» (١/٤٤٣)، وابن سعد في

«الطبقات» (٣/٢٤٩).

فَأَمَّا سُمَيَّةُ فَقَتَلَهَا أَبُو جَهْلٍ، طَعَنَهَا بِخَرْبَةٍ فِي قَبْلِهَا فَمَاتَتْ، وَكَانَتْ مِنَ الْحَيَّاتِ الْفَاضِلَاتِ وَهِيَ أَوَّلُ شَهِيدَةٍ فِي الْإِسْلَامِ، وَقَدْ كَانَتْ قَرِيشٌ أَخَذَتْ يَاسِرًا وَسُمَيَّةَ وَابْنَيْهِمَا، وَبِلَالًا وَخَبَّابًا وَصُهَيْبًا فَأَلْبَسُوهُمْ أَدْرَاعَ الْحَدِيدِ، وَصَهَرُوهُمْ فِي الشَّمْسِ حَتَّى بَلَغَ الْجَهْدُ مِنْهُمْ كُلَّ مَبْلَغٍ، فَأَعْطَوْهُمْ مَا سَأَلُوا مِنَ الْكَفْرِ، وَسَبَّ النَّبِيَّ ﷺ، ثُمَّ جَاءَ إِلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ قَوْمُهُ بِأَنْطَاعِ الْأَدَمِ فِيهَا الْمَاءُ فَأَلْقَوْهُمْ فِيهَا، ثُمَّ حَمَلُوا بِجَوَانِبِهَا، فَلَمَّا كَانَ الْعَشِيُّ جَاءَ أَبُو جَهْلٍ فَجَعَلَ يَسْتَمُّ سُمَيَّةَ وَيَرْتِ، ثُمَّ وَجَّأَهَا بِخَرْبَةٍ فِي قَبْلِهَا فَقَتَلَهَا، فَهِيَ أَوَّلُ مَنْ اسْتَشْهَدَ فِي الْإِسْلَامِ، فَقَالَ عَمَّارٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ: يَا رَسُولَ اللَّهِ بَلَغَ الْعَذَابُ مِنْ أُمِّي كُلَّ مَبْلَغٍ، فَقَالَ: «صَبْرًا يَا أَبَا الْيَقْظَانِ، اللَّهُمَّ لَا تُعَذِّبْ أَحَدًا مِنْ آلِ يَاسِرٍ بِالنَّارِ»<sup>(١)</sup>، قَالَ أَبُو عَمْرٍ: وَفِيهِمْ أَنْزَلَ: ﴿لَا مَنْ أَكْثَرَهُ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾<sup>(٢)</sup>.

قَالَ: وَهَاجَرَ عَمَّارٌ إِلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ وَصَلَّى الْقِبْلَتَيْنِ، وَشَهِدَ بَدْرًا وَالْمَشَاهِدَ كُلَّهَا وَأَبْلَى بِلَاءً حَسَنًا، ثُمَّ شَهِدَ الْيَمَامَةَ، فَأَبْلَى فِيهَا أَيْضًا، وَيَوْمَئِذٍ قُطِعَتْ أَذَنُهُ.

قَالَ: وَذَكَرَ الْوَاقِدِيُّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نَافِعٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍ، قَالَ: رَأَيْتُ عَمَّارَ بْنَ يَاسِرٍ يَوْمَ الْيَمَامَةِ عَلَى صَخْرَةٍ وَقَدْ أَشْرَفَ يَصْيحُ: يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ، آمِنِ الْجَنَّةَ تَفَرُّونَ؟ أَنَا عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ، فَهَلُمُّوا إِلَيَّ، وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَى أَذَنِهِ قَدْ قُطِعَتْ، فَهِيَ تَذْبَذِبُ وَهُوَ يَقَاتِلُ أَشَدَّ الْقِتَالِ.

قَالَ أَبُو عَمْرٍ: وَكَانَ عَمَّارٌ طَوِيلًا أَشْهَلَ، بَعِيدًا مَا بَيْنَ الْمَنْكِبَيْنِ، قَالَ: وَقَدْ قِيلَ فِي صِفَتِهِ: كَانَ أَدَمَ طَوَالًا مُضْطَرِبًا، أَشْهَلَ الْعَيْنَيْنِ، بَعِيدًا مَا بَيْنَ الْمَنْكِبَيْنِ، رَجُلًا لَا يَغْيَرُ شَيْئًا.

قَالَ: وَكَانَ عَمَّارٌ يَقُولُ: أَنَا تَرْبُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ أَقْرَبَ إِلَيْهِ مِنِّي مَنِّي. قَالَ: وَقُتِلَ عَمَّارٌ وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثٍ وَتِسْعِينَ سَنَةً، وَالْخَبَرُ الْمَرْفُوعُ مَشْهُورٌ فِي حَقِّهِ: «قَتَلْتُكَ الْفَتَى الْبَاغِيَةَ»<sup>(٣)</sup>، وَهُوَ مِنْ دَلَائِلِ نُبُوَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، لِأَنَّهُ إِخْبَارٌ عَنْ غَيْبٍ.

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي عَمَّارٍ: «مُلِيَءٌ لِيْمَانًا إِلَى مُشَاشِهِ»<sup>(٤)</sup>، وَيُرْوَى: «إِلَى أَخْمَصِ قَدَمَيْهِ»<sup>(٥)</sup>.

وَفَضَائِلُ عَمَّارٍ كَثِيرَةٌ، وَقَدْ تَقَدَّمَ الْقَوْلُ فِي ذِكْرِ عَمَّارٍ وَأَخْبَارِهِ، وَمَا وَرَدَ فِي حَقِّهِ.

(١) أَخْرَجَهُ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ (٤/١٨٦٤)، وَابْنُ سَعْدٍ فِي «الطَّبَقَاتِ» (٣/٢٤٨)، مُخْتَصَرًا.

(٢) سُورَةُ النَّحْلِ، آيَةُ: ١٠٦. (٣) تَقَدَّمَ تَخْرِيجُهُ.

(٤) أَخْرَجَهُ النَّسَائِيُّ، كِتَابُ: الْإِيمَانِ وَشُرَائِعِهِ، بَابُ: تَفَاضُلِ أَهْلِ الْإِيمَانِ (٥٠٠٧)، وَابْنُ مَاجَةَ،

كِتَابُ: الْمَقْدِمَةِ، بَابُ: فَضْلِ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ ١٤٧.

(٥) أَخْرَجَهُ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ فِي الْاِسْتِيعَابِ (٣/١١٣٧).

- ٤١٤ -

**الأصل:** وقال عليه السلام: ما أحسن تواضع الأغنياء للفقراء طلباً لما عند الله، وأحسن منه تيه الفقراء على الأغنياء اتكالاً على الله سبحانه.

**الشرح:** قد تقدم شرح مثل هذه الكلمة مراراً.

وقال الشاعر:

فنعث فاعتقت نفسي ولن      أملك ذا ثروة رزقها  
ونزعتها عن سؤال الرجال      ومئة من لا يرى حقها  
وإن القناعة كنز لا يبب      إذا ارتقت فتقت رزقها  
سبعت رزق الشفاء الخراب      وخمس البطون الذي شقها  
فما فارقت مهجة جسمها      لعنرك أو وثقت رزقها  
مواعبد ربك مصدوقه      إذا غيرها فققدت صدقها

- ٤١٥ -

**الأصل:** وقال عليه السلام: ما استودع الله امراً حقلاً إلا يستنقذه به يوماً ما.

**الشرح:** لا بد أن يكون للبارئ تعالى في إيداع العقل قلب زيد مثلاً غرض، ولا غرض إلا أن يستدل به على ما فيه نجاته وخلاصه، وذلك هو التكليف، فإن قصر في النظر وجهل وأخطأ الصواب فلا بد أن ينقذه عقله من ورطة من ورطات الدنيا، وليس يخلو أحد عن ذلك أصلاً، لأن كل عاقل لا بد أن يتخلص من مضرة سيئها أن تنال بإعمال فكرته وعقله في الخلاص منها، فالحاصل أن العقل إما أن ينقذ الإنقاذ الديني، وهو الفلاح والنجاح على الحقيقة، أو ينقذ من بعض مهالك الدنيا وآفاتنا، وعلى كل حال فقد صح قول أمير المؤمنين عليه السلام، وقد رويت هذه الكلمة مرفوعة<sup>(١)</sup>، ورويت: «إلا استنقذه به يوماً ما».

(١) أخرجه الديلمي في «مسند الفردوس» (٦٢٧٩).

وعنه عليه السلام: «العقل نورٌ في القلب يفرق به بين الحق والباطل»<sup>(١)</sup>.

وعن أنس قال: سئل رسول الله صلى الله عليه وآله عن الرجل يكون حسن العقل كثير الذنوب، فقال: ما من بشر إلا وله ذنوب وخطايا يقرنها، فمن كانت سجيته العقل، وعريته اليقين، لم تضره ذنوبه، قيل: كيف ذلك يا رسول الله؟ قال: كلما أخطأ لم يلبث أن يتدارك ذلك بتوبة وندامة على ما فرط منه، فيمحو ذنوبه، ويبقى له فضل يدخل به الجنة<sup>(٢)</sup>.

### بعض ما قيل في مدح العقل

وقد تقدّم من قولنا في العقل وما ذكر فيه ما فيه كفاية، ونحن نذكر هاهنا شيئاً آخر: كان يقال: العاقل يروى. ثم يروى ويخبر ثم يخبر.

وقال عبد الله بن المعتز: ما أبين وجوه الخير والشر في برآة العقل!

لقمان: يا بني، شاور من جرب الأمور فإنه يعطيك من رأيه ما قام عليه بالغلاء وتأخذه أنت بالمعجان.

أردشير بن بابك: أربعة تحتاج إلى أربعة: الحسب إلى الأدب، والسرور إلى الأمن، والقرابة إلى المودة، والعقل إلى التجربة.

الإسكندر: لا تحقر الرأي الجزيل من الحقير، فإن الدرة لا يستهان بها ليهوان غائصها.

مسلمة بن عبد الملك: ما ابتدأت أمراً قط يحزم فرجعت على نفسي بلائمة، وإن كانت العاقبة عليّ، ولا أضمت الحزم فسررت وإن كانت العاقبة لي.

وصف رجل عضد الدولة بن بويه، فقال: لو رأيته لرأيت رجلاً له وجه فيه ألف عين، وفم فيه ألف لسان، وصدر فيه ألف قلب.

أثنى قوم من الصحابة على رجل عند رسول الله صلى الله عليه وآله بالصلاة والعبادة وخصال الخير حتى بالغوا، فقال صلى الله عليه وآله: «كيف عقله؟» قالوا: يا رسول الله نخبرك باجتهاده في العبادة وضروب الخير، وتساءل عن عقله فقال: «إن الأحق ليصيب بحكمه أعظم مما يصيبه الفاجر بفجوره، وإنما ترتفع العباد عداً في درجاتهم، ويتألون من الرزقى من ربهم على قدر عقولهم»<sup>(٣)</sup>.

الريحاني: العقل ملك، والخصال رعيته، فإذا ضعف عن القيام عليها، وصل الخل إليها. وسمع هذا الكلام أعرابي فقال: هذا كلام يقطر عسله.

(١) أنظر نهج السعادة: ١٨٦/٨، وميزان الحكمة: ٢٠٣٨/٣.

(٢) أخرجه الحارث في «مسنده» (٨١٨).

(٣) أخرجه بنحوه الحارث في «مسنده» (٨١٤)، والحكيم الترمذي في «نوارد الأصول» (٣٥٧/٢).

قال مَعْنَى بَنَ زائدة: ما رأيتَ قَفَا رجلٍ إِلَّا عرفتُ عقله، قيل: فإن رأيتَ وجهه؟ قال: ذا كتابٌ يقرأ.

بعض الفلاسفة: عقلُ الغريزة مُسلمٌ إلى عقلِ التجربة.

بعضهم: كلُّ شيءٍ إذا كَثُرَ رُخِصَ إِلَّا العقل، فإنه إذا كَثُرَ غلا.

قالوا في قوله تعالى: ﴿يُتَذَكَّرُ مَنْ كَانَ حَيًّا﴾<sup>(١)</sup>، أي: من كان عاقلًا.

ومن كلامهم: العاقل بخشونة القَيْشِ مع العقلاء آتس منه يلين العيش مع السفهاء.

أعرابي: لو صُورَ العقلُ أَظْلَمَتْ معه الشمس، ولو صُورَ الحُكمُ لأضاء معه الليل.

قيل لحكيم: متى عَقَلْتَ؟ قال: حين وُلِدْتُ، فأنكروا ذلك، فقال: أما أنا فقد بَكَيْتَ حين جُعْتُ، وطلبتُ القُدِّي حين احتجَجْتُ، وسَكْتُ حين أُعْطِيت، يريد أن من عَرَفَ مقاديرَ حاجته فهو عاقل.

المأمون: إذا أنكرتَ من عقلِكَ شيئاً فاقدَحْه بعَاقِل.

بُزْرجِيه: العاقل الحازم إذا أشكل عليه الرأي بمنزلة من أضلَّ لؤلؤةً فَجَمَعَ ما حول مسقطها من الثراب، ثم التمسها حتى وجدها، وكذلك العاقلُ يَجْمَعُ وجوهَ الرأْيِ في الأمر المُشْكِل، ثم يَقْرِبُ بعضها في بعض حتى يَسْتَخْلِصَ الرأْيَ الأصَوْبَ.

كان يقال: هجينٌ عاقلٌ خيرٌ من هيجانٍ جاهلٍ.

كان بعضهم إذا استشِيرَ قال لمشاورِهِ: أنظرنِي حتى أصفَلَ عقلي بنُزْمَةٍ.

إذا نزلت المقادير، نزلت التداوير. من نَظَرَ في المَغَابِ، ظَفَرَ بالمَحَابِ. من استَدَت عِزائِهِ اشتَدَّت دَعائِمُهُ. الرأْيُ السَّديد، أَجْدَى من الأيْدِ السَّديدِ.

بعضهم:

وما أَلِفَ مَظْروورِ السَّنَانِ مَشْدَدَ يُعَارِضُ يَوْمَ الرُّوعِ رَأْيًا مَسْدُدًا  
أبو القَلْبِ:

الرأْيُ قَبْلَ شِجَاعَةِ الشُّجْعَانِ	هو أَوَّلُ وَفْيِ المَحَلِّ الشَّانِي
فَإِذَا هُمَا اجْتَمَعَا لِنَفْسٍ حُرَّةٍ	بَلَغَتْ مِنَ العَلِيَاءِ كُلِّ مَكَانٍ
وَلَرَبَّمَا ظَلَعَنَ الْفَتَى أَقْرَانَهُ	بِالرَّأْيِ قَبْلَ تَطَاعُنِ الْأَقْرَانِ
لَوْلَا الْعَقُولُ لَكَانَ أَذْنَى مَنِيغَمٍ	أَدْنَى إِلَى شَرَفٍ مِنَ الْإِنْسَانِ
وَلَمَّا تَفَاضَلَتِ النُّفُوسُ وَدَبَّرَتْ	أَيْدِي الكُفَاةِ عَوَالِي السُّرَّانِ

ذَكَرَ الْمَأْمُونُ وَلَدَ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَالَ: خُصُّوا بِتَدْبِيرِ الْآخِرَةِ، وَحُرِّمُوا تَدْبِيرَ الدُّنْيَا.

كَانَ يَقَالُ: إِذَا كَانَ الْهَوَى مَقْهُورًا تَحْتَ يَدِ الْعَقْلِ، وَالْعَقْلُ مَسْلُطٌ عَلَيْهِ، صُرِفَتْ مَسَاوِيءُ صَاحِبِهِ إِلَى الْمَحَاسِنِ، فَمَدَّتْ بِلَادَتَهُ حِلْمًا، وَجَدَّتْهُ ذَكَاةً، وَحَذَرَهُ بِلَاغَةً، وَعِيَهُ ضَمَنًا، وَجُبْنَهُ حَذَرًا، وَإِسْرَافَهُ جُودًا.

وَذَكَرَ هَذَا الْكَلَامَ عِنْدَ بَعْضِهِمْ فَقَالَ: هَذِهِ خِصَاصَةُ الْحِفْظِ نَقَلَهَا مَرْتَبًا هَذَا الْكَلَامَ إِلَى الْعَقْلِ. سَمِعَ مُحَمَّدُ بْنُ يَزْدَادٍ كَاتِبُ الْمَأْمُونِ قَوْلَ الشَّاعِرِ:

إِذَا كُنْتُ ذَا رَأْيٍ فَكُنْ ذَا عَزِيمَةٍ فَإِنَّ فِسَادَ الرَّأْيِ أَنْ تَتَهَرَّدَا  
فَإُضَافَ إِلَيْهِ:

وَإِنْ كُنْتُ ذَا عَزِيمٍ فَانْفِذْهُ عَاجِلًا فَإِنَّ فِسَادَ الْعَزْمِ أَنْ يَتَفَنَّدَا

- ٤١٦ -

الأصل: وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: مَنْ صَارَعَ الْحَقَّ صَرَعه.

الشرح: هَذَا يَثُلُ قَوْلُهُ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ: مَنْ أَبْدَى صَفْحَتَهُ لِلْحَقِّ هَلَكَ، وَنَحْوُ هَذَا قَوْلُ الطَّائِفَةِ:  
وَمَنْ قَامَرَ الْإِيمَانَ عَنْ ثَمَرَاتِهَا فَأَخْرَجَ بِهَا أَنْ تَنْجَلِي وَلَهَا الْقَمَرُ

- ٤١٧ -

الأصل: وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: الْقَلْبُ مُصْحَفُ الْبَصَرِ.

الشرح: هَذَا يَثُلُ قَوْلُ الشَّاعِرِ:

تَخْبِرُنِي الْعَيْنَانِ مَا الْقَلْبُ كَاتِمٌ وَمَا جَنَّ بِالْبَغْضَاءِ وَالنَّظَرِ الشُّزُرِ  
يَقُولُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: كَمَا أَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا نَظَرَ فِي الْمَصْحَفِ قَرَأَ مَا فِيهِ، كَذَلِكَ إِذَا أَبْصَرَ الْإِنْسَانُ  
صَاحِبَهُ فَإِنَّهُ يَرَى قَلْبَهُ بَوَسَاطَةِ رُؤْيَةِ وَجْهِهِ، ثُمَّ يَعْلَمُ مَا فِي قَلْبِهِ مِنْ حُبٍّ وَبُغْضٍ وَغَيْرِهِمَا، كَمَا  
يَعْلَمُ بِرُؤْيَةِ الْخَطِّ الَّذِي فِي الْمَصْحَفِ مَا يَدُلُّ الْخَطَّ عَلَيْهِ.

وقال الشاعر:

إِنَّ الْعِيُونَ لَتُثْبِدِي فِي تَقْلِبِهَا مَا فِي الصُّمَائِرِ مِنْ وَدٍّ وَمِنْ حَنَقٍ

- ٤١٨ -

الأصل: وقال عليه السلام: التَّقَى رَئِيسُ الْأَخْلَاقِ.

الشرح: يعني رئيس الأخلاق الدينية، لأن الأخلاق الحميدة كالجود والشجاعة والحلم والعفة وغير ذلك، لو قُدِّرنا انتفاء التكاليف العقلية والشرعية، لم يكن التَّقَى رئيساً لها، وإنما رياسة التَّقَى لها مع ثبوت التكليف، لا سيما الشرعي. والتَّقَى في الشرع هو الْوَرَع والخَوْفُ من الله، وإذا حصل حصلت الطاعات كلها، وانتفت القبايع كلها، فصار الإنسان ممصوماً، وتلك طبقة عالية، وهي أشرف من جميع الطبقات التي يمدح بها الإنسان، نحو قولنا: جَوَادٌ أو شُجَاعٌ أو نحوهما، لأنهما طبقة يتنزل الإنسان منها إلى الجنة ودار الثواب الدائم، وهذه منزلة عظيمة يُفَضَّلُ بها على سائر طبقات الأخلاق.

- ٤١٩ -

الأصل: وَقَالَ لَهُ عليه السلام: لَا تَجْعَلَنَّ ذَرْبَ لِسَانِكَ عَلَى مَنْ أَنْطَقَكَ، وَبِلَاغَةَ قَوْلِكَ عَلَى مَنْ سَدَّدَكَ.

الشرح: يقول: لا شُبْهَةَ أَنْ اللَّهَ تَعَالَى هُوَ الَّذِي أَنْطَقَكَ، وَسَدَّدَ لَفْظَكَ، وَعَلِمَكَ الْبَيَانَ كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ عِلْمَهُ الْبَيَانَ﴾ <sup>(١)</sup>، فَيُصِيحُ أَنْ يَجْعَلَ الْإِنْسَانُ ذَرْبَ لِسَانِهِ وَفَصَاحَةً مِنْطَقَهُ عَلَى مَنْ أَنْطَقَهُ وَأَقْدَرَهُ عَلَى الْعِبَادَةِ، وَفَيُصِيحُ أَنْ يَجْعَلَ الْإِنْسَانُ بِلَاغَةَ قَوْلِهِ عَلَى مَنْ سَدَّدَ قَوْلَهُ، وَجَعَلَهُ بَلِغاً حَسَنَ التَّعْبِيرِ عَنِ الْمَعَانِي الَّتِي فِي نَفْسِهِ، وَهَذَا كَمَنْ يُنْجِمُ عَلَى إِنْسَانٍ بِسَيْفٍ فَإِنَّهُ يَقْبِضُ مِنْهُ أَنْ يَقْتُلَهُ بِذَلِكَ السَّيْفِ قُلُومًا قَبِيحًا زَائِدًا عَلَى مَا لَوْ قَتَلَهُ بِغَيْرِ ذَلِكَ السَّيْفِ، وَمَا أَحْسَنَ قَوْلَ الْمُتَنَبِّئِ فِي سَيْفِ الدَّوْلَةِ:

(١) سورة الرحمن، الآيتان: ٣، ٤.

ولمَّا كَسَا كَعْباً ثِيَاباً طَفَعُوا بِهَا      رَمَى كُلَّ ثَوْبٍ مِنْ سِنَانٍ بِخَارِقٍ  
وَمَا يُوجِعُ الْجِرْمَانُ مِنْ كَفِّ حَازِمٍ      كَمَا يُوجِعُ الْجِرْمَانُ مِنْ كَفِّ رَازِقٍ

- ٤٢٠ -

**الأصل:** وَقَالَ عَمِّي: كَفَّاكَ أَذْبًا لِنَفْسِكَ أَجْنَابٌ مَا تَكْرَهُهُ مِنْ خَيْرِكَ.

**الشرح:** قَدْ قَالَ عَمِّي هَذَا اللَّفْظَ أَوْ نَحْوَهُ مَرَارًا، وَقَدْ تَكَلَّمْنَا نَحْنُ عَلَيْهِ، وَذَكَرْنَا نِظَائِرَ لَهُ كَثِيرَةً  
تَثْرَأُ وَتَقْلَمُ.

وَكَتَبَ بَعْضُ الْكُتَّابِ إِلَى بَعْضِ الْمُلُوكِ فِي حَالِ اقْتَصَاطِ ذَلِكَ:  
مَا عَلَيَّ ذَا افْتَرَقْنَا بِشُبْدَانٍ إِذْ كُنَّا      وَلَا هَكَذَا عَهْدُنَا الْإِخَاءَ  
تَضْرِبُ النَّاسَ بِالْمِهْنَةِ الْبِيدِ      ضِ عَلَى غَدِيرِهِمْ وَتَنْسَى الْوَفَاءَ

- ٤٢١ -

**الأصل:** وَقَالَ عَمِّي بِعَرِي قَوْمًا: مِنْ صَبَرٍ صَبَرَ الْأَخْرَارُ، وَإِلَّا سَلَا سُلُوكُ الْأَعْمَارِ.  
وَفِي خَيْرٍ آخَرٍ أَنَّهُ قَالَ لِالْأَشْعَثِ بْنِ قَيْسٍ مُعَرِّيًا عَنْ ابْنِ لَهُ: إِنْ صَبَرْتَ صَبَرَ الْأَكَارِمُ،  
وَإِلَّا سَلُوتُ سُلُوكِ الْبَهَائِمِ.

**الشرح:** أَخَذَ هَذَا الْمَعْنَى أَبُو تَمَّامٍ بِلِ حِكَاةٍ فَقَالَ:

وَقَالَ عَلِيٌّ فِي التَّمَاذِي لِأَشْعَثَ      وَخَافَ عَلَيْهِ بَعْضُ تِلْكَ الْمَائِمِ  
أَتَصْبِرُ لِلْبَلَوِّ عِزَاءً وَجِسْبَةً      فَتُوجَرَّامُ تَسْلُو سُلُوكِ الْبَهَائِمِ!

- ٤٢٢ -

**الأصل:** وَقَالَ عَمِّي فِي صِفَةِ الدُّنْيَا: الدُّنْيَا تَفْرُ وَتَضُرُّ وَتَمُرُّ، إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يَرْضَهَا قَوَابًا  
لَأُولِيائِهِ، وَلَا جِقَابًا لِأَعْدَائِهِ.



**الشرح:** قد تقدّم لنا كلام طويل في ذم الدنيا.

ومن الكلام المستحسن قوله: «تَقَرُّ وَتَقْصُرُ وَتَمُوتُ»، والكلمة الثانية أحسن وأجمل.

وقرأت في بعض الآثار أن عيسى عليه السلام مرّ بقرية وإذا أهلها مَوْتَى في الطُّرُق والأفنية، فقال للتلامذة: إن هؤلاء ماتوا عن سخطة، ولو ماتوا عن غير ذلك لتدافنوا، فقالوا يا سيّدنا: وَدِدْنَا أَنَا عَلِمْنَا خَيْرَهُمْ، فسأل الله تعالى، فقال له: إذا كان الليلُ فنادوهم بجيبوك، فلما كان الليلُ أشرف على نَشْرِ نَم ناداهم، فأجابه مجيب، فقال: ما حالكم، وما قضتكم؟ فقال: بثنا في عافية، وأصبنا في الهاوية، قال: وكيف ذلك؟ قال: لحبنا الدنيا، قال: كيف كان حيكم لها؟ قال: حبّ الصبى لأمه، إذا أقبلت فَرِحَ بها، وإذا أدبرت حَزِنَ عليها ويكئى، قال: فما بال أصحابك لم يجيبوني؟ قال: لأنهم ملجَمون بلُجُم من نَارٍ بأيدي ملائكة غلاظ شداد، قال: فكيف أجبتني أنت من بينهم؟ قال: لأنني كنتُ فيهم، ولم أكن منهم، فلما نزل بهم العذاب أصابني معهم، فانا معلقٌ على شفير جهنم لا أدري أنجو منها أم أكتكب فيها؟ فقال المسيح لتلامذته: لأكل خُبز الشَّعِير بالملح الجَرِيش وليس المُسَوَّح والقوم على المزابل ومبایخ الأوض في حرّ الصيف، كثيرٌ مع العافية من عذاب الآخرة.

- ٤٢٣ -

**الأصل:** وَإِنَّ أَهْلَ الدُّنْيَا كَرَّكِبٍ، بَيْنَا هُمْ حُلُولُوا إِذْ صَاحَ بِهِمْ سَائِقُهُمْ فَارْتَحَلُوا.

**الشرح:** رُوِيَ: «بَيْنَا هُمْ حُلُولُوا»، وبيننا هي بين نفسها، ووزنها «فَعْلَى»، أَشْبَعَتْ فَتَحَتْ النون فصارت ألفاً، ثُمَّ قَالُوا: «بَيْنَمَا» فزادوا «ما»، والمعنى واحد، نقول: بَيْنَا نحن نفعل كذا جاء زيد، أي بين أوقات فعلنا كذا جاء زيد، والجمل قد يضاف إليها أسماء الزمان نحو قولهم: «أَتَيْتُكَ زَمَنَ الْحَبَاجِ امِيرٍ»، ثُمَّ حَذَفُوا الْمَضَافَ الَّذِي هُوَ أَوَاقَاتٍ، وَوَلَّى الظَّرْفَ الَّذِي هُوَ بَيْنَ الْجُمْلَةِ الَّتِي أَقِمْتُ مَقَامَ الْمَحذُوفِ.

وكان الأصمعي يخفّض بعد «بَيْنَا» إذا صلح في موضعه «بَيْنَ»، ويُشيد قول أبي ذؤيب بالكسر: بَيْنَا تَعَثَّقَ الكُفَاةَ وَرَوْغُو يَوْمًا أَيْحَ لَه جَرِي سَافِعٌ وغيره يَرْفَعُ ما بعد «بَيْنَا» و«بَيْنَمَا» على الابتداء والخبر، فأما إِذْ وَإِذَا فَإِنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ الْعَرَبِ يَمْنَعُونَ مِنْ مَجِيشِهَا بَعْدَ بَيْنَا وَبَيْنَمَا، وَمِنْهُمْ مَنْ يُجِيزُ، وَعَلَيْهِ جَاءَ كَلَامُ امِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، وَأَنْشَدُوا:

بينما الناس على عُلْيَاهَا      إذ هَوَازَا فِي هُوَّةٍ مِنْهَا فَنَارَا  
وقالت الحُرَّةُ بَنْتُ الثُّعْمَانِ بْنِ الْمُنْذَرِ:  
وَيَبِينَا نَسُوسُ النَّاسِ وَالْأَمْرُ أَمْرُنَا      إِذَا نَحَرْنَا فِيهِمْ سُوقَةً نَتَنَصَّفُ  
وقال الشاعر:  
اسْتَغْدِرِ اللَّهَ خَيْرًا وَارْضَيْنَ بِهِ      فَبَيْنَمَا الْعُشْرُ إِذَا دَارَتْ مَيَاسِيرُ  
وَبَيْنَمَا الْمَرْءُ فِي الْأَحْيَاءِ مُغْتَبِطٌ      إِذَا صَارَ فِي اللَّخْدِ تَعْفُوهُ الْأَعَاصِيرُ  
رَمَتْ جَاءَ فِي رِصْفِ الدُّنْيَا مَتَا يَنَاسِبُ كَلَامُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ قَوْلُ أَبِي الْعَتَاهِيَةِ:  
إِنَّ دَارًا نَحْنُ فِيهَا لِدَارُ      لَيْسَ فِيهَا لِمَقِيمٍ قَرَارُ  
كَمْ رَكْمٌ قَدْ حَلَّهَا مِنْ أَنَاسٍ      فَهَبَّ اللَّيْلُ بِهِمْ رَالِشَهَارُ  
فَهُمُ الرُّكْبُ قَدْ أَصَابُوا مَنَاخَا      فَاسْتَرَا حُوا سَاعَةً ثُمَّ سَارَا  
رَكَدَا الدُّنْيَا عَلَى مَا رَأَيْنَا      يَذْهَبُ النَّاسُ رَتَخُلُو الدِّيَارُ

- ٤٢٤ -

الأصل: وقال عليه السلام لابن الحسن عليه السلام:

يَا بُنَيَّ، لَا تُخْلَقَنَّ وَرَاءَكَ شَيْئًا مِنَ الدُّنْيَا فَإِنَّكَ تُخْلَقُ لِأَحَدٍ رَجُلَيْنِ: إِمَّا رَجُلٌ عَمِلَ بِهِ  
بِطَاعَةَ اللَّهِ فَسَعِدَ بِمَا شَقِيَتْ بِهِ، وَإِمَّا رَجُلٌ عَمِلَ فِيهِ بِمَعْصِيَةِ اللَّهِ فَشَقِيَ بِمَا جَمَعَتْ لَهُ، فَكُنْتَ  
عَوْنًا لَهُ عَلَى مَعْصِيَتِهِ، وَلَيْسَ أَحَدٌ هَذَيْنِ حَقِيقًا أَنْ تُؤَثِّرَهُ عَلَى نَفْسِكَ.

وَيُرَوَّى هَذَا الْكَلَامُ عَلَى وَجْهِ آخَرَ، وَهُوَ:

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ الَّذِي فِي يَدَيْكَ مِنَ الدُّنْيَا قَدْ كَانَ لَهُ أَهْلٌ قَبْلَكَ، وَهُوَ صَارَ إِلَى أَهْلِ بَعْدَكَ،  
وَلَمَّا أَنْتَ جَائِعٌ لِأَحَدٍ رَجُلَيْنِ: رَجُلٍ عَمِلَ فِيهَا جَمَعَتْهُ بِطَاعَةُ اللَّهِ فَسَعِدَ بِمَا شَقِيَتْ بِهِ، أَوْ  
رَجُلٍ عَمِلَ فِيهَا جَمَعَتْهُ بِمَعْصِيَةِ اللَّهِ فَشَقِيَ بِمَا جَمَعَتْ لَهُ، وَلَيْسَ أَحَدٌ هَذَيْنِ أَهْلًا أَنْ تُؤَثِّرَهُ  
عَلَى نَفْسِكَ، أَوْ تُحَوِّلَ لَهُ عَلَى ظَهْرِكَ، فَارْجُ لِمَنْ مَضَى رَحْمَةَ اللَّهِ، وَلِمَنْ بَقِيَ رِزْقَ اللَّهِ.  
تَمَّالِي.

الشرح: رُوي: «إِنَّكَ لَا تُخْلَقُ إِلَّا لِأَحَدٍ رَجُلَيْنِ»، وهذا الفصل نُهي عن الادِّخار، وقد سبق لنا  
فيه كلامٌ مُنْع.

وخلاصة هذا الفضل أنك إن خلقت مالا، فإما أن تخلّفه لمن يعمل فيه بطاعة الله، أو لمن يعمل فيه بمعصيته، فالأول يستعد بما شقيت به أنت، والثاني يكون مغاناً منك على المعصية بما تركته له من المال، وكلا الأمرين مذموم، وإتما قال له: «فازج لمن مضى رحمة الله، ولمن بقي رزق الله»، لأنه قال في أول الكلام: «قد كان لهذا المال أهل قبلك، وهو صائر إلى أهل بعدك». والكلام في ذمّ الاذخار والجمع كثير، وللشعراء فيه مذهب واسع ومعان حسنة. وقال بعضهم:

يا جامعا مانعا والذهر يرمقه	مدبرا أي باب عنه يغلقه
وناسيا كيف تأتيه منيته	أغاديا أم بها يسري فطره
جمعت مالا فقل لي هل جمعت له	يا جامع المال أيما تُفرقه
المال عندك مخزون لوارثه	ما المال مالك إلا يؤم تُنفقه
أزفه ببال فتى يغدو على نقي	أن الذي قسم الأرزاق يزرقه
فالعرض منه مضون لا يُدّسه	والوجه منه جديد ليس يُخلفه
إن القناعة من يحل بساحتها	لم يلق في ظلها هما يؤرّه

- ٤٢٥ -

**الأصل:** وقال عليه السلام لقائل قال بحضرته استغفر الله: ثكلتك أمك! أتدري ما الاستغفار؟ إن الاستغفار درجة العليين، وهو اسم واقع على ستة معان: أولها الندم على ما مضى، والثاني العزم على ترك العود إليه أبداً، والثالث أن تؤدّي إلى المخلوقين حقوقهم حتى تلقى الله عز وجل أملتس عليك بعة، والرابع أن تعتمد إلى كل فريضة عليك صيغتها فتؤدّي حقها، والخامس أن تعتمد إلى اللّهم الذي نبت على السخبة فتضيء بالأخزان حتى تلتصق الجلد بالمعظم، وينشأ بينهما لحم جديد، السادس أن تليق الجسم ألم الطاعة كما أدقته حلاوة المعصية، فعند ذلك تقول: استغفر الله.

**الشرح:** قد روي: «إن الاستغفار درجة العليين»، فيكون على تقدير حذف مضاف، أي إن درجة الاستغفار درجة العليين، وعلى الرواية الأولى يكون على تقدير حذف مضاف، أي إن صاحب الاستغفار درجة العليين. وهو ما هنا جمع على «فعل» كضليل وخمير، تقول: هذا رجل

عليّ، أي كثيرُ العلوّ، ومنه العلّةُ للمُعرفة على إحدى اللَّغَتَيْن، ولا يجوز أن يفسّر بما فسّر به الراوندي من قوله: إنه اسمُ السماء السابعة، ونحو قوله: «هو سِدْرَةُ المُنْتَهَى»، ونحو قوله: «هو موضعٌ تحت قائِمَةِ العَرْشِ اليمَنِيّ»، لأنه لو كان كذلك لكان علماً، فلم تدخُلْه اللّام. كما لا يقال: «الجهنّم»، وكذلك أيضاً لا يجوز تفسيره بما فسّره الراوندي أيضاً، قال: العليّين، جمع عليّ: الأمكنة في السماء، لأنه لو كان كذلك لم يُجمع بالنون لأنها تختصّ بمن يعقل، وتصلح أن تكون الوجوه الأولى تفسيراً لقوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَلْبَرَارِ لَفِي عَذِيبٍ﴾<sup>(١)</sup>.

قوله: «تَبَّتْ على السُّخْتِ»، أي على الحرام، يقال: سُخِتَ، بالسكِين، وسُخِتَ بالضمّ، وأسَخَتِ الرجلُ في تجارته، أي اكتسب السُّخْت.

### في ماهية التوبة وشروطها

وينبغي أن نذكر في هذا الموضع كلاماً مختصراً مما يقوله أصحابنا في التوبة، فإنّ كلام أمير المؤمنين هو الأصل الذي أخذَ منه أصحابنا مَقَالَتَهُم، والذي يقولونه في التوبة، فقد أتى على جوابه عليه السلام في هذا الفصل على اختصاره.

قال أصحابنا: الكلام في التوبة يقع من وجوه: منها الكلام في ماهية التوبة والكلام في إسقاطها اللَّذَمَّ والعقاب، والكلام في أنه يجب علينا فعلها، والكلام في شرطها.

أما ماهية التوبة فهي التَّندِم والتَّعَزُّم، لأنّ التوبة هي الإنابة والرَّجُوع، وليس يمكن أن يرجع الإنسانُ عمّا فعله إلا بالتَّندِم عليه، والعزم على تَرْكِ معاودته، وما يتوب الإنسان منه، إمّا أن يكون فعلاً قبيحاً، وإمّا أن يكون إخلالاً بواجب، فالتوبة من الفعل القبيح هي أن يَنْدِم عليه، ويَعَزِّم ألا يعود إلى مثله، وعَزَمَهُ على ذلك هو كراهيته لفعله، والتوبة من الإخلال بالواجب هي أن يَنْدِم على إخلاله بالواجب ويعزم على أداء الواجب فيما بعد.

فأما القول في أن التوبة تُسْقِطُ العذاب فنعدنا أن العقل يقتضي قُبْحُ العقاب بعد التوبة، وخالف أكثرُ المرجئة في ذلك من الإمامية وغيرهم، واحتجَّ أصحابنا بفتح عقوبة المسيء إلينا بعد ندمه واعتذاره وتنصُّله، والعلم بصدقه والعلم بأنّه عازمٌ على ألا يعود.

فأما القول في وجوب التوبة على العصاة، فلا ريب أنّ الشرع يوجب ذلك، فأما العقل فالقول فيه أنه لا يخلو المكلفُ إمّا أن يعلم أن معصيته كبيرة، أو يعلم أنها صغيرة، أو يجوز فيها كلا الأمرين، فإن علم كونها كبيرة وجب عليه في العقول التوبة منها، لأن التوبة مُزِيلَةٌ لضرر الكبيرة، وإزالة المضارّ واجبة في العقول، وإن جَوَّز كونها كبيرة وجَوَّز كونها صغيرة،

لزمه أيضاً في العقل التوبة منها، لأنه يأمن بالتوبة من مَصْرَةٍ مخوفة، وفعل ما يؤمن من المضار المخوفة واجب، وإن علم أنَّ معصيته صغيرة، وذلك كمعاصي الأنبياء، وكمن عصي ثم علم بإخبار نبيِّه أنَّ معصيته صغيرة محبطة، فقد قال الشيخ أبو علي: إِنَّ التوبة منها واجبة في العقول، لأنه إن لم يتب كان مُصِيراً والإصرار قبيح.

وقال الشيخ أبو هاشم: لا تُجِب التوبة منها في العقل بالشرع، لأنَّ فيها مصلحة يعلمها الله تعالى، قال: إنه يجوز أن يخلو الإنسان من التوبة عن الذنب، ومن الإصرار عليه، لأنَّ الإصرار عليه هو العزم على مُعاوَدَة مثله، والتوبة منه أن يكره معاودة مثله مع الندم على ما مضى، ويجوز أن يخلو الإنسان من العزم على الشيء، ومن كراهته.

ومال شيخنا أبو الحسين رحمه الله إلى وجوب التوبة هاهنا عقلاً، للدليل غير دليل أبي علي رحمه الله.

فأما القول في صفات التوبة وشروطها فإنها على ضربين:  
أحدهما: يعم كلَّ توبة، والآخر يختلف بحسب اختلاف ما يتاب منه، فالأول هو الندم والعزم على ترك المعاودة.

وأما الضرب الثاني، فهو أنَّ ما يتوب منه المكلف إما أن يكون فعلاً أو إخلالاً بواجب، فإن كان فعلاً قبيحاً وجب عند الشيخ أبي هاشم رحمه الله أن يتدم عليه، لأنه فعل قبيح، وأن يكره مُعاوَدَة مثله لأنه قبيح، وإن كان إخلالاً بواجب وجب عليه عنده أن يتدم عليه، لأنه إخلال بواجب، وأن يعزم على فعل مثله ما أُخْلُ به لأنه واجب، فإن ندم خوف النار فقط، أو شوقاً إلى الجنة فقط، أو لأنَّ القبيح الذي فعله يضرُّ ببدنه كانت توبته صحيحة، وإن ندم على القبيح لِقُبْحِهِ ولخوف النار، وكان لو انفرد قبحه ندم عليه، فإن توبته تكون صحيحة، وإن كان لو انفرد القبح لم يتدم عليه، فإنه لا تكون توبته صحيحة عنده، والخلاف فيه مع الشيخ أبي علي وغيره من الشيوخ رحمهم الله، وإنما اختار أبو هاشم هذا القول لأنَّ التوبة تجري مجرى الاعتذار بيننا، ومعلوم أن الواحد منا لو أساء إلى غيره ثم ندم على إساءته إليه واعتذر منها خوفاً من معاقبته له عليها، أو من معاقبة السلطان حتى لو أمن العقوبة، لما اعتذر ولا ندم، بل كان يواصل الإساءة، فإنه لا يسقط ذمُّه، فكذلك التوبة خوف النار لا يُقْبِح الفعل.

وقد نقل قاضي القضاة هذا المذهب عن أمير المؤمنين عليه السلام والحسن البصري وعلي بن موسى الرضا والقاسم بن إبراهيم الرضي.

قال أصحابنا: وللتوبة شروط أخرى تختلف بحسب اختلاف المعاصي، وذلك أنَّ ما يتوب منه المكلف، إما أن يكون فيه لادميَّ حقٌّ أو لا حقٌّ فيه لادميَّ، فما ليس للادميَّ فيه حقٌّ فنحو ترك الصلاة، فإنه لا يجب فيه إلا الندم والعزم على ما قدّمنا وما لادميَّ فيه حقٌّ على ضربين:

أحدهما أن يكون جناية عليه في نفسه أو أعضائه أو ماله أو دينه، والآخر ألا يكون جناية عليه في شيء من ذلك، فما كان جناية عليه في نفسه أو أعضائه أو ماله، فالواجب فيه الندم والعزم، وأن يشرع في تسليم بدل ما أثلف، فإن لم يتمكن من ذلك إفقر أو غيره عزم على ذلك إذا تمكن منه، فإن مات قبل التمكن لم يكن من أهل العقاب، وإن جنى عليه في دينه بأن يكون قد أضله بشبهة استزله بها، فالواجب عليه مع الندم والعزم والاجتهاد في حل شبهته من نفسه، فإن لم يتمكن من الاجتماع به عزم على ذلك إذا تمكن، فإن مات قبل التمكن، أو تمكن منه واجتهد في حل الشبهة فلم تنحل من نفس ذلك الضال، فلا عقاب عليه، لأنه قد استفرغ جهده، فإن كانت المعصية غير جناية نحو أن يعتابه أو يسمع غيبته فإنه يلزمه الندم والعزم، ولا يلزمه أن يستحله أو يعتذر إليه، لأنه ليس يلزمه أرض لمن اغتابه فيستحله، ليسقط عنه الأرض، ولا غمه فيزيل غمه بالاعتذار، وفي ذكر الغيبة له ليستحله فيزيل غمه منها إدخال غم عليه، فلم يجز ذلك، فإن كان قد أسمع المغتاب غيبته فذلك جناية عليه، لأنه قد أوصل إليه مضرّة الغم، فيلزمه إزالة ذلك بالاعتذار.

- ٤٢٦ -

**الأصل:** وقال عليه السلام: **الجلّم عشيّة.**

**الشرح:** كان يقال: العلم جنود مجتدة لا أرزاق لها.

وقال عليه السلام: وجدت الاحتمال أنصر لي من الرجال. وقال الشاعر:  
ولكف عن شثم اللثيم تكروماً أضر له من شثمه حين يشتم  
وكان يقال: من غرس شجرة العلم، اجتنى ثمرة السلم.  
وقد تقدّم من القول في العلم ما فيه كفاية.

- ٤٢٧ -

**الأصل:** وقال عليه السلام: **مسكين ابن آدم مكتوم الأجل، مكتون العلي، محفوظ العمل، نولمه البقة، وتقله الشقة، وتثيته العرق.**

**الشرح:** قد تقدّم هاهنا خبر المبتدأ عليه، والتقدير: «أبْنُ آدَمَ وَسَكِين»، ثُمَّ بَيَّنَ مَسْكَنَتَهُ مِنْ أَيْنَ هِيَ؟ فَقَالَ: إِنَّهَا مِنْ بَيْتَةِ أَوْجِهَ: أَجْلُهُ مَكْنُومٌ لَا يَدْرِي مَتَى يُخْتَرَمُ، وَعِلَلُهُ بَاطِنَةٌ لَا يَدْرِي بِهَا حَتَّى تَهَيِّجَ عَلَيْهِ، وَعَمَلُهُ مَحْفُوظٌ، ﴿مَالٌ هَذَا الْحَكِيمُ لَا يَمَادُرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَنْصَحَهَا﴾<sup>(١)</sup>، وَقَرَصَ الْبَقَّةَ يَوْلُمُهُ، وَالشَّرْقَةَ بِالْمَاءِ تَقْتُلُهُ، وَإِذَا حَرِقَ أَنْشَبَتِ الْعَرَقَةَ الْوَاحِدَةُ وَغِيْرَتْ رِيحُهُ، فَمَنْ هُوَ عَلَى هَذِهِ الصِّفَاتِ فَهُوَ مَسْكِينٌ لَا مُحَالَةَ، لَا يَنْبَغِي أَنْ يَأْمَنَ وَلَا أَنْ يَفْخَرُ.

- ٤٢٨ -

**الأصل:** وَيُرَوَّى أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ جَالِسًا فِي أَصْحَابِهِ إِذْ مَرَّتْ بِهِمْ امْرَأَةٌ جَوِيلَةٌ فَرَمَقَهَا الْقَوْمُ بِأَبْصَارِهِمْ، فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنَّ أَبْصَارَ هَذِهِ الْفُحُولِ طَوَامِعٌ، وَإِنَّ ذَلِكَ سَبَبٌ هِبَابِهَا، فَإِذَا نَظَرَ أَحَدُكُمْ إِلَى امْرَأَةٍ تُعْجِبُهُ فَلْيَلَامِسْ أَهْلَهُ، فَإِنَّمَا هِيَ امْرَأَةٌ كَأَمْرَأَتِي.

فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْخَوَارِجِ: قَاتَلَهُ اللَّهُ كَافِرًا، مَا أَفْقَهُ! قَالَ: فَوُتِبَ الْقَوْمُ لِيَقْتُلُوهُ، فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: رُوَيْدًا، إِنَّمَا هُوَ سَبٌّ بِسَبٍّ، أَوْ عَفْوٌ عَنْ ذَنْبٍ.

**الشرح:** تقول: هَبَّ الْفَخْلُ وَالتَّيْسُ يَهَبُ بِالْكَسْرِ مَيِّبًا أَوْ هِبَابًا، إِذَا هَاجَ لِلضَّرَابِ أَوْ لِلسَّفَادِ، وَالهَبَابُ أَيْضًا: صَوْتُ، وَالتَّيْسُ إِذَا هَبَّ فَهُوَ يَهَبَابٌ، وَقَدْ هَبَّهَتْهُ، أَيْ دَعَوَتْهُ لِيَنْزُوَ فَتَهَبِبُ، أَيْ: تَرْغَزُ.

وَسَأَلَنِي صَدِيقُنَا عَلِيُّ بْنُ الْبَطْرِيقِ عَنْ هَذِهِ الْقِصَّةِ فَقَالَ: مَا بَالُهُ عَفَا عَنِ الْخَارِجِيِّ وَقَدْ طَعَنَ فِيهِ بِالْكَفْرِ، وَأَنْكَرَ عَلَى الْأَشْعَثِ قَوْلَهُ: «هَذِهِ عَلَيْكَ لَا لَكَ»، فَقَالَ: مَا يُذْرِكُ عَلَيْكَ لَعْنَةَ اللَّهِ مَا عَلَيَّ مِمَّا لِي! حَاتِكُ ابْنِ حَاتِكٍ، مُنَافِقُ ابْنِ كَافِرٍ وَمَا وَاجِهُهُ بِهِ الْخَارِجِيُّ أَفْطَحَ مِمَّا وَاجِهَهُ الْأَشْعَثُ! فَقُلْتُ: لَا أَدْرِي.

قَالَ: لِأَنَّ كُلَّ صَاحِبِ فَضِيلَةٍ يَعُظَّمُ عَلَيْهِ أَنْ يُطَعَنَ فِي فَضِيلَتِهِ تِلْكَ، وَيُدْعَى عَلَيْهِ أَنَّهُ فِيهَا نَاقِصٌ، وَكَانَ عَلِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ بَيْتَ الْعِلْمِ، فَلَمَّا طَعَنَ فِيهِ الْأَشْعَثُ طَعَنَ بِأَنَّكَ لَا تُذَرِّي مَا عَلَيْكَ مِمَّا لَكَ، فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِ، وَامْتَنَعُ مِنْهُ، وَجَبَّهَ وَلَعَنَهُ، وَأَمَّا الْخَارِجِيُّ فَلَمْ يُطَعَنَ فِي عِلْمِهِ، بَلْ أَتَيْتُهُ

له، واعترف به، وتعجب منه، فقال: «قَاتِلْهُ اللَّهُ كَافِراً مَا أَفْقَهُهُ»، فاغتفر له لفظة «كافر» بما اعترف له به من علو طبقة في الفقه، ولم يخش عليه خشونته على الأشعث، وكان قد مرّن على سماع قول الخوارج: أنت كافر، وقد كفرت، يعنون التحكيم، فلم يحفل بتلك اللفظة ونهى أصحابه عن قتله محافظة ورعاية له على ما مدحه به.

- ٤٢٩ -

**الأصل:** وَقَالَ ﷺ: كَفَاكَ مِنْ عَقْلِكَ، مَا أَوْضَحَ لَكَ سُبُلَ حَيْكَ مِنْ رُشْدِكَ.

**الشرح:** يقول ﷺ: كفى الإنسان من عقله ما يفرق به بين النقي والرشد، وبين الحق من العقائد والباطل، فإنه بذلك يتم تكليفه، ولا حاجة في التكليف، والفرق بين النقي والرشد إلى زيادة على ذلك، نحو التجارب التي تقيده الحزم الثام، ومعرفة أحوال الدنيا وأهلها، وأيضاً لا حاجة له إلى أن يكون عنده من الفطنة الثاقبة والذكاء الثام ما يستتب به دقائق الكلام في الحكمة والهندسة والعلوم الغامضة، فإن ذلك كله أفضل مستغنى عنه، فإن حصل للإنسان فقد كمل، وإن لم يحصل للإنسان فقد كفاه في تكليفه ونجائه من معاطب المضايك ما يفرق به بين النقي والرشد، وهو حصول العلوم البديهية في القلب، وما جرى مجراها من علوم العادات، وما يذكره أصحابنا في باب التكليف.

- ٤٣٠ -

**الأصل:** وَقَالَ ﷺ: اَفْعَلُوا الْخَيْرَ، وَلَا تَخْشَوْا مِنْهُ شَيْئاً، فَإِنَّ صَغِيرَهُ كَبِيرٌ، وَقَلِيلُهُ كَثِيرٌ وَلَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ: إِنْ أَحَدًا أَوْلَى بِفِعْلِ الْخَيْرِ مِنِّي، فَيَكُونَ وَاللَّهِ كَذَلِكَ.

**الشرح:** القليل من الخير خيرٌ من عدم الخير أصلاً.

قال ﷺ: لا يقولَنَّ أحدكم: إِنْ فَلَانًا أَوْلَى بِفِعْلِ الْخَيْرِ مِنِّي، فيكون والله كذلك، مثاله قوم مؤسرون في محلة واحدة، قَصَدَ واحداً منهم سائلُ فردة، وقال له: اذهب إلى فلان، فهو أولى بأن يتصدق عليك مني، فإن هذه الكلمة تقال دائماً، نهى ﷺ عن قولها وقال: «فَيَكُونَ وَاللَّهِ



كذلك، أي أن الله تعالى يوفق ذلك الشخص الذي أحبل ذلك السائل عليه، ويسر الصدقة عليه، ويقوي دواعيه إليها، فيفعلها فتكون كلمة ذلك الإنسان الأول قد صادفت قدراً وقضاء، ووقع الأمر بموجبها.

- ٤٣١ -

**الأصل:** إِنَّ لِلْخَيْرِ وَاللِّشْرِ أَهْلًا، فَمَهْمَا تَرَكْتُمُوهُ وَمَهْمَا كَفَأْتُمُوهُ أَهْلُهُ.

**الشرح:** يقول عليه السلام: إن عنك باب من أبواب الخير وتركته، فسوف يكفيك بعض الناس ممن جعله الله تعالى أهلاً للخير وإسداء المعروف إلى الناس، وإن عنك باب من أبواب الشر فتركته، فسوف يكفيك بعض الناس ممن جعلتهم أنفسهم وسوء اختيارهم أهلاً للشر وأذى الناس، فاختر لنفسك أيما أحب إليك، أن تحظى بالمحمدة والثواب، وتعمل ما إن تركته فعله غيرك وحظي بحمده وثوابه، أو أن تتركه وإيما أحب إليك: أن تشقى بالذم عاجلاً، والعقاب آجلاً، وتعمل ما إن تركته كفاهك غيرك، وبلغت غرضك منه على يد غيرك، أو أن تفعله ولا ريب أن العاقل يختار فعل الخير وترك الشر إذا أفكر حتى الفكر فيما قد أوضحناه.

- ٤٣٢ -

**الأصل:** وَقَالَ عليه السلام: مَنْ أَصْلَحَ سِرِّيَّتَهُ، أَصْلَحَ اللَّهُ عِلَاقَتَهُ، وَمَنْ عَمِلَ لِدِينِهِ، كَفَّاهُ اللَّهُ أَمْرَ دُنْيَاهُ، وَمَنْ أَحْسَنَ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ، أَحْسَنَ اللَّهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّاسِ.

**الشرح:** لا ريب أن الأعمال الظاهرة تبع للأعمال الباطنة، فمن صلح باطنه صلح ظاهره وبالعكس، وذلك لأن القلب أمير مسلط على الجوارح، والرحمة تتبع أميرها ولا ريب أن من عمل لدينه كفاه الله أمر دُنْيَاهُ، وقد شهد بذلك الكتاب العزيز في قوله سبحانه: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۖ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ (١).

ولهذا أيضاً علّة ظاهرة، وذلك أنّ من عَولَ الله سبحانه وللذين فإنه لا يخفى حاله في أكثر الأمر عن الناس، ولا شبهة أنّ الناس إذا حَسُنَتْ عقيدَتُهُمْ في إنسان وعَلِمُوا مَنَانَةَ دينه بَيَّوُوا له إلى الدنيا أبواباً لا يَحْتَاجُ أن يتكلّفها، ولا يَتَعَبُ فيها، فيأتيه رزقه من غير كُفْلة ولا كَدٍّ، ولا رَيْبَ أنّ من أَحَسَّنَ فيما بيْنَهُ وبينَ الله أَحَسَّنَ الله ما بيْنَهُ وبينَ الناس، وذلك لأنّ القلوب بالضرورة تميلُ إليه وتَحِبُّه، وذلك لأنّه إذا كان مُحْسِناً بيْنَهُ وبينَ الناس عَفَتْ عن أموالِ الناس وديارِهِم وأعراضِهِم، وَتَرَكَ الدخولَ فيما لا يَعيْنُهُ، ولا شبهة أنّ من كان بهذه الصّفة فإنه يحسن ما بيْنَهُ وبينَ الناس.

- ٤٣٣ -

الأصل: وَقَالَ ﷺ: الْحِلْمُ غِطَاءٌ سَاتِرٌ، وَالْعَقْلُ حُسَامٌ قَاطِعٌ، فَاشْتَرَى خَلَلَ خُلُقِكَ بِحِلْمِكَ، وَقَاتِلَ هَوَاكَ بِعَقْلِكَ.

الشرح: لَمَّا جَعَلَ اللهُ الْحِلْمَ غِطَاءً، وَالْعَقْلَ حُسَاماً، أَمَرَ أَنْ يَسْتُرَ خَلَلَ خُلُقِهِ بِذَلِكَ الْغِطَاءِ وَأَنْ يَقَاتِلَ هَوَاكَ بِذَلِكَ الْحُسَامِ، وَقَدْ سَبَقَ الْقَوْلُ فِي الْعِلْمِ وَالْعَقْلِ.

- ٤٣٤ -

الأصل: وَقَالَ ﷺ: إِنَّ اللَّهَ جَبَادٌ يَخْتَصِمُهُم بِالنِّعَمِ لِمَنَافِعِ الْعِبَادِ، فَيَقْرُبُهَا فِي أَيْدِيهِمْ مَا بَدَلُومَا، فَإِذَا مَنَعُوا نَزَعَهَا مِنْهُمْ، ثُمَّ حَوَّلَهَا إِلَى غَيْرِهِمْ.

الشرح: قَدْ ذَكَرْنَا هَذَا الْمَعْنَى فِيمَا تَقَدَّمَ، وَقَدْ قَالَتِ الشُّعْرَاءُ فِيهِ فَأَكْثَرُوا، وَقَرِيبٌ مِنْ ذَلِكَ قَوْلُ الشَّاعِرِ:

وَبِالنَّاسِ عَاشَ النَّاسُ قِدْماً وَلَمْ يَزَلْ  
مِنْ النَّاسِ مَرْغُوبٌ إِلَيْهِ وَرَاجِبٌ  
وَأَشَدُّ تَصْرِيحاً بِالْمَعْنَى قَوْلُ الشَّاعِرِ:

لَمْ يُعْطِكَ اللَّهُ مَا أَعْطَاكَ مِنْ نِعَمٍ  
فَإِنْ مَنَعْتَ فَأَخْلَقْتَ أَنْ تُصَادِفَهَا  
تَطْيِيرَ عَنْكَ زَرَفَاتٍ وَوُخْدَانَا

- ٤٣٥ -

الأصل: وقال عليه السلام: لَا يَتَّبِعِي لِلْعَبْدِ أَنْ يَقَى بِحَصَلَتَيْنِ: الْعَافِيَةِ وَالْفَنَى، بَيْنَا تَرَاهُ مُعَانِي إِذْ سَقَمَ وَبَيْنَا تَرَاهُ عَيْنًا إِذَا افْتَقَرَ.

الشرح: قد تقدّم القول في هذا المعنى.

وقال الشاعر:

وبينما المرء في الأحياء مُغْتَبِطٌ      إِذَا صَارَ فِي اللَّحْدِ تَسْفِيهِهِ الْأَعَاصِيرُ  
وقال آخر:

لَا يَغُرُّكَ عِشَاءٌ سَاكِنٌ      قَدْ يُوَانِي بِالْمَنِيَّاتِ السَّحَرُ  
وقال عبيد الله بن طاهر:

وَإِذَا مَا أَعَارَكَ الدَّهْرُ شَيْئًا      فَهُوَ لَا يَذْأَخُذُ مَا أَعَارَا  
آخر:

يَغُرُّ الْفَتَى مَرُّ اللَّيَالِي سَلِيمَةً      وَهَنْ بِهِ عَمَّا قَلِيلٍ عَوَائِرُ  
وقال آخر:

وَرُبَّ عَنِيٍّ عَظِيمِ الْفَرَاءِ      أَمْسَى مُقْبِلًا عَدِيمًا فَقِيرًا  
وكم بات من مُتَرَفٍّ فِي الْقُصُورِ      فَمُؤْضٍ فِي الصُّبْحِ عَنْهَا الْقُبُورَا

- ٤٣٦ -

الأصل: وقال عليه السلام: مَنْ شَكَا الْحَاجَّةَ إِلَى مُؤْمِنٍ فَكَأَنَّمَا شَكَاهَا إِلَى اللَّهِ، وَمَنْ شَكَاهَا إِلَى كَافِرٍ فَكَأَنَّمَا شَكَاهَا إِلَى اللَّهِ.

الشرح: قد تقدّم القول في شكوى الحال وكراهيتها، وكلام أمير المؤمنين عليه السلام يدل على أنه لا يكره شكوى الحال إلى المؤمن، ويكرهها إلى غير المؤمن، وهذا مذهب ويني غير المذهب المرفي.

وأكثر مذاهبه ومقاصده عليه السلام في كلمه يَنحُو فيها نحو الدِّين والوَرع والإسلام، وكأنه يجعل الشكوى إلى المؤمن كالشكوى إلى الخالق سبحانه، لأنه لا يشكو إلى المؤمن إلا وقد خَلَتْ شُكُوَاهُ مِنَ التَّسَخُّطِ والتَّأَنُّفِ، ولا يشكو إلى الكافر إلا وقد شَابَ شُكُوَاهُ بالاستزادة والتَّضَجُّرِ، فافترقت الحال في الموضوعين.

فأما المذهب المشهور في العُرف والعادة فاستهجانُ الشكوى على الإطلاق لأنها دليل على ضَعْفِ النفس وخذلانها، وقلة الصبر على حوادث الدهر، وذلك عندهم غير محمود.

- ٤٣٧ -

**الأصل:** وقال عليه السلام في بعض الأعياد: إِنَّمَا هُوَ عِيدٌ لِمَنْ قَبِلَ اللَّهَ صِيَامَهُ، وَشَكَرَ قِيَامَهُ، وَكُلَّ يَوْمٍ لَا نَعْصِي اللَّهَ فِيهِ فَهُوَ يَوْمٌ عِيدٌ.

**الشرح:** المعنى ظاهرٌ، وقد نقله بعض المحدثين إلى الغزل فقال: قالوا أتى العيدُ قُلْتُ أهلاً إن جاء بالوَضَلِ فهوَ عِيدٌ مَنْ ظَلِمْتَ بِالْمَنَى يَدَاهُ فكلَّ أيامِهِ مُعْوَدٌ ورأيتُ بعض الصوفيَّة وقد سَمِعَ هَذَيْنِ البيتين من مُعَنَّ حَافِي، فظَرِبَ وَصَفَّقَ وأخذهما لمعنى عنده.

وقد قال بعض المحدثين في هذا المعنى أيضاً:

قالوا أتى العيدُ والأيامُ مشرقةً وأنت تبكي وكل الناس مَسْرُورٌ  
فقلتُ إنَّ واصلَ الأحبابِ كان لنا عيداً وإلا فهذا اليومُ عاشورُ

- ٤٣٨ -

**الأصل:** وقال عليه السلام: إِنَّ أَكْظَمَ الْحَسَرَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَسْرَةُ رَجُلٍ كَسَبَ مَا لَا فِي غَيْرِ طَاعَةِ اللَّهِ، فَوَرَّثَهُ رَجُلًا فَانْفَقَهُ فِي طَاعَةِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ فَلَدَخَلَ بِهِ الْجَنَّةَ، ودَخَلَ الْأَوَّلُ بِهِ النَّارَ.

**الشرح:** كان يقال لعمر بن عبد العزيز بن مروان: السعيد ابن الشقي، وذلك أن عبد العزيز بن مروان مَلَكَ ضياعاً كثيرة بمصر والشام والعراق والمدينة من غير طاعة الله، بل بسلطان أخيه عبد الملك، وبولاية عبد العزيز نفسه مصر وغيرها، ثم تركها لابنه حمر، فكان يُنْفِقُها في طاعة الله سبحانه وفي وجوه البرِّ والقربات، إلى أن أفضت الخلافة إليه، فلما أفضت إليه أخرج سِجِلَات عبد الملك بها لعبد العزيز فمزَّقها بمَحَضَر من الناس، وقال: هذه كَيْثٌ من غير أصل شرعي، وقد أعدَّتها إلى بيت المال.

- ٤٣٩ -

**الأصل:** وَقَالَ ﷺ: إِنَّ أَحْسَرَ النَّاسِ صَفْقَةً، وَأَخْيَهُمْ سَغِيًّا، رَجُلٌ أَحْلَقَ بَدَنَهُ فِي طَلَبِ آمَالِهِ، وَلَمْ تُسَاعِدْهُ الْمَقَادِيرُ عَلَى إِرَادَتِهِ، فَخَرَجَ مِنَ الدُّنْيَا بِحَسْرَتِهِ، وَقَدِمَ عَلَى الْآخِرَةِ بِتَبِعَتِهِ.

**الشرح:** هذه صورة أكثر الناس، وذلك لأن أكثرهم يَكْدُ بَدَنَهُ ونَفْسَهُ في بلوغ الآمال الدنيوية، والقليل منهم من تساعده المقادير على إرادته، وإن ساعدته على شيء منها بقي في نفسه مالا يُلْفِه، كما قيل:

نَرُوحُ وَنَغْدُو لِحَاجَاتِنَا      وَحَاجَةٌ مِنْ عَاشٍ لَا تَنْقُضِي  
تَمُوتُ مَعَ الْمَرءِ حَاجَاتُهُ      وَتَبْقَى لَهُ حَاجَةٌ مَا بَقِيَ  
فأكثرهم إذْ يُخْرَجُ مِنَ الدُّنْيَا بِحَسْرَتِهِ، ويُقَدِّمُ عَلَى الْآخِرَةِ بِتَبِعَتِهِ، لأن تلك الآمال التي كانت الحركة والسمي فيها ليست متعلقة بأمور الدين والآخرة، لا تجرّم أنها تبعات وعقوبات، ونسال الله عَفْوَ.

- ٤٤٠ -

**الأصل:** وَقَالَ ﷺ: الرُّزْقُ رِزْقَانِ: طَالِبٌ وَمَطْلُوبٌ، فَمَنْ طَلَبَ الدُّنْيَا طَلَبَهُ الْمَوْتُ حَتَّى يُخْرِجَهُ عَنْهَا، وَمَنْ طَلَبَ الْآخِرَةَ طَلَبَتْهُ الدُّنْيَا حَتَّى يَسْتَوْفِيَ مِنْهَا رِزْقَهُ.

**الشرح:** هذا تحريض على طلب الآخرة، ووعد لمن طلبها بأنه سيكفي طلب الدنيا، وإن الدنيا ستطلبه حتى يستوفي رزقه منها.  
وقد قيل: مثل الدنيا مثل ظلك، كلما طلبته بُعِدَ عنك، فإن أدبرت عنه تبعك.

- ٤٤١ -

**الأصل:** وقال ﷺ: **إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ هُمُ الَّذِينَ نَظَرُوا إِلَى بَاطِنِ الدُّنْيَا إِذَا نَظَرَ النَّاسُ إِلَى ظَاهِرِهَا، وَاسْتَقْلَوْا بِأَجْلِهَا إِذَا اسْتَقْلَى النَّاسُ بِمَاجِلِهَا، فَأَمَاتُوا فِيهَا مَا خَشُوا أَنْ يُبَيِّتَهُمْ وَتَرَكُوا فِيهَا مَا عَلِمُوا أَنَّ سِتْرَهُمْ، وَرَأَوْا اسْتِكْثَارَ غَيْرِهِمْ مِنْهَا اسْتِغْلَالًا، وَتَرَكْتَهُمْ لَهَا فَوَاتًا، أَعْدَاءَ لِمَا سَأَلَ النَّاسُ، وَسَلَمَ لِمَنْ هَادَى النَّاسُ، بِهِمْ حُلِمَ الْكِتَابُ، وَبِهِ عُلِمُوا، وَبِهِمْ قَامَ كِتَابُ اللَّهِ تَعَالَى، وَبِهِ قَامُوا، لَا يَزُونَ مَرْجُوًّا فَوْقَ مَا يَرْجُونَ، وَلَا مَخُوفًا فَوْقَ مَا يَخَافُونَ.**

**الشرح:** هذا يصلح أن يجعله الإمامية شرح حال الأئمة المعصومين على مذاهبهم، لقوله: فوق ما يزوجون، بهم علم الكتاب، وبه علموا، وأما نحن فنجعل شرح حال العلماء العارفين وهم أولياء الله الذين ذكروهم ﷺ لما نظر الناس إلى ظاهر الدنيا وزخرفها من المنافع والملابس والشهوات الحسية، نظروا هم إلى باطن الدنيا، فاشتغلوا بالعلوم والمعارف والعبادة والزهد في الملاذ الجسمانية، فأماتوا من شهواتهم وقواهم المدمومة بقوة الغضب وقوة الحسد ما خافوا أن يبيتهم، وتركوا من الدنيا اقتناء الأموال لعلمهم أنها ستتركهم، وأنه لا يمكن دوام الصلابة معها، فكان استكثار الناس من تلك الصفات استغلالاً عندهم، وبلغ الناس لها فواتاً أيضاً عندهم، فهم خضم لما سألهم الناس من الشهوات، وبسلم لما عاداه الناس من العلوم والعبادات، وبهم علم الكتاب، لأنه لولاهم لما عرف تأويل الآيات المتشابهات، ولأخذها الناس على ظواهرها فضلوا وبالكتاب علموا، لأن الكتاب دل عليهم، وتب الناس على مواضعهم، نحو قوله: **﴿إِنَّمَا يَتَّبِعُ اللَّهُ مَن يَعبَادُ أَتْلَمَعُونَ﴾** <sup>(١)</sup>.

وقوله: **﴿مَنْ يَسْتَوْي الَّذِينَ يَمْلِكُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾** <sup>(٢)</sup>.  
وقوله: **﴿وَمَنْ يُوَفَّ الصَّحَّةَ فَقَدْ أَوْفَى خَيْرَ كَثِيرٍ﴾** <sup>(٣)</sup>.

(٢) سورة الزمر، الآية: ٩.

(١) سورة فاطر، الآية: ٢٨.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٦٩.

ونحو ذلك من الآيات التي تنادي عليهم، وتخطب بفضلهم، وبهم قام الكتاب لأنهم قرروا البراهين على صدقه وصحة وروده من الله تعالى على لسان جبريل عليه السلام ولولا هم لم يقيم على ذلك دلالة للعوام، وبالكتاب قاموا، أي باتباع أوامر الكتاب وآدابه قاموا، لأنه لولا تأديبهم بأداب القرآن، وامتثالهم أوامره، لما أغنى عنهم علمهم شيئاً، بل كان وبالاً عليهم، ثم قال: إنهم لا يزؤون مزجواً فوق ما يزجون، ولا مخوفاً فوق ما يخافون، وكيف لا يكونون كذلك ومزجؤهم مجاورة الله تعالى في حظائر قُدسه، وهل فوق هذا مزجؤ لراج، ومخوفهم سخط الله عليهم وإبعادهم عن جنابه، وهل فوق هذا مخوفٌ لخائف.

- ٤٤٢ -

**الأصل:** وقال عليه السلام: **أَذْكُرُوا انْقِطَاعَ اللَّذَاتِ، وَبَقَاءَ التَّعَاتِ.**

**الشرح:** قد تقدم القول في نحو هذا مراراً، وقال الشاعر:

تَفْنَى اللَّذَاذُ مِمَّنْ نَالَ بُغْيَتَهُ      مِنْ الْحَرَامِ، وَيَبْقَى الْإِثْمُ وَالْعَارُ  
تَبْقَى عَوَاقِبُ سُوءٍ فِي مَغْبِتِهَا      لَا خَيْرَ فِي لَذَّةٍ مِنْ بَعْدِهَا النَّارُ

ورأى رجل امرأة عن نفسها، فقالت له: إن امرأ يبيع جنة عرضها السماوات والأرض بمقدار إصبعين لجاهلٍ بالمساحة، فاستحيا ورجع.

- ٤٤٣ -

**الأصل:** وقال عليه السلام: **أُخْبِرَ نَفْلُهُ.**

قَالَ الرُّضَيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: وَمَنْ النَّاسِ مَنْ يَزِيهِ هَذَا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَمِمَّا يَقْوِي أَنَّهُ مِنْ كَلَامِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام مَا حَكَاهُ ثَعْلَبٌ قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ قَالَ: قَالَ الْمَأْمُونُ: لَوْلَا أَنَّ عَلِيًّا عليه السلام قَالَ: أُخْبِرَ نَفْلُهُ، لَقُلْتُ أَنَا: إِقْلَهُ نَخْبِرُ.

**الشرح:** المعنى اختبر الناس وجربهم ثببتهم، فإن التجربة تكشف لك مساوئهم وسوء أخلاقهم، فضرَبَ مثلاً لمن يُظَنُّ به الخير وليس هناك، فأما قول المأمون: لولا أن علياً

قَالَ لَقُلْتُ: أَقَلُّهُ تَحْبِيرٌ، فَلَيْسَ الْمَرَادُ حَقِيقَةُ الْقَلَى، وَهُوَ الْبُغْضُ بِلِ الْمَرَادِ الْهَجْرُ وَالْقَطِيعَةُ، يَقُولُ: قَاطِعُ أَخَاكَ مَجْزِيًّا لَهُ هَلْ يَبْقَى عَلَى عَهْدِكَ أَمْ يَنْقُضُهُ وَيَحْوِلُهُ عَنْكَ.

وَمِنْ كَلَامِ عُتْبَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ: طَيَّرُوا الدَّمَ فِي وَجْهِ الشَّبَابِ، فَإِنْ حَلَمُوا وَأَحْسَنُوا الْجَوَابَ فَهُمْ هَمٌّ، وَإِلَّا فَلَا تَطْمَعُوا فِيهِمْ، يَقُولُ: أَغْضِبُوهُمْ لِأَنَّ الْغَضَبَانَ يَحْمَرُّ وَجْهُهُ، فَإِنْ ثَبَتُوا لِذَلِكَ الْكَلَامِ الْمُغْضِبِ وَحَلَمُوا وَأَجَابُوا جَوَابَ الْحَلِيمِ الْعَاقِلِ، فَهُمْ مِمَّنْ يُعَقَّدُ عَلَيْهِ الْخِنْصَرُ وَيُرْجَى فَلَاحُهُ، وَإِنْ سَفِهُوا وَشَتَمُوا وَلَمْ يَثْبُتُوا لِذَلِكَ الْكَلَامِ فَلَا رَجَاءَ لِفَلَاحِهِمْ. وَمِنْ الْمَعْنَى الْأَوَّلِ قَوْلُ أَبِي الْعَلَاءِ:

جَرَيْتُ دَهْرِي وَأَهْلِيهِ فَمَا تَرَكْتُ لِي التَّجَارِبُ فِي وَدِّ امْرِي عَرَضًا  
وَقَالَ آخَرُ:

وَكُنْتُ أَرَى أَنَّ التَّجَارِبَ عُدَّةٌ فَخَانَتْ ثِقَاتُ النَّاسِ حَتَّى التَّجَارِبُ  
وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَعَاوِيَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ:  
رَأَيْتُ قُضَيْلًا كَانَ شَيْئًا مَلْفُفًا فَأَبْرَزَهُ التَّمَحِيصُ<sup>(١)</sup> حَتَّى بَدَأَ لِبَا  
آخَرُ:

عَتَبْتُ عَلَى سَلَمٍ فَلَمَّا فَقَدْتُهُ وَجَرَيْتُ أَقْوَامًا رَجَعْتُ إِلَى سَلَمٍ  
بِثَلَّةِ:

دَمَمْتُكَ أَوَّلًا حَتَّى إِذَا مَا بَلَوْتُ سِوَاكَ عَادَ الدَّمُ حَمْدًا  
وَلَمْ أَحْمَدْكَ مِنْ خَيْرٍ وَلَكِنْ وَجَدْتُ سِوَاكَ شَرًّا مِنْكَ جَدًّا  
فَعُدْتُ إِلَيْكَ مُضْطَرًّا ذَلِيلًا لِأَنِّي لَمْ أَجِدْ مِنْ ذَاكَ بُدًّا  
كَمَجْهُودٍ تَحَامَى أَكَلَ مَيْتٍ فَلَمَّا اضْطَرَّ عَادَ إِلَيْهِ شِدًّا  
الَّذِي يَتَعَلَّقُ بِهِ غَرَضًا مِنَ الْآيَاتِ هُوَ الْبَيْتُ الْأَوَّلُ، وَذَكَرْنَا سَائِرَهَا لِحُسْنِهَا.

- ٤٤٤ -

**الأصل:** وَقَالَ عليه السلام: مَا كَانَ اللَّهُ مَرَّ وَجَل لِيَفْتَحَ عَلَى عَبْدٍ بَابَ الشُّكْرِ، وَيُغْلِقَ عَنْهُ بَابَ  
الرِّيَاةِ، وَلَا يَفْتَحَ عَلَى عَبْدٍ بَابَ الدُّعَاءِ، وَيُغْلِقَ عَنْهُ بَابَ الْإِجَابَةِ، وَلَا يَفْتَحَ عَلَيْهِ  
بَابَ التَّوْبَةِ، وَيُغْلِقَ عَنْهُ بَابَ الْمَغْفِرَةِ.

(١) التَّمَحِيصُ: الْإِبْتِلَاءُ وَالْإِخْتِبَارُ. الْقَامُوسُ مَادَّةُ (مَحَص).



**الشرح:** قد تقدّم القول في الشكر واقتضاه الزيادة واقتضاء الذّهاء الإجابة، والتوبة: المغفرة، على وجه الاستقصاء في الجميع.

- ٤٤٥ -

**الأصل:** وقال عليه السلام: **أَوْلَى النَّاسِ بِالكَرَمِ مَنْ عَرَفَتْ فِيهِ الْكَرَامُ.**

**الشرح:** أعرّفت وعرّفت في هذا الموضع بمعنى، أي ضربت عروقه في الكرم، أي: له سلف وآباء كرام. وقال المبرد: أنشدني أبو محلم السعدي:

إِنَّا سَأَلْنَا قَوْمَنَا فَخَبَّرَهُمْ      مِنْ كَانَ أَفْضَلُهُمْ أَبَوْهُ الْأَفْضَلُ  
أَعْطَى الَّذِي أَعْطَى أَبَوْهُ قَبْلَهُ      وَتَبَخَّلْتُ أَبْنَاءَ مَنْ يَتَبَخَّلُ  
قال: وأنشدني أيضاً في المعنى:

لَطَلَحْتُ بَنِ خُفَيْمٍ حِينَ تَسَالَهُ      أُنْدَى وَأَحْرَمُ مِنْ فَيْدِ بْنِ هَطَالٍ  
وَبَيْتُ طَلْحَةَ فِي عَزٍّ وَمَكْرُمَةٍ      وَبَيْتٍ فَيْدٍ إِلَى رَنْقٍ وَأَحْمَالٍ  
أَلَا فَتَى مِنْ بَنِي ذُبْيَانَ يَحْمِلُنِي      وَلَيْسَ يَحْمِلُنِي إِلَّا ابْنُ حَمَالٍ  
فَقُلْتُ طَلْحَةَ أَوْلَى مِنْ عَمَدْتُ لَهُ      وَجِئْتُ أَمْشِي إِلَيْهِ مَشْيَ مُخْتَالٍ  
مُسْتَقِناً أَنْ حَبْلِي سَوْفَ يُغْلِقُهُ      فِي رَأْسِ ذُبَالَةٍ أَوْ رَأْسِ ذُبَالٍ  
وقال آخر:

عِنْدَ الْمُلُوكِ مَضْرُوءَةٌ وَمَنَافِعُ      وَأَرَى الْبَرَامِكَ لَا تَنْفُرُ وَتَنْفَعُ  
إِنَّ الْعُرُوقَ إِذَا اسْتَسَرَّ بِهَا الْغَرَى      أَتَرَى النَّبَاتُ بِهَا وَطَابَ الْمَزْرَعُ  
وَإِذَا جَهِلْتَ مِنْ أَمْرِي أَعْرَاقَهُ      وَقَدِيمَهُ فَاَنْظُرْ إِلَى مَا يَضْنَعُ  
وقال آخر:

إِنَّ السَّرِيَّ إِذَا سَرَى فَيَنْفِسِهِ      وَابْنُ السَّرِيِّ إِذَا سَرَى أَسْرَاهُمَا  
وقال البُحرّي:

وَأَرَى النَّجَابَةَ لَا يَكُونُ تَمَامُهَا      لَنَجِيبٍ قَوْمٍ لَيْسَ بَابِنِ نَجِيبٍ

- ٤٤٦ -

**الأصل:** وسُئِلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَيُّمَا أَفْضَلُ الْعَدْلُ أَوِ الْجُودُ؟ فَقَالَ:  
الْعَدْلُ يَضَعُ الْأُمُورَ مَوَاضِعَهَا، وَالْجُودُ يُخْرِجُهَا مِنْ جِهَتِهَا، وَالْعَدْلُ سَائِسٌ عَامٌّ، وَالْجُودُ  
عَارِضٌ خَاصٌّ، فَالْعَدْلُ أَشْرَفُهُمَا وَأَفْضَلُهُمَا.

**الشرح:** هذا كلامٌ شريفٌ جليلٌ القدر، فَضَّلَ ﷺ الْعَدْلَ بِأَمْرَيْنِ:  
أحدهما: أَنَّ الْعَدْلَ وَضَعَ الْأُمُورَ مَوَاضِعَهَا، وَهَكَذَا الْعَدَالَةُ فِي الْأَصْطِلَاحِ الْحُكْمِيِّ، لِأَنَّهَا  
الْمَرْتَبَةُ الْمُتَوَسِّطَةُ بَيْنَ طَرَفَيْ الْإِفْرَاطِ وَالتَّفْرِيطِ، وَالْجُودُ يُخْرِجُ الْأَمْرَ مِنْ مَوْضِعِهِ، وَالْمُرَادُ  
بِالْجُودِ هَاهُنَا هُوَ الْجُودُ الْعُرْفِيُّ، وَهُوَ يَذِلُّ الْمُتَقَنِّتَاتِ لِلغَيْرِ، لَا الْجُودَ الْحَقِيقِيَّ، لِأَنَّ الْجُودَ  
الْحَقِيقِيَّ لَيْسَ يُخْرِجُ الْأَمْرَ مِنْ جِهَتِهِ، نَحْوُ جُودِ الْبَارِيءِ تَعَالَى.  
والوجه الثاني: أَنَّ الْعَدْلَ سَائِسٌ عَامٌّ فِي جَمِيعِ الْأُمُورِ الدُّنْيَوِيَّةِ وَالدُّنْيَوِيَّةِ، وَبِهِ نِظَامُ الْعَالَمِ  
وِقَوَامُ الْوُجُودِ، وَأَمَّا الْجُودُ فَأَمْرٌ عَارِضٌ خَاصٌّ، لَيْسَ عَمُومُ نَفْعِهِ كَعَمُومِ نَفْعِ الْعَدْلِ.

- ٤٤٧ -

**الأصل:** وَقَالَ ﷺ: النَّاسُ أَغْدَاءُ مَا جَهِلُوا.

**الشرح:** هذه من الفاظه الشريفة التي لا نظير لها، وَقَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُهَا وَذَكَرْنَا مَا يُنَاسِبُهَا. وَكَانَ يُقَالُ:  
مَنْ جَهِلَ شَيْعًا عَادَاهُ.

وقال الشاعر:

جَهِلْتُ أَمْرًا فَأَبْدَيْتُ التَّكْبِيرَ لَهُ      وَالْجَاهِلُونَ لِأَهْلِ الْعِلْمِ أَعْدَاءُ  
وَقِيلَ لِأَفْلَاطُونٍ: لِمَ يُبْغِضُ الْجَاهِلُ الْعَالِمَ، وَلَا يُبْغِضُ الْعَالِمُ الْجَاهِلَ؟ فَقَالَ: لِأَنَّ الْجَاهِلَ  
يَسْتَشِيرُ النَّقْصَ فِي نَفْسِهِ، وَيُظَنُّ أَنَّ الْعَالِمَ يَحْتَقِرُهُ، وَيَزِدُّهُ فَيُبْغِضُهُ، وَالْعَالِمُ لَا نَقْصَ عِنْدَهُ وَلَا  
يُظَنُّ أَنَّ الْجَاهِلَ يَحْتَقِرُهُ، فَلَيْسَ عِنْدَهُ سَبَبٌ لِبُغْضِ الْجَاهِلِ.

- ٤٤٨ -

**الأصل:** وقال عليه السلام: **الرُّهْدُ كُلُّهُ بَيْنَ كَلِمَتَيْنِ مِنَ الْقُرْآنِ، قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿لَا تَأْسُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾<sup>(١)</sup>، وَمَنْ لَمْ يَأْسَ عَلَى الْمَاضِي وَلَمْ يَفْرَحْ بِالْآتِي فَقَدْ أَخَذَ الرُّهْدَ بِطَرَفَيْهِ.**

**الشرح:** قد تقدّم القول في هذين المعنيين بما فيه كفاية.

- ٤٤٩ -

**الأصل:** وقال عليه السلام: **الْوَلَايَاتُ مَضَامِيرُ الرُّجَالِ.**

**الشرح:** أي: تعرف الرجال بها كما تعرف الخيل بالمضمار، وهو الموضع أو المدة التي تُضَمَّر فيها الخيل، فمن الولاة من يظهر منه أخلاق حميدة، ومنهم من يظهر منه أخلاق ذميمة. وقال الشاعر:

سَكَرَاتُ خُمُسٍ إِذَا مُنِيَ الْمَرْءُ  
سَكْرَةُ الْمَالِ وَالْحِدَاثَةِ وَالْعِيْشِ  
بِهَا صَارَ عُرْضَةً لِلزَّمَانِ  
قِي وَسَكْرُ الشَّرَابِ وَالسَّلْطَانِ

وقال آخر:

يَابْنَ وَهْبٍ وَالْمَرْءُ فِي ذَوْلَةِ السُّلْدِ  
فَلِذَا زَالَتِ السُّلَايَةُ عَنْهُ  
هَاطِئًا أَعْمَى مَا دَامَ يُدْعَى أَمِيرًا  
وَاسْتَوَى بِالرُّجَالِ عَادَ بَصِيرًا

وقال البحتري:

وَتَاهُ سَعِيدٌ أَنْ أَعِيرَ رِيَاةً  
وَضَاقَ عَلَى حَقِّي بَعْقَبُ اتِّسَاعِهِ  
وَقُلْتُ أَمْرًا كَانَ دُونَ رِجَالِهِ  
فَأَوْسَعْتُهُ عِذْرًا لِضَيْقِ احْتِمَالِهِ  
فَأَدْبَرَ عَنِّي عِنْدَ إِقْبَالِ حَقِّهِ  
كَلِمَاتِهِ عِنْدَ الْحَقِّ بِمَالِهِ

(١) سورة الحديد، الآية: ٢٣.

- ٤٥٠ -

**الأصل:** وقال عليه السلام: مَا أَنْقَضَ النَّوْمَ لِمَرْأَةٍ الْيَوْمَ!

**الشرح:** هذه الكلمة قد سبقت، وتكلمنا عليها، وما أحسن قول المعري:

مَا قَضَى الْحَاجَاتِ إِلَّا شَيْمِلُ نَوْمِهِ فَوْقَ فِرَاشٍ مِنْ نِمَالٍ  
وقال الرضي رحمه الله:

عليها أخامسٌ مثلُ الصقورِ طوال الرجاءِ جسام الأرب  
وكل فتى حظُّ أجفائه من النوم مضضةٌ يُستلب  
فبينما يقال كسرى جفنه بقطع من الليل إذ قيل مَب

- ٤٥١ -

**الأصل:** وقال عليه السلام: لَيْسَ بَلَدٌ بِأَحَقَّ بِكَ مِنْ بَلَدٍ، خَيْرُ الْبِلَادِ مَا حَمَلَكَ.

**الشرح:** هذا المعنى قد قبل كثيراً، ومن ذلك قول الشاعر:

لا يَصْدِفَنَّكَ عَنْ أَمْرِ تُحَاوِلُهُ فِرَاقُ أَهْلِ وَأَحْبَابٍ وَجِيرَانِ  
تَلَقَى بِكُلِّ دِيَارٍ مَا حَلَلْتَ بِهَا أَهْلًا بِأَهْلٍ وَأَوْطَانًا بِأَوْطَانِ  
وقال شَيْخِي أَبُو جَعْفَرٍ يَحْيَى بْنُ أَبِي زَيْدٍ نَقِيبُ الْبُضْرة:

أَسْتَيْتَنِي بِلَدِي وَأَرْضُ عَشِيرَتِي وَنَزَلْتُ مِنْ تُعَمَّاكَ أَكْرَمَ مَنْزِلِ  
وَأَخِذْتُ فِيكَ مَدَائِحِي فَكَانَهَا فِي آلِ شُمَّاسٍ مَدَائِحُ جَزُولِ  
أَبُو عُبَادَةَ الْبُحْثَرِي:

فِي نِعْمَةٍ أَوْطَنْتُهَا وَأَقَمْتُ فِي أَكْنَافِهَا فَكَانَتْنِي فِي مَنْجِ  
وَمَنْجٍ، هِيَ مَدِينَةُ الْبَحْثَرِي.

أَبُو تَمَامٍ:

كُلُّ شَيْعٍ كُنْتُمْ بِهِ آلٌ وَفِيْ فَهوَ شَيْعِي وَشَيْعٌ كُلُّ أَدِيبٍ

إِنَّ قَلْبِي لَكُمْ لَكَاءُ لِكَبْدِ الْحَدِّ رَأَى وَقَلْبِي لَغَيْرِكُمْ كَالْقُلُوبِ  
وقد ذهب كثير من الناس إلى غير هذا المذهب، فجعلوا بعض البلاد أحق بالإنسان من  
بعض، وهو الوطن الأول وَمَسَقَطُ الرَّأْسِ، قال الشاعر:

أَحَبُّ بِلَادِ اللَّهِ مَا بَيْنَ مَنَاجِجٍ إِلَيَّ وَسَلَمَى أَنْ يَصُوبَ سَحَابُهَا  
بِلَادَ بِهَا نَيْطَلْتُ عَلَيَّ تَمَائِمِي وَأَوَّلَ أَرْضٍ مَسَّ جِلْدِي تُرَابُهَا  
وكان يقال: مَيْلُكَ إِلَى مَوْلِيكَ مِنْ كَرَمٍ مَحِيدِكَ.

وقال ابن عباس: لو قُتِعَ النَّاسُ بِأَرْزَاقِهِمْ قَنَاعَتُهُمْ بِأَوْطَانِهِمْ، لما اشتكى أَحَدُ الرِّزْقِ.

وكان يقال: كما أَنَّ لِحَاضِيَّتِكَ حَقَّ لَبْنِيهَا فَلِأَرْضِكَ حُرْمَةٌ وَطَنُهَا.

وكانت العرب تقول: جِمَاكَ أَحَمَى لَكَ، وَأَهْلُكَ أَخْفَى بِكَ.

وقال الشاعر:

وَكُنَّا الْفَنَاهَا وَلَمْ تَكْ مَالِفَا وَقَدْ يُؤَلَّفُ الشَّيْءُ الَّذِي لَيْسَ بِالْحَسَنِ  
كَمَا تُؤَلَّفُ الْأَرْضُ الَّتِي لَمْ يُطَبَّ بِهَا هَوَاءٌ وَلَا مَاءٌ وَلَكِنَّهَا وَطَنُ  
أَعْرَابِي:

رَفْلَةٌ حَضَنْتِي أَحْشَاوَهَا، وَأَرْضَعْنِي أَحْسَاوَهَا.

كانت العرب إذا سافرت حملت معها من تربة أرضها ما تستنشق ريحه، وتطرّحه في الماء  
إذا شربته، وكذلك كانت فلاسفة يونان تفعل.

وقال الشاعر في هذا المعنى:

نَسِيرُ عَلَى عِلْمٍ بِكُنْهٍ مَسِيرَنَا بِسُفْهِ زَادٍ فِي بَطُونِ الْمَزَاوِدِ  
وَلَا بَدَّ فِي أَسْفَارِنَا مِنْ قَبِيصَةٍ مِنَ التَّرْبِ تُسْقَاهَا لِحَبِّ الْمَوَالِدِ  
وقالت الهند: حُرْمَةٌ بِلَدِكَ عَلَيْكَ كَحُرْمَةِ أَبِيكَ، كَانَ غِذَاؤُكَ مِنْهُمَا وَأَنْتَ جَنِينٌ وَكَانَ  
غِذَاؤُهُمَا مِنْكَ.

ومن الكلام القديم: لَوْلَا الْوَطَنُ وَجِبُّهُ لَخَرَّبَ بِلَدُ السُّوءِ.

ابن الرومي:

وَحَبَّبَ أَوْطَانَ الرِّجَالِ إِلَيْهِمْ مَارَبٌ قَضَاهَا الشَّبَابُ هُنَالِكَ  
إِذَا ذَكَرُوا أَوْطَانَهُمْ ذَكَرَتْهُمْ عُهُودُ الصَّبَا فِيهَا فَحَنُّوا لِذَلِكَ

- ٤٥٢ -

**الأصل:** وقال عليه السلام: «وَقَدْ جَاءَهُ نَعْيُ الْأَشْتَرِ رَحِمَهُ اللَّهُ: مَا لَكَ، وَمَالِكَ؟ وَالله لَوْ كَانَ جَبَلًا لَكَانَ فِنْدًا، أَوْ كَانَ حَجَرًا لَكَانَ صَلْدًا لَا يَرْتَقِيهِ الْحَافِرُ، وَلَا يُوفِي عَلَيْهِ الطَّائِرُ. قَالَ الرَّضِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: الْفِنْدُ: الْمُنْفَرِدُ مِنَ الْجِبَالِ».

**الشرح:** يقال: إِنَّ الرَّضِيَ حَتَمَ كِتَابَ نَهْجِ الْبَلَاغَةِ بِهَذَا الْفَصْلِ، وَكُتِبَتْ بِهِ نُسَخٌ مُتَعَدِّدَةٌ ثُمَّ زَادَ عَلَيْهِ إِلَى أَنْ وَفَى الزِّيَادَاتِ الَّتِي نَذَرَهَا فِيهَا بَعْدَ.

وقد تقدّم ذكرُ الْأَشْتَرِ، وَإِنَّمَا قَالَ: لَوْ كَانَ جَبَلًا لَكَانَ فِنْدًا، لِأَنَّ الْفِنْدَ قِطْعَةُ الْجَبَلِ طَوَلًا، وَلَيْسَ الْفِنْدُ الْقِطْعَةُ مِنَ الْجَبَلِ كَيْفَمَا كَانَتْ، وَلِذَلِكَ قَالَ: لَا يَرْتَقِيهِ الْحَافِرُ، لِأَنَّ الْقِطْعَةَ الْمَآخُودَةَ مِنَ الْجَبَلِ طَوَلًا فِي دَقَّةٍ لَا سَبِيلَ لِلْحَافِرِ إِلَى صُعُودِهَا، وَلَوْ أَخَذْتَ عَرَضًا لَا مَكْنَ صُعُودَهَا.

ثُمَّ وَصَفَ تِلْكَ الْقِطْعَةَ بِالْعُلُوِّ الْعَظِيمِ، فَقَالَ: وَلَا يُوفِي عَلَيْهِ الطَّائِرُ، أَيُّ لَا يَصْعَدُ عَلَيْهِ، يُقَالُ: أَوْفَى فَلَانٌ عَلَى الْجَبَلِ: أَشْرَفَ.

- ٤٥٣ -

**الأصل:** وقال عليه السلام: «قَلِيلٌ مَدُومٌ عَلَيْهِ، خَيْرٌ مِنْ كَثِيرٍ مَمْلُوءٍ مِنْهُ».

**الشرح:** هَذَا كَلَامٌ يُخَاطَبُ بِهِ أَهْلُ الْعِبَادَاتِ وَالصَّلَاةِ، قَالَ: قَلِيلٌ مِنَ النَّوَافِلِ يَدُومُ الْمَرْءُ عَلَيْهِ خَيْرٌ لَهُ مِنْ كَثِيرٍ مِنْهَا يَمْلَأُهُ وَيَتَرَكُهُ.

وَالْجَيِّدُ النَّادِرُ فِي هَذَا قَوْلُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ هَذَا الدِّينَ مَتِينٌ، فَأَوْغِلْ فِيهِ بِرَفْقٍ، فَإِنَّ الْمُنْبَتَّ لَا أَرْضًا قَطَعَ، وَلَا ظَهْرًا أَبْقَى»<sup>(١)</sup>.

وَكَانَ يُقَالُ: كُلُّ كَثِيرٍ مَمْلُوءٌ. وَقَالُوا: كُلُّ كَثِيرٍ عَدُوٌّ لِلطَّبِيعَةِ.

(١) أَخْرَجَهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي «السَّنَنِ الْكُبْرَى» (١٨/٣)، وَشُعْبَةُ الْإِيمَانِ (٣٨٨٥)، وَالشَّهَابُ فِي «مُسْتَدْرِ» (١١٤٧)، وَابْنُ الْمُبَارَكِ فِي «الزُّهْدِ» (١١٧٨)، وَالدِّيلَمِيُّ فِي «مُسْتَدْرِ الْفَرْدُوسِ» (٩٠٠).

وقال الشاعر:

إني كُثِرْتُ عليه في زيارته فمَلَّ والشئ مملولٌ إذا كُثِرَا  
ورابني منه أني لا أزال أرى في طرفه قصراً عني إذا نَظَرَا

- ٤٥٤ -

**الأصل:** وقال عليه السلام: إذا كان في رجل خلة رائمة، فانتظروا منه أخواتها.

**الشرح:** مثال ذلك إنسان مستور الحال عنا وأبناؤه قد صدرت عنه حركة تروءك وتُعجبك. إما لحسنها أو لقبحها، مثل أن يتصدق بشيء له وقَّع ومقدار من ماله، أو ينكر منكراً عجز غيره عن إنكاره أو يسرق أو يزني، فبينما أن يُنتظر ويُتربَّع منه أخوات ما وقَّع منه، وذلك لأن العقل والطبيعة التي فيه المحركة له إلى فعل تلك الحركة، لا بد أن تحركه إلى فعل ما يُناسِبها، لأنها ما دعتُه إلى فعل تلك الحركة لخصوصية تلك الحركة، بل لما فيها من المعنى المقتضي وقوعها، وهذا يتعدى إلى غيرها مما يجانسها، ولذلك لا تَرى أحداً قد اظلمت من حاله يوماً على أنه قد شرب الخمر إلا وسوف تَطَّلِع فيما بعدُ منه على أنه يشربها، وبالعكس في الأمور الحسنة لا تَرى أحداً قد صدر عنه فعلٌ من أفعال الخير والمروءة إلا وستراه فيما بعدُ فاعلاً نظيره أو ما يقاربه.

وشتم بعض سفهاء البصرة الأحنف شتماً قبيحاً فحلَّم عنه، فقبل له في ذلك، فقال: دعوه فإنني قد قتلتُه بالحلم عنه، وسيقتل نفسه بجراءته، فلما كان بعد أيام جاء ذلك السفية فشتم زياداً، وهو أمير البصرة حينئذٍ، وعلَن أنه كالأحنف، فأمر به فقطَّع لسانه ويده.

- ٤٥٥ -

**الأصل:** وقال عليه السلام: لِعَالِبِ بْنِ صَعَصَعَةَ أَبِي الْفَرَزْدَقِ في كلام دار بينهما: ما فعلت إيلك الكثيرة؟ قال: دَخَعْتُهَا الْحَقُوقُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، فقال عليه السلام: ذَلِكَ أَحْمَدُ سُبُلَهَا.

**الشرح:** دَخَعْتُهَا بالذال المعجمة مكزرة: فرقتها، دَخَعْتُه نَدَخَعْتُ، ودَخَعْتُه السر: إذاعته. والدَّعَافِع: الفرق المتفرقة، الواحدة دَخَعَة، وربما قالوا: تفرَّقوا دَعَافِع.

دخل غالب بن صعصعة بن ناجية بن عقال المجاشعي على أمير المؤمنين عليه السلام أيام خلافته، وغالب شيخ كبير، ومعه ابنته همام الفرزدق وهو غلام يومئذ، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام : من الشيخ؟ قال: أنا غالب بن صعصعة، قال: ذو الإبل الكثيرة؟ قال: نعم، قال: ما فعلت إبلك؟ قال: ذغدغتها الحقوق، وأذهبتنا الحملات والنواب، قال: ذاك أحمد سليلها، من هذا الغلام مَعَكَ؟ قال: هذا ابني، قال: ما اسمُه؟ قال همام، وقد رؤيته الشعر يا أمير المؤمنين وكلام العرب، ويوشك أن يكون شاعراً مجيداً، فقال: لو أقرأته القرآن فهو خير له، فكان الفرزدق بعد يروي هذا الحديث ويقول: ما زالت كلمته في نفسي حتى قيد نفسه بقيد وآلى ألا يتركه حتى يحفظ القرآن، فما فكّه حتى حفظه.

- ٤٥٦ -

**الأصل:** وقال عليه السلام : من اتَّجَرَ بِتَجَرٍ فَقَدْ ارْتَضَمَ فِي الرِّبَا.

**الشرح:** يقول: تَجَرُ فلانٌ واتَّجَرَ فهو تاجر، والجمع تَجَرٌ، مثل صاحب وصخب، والتجارة والتَّجَرُ بمعنى واحد، إذا اخذتهما مصدرين لـ «تَجَرَ»، وأرض شَجَرَةً، يُتَجَرُ فيها. وارْتَضَمَ فلانٌ في الوحل والأمر إذا ارتَبَكَ فيه ولم يقدر على الخروج منه، وإنما قال عليه السلام ذلك لأن مسائل الرِّبَا مُشْتَبِهَةٌ بمسائل البَيْع، ولا يَفْرُقُ بينهما إلا الفقيه، حتى إنَّ الْمُعْظَمَاءَ من الفقهاء قد اشْتَبَهَ عليهم الأمرُ فيها فاختلطوا فيها أشدَّ اختلاف، كَبَيْعِ لحم البقر بالغنم متفاضلاً، هل يجوز أم لا؟ وكذلك لَبِنُ البقر بِلَبَنِ الغنم، وجلود البقر بجلود الغنم، فقال أبو حنيفة: اللحوم والألبان والجلود أجناسٌ مختلفة، فيجوز بيع بعضها ببعض متفاضلاً، نظراً إلى أنَّ أصولها أجناسٌ مختلفة، والشافعي لا يُجِيزُ ذلك ويقول: هو رباً، وكذلك القول في مَذْيِ عَجْوَةٍ ودرهم بمذ عَجْوَةٍ. وكذلك يَبِيعُ الرُّطْبُ بالتمر متساوياً كَيْلاً، كل ذلك يقول الشافعي: إنه رباً، وأبو حنيفة يُخْرِجُهُ عن كونه رباً، ومسائلُ هذا الباب كثيرة.

- ٤٥٧ -

**الأصل:** وقال عليه السلام : من عَظَّمَ صِغَارَ المصَائِبِ، ابْتَلَاهُ اللهُ بِكِبَارِهَا.



**الشرح:** إنما كان كذلك لأنه يشكو الله ويستسقط قضاءه، ويخمد النعمة في التخفيف عنه، ويدمي فيما ليس بمجحف به من حوادث الدهر أنه مجحف، ويتألم بين الناس، لذلك أكثر مما تقتضيه تكبته، ومن فعل ذلك استوجب الشحط من الله تعالى، وابتلي بالكثير من التوبة، وإنما الواجب على من وقع في أمر يشق عليه، ويتألم منه ويتال من نفسه، أو من ماله شيئاً ما، أن يحمد الله تعالى على ذلك، ويقول: لعله قد دفع بهذا عني ما هو أعظم منه، ولكن كان قد ذهب من مالي جزء فلقد بقي أجزاء كثيرة.

وقال عروة بن الزبير لما وقعت الأكلة في رجله فقطعها ومات ابنه: اللهم إنك أخذت عضواً وتركت أعضاء، وأخذت ابناً وتركت أبناء، فليهنك، لن كنت أخذت لقد أبقيت، ولن كنت ابتليت لقد عافيت.

- ٤٥٨ -

**الأصل:** وقال عليه السلام: مَنْ تَكْرَمَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ، هَانَتْ عَلَيْهِ شَهْوَتُهُ.

**الشرح:** قد تقدم مثل هذا المعنى مراراً، ومن الكلام المشهور بين العامة: قبح الله امرأ تغلب شهوته على نفعه.

والجيد النادر في هذا قول الشاعر:

فإنك إن أعطيت بطنك سُؤله      وفَرَجَكَ نالا مُنتهى الدَّمِ أجمعا

- ٤٥٩ -

**الأصل:** وقال عليه السلام: مَا مَرَحَ امْرُؤٌ مَرَحَةً، إِلَّا مَجَّ مِنْ عَقْلِهِ مَجَّةً.

**الشرح:** قد تقدم القول في المزاح. وكان يقال: خير المزاح لا ينال، وشره لا يستقال. وقيل: إنما سمي المزاح مزاحاً لأنه أزيح عن الحق.

- ٤٦٠ -

**الأصل:** وَقَالَ عَمْرٍو: زُهِدْكَ فِي رَاغِبٍ فِيكَ نَقْصَانٌ حَقٌّ، وَرَغْبَتُكَ فِي زَاهِدٍ فِيكَ ذُلٌّ نَفْسٍ.

**الشرح:** أي نقصان حَقٌّ لك، وذلك لأنه ليس من حق من رَغِبَ فيكَ أن تَزَهَّدَ فيه لأن الإحسان لا يُكافَأُ بالإساءة، وللنقص حُرْمَةٌ، وللأمل ذَمَامٌ، ومن ظَلَبَ مودتك فقد فَصَدَكَ وأتلك، فلا يجوزُ رفضه وإطراحه والزَّهْدُ فيه، وإذا زَهَدْتَ فيه فلذلك لنقصان حَقٌّ لك لا لنقصان حَقِّه، فأما رَغْبَتُكَ في زَاهِدٍ فيكَ فمذَلَّةٌ، لأنك تطرح نَفْسَكَ لمن لا يعيا بك، وهذا ذُلٌّ وصغار.

وقال العباسُ بنُ الأحنفِ في نسيه، وكان جَيِّدَ النَّسِيبِ:  
 مَا زِلْتُ أَزْهَدُ فِي مَوَدَّةِ رَاغِبٍ      حَتَّى ابْتُلَيْتُ بِرَغْبَةٍ فِي زَاهِدٍ  
 هَذَا هُوَ الدَّاءُ الَّذِي ضَاعَتْ بِهِ      جِبِلُّ الطَّبِيبِ وَطَالَ يَأْسُ الْعَايِدِ  
 أي: مَا زِلْتُ عَزِيزاً حَتَّى أَذَلَّنِي الْحَبُّ.

- ٤٦١ -

**الأصل:** وَقَالَ عَمْرٍو: مَا زَالَ الزُّبَيْرُ رَجُلًا مِمَّا أَهْلُ النَّبِيِّ حَتَّى نَشَأَ ابْنُهُ الْمَشْهُومُ عَبْدُ اللَّهِ.

**الشرح:** ذَكَرَ هَذَا الْكَلَامَ أَبُو عَمَرَ بْنِ عَبْدِ الْبَرِّ فِي كِتَابِ «الاسْتِعَابِ» عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَمْرٍو فِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ، إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَذْكُرْ لَفْظَةَ الْمَشْهُومِ.

**عبد الله بن الزبير:** نسبه وبعض أخباره

رَوَيْنَا نَذْرًا مَا ذَكَرَهُ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ فِي تَرْجُمَةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ، فَإِنَّ هَذَا الْمُصَنَّفَ يَذْكُرُ جُمْلَةَ أَحْوَالِ الرَّجُلِ دُونَ تَفَاصِيلِهَا، ثُمَّ نَذَرَ تَفْصِيلَ أَحْوَالِهِ مِنْ مَوَاضِعَ أُخْرَى.  
 قَالَ أَبُو عَمَرَ رَحِمَهُ اللَّهُ: يُكْنَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ أَبَا بَكْرٍ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: أَبَا بَكِيرٍ، ذَكَرَ ذَلِكَ أَبُو أَحْمَدَ الْحَاكِمُ الْحَافِظُ فِي كِتَابِهِ فِي الْكُتُبِ. وَالْجَمْهُورُ مِنْ أَهْلِ السَّيْرِ وَأَهْلِ الْأَثَرِ عَلَى أَنَّ كُنْيَتَهُ أَبُو بَكْرٍ، وَلَهُ كُنْيَةٌ أُخْرَى أَبُو حُبَيْبٍ بِابْنِهِ حُبَيْبٍ وَكَانَ أَسَنَ وَلَدِهِ، وَحُبَيْبٌ هُوَ صَاحِبُ عَمْرِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ الَّذِي مَاتَ مِنْ ضَرْبِهِ إِذْ كَانَ وَالِيًا عَلَى الْمَدِينَةِ لِلْوَلِيدِ، وَكَانَ الْوَلِيدُ أَمْرَهُ بِضَرْبِهِ فَمَاتَ مِنْ أَذِيَّةِ ذَلِكَ فَوَدَّاهُ عَمْرٌ بَعْدُ.

قال أبو عمر: وسمّاه رسول الله ﷺ باسم جدّه، وكنّاه بكنية جدّه عبد الله أبي بكر، وهاجرت أمّه أسماء من مكّة إلى المدينة وهي حاملٌ به، فولدته في سنة اثنتين من الهجرة لعشرين شهراً من التاريخ، وقيل: وُلد في السنة الأولى، وهو أوّل مولود ولد في الإسلام من المهاجرين بعد الهجرة.

وروى هشامُ بنُ عروة عن أسماء قالت: حملتُ بعبدِ الله بمكّة، فخرجتُ وأنا مُيِّمٌ فأتيتُ المدينة فنزلتُ بقباء، فولدته بقباء، ثم أتيتُ رسولَ الله ﷺ فوضعتُه في حجره، فدعا بشمرة فمَضَّنها ثم تَنَلَّ في فيه، فكان أوّل شيء دَخَلَ جوفَه ريقُ رسولِ الله ﷺ، ثم حنكه بالتمرّة، ثم دعا له وبارك عليه<sup>(١)</sup>، وهو أوّل مولود وُلد في الإسلام للمهاجرين بالمدينة، قال: ففرّحوا به فرحاً شديداً، وذلك أنّهم قد كان قيل لهم: إنّ اليهود قد سَخَرَكُم فلا يُولد لكم.

قال أبو عمر: وشَهِدَ عبدُ الله الجَمَلُ مع أبيه وخالته، وكان شهماً ذكراً ذا أنفة، وكان له لَسَنٌ وفصاحة وكان أَطْلَسَ لا لِحْيَةً له ولا شَعَرَ في وجهه، وكان كثيرَ الصَّلَاة، كثيرَ الصَّيَام، شديدَ البأس، كريمَ الجذات والأَمْهَات والخالات، إلّا أنه كان فيه خلال لا يَصْلُح معها للخلافة، فإنّه كان بخيلاً ضَيِّقَ العَطَن سَيِّئَ الخُلُق حَسُوداً، كثيرَ الخلاف، أَخْرَجَ مُحَمَّدُ بْنُ الحَنَفِيَّة من مكّة والمدينة، ونَفَى عبدُ الله بنَ عَبَّاسٍ إلى الطائف.

وقال عليّ بنُ أَبِي حمزة في أمره: ما زال الزبيرُ يُعَدُّ مِنّا أهلَ البيت حتى نشأ ابنُه عبدُ الله<sup>(٢)</sup>. قال أبو عمر: وبُويِعَ له بالخلافة سنة أربع وستين في قول أبي معشر.

وقال المَدَائِنِيُّ: بُويِعَ له بالخلافة سنة خمس وستين.

وكان قبلَ ذلك لا يدْعَى باسم الخلافة، وكانت بَيْعَتُهُ بعد موت معاوية بن يزيد بن معاوية، على طاعته أهل الحجاز واليمن والعراق وخراسان، وحجّ بالناس ثمانِيَّ حَجَجٍ، وقُتِلَ في أيام عبد الملك بن مَرْوَانَ يومَ الثَّلَاثاءِ لثلاث عشرة بقين من جُمَادَى الأولى، وقيل: من جُمَادَى الآخرة سنة ثلاثٍ وسبعين، وهو ابن اثنتين وسبعين سنةً، وصُلِبَ بمكّة بعد قُتْلِهِ، وكان الحجاج قد ابتدأ بحصاره من أوّل ليلة من ذي الحِجَّة سنة اثنتين وسبعين، وحجّ الحجاج بالناس في ذلك العام، ووقَّفَ بِعَرَفَةَ وعليه دُرْعٌ ومِغْفَرٌ، ولم يَطُوفُوا بِالْبَيْتِ في تلك السنة. فحاصَرَهُ ستة أشهر وسبعة عشر يوماً إلى أن قُتِلَهُ.

قال أبو عمر: فرَوَى هشامُ بنُ عروة عن أبيه، قال: لما كان قبلَ قُتْلِ عبد الله بعشرة أيّام

(١) أخرجه البخاري، كتاب: المناقب، باب: هجرة النبي ﷺ إلى المدينة (٣٩٠٩)، ومسلم، كتاب: الآداب، باب: استحباب تحنيط المولود عند ولادته وحمله إلى الصالح (٢١٤٦).

(٢) تاريخ دمشق: ٤٠٤/١٨.

دَخَلَ عَلَى أُمِّهِ أَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ وَهِيَ شَاكِيَةٌ، فَقَالَ: كَيْفَ تَجِدِينَكَ يَا أُمُّهُ؟ قَالَتْ: مَا أَجِدُنِي إِلَّا شَاكِيَةً، فَقَالَ لَهَا: إِنَّ فِي الْمَوْتِ لِرَاحَةً، فَقَالَتْ: لَعَلَّكَ تَمْنِيهِ لِي، وَمَا أَجِبُ أَنْ أَمُوتَ حَتَّى يَأْتِيَ عَلَيَّ إِحْدَى حَالَتَيْكَ، إِنَّمَا قُتِلْتُ فَأَحْسِبُكَ، وَإِنَّمَا ظَلِمْتُ بِعَدْوِكَ فَقَرَّتْ عَيْنِي.

قَالَ عُرْوَةُ: فَالْتَمَتْ عَبْدُ اللَّهِ إِلَيَّ وَضَجَّحَ، فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمَ الَّذِي قُتِلَ فِيهِ دَخَلَ عَلَيْهَا فِي الْمَسْجِدِ، فَقَالَتْ: يَا بُنَيَّ لَا تَقْبَلْ مِنْهُمْ حُطَّةَ تَخَافَ فِيهَا عَلَى نَفْسِكَ الذُّلَّ [مَخَافَةُ الْقَتْلِ]، فَوَاللَّهِ لَصَرْفُ سَيْفٍ فِي عِرِّ خَيْرٌ مِنْ ضَرْبَةِ سَوْطٍ فِي مَدْلَةٍ، قَالَ: فَخَرَجَ عَبْدُ اللَّهِ وَقَدْ نُصِبَ لَهُ مِصْرَاعٌ عِنْدَ الْكَعْبَةِ، فَكَانَ يَكُونُ تَحْتَهُ، فَأَتَاهُ رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ فَقَالَ لَهُ: أَلَا نَفْتَحُ لَكَ بَابَ الْكَعْبَةِ فَتَدْخُلُهَا؟ فَقَالَ: وَاللَّهِ لَوْ وَجَدْتُكُمْ تَحْتَ أَسْتَارِ الْكَعْبَةِ لَقَتَلْتُكُمْ عَنْ آخِرِكُمْ، وَهَلْ حُرْمَةُ السَّيِّئِ إِلَّا كَحُرْمَةِ الْحَرَمِ! ثُمَّ أُنْشِدَ:

وَلَسْتُ بِمُبْتَاعِ الْحَيَاةِ بِسُبَّةٍ وَلَا مُرْتَقٍ مِنْ خَشْيَةِ الْمَوْتِ سُلْمًا  
ثُمَّ شَدَّ عَلَيْهِ أَصْحَابُ الْحِجَابِ، فَسَأَلَ عَنْهُمْ، فَقِيلَ: هَؤُلَاءِ أَهْلُ مِصْرَ، فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ: اكْسِرُوا أَعْمَادَ سَيُوفِكُمْ، وَاحْمِلُوا مَعِيَ، فَإِنِّي فِي الرَّعِيلِ الْأَوَّلِ، فَفَعَلُوا، ثُمَّ حَمَلَ عَلَيْهِمْ وَحَمَلُوا عَلَيْهِ، فَكَانَ يَضْرِبُ بِسَيْفَيْنِ، فَلَحِقَ رَجُلًا فَضْرَبَهُ فَقَطَعَ يَدَهُ، وَانْهَزَمُوا وَجَعَلَ يَضْرِبُهُمْ حَتَّى أَخْرَجَهُمْ مِنْ بَابِ الْمَسْجِدِ، وَجَعَلَ رَجُلٌ مِنْهُمْ أَسْوَدَ بَسَبَهُ، فَقَالَ لَهُ: اصْبِرْ يَا بَنِي حَامٍ، ثُمَّ حَمَلَ عَلَيْهِ فَصَرَعَهُ، ثُمَّ دَخَلَ عَلَيْهِ أَهْلُ جَنْصٍ مِنْ بَنِي شَيْبَةَ فَسَأَلَ عَنْهُمْ، فَقِيلَ: هَؤُلَاءِ أَهْلُ جَنْصٍ، فَشَدَّ عَلَيْهِمْ وَجَعَلَ يَضْرِبُهُمْ بِسَيْفِهِ حَتَّى أَخْرَجَهُمْ مِنَ الْمَسْجِدِ، ثُمَّ انْصَرَفَ وَهُوَ يَقُولُ:

لَوْ كَانَ قِرْنِي وَاحِدًا أَرْدَيْتُهُ أَوْ زِدْتُهُ الْمَوْتَ وَقَدْ ذَكَّيْتُهِ  
ثُمَّ دَخَلَ عَلَيْهِ أَهْلُ الْأُرْدُنِّ مِنْ بَابٍ آخَرَ، فَقَالَ: مَنْ هَؤُلَاءِ؟ قِيلَ: أَهْلُ الْأُرْدُنِّ، فَجَعَلَ يَضْرِبُهُمْ بِسَيْفِهِ حَتَّى أَخْرَجَهُمْ مِنَ الْمَسْجِدِ، ثُمَّ انْصَرَفَ وَهُوَ يَقُولُ:

لَا عَهْدَ لِي بِغَارَةِ مِثْلِ السَّيْلِ لَا يَنْجِلِي قَتَامُهَا حَتَّى اللَّيْلِ  
فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ حَجْرٌ مِنْ نَاحِيَةِ الصُّفَا فَأَصَابَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، فَتَكَسَّ رَأْسَهُ وَهُوَ يَقُولُ:  
وَلَسْنَا عَلَى الْأَعْقَابِ تَدْمَى كُلُّوْنَا وَلَكِنْ عَلَى أَقْدَامِنَا تَقْطُرُ الدَّمَاءُ  
أَنْشَدَهُ مَتَمَلًّا، وَحَمَاهُ مَوْلَانُ لَهُ، فَكَانَ أَحَدُهُمَا يَرْتَجِزُ فَيَقُولُ:

الْعَبْدُ يَحْمِي رَبَّهُ وَيَحْتَمِي

قَالَ: ثُمَّ اجْتَمَعُوا عَلَيْهِ، فَلَمْ يَزَالُوا يَضْرِبُونَهُ وَيَضْرِبُهُمْ حَتَّى قَتَلُوهُ وَمَوَلَيْتِهِ جَمِيعًا، فَلَمَّا قُتِلَ كَثِيرُ أَهْلِ الشَّامِ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ: الْمَكْبُرُونَ يَوْمَ وَلَدَ خَيْرٌ مِنَ الْمَكْبُرِينَ يَوْمَ قُتِلَ.

قَالَ أَبُو عُمَرَ: وَقَالَ يَعْلَى بْنُ حَزْمَةَ: دَخَلْتُ مَكَّةَ بَعْدَمَا قُتِلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ بِثَلَاثَةِ أَيَّامٍ، فإِذَا هُوَ مَصْلُوبٌ، فَجَاءَتْ أُمُّهُ أَسْمَاءُ، وَكَانَتْ امْرَأَةً عَجُوزًا طَوِيلَةَ مَكْفُوفَةِ الْبَصَرِ تَقْدَادُ، فَقَالَتْ:

للحجاج: أما آن لهذا الراكب أن ينزل؟ فقال لها: المتناق؟ قالت: والله ما كان مُناقفاً، ولكنه كان صَوَماً قَوَّاماً يَرَأُ، قال: انصرفي فإنك عجزوز قد خَرَفْتِ. قالت: لا والله ما خَرَفْتُ، وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يُخْرِجُ مِنْ ثَقِيفٍ كَذَّابٌ وَمُبِيرٌ»<sup>(١)</sup>، أما الكَذَّابُ فقد رأيتُ - تعني المختار - وأما المُبِيرُ فانت.

قال أبو عمر: وَرَوَى سعيد بنُ عامر الخِرَاز عن ابن أبي مُليكة، قال: كنت الأذن لمن بَشَّرَ أسماء بنزول ابنها عبد الله من الخشبة، فحدث بمزكن وشبَّ يمان، فأمرني بغسله، فكنا لا نتناول منه عُضُواً إلا جاء معنا، فكنا نغسل العضوء ونُدعه في أكفانه ونتاجول العضو الذي يليه فنغسله، ثم نضعه في أكفانه، حتى فرغنا منه، ثم قامت فصلت عليه، وقد كانت تقول: اللهم لا تمثني حتى تَقَرَّ عيني بحجته، فلما دفتته لم يأت عليها جمعة حتى ماتت.

قال أبو عمر: وقد كان عروة بنُ الزبير رَحَلَ إلى عبد الملك، فَرُغِبَ إليه في إنزال عبد الله من الخشبة، فأسعفه بذلك، فأنزل.

قال أبو عمر: وقال علي بن مجاهد: قُتِلَ مع ابن الزبير مائتان وأربعون رجلاً، إنَّ منهم لَمَنْ سَأَلَ دُمَهُ في جوف الكعبة.

قال أبو عمر: وَرَوَى عيسى عن أبي القاسم، عن مالك بن أنس، قال: كان ابن الزبير أفضل من مَرْوَانَ وأولى بالأمر منه ومن أبيه، قال وقد رَوَى علي بنُ المَدائني، عن سُفيان بن عُيينة، أن عامر بن عبد الله بن الزبير مكث بعد قتل أبيه حَوْلاً لا يسأل الله لنفسه شيئاً إلا الدعاء لأبيه.

قال أبو عمر: وَرَوَى إسماعيل بن عليّة، عن أبي سُفيان بن العلاء، عن ابن أبي عتيق، قال: قالت عائشة: إذا مَرَّ ابنُ عَمَرَ فَأَرُونِيهِ، فلما مَرَّ قالوا: هذا ابنُ عمر فقالت: يا أبا عبد الرحمن، ما مَنَعَكَ أَنْ تَنْهَانِي عَنْ مَسِيرِي، قال: رأيت رجلاً قد حَلَبَ عليك، ورأيكَ لا تُخَالِفِيهِ - يعني عبد الله بن الزبير - فقالت: أما إنك لو نَهَيْتَنِي ما خرجتُ.

فأما الزبير بنُ بكار فإنه ذكر في كتاب «أنساب قریش» من أخبار عبد الله وأحواله جُملة طويلة نحن نختصرها، ونذكر اللباب منها، مع أنه قد أُنْتُبَ في ذكر فضائله والثناء عليه، وهو معذور في ذلك، فإنه لا يَلَامُ الرجلُ على حُبِّ قومه، والزبير بن بكار أحدُ أولاد عبد الله بن الزبير، فهو أحقُّ بتقريبه وتأيينه.

(١) أخرجه الترمذي، كتاب: الفتن، باب: ما جاء في ثقيف، ثقيف كذاب (٢٢٢٠)، والطبراني في (المعجم الأوسط) (٤٤٧٨).

قال الزبير بن بكار: أمه أسماء ذات النطاقين ابنة أبي بكر الصديق، وإنما سُميت ذات النطاقين لأن رسول الله ﷺ لما تجهز مهاجراً إلى المدينة ومعه أبو بكر لم يكن لسفرتيهما شئناق، فسُميت أسماء نطاقتها فَسَنَقَتْهَا بِهِ، فقال لها رسول الله ﷺ: «قد أبدلك الله تعالى بنطاقك هذا نطاقي في الجنة»، فسُميت ذات النطاقين<sup>(١)</sup>. قال: وقد رَوَى محمد بن الضحاك عن أبيه أن أهل الشام كانوا وهم يُقاتلون عبد الله بمكة يصيحون: يابن ذات النطاقين، يظنونهُ عنيّاً، فيقول ابنها: واللاه، ثم يقول: إني وإياكم لكما قال أبو ذؤيب:

وعيرني الوائشون أني أجبتها وتلك شكاة ظاهر عنك عارها  
فلأن اعتلّز عنها فإني مكذب وإن تعتلّز يُردّد عليك اعتذارها

ثم يُقبل على ابن أبي عتيق - وهو عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر - فيقول: ألا تسمع يابن أبي عتيق

قال الزبير: وزعموا أن عبد الله بن الزبير لما وُلِدَ أني به رسول الله ﷺ، فنظر في وجهه وقال: «أهو هو؟ ليمنن البيت أو ليموتن دونه»<sup>(٢)</sup>.

وقال العجلي في ذلك:

برئ تبين ما قال الرسول له وذو صلاة بضاجي وجهه علم  
حمامة من حمام البيت قاطنة لا تتبع الناس إن جازوا وإن ظلموا

قال: وقد رَوَى نافع بن ثابت، عن محمد بن كعب القرظي، أن رسول الله ﷺ دخل على أسماء حين وُلِدَ عبد الله فقال: أهو هو؟ فتركت أسماء رضاعه، فقيل لرسول الله ﷺ: إن أسماء تركت رضاع عبد الله لما سمعت كلمتك؟ فقال لها: «أرضعيه ولو بماء عتيك، كُتِبَ بين ذنابٍ عليها ثياب، ليمنن الحرّم أو ليموتن دونه»<sup>(٣)</sup>.

قال: وحذّثني عتي مصعب بن عبد الله، قال: كان عبد الله بن الزبير يقول: هاجرت بي أمي في بطنها، فما أصابها شيء من نَصَبٍ أو مُخْمَصَةٍ إلا وقد أصابني.

قال: وقالت عائشة: يا رسول الله، ألا تُكنيني؟ فقال: «تُكنّي باسمِ ابنِ أخيك عبد الله»<sup>(٤)</sup>، فكانت تُكنّي أم عبد الله.

(١) أخرجه البخاري، كتاب: الجهاد والسير، حمل الزاد في الغزو (٢٩٧٩)، وأحمد في «مسنده» (٢٥٠٩٨).

(٢) سيأتي تخريجه.

(٣) ذكره المثنى الهندي في «كتر العمال» (٣٧٢٣٣) ونسبه لابن عساکر.

(٤) ذكره المثنى الهندي في «كتر العمال» (٣٧٧٧٥).

قال: وروى هِنْدُ بن القاسم، عن عامر بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه، قال: احتجَم رسول الله ﷺ، ثُمَّ دَفَعَ إِلَيَّ دَمَهُ، فقال: اذهب به فَوَارِهِ حَيْث لَا يَرَاهُ أَحَدٌ، فَذَهَبْتُ بِهِ فَشَرَبْتُهُ، فَلَمَّا رَجَعْتُ قَالَ: مَا صَنَعْتَ؟ قُلْتُ: جَعَلْتُهُ فِي مَكَانٍ أَظُنُّ أَنَّهُ أَخْفَى مَكَانٍ عَنِ النَّاسِ، فقال: فَلَعَلَّكَ شَرَبْتَهُ؟ فَقُلْتُ: نَعَمْ <sup>(١)</sup>.

قال: وقال وَهْبُ بن كَيْسَانَ: أَوَّلُ مَنْ صَفَّ رِجْلِيهِ فِي الصَّلَاةِ عَبْدُ اللَّهِ بن الزبير فَاقْتَدَى بِهِ كَثِيرٌ مِنَ الْعِبَادِ، وَكَانَ مُجْتَهِدًا.

قال: وَخَطَبَ الْحِجَاجَ بَعْدَ قَتْلِهِ زُجْلَةَ بِنْتُ مَنْظُورِ بن زُبَّانِ بن سَيَّارِ الْفَزَارِيَّةِ، وَهِيَ أُمُّ هَاشِمِ بنِ عَبْدِ اللَّهِ بنِ الزَّيْبِرِ، فَقُلْعَتِ ثِيْبَيْهَا وَرَدَّتْهُ، وَقَالَتْ: مَاذَا يَرِيدُ إِلَى ذُلْفَاءَ تُكَلِّي حُرِّيًّا! وَقَالَتْ:

أَبْعِدْ عَائِذَ بَيْتِ اللَّهِ تَخْطُبُنِي      جَهْلًا جَهْلَتْ وَغِبَ الْجَهْلُ مَذْمُومٌ  
فَاذْهَبْ إِلَيْكَ فَإِنِّي غَيْرُ نَاكِحَةٍ      بَعْدَ ابْنِ أَسْمَاءَ مَا اسْتَنْ الدِّيَامِيْمُ  
مَنْ يَجْعَلُ الْعَبِيرَ مُصَفَّرًا جَحَافِلُهُ      مِثْلَ الْجَوَادِ وَقَضَلَ اللَّهُ مَقْسُومًا!

قال: وَحَدَّثَنِي عَبْدُ الْمَلِكِ بنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ، عَنْ خَالِهِ يَوْسُفَ بنِ الْمَاجِشُونَ، قَالَ: قَسَمَ عَبْدُ اللَّهِ بنِ الزَّيْبِرِ الدَّهْرَ عَلَى ثَلَاثِ لَيَالٍ: فَلَيْلَةٌ هُوَ قَائِمٌ حَتَّى الصَّبَاحِ، وَلَيْلَةٌ هُوَ رَاكِعٌ حَتَّى الصَّبَاحِ، وَلَيْلَةٌ هُوَ سَاجِدٌ حَتَّى الصَّبَاحِ.

قال: وَحَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بنُ حَرْبٍ بِإِسْنَادٍ ذَكَرَهُ وَرَفَعَهُ إِلَى مُسْلِمِ الْمَكِّي، قَالَ: رَكَعَ عَبْدُ اللَّهِ بنُ الزَّيْبِرِ يَوْمًا رَكْعَةً، فَقَرَأَتْ الْبَقْرَةَ وَآلَ عِمْرَانَ وَالنِّسَاءَ وَالْمَائِدَةَ، وَمَا رَفَعَ رَأْسَهُ.

قال: وَقَدْ حَدَّثَ مَنْ لَا أَحْصِيهِ كَثْرَةً مِنْ أَصْحَابِنَا، أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ كَانَ يُوَاصِلُ الصُّوْمَ سَبْعًا، يَصُومُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فَلَا يُفْطِرُ إِلَّا يَوْمَ الْجُمُعَةِ الْآخِرِ، وَيَصُومُ بِالْمَدِينَةِ فَلَا يُفْطِرُ إِلَّا بِمَكَّةَ، وَيَصُومُ بِمَكَّةَ فَلَا يُفْطِرُ إِلَّا بِالْمَدِينَةِ.

قال: وَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ بنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ: وَكَانَ أَوَّلَ مَا يُفْطِرُ عَلَيْهِ إِذَا أَفْطَرَ لَبَنٌ لَفْحَةٌ بِسَمْنٍ بَقَرٍ، قَالَ الزَّيْبِرِ: وَزَادَ غَيْرُهُ: وَصَبِرَ.

قال: وَحَدَّثَنِي يَعْقُوبُ بنُ مُحَمَّدٍ بنِ عِيْسَى بِإِسْنَادٍ رَفَعَهُ إِلَى عُزْرَةَ بنِ الزَّيْبِرِ، قَالَ: لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيَّ عَائِشَةَ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَبَعْدَ أَبِي بَكْرٍ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بنِ الزَّيْبِرِ.

قال: وَحَدَّثَنِي يَعْقُوبُ بنُ مُحَمَّدٍ بِإِسْنَادٍ يَرْفَعُهُ إِلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ بنِ الْقَاسِمِ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: مَا كَانَ أَحَدٌ أَعْلَمَ بِالْمَنَائِكِ مِنْ ابْنِ الزَّيْبِرِ.

قال: وَحَدَّثَنِي مُصْعَبُ بنُ عَثْمَانَ، قَالَ: أَوْصَتْ عَائِشَةُ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بنِ الزَّيْبِرِ وَأَوْصَى إِلَيْهِ

(١) أَخْرَجَهُ الْحَاكِمُ فِي «الْمُسْتَدْرَكِ» (٦٣٤٣)، وَأَبُو نَعِيمٍ فِي «الْحَلِيَّةِ» (١/٣٣٠).

حكيم بن حزام وعبد الله بن عامر بن كُرَيْز والأسود بن أبي البُخْتَرِي وشيبة بن عثمان والأسود بن عوف.

قال الزبير: وحدث عمر بن قيس، عن أمه قالت: دخلت على عبد الله بن الزبير بيته، فإذا هو قائم يصلي، فسقطت حية من البيت على ابنه هاشم بن عبد الله فتطوّقت على بطنه وهو نائم، فصاح أهل البيت: الحية الحية! ولم يزالوا بها حتى قتلوها وعبد الله قائم يصلي ما انتفت ولا عجل، ثم فرغ من صلاته بعد ما قيلت الحية فقال: ما بالكُم؟ فقالت أم هاشم: إي رَجَمَكَ الله، أرايت إن كُنَّا مَتًا عليك أيهون عليك ابنك! قال: وَيَحَا! وما كانت اليفاعة لو ألتفتها مَبْقِيَةً من صلاتي.

قال الزبير: وعبد الله أول من كسا الكعبة الديباج، وإن كان يُطَيِّبها حتى يجد ريحها من دَخل الحَرَم. قال: ولم تكن كِسوة الكعبة من قبله إلا المسوح والأنطاع، فلما جرد المهدي بن المنصور الكعبة، كان فيما نَزَعَ عنها كِسوة من ديباج مكتوب عليها: لعبد الله أبي بكر أمير المؤمنين. قال: وحدثني يحيى بن معين بإسناد رفعه إلى هشام بن عروة، أن عبد الله بن الزبير أخذ من بين القتلَى يومَ الجمل وبه بَضْع وأربعون طغنة وضربة. قال الزبير: واعتلت عائشة مرة، فدخل عليها بنو أختها أسماء: عبد الله وعروة والمنذر، قال عروة: فسألناها عن حالها، فشكت إلينا نَهْكة<sup>(١)</sup> من علتها ففرّأها عبد الله عن ذلك، فأجابته بنحو قولها، فعاد لها بالكلام، فعادت له بالجواب، فصمت ويكّي، قال عروة: فما رأينا مُتَحاورَيْن من خلق الله أبلغَ منهما. قال: ثم رفعت رأسها تنظر إلى وجهه، فأبهتت لبيكانه، فبكت ثم قالت: ما أخفني منك يا بُنَيّ، ما أرى. فلم أعلم بعد رسول الله ﷺ وبعد أبوي أحداً أنزل عندي منزلة، قال عروة: وما سمعت عائشة وأمي أسماء تدعوان لأحد من الخلق دعاءهما لعبد الله، قال: وقال موسى بن عقبة: أقراني عامر بن عبد الله بن الزبير وصية عبد الله بن مسعود إلى الزبير بن العوام وإلى عبد الله بن الزبير من بعده، وإنهما في وصيتي في جِلّ وبلّ.

قال: ورؤى أبو الحسن المدائني، عن أبي إسحاق التميمي، أن معاوية سمع رجلاً يُنشد:  
ابن رقامي ماجدٌ سَمِيدُ<sup>(٢)</sup> يَأْبَى فَيُعْطِي عن يدٍ أَوْ يَمْنَعُ  
فقال: ذلك عبد الله بن الزبير: وكان عبد الله من جُملة الثفر الذين أمرهم عثمان بن عفان أن يَسْخُوا القرآن في المصاحف.

قال: وحدثنا محمد بن حسن، عن ثوفل بن عُمارة، قال: سئل سعيد بن المسيّب عن

(١) نهكة: نهكة الحمى نهكاً ونهكة: جهده وأصته ونقصت من لحمه. اللسان، مادة (نَهَك).

(٢) السديد: السيد الكريم الشريف السخي الموطأ الأكتاف. اللسان، مادة (سَمَد).



خُطباء قُرَيْش في الجاهلية، فقال: الأسود بن المطلب بن أسد، وسُهَيْل بن عمرو. وسُئِلَ عن خُطبتهم في الإسلام، فقال: معاوية وابنه، وسعيد بن العاص وابنه، وعبد الله بن الزبير.

قال: وحدثنا إبراهيم بن المنذر، عن عثمان بن طلحة، قال: كان عبد الله بن الزبير لا يُتَارَع في ثلاث: شجاعة، وعبادة، وبلاغة.

قال الزبير: وقال هشام بن عروة: رأيت عبد الله أيام حصاره والحجر من المنجنيق يهوي حتى أقول: كاد يأخذ بليحيته، فقال له أبي: أيابن أم، والله إن كاد ليأخذ بليحيك، فقال عبد الله: دغني يابن أم، فوالله ما هي إلا هنة حتى كأن الإنسان لم يكن، فيقول أبي وهو يقبل علينا بوجهه: والله ما أخشى عليك إلا من تلك الهنة.

قال الزبير: فذكر هشام، قال: والله لقد رأيته يُرْمَى بالمنجنيق فلا يلتفت ولا يُرْعِد صوته، وربما مَرَّت الشظية منه قريباً من نحره.

وقال الزبير: وحدثنا ابن الماجشون، عن ابن أبي مليكة عن أبيه قال: كنت أطوف بالبيت مع عمر بن عبد العزيز، فلما بلغت الملتزم تخلفت عنده أدمو ثم لحقت عمر، فقال لي: ما خلفك؟ قال: كنت أدمو في موضع رأيت عبد الله بن الزبير فيه يدعو، فقال: ما تترك تحنناك على ابن الزبير أبداً فقلت: والله ما رأيت أحداً أشد جلداً عن لحم، ولحمًا على عظم من ابن الزبير، ولا رأيت أحداً أثبت قائماً، ولا أحسن مصلياً من ابن الزبير، ولقد رأيت حجرًا من المنجنيق جاءه فأصاب شُرْفَةً من المسجد، فمَرَّت قُذَاذَةٌ منها بين يحيته وخلقه، فلم يزل من مقامه، ولا عرفنا ذلك في صوته، فقال عمر: لا إله إلا الله، لجاد ما وصفت!

قال الزبير: وسمعت إسماعيل بن يعقوب التيمي يحدث، قال: قال عمر بن عبد العزيز لابن أبي مليكة: صف لنا عبد الله بن الزبير، فإنه تَرَمَّرَ على أصحابنا فتَشَمَّرُوا عليه، فقال: عن أي حاله تسأل؟ أعن دينه، أم عن دنياه؟ فقال: عن كل، قال: والله ما رأيت جلدًا قط رُكِبَ على لحم ولا لحمًا على عَصَب، ولا عَصَبًا على عَظْم، مثل جلده على لحمه ولا مثل لحمه على عَصَبه، ولا مثل عصبه على عَظْمه، ولا رأيت نفساً رُكِبَتْ بين جنين مثل نفس له رُكِبَتْ بين جنين، ولقد قام يوماً إلى الصلاة، فمر به حجرٌ من حجارة المنجنيق، بليقة مطبوخة من شُرَفَات المسجد، فمَرَّت بين لحيته وصدره، فوالله ما خشع لها بصره، ولا قطع لها قراءته، ولا رُكِعَ دون الركوع الذي كان يركع، ولقد كان إذا دَخَلَ في الصلاة خَرَجَ من كل شيء إليها، ولقد كان يركع في الصلاة فيَقَع الرَّحْمُ على ظهره ويسجد فكانه مطروح.

قال الزبير: وحدث هشام بن عروة، قال: سمعت عتي، يقول: ما أبالي إذا وجدت ثلاثمائة يصبرون صبري، لو أجلب علي أهل الأرض.

قال الزبير: وَقَسَمَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزَّبِيرِ ثَلَاثَ مَالِهِ وَهُوَ حَيٌّ، وَكَانَ أَبُوهُ الزَّبِيرُ قَدْ أَوْصَى أَيْضاً بِثَلَاثَ مَالِهِ. قَالَ: وَابْنُ الزَّبِيرِ أَحَدُ الرَّفِطِ الْخَمْسَةِ الَّذِينَ وَقَعَ اتِّفَاقُ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ وَعُمَرُو بْنُ الْعَاصِ عَلَى إِحْضَارِهِمْ، وَالْإِسْتِشَارَةُ بِهِمْ فِي يَوْمِ التَّحْكِيمِ وَهُمْ: عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزَّبِيرِ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو، وَأَبُو الْجَهْمِ بْنُ حُذَيْفَةَ، وَجُبَيْرُ بْنُ مُطْعِمٍ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ.

قال الزبير: وَعَبْدُ اللَّهِ هُوَ الَّذِي صَلَّى بِالنَّاسِ بِالْبَصْرَةِ لَمَّا ظَهَرَ ظُلُمَةُ وَالزَّبِيرُ عَلَى عِثْمَانَ بْنِ حَنِيْفٍ بِأَمْرِ مِنْهُمَا لَهُ. قَالَ: وَأَعْظَلْتُ عَائِشَةً مِنْ بَشَرِهَا بِأَنَّ عَبْدَ اللَّهِ لَمْ يَقْتُلْ يَوْمَ الْجَمَلِ عَشْرَةَ أَلْفٍ دِرْهَمٍ.

قُلْتُ: الَّذِي يَغْلِبُ عَلَى ظَنِّي أَنَّ ذَلِكَ كَانَ يَوْمَ إِفْرِيقِيَّةَ، لِأَنَّهَا يَوْمَ الْجَمَلِ كَانَتْ فِي شُغْلٍ بِنَفْسِهَا عَنْ عَبْدِ اللَّهِ وَغَيْرِهِ.

قال الزبير: وَحَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ صَالِحٍ مَرْفُوعاً أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَلَّمَ فِي صَبِيَّةٍ تَزَوَّجَهَا، مِنْهُمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزَّبِيرِ، وَعُمَرُ بْنُ أَبِي سَلَمَةَ، فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَوْ بَايَعْتَهُمْ فَتَصَيَّبَهُمْ بِرُكْنِكَ، وَيَكُونُ لَهُمْ ذِكْرًا فَأَبَيَّ بِهِمْ فَكَانَهُمْ تَكْذِبُكُمْ حِينَ جِيءَ بِهِمْ إِلَيْهِ، وَاتَّقَمَ ابْنُ الزَّبِيرِ، فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَقَالَ: إِنَّهُ ابْنُ أَبِيهِ، وَبَايَعَهُمْ<sup>(١)</sup>.

قال: وَسُئِلَ رَأْسُ الْجَالُوتِ: مَا عِنْدَكُمْ مِنَ الْفَرَّاسَةِ فِي الصَّبِيَّانِ؟ فَقَالَ: مَا عِنْدَنَا فِيهِمْ شَيْءٌ، لَأَنَّهُمْ يُخْلِقُونَ خُلُقًا مِنْ بَعْدِ خُلُقٍ، غَيْرَ أَنَّا نَرْمُقُهُمْ، فَإِنْ سَمِعْنَا مِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ فِي لَعَبِهِ: مَنْ يَكُونُ مَعِي؟ رَأَيْنَاهَا هَمَّةٌ وَخَبَةٌ صَدَقَ فِيهِ، وَإِنْ سَمِعْنَاهُ يَقُولُ: مَعَ مَنْ أَكُونُ؟ كَرِهْنَاهَا مِنْهُ. قَالَ: فَكَانَ أَوَّلُ شَيْءٍ سَمِعَ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزَّبِيرِ أَنَّهُ كَانَ ذَاتَ يَوْمٍ يَلْتَقِبُ مَعَ الصَّبِيَّانِ، فَمَرَّ رَجُلٌ، فَصَاحَ عَلَيْهِمْ، فَفَرَّوْا مِنْهُ، وَمَشَى ابْنُ الزَّبِيرِ الْقَهْقَرَى، ثُمَّ قَالَ: يَا صَبِيَّانِ! اجْعَلُونِي أَمِيرَكُمْ، وَشَدُّوا بِنَا عَلَيْهِ. قَالَ: وَمَرَّ بِهِ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ وَهُوَ مَعَ الصَّبِيَّانِ، فَفَرَّوْا وَوَقَّفَ، فَقَالَ لِمَ لَمْ تَقْرَ مَعَ أَصْحَابِكَ؟ فَقَالَ: لَمْ أَجْرِمَ فَأَخَافُكَ، وَلَمْ تَكُنِ الطَّرِيقَ ضَيْقَةً فَأَوْسَعَ عَلَيْكَ!

وَرَوَى الزَّبِيرُ بْنُ بَكَّارٍ، أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ سَعْدٍ بْنَ أَبِي سَرْحٍ غَزَا إِفْرِيقِيَّةَ فِي خِلَافَةِ عِثْمَانَ، فَقَتَلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزَّبِيرِ جَرَجِيرَ أَمِيرَ جَيْشِ الرُّومِ، فَقَالَ ابْنُ أَبِي سَرْحٍ: إِنِّي مُوجِّهٌ بِشِيرَاءٍ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا فَتَحَ عَلَيْنَا، وَأَنْتَ أَوَّلِي مَنْ هَاهُنَا، فَانْظِلِّي إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فَأَخْبِرْهُ الْخَبَرَ، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: فَلَمَّا قَدِمْتُ عَلَى عِثْمَانَ أَخْبَرْتُهُ بِفَتْحِ اللَّهِ وَصُنْهَ وَنَصْرِهِ، وَوَصَفْتُ لَهُ أَمْرَنَا كَيْفَ كَانَ، فَلَمَّا فَرَّغْتُ مِنْ كَلَامِي قَالَ: هَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تُوَدِّيَ هَذَا إِلَى النَّاسِ؟ قُلْتُ: وَمَا يَمْنَعُنِي مِنْ ذَلِكَ!

(١) أَخْرَجَهُ الْعِسْكَلَانِيُّ فِي «الْإِسَابَةِ» (٩٢/٤)، فِي تَرْجُمَةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزَّبِيرِ، بِرَقْمِ (٤٦٨٤)، وَابْنُ كَثِيرٍ فِي «الْبَدَايَةِ وَالنِّهَايَةِ» (٢٣٤/٨)، فِي حَوَادِثِ سَنَةِ ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ.

قال: فأخرج إلى الناس فأخبرهم قال عبد الله: فخرجت حتى جثت المنبر فاستقبلت الناس، فتلقاني وجه أبي، فدخلتني له هبة عرفها أبي في وجهي، فقبض قبضة من خضباء، وجمع وجهه في وجهي وهم أن يحصبني فأخزئت، فتكلمت.

فزعوا أن الزبير لما فرغ عبد الله من كلامه قال: والله لكأني أسمع كلام أبي بكر الصديق: من أراد أن يتزوج امرأة فلينظر إلى أبيها وأخيها فإنها تأتيه بأحدهما.

قال الزبير: ويلقّب عبد الله بعائد البيت، لاستعادته به.

قال: وحدثني عتي مصعب بن عبد الله، قال: إن الذي دعا عبد الله إلى التعمّد بالبيت شيء سمعه من أبيه حين سار من مكة إلى البصرة، فإن الزبير التفت إلى الكعبة بعد أن ودّع وجهه يريد الركوب، فأقبل على ابنه عبد الله، وقال: تالله ما رأيت مثلها لطالب رغبة أو خائف رغبة.

وروى الزبير بن بكار، قال: كان سبب تعمّد ابن الزبير بالكعبة أنه كان يمشي بعد عتمّة في بغض شوارع المدينة، إذ لقي عبد الله بن سعد بن أبي سرح مثلثاً لا يَدُو منه إلا عينا. قال: فأخذت بيده وقلت: ابن أبي سرح! كيف كنت بعدي؟ وكيف تركت أمير المؤمنين؟ يعني معاوية - وقد كان ابن أبي سرح عنده بالشام - فلم يكلمني، فقلت: ما لك؟ أمات أمير المؤمنين؟ فلم يكلمني، فتركته وقد أثبت معرفته، ثم خرجت حتى لقيت الحسين بن علي رضي الله عنه، فأخبرته خبره، وقلت: ستاتيك رسل الوليد، وكان الأمير على المدينة الوليد بن عتبة بن أبي سفيان، فانظر ما أنت صانع! واعلم أن رواجلي في الدار معدّة، والموعد بيني وبينك أن تغفل عنا عيونهم، ثم فارقه فلم البث أن أتاني رسول الوليد، فجنّته فوجدت الحسين عنده، ووجدت عنده مروان بن الحَكَم، فتعّي إلي معاوية، فاسترجعت فأقبل علي، وقال: هلم إلى بيعة يزيد، فقد كتب إلينا يأمرنا أن نأخذها عليك! فقلت: إني قد علمت أن في نفسه علي شيئاً لتركبي بيعته في حياة أبيه، وإن بايعت له على هذه الحال توهم أنني مكره على البيعة، فلم يقنع منه ذلك بحيث أريد، ولكن أصبح ويجتمع الناس، ويكون ذلك علانية إن شاء الله، فنظر الوليد إلى مروان فقال مروان: هو الذي قلت لك، إن يخرج لم تره. فأحببت أن ألقى بيني وبين مروان شراً نتشأغل به، فقلت له: وما أنت وذاك يابن الزرقاء! فقال لي، وقلت له، حتى توائمتنا، فتناصيت أنا وهو، وقام الوليد فحجز بيننا، فقال مروان: أنتحز بيننا بنفسك، وتدع أن تأمر أعوانك! فقال: قد أرى ما تريد، ولكن لا أتولى ذلك منه والله أبداً، أذهب يابن الزبير حيث شئت، قال: فأخذت بيد الحسين، وخرجنا من الباب حتى صرنا إلى المسجد، وأنا أقول:

ولا تحسبني يا مسافر شخمةً تعجلها من جانب القدر جائع

فلما دخل المسجدة افترق هو والحسين، وعمد كل واحد منهما إلى مصلاه يوصلني فيه،

وَجَعَلَتِ الرُّسُلُ تُخْتَلِفُ إِلَيْهِمَا، يَسْمَعُ وَقَعَ أَقْدَانُهُمْ فِي الْحَضَبَاءِ حَتَّى هَدَا عَنْهُمَا الْحِجْسَ، ثُمَّ انْصَرَفَا إِلَى مَنَازِلِهِمَا، فَأَتَى ابْنُ الزَّبِيرِ رَوَاحِلَهُ، فَقَعَدَ عَلَيْهَا، وَخَرَجَ مِنْ أَدْبَارِ دَارِهِ، وَوَفَاهُ الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ، فَخَرَجَا جَمِيعاً مِنْ لَيْلَتِهِمْ، وَسَلَكُوا طَرِيقَ الْفُرْعِ حَتَّى مَرُّوا بِالْجَنَّةِ وَمِنْهَا جَعَفَرُ بْنُ الزَّبِيرِ قَدْ اِزْدَرَعَهَا، وَغُمِرَ عَلَيْهِمْ بَعِيرٌ مِنْ إِبِلِهِمْ فَانْتَهَوْا إِلَى جَعْفَرٍ، فَلَمَّا رَأَاهُمْ قَالَ: مَا تَعَاوِيَةُ؟ فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: نَعَمْ، انْطَلَقْنَا مَعَنَا وَاعْطَيْنَا أَحَدَ جَمَلَيْكَ - وَكَانَ يَنْضَحُ عَلَى جَمَلَيْنِ لَهُ - فَقَالَ جَعْفَرٌ مَتَمَثِّلاً:

إِخْوَتِي لَا تَبْعِدُوا أَبَدًا وَيَلَسَى وَاللَّهِ قَدْ بَعُدُوا  
فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ - وَتَطَيَّرَ مِنْهَا: بِغَيْكِ التُّرَابُ! فَخَرَجُوا جَمِيعاً حَتَّى قَلِمُوا مَكَّةَ، قَالَ الزَّبِيرُ:  
فَأَمَّا الْحُسَيْنُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَإِنَّهُ خَرَجَ مِنْ مَكَّةَ يَوْمَ الثَّرْوِيَةِ يَطْلُبُ الْكُوفَةَ وَالْعِرَاقَ، وَقَدْ كَانَ قَالَ  
لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزَّبِيرِ: قَدْ أَتَيْتُنِي بِنِعْمَةِ أَرْبَعِينَ أَلْفًا يَحْلِفُونَ لِي بِالطَّلَاقِ وَالْعِتَاقِ مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ،  
فَقَالَ: أَنْخُرْجُ إِلَى قَوْمٍ قَتَلُوا أَبَاكَ وَخَذَلُوا أَخَاكَ!

قَالَ: وَبَعْضُ النَّاسِ يُزْعِمُ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبَّاسٍ هُوَ الَّذِي قَالَ لِلْحُسَيْنِ ذَلِكَ.  
قَالَ الزَّبِيرُ: وَقَالَ هِشَامُ بْنُ عُرْوَةَ: كَانَ أَوَّلُ مَا أَفْضَحَ بِهِ عَمِّي عَبْدُ اللَّهِ وَهُوَ صَغِيرٌ: السَّيْفُ،  
فَكَانَ لَا يَضَعُهُ مِنْ فِيهِ، وَكَانَ أَبُوهُ الزَّبِيرُ إِذَا سَمِعَ مِنْ ذَلِكَ يَقُولُ: أَمَا وَاللَّهِ لَيَكُونَنَّ لَكَ مِنْهُ يَوْمٌ  
وَيَوْمٌ وَأَيَّامٌ!

فَأَمَّا خَبْرُ مَقْتَلِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزَّبِيرِ فَنَحْنُ نُوَرِّدُهُ مِنْ تَارِيخِ أَبِي جَعْفَرٍ مُحَمَّدَ بْنِ جَرِيرٍ الطَّبْرِيِّ  
رَحِمَهُ اللَّهُ. قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: حَضَرَ الْحِجَّاجُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزَّبِيرِ ثَمَانِيَةَ أَشْهُرٍ، فَرَوَى إِسْحَاقُ بْنُ  
يَحْيَى عَنْ يُونُسَ بْنِ مَاهِكٍ، قَالَ: رَأَيْتُ مَنْجَنِيْقَ أَهْلِ الشَّامِ يُرْمَى بِهِ، فَزَعَدَتِ السَّمَاءُ وَبَرَقَتْ،  
وَعَلَا صَوْتُ الرَّعْدِ عَلَى صَوْتِ الْمَنْجَنِيقِ، فَأَعْظَمَ أَهْلُ الشَّامِ مَا سَمِعُوهُ، فَأَمْسَكُوا أَيْدِيَهُمْ، فَزَعَّ  
الْحِجَّاجُ بِرُكَّةِ قَبَائِهِ، فَفَرَّزَهَا فِي مَنْطِقَتِهِ، وَرَفَعَ حَجَرَ الْمَنْجَنِيقِ فَوَضَعَهُ فِيهِ، ثُمَّ قَالَ: ارْمُوا،  
وَرَمَى مَعَهُمْ، قَالَ: ثُمَّ أَصْبَحُوا فَجَاءَتْ صَاعِقَةٌ يَتَّبِعُهَا أُخْرَى، فَقَتَلَتْ مِنْ أَصْحَابِ الْحِجَّاجِ اثْنَيْ  
عَشَرَ رَجُلًا، فَأَنْكَرَ أَهْلُ الشَّامِ، فَقَالَ الْحِجَّاجُ: يَا أَهْلَ الشَّامِ، لَا تُنْكِرُوا هَذَا، فَإِنِّي ابْنُ تِهَامَةٍ،  
هَذِهِ صَوَاعِقُ تِهَامَةٍ، هَذَا الْفَتْحُ قَدْ حَضَرَ فَأَبْشِرُوا، فَإِنَّ الْقَوْمَ يُصِيبُهُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَكُمْ، فَصَعَقَتْ  
مِنَ الْعَدَا فَاصِيبَ مِنْ أَصْحَابِ ابْنِ الزَّبِيرِ عِدَّةٌ مَا أَصَابَ الْحِجَّاجُ، فَقَالَ الْحِجَّاجُ: أَلَا تَرَوْنَ أَنَّهُمْ  
يُصَابُونَ وَأَنْتُمْ عَلَى الطَّاعَةِ، وَهُمْ عَلَى خِلَافِ الطَّاعَةِ! فَلَمْ تَزَلِ الْحَرْبُ بَيْنَ ابْنِ الزَّبِيرِ وَالْحِجَّاجِ  
حَتَّى تَفَرَّقَ عَامَّةُ أَصْحَابِ ابْنِ الزَّبِيرِ عَنْهُ، وَخَرَجَ عَامَّةُ أَهْلِ مَكَّةَ إِلَى الْحِجَّاجِ فِي الْأَمَانِ.  
قَالَ: وَرَوَى إِسْحَاقُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ، عَنْ الْمُزَيَّرِ بْنِ الْجَهْمِ الْأَسْلَمِيِّ، قَالَ: رَأَيْتُ ابْنَ الزَّبِيرِ،  
وَقَدْ خَذَلَهُ مِنْ مَعِهِ خِذْلَانَا شَدِيدًا، وَجَعَلُوا يَخْرُجُونَ إِلَى الْحِجَّاجِ، خَرَجَ إِلَيْهِ مِنْهُمْ نَحْوُ عَشْرَةِ

آلاف، وذكر أنه كان مقيمًا فآزقه، وخرج إلى الحجاج ابنه: حبيب وحمزة، فأخذوا من الحجاج لأنفسهما أماناً. قال أبو جعفر: فروى محمد بن عمر، عن ابن أبي الزناد، عن مخمرة بن سلمان الوائلي، قال: دخل عبد الله بن الزبير على أمه حين رأى من الناس ما رأى من خذلانه، فقال: يا أمه، خذني الناس حتى ولدي وأهلي، ولم يبق معي إلا اليسير ممن ليس عنده من الدفق أكثر من صبر ساعة، والقوم يعطونني ما أردت من الدنيا. فما رأيك؟ فقالت: أنت يا بني أعلم بنفسك، إن كنت تعلم أنك على حق وإليه تدعو فامض له، فقد قُتل عليه أصحابك، ولا تمكن من رقبتيك يتلعب بك غلمان بني أمية، وإن كنت إنما أردت الدنيا فبئس العبد أنت! أهلكك نفسك وأهلكك من قُتل معك، وإن قلت: قد كنت على حق فلما وهن أصحابي وهنت وضعفت، فليس هذا فعل الأحرار ولا أهل الدين، وكم خلّودك في الدنيا! القتل أحسن، فدنا ابن الزبير فقُتل رأسها، وقال: هذا والله رأيي الذي قممت به داعياً إلى يومي هذا، وما ركنت إلى الدنيا، ولا أحببت الحياة فيها، ولم يذعنني إلى الخروج إلا الغضب لله أن تستحل محارمه، ولكنني أحببت أن أعلم رأيك، فزدني بصيرة مع بصيرتي. فانظري يا أمه، فإني مقتول من يومي هذا، فلا يشتد حزنك، وسلمي لأمر الله، فإن ابنك لم يتعمد إتيان منكراً، ولا عملاً فباحشة، ولم يجز في حكم، ولم يغير في أمان، ولم يتعمد ظلم مسلم ولا معاهد، ولم ييلغني ظلم عن عمالي فرضيت به بل أنكرته، ولم يكن شيء أثّر عندي من رضا ربي. اللهم إني لا أقول هذا تزكية مني لنفسي، أنت أعلم بي، ولكنني أقوله تعزية لأنني لتسلو عني. فقالت أمه: إني لأرجو من الله أن يكون عزائي فيك حسناً إن تقدمتني، فلا أخرج من الدنيا حتى أنظر إلى ما يصير أمرك، فقال: جزاك الله يا أمه خيراً! فلا تدعي الدعاء لي قبل وبعد، قالت: لا أدعه أبداً، فمن قُتل على باطل فقد قُتل على حق. ثم قالت: اللهم ارحم طول ذلك القيام في الليل الطويل، وذلك التحبب والظلم في مواجر المدينة ومكة، وبرّه بأبيه وبني! اللهم إني قد سلمته لأمرك فيه، ورضيت بما قضيت، فأثني في عبد الله ثواب الصابرين الشاكرين.

قال أبو جعفر: ورَوَى محمد بن عمر، عن موسى بن يعقوب بن عبد الله، عن عمه، قال: دخل ابن الزبير على أمه وعليه الدرع والمغفر<sup>(١)</sup>، فوقف فسلم، ثم دنا فتناول يدها فقبلها، فقالت: هذا وداع فلا تبع، فقال: نعم، إني جئت مودعاً، إني لأرى أن هذا اليوم آخر يوم من الدنيا يمر بي، واعلمي يا أمه أنني إن قُلت فلإنما أنا لحم لا يضره ما صنع به، فقالت: صدقت يا بني، أتمم على بصيرتك، ولا تمكن ابن أبي عقیل منك، وادن مني أودعك، فدنا منها فقبلها وعانقها، فقالت حيث مسّت الدرع: ما هذا صنع من يريد ما تريد! فقال: ما لبستها إلا لأشد منك، فقالت: إنها لا تشد مني، فتزعها، ثم أخرج كميه وشد أسفل قميصه، وعمد إلى جبة خز

(١) المغفر: زرد من الدرع يلبس تحت القلنسوة، أو حلق يتنعق بها المتسلح. القاموس، مادة (غفر).

تحت القميص، فأدخل أسفلها في المنطقة، فقالت أمه: شمر ثيابك، فشمرها، ثم انصرف وهو يقول:

إني إذا أعرف يومي أصير إذ بعضهم يعرف ثم ينكر  
فسمعت العجوز قوله، فقالت: تصبر والله، ولم لا تصبر وأبوك أبو بكر والزبير، وأمك صفية بنت عبد المطلب!

قال ورؤى محمد بن عمر عن ثور بن يزيد عن رجل من أهل حمص قال: شهادته والله ذلك اليوم ونحن خمسمائة من أهل حمص، فدخل من باب المسجد لا يدخل منه غيرنا، وهو يشد علينا ونحن منهزمون وهو يرتجز:

إني إذا أعرف يومي أصير وإنما يعرف يؤميه الحز  
وبعضهم يعرف ثم ينكر

فأقول: أنت والله الحر الشريف، فلقد رأيته يقف بالأبطح، لا يدنو منه أحد حتى ظننا أنه لا يقتل. قال ورؤى مصعب بن ثابت، عن نافع مولى بني أسد، قال: رايت الأبواب قد شجنت بأهل الشام، وجعلوا على كل باب قائداً ورجالاً وأهل بلد، فكان لأهل حمص الباب الذي يواجه باب الكعبة، ولأهل دمشق باب بني شيبه، ولأهل الأردن باب الصفا، ولأهل فلسطين باب بني جُمح، ولأهل قنسرين باب بني سهم، وكان الحجاج وطريق بن عمرو في ناحية الأبطح إلى المزوة، فمرة يحمل ابن الزبير في هذه الناحية، ولكنه أسد في أجمة<sup>(١)</sup> ما يقدم عليه الرجال، فيعدو في أثر الرجال وهم على الباب حتى يخرجهم، ثم يصيح إلى عبد الله بن صفوان، يا أبا صفوان، وتلأ أمه فتحاً لو كان له رجال! ثم يقول:

لو كان قرني واحداً كُفيتُ

فيقول عبد الله بن صفوان: إي والله والفاء.

قال أبو جعفر: فلما كان يوم الثلاثاء، صبيحة سبع عشرة من جمادى الأولى سنة ثلاث وسبعين، وقد أخذ الحجاج على ابن الزبير بالأبواب، بات ابن الزبير تلك الليلة يصلي عامة الليل، ثم احتبى بحمايل سيفه، فأغفى ثم انتبه بالفجر، فقال: أذن يا سعد، فأذن عند المقام، وتوضأ ابن الزبير وركع ركعتي الفجر، ثم تقدم وأقام المؤذن، فصلى ابن الزبير بأصحابه فقرا «ن والقلم» حرفاً حرفاً ثم سلم، ثم قام، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: اكشفوا وجوهكم حتى أنظروا، وعليها المغافير والقمام، فكشفوا وجوههم، فقال: يا آل الزبير، لو طيبت لي نفساً عن أنفسكم كنا أهل بيت من العرب اصطليتنا، لم نصيبنا مدلة، ولم نقر على ضيم. أما بعد يا آل

(١) الأجمة الشجر الكثير الملتف. القاموس، مادة (أجم).

الزبير، لا يُرغمكم وَقَعَ السيوف، فإني لم أحضر مؤطناً قط ارتثت فيه بين القَتلى، وما أجد من دواء جراحها أشدَّ ممَّا أجد من ألم وثَعْبها. صونوا سيوفكم كما تصونون وجوهكم. لا أعلم امراً كَسَرَ سيفه واستَبَقَى نفسه. فإنَّ الرجل إذا ذهبَ سلاحه فهو كامرأة أعزل. غَضُوا أَبصاركم عن البارقة، وَلِيَشْغَلْ كُلُّ امرئٍ قُرْبَه، ولا يُلْهِيتُكم السَّوَالُ عَنِّي، ولا تقولنَّ: أين عبدُ الله بن الزبير؟ ألا من كان سافلاً عَنِّي فإني في الرِّعيل الأول، ثم قال:

أَبَى لَابِنِ سَلَمَى أَنَّهُ غَيْرُ خَالِدٍ يُلَاقِي الْمَنَايَا أَيَّ وَجْهِ تَبَيَّنَا  
فَلَسْتُ بِمُنْتَبَعِ الْحَيَاةِ سَبْبَةٍ<sup>(١)</sup> وَلَا مُزْنَقٍ مِنْ خَشْيَةِ الْمَوْتِ سُلْمَا

ثم قال: احمِلوا على بركة الله، ثم حَمَلَ حَتَّى بَلَغَ بِهِمْ إِلَى الْحَجَّوْنِ، فُرِمِي بِحَجَرٍ، فَأَصَابَ وَجْهَهُ، فَأَرَعَشَ وَدَمِيَ وَجْهَهُ، فَلَمَّا وَجَدَ سُخُونَةَ الدَّمِ تَسِيلُ عَلَى وَجْهِهِ وَلَحِيَّتِهِ قَالَ:

وَلَسْنَا عَلَى الْأَعْقَابِ تَذَمَّى كُلُّوْمُنَا وَلَكِنْ عَلَى أَعْدَائِنَا تَقَطَّرَ الدَّمَا

قال: وَتَقَاوَرَا عَلَيْهِ، وَصَاحَتْ مَوْلَاةٌ لَهُ مَجْنُونَةٌ: وَالْأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ! وَقَدْ كَانَ هَوًى، وَرَأَتْهُ حِينَ هَوًى فَأَشَارَتْ لَهُمْ إِلَيْهِ، فَقَتِلَ وَإِنَّ عَلَيْهِ لثِيَابَ حَرْ، وَجَاءَ الْخَبَرُ إِلَى الْحِجَاجِ، فَسَجَدَ وَسَارَ هُوَ وَطَارِقُ بْنُ عَمْرٍو، فَوَقَّفا عَلَيْهِ، فَقَالَ طَارِقُ: مَا وَلَدَتْ النَّسَاءُ أَذْكَرَ مِنْ هَذَا، فَقَالَ الْحِجَاجُ: أَمْتَدَحُ مَنْ يُخَالِفُ طَاعَةَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ! فَقَالَ طَارِقُ: هُوَ أَعْدَرُ لَنَا، وَلَوْلَا هَذَا مَا كَانَ لَنَا عُدْرٌ، إِنَّا مُحَاصِرُوهُ وَهُوَ فِي غَيْرِ خَنْدَقٍ وَلَا حِصْنٍ وَلَا مَنَعَةٍ مِنْذُ ثَمَانِيَةِ أَشْهُرٍ يَنْتَصِفُ مَتَا، بَلْ يُفْضَلُ عَلَيْنَا فِي كُلِّ مَا التَّقِينَا نَحْنُ وَهُوَ، قَالَ: فَبَلَغَ كَلَامُهُمَا عَبْدَ الْمَلِكِ، فَصَوَّبَ طَارِقًا.

قال: وَبَعَثَ الْحِجَاجُ بِرَأْسِ ابْنِ الزَّبِيرِ وَرَأْسِ عَبْدِ بْنِ صَفْوَانَ وَرَأْسِ عَمَارَةَ بْنِ عَمْرٍو بْنِ حَزَمٍ إِلَى الْمَدِينَةِ، فَنَصَبَتْ الثَّلَاثَةَ بِهَا، ثُمَّ حَمَلَتْ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ.

ونحن الآن نذكر بقية أخبار عبد الله بن الزبير ملتقطاً من مواضع متفرقة:

رَفِيَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزَّبِيرِ فِي أَيَّامِ مَعَاوِيَةَ وَاقِفًا بِيَابِ مِثَّةٍ مَوْلَاةٍ مَعَاوِيَةَ، فَقِيلَ لَهُ: يَا أَبَا بَكْرٍ، يَمْلِكُ يَمَفُ بِيَابِ هَذِهِ! فَقَالَ: إِذَا أَغْيَيْتُكُمْ الْأُمُورَ مِنْ رُؤُوسِهَا فَخَذُوها مِنْ أَفْئِدِهَا.

ذَكَرَ مَعَاوِيَةُ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزَّبِيرِ يَزِيدَ ابْنَهُ، وَأَرَادَ مِنْهُ الْبَيْعَةَ لَهُ، فَقَالَ ابْنُ الزَّبِيرِ: أَنَا أَنَاذِيكَ وَلَا أَنَاذِيكَ، إِنْ أَحَاكَ مَنْ صَدَقَكَ، فَانْظُرْ قَبْلَ أَنْ تَقْدَمَ، وَتَفَكَّرْ قَبْلَ أَنْ تَنْتَدِمَ، فَإِنَّ النَّظَرَ قَبْلَ التَّقْدِمِ، وَالتَّفَكُّرَ قَبْلَ التَّنَدُّمِ، فَضَحِكَ مَعَاوِيَةُ وَقَالَ: تَعَلَّمْتَ يَا أَبَا بَكْرٍ الشَّجَاعَةَ عِنْدَ الْكِبَرِ.

كَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزَّبِيرِ شَدِيدَ الْبُحْلِ، كَانَ يُطْعِمُ جَنْدَهُ تَمْرًا، وَيَأْمُرُهُمْ بِالْحَزْبِ، فَإِذَا قَرَّوْا مِنْ وَقَعَ السِّيُوفِ لَأَمَهُمْ وَقَالَ لَهُمْ: أَكَلْتُمْ تَمْرِي، وَعَصَيْتُمْ أَمْرِي فَقَالَ بَعْضُهُمْ:

(١) السبة: العار. القاموس، مادة (سبب).

ألم ترَ عبد الله - والله غالبٌ - على أمره - يبغى الخلافة بالشمس وكسر بعض جنده خمسة أرماع في صدور أصحاب الحجاج، وكلما كسر رُمحاً أعطاه رُمحاً، فسُق عليه ذلك، وقال: خمسة أرماع! لا يحتمل بيت مال المسلمين هذا. قال: وجاءه أعرابي سائل فرده، فقال له: لقد أحرقَت الرُمضاء<sup>(١)</sup> قَدَمي، فقال: بُلْ عليهما يردان.

جَمَعَ عبد الله بنُ الزبير محمد بن الحنفية وعبد الله بن عباس في سبعة عشر رجلاً من بني هاشم، منهم الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام، وحضرهم في شغب بمكة يُعرف بشعب عارم، وقال: لا تمضي الجمعة حتى تُبايعوا إليَّ أو أضرب أعناقكم، أو أحرقكم بالنار، ثم نهض إليهم قبل الجمعة يريد إحراقهم بالنار، فالتزمه ابن وسور بن مخزوم الزهري، وناشده الله أن يؤخرهم إلى يوم الجمعة، فلما كان يوم الجمعة دعا محمد بن الحنفية بنسول وثياب بيض، فاغتسل وتلبس وتحنط، لا يشك في القتل، وقد بعث المختار بن أبي عبيد من الكوفة أبا عبد الله الجذلي في أربعة آلاف، فلما نزلوا ذات عرق، تعجل منهم سبعون على رواحلهم حتى وافوا مكة صبيحة الجمعة يُنادون: يا محمد، يا محمد! وقد شهِروا السلاح حتى وافوا شعب عارم، فاستخلصوا محمد بن الحنفية ومن كان معه، وبعث محمد بن الحنفية الحسن بن الحسن يُنادي: من كان يرى أن الله عليه حقاً فليشم سيفه، فلا حاجة لي بأمر الناس، إن أعطيها عفواً قبلتها، وإن كرهوا لم يَبْتَزهم أمرهم.

وفي شعب عارم وحصار ابن الحنفية فيه يقول كثير بن عبد الرحمن:

ومن ير هذا الشيخ بالخيف من ينى      من الناس يعلم أنه غير ظالم  
سمي النبي المصطفى وابن عمه      وخمائل أثقال وفكاك غارم  
تخبر من لاقيت أنك عائد      بل العائد المحبوس في سجن عارم

وَرَوَى المَدَانِي، قال: لما أخرج ابن الزبير عبد الله بن عباس من مكة إلى الطائف مرَّ بَنَعْمَان، فنزل فصلّى ركعتين، ثم رفع يديه يدعو، فقال: اللَّهُمَّ إنك تعلم أنه لم يكن بلد أحبَّ إليَّ من أن أعبدك فيه من البلد الحرام، وأني لا أحب أن تقبض رُوحِي إلّا فيه، وأن الزبير أخرجني منه، ليكون الأقوى في سلطانه. اللَّهُمَّ فأوِّن كيدَه، واجعل دائرة السوء عليه. فلما دنا من الطائف تلقاه أهلها، فقالوا: مرحباً بابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم! أنت والله أحبُّ إلينا وأكرم علينا ممن أخرجك، هذه منازلنا تخيرها، فانزل منها حيث أحببت، فنزل منزلاً، فكان



يَجْلِسُ إِلَيْهِ أَهْلُ الْغُلَافِ بَعْدَ الْفَجْرِ وَبَعْدَ الْعَصْرِ، فَيَتَكَلَّمُ بَيْنَهُمْ، كَانَ يَحْمَدُ اللَّهَ وَيَذْكُرُ النَّبِيَّ ﷺ وَالْخُلَفَاءَ بَعْدَهُ، وَيَقُولُ: ذَهَبُوا فَلَمْ يَذْعُوا أَمْثَالَهُمْ وَلَا أَشْبَاهَهُمْ وَلَا مَنْ يُدَانِيَهُمْ، وَلَكِنْ بَقِيَ أَقْوَامٌ يَطْلُبُونَ الدُّنْيَا بِعَمَلِ الْآخِرَةِ، وَيَلْبَسُونَ جُلُودَ الضَّأْنِ، تَحْتَهَا قُلُوبُ الدُّنَابِ وَالتُّمُورِ، لَيُظَنَّ النَّاسُ أَنَّهُمْ مِنَ الزَّاهِدِينَ فِي الدُّنْيَا، يُرَاوُونَ النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ، وَيَسْخَطُونَ اللَّهَ بِسَرَاتِهِمْ، فَادْعُوا اللَّهَ أَنْ يَقْضِيَ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ بِالْخَيْرِ وَالْإِحْسَانِ، فَيُؤَلِّي أَمْرَهَا خِيَارَهَا وَأَبْرَارَهَا، وَيُهْلِكَ فُجَارَهَا وَأَشْرَارَهَا، ارْغَمُوا أَبْدِيَكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ وَسَلُّوهُ ذَلِكَ، فَيَفْعَلُونَ.

فبلغ ذلك ابن الزبير، فكتب إليه:

أما بعد، فقد بلغني أنك تجلس بالغلَافِ المُضَرِّينَ فتُثَنِّيهِم بِالْجَهْلِ، تُعَيِّبُ أَهْلَ الْعَمَلِ وَالْعِلْمِ، وَإِنْ جَلَسِي عَلَيْكَ، وَاسْتَدَامَتِي فَيُنْكِرُ جَزَاكَ عَلَيَّ، فَانْكُفْتُ - لَا أَبَا لَعْنِكَ - مِنْ غَرْبِكَ، وَأَرْبَعٌ عَلَى ظُلْمِكَ، وَاعْقِلْ إِنْ كَانَ لَكَ مَعْقُولٌ، وَأَكْرَمُ نَفْسِكَ فَإِنَّكَ إِنْ تَهِنْتَ تَجْدهَا عَلَى النَّاسِ أَعْظَمُ مَوَانَا، أَلَمْ تَسْمَعْ قَوْلَ الشَّاعِرِ:

نَفْسُكَ أَكْرَمُهَا فَإِنَّكَ إِنْ تَهِنَ عَلَيْكَ فَلَنْ تَلْقَى لَهَا - الدَّهْرَ - مُكْرِمًا

وإني أفسم بالله لئن لم تنته عما بلغني عنك لتجدنَّ جانبي خَشِنًا، ولتجدنني إلى ما يَزِدُّكَ عَنِّي عَجَلًا، فَرَأَيْكَ، فَإِنْ أَشْفَى بِكَ شَقَاؤُكَ عَلَى الرَّدَى فَلَا تُلْمِ إِلَّا نَفْسَكَ.

فكتب إليه ابن عباس: أما بعد، فقد بلغني كتابك، قلت: إني أفتي الناس بالجهل، وإني يُفني بالجهل مَنْ لَمْ يَعْرِفْ مِنَ الْعِلْمِ شَيْئًا، وَقَدْ آتَانِي اللَّهُ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يُوْتِكَ. وَذَكَرْتَ أَنَّ جِلْمَكَ عَنِّي، وَاسْتَدَامَتَكَ فَيُنْكِرُ جَزَايَ عَلَيْكَ، ثُمَّ قُلْتَ: أَكُفْتُ مِنْ غَرْبِكَ، وَارْبَعٌ عَلَى ظُلْمِكَ، وَضَرَبْتَ لِي الْأَمْثَالَ، أَحَادِيثَ الضَّبْعِ، مَتَى رَأَيْتَنِي لِعُرَابِكَ هَائِبًا، وَمَنْ حَذَكَ نَاكِلاً وَقُلْتَ: لئن لَمْ تَكُفَّ لَتَجِدَنَّ جَانِبِي خَشِنًا، فَلَا أَبْقَى اللَّهُ عَلَيْكَ إِنْ أَبْقَيْتَ، وَلَا أَرْضَى عَلَيْكَ إِنْ أَرْغَبْتَ! فَوَاللَّهِ أَنْتَهَيْتَ عَن قَوْلِ الْحَقِّ، وَصَفَةَ أَهْلَ الْعَدْلِ وَالْفَضْلِ، وَذَمَّ الْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا، الَّذِينَ ضَلُّ سَبِيلَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسِبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا، وَالسَّلَامُ.

قَدِيمُ مَعَاوِيَةَ الْمَدِينَةَ رَاجِعًا مِنْ حَاجَةِ حَاجَتِهَا، فَكَثَّرَ النَّاسُ عَلَيْهِ فِي حَوَاجَتِهِمْ، فَقَالَ صَاحِبُ إِلَيْهِ: قَدَّمَ إِلَيْكَ لَيْلًا حَتَّى أَرْتَحِلَ، فَفَعَلَ ذَلِكَ، وَسَارَ وَلَمْ يَعْلَمْ بِأَمْرِهِ إِلَّا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزَّبِيرِ، فَإِنَّهُ رَكِبَ قَرَسَهُ وَفَقَّأَ آثَرَهُ، وَمَعَاوِيَةَ نَائِمٌ فِي هَوْدَجِهِ، فَجَعَلَ يَسِيرُ إِلَى جَانِبِهِ، فَانْتَبَهَ مَعَاوِيَةُ، وَقَدْ سَمِعَ وَقَعَ حَافِرِ الْقَرَسِ، فَقَالَ: مَنْ صَاحِبُ الْقَرَسِ؟ قَالَ: أَنَا أَبُو نُجَيْبٍ، لَوْ قَدْ قَتَلْتُكَ مِنْذُ اللَّيْلَةِ! يُمَارِضُهُ، فَقَالَ مَعَاوِيَةُ: كَلَّا لَسْتُ مِنْ قَتْلَةِ الْمُلُوكِ، إِنَّمَا يَصِيدُ كُلُّ طَائِفٍ قَدْرَهُ. فَقَالَ ابْنُ الزَّبِيرِ: إِلَيَّ تَقُولُ هَذَا، وَقَدْ وَقَفْتُ فِي الصَّفِّ بِإِزَاءِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، وَهُوَ مَنْ تَعْلَمُ! فَقَالَ مَعَاوِيَةُ: لَا جَرَمَ! إِنَّهُ قَتَلَكَ وَأَبَاكَ بِيَسْرَى يَدَيْهِ، وَبَقِيَتْ يَدُهُ الْيَمْنَى فَارْغَةَ يَطْلُبُ مَنْ يَقْتُلُهُ بِهَا.

فقال ابن الزبير: أما والله ما كان ذاك إلّا في نَصْر عثمان فلم نُجْز به، فقال معاوية: خَلْ هذا عنك، فوالله لولا شدة بُغْضِك ابن أبي طالب لَجَرَزْتُ برجل عثمان مع الضُّبُع. فقال ابن الزبير: أما والله ما كان ذاك إلّا في نَصْر عثمان فلم نُجْز به، فقال معاوية: خَلْ هذا عنك، فوالله لولا شدة بُغْضِك ابن أبي طالب لَجَرَزْتُ برجل عثمان مع الضُّبُع. فقال ابن الزبير: أَفَعَلْتُهَا يا معاوية! أما إِنَّا قد أَعْطَيْنَاكَ عَهْدًا، ونَحْنُ وافون لك به ما دَمَتْ حَيًّا، ولكن ليعلمن مَنْ بعدك، فقال معاوية: أما والله ما أَخَافُكَ إلّا على نفسك، ولكاني بك وأنت مشدودٌ مَرْبُوط في الأَنْشُوطَة، وأنت تقول: ليت أبا عبد الرحمن كان حَيًّا، وليتني كُنْتُ حَيًّا يومئذ، فأحلك حلًّا رقيقًا، ولبنس المطلق والمعنى والمُسْتَوْن عليه أنت يومئذ!

دَخَلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزَّبِيرِ عَلَى معاوية وعنده عمرو بنُ العاص، فتكلم عمرو - وأشار إلى ابن الزبير - فقال: هذا والله يا أمير المؤمنين الَّذِي غَرَّته أَنَاتُكَ، وأَبْطَرَهُ جَلْمُكَ، فهو يَنْزُو في نَشِطَتِهِ نَزْوُ الْعَبِيرِ في حِيَالِهِ<sup>(١)</sup>، كُلَّمَا قَمَصْتَهُ الْغُلُوءُ<sup>(٢)</sup> وَالشَّرَّةُ سَخَنَتِ الْأَنْشُوطَةُ مِنْهُ التَّفَرَّةُ، وأَخْبَرَهُ أَنْ يُوَوِّلَ إِلَى الْقِلَّةِ أَوْ الدَّلَّةِ، فقال ابنُ الزَّبِيرِ: أما والله يابنُ العاص، لولا أَنَّ الْإِيمَانَ أَلْزَمْنَا بِالْوَفَاءِ، وَالطَّاعَةَ لِلْخُلَفَاءِ - فنحن لا نريد بذلك بَدَلًا، ولا عنه جَوْلًا - لكان لنا وله ولك شأن، ولو وَكَّلَهُ الْقَضَاءُ إِلَى رَأْيِكَ، وَمَشُورَةُ نَظَرَاتِكَ لَدَاغَفْنَاهُ بِمَنْكِبٍ لَا تُتَوَدُّهُ الْمُرَاحِمَةُ، وَلَقَادَفْنَاهُ بِحَجَرٍ لَا تَنْكُوهُ الْمُرَاجِمَةُ، فقال معاوية: أما والله يابنُ الزَّبِيرِ لولا إِيثارِي الْأَنَاءَةَ عَلَى الْعَجَلِ، وَالصَّفْحَ عَلَى الْمُقْبَةِ، وَأَنْتَى كَمَا قَالَ الْأَوَّلُ:

أَجَامِلُ أَنْوَامًا حَيَاءً وَقَدْ أَرَى قُلُوبَهُمْ تَغْلِي عَلَيَّ مِرَاضُهَا

إِذَا لَقَرْتَنِكَ إِلَى سَارِيَةٍ مِنْ سَوَارِي الْحَرَمِ تُسَكِّنُ بِهَا غُلُوءًاكَ، وَيَنْقُطِعُ عِنْدَهَا طَمَعُكَ، وَتَنْقُصُ مِنْ أَمْلِكَ، مَا لَعَلَّكَ قَدْ لَوَيْتَهُ فَشَزَرْتَهُ، وَفَتَلْتَهُ فَأَبْرَمْتَهُ. وإيْمُ اللَّهِ إِنَّكَ مِنْ ذَلِكَ لَعَلَى شَرَفٍ جُرُفٍ بَعِيدِ الْهُوَّةِ، فَكُنْ عَلَى نَفْسِكَ وَلِهَا، فَمَا تَوَبَّقِ وَلَا تَنْقُذْ غَيْرَهَا، فَشَأْنُكَ وَإِيَّاهَا.

قَطَعَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزَّبِيرِ فِي الْخُطْبَةِ يَذْكُرُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَأَلَّهُ جَمْعًا كَثِيرَةً، فَاسْتَعْظَمَ النَّاسُ ذَلِكَ، فَقَالَ: إِنِّي لَا أَرْغَبُ عَنْ ذِكْرِهِ، وَلَكِنْ لَهُ أَهْلٌ سِوَا إِذَا ذَكَرْتَهُ أَتْلَعُوا أَعْنَاقَهُمْ، فَاِنَّا أَحِبُّ أَنْ أَكْتَبَهُمْ.

لَمَّا كَاشَفَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزَّبِيرِ بَنِي هَاشِمٍ وَأَظْهَرَ يُغَضُّهُمْ وَعَابَهُمْ، وَهُمْ بِمَا هُمْ بِهِ فِي أَمْرِهِمْ، وَلَمْ يَذْكُرْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي خُطْبَةٍ، لَا يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَلَا غَيْرَهَا، عَاتَبَهُ عَلَى ذَلِكَ قَوْمٌ مِنْ

(١) الحباله: الانطلاق. القاموس، مادة (حبل).

(٢) الغلواء: أول الشباب وسرعته. اللسان، مادة (غلو).

خاصته، وتشاءوا بذلك منه، وخافوا عاقبته، فقل: والله ما تركت ذلك علانيةً إلا وأنا أقوله سراً وأكثر منه، لكنني رأيتُ بني هاشم إذا سيعوا ذكره اشرأبوا واحمرت الواثهم، وطالت رقابهم، والله ما كنتُ لأتي لهم سروراً وأنا أقدر عليه، والله لقد هممتُ أن أحظر لهم حظيرةً ثم أضرمها عليهم ناراً، فإني لا أقتلُ منهم إلا أنما كُفَّاراً سخَّاراً، لا أنماهم الله ولا بآرك عليهم، بيت سوء لا أول لهم ولا آخر، والله ما ترك نبي الله فيهم خيراً، استفرغ نبي الله صدقهم فهم أكذب الناس.

فقام إليه محمَّد بنُ سعد بن أبي وقاص فقال: وفكك الله يا أمير المؤمنين! أنا أول من اعانك في أمرهم، فقام عبدُ الله بنُ صفوان بن أمية الجُمحي، فقال: والله ما قلتُ صواباً، ولا هممتُ برُشد، أَرَهَطَ رسول الله ﷺ تعيب، وإياهم تقتل، والعرب حَوْلُك! والله لو قتلَ عذتهم أهل بيت من التَّرك مُسلمين ما سوَّغَه الله لك، والله لو لم ينصُرهم الناس منك لنصرهم الله بنصره. فقال: اجلس أبا صفوان فلست بناموس.

فَبَلَغَ الخبرُ عبدَ الله بن العباس، فخرج مُغَضِّباً ومعه ابْنُه حتى أتى المسجد، فَقَصِدَ قَصْدَ المنبرِ فحمد الله وأثنى عليه، وصلى على رسول الله ﷺ ثم قال: أيها الناس، إن ابن الزبير يزعم أن لا أول لرسول الله ﷺ ولا آخر، فيا عَجَباً كُلَّ العَجَبِ لافتراءه ولكذبه! والله إن أول من أخذ الإيلاف وَحَمَى عِيْرَات قريش لهاشم، وإن أول من سقى بمِكةَ عَذْباً، وجعل باب الكعبة دَعْباً لَعْبُ المقلب، والله لقد نشأت ناشئنا مع ناشئة قُريش، وإن كنا لَقَالْتَهُمْ إذا قالوا، وَحُطِّبَاءَهُمْ إذا حُطِّبُوا، وما عَدَّ مَجْدَ كَمَجْدِ أَوْلَانَا، ولا كان في قُريشِ مَجْدٌ لِفَتِينَا، لأنَّها في كفر ماجق، ودين فاسق، وضلة وضلالة، في عَشَوَاءَ عَمِيَاءَ، حَتَّى اخْتَارَ الله تعالى لها نوراً، وَبَعَثَ لها سراجاً، فانتجبه طيباً من طيبين، لا يَشْبُهُ بمسبة، ولا يَبْغِي عليه غائلة، فكان أحدنا وولَدْنَا، عَمْنَا وابن عَمْنَا. ثم إن أسبق السابقين إليه منا ابنُ عَمَّنَا، ثم تلاه في السَّبقِ، أهلُنَا ولحمُنَا واحداً بعد واحد.

ثم إنَّا لخير الناس بعده وأكرمهم أدباً، وأشرَفهم حسَباً، وأقربهم منه رَحْماً.

واعتَجَباً كُلَّ العَجَبِ لابن الزبير! يعيبُ بني هاشم، وإنما شَرَفُ هو وأبوه وجَدُهُ بمُصَاهَرَتِهِمْ، أما والله إنه لمسلوب قريش، ومتى كان العوام بن حُوَيلِدَ يطمع في صفية بنت عبد المطلب! قيل للَبُّلُ: مَنْ أبوك يا بُلُّ؟ فقال: خالي الفَرَسُ. ثم نزل<sup>(١)</sup>.

خطب ابنُ الزبير بمِكةَ على المنبر، وابن عباس جالسٌ مع الناس تحت المنبر، فقال: إنَّ

هاهنا رجلاً قد أعمى الله قلبه كما أعمى بصره، يزعم أن ثمة النساء حلال من الله ورسوله، ويؤتي في القملة والثملة، وقد احتل بيت مال البصرة بالأمس، وترك المسلمين بها يرتضخون النوى، وكيف الوهم في ذلك، وقد قاتل أم المؤمنين وخواري رسول الله ﷺ، ومن وقاه بيده!

فقال ابن عباس لقائده سعد بن جبير بن هشام مولى بني أسد بن خزيمة: استقبل بي وجه ابن الزبير، وارفع من صدري، وكان ابن عباس قد كُفَّ بصره فاستقبل به قائده وجه ابن الزبير، وأقام قامته فحسر عن ذراعيه، ثم قال يابن الزبير:

قد أنصف القارة من رامها      إننا إذا ما فئة نلقاها  
نرد أولاهما على أخرامها      حتى نصير حرضاً دغواها

يابن الزبير، أما العمى فإن الله تعالى يقول: ﴿لَئِنَّا لَا نَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ نَعْمَى الْقُلُوبَ الَّتِي فِي الْأَشْدِيرِ﴾<sup>(١)</sup>، وأما فتياي في القملة والثملة، فإن فيها حُكْمين لا تعلمها أنت ولا أصحابك. أما حملي المال فإنه كان مالا جبيناه فأعطينا كل ذي حق حقه، وبقيت بقيته هي دون حقنا في كتاب الله فأخذناها بحقنا. وأما الثمة فسل أمك أسماء إذا نزلت عن بُردَي عوسجة. وأما قتالنا أم المؤمنين فبنا سئيت أم المؤمنين لا بك ولا بأبيك، فانطلق أبوك وخالك إلى جباب مده الله عليها، فهتكاه عنها، ثم اتخذاه فتنة يقايلان دونها، وصانا حلالهما في بيوتهما، فما أنصفا الله ولا محتداً من أنفسهما أن أبززا زوجة نبيه وصانا حلالهما. وأما قتالنا إياكم فإننا لقينا زخفا، فإن كنا كُفَّاراً فقد كفرتكم بفراركم منا، وإن كنا مؤمنين فقد كفرتكم بقتالكم إيانا، وإيم الله لولا مكان ضيئة فيكم، ومكان خديجة فينا، لما تركت لبني أسد بن عبد العزى عظماً إلا كسرت.

فلما عاد ابن الزبير إلى أمه سألها عن بُردَي عوسجة، فقالت: ألم أنهك عن ابن عباس وعن بني هاشم! فإنهم كُفُّوا الجواب إذا بدوها، فقال: بلى، وعصيتك.

فقالت: يا بُنَيَّ، احذر هذا الأعمى الذي ما أطاقت الإنس والجن، واعلم أن عنده فضائح قرش ومخازيها بأسرها، فإنك وإياه آخر الدهر، فقال: أيمن بن خريم بن فاتك الأسدي:

يابن الزبير لقد لاقيت بانقة      من البوائق فالطف لطف مختال  
لاقيته هاشمياً طاب منبئه      في مغرسيه كريم العم والخال  
ما زال يقرع عنك العظم مقتدرا      على الجواب بصوت مسمع عال  
حتى رأيتك مثل الكلب منججراً      خلف القبيط وكنت الباذع العالي<sup>(٢)</sup>

(٢) القبيط: الرُخْل: اللسان، مادة (غبط).

(١) سورة الحج، الآية: ٤٦.

إِنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ الْمَعْرُوفَ حَكَمْتَهُ      خَيْرُ الْأَنَامِ لَهُ حَالٌ مِنَ الْحَالِ  
عَبَّرَتْهُ الْمُتَعَةِ الْمُتَبَوِّعُ سُنَّتَهَا      وَبِالْقِتَالِ وَقَدْ عَيَّرَتْ بِالْمَالِ  
لَمَّا رَكَكَ عَلَى رِشْلِ بِأَسْهُمِهِ      جَرَّتْ عَلَيْكَ بِسَيْفِ الْحَالِ وَبِالْبَالِ  
فَاحْتَزَّ بِقَوْلِكَ الْأَعْلَى بِشَفَرَتِهِ      حَزًّا وَجِيًّا بِلَا قِبَلٍ وَلَا قَالِ  
وَاعْلَمْ بِأَنَّكَ إِنْ عَاوَذْتَ غَيْبَتَهُ      عَادَتْ عَلَيْكَ مَخَازِيْ ذَاتِ أَذْيَالِ

وَرَوَى عِثْمَانُ بْنُ طَلْحَةَ الْعَبْدِيُّ، قَالَ: شَهِدْتُ مِنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَحِمَهُ اللَّهُ مَشْهُدًا مَا سَوَفَتْهُ مِنْ رَجُلٍ مِنْ قُرَيْشٍ، كَانَ يُوضَعُ إِلَى جَانِبِ سَرِيرِ مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ - وَهُوَ يَوْمُئِذٍ أَمِيرُ الْمَدِينَةِ - سَرِيرٌ آخَرُ أَصْغَرَ مِنْ سَرِيرِهِ، فَيَجْلِسُ عَلَيْهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ إِذَا دَخَلَ، وَتُوضَعُ الْوَسَائِدُ فِيمَا بَيْنَهُمَا ذَلِكَ، فَأُذِنَ مَرْوَانُ يَوْمًا لِلنَّاسِ، وَإِذَا سَرِيرٌ آخَرُ قَدْ أُحْدِثَ تَجَاءَ سَرِيرِ مَرْوَانَ، فَأَقْبَلَ ابْنُ عَبَّاسٍ فَجَلَسَ عَلَى سَرِيرِهِ، وَجَاءَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ فَجَلَسَ عَلَى السَّرِيرِ الْمُحْدَثِ، وَسَكَتَ مَرْوَانُ وَالْقَوْمُ، فَإِذَا يَدُ ابْنِ الزُّبَيْرِ تَحَرَّكَ فَعَلِمَ أَنَّهُ يَرِيدُ أَنْ يَنْطِقَ، ثُمَّ نَطَقَ فَقَالَ: إِنَّ نَاسًا يَزْعُمُونَ أَنَّ بَيْعَةَ أَبِي بَكْرٍ كَانَتْ غُلَطًا وَقَلْتُمْ وَمِغَالِبَةً، أَلَا إِنَّ شَأْنَ أَبِي بَكْرٍ أَعْظَمُ مِنْ أَنْ يُقَالَ فِيهِ هَذَا، وَيَزْعُمُونَ أَنَّهُ لَوْلَا مَا وَقَعَ لَكَانَ الْأَمْرُ لَهُمْ وَفِيهِمْ، وَاللَّهُ مَا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ أَحَدٌ أَثَبَّتَ إِيْمَانًا، وَلَا أَعْظَمَ سَابِقَةً مِنْ أَبِي بَكْرٍ، فَمَنْ قَالَ غَيْرَ ذَلِكَ فَعَلِيهِ لَعْنَةُ اللَّهِ فَإِنَّهُمْ هُمْ حِينَ عَقَدَ أَبُو بَكْرٍ لِعَمْرٍ، فَلَمْ يَكُنْ إِلَّا مَا قَالَ، ثُمَّ أَلْقَى عَمْرٌ حُظْلَهُمْ فِي حُظُوظٍ، وَجَدَّهُمْ فِي جُدُودٍ، فَكَسَمْتُ تِلْكَ الْحُظُوظَ، فَأَخَّرَ اللَّهُ سَهْمَهُمْ، وَأَدْحَضَ جُلُودَهُمْ، وَوَلَّى الْأَمْرَ عَلَيْهِمْ مَنْ كَانَ أَحَقُّ بِهِ مِنْهُمْ، فَخَرَجُوا عَلَيْهِ خُرُوجَ اللَّصُوصِ عَلَى النَّاجِرِ خَارِجًا مِنَ الْقَرْيَةِ، فَاصْبَاوْا مِنْهُ غِرَّةً فَفَقَلْتُوهُ، ثُمَّ قَتَلْتُمُ اللَّهَ بِهِ قِتْلَةً، وَصَارُوا مَطْرُودِينَ تَحْتَ بُطُونِ الْكَوَاكِبِ.

فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: عَلَى رِشْلِكَ أَيُّهَا الْقَاتِلُ فِي أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرُ وَالْخُلَافَةُ، أَمَا وَاللَّهِ مَا نَالَا وَلَا نَالَ أَحَدٌ مِنْهُمَا شَيْئًا إِلَّا وَصَاحِبُنَا خَيْرٌ مِنْ نَالَا، وَمَا أَنْكَرْنَا تَقَدُّمَ مَنْ تَقَدَّمَ لِعُيُبِ عَيْنَاهُ عَلَيْهِ، وَلَوْ تَقَدَّمَ صَاحِبُنَا لَكَانَ أَهْلًا وَفُورًا الْأَهْلُ، وَلَوْلَا أَنَّكَ إِنَّمَا تَذْكُرُ حَقَّ غَيْرِكَ وَشَرَفَ أَمْرِي سِوَاكَ لِكَلِمَتِكَ، وَلَكِنْ مَا أَنْتَ وَمَا لَا حَقَّ لَكَ فِيهِ! اقْتَصِرْ عَلَى حَقِّكَ، وَدَعْ تَيْمَأً لَيْتِيْمَ، وَعَدِيًّا لَعْدِي، وَأُمِيَّةً لَأُمِيَّةٍ، وَلَوْ كَلَّمَنِي تَيْمِيٌّ أَوْ عَدُوِّي أَوْ أَمُوِّي لِكَلِمَتِهِ وَأَخْبَرْتُهُ خَبْرَ حَاضِرٍ عَنْ حَاضِرٍ، لَا خَبْرَ غَائِبٍ عَنْ غَائِبٍ، وَلَكِنْ مَا أَنْتَ، وَمَا لَيْسَ عَلَيْكَ إِنْ كَانَ يَكُنْ فِي أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى شَيْءٌ فَهُوَ لَكَ، أَمَا وَاللَّهِ لَنَحْنُ أَقْرَبُ بِكَ عَهْدًا، وَأَبْيَضُ عِنْدَكَ يَدًا، وَأَوْفَرُ عِنْدَكَ نِعْمَةً مِمَّنْ أَمْسَيْتَ، نَطَقْنَا أَنْتَ تَصُولُ بِهِ عَلَيْنَا، وَمَا أَخْلَقَ ثَوْبٌ صَفِيَّةً بَعْدَا وَاللَّهِ الْمُسْتَعَانَ عَلَى مَا تُصِفُونَ.

أَوْصَى مَعَاوِيَةَ بِزَيْدِ ابْنِهِ لَمَّا عَقَدَ لَهُ الْخُلَافَةَ بَعْدَهُ، فَقَالَ: إِنِّي لَا أَخَافُ عَلَيْكَ إِلَّا مَتْنِ

أوصيك بحفظ قرابته ورعاية حق رحمه، من القلوب إليه مائلة، والأهواء نحوه جانحة،  
والأعين إليه طامحة، وهو الحسين بن علي، فاقسم له نصيباً من جلمك، واخصه بقسط وافر  
من مالك، ومثعه بروح الحياة، وأبلغ له كل ما أحب في أيامك، فأما من عداه فثلاثة: وهم  
عبد الله بن عمر رجل قد وقفته العباد، فليس يريد الدنيا إلا أن تجيئه طائفة لا تراق فيها  
محجمة دم، وعبد الرحمن بن أبي بكر، رجل قفل لا يحمل قفلاً، ولا يستطيع نهوضاً، وليس  
بذي همة ولا شرف ولا أعوان، وعبد الله بن الزبير وهو الذنب الماكر، والتعلب الخاير، فوجه  
إليه جلدك وعزمتك وتكبيرك ومكرك، واصرف إليه سطوتك، ولا تثق إليه في حال، فإنه  
كالثعلب، راغ بالختل عند الإرماق، والليث صال بالجرأة عند الإطلاق، وأما ما بعد هؤلاء  
فأنتي قد قطأت لك الأمم، وذلت لك أعناق المناير، وكثيتك من قرب منك، ومن بعد عنك:  
فكن للناس كما كان أبوك لهم يكونوا لك كما كانوا لأبيك.

خطب عبد الله بن الزبير أيام يزيد بن معاوية فقال في خطبته: يزيد القرد، يزيد الفهود،  
يزيد الخمر، يزيد الفجور أما والله لقد بلغني أنه لا يزال مخموراً يخطب الناس وهو طافح  
في سكره. فبلغ ذلك يزيد بن معاوية، فما أمسى ليلته حتى جهز جيش الحرّة، وهو عشرون  
ألفاً، وجلس والشموخ بين يديه، وعليه ثياب مصفرة، والجنود تعرض عليه ليلاً، فلما أصبح  
خرج فأبصر الجيش، ورأى تميته فقال:

أبلغ أبا بكر إذا الجيش انبهرى      وأخذ القوم على وادي القري  
عشرين ألفاً بين كهل وقسى      أجمع سكران من القوم ترى  
أم جمع ليث دونه ليث الشري

لما خرج الحسين عليه السلام من مكة إلى العراق ضرب عبد الله بن عباس بيده على منكب ابن  
الزبير، وقال:

يَا لَكَ مِنْ قُبْرَةٍ بِمَعَمَرٍ      خلا لك الجو فيبغضي واضفري<sup>(١)</sup>  
ونقري ما شئت أن تنقري      هذا الحسين سائر فابشري  
خلا الجو والله لك يابن الزبير! وسار الحسين إلى العراق، فقال ابن الزبير: يابن عباس،  
والله ما ترون هذا الأمر إلا لكم، ولا ترون إلا أنكم أحق به من جميع الناس، فقال ابن عباس:

(١) القبرة: طائر. القاموس، مادة (قبر).

إنما يرى مَنْ كان في شك، ونحن من ذلك على يَقِين ولكن أَخْبِرْنِي عن نفسك، بماذا تَرُوم هذا الأمر؟ قال: بِشْرَفِي، قال: وبماذا شَرَفْتِ إِنْ كَانَ لَكَ شَرَفٌ؟ فإنما هو بنا، فنحن أَشْرَفُ مِنْكَ، لَأَنَّ شَرَفَكَ مِنَّا. وعلَّتْ أصواتُهُمَا، فقال غلام من آل الزبير: دَعْنَا مِنْكَ يَا بَنَ عَبَّاسٍ، فوالله لَا تُحْبِرُنَا يَا بَنِي هَاشِمٍ وَلَا تُحْبِكُمْ أَبَدًا، فَلَطَمَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ بِيَدِهِ وقال: اتَّكَلُمُ وَأَنَا حَاضِرًا فقال ابْنُ عَبَّاسٍ: لَمْ ضَرَبْتَ الْغُلَامَ، وَاللهُ أَحَقُّ: بِالضَّرْبِ مِنْهُ مَن مَرَّقَ وَمَرَّقَ، قال: وَمَنْ هُوَ؟ قال: أَنْتَ.

قال: واعترض بينهما رجالٌ من قُرَيْشٍ فاسكتوهما.

دخل عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ عَلَى معاوية، فقال: اسمع أَيْبَاتًا قَلَّتْهَا عَائِبَتُكَ فِيهَا، قال: هَاتِ، فَأَنْشَدَهُ:

لَعَمْرِي مَا أَذْرِي وَإِنِّي لَا وَجَلَ	عَلَى أَيْنَا تَغْدُو الْمَنِيَّةُ أَوَّلُ
وَإِنِّي أَخُوكَ الذَّائِمُ الْعَهْدُ لَمْ أَزَلْ	إِنْ أَعْيَاكَ خُضْمٌ أَوْ نَبَا بِكَ مَنَزَلُ
أَحَارِبُ مِنْ حَارَزْتِ مِنْ ذِي عِدَاوَةٍ	وَأَحْبِسُ يَوْمًا إِنْ حُبِسْتَ فَأَعْقِلُ
وَإِنْ سَوَّيْتَنِي يَوْمًا صَفَعْتُ إِلَى غَدٍ	لِيَعْقِبَ يَوْمٌ مِنْكَ آخِرُ مُقْبَلُ
سَتَقَطِّعُ فِي الدُّنْيَا - إِذَا مَا قَطَعْتَنِي -	يَمِينُكَ، فَاَنْظُرِ أَيَّ كَفٍّ تَبْدُلُ
إِذَا أَنْتَ لَمْ تُنْصِفْ أَخَاكَ وَجَدْتَهُ	عَلَى طَرَفِ الْهَجْرَانِ إِنْ كَانَ يَعْقِلُ
وَيَرْكَبُ حَدَّ السِّيفِ مِنْ أَنْ تُضَيِّمَهُ	إِذَا لَمْ يَكُنْ عَنْ شَفْرَةِ السِّيفِ مَعْدِلُ
وَكُنْتُ إِذَا مَا صَاحَبْتُ مَلَّ صَحْبَتِي	وَيَذَلُّ شَرًّا بِالَّذِي كُنْتُ أَفْعَلُ
قَلْبْتُ لَهُ ظَهَرَ الْمِجَنِّ وَلَمْ أَقُمْ	عَلَى الضُّمِّ إِلَّا رَيْشَمَا أَتَحَوَّلُ
وَفِي النَّاسِ إِنْ رَقْتُ جِبَالُكَ وَاصِلٌ	وَفِي الْأَرْضِ عَنْ دَارِ الْقَلَى مَتَحَوِّلٌ <sup>(١)</sup>
إِذَا انصَرَفْتُ نَفْسِي عَنِ الشَّيْءِ لَمْ تَكُذْ	إِلَيْهِ بِوَجْهِ آخِرِ الدَّهْرِ تَقْبِلُ

فقال معاوية: لَقَدْ شَعَرْتُ بِعَدِي يَا أَبَا حُبَيْبٍ! وَبَيْنَمَا هُمَا فِي ذَلِكَ دَخَلَ مَعْنُ بْنُ أَوْسٍ الْمُزَنِّي، فَقَالَ لَهُ معاوية: إِيوَا! هَلْ أَحَدُتُ بِعَدْنَا شَيْئًا؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: قُلْ، فَأَنْشَدَ هَذِهِ الْأَيَّاتِ، فَعَجِبَ معاويةُ وَقَالَ لابْنُ الزُّبَيْرِ: أَلَمْ تَنْشُدْهَا لِنَفْسِكَ أَتَفَا؟ فقال: أَنَا سَوِّيتُ الْمَعَانِي، وَهُوَ أَلْفُ الْأَلْفَاظِ وَنَظْمُهَا، وَهُوَ بَعْدُ يُلْثَرِي، فَمَا قَالَ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ لِي - وَكَانَ ابْنُ الزُّبَيْرِ مُسْتَرْضِعًا فِي مُزَيْنَةَ - فقال معاوية: وَكَذِبًا يَا أَبَا حُبَيْبٍ! فَقَامَ عَبْدُ اللَّهِ فخرَجَ.

(١) القلى: البغض. اللسان، مادة (قلو).

وقال الشعبي: فقد رأيت عجباً بفناء الكعبة أنا وعبد الله بن الزبير وعبد الملك بن مروان ومصعب بن الزبير، فقام القوم بعد ما فرغوا من حديثهم، فقالوا: لِيَقُمْ كُلُّ واحدٍ منكم، فليأخذ بالركن اليماني، ثم يسأل الله تعالى حاجته، فقام عبد الله بن الزبير فالتزم الركن وقال: اللهم إنك عظيمٌ تُرجى لكلٌ عظيم، أسألك بخرمة وجهك وحرمة عرشك وحرمة بيتك هذا، ألا تخرجني من الدنيا حتى ألي الحجاز، ويسلم علي بالخلافة، وجاء فجلس.

فقام أخوه مصعب فالتزم الركن وقال: اللهم رب كل شيء، وإليك مصير كل شيء، أسألك بقدرتك على كل شيء، ألا تميّتي حتى ألي العراق، وأتزوج سكينه بنت الحسين بن علي، ثم جاء فجلس.

فقام عبد الملك فالتزم الركن وقال: اللهم رب السماوات السبع، والأرض ذات النبت والفقر، أسألك بما سألك به المطيعون لأمرك، وأسألك بحق وجهك، وبحقك على جميع خلقك، ألا تميّتي حتى ألي شرق الأرض وغربها، لا ينأ عنني أحد إلا ظهرْتُ عليه، ثم جاء فجلس.

فقام عبد الله بن عمر فأخذ بالركن وقال: يا رحمن يا رحيم، أسألك برحمتك التي سبقت غضبك، وبقدرتك على جميع خلقك، ألا تميّتي حتى توجب لي الرحمة.

قال الشعبي: فوالله ما خرجت من الدنيا حتى بلغ كل من الثلاثة ما سأل، وأخلق بعبد الله بن عمر أن تجاب دعوته، وأن يكون من أهل الرحمة.

قال الحجاج في خطبته يوم دخل الكوفة: هذا أدب ابن نهية، أما والله لأؤدبتكم غير هذا الأدب.

قال ابن مأكولا في كتاب الإكمال: «يعني مصعب بن الزبير وعبد الله أخاه، وهي نهية بنت سعيد بن سهم بن هُصَيْن، وهي أم ولد أسد بن عبد العزى بن قُصَي»، وهذا من المواضع الغامضة.

وروى الزبير بن بكار في كتاب أنساب قريش قال: قديم وفد من العراق على عبد الله بن الزبير، فأتوه في المسجد الحرام، فسلموا عليه، فسألهم عن مصعب أخيه وعن سيرته فيهم، فأنشأ عليه، وقالوا: خيراً، وذلك في يوم جمعة، فصلى عبد الله بالناس الجمعة، ثم صعد المنبر، فحمد الله ثم تمثّل:

قد جربوني ثم جربوني      من غلوتيني ومن المنين  
حتى إذا شأبوا وشيَّبوني      خلّوا عناني ثم سيَّبوني

أيها الناس، إني قد سألت هذا الوفد من أهل العراق عن عاملهم مصعب بن الزبير فأحسنوا الشاء عليه، وذكروا عنه ما أحب، ألا إن مصعباً أطبى القلوب حتى لا تعدل به، والأمواء حتى لا



تَحُولُ عَنْهُ، وَاسْتِمَالُ الْأَلْسُنِ بِشَانِهَا، وَالْقُلُوبُ بِنِصَانِحِهَا، وَالْأَنْفُسُ بِمَحَبَّتِهَا وَهُوَ الْمَحْبُوبُ فِي خَاصَّتِهِ، الْمَأْمُونُ فِي عَامَّتِهِ، بِمَا أَطْلَقَ اللَّهُ بِهِ لِسَانَهُ مِنَ الْخَيْرِ وَيَسَّطَ بِهِ يَدَيْهِ مِنَ الْبَذْلِ، ثُمَّ نَزَلَ.

وَرَوَى الزَّيْبِرُ قَالَ: لَمَّا جَاءَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزَّيْبِرِ نَعْمَى الْمَصْعَبِ صَبَدَ الْمَنْبِرَ فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ، يُوْتِي الْمُلْكَ مَنْ يَشَاءُ، وَيَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ يَشَاءُ، وَيُعَزِّزُ مَنْ يَشَاءُ، وَيُذِلُّ مَنْ يَشَاءُ، أَلَا وَإِنَّهُ لَمْ يُذِلَّلْ اللَّهُ مِنْ كَانَ الْحَقُّ مَعَهُ وَلَوْ كَانَ قَرْذًا، وَلَمْ يُعَزَّزْ اللَّهُ وَلِيَّ الشَّيْطَانِ وَجُزْئِهِ وَإِنْ كَانَ الْأَنَامُ كُلُّهُمْ مَعَهُ، أَلَا وَإِنَّهُ قَدْ أَتَانَا مِنَ الْعِرَاقِ خَبَرٌ أَحْزَنُنَا وَأَفْرَحُنَا، أَنَا نَا قَتَلَ الْمَصْعَبِ رَحِمَهُ اللَّهُ، فَأَمَّا الَّذِي أَحْزَنُنَا فَإِنَّ لِفِرَاقِ الْحَمِيمِ لَذَّةً يَجِدُهَا حَمِيمُهُ عِنْدَ الْمَصْيَةِ، ثُمَّ يَزْعُوِي بَعْدَهَا ذُو الرَّأْيِ إِلَى جَمِيلِ الصَّبْرِ وَكَرَمِ الْعَزَاءِ، وَأَمَّا الَّذِي أَفْرَحُنَا فَإِنَّ قَتْلَهُ كَانَ عَنْ شَهَادَةٍ، وَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى جَعَلَ ذَلِكَ لَنَا وَلَهُ ذَخِيرَةً. أَلَا إِنَّ أَهْلَ الْعِرَاقِ، أَهْلَ الْغَدْرِ وَالنِّفَاقِ، أَسْلَمُوهُ وَيَا عُوهُ بِأَقْلٍ الثَّمَنِ، فَإِنْ يَقْتُلِ الْمَصْعَبَ فَإِنَّا اللَّهُ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ! مَا نَمُوتُ جَبِيحًا كَمَا يَمُوتُ بَنُو الْعَاصِ، مَا نَمُوتُ إِلَّا قَتْلًا، قَعَصًا بِالرِّمَاحِ، وَمَوْتًا تَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ، أَلَا إِنَّمَا الدُّنْيَا عَارِيَةٌ مِنَ الْمَلِكِ الْأَعْلَى الَّذِي لَا يَزُولُ سُلْطَانُهُ وَلَا يَبِيدُ، فَإِنْ تُقْبِلِ الدُّنْيَا عَلَيَّ لَا أَخْذُهَا أَخْذَ الْأَشِيرِ الْبَطَرِ، وَإِنْ تُذْبِرْ عَنِّي لَا أَبْكِي عَلَيْهَا بِكَاءِ الْخَرْفِ الْمَهْتَرِ، وَإِنْ يَهْلِكِ الْمُصْعَبُ فَإِنَّ فِي آلِ الزَّيْبِرِ لَخَلْفًا. ثُمَّ نَزَلَ.

وَرَوَى الزَّيْبِرُ بْنُ بَكَّارٍ قَالَ: خَطَبَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزَّيْبِرِ بَعْدَ أَنْ جَاءَهُ مَقْتَلُ الْمَصْعَبِ، فَحَمِدَ اللَّهَ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ: لَنْ أَصِيبَتْ بِمَصْعَبٍ فَلَقْدَ أَصِيبَتْ بِأَمَامِي عِشْمَانِ، فَعَظَمْتَ مَصْيَتَهُ، ثُمَّ أَحْسَنَ اللَّهُ وَأَجْمَلَ، وَلَنْ أَصِيبَتْ بِمُصْعَبٍ فَلَقْدَ أَصِيبَتْ بِأَبِي الزَّيْبِرِ، فَعَظَمْتَ مُصْيَتَهُ، فَظَنَنْتُ أَنِّي لَا أَجِيزُهَا، ثُمَّ أَحْسَنَ اللَّهُ وَسَلَّمْ، وَاسْتَمَرَّتْ مَرِيرَتِي، وَهَلْ كَانَ مُصْعَبٌ إِلَّا فَتَى مِنْ فِتْيَانِي! ثُمَّ غَلِبَهُ الْبُكَاءُ فَسَالَثَ دُمُوعُهُ وَقَالَ: كَانَ وَاللَّهِ سَرِيًّا مَرِيًّا، ثُمَّ قَالَ:

هُمْ دَفَعُوا الدُّنْيَا عَلَى حِينٍ أَعْرَضَتْ كِرَامًا وَسَنُّوا لِلْكَرَامِ التَّاسِيَا

وَرَوَى أَبُو الْعَبَّاسِ فِي الْكَامِلِ أَنَّ عُرْوَةَ لَمَّا صُلِبَ عَبْدُ اللَّهِ جَاءَ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ فَوَقَفَ بِيَابِهِ، وَقَالَ لِلْحَاجِبِ: أَغْلِمِ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ بِالْبَابِ، فَدَخَلَ الْحَاجِبُ فَقَالَ: رَجُلٌ يَقُولُ قَوْلًا عَظِيمًا. قَالَ: وَمَا هُوَ؟ فَتَهَيَّبَ، فَقَالَ: قُلْ. قَالَ: رَجُلٌ يَقُولُ: قُلْ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ: أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بِالْبَابِ، فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ: قُلْ لِعُرْوَةَ يَدْخُلُ، فَدَخَلَ فَقَالَ: تَأْمُرُ بِإِنزَالِ جِيفَةِ أَبِي بَكْرٍ فَإِنَّ النِّسَاءَ يَجْزَعْنَ، فَأَمَرَ بِإِنزَالِهِ. قَالَ: وَقَدْ كَانَ كَتَبَ الْحَاجِبُ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ يَقُولُ: إِنَّ خَزَائِنَ عَبْدِ اللَّهِ عِنْدَ عُرْوَةَ، فَمَرَوْهُ فَلْيَسْلُمُهَا، فَدَفَعَ عَبْدُ الْمَلِكِ إِلَى عُرْوَةَ، وَظَنَّ أَنَّهُ يَتَغَيَّرُ، فَلَمْ يَحْفَلْ بِذَلِكَ كَأَنَّهُ مَا قَرَأَ، فَكَتَبَ عَبْدُ الْمَلِكِ إِلَى الْحَاجِبِ أَلَّا يَعْرِضَ لِعُرْوَةَ.

ومن الكلام المشهور في بُخل عبد الله بن الزبير الكلام الذي يُحكى أن أعرابياً أتاه يستحمله، فقال: قد نَقَبْتُ خُفِّي راجِئاًني فاحملني إني قطعْتُ الهواجر إليك عليها، فقال له: ارتفعها بسِتِّ، واخصفها بهُلْب، وأنجد بها، وسِرْ بها البردين فقال: إنما أتيتُك مستحماً، لم أتِك مستوصفاً، لعن الله ناقةً حملتني إليك، قال: إنْ وراكها.

وهذا الأعرابي هو فضالة بن شريك، فهجاه فقال:

أَرَى الْحَاجَاتِ عِنْدَ أَبِي خُبَيْبٍ      نَكِذْنَ وَلَا أُمِّيَةً بِالْبِلَادِ  
مِنَ الْأَعْيَاصِ أَوْ مِنْ آلِ حَرْبٍ      أَغْرَ كُفْرَةَ الْفَرَسِ الْجَوَادِ

دخل عبد الله بن الزبير على معاوية فقال: يا أمير المؤمنين، لا تدعن مروان يرمي جماهير قُرَيْشٍ بِمَشَاقِصِهِ<sup>(١)</sup>، وَيَضْرِبَ صَفَاتَهُمْ بِمَعْوَلِهِ. أما والله، إنه لولا مكانك لكان أَخَفْتُ عَلَى رِقَابِنَا مِنْ فَرَّاشَةٍ، وَأَقْلُ فِي أَنْفُسِنَا مِنْ خُشَّاشَةٍ، وَإِيْمُ اللَّهِ لَئِنْ مَلَكَ أَجَنَةٌ خَيْلٌ تَنْقَادُ لَهُ لَتَرْكَبَنَّ مِنْهُ طَبَقاً تَخَافُهُ.

فقال معاوية: إنْ يَطْلُبْ مَرْوَانَ هَذَا الْأَمْرُ فَقَدْ طَمِعَ فِيهِ مَنْ هُوَ دُونَهُ، وَإِنْ يَتْرُكُهُ يَتْرُكُهُ لِمَنْ فَوْقَهُ، وَمَا أَرَاكُمْ يَمْتَنِّهِينَ حَتَّى يَبْعَثَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ مِنْ لَا يَعْطِفُ عَلَيْكُمْ بِقَرَابَةٍ، وَلَا يَذْكُرْكُمْ عِنْدَ مُلْعَمَةٍ، يَسُومُكُمْ خُسْفاً، وَيَسُوقُكُمْ عَسْفاً.

فقال ابن الزبير: إِذْنُ وَاللَّهِ يَطْلُقُ عَقَالَ الْحَرْبِ بِكَتَابِ تَمُورِ كَرِجَلِ الْجَرَادِ، تَتَّبِعُ غُظُوفُهَا مِنْ قُرَيْشٍ لَمْ تَكُنْ أُمُّ رَاعِيَةٍ ثَلَّةً.

فقال معاوية: أَنَا ابْنُ هِنْدٍ، أَطْلَقْتُ عَقَالَ الْحَرْبِ، فَأَكَلْتُ فِزْوَةَ السَّتَامِ، وَشَرِبْتُ عُثْنَوَانَ الْمَكْرَجِ وَلَيْسَ لِلْأَكْلِ بَعْدِي إِلَّا الْفُلْدَةُ، وَلَا لِلشَّارِبِ إِلَّا الرَنْقُ. فَسَكَتَ ابْنُ الزَّبِيرِ.



قَدِمَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزَّبِيرِ عَلَى مُعَاوِيَةَ وَاقْدَأَ، فَرَحَّبَ بِهِ وَأَدْنَاهُ حَتَّى أَجْلَسَهُ عَلَى سُرُورِهِ، ثُمَّ قَالَ: حَاجَتُكَ أَبَا خُبَيْبٍ! فَسَأَلَهُ أَشْيَاءَ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: سَلْ غَيْرَ مَا سَأَلْتَ، قَالَ: نَعَمْ، الْمَهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ تَرُدُّ عَلَيْهِمْ فِينَهُمْ، وَتَحْفَظُ وَصِيَّةَ نَبِيِّ اللَّهِ فِيهِمْ، تَقْبَلُ مِنْ مُحْسِنِهِمْ، وَتَتَجَاوَزُ عَنْ مُسِيئَتِهِمْ.

فقال معاوية: هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ، لَا وَاللَّهِ مَا تَأْمَنُ التَّمَجَّةُ اللَّذْبُ وَقَدْ أَكَلَ أَلْبَيْهَا.

فقال ابن الزبير: مَهْلاً يَا مُعَاوِيَةَ، فَإِنَّ الشَّاةَ لَتَنْزِلَ لِلْحَالِبِ وَإِنَّ الْمُذْبِيَةَ فِي يَدِهِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ الْأَرَبِيَّ لَيُصَانَعُ وَلَدَهُ الَّذِي خَرَجَ مِنْ صُلْبِهِ، وَمَا تَدُورُ الرَّحَى إِلَّا بِغُظْلِبِهَا، وَلَا تَصْلُحُ الْقَوْمُ إِلَّا بِمَغْفِجِهَا.

(١) المشقص: نصل السهم إذا كان طويلاً غير عريض. اللسان، مادة (شقص).

فقال: يا أبا حُبيب، لقد أجزرت الطرُوقَة قبل هِباب الفُحل هيهات، وهي لا تصطك لحبائها اصطكاك القروم السوامي.

فقال ابن الزبير: العَطَن بعد العَلّ، والعلّ بعد التَّهَل، ولا بدّ للرحاء من الثَّغال ثم نهض ابن الزبير.

فلما كان العشاء أخذت قُريش مجالسها، وخرج معاوية على بني أمية فوجد عمرو بن العاص فيهم، فقال: ويحكم يا بني أمية! أفيكم من يكفيني ابن الزبير؟ فقال عمرو: أنا أكفيك يا أمير المؤمنين، قال: ما أظنك تفعل؟ قال: بلى والله لأريّذن وجهه، ولأخرسن لسانه، ولأردنه ألين من خيملة.

فقال: دونك، فاغرض له إذا دخل. فدخل ابن الزبير - وكان قد بلغه كلام معاوية وعمرو - فجلس نصب عيني عمرو، فتحدّثوا ساعة ثم قال عمرو:

وإني لনার ما يطاق اصطلاؤها لذي كلام مُعْضِل مُتَفَايِم  
فأطرق ابن الزبير ساعةً يَنكُثُ في الأرض، ثم رفع رأسه وقال:

وإني لبَحْر ما يُسامى عُبابه مَتى يَلْقَ بِحَرِي حَرّ نارِكَ يَخْمُد

فقال عمرو: والله يابن الزبير إنك ما علمت لمتجلبب جلايب الفتنة، متأزر بوصائل التَّيه، تتعاطى الذرا الشاهقة، والمعالى الباسقة. وما أنت من قريش في لباب جوهرها ولا مؤنق حسبها!

فقال ابن الزبير: أما ما ذكرت من تعاطي الذرا فإنه طال بي إليها وسما ما لا يُطول بك مثله: أنف جمي، وقَلْبٌ دَكِي، وصارمٌ مشرفي، في تلييد فارغ، وطريف مانع، إذ قعد بك انتفاخ سحرِك، ووجيب قَلْبِك. وأما ما ذكرت من أني لسْتُ من قريش في لباب جوهرها، ومؤنق حسبها، فقد حضرْتُني وإياك الأثفاء العالمون بي وبك، فاجعلهم بيني وبينك.

فقال القوم: قد أنصفك يا عمرو، قال: قد فعلت.

فقال ابن الزبير: أما إذ أمكنتني الله منك فلا ريدن وجهك، ولأخرسن لسانك ولترجعن في هذه الليلة، وكان الذي بين منكبَيْك مشدود إلى عروقي أخذعَيْك، ثم قال: أقسمتُ عليكم يا معاشر قريش، أنا أفضلُ في دين الإسلام أم عمرو؟ فقالوا: اللهم أنت، قال: فأبي أفضل أم أبوه؟ قالوا: أبوك حواري رسول الله ﷺ وابن عتته، قال: فأمي أفضل أم أمه، قالوا: أمك أسماء بنت أبي بكر الصديق، وذات النطاقين، قال: فعمتي أفضل أم عمتُه؟ قالوا: عمُّك سلمى ابنة العوّام صاحبة رسول الله ﷺ أفضل من عمته، قال: فخالتي أفضل أم خالته؟ قالوا: خالته عائشة أم المؤمنين، قال: فجدتي أفضل أم جدته، قالوا: جدتك صفية بنت

عبد المطلب عمّة رسول الله ﷺ، قال: فجلدي أفضل أم جدّه؟ قالوا: جدك أبو بكر الخليفة بعد رسول الله ﷺ، فقال:

قَصَصْتُ الْعَطَارُفَ مِنْ قُرَيْشَ بَيْنَنَا      فاصبر لِفَضْلِ خِصَامِهَا وَقَضَائِهَا  
وَإِذَا جَرَيْتَ فَلَا تَجَارِ مَبْرُزَا      بَدْءَ الْجِيَادِ عَلَى احْتِفَالِ جِرَائِهَا  
أما والله يابن العاص، لو أن الذي أَمَرَكَ بهذا واجهني بمثله لقصرتُ إليه من سامي بصره، ولتركته يتلجّج لسانه، وتضطّرم النار في جوفه، ولقد استعان منك بغير وافي ولجأ إلى غير كافٍ، ثم قام فخرج.

وذكر المسعودي في كتاب مروج الذهب أنّ الحجاج لما حاصر ابن الزبير لم يزل يزحف حتى ملك الجبل المعروف بأبي قُبَيْس، وقد كان بيد ابن الزبير، فكُتِبَ بذلك إلى عبد الملك، فلما قرأ كتابه كبر وكبر من كان في داره حتى اتصل التكير بأهل السوق، فكبروا، وسأل الناس ما الخبر؟ ف قيل لهم: إن الحجاج حاصر ابن الزبير بمكة، وظفر بأبي قُبَيْس، فقال الناس: لا نرضى حتى يُحمَل أبو حُثَيْب إلينا مكبلاً على رأسه بُزْئس، راکب جملٍ، يُطاف به في الأسواق، تراه العيون.

وذكر المسعودي أنّ عمّة عبد الملك كانت تحت عروة بن الزبير، وأن عبد الملك كتب إلى الحجاج يأمره بالكف عن عُرْوَة، وذلك قبل أن يقتل عبد الله والآن يسوءه إذا ظفر بأخيه في ماله ولا في نفسه، قال: فلما اشتد الحصار على عبد الله خرج عُرْوَة إلى الحجاج فأخذ لعبد الله أماناً ورجع إليه، فقال: هذا عمرو بن عثمان، وخالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد، وهما قُتِيَا بني أمية يُعطيانك أمان عبد الملك ابن عمهما على ما أحدثت أنت ومن معك، وأن تنزل أيّ البلاد شئت، ولك بذلك عهد الله وميثاقه، فأبى عبد الله قبول ذلك، ونهته أمته وقالت: لا تموتنّ إلا كريمة، فقال لها: إني أخاف إن قُتِلْتُ أن أصلب أو يعقل بي، فقالت: إن الشاة بعد الذبح لا تُجسّ بالسُلخ.

وروى المسعودي أنّ عبد الله بن الزبير بعد موت يزيد بن معاوية طلب من يؤمّره على الكوفة، وقد كان أهلها أحبوا أن يليهم غير بني أمية، فقال له المختار بن أبي عُبَيْد: اطلب رجلاً له رفق وعلم بما يأتي، وتدبر قوله إياها يستخرج لك منها جنداً تغلب به أهل الشام، فقال: أنت لها، فبعثه إلى الكوفة، فأتاها وأخرج ابن مطيع منها، وابتنى لنفسه داراً، وأنفق

عليها مالا جليلاً، وسأل عبد الله بن الزبير أن يحتسب له به من مال الجراق، فلم يفعل، فخلعه وحججه يتبعه، ودعا إلى الطالبيين.

قال المسعودي: وأظهر عبد الله بن الزبير الزهد في الدنيا، وملازمة العبادة، مع الحرص على الخلافة وشبر بقله، فقال: إنما بطني شبر، فما عسى أن يسع ذلك الشبرا وظهر عنه شع عظيم على سائر الناس، ففي ذلك يقول أبو حمزة مولى آل الزبير:

إن الموالى أمست وهي عاتبة      على الخليفة تشكو الجوع والحرنا  
ماذا علينا وماذا كان يرزونا      أي الملوك على ما حولنا غلبا  
وقال فيه أيضاً:

لو كان بطنك شبراً قد شبعت وقد      فضلت فضلاً كثيراً للمساكين  
ما زلت في سورة الأعراف تدرسها      حتى فوادي مثل الحرف في اللبن  
وقال فيه شاعر أيضاً، لما كانت الحرب بينه وبين الحُصَيْن بن نُمَيْر قبل أن يموت يزيد بن معاوية:

فيا راكباً إما عرّضت فبلغن      كبير بني العوام إن قبل من تغني  
تخبر من لا قبست أنك عائد      وتكسر قتلى بين زمزم والركن  
وقال الضحاك بن قيروز الدبلي:

تخبرنا أن سوف تكفيك قبضة      وبطنك شبر أو أقل من الشبر  
وانت إذا ما نلت شيئاً قضمته      كما قضمت نار الغضا حطب السدر  
فلو كنت تجزي أو تُشيب بنعمة      قريباً لرذتكَ العُطوف على عمرو.

قال: هو عمرو بن الزبير أخوه، ضربه عبد الله حتى مات وكان مبائناً له.

كان يزيد بن معاوية قد ولّى الوليد بن عُثْبَةَ بن أبي سفيان المدينة، فترح الوليد منها جئشاً إلى مكة لحرب عبد الله بن الزبير، عليه عمرو بن الزبير، فلما تصافت القوم انهزم رجال عمرو وأسلموه، فظفر به عبد الله، فأقامه للناس بباب المسجد مجزداً، ولم يزل يضربه بالسياط حتى مات.

وقد رأيت في غير كتاب المسعودي، أن عبد الله وجد عمراً عند بعض زوجاته، وله في ذلك خبر لا أحب أن أذكره.

قال المسعودي: ثم إن عبد الله بن الزبير حبس الحسن بن محمد بن الحنفية في حبس

مظلم، وأراد قتله، فأعمل الحيلة حتى تخلص من السجن، وتعتف الطريق على الجبال، حتى أتى بني، وبها أبوه محمد بن الحنفية.

ثم إن عبد الله جمع بني هاشم كلهم في سجن عارم، وأراد أن يحرقهم بالنار، وجعل في الشعب خطباً كثيراً، فأرسل المختار أبا عبد الله الجدلي في أربعة آلاف، فقال أبو عبد الله لأصحابه: ويحكم! إن بلغ ابن الزبير الخبر عجل على بني هاشم فأتى عليهم، فانتدب هو نفسه في ثمانمائة فارس جريده، فما شعر بهم ابن الزبير إلا والرايات تخفق بمكة، فقصد قصد الشعب، فأخرج الهاشميين منه، ونادى بشعار محمد بن الحنفية، وسماه المهدي، وهرب ابن الزبير، فلأذ بأستار الكعبة، فنهاهم محمد بن الحنفية عن طلبه وعن الحرب، وقال: لا أريد الخلافة إلا إن طلبني الناس كلهم، واتفقوا علي كلهم، ولا حاجة لي في الحرب.

قال المسعودي: وكان عروة بن الزبير يعذر أخاه عبد الله في حضر بني هاشم في الشعب، وجميعه الخطب ليحرقهم ويقول: إنما أراد بذلك ألا تنتشر الكلمة، ولا يختلف المسلمون، وأن يدخلوا في الطاعة، فتكون الكلمة واحدة، كما فعل عمر بن الخطاب ببني هاشم لما تأخروا عن بيعة أبي بكر، فإنه أحضر الخطب ليحرق عليهم الدار.

قال المسعودي: وخطب ابن الزبير يوم قديم أبو عبد الله الجدلي قبل قدومه بساعتين، فقال: إن هذا الغلام محمد بن الحنفية قد أتى بيعتي، والمؤيد بيني وبينه أن تغرب الشمس، ثم أضرم عليه مكانه ناراً، فجاء إنسان إلى محمد فأخبره بذلك، فقال: سيفتنه مني حجاب قوي، فجعل ذلك الرجل ينظر إلى الشمس، ويرقب غيوبها لينظر ما يصنع ابن الزبير، فلما كادت تغرب حاست خيل أبي عبد الله الجدلي ديار مكة وجعلت تتمعج بين الصفا والمروة، وجاء أبو عبد الله الجدلي بنفسه، فوقف على قم الشعب، واستخرج محمداً، ونادى بشعاره، واستأذنه في قتل ابن الزبير، فكروه ذلك ولم يأذن فيه، وخرج من مكة فأقام يشعب رضوى حتى مات.

وروى المسعودي عن سعيد بن جببير، أن ابن عباس دخل على ابن الزبير فقال له ابن الزبير: إلام تؤنّبني وتعنفني؟ قال ابن عباس: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «بئس المرء المسلم يشيع ويجوع جاره»<sup>(١)</sup>، وأنت ذلك الرجل، فقال ابن الزبير: والله إني لأكتم بغضكم أهل هذا البيت منذ أربعين سنة. وتشاجرًا، فخرج ابن عباس من مكة، [خوفاً على نفسه]، فأقام بالطائف حتى مات.

(١) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٩٥٣٧)، بلفظ: «ليس المسلم...» والمروزي في تعظيم قدر الصلاة (٦٢٨) بلفظ: «المسلم الذي يشيع ويجوع جاره ليس بمؤمن».

وَرَوَى أَبُو الْفَرَجِ الْأَصْهَاقِيُّ قَالَ: أَمَى فَضَالَةُ بْنُ شَرِيكٍ الْوَالِئِيُّ ثُمَّ الْأَسَدِيُّ مِنْ بَنِي أَسَدَ بْنِ خُزَيْمَةَ عَبْدَ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ فَقَالَ: نَبَذْتُ نَفْقَتِي، وَنَبَيْتُ نَائِفِي، فَقَالَ: أَحْضَرْنِيهَا، فَأَحْضَرَهَا، فَقَالَ: أَقْبِلْ بِهَا، أَدْبِرْ بِهَا، فَفَعَلَ، فَقَالَ: ازْقَعْنَهَا بَيْسَتِي، وَاحْضَرْنَهَا بِهَلْبٍ، وَأَنْجِدْ بِهَا يَبْرُدَ خَفَقَهَا، وَسِرَ الْبَرْدَيْنِ تَصَحَّ. فَقَالَ فَضَالَةُ: إِنِّي أَتَيْتُكَ مُسْتَحِيلًا، وَلَمْ أَتِكَ مُسْتَوْصِفًا، فَلَعَنَ اللَّهُ نَائِفًا حَمَلْتَنِي إِلَيْكَ! فَقَالَ: إِنَّ وَرَاقِيهَا، فَقَالَ فَضَالَةُ:

أَقُولُ لِبَغْلَمَةٍ شُدُّوا رِكَابِي أَجَاوُزَ بَطْنِ مَكَّةَ فِي سَوَادٍ  
فَمَالِي حَبْنٌ أَقْطَعُ ذَاتَ عِرْقِي إِلَى ابْنِ الْكَاهِلِيَّةِ مِنْ مَنَادٍ  
سُبُعِدَ بَيْنَنَا نَهْلُ الْمَطَايَا وَتَعَلَّسِقُ الْأَدَاوَى وَالْمَزَادِ  
وَكُلٌّ مِغْبَدٌ قَدْ أَهْلَمْتُهُ مَنَابِئُهُنَّ طَلَاعَ النُّجَادِ  
أَرَى الْحَاجَاتِ عِنْدَ أَبِي خُبَيْبٍ نَكِذْنُ وَلَا أُمِيَّةَ بِالْإِلَادِ  
مِنَ الْأَعْيَاصِ أَوْ مِنْ آلِ حَرْبٍ أَغْرَ كُفْرَةَ الْفَرَسِ الْجَوَادِ

قَالَ: ابْنُ الْكَاهِلِيَّةِ هُوَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ، وَالْكَاهِلِيَّةُ هَذِهِ هِيَ أُمُّ خُوَيْلِدِ بْنِ أَسَدَ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى، وَاسْمُهَا زُهْرَةُ بِنْتُ عَمْرِو بْنِ خَثْرَةَ بْنِ رُوَيْنَةَ بْنِ هِلَالٍ، مِنْ بَنِي كَاهِلٍ بْنِ أَسَدَ بْنِ خُزَيْمَةَ - قَالَ: فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ لَمَّا بَلَغَهُ الشَّعْرُ: عَلِمَ أَنَّهَا شَرُّ أُمَّهَاتِي فَعَيَّرَنِي بِهَا، وَهِيَ خَيْرُ عَمَّاتِهِ.

وَرَوَى أَبُو الْفَرَجِ قَالَ: كَانَتْ صَفِيَّةُ بِنْتُ أَبِي عُبَيْدٍ بْنِ مَسْعُودٍ الثَّقَفِيَّةِ تَحْتَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ فَمَشَى ابْنُ الزُّبَيْرِ إِلَيْهَا، فَذَكَرَ لَهَا أَنْ خَرُوجَهُ كَانَ غَضَبًا لَهِ عَزَّ وَجَلَّ وَلِرَسُولِهِ ﷺ وَلِلْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ مِنْ أَثَرَةِ مُعَاوِيَةَ وَابْنِهِ بِالْفَنَاءِ، وَسَأَلَهَا مَسْأَلَةَ زَوْجِهَا عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ أَنْ يِيَّاعَهُ، فَلَمَّا قَدَّمَتْ لَهُ عِشَاءَهُ ذَكَرَتْ لَهُ أَمْرَ ابْنِ الزُّبَيْرِ وَجَبَادَتَهُ وَاجْتِهَادَهُ، وَأَثْنَتْ عَلَيْهِ، وَقَالَتْ: إِنَّهُ لَيُذْعَرُ إِلَى طَاعَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَكَثُرَتْ الْقَوْلُ فِي ذَلِكَ، فَقَالَ لَهَا: وَيَحْكُ! أَمَا رَأَيْتَ الْبَغْلَاتِ الشُّهُبَ الَّتِي كَانَ يُحَجُّ مُعَاوِيَةُ عَلَيْهَا، وَتَقْدَمُ إِلَيْنَا مِنَ الشَّامِ؟ قَالَتْ: بَلَى، قَالَ: وَاللَّهِ مَا يَرِيدُ ابْنُ الزُّبَيْرِ بَعَادَتَهُ غَيْرَ هَذَا!

الأصل: وَقَالَ ﷺ: مَا لَابَنِ آدَمَ وَالْفَخْرُ أَوَّلُهُ نُطْفَةٌ، وَآخِرُهُ جَيْفَةٌ. لَا يَرْزُقُ نَفْسَهُ، وَلَا يَذْلَعُ حَقْفَهُ.

**الشرح:** قد تقدم كلامنا في الفخر، وذكرنا الشعر الذي أخذ من هذا الكلام، وهو قول القائل:

مَا بَالُ مَنْ أَوَّلُهُ نُطْفَةٌ وَجِبْفَةٌ آخِرُهُ يَفْخَرُ  
يُصْبِحُ مَا يَمْلِكُ تَقْدِيمَ مَا يَرْجُو وَلَا تَأْخِيرَ مَا يَحْذَرُ

**بعض ما قيل في الفخر وقبحه**

وقال بعض الحكماء: الفخر هو المُباهاة بالأشياء الخارجة عن الإنسان، وذلك نهاية الحُمق لمن نَظَرَ بَعَيْنَ عَقْلِهِ، وَانْحَسَرَ عَنْ قِنَاعِ جَهْلِهِ، فَأَعْرَاضَ الدُّنْيَا عَارِيَّةً مُسْتَرْدَّةً، لَا يُؤْمِنُ فِي كُلِّ سَاعَةٍ أَنْ تُرْتَجَعَ، وَالْمُبَاهِي بِهَا مُبَاهٍ بِمَا فِي غَيْرِ ذَاتِهِ.

وقد قال لبعض من فخر بثروته ووفره: إِنْ افْتَخَرْتُ بِفَرَسِكَ فَالْحُسْنُ وَالْفَرَاةُ لَهُ دُونَكَ، وَإِنْ افْتَخَرْتُ بِشَيْبِكَ وَالْأَتِكُ فَالْجَمَالُ لِهَمَا دُونَكَ، وَإِنْ افْتَخَرْتُ بِأَبَائِكَ وَسَلَفِكَ فَالْفَضْلُ فِيهِمْ لَا فِيكَ، وَلَوْ تَكَلَّمْتُ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ لَقَالَتْ لَكَ: هَذِهِ مُحَاسِنُنَا فَمَا مُحَاسِنُكَ!

وأيضاً فإن الأعراض النبوية كما قيل: سَحَابَةٌ صَيَّفٌ عَنْ قَلِيلٍ تَقْشَعُ، وَظِلٌّ زَائِلٌ عَنْ قَرِيبٍ يَضْمَحِلُّ، كما قال الشاعر:

إِنَّمَا الدُّنْيَا كَرُؤْيَا فَرَحَتْ مَنْ رَأَاهَا سَاعَةً ثُمَّ انْقَضَتْ

بل كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَلٍّ أُرْسِلَهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاتَّخِذَتْ يَدًا إِلَى الْأَرْضِ وَمَا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ إِلَّا لَحْدَةً الْأَرْضِ يُغْرَقُهَا وَأَزْدِيكَتْ وَظَلَمَ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَدِيرُونَ عَلَيْهَا أَنَّهُمْ أَمَرْنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَنْتَ بِالْأَمِينِ ۝﴾<sup>(١)</sup>.

وإذا كان لا بد من الفخر فليُفخر الإنسان بعلمه وبشريف خلقه، وإذا أعجبك من الدنيا شيء فاذكر فناءك وبقاءه، أو بقاءك وفناءه، أو فناءكما جميعاً، وإذا راقك ما هو لك فانظر إلى قرب خروجه من يدك، وبعد رجوعه إليك، وطول حسابك عليه وقد دَمَّ الله الفُخُورَ فقال: ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ۝﴾<sup>(٢)</sup>.

**الأصل:** الْفَنَى وَالْفَقْرُ بَعْدَ الْعَرْصِ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى.



**الشرح:** أي لا يُمدَّ الغني غنياً في الحقيقة إلا من حصل له ثواب الآخرة الذي لا ينقطع أبداً، ولا يمد الفقير فقيراً إلا مَنْ لم يحصل له ذلك، فإنه لا يزال شغياً معذباً، وذاك هو الفقر بالحقيقة.

فأما غنى الدنيا وفقرها فأمران عَرَضِيَّان، زوالهما سريع، وانقضاءهما وشيك. وإطلاق هاتين اللفظتين على مُسَامَا الدنيوي على سبيل المجاز عند أرباب الطريقة، أعني العارفين.

- ٤٦٤ -

**الأصل:** وسُئِلَ عَنْ أَشْعَرِ الشُّعْرَاءِ، فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنَّ الْقَوْمَ لَيَجْرُونَ فِي حَلَكَةٍ تُعْرِثُ الْغَايَةَ حَتَّى تَقْصِبَهَا، فَإِنْ كَانَ وَلَا بُدَّ فَالْمَلِكُ الضَّالِيلُ. قَالَ: يُرِيدُ أَمْرَ الْقَيْسِ.

مع علي بن أبي طالب عليه السلام حول أشعر الشعراء

**الشرح:** قرأت في أمالي ابن دُرَيْد، قال: أَخْبَرَنَا الْجُرْمُوزِيُّ، عَنْ ابْنِ الْمُهَلَّبِيِّ، عَنْ ابْنِ الْكَلْبِيِّ، عَنْ شَدَّادِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَسَنِ الْعَنْبَرِيِّ، عَنْ ابْنِ حِرَادَةَ، قَالَ: كَانَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ يُعَشِّي النَّاسَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ بِاللَّحْمِ وَلَا يَتَمَتَّى مَعَهُمْ، فَإِذَا قَرَعُوا حُطَبَهُمْ وَوَعظهم، فَاغْضَوْا لَيْلَةً فِي الشُّعْرَاءِ وَهُمْ عَلَى عَشَائِهِمْ، فَلَمَّا قَرَعُوا حُطَبَهُمْ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَقَالَ فِي حُطْبَتِهِ: أَعْلَمُوا أَنَّ يَلَاكُ أَمْرُكَمُ الدِّينَ، وَغَضَمَتِكُمُ الْقَوَى، وَزَيْتُكُمُ الْآدَبَ، وَخُصُونِ أَهْرَاضَكُمْ الْجُلْمَ، ثُمَّ قَالَ: قُلْ يَا أَبَا الْأَسْوَدِ: فِيمَ كُنتُمْ تَفِيضُونَ فِيهِ؟ أَيِ الشُّعْرَاءِ أَشْعَرُ؟ فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِي يَقُولُ:

وَلَقَدْ أَغْتَدِي يُدَافِعُ رُكْنِي      أَعُوجِي ذُو مَسِيْمَةٍ إِضْرِيحُ  
مِخْلَطٌ مِزْلَلٌ مَعْنٌ مَعْنٌ      مَنْفَعٌ مِطْرَحٌ سَبُوحٌ خَرُوجُ

يعني أبا ذُوَادِ الْإِيَادِي، فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لَيْسَ بِهِ، قَالُوا: فَمَنْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ فَقَالَ: لَوْ رُفِعَتْ لِلْقَوْمِ غَايَةُ فَجَزَّوْا إِلَيْهَا مَعًا عَلِمْنَا مَنْ السَّابِقُ مِنْهُمْ، وَلَكِنْ إِنْ يَكُنْ فَالَّذِي لَمْ يَقُلْ عَنْ رَغْبَةٍ وَلَا رَهْبَةٍ. قِيلَ: مَنْ هُوَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ قَالَ: هُوَ الْمَلِكُ الضَّالِيلُ ذُو الْقُرُوحِ، قِيلَ: أَمْرُو الْقَيْسِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ قَالَ: هُوَ. قِيلَ: فَأَخْبَرْنَا عَنْ لَيْلَةِ الْقَدَرِ؟ قَالَ: مَا أَخْلُو مِنْ أَنْ أَكُونَ أَعْلَمَهَا فَأَسْتَرْ عِلْمَهَا، وَلَسْتُ أَشْكُ أَنَّ اللَّهَ إِنَّمَا يَسْتَرْهَا عَنْكُمْ نَظَرًا لَكُمْ، لِأَنَّهُ لَوْ أَعْلَمَكُمْوهَا عِلْمَتْ فِيهَا وَتَرْتَمَتْ فِيهَا، وَأَرْجُو أَنْ لَا تُحِيطُكُمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، انْهَضُوا رَجِمَكُمْ اللَّهُ.

وقال ابن دُرَيْدَ لَمَّا فَرَّغَ مِنَ الْخَبَرِ: إِضْرِيحُ: يَنْبُثُ فِي عَذْوِهِ، وَقِيلَ وَاسِعُ الصَّدْرِ وَمَنْفَعُ:

يُخرج الصِّيد من مواضعه، ومطرَح: يطرح بَيَّضَه. وخروج: سابق. والغاية بالغين المعجمة: الرأية، قال الشاعر:

وَإِذَا غَايَةُ مَجْدٍ رُفِعَتْ      نَهَضَ الصَّلْتُ إِلَيْهَا فَحَوَاهَا  
ويروى قولُ الشَّماخ:

إِذَا مَا رَايَةً وَفَعَتْ لِمَجْدٍ      تَلَقَّاهَا عَرَابُةٌ بِالْيَمِينِ  
بالتَّيْنِ، والرَّاء أكثر. فأما البيت الأول فبالغين لا غير، أنشده الخليل في عَرُوضه، وفي حديث طويل في الصحيح: «فَيَأْتُونَكُمْ تحت ثمانين غَايَةً، تحت كُلِّ غَايَةٍ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا»<sup>(١)</sup>. والمَيْمَةِ: أَوَّلُ جَزِي الفَرَسِ، وقيل: الجَزِي بعدَ الجَزِي.

### اختلاف العلماء في تفضيل بعض الشعراء على بعض

وأنا أذكرُ في هذا المَوْضِع ما اختلف فيه العلماء من تفضيل بعض الشعراء على بعض، وأبتدىء في ذلك بما ذَكَرهُ أبو الفرج عليُّ بن الحسين الأصفهاني في كتاب الأغاني.  
قال أبو الفَرَج: الثلاثة المقدمون على الشعراء: امرؤ القيس، وزهير، والنايف، لا اختلاف في أنهم مقدمون على الشعراء كلهم، وإنما اختلف في تقديم بعض الثلاثة على بعض.  
قال: فأخبرني أبو خليفة، عن محمد بن سلام، عن أبي قبيس، عن عكرمة بن جرير، عن أبيه، قال: شاعر أهل الجاهلية زهير.

قال: وأخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري، قال: حدثني عمر بن شبة، عن هارون بن عمر، عن أيوب بن سويد، عن يحيى بن زياد، عن عمر بن عبد الله الليثي، قال: قال عمر بن الخطاب ليلة في مسيره إلى الجابية: أين عبد الله بن عباس؟ فأُتِيَ به، فشكا إليه تخلف علي بن أبي طالب عليه السلام عنه. قال ابن عباس: فقلتُ له: أو لم يمتدِّ إِلَيْكَ؟ قال: بلى، قلت: فهو ما اعتذر به. قال: ثم أنشأ يحدثني فقال: إن أول من رائكُم عن هذا الأمر أبو بكر، إن قومكم كَرِهُوا أَنْ يَجْمَعُوا لَكُمْ الخِلافةَ والنبوةَ. قال أبو الفَرَج: ثم ذكر قصبة طويلة ليست من هذا الباب، فكَرِهْتُ ذِكْرَهَا ثم قال: يابن عباس، هل تروي لشاعر الشعراء؟ قلت: ومن هو؟ قال: وَنَحْكَ! شاعر الشعراء، الذي يقول:

فَلَوْ أَنَّ حَمْدًا يُحْمَدُ النَّاسَ خُلِدُوا      وَلَكِنْ حَمْدُ النَّاسِ لَيْسَ بِمُخْلِدٍ

فقلتُ: ذاك زُمَيْر، فقال: ذاك شاعر الشعراء، قلتُ: وبم كان شاعر الشعراء؟ قال: إنه كان لا يُعَاطِلُ الكلام، ويتجنب وحشيَّه، ولا يمدح أحداً إلا بما فيه.

(١) أخرجه البخاري، كتاب: الجزية، باب: ما يحذر من العلو (٣١٧٦)، وابن ماجه، كتاب: الفتن، باب: أشرار الساعة (٤٠٤٢)، وأحمد في «مسنده» (١٦٣٨٥).

قال أبو الفرج: وأخبرني أبو خليفة قال: قال ابن سلام: وأخبرني عمر بن موسى الجمحي، عن أخيه قدامة بن موسى - وكان من أهل العلم - أنه كان يقدم زهيراً، قال: قلت له: أي شعره كان أعجب إليه؟ فقال: الذي يقول فيه:

قد جعل المُبتَغُون الخيرَ في هَرَمٍ والسائلون إلى أبوابه طرُقاً

قال ابن سلام: وأخبرني أبو قيس العنبري - ولم أرَ بدوياً يعني به - عن عكرمة ابن جرير، قال: قلت لأبي: يا أبت، مَنْ أشعر الناس؟ قال: أعن أهل الجاهلية تسألني، أم عن أهل الإسلام؟ قال: قلت: ما أردت إلا الإسلام، فإذا كنت قد ذكرت الجاهلية فأخبرني عن أهلها، فقال: زهير أشعر أهلها، قلت: فالإسلام؟ قال: الفرزدق نُبغة الشعر، قلت: فالأخطل، قال: يُجيد مدح الملوك، ويصيب وصف الخمر، قلت: فما تركت لنفسك؟ قال: إني نَحَرْتُ الشعر نَحْراً.

قال: وأخبرني الحسن بن عليّ قال: أخبرنا الحارث بن محمد عن المدائني، عن عيسى بن يزيد، قال: سألت معاوية الأحنف عن أشعر الشعراء؟ فقال: زهير، قال: وكيف ذاك؟ قال: ألقى على المادحين فضول الكلام، وأخذ خالصه وصفوته، قال: ومثل ماذا؟ قال: مثل قوله:

وما يك من خير أتوه فإنما تساوره آباء آبائهم قَبْلُ  
ومل يُنبئ الخطي إلا وشيخه وتُغرس إلا في منابتها التخل<sup>(١)</sup>

قال: وأخبرني أحمد بن عبد العزيز، قال: حدثنا عمر بن شبة، قال: حدثنا عبد الله بن عمرو الفيسني قال: حدثنا خارجة بن عبد الله بن أبي سفيان، عن أبيه، عن ابن عباس قال: خرجت مع عمر في أول غزاة غزاها، فقال لي ليلة: يا بن عباس، أنشدني لشاعر الشعراء، قلت: مَنْ هو؟ قال: ابن أبي سلمى. قلت: ولم صار كذلك؟ قال: لأنه لا يتَّبِع حوشي الكلام، ولا يُعاظِل<sup>(٢)</sup> في منطقه، ولا يقول إلا ما يعرف، ولا يمدح الرجل إلا بما فيه، أليس هو الذي يقول:

إذا ابتدرت قيس بن عيلان غايةً إلى المجد مَنْ يسبق إليها يسود  
سبقت إليها كلّ طَلْقٍ مبرز سُبوق إلى الغايات غير مُؤنّد  
قال: أي لا يحتاج إلى أن يجلد الفرس بالسوط.

كفعل جواد يسبق الخيل عَفْوَه السـ راع وإن يجهد ويجهذَن يَبْعُد  
فلو كان حمداً يخلد الناس لم تُمتْ ولكن حمد الناس ليس بمُخلد

(١) الخطي: الرماح من نبات أرض العرب. اللسان، مادة (خطط).

(٢) عاظل القافية عظلاً: ضمن. القاموس، مادة (عظّل).

أنشدني له، فأنشدته حتى بَرَقَ الفَجْرُ، فقال: حسبك الآن، اقرأ القرآن. قلت: ما أقرأ؟ قال: الواقعة، فقرأتها، ونَزَلَ فَأَذَّنَ وَصَلَّى.

وقال محمد بن سلام في كتاب «طبقات الشعراء»: دخل الحطيفة على سعيد بن العاص متنگراً، فلما قام الناس وبقي الخواص أراد الحاجب أن يقيمه، فأبى أن يقوم، فقال سعيد: دعه، وتذاكروا أيام العرب وأشعارها، فلما أسهبوا قال الحطيفة: ما صنعتُم شيئاً، فقال سعيد: فهل عندك علم من ذلك؟ قال: نعم، قال: فمن أشعرُ القَرَب؟ قال: الذي يقول: قد جعل المُبتَغون الخير في مَرِمٍ والسائلون إلى أبوابه طُرُقاً قال: ثم من؟ قال: الذي يقول:

فإنك شمسٌ والمُلوك كواكبٌ إذا طلعت لم يَبْدُ منهم كوكبٌ يعني زُهيراً، ثم النابغة، ثم قال: وحسبك بي إذا وضعتُ إحدى رجلتي على الأخرى، ثم عَوَّيتُ في إثر القوافي كما يعوي الفصيل في أثر أمه! قال: فمن أنت؟ قال: أنا الحطيفة، فرحب به سعيد، وأمر له بألف دينار.

قال: وقال من احتج لزهير: كان أحسنهم شعراً، وأبعدهم من سُخف، وأجمعهم لكثير من المعنى في قليل من المنطق، وأشدَّهم مبالغة في المدح، وأبعدهم تكلفاً وعجرفة وأكثرهم حكمة ومثلاً سائراً في شعره.

وقد روى ابن عباس عن النبي ﷺ أنه قال: «أفضلُ شعرائكم القائل وَمَنْ مَن»، يعني زهيراً، وذلك في قصيدته التي أولها: «أَمِنْ أَمْ أَوْفَى» يقول فيها:

وَمَنْ يَكْ ذَا فَضْلٍ فَيَبْخُلُ بِفَضْلِهِ	على قومه يُسْتَغْنِ عنه وَيُدْخِمُ
وَمَنْ لَمْ يَذُذْ عَنْ حَوْضِهِ بِسَلاَحِهِ	يُهْذِمُ، وَمَنْ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ يُظْلَمُ
وَمَنْ هَابَ أَسْبَابَ الْمَنَابِيَا يَنْلَنَّهُ	وَلَوْ نَالَ أَسْبَابَ السَّمَاءِ بُسْلَمُ
وَمَنْ يَجْعَلُ الْمَعْرُوفَ مِنْ دُونِ عِرْضِهِ	يَفْزِرُهُ وَمَنْ لَا يَتَّقُ الشُّنْمَ يُشْنَمُ

فأما القول في النابغة الذبياني فإن أبا الفَرَجَ الأصفهاني قال في كتاب الأغاني: كَتَبَ النابغة أبو أمانة، واسمُه زياد بن معاوية، وَلَقَّبَ بالنابغة لِقَوْلِهِ:

فَقَدْ نَبَّهْتُ لَهُمْ مَنَا شُؤُونَ

وهو أحدُ الأشراف الذين غَضَّ الشعرَ منهم، وهو من الطبقة الأولى المقدمين على سائر الشعراء.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري وحبيب بن نصر قالوا: حَدَّثَنَا عَمْرُ بْنُ شَيْبَةَ، قَالَ:

حَدَّثَنِي أَبُو نَعِيمٍ، قَالَ: شَرِيكٌ عَنْ مُجَالِدٍ، عَنِ الشَّعْبِيِّ، عَنْ رِبْعِيِّ بْنِ جِرَاشٍ، قَالَ: قَالَ لَنَا عَمْرٌ: يَا مَعْشَرَ غَطَفَانَ، مَنْ الَّذِي يَقُولُ:

أَتَيْتُكَ عَارِيًّا خَلَقًا ثِيَابِي عَلَى خَوْفٍ تُظَلِّنُ بَيْتِي الظَّنُونُ  
قُلْنَا: النَّابِغَةُ، قَالَ: ذَاكَ أَشْعَرُ شُعْرَاكُمْ.

قُلْتُ: قَوْلُهُ: أَشْعَرُ شُعْرَاكُمْ، لَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ أَشْعَرُ الْعَرَبِ، لِأَنَّهُ جَعَلَهُ أَشْعَرُ شُعْرَاءِ غَطَفَانَ، فَلَيْسَ كَقَوْلِهِ فِي زُهَيْرٍ شَاعَرُ الشُّعْرَاءِ، وَلَكِنْ أَبَا الْفَرَجِ قَدْ رَوَى بَعْدَ هَذَا خَيْرًا آخَرَ صَرِيحًا فِي أَنَّ النَّابِغَةَ عِنْدَ عَمْرِو أَشْعَرُ الْعَرَبِ. قَالَ: حَدَّثَنِي أَحْمَدُ وَحَبِيبٌ، عَنْ عَمْرِو بْنِ شُبَّةَ، قَالَ: حَدَّثَنَا عُبَيْدُ بْنُ جَنَادٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا مَعْنُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ عِيسَى بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيِّ، عَنْ جَدِّهِ، عَنِ الشَّعْبِيِّ قَالَ: قَالَ عَمْرٌ يَوْمًا: مَنْ أَشْعَرُ الشُّعْرَاءِ؟ قَلِيلٌ لَهُ: أَنْتَ أَعْلَمُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، قَالَ: مَنْ الَّذِي يَقُولُ:

إِلَّا سَلِيمَانٌ إِذْ قَالَ الْمَلِيكُ لَهُ وَخَيْسَ الْجَنِّ إِنِّي قَدْ أَذْنْتُ لَهُمْ  
قَالُوا: النَّابِغَةُ، قَالَ: فَمَنْ الَّذِي يَقُولُ:

أَتَيْتُكَ عَارِيًّا خَلَقًا ثِيَابِي عَلَى خَوْفٍ تُظَلِّنُ بَيْتِي الظَّنُونُ  
قَالُوا: النَّابِغَةُ، قَالَ: فَمَنْ الَّذِي يَقُولُ:

خَلَفْتُ فَلَمْ أَتْرُكْ لِنَفْسِكَ رِبْعَةً لَنْ كُنْتُ قَدْ بُلُغْتُ عَنِّي خِيَانَةً  
قَالُوا: النَّابِغَةُ، قَالَ: فَهُوَ أَشْعَرُ الْعَرَبِ.

قَالَ: وَأَخْبَرَنِي أَحْمَدُ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَمْرٌ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمَدَائِنِيُّ قَالَ: قَامَ رَجُلٌ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ، فَقَالَ لَهُ: أَيُّ النَّاسِ أَشْعَرُ؟ قَالَ: قَالَ أَخْبِرْهُ يَا أَبَا الْأَسْوَدِ، فَقَالَ أَبُو الْأَسْوَدِ: الَّذِي يَقُولُ:

فَإِنَّكَ كَاللَّيْلِ الَّذِي هُوَ مُذْرُوكِي وَإِنْ خَلْتُ أَنَّ الْمُنتَأَى عَنْكَ وَاسِعٌ  
يَعْنِي النَّابِغَةَ.

قَالَ أَبُو الْفَرَجِ: وَأَخْبَرَنِي أَحْمَدُ وَحَبِيبٌ، عَنْ عَمْرِو بْنِ أَبِي بَكْرٍ الْغَلَيْعِيِّ، عَنْ الْأَصْمَعِيِّ، قَالَ: كَانَ يُضْرَبُ لِلنَّابِغَةِ قُبَّةٌ أَدَمٌ بِسُوقِ عُكَاظٍ قَتَاتِيهِ الشُّعْرَاءُ فَتَعْرِضُ عَلَيْهِ أَشْعَارَهَا، فَأَنْشَدَهُ مَرَّةً الْأَعَشَى، ثُمَّ حَسَنًا بْنُ ثَابِتٍ، ثُمَّ قَوْمٌ مِنَ الشُّعْرَاءِ، ثُمَّ جَاءَتِ الْخِشَاءُ فَأَنْشَدَتْهُ:

وَإِنْ صَخْرًا لَتَأْتِمَّ الْهُدَاءُ بِهِ كَأَنَّهُ عَالِمٌ فِي رَأْيِهِ نَارُ  
فَقَالَ: لَوْلَا أَنَّ أَبَا بَصِيرٍ - يَعْنِي الْأَعَشَى - أَنْشَدَنِي أَنفَاءً لَقُلْتُ: إِنَّكَ أَشْعَرُ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ.

فقام حسان بن ثابت فقال: أنا والله أشعر منها ومنك وأبيك، فقال له النابغة: يابن أخي، أنت لا تُحسين أن تقول:

فإنك كاللَّيْلِ الذي هو مُدْرِكِي      وإن خلتُ أن المُنْتَأَى عنكَ واسعُ  
خطاطيفُ حُجْرٍ في جبالٍ متينَةٍ      تُمدُّ بها أيدي إليك نوازِعُ

قال: فحَسَنَ حسان لقوله.

قال: وأخبرني أحمد وحبيب، عن عمر، عن الأصمعي، عن أبي عمرو بن العلاء قال: حدثني رجل سمَّاه أبو عمرو وأُتِيتُهُ، قال: بينما نحن نسيرُ بين أنفَاء من الأرض، فتذاكرنا الشعر، فإذا رَاكِب أَطْلَس يقول: أشعر الناس زياد بن معاوية، ثم تَمَلَّس فلم تَرَهُ.

قال: وأخبرني أحمد بن عبد العزيز، عن عمر بن شبة، عن الأصمعي، قال: سمعتُ أبا عمرو بن العلاء يقول: ما ينبغي لزهير إلا أن يكون أجيراً للنابعة.

قال أبو الفرج: وأخبرنا أحمد عن عمر، قال: قال عمرو بن المتشتر المُرَادِي: وقدنا على عبد الملك بن مروان، فدخلنا عليه، فقام رجل فأعْتَذَرَ من أمر وحَلَفَ عليه، فقال له عبد الملك: ما كنتُ حَرِيًّا أن تفعل ولا تَعْتَذِر، ثم أَقْبَلَ على أهل الشام فقال: أيكم يَروي اعتذارَ النابغة إلى النعمان في قوله:

حلفتُ فلم أتركْ لِنَفْسِكَ رِبَةً      وليس وراءَ اللَّهِ للمرءِ مَذْعَبُ

فلم يجد فيهم من يَرويه، فأقْبَلَ عليّ وقال: أترويه؟ قلتُ: نعم، فأنشدته القصيدة كلها، فقال: هذا أشعر العرب.

قال: وأخبرني أحمد وحبيب عن عُمر، عن مُعاوية بن بكر الباهلي، قال: قلتُ لحَمَاد الراوية: لم قَدِمْتَ النابغة؟ قال: لاكتفائك بالبيت الواحد من شعره، لا بل ينصف البيت، لا بل يَرِنُ البيت، وبثل قوله:

حلفتُ فلم أتركْ لِنَفْسِكَ رِبَةً      وليس وراءَ اللَّهِ للمرءِ مَذْعَبُ  
ولستُ بمُسْتَنْبِقٍ أَخَا لَا تَلْفَه      على شَعْبٍ، أيُّ الرجالِ المَهْذَبُ

رُبِعَ البيت يُغْنِيكَ عن غيره، فلو تَمَثَّلْتَ به لم تَحْتَجِ إلى غيره.

قال: وأخبرني أحمد بن عبد العزيز، عن عمر بن شبة، عن هارون بن عبد الله الزُبيري، قال: حدثني شيخ يُكْنَى أبا داود، عن الشعبي، قال: دخلتُ على عبد الملك وعنده الأخطل وأنا لا أعرفه، وذلك أول يومٍ وَقَدْتُ فيه من العراق على عبد الملك، فقلتُ حين دخلتُ: عامر بن سَراحيل الشَّعْبِي يا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، فقال: على علم ما أَذْنَا لك، فقلتُ: هذه واحدة على وafd أهل العراق - يعني أنه أخطأ - قال: ثم إنَّ عبد الملك سأل الأخطل: مَنْ أشعرُ

الناس؟ فقال: أنا، فعجلتُ وقُلْتُ لعبد الملك: مَنْ هذا يا أمير المؤمنين؟ فتبسّم، وقال: الأخطل، فقلْتُ في نفسي: اثنتان على وافِدِ أهلِ العراق، فقلْتُ له: أشعرُ منك الَّذي يقول:

هذا غلامٌ حَسَنٌ وَجْهُهُ      مُستقبلُ الخيرِ سريعُ الثَّمامِ  
للحارثِ الأكبرِ والمُحارثِ الدُّ      أضْعَفُ فالأعرجُ خيرُ الأنامِ  
ثم لعمرو ولعمرو وقد      أسْرَعُ في الخَيْرَاتِ منه أمامُ  
قال: هي أمانةٌ أم عمرو الأصغرُ بن المنذرِ بن امرئ القيسِ بن التَّعْمانِ ابنِ الشَّقِيقَةِ:

خمسَةُ آبَاءٍ مُمٌ ما هُمُ      أَفْضَلُ مَنْ يَشْرَبُ صَوْبَ الغَمَامِ  
والشَّعْرُ للنابغة، فالتفتُ إليَّ الأخطلُ فقال: إنَّ أمير المؤمنين إنما سألني عن أضْعَرِ أهلِ زمانه، ولو سألني عن أشعرِ أهلِ الجاهليَّةِ كُنْتُ حُرّاً أن أقول كما قلْتُ أو شبيهاً به، فقلْتُ في نفسي: ثلاثٌ على وافِدِ أهلِ العراق.

قال أبو الفَرَج: وقد وُجِدَتْ هذا الخبرُ أتمُّ من هذه الرواية، ذَكَرَهُ أَحْمَدُ بْنُ الْحَارِثِ الْخُرَازِي فِي كِتَابِهِ، عَنِ الْمَدَائِنِيِّ، عَنِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مُسْلِمٍ، قَالَ: كَتَبَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ إِلَى الْحِجَّاجِ: إِنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ مِنْ لَذَّةِ الدُّنْيَا إِلَّا وَقَدْ أَصِيبَتْ مِنْهُ، وَلَمْ يَبْقَ عِنْدِي شَيْءٌ الذِّمَّةُ مِنْ مُنَاقَلَةِ الْإِخْوَانِ الْحَدِيثِ، وَبِكَلِّكَ عَامِرَ الشَّعْبِيِّ فَأَبْعَثْ بِهِ إِلَيَّ، فَعَدَا الْحِجَّاجُ الشَّعْبِيَّ، فَجَهَّزَهُ وَبَعَثَ بِهِ إِلَيْهِ، وَقَرَّظَهُ وَأَطْرَاهُ فِي كِتَابِهِ، فَخَرَجَ الشَّعْبِيُّ حَتَّى إِذَا كَانَ بِيَابَ عَبْدِ الْمَلِكِ قَالَ لِلْحَاجِبِ: اسْتَأْذِنْ لِي، قَالَ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: أَنَا عَامِرُ الشَّعْبِيِّ قَالَ: يَرْحَمُكَ اللَّهُ، قَالَ: ثُمَّ نَهَضَ فَأَجْلَسَنِي عَلَى كُرْسِيِّهِ، فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ خَرَجَ إِلَيَّ فَقَالَ: ادْخُلْ يَرْحَمَكَ اللَّهُ، فَدَخَلْتُ، فَلَمَّا رَأَى عَبْدُ الْمَلِكِ جَالِسًا عَلَى كُرْسِيِّ، وَبَيْنَ يَدَيْهِ رَجُلٌ أَبْيَضُ الرَّأْسِ وَاللَّحْيَةِ، جَالِسٌ عَلَى كُرْسِيٍّ، فَسَلِمْتُ، فَردَّ عَلَيَّ السَّلَامَ، فَأَوْمَأَ إِلَيَّ بِقَفْظِيهِ، فَجَلَسْتُ عَنْ يَسَارِهِ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى ذَلِكَ الْإِنْسَانِ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ فَقَالَ لَهُ: مَنْ أَشْعَرُ النَّاسِ؟ فَقَالَ: أَنَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، قَالَ الشَّعْبِيُّ: فَأَظْلَمَ مَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ، فَلَمْ أَصْبِرْ أَنْ قُلْتُ: وَمَنْ هَذَا الَّذِي يُزْعَمُ أَنَّهُ أَشْعَرُ النَّاسِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ! فَعَجِبَ عَبْدُ الْمَلِكِ مِنْ عَجَلَتِي قَبْلَ أَنْ يَسْأَلَنِي عَنْ حَالِي، فَقَالَ: هَذَا الْأَخْطَلُ، فقلْتُ: يَا أَخْطَلُ، أَشْعَرُ وَاللَّهِ مِنْكَ الَّذِي يَقُولُ:

هذا غلامٌ حَسَنٌ وَجْهُهُ      مُستقبلُ الخيرِ سريعُ الثَّمامِ  
الآيات ...

قال: فاستحسنها عبدُ الملك، ثم ردَّ دُئُهَا عَلَيْهِ حَتَّى حَفِظَهَا، فَقَالَ الْأَخْطَلُ: مَنْ هَذَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ قَالَ: هَذَا الشَّعْبِيُّ، فَقَالَ: وَالْجِيلُونَ مَا اسْتَعَذْتُ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّ إِلَّا مِنْ هَذَا - أَيِ الْإِنْجِيلِ - صَدَقَ وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، النَّابِغَةُ أَشْعَرُ مِنِّي، قَالَ الشَّعْبِيُّ: فَأَقْبَلَ عَبْدُ الْمَلِكِ حِينَئِذٍ عَلَيَّ فَقَالَ: كَيْفَ أَنْتَ يَا شَعْبِي؟ قُلْتُ: بخير يا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، فَلَا زَلَّتْ بِهِ ثُمَّ ذَهَبْتُ

لأصنع معاذير لما كان من خلافني مع ابن الأشعث على الحجاج: فقال: مَهْ إنا لا نحتاج إلى هذا المنطق، ولا تراه منا في قول ولا فعل حتى تفارقنا، ثم أقبل عليّ فقال: ما تقول في النايغة؟ قلت: يا أمير المؤمنين، قد فضله عمر بن الخطاب في غير موطن على جميع الشعراء، ثم أنشدته الشعر الذي كان عمر يعجب به من شعره، وقد تقدم ذكره. قال: فأقبل عبد الملك على الأخطل فقال له: أتجيب أن لك قياًضاً بشعرك شعر أحد من العرب، أم تحب أنك قلته؟ قال: لا والله يا أمير المؤمنين إلا أنني وددت أني كنت قلت أبياناً قالها رجل منا، ثم أنشدته قول القطامي:

إنا مُحَيُّوكَ فَاسْلَمَ أَيُّهَا الظِّلُّ      وإن بليت وإن طالت بك الطَّيْلُ  
ليس الجديد به تبقى بشائسته      إلا قليلاً ولا ذو حلة يصلُ  
والعيش لا عيش إلا ما تقرب به      عين ولا حال إلا سوف تنتقل  
إن ترجعي من أبي عثمان منجحةً      فقد يهون على المستنجد العمل  
والناس من يلق خيراً قائلون له      ما يشتهي ولأم المخطيء الهبلُ  
قد يدرك المتأني بعض حاجته      وقد يكون مع المستعجل الرُّكْلُ

قال الشعبي: فقلت: قد قال القطامي أفضل من هذا، قال: وما قال؟ قلت: قال:

طَرَقَتْ جَنُوبُ رَحَالِنَا مِنْ مَطَرٍ      ما كنت أحسبها قريب المعنى

إلى آخرها، فقال عبد الملك: نكلت القطامي أمه! هذا والله الشعر، قال: فالتفت إليّ الأخطل فقال: يا شعبي، إن لك فتوناً في الأحاديث، وإنما لي فن واحد فإن رأيت ألا تحيلني على اكتاف قومك فأدعهم حرصاً! فقلت: لا أعرض لك في شيء من الشعر أبداً، فأقنني هذه المرة، فقال: من يتكفل بك؟ قلت: أمير المؤمنين، فقال عبد الملك: هو عليّ أنه لا يعرض لك أبداً، ثم قال عبد الملك: يا شعبي، أي نساء الجاهلية أشعر؟ قلت: الحنساء؟ قال: ولم فضلتها على غيرها؟ قلت: لقولها:

وقائلة والتعش قد فات خطوها      ليتدركه: يا لهف نفسي على صخر  
ألا هبلت أم الذين غدوا به      إلى القبر، ماذا يحملون إلى القبر!

فقال عبد الملك: أشعر منها والله التي تقول:

مُهَفِّهَتْ أَهْضَمَ الْكَشْحَيْنِ مَنْخَرِقُ      عنه القميص بسير الليل مُحْتَقِرُ  
ألا يَأْسَ الذَّهْرُ مِمَّاءَ وَمَصْبَحَهُ      من كل أوزٍ وإن لم يغر يُنْتَقِرُ

قال: ثم تبسم عبد الملك وقال: لا يشق عليك يا شعبي، فلأنا أعلمك هذا لأنه لا ينبغي أن أهل العراق يتناولون على أهل الشام، ويقولون: إن كان غلبونا على الدولة فلم يغلبونا على العلم والرواية، وأهل الشام أعلم بعلم أهل العراق من أهل العراق، ثم ردد عليّ أبيات ليلى



حتى حفظتها، ثم لم أزل عنده أول داخل وآخر خارج، فكنت كذلك ستين، وجمعتني في الفين من العطاء، وجمعت عشرين رجلاً من ولدي وأهل بيتي في ألف ألف، ثم بعثني إلى أخيه عبد العزيز بمصر، وكتب إليه: يا أخي، قد بعثت إليك بالشعبي، فانظر هل رأيت فقد مثله! قال أبو الفرج الأصبهاني في ترجمة أوس بن حجر: إن أبا عبيدة قال: كان أوس شاعر مضر حتى أسقطه النابغة، وقد ذكر الأصمعي أنه سمع أبا عمرو بن العلاء يقول: كان أوس بن حجر فعل العرب، فلما نشأ النابغة طاعاً منه.

وقال محمد بن سلام في كتاب «طبقات الشعراء»: وقال من أحتج للنابغة: كان أحسنهم بياجة شعر، وأكثرهم زونق كلام، وأجزلهم بيتاً، كان شعره كلام ليس بتكلف، والمنطق على المتكلم أوسع منه على الشاعر، لأن الشاعر يحتاج إلى البناء والعروض والقوافي، والمتكلم مطلق، يتخير الكلام كيف شاء، قالوا: والنابغة نبغ بالشعر بعد أن أحتك، وهلك قبل أن يهتر. قلت: وكان أبو جعفر يحيى بن محمد بن أبي زيد العلوي البصري يُفضل النابغة، واستغرائي يوماً ويدي ديوان النابغة قصيدته التي يمدح بها النعمان بن المنذر، ويذكر مرضه، ويعتذر إليه مما كان أنهم به، وقدّعه به أعداؤه، وأولها:

كتمتُك لئلا بالجمومين ساهراً وممّنين: همّا مستكنّا وظاهراً  
أحاديث نفس تشكي ما يريها ووزد هموم لو يجدن مصادراً  
تكلّفني أن يغفل الدهر همّها وهل وجدت قبلي على الدهر ناصراً  
يقول: هذه النفس تكلفني ألا يحدث لها الدهر همّاً ولا حزناً، وذلك مما لم يستطيعه أحد قبلي.

ألم تر خير الناس أصبح نعشه على فتية قد جاوز الحي سايراً  
كان الملك منهم إذا مرض حول على نعش وطيف به على أكتاف الرجال بين الحيرة  
والخوزنق والتجف، يترهونه.

ونحن لذيه نسال الله خلده ونحن نرجي الخير إن فاز قذحنا  
ونحن نرجي الخير إن وارث بك الأرض واحداً وردت مطايا الراغبين، وعزيت  
رأيتك ترعاني بعين بصيرة وذلك من قول أذاك أقوله  
فأبيت لا أتيك إن كنت مجرمًا ولا أبتغي جاراً سواك مجاوراً  
برة لنا ملكاً وللأرض عامراً ونزهب قذح الدهر إن جاء قايماً  
وأصبح جد الناس بعدك عائراً جبادك لا يحفي لها الدهر حافراً  
وتبعث خراساً عليّ وناظراً ومن دس أعداء إليك المأبراً  
ولا أبتغي جاراً سواك مجاوراً

أي لا أتيتك حتى يثبت أنني غير مجرم.

فأهلي فداء لا مريء إن أثبتته  
سأربطك كغلبتي أن يرببك نبحه  
أي سأمنيك لسانني عن هجائك وإن كنت بالشام في هذين الواديين البعيدين عنك.

وحلت بيوتني في يفاع ممتنع  
نزول الوعول الغضم عن قذافاته  
جداراً على ألا تنال مقاذوتي  
يقول: أنا لا أهجرك وإن كنت من المنعة والعظمة على هذه الصفة.

أقول وقد شطت بي الدار عنكم  
ألا أبلغ التعمان حيث لقيته  
وأصبحه فليجأ ولا زال كغيبه  
ورب عليه الله أحسن صنعه  
إذا ما لقيت من مَعَدُّ مُسَافِرَا  
فأهذى له الله الغيوت البواجرا  
على كل من عادى من الناس ظاهراً  
وكان على كل المعاوين ناصراً

فجعل أبو جعفر رحمه الله يهتز ويضطرب، ثم قال: والله لو مُزِجْتُ هذه القصيدة بشعر  
البحرني لكادت تمتزج لسهولة ألفاظها، وما عليها من الدُّبَايَا والزُّنُوق. من يقول:  
إن امرأ القيس وزهيراً أشعر من هذا! هَلُمُّوا فليحاكموني.

فأمّا امرؤ القيس بن حُجْر، فقال محمد بن سلام الجُمَحِيُّ في كتاب «طبقات الشعراء»:  
أخبرني يونس بن حبيب أن علماء البصرة كانوا يقدمونه على الشعراء كلهم، وأن أهل الكوفة  
كانوا يقدمون الأعشى، وأن أهل الحجاز والبادية يقدمون زهيراً والنابعة.

قال ابن سلام: فالطبقة الأولى إذن أربعة. قال: وأخبرني شعيب بن صخر، عن هارون بن  
إبراهيم، قال: سمعتُ قالاً يقول للفردق: من أشعر الناس يا أبا فراس؟ فقال: ذو القروح،  
يعني امرأ القيس، قال: حين يقول ماذا؟ قال حين يقول:

وقامهم جدُّهم ببنني أبيهم  
وقال: وأخبرني أبان بن عثمان البجلي، قال: مرّ لييد بالكوفة في بني نهد، فأُتِبعوه رسول  
يسأله: من أشعر الناس؟ فقال: الملك الضليل. فأعادوه إليه، فقال: ثم من؟ فقال: الغلام  
القتيل - يعني طرفة بن العبد - وقال غير أبان: قال: ثم ابن العشرين، قال: ثم من؟ قال:  
الشيخ أبو عُقَيْل يعني نفسه.

قال ابن سلام: واحتج لا مريء القيس من يقدمه فقال: إنه ليس قال ما لم يقولوه، ولكنه  
سبق العرب إلى أشياء ابتدعها استحسنتها العرب، فأُتِبعه فيها الشعراء، منها استيقاف صخبه،

والبكاء في الديار، ورقّة النسيب، وقرب المآخذ، وتشبيه النساء بالطباء وبالبيض، وتشبيه الحبل بالعمقان والعصيّ، وقيد الأوايد، وأجاد في النسيب، وفصل بين النسيب وبين المعنى، وكان أحسن الطبقة تشبيهاً.

قال: وحدثني معلّم لبني داود بن عليّ، قال: بينا أنا أسير في البادية إذا أنا برجل على ظليم قد رمّه وخطّمه وهو يقول:

هَلْ يَبْلُغُنَّهُمْ إِلَى الصَّبَاحِ      فَقُلْ كَأَنَّ رَأْسَهُ جَمَاحٌ<sup>(١)</sup>

قال: فما زال يذهب به ظليّمهُ وَيَجِيءُ حَتَّى أَنْتَ بِهِ وَعَلِمْتُ أَنَّهُ لَيْسَ بِإِنْسِي فَقُلْتُ: يَا هَذَا، مِنْ أَشْعَرِ الْعَرَبِ؟ فَقَالَ: الَّذِي يَقُولُ:

أَغْرَكَ مَنِّي أَنْ حُبِّكَ قَاتِلِي      وَأَنْتَ مَهْمَا تَأْمُرِي الْقَلْبَ يَفْعَلِي

يعني امرأ القيس، قلت: ثم من؟ قال: الَّذِي يَقُولُ:

وَيَبْزُرْدُ بَزْدٍ رِءَاءَ الْعَرُو      سِي بِالصَّيْفِ رُقِرْتُ فِيهِ الْعَبِيرَا

وَيَسْكُنُ لَيْلَةً لَا يَسْتَطِيعُ      نُبَاحاً بِهَا الْكَلْبَ إِلَّا هَرِيرَا<sup>(٢)</sup>

ثم ذهب به ظليمة فلم أره.

قال: وحدث عوانة، عن الحسن أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال لحسان بن ثابت: من «أشعر العرب؟» قال: الزُرْقِيُّ الْعَبُونُ مِنْ بَيْنِ قَيْسٍ، قال: لستُ أسألك عن القبيلة، إنما أسألك عن رجل واحد، فقال حسان: يا رسول الله، إنَّ مَثَلَ الشَّعْرَاءِ وَالشَّعْرِ كَمَثَلِ نَاقَةٍ تُجْرَتُ، فَجَاءَ امْرَأُ الْقَيْسِ بِنُ حُجْرٍ فَأَخَذَ سَنَامَهَا وَأَطَايِهَا، ثُمَّ جَاءَ الْمُتَجَاوِرَانِ مِنَ الْأَوْسِ وَالخَزْرَجِ فَأَخَذَا مَا وَالَى ذَلِكَ مِنْهَا، ثُمَّ جَعَلَتِ الْعَرَبُ تَمْرَعُهَا حَتَّى إِذَا بَقِيَ الْفَرْتُ وَالذَّمُّ جَاءَ عَمْرُو بْنُ تَمِيمٍ وَالنَّمِرُ بْنُ قَاسِطٍ فَأَخَذَاهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «ذَاكَ رَجُلٌ مَذْكُورٌ فِي الدُّنْيَا شَرِيفٌ فِيهَا خَاطِلٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، مَعَهُ لَوَاءُ الشَّعْرَاءِ إِلَى النَّارِ»<sup>(٣)</sup>.

فأما الأعشى فقد احتج أصحابه لتفضيله بأنه كان أكثرهم عروضا، وأدعّبهم في فنون الشعر، وأكثرهم قصيدة طويلة جيدة، وأكثرهم مدحا وهجاء، وكان أول من سأل بشعره، وإن لم يكن له يث نادر على أفواه الناس كآيات أصحابه الثلاثة.

(١) الهقل: الفتى من النعام. اللسان، مادة (هقل).

(٢) هرير الكلب: صوته دون نباحه من قلة صبره على البرد. القادموس، مادة (هرر).

(٣) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (٩٩/١٨)، والدليمي في «مسند الفردوس» (٣١٥٩).

وقد سُئِلَ خَلْفَ الْأَحْمَرُ: مَنْ أَشْعَرُ النَّاسِ؟ فَقَالَ: مَا يَنْتَهِي إِلَى وَاحِدٍ يُجَمِّعُ عَلَيْهِ كَمَا لَا يَنْتَهِي إِلَى وَاحِدٍ هُوَ أَشْجَعُ النَّاسِ، وَلَا أَخْطَبُ النَّاسِ، وَلَا أَجْمَلُ النَّاسِ، فَقِيلَ لَهُ: يَا أَبَا مُحَرِّزٍ فَأَيُّهُمْ أَعْجَبُ إِلَيْكَ؟ فَقَالَ: الْأَعْمَى كَانَ أَجْمَعَهُمْ.

قَالَ ابْنُ سَلَامٍ: وَكَانَ أَبُو الْخَطَّابِ الْأَخْفَشُ مُسْتَهْتَرًا بِهِ بِقَدَمِهِ، وَكَانَ أَبُو عَمْرٍو بْنُ الْعَلَاءِ يَقُولُ: مَثَلُهُ مَثَلُ الْبَازِي يَضْرِبُ كَبِيرَ الطَّيْرِ وَصَغِيرَهُ. وَيَقُولُ: نَظِيرُهُ فِي الْإِسْلَامِ جَرِيرٌ، وَنَظِيرُ النَّابِغَةِ الْأَخْطَلُ، وَنَظِيرُ زُهَيْرِ الْفَرَزْدَقِ.

فَأَمَّا قَوْلُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام «الْمَلِكُ الضَّلِيلُ» فَإِنَّمَا سُمِّيَ امْرُؤُ الْقَيْسِ ضَلِيلًا لَمَّا يُعْلَنُ بِهِ فِي شِعْرِهِ مِنَ الْفُسُوقِ، وَالضَّلِيلُ: الْكَثِيرُ الضَّلَالِ، كَالشَّرِيبِ، وَالْجُمَيْرِ، وَالسَّكِيرِ، وَالْفُسَيْقِ، لِلْكَثِيرِ الشَّرِّبِ وَإِفْهَامِ الْخَمْرِ وَالسُّكْرِ وَالْفُسُوقِ، فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ:

فَمِثْلُكَ حُبْلَى قَدْ طَرَقْتُ وَمُرْضِعَا  
إِذَا مَا بَكَى مِنْ خَلْفِهَا انْصَرَفْتُ لَهُ  
وَقَوْلُهُ:

سَمَوْتُ إِلَيْهَا بَعْدَ مَا نَامَ أَهْلُهَا  
فَقَالَتْ لِحَاكَ اللَّهُ إِنَّكَ فَاضِحِي  
فَقُلْتُ لَهَا تَاللهِ أَبْرَحُ قَاعِدَا  
فَلَمَّا تَنَازَعْنَا الْحَدِيثَ وَأَسْمَحْتُ  
فَصِرْنَا إِلَى الْحُسْنَى وَرَقَّ كَلَامُنَا  
حَلَفْتُ لَهَا بِاللَّهِ حَلْفَةً فَاجِرٍ  
فَأَصْبَحْتُ مَغْشُوقًا وَأَصْبَحَ بَعْلُهَا  
وَقَوْلُهُ فِي الْغَلَامَةِ الْأُولَى:

وَبَيْضَةُ خِذْلٍ لَا يُرَامُ خِيبَاؤُهَا  
تَخْطِئُ أَبْوَابًا إِلَيْهَا وَمَعْشَرَا  
فَجِئْتُ وَقَدْ نَضَّتْ لَنُومِ ثِيَابِهَا  
فَقَالَتْ بِمِثْلِ اللَّهِ مَا لَكَ جِيلَةً  
تَمْتَعْتُ مِنْ لَهْوِهَا غَيْرَ مُفْجَلٍ  
عَلَيَّ جِرَاصًا لَوْ يُسِرُّونَ مَقْتَلِي  
لَدَى السُّتْرِ إِلَّا لِبَسَةِ الْمُتَفَضَّلِ  
وَمَا إِنْ أَرَى عَنْكَ الْغَوَايَةَ تَنْجَلِي

(١) لِحَاكُ اللَّهِ: لَعْنَةُ وَقْبِهِ. اللِّسَانُ، مَادَّةُ (لَحْر).

(٢) الْقَتَامُ: الْغُبَارُ. الْقَامُوسُ، مَادَّةُ (قَتَم).

فَقَمْتُ بِهَا أَمْشِي نَجْرُ وِراءَنَا      عَلَى إِنْرْنَا أَذْيَالِ مِرْطُ مُرْجَلِي<sup>(١)</sup>  
فَلَمَّا أَجْرْنَا سَاحَةَ الْحَيِّ وَانْتَحَى      بَنَا بَطْنُ خَبْتِ ذِي جَقَابِ عَقْنِقِلِ  
مَصْرَتْ بِفَرْذِي رَأْسِهَا فَتَمَايَلَتْ      عَلَيَّ مَضِيمِ الْكُشْحِ رَيَّا الْمُخْلَلِ<sup>(٢)</sup>  
وقوله:

فَبِتْ أَكَايِدَ لَيْلِ التَّمَا      م وَالْقَلْبُ مِنْ خَشْيَةِ مَقْشَعَرِ  
فَلَمَّا دَنُوتُ تَسَدَّيْتُهَا      فَنُزْأَ نَسِيْتُ وَثَوَاباً أَجْرِ  
وَلَمْ يَرْنَا كَالْيَةِ كَاشِحِ      وَلَمْ يَبْدُ مَنَّا لَدَى الْبَيْتِ سِرِ  
وَقَدْ رَابِنِي قَوْلُهَا: يَا هَنَا      هُ وَيَنْحَكُ أَلْحَقَتْ شَرًّا بَشَرَا  
وقوله:

تَقُولُ وَقَدْ جَرَدْتُهَا مِنْ ثِيَابِهَا      كَمَا رُغَتْ مَكْهُولِ الْمَذَامِيعِ أَثْلَعَا  
لَعَنُوكَ لَوْ شِئْتَ أَنَا رَسُولُهُ      سِوَاكَ وَلَكِنْ لَمْ نَجِدْ لَكَ مَذْفَعَا  
فَبَشْنَا نَصْدَ الْوَحْشِ عَنَّا كَأَنَّا      قَتِيلَانِ لَمْ يَعْلَمْ لَنَا النَّاسُ مَضْرَعَا  
تَجَافَى عَنِ الْمَانُورِ بَيْنِي وَبَيْنَهَا      وَتَذْنَى عَلَيَّ السَّابِرِيُّ الْمُضْلَعَا  
وفي شعر امرئ القيس من هذا الفن كثير، فمن أرادَه فَلْيَقْلُبْهُ مِنْ مَجْمُوعِ شِعْرِهِ.

- ٤٦٥ -

**الأصل:** وَقَالَ عَمِيْرٌ: أَلَا حُرْيَدُغُ هَذِهِ اللَّمَاطَةُ لِأَهْلِهَا إِنَّهُ لَيْسَ لِأَنْفُسِكُمْ نَمَنٌ إِلَّا الْبَجَّةُ، فَلَا تَبْتَغُوا إِلَّا بِهَا.

**الشرح:** اللَّمَاطَةُ بفتح اللام: مَا تَبَقَّى فِي الْفَمِ مِنَ الطَّعَامِ، قَالَ يَصِفُ الدُّنْيَا:

لَمَاطَةُ أَيَّامٍ كَأَحْلَامِ نَائِمٍ

وَلَمَطَ الرَّجُلُ يَلْمَطُ بِالضَّمِّ لَمَطًا، إِذَا تَبَعَ بِلِسَانِهِ بَقِيَّةَ الطَّعَامِ فِي فَمِهِ وَأَخْرَجَ لِسَانَهُ فَمَسَحَ بِهِ شَفَتَيْهِ، وَكَذَلِكَ التَّلْمِطُ، يُقَالُ: تَلْمَطْتَ الْحَيَّةَ إِذَا أَخْرَجْتَ لِسَانَهَا كَمَا يَلْمِطُ الْأَكْلُ.  
وقال: «أَلَا حُرْيُ»، مَبْتَدَأٌ، وَخَبْرُهُ مَحْذُوفٌ أَيُّ فِي الْوُجُودِ. وَأَلَا حُرْفٌ، قَالَ:

(١) المِرْطُ: كِسَاءٌ مِنْ صُوفٍ أَوْ خَزٍّ أَوْ كَتَانٍ. اللِّسَانُ، مَادَّةُ (مِرْطِ).

(٢) مَصْرَتْ: جَذْبَتْ. اللِّسَانُ، مَادَّةُ (مَصْرِ). فَرْذَا الرَّأْسَ: جَانِبَاهُ. اللِّسَانُ، مَادَّةُ (فَرْذِ).

ألا رجل جَزَاءَ اللَّهِ خَيْرًا يَذَلُّ عَلَى مُحَصِّلَةِ نَبِيٍّ

ثم قال: إنه ليس لأنفسكم ثمنٌ إلا الجنة، فلا تبيعوها إلا بها، من الناس من يبيع نفسه بالدرهم والدنانير، ومن الناس من يبيع نفسه بأحقر الأشياء وأهونها، ويتبع هواه فيهلك، وهؤلاء في الحقيقة أحمقُ الناس، إلا أنه قد رين على القلوب، فغفلت الذنوب، وأظلمت الأنفس بالجهل وسوء العادة، وطال الأمد أيضاً على القلوب فقست، ولو أفكر الإنسان حق الفكر لما باع نفسه إلا بالجنة لا غير.

- ٤٦٦ -

**الأصل:** وقال عليه السلام: «مَنْهُومان لَا يَشْبَعَانِ: طَالِبٌ عِلْمٍ وَطَالِبٌ دُنْيَا».

**الشرح:** تقول: نَهَمَ فلانٌ بكذا فهو مَنهُوم، أي مَوْلِع به، وهذه الكلمة مَرْوِيَّة عن النبي صلى الله عليه وآله: «مَنْهُومان لَا يَشْبَعَانِ: مَنْهُومٌ بِالْمَالِ، وَمَنْهُومٌ بِالْعِلْمِ»<sup>(١)</sup>. وَالتَّهْمُ بِالْفَتْحِ: إِفْرَاطُ الشَّهْوَةِ فِي الطَّعَامِ، تَقُولُ مِنْهُ: نَهَمْتُ إِلَى الطَّعَامِ بِكَسْرِ الْهَاءِ أَنْهَمُ فَأَنَا نَهَمٌ، وَكَانَ فِي الْقُرْآنِ آيَةٌ أَنْزَلَتْ ثُمَّ رَفَعَتْ: «لَوْ كَانَ لَا بَنَ آدَمَ وَآدِيَانِ مِنْ دَهَبٍ لَا يَتَنَفَّي لَهْمَا ثَالِثًا، وَلَا يَمْلَأُ عَيْنَ ابْنِ آدَمَ إِلَّا التَّرَابُ، وَيَتَوَبَّ اللَّهُ عَلَى مَنْ تَابَ»<sup>(٢)</sup>. فَأَمَّا طَالِبُ الْعِلْمِ الْعَاشِقُ لَهُ، فَإِنَّهُ لَا يَشْبَعُ مِنْهُ أَبَدًا، وَكَلَّمَا اسْتَكْثَرَ مِنْهُ زَادَ عِشْقُهُ لَهُ، وَتَهَالُكُهُ عَلَيْهِ. مَاتَ أَبُو عِثْمَانَ الْجَاهِظُ وَالْكَتَابُ عَلَى صَدْرِهِ.

وَكَانَ شَيْخُنَا أَبُو عَلِيٍّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي النَّزْعِ وَهُوَ يُعَلِّمِي عَلَى ابْنِهِ أَبِي هَاشِمٍ مَسَائِلَ فِي عِلْمِ الْكَلَامِ. وَكَانَ الْقَاضِي أَحْمَدُ بْنُ أَبِي دُوَادٍ يَأْخُذُ الْكِتَابَ فِي حَقِّهِ وَهُوَ رَاكِبٌ، فَإِذَا جَلَسَ فِي دَارِ الْخَلِيفَةِ اسْتَقَلَّ بِالنَّظَرِ فِيهِ إِلَى أَنْ يَجْلِسَ الْخَلِيفَةُ، وَيَدْخُلُ إِلَيْهِ. وَقِيلَ: مَا فَارَقَ ابْنَ أَبِي دُوَادٍ الْكِتَابَ قَطُّ إِلَّا فِي الْخَلَاءِ. وَأَعْرَفَ أَنَا فِي زَمَانِنَا مَنْ مَكَثَ نَحْوَ خَمْسِ سَنِينَ لَا يَنَامُ إِلَّا وَقْتُ السَّحَرِ ضَيْقًا وَشَتَاءً مُكِبًّا عَلَى كِتَابٍ صَفَقَهُ، وَكَانَتْ وَسَادَتُهُ الَّتِي يَنَامُ عَلَيْهَا الْكِتَابُ.

(١) أخرجه الدارمي، كتاب: المقدمة، باب: في فضل العلم والعالم (٣٣١).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب: الرقاق، باب: ما يتقى من فتنة المال (٦٤٣٦)، ومسلم، كتاب: الزكاة، باب: لو أن لابن آدم واديين لا يتغنى ثالثاً (١٠٤٨).

- ٤٦٧ -

**الأصل:** وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: علامةُ الإيمانِ أَنْ تُؤَيِّرَ الصَّدَقَ حَيْثُ يَضُرُّكَ، عَلَى الْكَذِبِ حَيْثُ يَنْفَعُكَ، وَالْأَيْكَونَ فِي حَدِيثِكَ فَضْلٌ عَنْ عِلْمِكَ، وَأَنْ تَتَّقِيَ اللَّهَ فِي حَبِيبِكَ غَيْرِكَ.

**الشرح:** قد أخذ المعنى الأول القائل:

عليك بالصَّدَق وَلَوْ أَنَّهُ أَخْرَقَكَ الصَّدَقُ بِنَارِ الْوَعِيدِ وَيَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ هَذَا الْحُكْمُ مَقِيداً لَا مطلقاً، لَأنَّهُ إِذَا أَضَرَّ الصَّدَقُ ضَرراً عَظِماً يُوْدِي إِلَى تَلَفِ النَّفْسِ أَوْ إِلَى قَطْعِ بَعْضِ الْأَعْضَاءِ لَمْ يَجُزْ فَعَلُهُ ضَرِيحاً، وَوَجِبَتْ الْمَعَارِضُ حَيْثُ لَوْ أَنَّ قُلْتَ: فَالْمَعَارِضُ صِدْقٌ أَيْضاً، فَالْكَلامُ عَلَى إِطْلَاقِهِ قُلْتُ: هِيَ صِدْقٌ فِي ذَاتِهَا، وَلَكِنْ مُسْتَعْمِلُهَا لَمْ يَصْدَقْ فِيمَا سُئِلَ عَنْهُ، وَلَا كَذَبٌ أَيْضاً، لَأنَّهُ لَمْ يُخْبِرْ عَنْهُ، وَإِنَّمَا أُخْبِرَ عَنْ شَيْءٍ آخَرَ وَهِيَ الْمَعَارِضُ، وَالتَّارِكُ لِلْخَبَرِ لَا يَكُونُ صَادِقاً وَلَا كَاذِباً، فَوَجِبَ أَنْ يَقِيدَ إِطْلَاقَ الْخَبَرِ بِمَا إِذَا كَانَ الضَّرَرُ غَيْرَ عَظِيمٍ، وَكَانَتْ نَتِيجَةُ الصَّدَقِ أَعْظَمَ نَفْعاً مِنْ تِلْكَ الْمَضَرَّةِ.

قال عَلَيْهِ السَّلَامُ: «وَأَنْ يَكُونَ فِي حَدِيثِكَ فَضْلٌ عَنْ عِلْمِكَ»، مَتَى زَادَ مَطْلُقَ الرَّجُلِ عَلَى عِلْمِهِ فَقَدْ لَمَّا وَظَهَرَ نَقْصُهُ، وَالْفَاضِلُ مَنْ كَانَ عِلْمُهُ أَكْثَرَ مِنْ مَنْطِقِهِ. قَوْلُهُ: «وَأَنْ تَتَّقِيَ اللَّهَ فِي حَبِيبِكَ غَيْرِكَ»، أَيِ فِي نَفْلِهِ وَرَوَايَتِهِ فَتَرْوِيهِ كَمَا سَمِعْتَهُ مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ.

- ٤٦٨ -

**الأصل:** وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: يَغْلِبُ الْمِقْدَارُ عَلَى التَّقْدِيرِ، حَتَّى تَكُونَ الْآلَةُ فِي التَّقْدِيرِ. قَالَ: وَقَدْ مَضَى هَذَا الْمَعْنَى فِيمَا تَقَدَّمَ بِرَوَايَةٍ تُخَالِفُ بَعْضَ هَذِهِ الْأَلْفَاظِ.

**الشرح:** قد تقدم هذا المعنى، وهو كثير جداً، ومن جيده قول الشاعر:

لَعَنَرُكَ مَا لَمْ ابْنِ أَخْطَبَ نَفْسَهُ      وَلَكِنَّهُ مِنْ يَخْذُلُ اللَّهَ يُخْذَلِ  
لِجَاهِهِ حَتَّى تَبْلُغَ النَّفْسُ عَذْرَاهَا      وَقَلْقَلْ يَبْقَى الْجِرُّ كُلُّ مُقْلَقَلِ

وقال أبو تمام:

وَرَحِبْ كَأَطْرَافِ الْأَيْسَةِ عَرَّسُوا      عَلَى مِثْلِهَا وَالْقِيلُ تَسْطُو غِيَابُهَا

لأمرٍ عليهم أن تَتِمَّ ضُدُورُهُ وليس عليهم أن تنمَّ عواقِبُهُ  
وقال آخر:

فإن بَيْنَ حَيْطَانٍ عَلَيْهِ فَإِنَّمَا أَوْلَمَكَ عُقَالَانَهُ لَا مَعَاظِلَةَ

- ٤٦٩ -

الأصل: وقال عليه السلام: الْجَلَمُ وَالْأَنَاءُ تَوْءَمَانِ، يَتَّبِعُهُمَا عُلُوُّ الْهَمَّةِ.

الشرح: قد تقدّم هذا المعنى وشرحه مراراً.

وقال ابن هانيء:

وكلّ أناة في المواطن سؤددٌ ولا كنانة من تدبّر مُحْكَمٍ  
ومن يتبين أن للسيف موضعاً من الصّفح يَضْفَحُ عن كثير ويحلّم  
وقال أرباب المعاني: علّمنا الله تعالى فضيلة الأناة بما حكاه عن سليمان: ﴿سَتَنْظُرُ أَصَدَقْتُ  
أَمْ كُنْتُ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾<sup>(١)</sup>.

وكان يقال: الأناة حِصْنُ السّلامة، والعجلة مفتاح الندامة.

وكان يقال: التّأني مع الحَيّة، خيرٌ من التهور مع النّجاح.

وقال الشاعر:

الرّفق يُسَمِّنُ وَالْأَنَاءُ سَعَادَةٌ فتأنّ في أمرٍ تُلاقِ نَجَاحاً  
وقال من كره الأناة ودّمّها: لو كانت الأناة محمودةً والعجلة مذمومةً، لما قال موسى لربه:  
﴿وَصَلِّتْ إِلَيْكَ رَبِّ لِرَبِّكَ﴾<sup>(٢)</sup>.

وأنشدوا:

عَيْبُ الْأَنَاءِ وَإِنْ سَرَتْ عَوَاقِبُهَا أَنْ لَا تُخْلِدُ وَأَنْ لَيْسَ الْفَتَى حَجَرًا  
وقال آخر:

كم من مضيعٍ فرصةٍ قد أمكّنت لغدٍ وليس له غدٌ بمُؤَاوِيَةٍ  
حتى إذا فاتت وفات طلائبها ذهبَتْ عليها نفسه حَسَرَاتٍ



- ٤٧٠ -

**الأصل:** وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: الْغِيَّةُ جُهْدُ الْعَاجِزِ.

**الشرح:** قد تقدم كلامنا في الغيبة مستقصى.

وقيل للأحنف: مَنْ أَشْرَفَ النَّاسُ؟ قَالَ: مَنْ إِذَا حَضَرَ هَؤُوهَ، وَإِذَا غَابَ اغْتَابُوهَ.  
وقال الشاعر:

وَيَغْتَابُنِي مَنْ لَوْ كَفَانِي اغْتِيَابَهُ      لَكُنْتُ لَهُ الْعَيْنَ الْبَصِيرَةَ وَالْأَدْنَى  
وعندي من الأشياء ما لو ذكرتها إذا قَرَعَ      الْمُغْتَابَ مَنْ تَدَمَّ سِنَا  
وقد نظمنا أنا كلمة الأحنف فقلتُ:

أَكَلُ عِرْضِي إِنْ غِبْتُ دُمَا فَإِنْ أَبَى      تُمْدَحْ وَرَفْبَةٌ وَسُجُودُ  
هَكَذَا يَفْعَلُ الْجَبَانُ: شُجَاعُ      حِينَ يَخْلُو، وَفِي الرَّغَى رَغِيدُ  
لَكَ مِنِّي حَالَانِ: فِي عَيْنِكَ الْجَدُّ      لَمْ تُحْسِنَا وَفِي الْفَوَادِ وَقُودُ

- ٤٧١ -

**الأصل:** وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: رُبُّ مَقْتُونٍ يَحْسِنُ الْقَوْلَ فِيهِ.

**الشرح:** طَالَمَا كُنَّ النَّاسُ بِنَاءَ النَّاسِ عَلَيْهِمْ، فَيَقْصُرُ الْعَالِمُ فِي اكْتِسَابِ الْعِلْمِ اتِّكَالاً عَلَى ثَنَاءِ النَّاسِ عَلَيْهِ، وَيَقْصُرُ الْعَابِدُ فِي الْيَبَادَةِ اتِّكَالاً عَلَى ثَنَاءِ النَّاسِ عَلَيْهِ، وَيَقُولُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا: إِنَّمَا أَرَدْتُ مَا اسْتَهْزَتْ بِهِ لِلصَّيْتِ، وَقَدْ حَصَلَ، فَلِمَاذَا أَنْكَلَفَ الزِّيَادَةَ، وَأَهَانِي الثَّمَبَا أَيْضاً فَإِنَّ ثَنَاءَ النَّاسِ عَلَى الْإِنْسَانِ يَمْتَنِضِي اعْتِرَاءَ الْمُجْزَبِ لَهُ، وَإِعْجَابَ الْمَرْءِ بِنَفْسِهِ مُهْلِكٌ.

واعلم أن الرضوي رحمه الله قطع كتاب نهج البلاغة على هذا الفصل، وهكذا وجدته النسخة بخطه وقال: «هذا حين انتهاء الغاية بنا إلى قطع المتنوع من كلام أمير المؤمنين عليه السلام: حامدين لله سبحانه على ما من به من توفيقنا ليضم ما انتشر من أطرافه وتقريب ما بعد من أقطاره، مقررين العزم كما شرطنا أولاً على تفضيل أوراق من البياض في آخر كل باب من

الأبواب، لتكون لاقتناص الشارد، واستلحاق الوارد، وما عساه أن يظهر لنا بعد الغموض، ويقع إلينا بعد الشذوذ، وما توفيقنا إلا بالله، عليه توكلنا، وهو حسبنا ونعم الوكيل، نعم المولى ونعم النصير.

ثم وجدنا نسخاً كثيرة فيها زيادات بعد هذا الكلام، قيل: إنها وُجِدَتْ في نسخة كتبت في حياة الرضي رحمه الله وقرئت عليه فأضماها، وأذن في إلحاقها بالكتاب ونحن نذكرها.

- ٤٧٢ -

الأصل: وقال عليه السلام: الدنيا خُلِقَتْ لغيرها، ولم تُخلَقْ لنفسها.

الشرح: قال أبو العلاء المصنف مع ما كان يُرمى به في هذا المعنى ما يطابق لإرادة أمير المؤمنين عليه السلام بلفظه هذا:

خُلِقَ النَّاسُ لِلْبَقَاءِ فَضَلَّتْ أُمَّةٌ يَحْسَبُونَهُمْ لِلنَّفَادِ  
إِنَّمَا يُنْقَلُونَ مِنْ دَارٍ أَعْمَا إِلَى دَارٍ شَفْوَةٍ أَوْ رَشَادٍ

- ٤٧٣ -

الأصل: وقال عليه السلام: إِنْ لَبِثَ أُمِّيَّةٌ مِرْوَدًا يَجْرُونَ فِيهِ، وَلَوْ قَدْ اخْتَلَفُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَوْ كَادَتْهُمْ الضَّبَاعُ لَغَلَبَتْهُمْ.

قال الرضي رحمه الله تعالى: وَهَذَا مِنْ أَلْصَحِّحِ الْكَلَامِ وَأَخْرَجُوهُ، وَالْمِرْوَدُ هَا هُنَا مِفْعَلٌ مِنَ الْإِرْوَادِ، وَهُوَ الْإِمهَالُ وَالْإِنْتِظَارُ، فَكَانَتْهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ شَبَّهَ الْمُهْلَةَ الَّتِي هُمْ فِيهَا بِالْمِضْمَارِ الَّذِي يَجْرُونَ فِيهِ إِلَى الْغَايَةِ، فَإِذَا بَلَغُوا مُنْقَطِعَهَا انْتَقَضَ نِظَامُهُمْ بَعْدَهَا.

الشرح: هذا إخبارٌ عن قَبِيحٍ صريح، لأن بني أمية لم يزل ملكهم مستظماً لما لم يكن بينهم اختلاف، وإنما كانت حروبهم مع غيرهم كحروب معاوية في صفين، وحرب يزيد أهل المدينة، وأبن الزبير بمكة، وحرب مروان الضحاك، وحرب عبد الملك بن الأشعث وأبن الزبير، وحرب يزيد ابنه بني المهلب، وحرب هشام زيد بن علي، فلما ولي الوليد بن يزيد وخرج عليه أبن

عنه يزيد بن الوليد وقتله، اختلفت بنو أمية فيما بينهما، وجاء الوعد - وصدق من وعده - فإنه منذ قتل الوليد ذهت دهاة بني العباس بخراسان، وأقبل مروان بن محمد من الجزيرة يطلب الخلافة، فخلع إبراهيم بن الوليد، وقتل قوماً من بني أمية، وأضطرب أمر الملك وانتشر، وأقبلت الدولة الهاشمية ونمت، وزال ملك بني أمية، وكان زوال ملكهم على يد أبي مسلم، وكان في بدايته أضعف خلق الله وأعظمهم فقراً ومسكنة، وفي ذلك، تصديق قوله ﷺ: «ثم لو كادتهم الضباع لغلبتهم».

- ٤٧٤ -

**الأصل:** وقال ﷺ في مدح الأنصار: «هُمْ وَاللَّهُ رِثْوَا الْإِسْلَامِ كَمَا يُرَى الْفُلُّو مَعَ خَتَائِبِهِمْ بِأَيْدِيهِمُ السَّيَاطِ، وَالسَّيَاطِ السُّلَاطِ».

**الشرح:** الفُلُّو: المُنْهَر.

ويُروى: «بأيديهم السَّيَاطِ»، أي البايطة، والأولى جَمْعُ سَبُطٍ يَعْنِي السَّمَاخ، وقد يقال للحادق بالظعن: إِنَّهُ لَسَبُطُ الْبَيْدِينَ، يريدُ الثقافة. والسَّيَاطِ السُّلَاطِ، يعني الفَصِيحَة.

وقد تقدّم القول في مدح الأنصار، ولو لم يكن إلا قول رسول الله ﷺ فيهم: «إِنكُمْ لَتَكْثُرُونَ عِنْدَ الْفَرَجِ، وَتَقِيلُونَ عِنْدَ الظُّلْمِ»<sup>(١)</sup>، ولو لم يكن إلا ما قاله لعامر بن الطفيل فيهم لما قال له: «لَا غُرُوزَ لَكُمْ فِي كَذَا وَكَذَا مِنَ الْخَيْلِ»<sup>(٢)</sup> يتوعده، فقال ﷺ: «يَكْفِيكَ اللَّهُ ذَلِكَ وَأَبْنَاءُ قَبِيلَةٍ»، لكان فخراً لهم وهذا عظيم جداً وفوق العَظِيم، ولا ريب أنهم الذين أيد الله بهم الدين، وأظهر بهم الإسلام بعد خفائه، ولولاهم لَمْ يَحْزَ الْمُهَاجِرُونَ عَنْ حَرْبِ قُرَيْشٍ وَالْعَرَبِ، وَعَنْ جِمَايَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، ولولا مَدِينَتُهُمْ لَمْ يَكُنْ لِلْإِسْلَامِ ظَهْرٌ يَلْجَأُونَ عَلَيْهِ، وَيَكْفِيهِمْ فُخْرًا يَوْمَ حَمْرَاءِ الْأَسَدِ، يَوْمَ خَرَجَ بِهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى قُرَيْشٍ بَعْدَ انْكَسَارِ أَصْحَابِهِ، وَقَتْلِ مَنْ قَتَلَ مِنْهُمْ، وَخَرَجُوا نَحْوَ الْقَوْمِ وَالْجَرَاخِ فِيهِمْ فَاشِيَةً، وَدِمَاوَهُمْ تَسِيلَ، وَإِنَّهُمْ مَعَ ذَلِكَ كَالْأَسَدِ الْغِيَاثِ تَتَوَاتَبُ عَلَى قَرَائِيسِهَا، وَكَمْ لَهُمْ مِنْ يَوْمٍ أَعَزَّ مُحِبُّجُلًا وَقَالَتِ الْأَنْصَارُ: لَوْلَا عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ﷺ فِي الْمُهَاجِرِينَ لَا يَتَيْنَا لِأَنفُسِنَا أَنْ يُذَكَّرَ الْمُهَاجِرُونَ مَعَنَا، أَوْ أَنْ يُقَرَّنُوا بِنَا، وَلَكِنْ رَبُّ وَاحِدٍ كَالْفِ، بَلْ كَالْوَفِ.

(١) ذكره ابن الجوزي في «صفوة الصفوة» (١/ ٢٠٥).

(٢) ذكره ابن حجر في «فتح الباري» (٧/ ٣٨٧).

وقد تقدّم ذكرُ الشَّعرِ المُنسوبِ إلى الوزيرِ المغربيِّ وما طعن به القادر بالله الخليفة العباسي في دينه بطريقه، وكان الوزيرُ المغربيُّ يتبرّأ منه ويَجحدُه، وقيل: إنه وُجدت مسوّدَةٌ بخطه فرفعت إلى القادر بالله.

ومما وُجد بخطه أيضاً - وكان شديدُ العَصبيّةِ للأَنْصارِ ولقُطَطانَ قاطِبَةً، على عدنانَ، وكان يسمّي إلى الأزد، أزدُ شُئوّة - قوله:

إِنَّ الَّذِي أَرْسَى دَعَائِمَ أَحْمَدٍ      وَعَلَا بِدَعْوَتِهِ عِلْسِي كِيَوَانِ  
أَبْنَاءَ قَبِيلَةٍ وَارثُو شَرَفِ الْعُلَا      وَغَرَايِرِ الْأَقْيَالِ مِنْ قُحْطَانِ<sup>(١)</sup>  
بُشْيُوفِهِمْ يَوْمَ الْوَعَى وَاكْفَهُمْ      ضَرَبْتُ مَصَاعِبَ مُلْكِهِ بِجِرَانِ  
لَوْلَا مَصَارِعُهُمْ وَصِدْقُ قِرَاعِهِمْ      خَرَّتْ عُرُوشُ الدُّيْنِ لِلْأَذْقَانِ  
فَلْيَشْكُرَنَّ مُحَمَّدٌ أَسْيَافَ مَنْ      لَوْلَاهُ كَانَ كَخَالِدِ بْنِ سِنَانِ

وهذا إفراطٌ قبيح، ولفظٌ شنيع، والواجب أن يَصانَ قدرُ النبوّةِ عنه، وخصوصاً البيت الأخير، فإنّه قد أساء فيه الأدب، وقال ما لا يجوزُ قوله، وخالدُ بنُ سِنانٍ كان من بني عَبَسَ بن بَغِيضٍ: من قَيْسِ عَيْلَانَ، ادّعى النبوّة، وقيل: إنه كانت تَظْهَرُ عليه آيَاتٌ ومُعْجَزَات، ثم مات وانْقَرَضَ دِينُهُ ودَثِرَتْ دَعْوَتُهُ، ولم يَبْقَ إِلَّا اسْمُهُ، وليس يَعْرِفُهُ كُلُّ النَّاسِ، بل البعض منهم.

- ٤٧٥ -

**الأصل:** وقال عليه السلام: **الْعَيْنُ وَكَاءُ السَّنَةِ.**

قَالَ الرَّضِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: وَهَلِو مِنْ الْأَسْتِعَارَاتِ الْعَجِيبَةِ، كَأَنَّهُ شَبَّهَ السَّنَةَ بِالْوَعَاءِ، وَالْعَيْنَ بِالْوِكَاءِ، فَإِذَا أُطْلِقَ الْوِكَاءُ لَمْ يَنْضَبِطِ الْوِعَاءُ. وَهَذَا الْقَوْلُ فِي الْأَشْهُرِ الْأَطْلَهْرِ مِنْ كَلَامِ النَّبِيِّ ﷺ، وَقَدْ رَوَاهُ قَوْمٌ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَذَكَرَ ذَلِكَ الْمُبَرِّدُ فِي الْكِتَابِ الْمُقْتَضَبِ فِي بَابِ اللَّفْظِ الْمَعْرُوفِ.

قَالَ الرَّضِيُّ: وَقَدْ تَكَلَّمْنَا عَلَى هَذِهِ الْأَسْتِعَارَةِ فِي كِتَابِنَا الْمَوْسُومِ بِمَجَازَاتِ الْأَثَارِ النَّبَوِيِّ.

**الشرح:** المعروف أن هذا من كلام رسول الله ﷺ، ذكره المحدثون في كتبهم وأصحاب قريب الحديث في تصانيفهم، وأهل الأدب في تفسير هذه اللفظة في مجموعاتهم اللفوية، ولعل المبرّد أشبه عليه فسبّه إلى أمير المؤمنين عليه السلام، والرواية بلفظ التثنية: «العَيْنان وكاء الستة»<sup>(١)</sup>، والستة: الأشت.

وقد جاء في تمام الخبر في بعض الروايات: «فإذا نامت العينان استطلق الوكاء». والوكاء: رباط القرية، فجعل العينين وكاء - والمراد اليقظة - للستة كالوكاء للقرية، ومنه الحديث في اللفظة: «أخفظ عفاصها ووكاءها، وعرفها سنة، فإن جاء صاحبها إلا فشانك بها»، والعفاص: السداد، والوكاء: السداد، وهذه من الكنايات اللطيفة.

### بعض ما ورد في الكنايات وبعض الشواهد عليها

وقد كنّا قدمنا قطعة صالحة من الكنايات المستحسنة، ووعدنا أن نعاود ذكر طرف منها، وهذا الموضع موضع، فمن الكناية عن الحدث الخارج - وهو الذي كنّى عنه أمير المؤمنين عليه السلام، أو رسول الله ﷺ الكناية التي ذكرها يحيى بن زياد في شعره، قيل: إن يحيى بن زياد ومطيع بن إياس وحناداً الزاوية جلسوا على شرب لهم، ومعهم رجل منهم، فأنحل وكأوه، فاستحيا وخرج، ولم يعد إليهم، فكتب إليه يحيى بن زياد.

أَمِنْ قُلُوبٍ عَدَتْ لَمْ يُؤْذِمَا أَحَدٌ      إِلَّا تَذَكَّرُهَا بِالرُّمْلِ أَوْ طَانَا  
خَانَ الْحِقَالُ لَهَا فَانَبَتَ إِذْ نَفَرَتْ      وَإِنَّمَا الذَّنْبُ فِيهَا لِلَّذِي خَانَا  
مَنْحَنَّا مِنْكَ هِجْرَانًا وَمَغْلِبَةً      وَلَمْ تَزُرْنَا كَمَا قَدْ كُنْتَ تَعُشَانَا  
خَفُضَ عَلَيْكَ فَمَا فِي النَّاسِ دُوْا إِبِلٍ      إِلَّا وَأَيْنَقَهُ يَشْرُدُنَ أَحِبَانَا

وليس هذا الكتاب أهلاً أن يضمّن حكاية سخيّة أو نادرة خليعة، فنذكر فيه ما جاء في هذا المعنى، وإنما جرّأنا على ذكر هذه الحكاية خاصّة كناية أمير المؤمنين عليه السلام أو رسول الله ﷺ عنها، ولكننا نذكر كنايات كثيرة في غير هذا المعنى مستحسنة، يتفح القاريء بالوقوف عليها.

يقال: فلان من قوم موسى، إذا كان ملولاً، إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَأَذِّنْ لِلْعَذَابِ يَوْمَئِذٍ﴾<sup>(٢)</sup>.

(١) أخرجه الدارمي، كتاب: الطهارة، باب: الوضوء من النوم (٧٢٢)، وأحمد في «مسنده» (١٦٤٣٧)، بلفظ «وكاء الستة»، ويلفظ: «الستة» أخرجه الحاكم في «معركة علوم الحديث» (١/١٣٣).

(٢) سورة البقرة، الآية: ٦١.

قال الشاعر:

فيا مَنْ لیس يكفیه صديقٌ ولا ألفاً صديق كل عام  
أظنك من بقايا قوم موسى فہم لا يصبرون على طعام  
وقال العباس بن الأحنف:

كنت تلوّم وتستريث زيارتي وتقول: لست لنا كعہد العاہد  
فاجبئها ودموع عيني سجم تجري على الخدين غير جواہد  
يا قوز لم أفجزكم ليلاً لكنني جرتكم فوجدتكم  
عرضت ولا لمقال واشي حاسد لا تصبرون على طعام واحد  
ويقولون للجارية الكسواء: قد أبقت من رضوان، قال الشاعر:

جست العود بالبنان الحسنان وتشت كاتها غصن بان  
فسجدنا لها جميعاً وقلنا إذ شجنا بالحسن والإحسان  
حاش لئو أن تكوني من الإنس من ولكن أبقت من رضوان  
ويقولون للمكشوف الأمر الواضح الحال: ابن جلا، وهو كناية عن الضيق ومنه ما تمثل به

الحجاج:

أنا ابن جلا وظلّاع الننايا متى أضع العمامة تعرفوني  
ومنه قول الفلاح بن حزن:

أنا الفلاح بن الفلاح ابن جلا

ومنه قولهم: فلان قائد الجمل لأنه لا يخفى لعظم الجمل وكبر جثته، وفي المثل: ما استتر  
من قاد جملاً. وقالوا: كفى برغائنا نداء، ومثل هذا قولهم: ما يوم حليلة بئر يقال: ذلك في  
الأمر المشهور الذي لا يستتر، ويوم حليلة يوم التقى المنذر الأكبر والحارث العسائي الأكبر،  
وهو أشهر أيام العرب، يقال: إنه ارتفع من العجاج ما ظهرت معه الكواكب نهاراً، وحليمة:  
اسم امرأة أضيف اليوم إليها، لأنها أخرجت إلى المعركة مراكن القلب، فكانت تطيب بها  
الداخلين إلى القتال، فقاتلوا حتى تقاتوا.

ويقولون في الكناية عن الشيخ الضعيف: قائد الجمار، وإشارة إلى ما أنشده الأصمعي:

أني الشدي فلا يقرب مجلسي وأقود للشرب الرفيع جماري  
أي أقوده من الكبير إلى موضع مرتفع لأركبه لصغفي. ومثل ذلك كنايةهم عن الشيخ  
الضعيف بالعاجز، لأنه إذا قام عجز في الأرض بكفيه، قال الشاعر:

فأصبحت كئيباً وأصبحت عاجزاً وشرّ خصال المرو كنت وعاجز

قالوا: الكُتَيْبِيُّ الذي يقول كُنْتُ أَفْعَلُ كَذَا، وَكُنْتُ أَوْكَبُ الْخَيْلِ، يَتَذَكَّرُ مَا مَضَى مِنْ زَمَانِهِ، وَلَا يَكُونُ ذَلِكَ إِلَّا عِنْدَ الْهَرَمِ أَوْ الْفَقْرِ وَالْعَجْزِ.

ومثله قولهم للشيخ: راجع، قال لييد:

أَخْبِرْ أَخْبَارَ الْقُرُونِ الَّتِي مَضَتْ      أَدَبُ كَأَنِّي كُلَّمَا قَبْتُ رَاجِعُ  
وَالرَّكُوعُ: هُوَ التَّطَاعُطُ وَالانْحِنَاءُ بَعْدَ الْعِتْدَالِ وَالِاسْتَوَاءِ، وَيُقَالُ لِلْإِنْسَانِ إِذَا انْتَقَلَ مِنَ الثَّرْوَةِ إِلَى الْفَقْرِ: قَدِ رَكَعَ، قَالَ:

لَا تُهَيِّنَ الْفَقِيرَ عَلَيْكَ أَنْ تَرَى      كَعَّ يَوْمًا وَالذُّفْرُ قَدْ رَعَعَا  
وَفِي هَذَا الْمَعْنَى قَالَ الشَّاعِرُ:

ارْقُصْ ضَعِيفَكَ لَا يَجْزِيكَ ضَعْفُهُ      يَوْمًا فَتُذَكِّرُكَ الْحَوَادِثُ قَدْ نَمَا  
يَجْزِيكَ أَوْ يُغْنِيكَ عَلَيْكَ وَإِنْ مَنْ      يُغْنِيكَ عَلَيْكَ بِمَا فَعَلْتَ فَقَدْ جَزَى  
ومثله أيضاً:

وَالْكَرِيمُ كَرِيمًا إِنْ أَتَاكَ لِحَاجَةٌ      لِمُعَاقِبَةٍ إِنْ الْغَضَاءُ تَرَوَّحَ  
تَرَوَّحَ الشَّجَرُ: إِذَا انْفَطَرَ بِالنَّيْتِ، يَقُولُ: إِنْ كَانَ فَقِيرًا فَقَدْ يَسْتَغْنِي، كَمَا أَنَّ الشَّجَرَ الَّذِي لَا وَرَقَ عَلَيْهِ سَيَكُنُّسِي وَرَقًا، وَيُقَالُ: رَكَعَ الرَّجُلُ، أَيِ سَقَطَ.  
وقال الشاعر:

خَرَقَ إِذَا رَكَعَ الْمَطِيُّ مِنَ الْوَجَى      لَمْ يَطْوِ دُونَ رَفِيقِهِ ذَا الْمَرُودِ  
حَتَّى يَؤُوبَ بِهِ قَلِيلًا لَفْظُهُ      حَمِدَ الرِّقِيئُ نَدَاكَ أَوْ لَمْ يَحْمَدِ  
وَكَمَا يَشْهَوْنَ الشَّيْخَ بِالرَّامِعِ فَيَكُونُونَ بِهِ عَنَاءً، كَذَلِكَ يَقُولُونَ: يَحْجِلُ فِي قَيْدِهِ لِقَارِبِ خَطْوِهِ، قَالَ أَبُو الطَّمْحَانِ الْغَيْنِيُّ:

حَنَنْتَنِي حَانِيَاثُ الذُّفْرِ حَتَّى      كَأَنِّي خَائِلٌ أَدْنُو لَصِيدِ  
قَرِيبَ الْخَطْوِ يَحْسَبُ مَنْ رَأَيْتِي      - وَلَسْتُ مُقْبِئًا - أَنِّي بِقَيْدِ  
وَنَحْوُ هَذَا قَوْلُهُمْ لِلْكَبِيرِ: بَدَتْ لَهُ الْأَرْبُ، وَذَلِكَ أَنَّ مَنْ يَخْتَلِ الْأَرْبَ لِيَصِيدَهَا يَتِمَازِلُ فِي وَشِيئِهِ، وَأَنْشَدَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ فِي التَّوَادِرِ:

وَطَالَتْ بَنِي الْأَيَّامِ حَتَّى كَأَنَّنِي      مِنَ الْكِبَرِ الْعَالِي بَدَتْ لِي أَرْبُ  
وَنَحْوُهُ يَقُولُونَ لِلْكَبِيرِ: قَيْدٌ بَغْلَانِ الْبَعِيرِ، أَيِ لَا قُوَّةَ لِيَدِهِ عَلَى أَنْ يُصْرِفَ الْبَعِيرَ تَحْتَهُ عَلَى حَسَبِ إِرَادَتِهِ، فَيَقُودُهُ قَائِدٌ يَحْمِلُهُ حَيْثُ يَرِيدُ.

وَمِنْ أَمْثَالِهِمْ: لَقَدْ كُنْتُ وَمَا يَقَادُ بَنِي الْبَعِيرِ: يَضْرِبُ لِمَنْ كَانَ ذَا قُوَّةٍ وَعِزِّمْ، ثُمَّ عَجَزَ وَفَقِرَ. وَمِنْ الْكُتَابَاتِ عَنْ شَيْبِ الْعَنْفَقَةِ قَوْلُهُمْ: قَدْ غَضَّ عَلَى صُوفِهِ.

وَيَكُونُ عَنِ الْمَرْأَةِ الَّتِي كَبُرَ سَهْوُهَا فَيَقُولُونَ: امْرَأَةٌ قَدْ جَمَعَتِ الثِّيَابَ، أَيْ تَلْبَسَ الْقِنَاعَ وَالْجِمَارَ وَالْإِزَارَ، وَلَيْسَتْ كَالْفَتَاةِ الَّتِي تَلْبَسُ ثَوْبًا وَاحِدًا.

وَيَقُولُونَ لِمَنْ يَخْضِبُ: يَسْوُدُ وَجْهَ التَّذِيرِ، وَقَالُوا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَعَكُمْ التَّذِيرُ﴾<sup>(١)</sup>: إِنَّهُ الشَّيْبُ. وَقَالَ الشَّاعِرُ:

وَقَائِلَةٌ لِي اخْضِبْ فَالْعَوَانِي تَطِيرُ مِنْ مُلَاحَظَةِ الْقَتِيرِ

فَقُلْتُ لَهَا الْمَشِيبُ تَذِيرٌ مَوْتِي وَلَسْتُ مَسْوَدًا وَجْهَ التَّذِيرِ

وَزَاحِمٌ شَابٌّ شَيْخًا فِي طَرِيقٍ فَقَالَ الشَّابُّ: كَمْ ثَمَنَ الْقَوْسِ؟ يَعِيرُهُ بِانْحِنَاءِ الظَّهْرِ، فَقَالَ الشَّيْخُ: يَا بَنَ أَخِي: إِنْ طَالَ بَكَ عُمْرٌ فَسَوْفَ تَشْتَرِيهَا بِلا ثَمَنٍ. وَأَنْشَدَ لَابِنَ خَلْفَ:

تَعِيرُنِي وَخَطَّ الْمَشِيبُ بِعَارِضِي وَلَوْلَا الْحُجُوجُ الْبُلُقُ لَمْ تُعْرِفِ الذُّهُمُ

حَتَّى الشَّيْبُ ظَهَرَ فَاِسْتَمَرَّتْ مَرِيرَتِي وَلَوْلَا انْحِنَاءُ الْقَوْسِ لَمْ يَنْفُذِ السَّهْمُ

وَيَقُولُونَ لِمَنْ رَشَا الْقَاضِي أَوْ غَيْرِهِ: صَبَّ فِي قِنْدِيلِهِ زَيْتًا، وَأَنْشَدَ:

وَعِنْدَ قُضَاتِنَا خَبْتُ وَمَكَّرُ وَزَرْعٌ حِينَ تَسْقِيهِ يُسْنِبِلُ

إِذَا مَا صَبَّ فِي الْقِنْدِيلِ زَيْتٌ تَحَوَّلَتِ الْقَضِيَّةُ لِلْمُقْنَدِلِ

وَكَانَ أَبُو صَالِحٍ كَاتِبُ الرِّشِيدِ يُسَبِّحُ إِلَى أَخَذِ الرِّشَاءِ، وَكَانَ كَاتِبُ أُمِّ جَعْفَرٍ. وَهُوَ سَعْدَانُ بْنُ يَحْيَى كَذَلِكَ، فَقَالَ لَهَا الرِّشِيدُ يَوْمًا: أَمَا سَمِعْتَ مَا قِيلَ فِي كَاتِبِكَ؟ قَالَتْ: مَا هُوَ؟ فَأَنْشَدَهَا:

صَبَّ فِي قِنْدِيلِ سَفْدًا نَ مَعَ التَّنْزِيلِ زَيْتًا

وَقِنَادِيْسِلَ بَنِيهِ قَبْلَ أَنْ تَخْفَى الْكُمَيْتَا

قَالَتْ: فَمَا قِيلَ فِي كَاتِبِكَ أَشْنَعُ، وَأَنْشَدَتْهُ:

قِنْدِيلُ سَفْدَانٍ عَلَا ضَوْؤُهُ قُرْخُ لِقِنْدِيلِ أَبِي صَالِحٍ

تَرَاهُ فِي مَجْلِسِهِ أَحْوَصًا مِنْ لَمَجَةِ لِلدَّرْهِمِ اللَّائِحِ

وَيَقُولُونَ: لِمَنْ طَلَّقَ ثَلَاثًا: قَدْ نَحَرَهَا بِمَثَلِهِ.

وَيَقُولُونَ أَيْضًا: أَعْطَاهَا نِصْفَ السَّنَةِ.

وَيَقُولُونَ لِمَنْ يَفْتَخِرُ بِبَابَتِهِ: هُوَ عِظَامِي، وَلِمَنْ يَفْتَخِرُ بِنَفْسِهِ هُوَ عِصَامِي، إِشَارَةً إِلَى قَوْلِ النَّابِغَةِ فِي عِصَامِ بْنِ سَهْلٍ حَاجِبِ التَّعْمَانِ:

نَفْسُ عِصَامٍ سَوْدَتْ عِصَامًا وَعَلِمَتْهُ الْكَرُّ وَالْإِقْدَامَا

وَجَعَلَتْهُ مِلْكَأُمَامَا



وأشار بالعظامي إلى فخره بالأموات من آبائه ورفعته، وقال الشاعر:  
إذا ما الحسي عاشَ بِعَظَمِ مَيِّتٍ      فذاك العَظَمُ حيٌّ وهو مَيِّتٌ  
ونحو هذا أن عبد الله بن زياد بن ظبيان التميمي دخل على أبيه وهو يجود بنفسه فقال: ألا  
أوصي بك الأمير؟ فقال: إذا لم يكن للحَيِّ إلا وصية الميت فالحَيُّ هو الميت، ويقال: إن  
عطاء بن أبي سفيان قال ليزيد بن معاوية: أغنيني عن خَيْرِكَ، قال:  
حَسْبُكَ ما أَهْنَاكَ به معاوية، قال: فهو إذن الحَيُّ وأنت الميت، ومثل قولهم: عظامي،  
قولهم: خارجي، أي يَقَعَّرُ بغير أولية كانت له، قال: كثير لعبد العزيز:

أبا مَروانَ لستَ بِخارجي      وليس قديمٌ مَجْدُكَ بانتحالٍ  
ويَكُونُ عن العَزيز وعن الدُّليل أيضاً يقولون: يَبْضَةُ البَلَدِ، فمن قولها للَمَدْحِ يذَعَبُ إلى أنَّ  
البَيْضَةُ هي الحَوْزَةُ والجَمَى، يقولون: فلانٌ يَحْيِي بَيْضَتَهُ، أي يَحْيِي حَوْزَتَهُ وجماعته، ومن  
يقولها للذَمِّ يعني أنَّ الواحدة من بَيْضِ التَّعام إذا فَسَدَتْ تَرَكَّها أبواها في البَلَدِ وَدَعَبَا عنها، قال  
الشاعر في المدح:

لكنَّ قائله من لا كِفاءَ له      من كان يُدعى أبوه بَبْضَةِ البَلَدِ  
وقال الآخر في الذم:

تأبى قُضاعةٌ لم تُعرِفَ لكم نَسَباً      وأبنا يزارِ فأنتم بَبْضَةُ البَلَدِ  
ويقولون للشيء الذي يكون في الدهر مرة واحدة: هو بَبْضَةُ الذِّيكِ، قال بشار:

يا أَطيبَ الناسِ ريقاً غيرَ مختَبِرٍ      إلا شَهادَةَ أَطرافِ السَّوايِكِ  
قد زُرَّتْنا زُورَةٌ في الدهرِ واحدةٌ      نُنِّي ولا تَجَمَّلِها بَبْضَةُ الذِّيكِ  
ويَكُونُ عن الثَّقيلِ بالقَدَى في الشَّرابِ، قال الأخطل يذُكِّرُ الخَمْرَ والاجتماع عليها:

وليسَ قَدَّاهَا بالذي قد يَضِيرُها      ولا بِذُبَابِ نَزْعِهِ أيسرُ الأَمْرِ  
ولكنَّ قَدَّاهَا كلَّ جَلَفٍ مَكْلُوفٍ      اتَّشنا به الأَيامُ من حيثَ لا نَدْرِي  
فذاك القَدَى وأبْنُ القَدَى وأخو القَدَى      فإنَّ له من زائِرِ آخرِ الدهرِ  
ويَكُونُ أيضاً عنه بقَدَحِ اللَّبْلابِ، قال الشاعر:

يا ثَقيلاً زادَ في الثُّغْرِ      لعلِّي كلَّ ثَقيلٍ  
أنتَ عِنْدِي قَدَحُ اللَّبِ      لا بَني كَفِّ العَلِيلِ

ويَكُونُ عنه أيضاً بالقَدَحِ الأولِ، لأنَّ القَدَحَ الأولَ من الخَمْرِ تَكَرَّهه الطَّيِّبة وما بعده فدونه  
لا عتِياه، قال الشاعر:

واثقلُ من حَضِيضِ بايِياً      وأبَفَضُ من قَدَحِ أولِ

وَيَكُونُ عَنْهُ بِالْكَائُونِ، قَالَ الْمُطَيِّبَةُ يَهْجُو أُمَّهُ:

تَنَحَّيْ فَاغْشِي عَنِّي بِعَمِيدٍ أَرَاخَ اللَّهُ مِنْكَ الْعَالَمِينَ  
أَغْرِيَالاً إِذَا اسْتَوْدَعْتَ سِرّاً وَكَانُونَا عَلَى الْمُتَحَدِّثِينَ  
قَالُوا: وَأَصْلُهُ مِنْ كُنْتُتْ أَيِ سَتَرْتُ، فَكَانَهُ إِذَا دَخَلَ عَلَى قَوْمٍ وَهُمْ فِي حَدِيثٍ سَتَرُوهُ عَنْهُ، وَقِيلَ: بَلِ الْمُرَادُ شِدَّةُ بَرْدِهِ.

وَيَكُونُ مِنَ التَّقْيِيلِ أَيْضاً بِرَحَا الْبُزْرِ، قَالَ الشَّاعِرُ:

وَأَتَقَلَّ مِنْ رَحَا بَزْرِ عَلَيْنَا كَأَنَّكَ مِنْ بَقَايَا قَوْمٍ عَادٍ  
وَيَقُولُونَ لِمَنْ يَحْمَدُونَ جَوَارَهُ: جَارُهُ جَارُ أَبِي دُرَّادٍ، وَهُوَ كَعَبُ بْنُ مَامَةَ الْإِيَادِي، كَانَ إِذَا جَاوَزَهُ وَجَلَّ قِمَاتٍ وَذَاهُ، وَإِنْ هَلَكَ عَلَيْهِ شَاءَ أَوْ بَعِيرٌ أَخْلَفَ عَلَيْهِ، فَجَاوَزَهُ أَبُو دَوَادٍ الْإِيَادِي، فَأَحْسَنَ إِلَيْهِ، فَضْرِبَ بِهِ الْمَثَلَ.

وَمَثَلُهُ قَوْلُهُمْ: هُوَ جَلِيسٌ قَفْقَاعُ بَنِ شَوْرٍ، وَكَانَ قَدْ قَدِمَ إِلَى مَعَاوِيَةَ فَدَخَلَ عَلَيْهِ، وَالْمَجْلِسُ غَاصٌّ بِأَهْلِهِ لَيْسَ فِيهِ مَقْعَدٌ، فَنَامَ لَهُ وَجَلَّ مِنَ الْقَوْمِ وَأَجْلَسَهُ مَكَانَهُ، فَلَمْ يَبْرَحِ الْقَفْقَاعُ مِنْ ذَلِكَ الْمَوْضِعِ يَكَلِّمُ مَعَاوِيَةَ وَمَعَاوِيَةُ يُخَاطِبُهُ حَتَّى أَمَرَ لَهُ بِمِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ، فَأَحْضَرَتْ إِلَيْهِ، فَجُعِلَتْ إِلَى جَانِبِهِ، فَلَمَّا قَامَ قَالَ لِلرَّجُلِ الْقَائِمِ لَهُ مِنْ مَكَانِهِ: ضُمَّهَا إِلَيْكَ، فَهِيَ لَكَ بَقَايَا لَنَا عَنْ مَجْلِسِكَ، فَقِيلَ فِيهِ:

وَكُنْتُ جَلِيسَ قَفْقَاعِ بْنِ شَوْرٍ وَلَا يَشْقَى بِقَفْقَاعِ جَلِيسٍ  
ضَحُوكَ السِّنِّ إِنْ نَطَقُوا بِخَيْرٍ وَعِنْدَ الشَّرِّ مِطْرَاقُ عَبُوسٍ  
أَخَذَ قَوْلَهُ: «وَلَا يَشْقَى بِقَفْقَاعِ جَلِيسٍ» مِنْ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «هَمُّ الْقَوْمِ لَا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ»<sup>(١)</sup>.

وَيَكُونُ مِنَ السَّمِينِ مِنَ الرِّجَالِ بِقَوْلِهِمْ: هُوَ جَارُ الْأَمِيرِ وَضَيْفُ الْأَمِيرِ، وَأَصْلُهُ أَنَّ الْقَضْبَانَ بَنَ الْقَبْعَتَرَى كَانَ مَحْبُوساً فِي سِجْنِ الْحِجَابِ، فَذَعَا بِهِ يَوْمًا فَكَلَّمَهُ، فَقَالَ لَهُ فِي جُمْلَةِ خُطَابِهِ: إِنَّكَ لَسَمِينٌ يَا عَضْبَانُ، فَقَالَ: الْقَيْدُ وَالرِّمَّةُ، وَالْخَفْضُ وَالذَّعَّةُ، وَمَنْ يَكُنْ ضَيْفُ الْأَمِيرِ يَسْمَنُ. وَيَكْنِي الْفَلَّاسِفَةُ مِنَ السَّمِينِ بِأَنَّهُ يُعْرَضُ سَوْرَ حَبْسِهِ، وَذَلِكَ أَنَّ أَفْلَاطُونَ أَرَى وَجْلاً سَمِيناً، فَقَالَ: يَا هَذَا، مَا أَكْثَرَ عِنَايَتِكَ بِتَعْرِضِ سَوْرِ حَبْسِكَ!

وَنَظَرَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى رَجُلٍ جَيِّدٍ الْكِدْنَةِ<sup>(٢)</sup>، فَقَالَ: أَرَى عَلَيْكَ قَطِيفَةً مُحْكَمَةً. قَالَ: نَعَمْ، ذَاكَ عَنَرَانُ نِعْمَةِ اللَّهِ عِنْدِي.

(١) مسند أحمد: ٢٥٢/٢.

(٢) جيد الكدنة: سمينا غليظا. اللسان، مادة (كدن).

ويقولون للكذاب: هو قموصُ الحَنْجَرَةِ، وأيضاً هو زُلُوقُ الكَيْدِ، وأيضاً لا يوثق بسَيْلِ بلقيعِه. وأيضاً أَسِيرُ الهِنْدِ لأنه يَدْعِي أَنه ابْنُ الْمَلِكِ، وإن كان من أولادِ السُّفَلَةِ. ويُكنى عنه أيضاً بالشيخِ الغريبِ، لأنه يُحِبُّ أن يتزوَّجَ في العُرْبَةِ فيَدْعِي أَنه ابنُ خمسين سنةً، وهو ابنُ خمسٍ وسَبْعِينَ.

ويقولون: هو فاختَةُ الْبَلَدِ، من قول الشاعر:

أَكْذَبُ مَنْ فَاخَتْهُ  
وَالطَّلَعُ لَمْ يَبْذُلْهَا  
تَصْبِيحُ فَوْقِ الْكَرْبِ  
هَذَا أَوَانُ السُّرْطِيبِ

وقال آخر في المعنى:

حَدِيثُ أَبِي حَازِمٍ كُلُّهُ  
وَهُنَّ وَإِنْ كُنَّ يُثْبِتُهُنَّ  
كَقَوْلِ الْفَوَاخِثِ: جَاءَ الرُّطْبِ  
فَلَسَنَّ يُدَانِيَنَّهُ فِي الْكُذِبِ

ويكنون عن التَّامِ بِالزَّجَاجِ، لأنه يَشِفُّ على ما تحته، قال الشاعر:

أَنْتُمْ بِمَا اسْتَوْدَعْتُهُ مِنْ زُجَاجٍ  
وَيَكُونُ عَنْهُ بِالنَّسِيمِ، مِنْ قَوْلِ الْآخَرِ:

وَأَنْتَ كُلَّمَا اسْتَوْدَعْتَ سِرًّا  
وَيَقُولُونَ: إِنَّهُ لَصُبْحٌ، وإنه لَطِيبٌ، كله في التَّامِ. ويقولون: ما زال يَغْتَلِّ له في الذُّوَّةِ  
وَالْغَارِبِ حَتَّى اسْمَحَتْ قُرُونُهُ، وهي النَّفْسُ، وَالذُّوَّةُ: أَعْلَى السَّنَامِ، وَالْغَارِبُ: مُقَدِّمُهُ.

ويقولون في الْكِتَابَةِ عَنِ الْجَاهِلِ: مَا يَدْرِي أَيُّ طَرَفِهِ أَطْوَلُ، قَالُوا: ذَكَرَهُ وَلِسَانُهُ.

وقالوا: هَلْ نَسَبُ أَبِيهِ أَفْضَلُ أَمْ نَسَبُ أُمِّهِ؟

ومثله: لَا يَعْرِفُ قَطَانَهُ مِنْ لَطَانِهِ، أَي لَا يَعْرِفُ جَنْهَتَهُ مِمَّا بَيْنَ وَرَكَيْهِ.

وقالوا: الْجَدَّةُ كُنْيَةُ الْجَهْلِ، وَالْاِقْتِصَادُ كُنْيَةُ الْبُخْلِ، وَالْاِسْتِقْصَاءُ كُنْيَةُ الظُّلْمِ.

وقالوا لِلْجَائِعِ: عَضُّهُ الصَّفَرُ، وَعَضُّهُ شُجَاعُ الْبَقْلِ.

وقال الْهَذَلِيُّ:

أَرَدْتُ شُجَاعَ الْبَقْلِ قَدْ تَعَلَّمِيَنَّهُ  
مَخَافَةَ أَنْ أَخْبَا بِرَغَمٍ وَذَلَّةٍ  
وَأَوْثَرَ عَرَفِي مِنْ عِيَالِيكَ بِالطُّغْمِ  
وَاللَّمُوثُ خَيْرٌ مِنْ حَيَاةٍ عَلَى رَغَمٍ

ويقولون: زَوَّدَهُ زَادَ الضَّبِّ، أَي لَمْ يَزُوْدْهُ شَيْئاً، لِأَنَّ الضَّبَّ لَا يَشْرَبُ الْمَاءَ، وَإِنَّمَا يَتَغَذَّى بِالرَّيْحِ وَالنَّسِيمِ، وَيَأْكُلُ الْقَلِيلَ مِنْ عُشْبِ الْأَرْضِ.

وقال ابنُ الْمُعْتَرِّ:

يقول أكلنا لحمَ جَدِي وبطة وعشَرَ دجاجاتٍ سواءَ بألبانٍ  
وقد كَذَبَ المَلْعُونُ ما كان زاده سِوَى زادِ هَبِّ الرِّيحِ عَظْشان  
وقال أبو الطَّيِّبِ:

لقد لَبِيبُ البَيْنِ المُشِثُ بها وَبَى وزودني في السَّيرِ ما زَوَّدَ الضُّبَا  
ويقولون للمختلفين من الناس: هم كَنَعَمِ الصَّدَقَةِ، وهم كَبَغَرِ الكَنْشِ، قال عمرو بن لُجَا:  
ويُغَرِّ كَبَغَرِ الكَنْشِ أَلْفَ بَيْنِهِ لسانٌ دَعيٌّ في القَرِيضِ دَجيلٌ  
وذلك لأنَّ بَعَرَ الكَبشِ يَقَعُ مَضْرُوقاً.

وقال بعضُ الشعراءِ لشاعرٍ آخر: أنا أشعرُ منك لأنِّي أقولُ البيتَ وأخاه، وتقول البيتَ وابنَ  
عمِّه. فأما قولُ جريرٍ في ذي الرِّمَّة: إنَّ شعره بعِرْطِباءٍ ونَقَطَ عُرُوسٍ، فقد فسره الأصمعيُّ فقال:  
يريد أنَّ شعره حُلُوٌّ أولُ ما تَسْمَعُه، فإذا كُرِّرَ إنشاده ضَعُفَ، لأنَّ أبعادَ الطُّبَّاءِ أولُ ما تَسْمَعُ توجدُ  
لها رائحةٌ ما أكلتُ من الجُنْحاثِ والشَّيخِ. والقِيصومُ، فإذا أَدُمْتَ شَمَهَا عُذِمَتْ تلكَ الرائحةُ،  
ونَقَطَ العُرُوسِ إذا عَسَلَتْها ذهبٌ.

ويقولون أيضاً للمختلفين: أخفافٌ، والخَفِيفُ: سَوادٌ إحدى العَيْنَيْنِ وزرَقُ الأخرى.

ويقولون فيهم أيضاً: أولادُ عِلَاتٍ كالإخوةِ لأمِّها تَشَبَّيَ، والعَلَّةُ: الضَّرَّةُ.

ويقولون فيهم: خَبِرٌ كُتَّابٌ، لأنه يكونُ مختلفاً، قال شاعرٌ يهجو الحُبَّاجَ بنَ يوسف:  
أَبْنَسَى كَلِيبَ زَمَانِ الهُزَالِ وتعلِّيمه سُورَةُ الكَوْنِ  
رَغِيفٌ لَه فَلَكَ مائِرَى وأخِرُ كَالقَمَرِ الأَزْهَرِ  
ومثله:

أما رأيتُ بني سَلَمٍ وجُوهَهُمُ كأنها خَبِرٌ كُتَّابٍ وَيَقَالُ  
ويقال للمتساوين في الرِّدَاءَةِ: كَأَنَّانِ الجِمَارِ، قال الشاعر:

سواءُ كَأَنَّانِ الجِمَارِ فلا تَرَى لذي شَبِيعَةٍ مِنْهُمْ على نَاشِءٍ فَضْلاً  
وقال آخر:

شَبَابُهُمْ وشَبِيبُهُمْ سواءُ فهمُ في اللُّؤْمِ أَسنانُ الجِمَارِ  
وأشدُّ المَبْرَدِ في الكَاملِ لأعرابيٍ يَصِفُ قوماً من طَيِّءٍ بالتساوي في الرِّدَاءَةِ:

ولما أن رأيتُ بَنِي جُؤَيْنٍ جُلُوساً ليسَ بَيْنَهُمْ جَلِيسٌ  
يُسْتَمَتُ مِنَ الَّذِي أَقْبَلْتُ أَبْغَى لَدِيهِمْ، إنَّني رَجُلٌ يَتُوسُ  
إذا ما قُلْتُ أَيْهَمُ لَأَيَّ تَشَابَهَتْ المَنَاكِبُ والرُّؤُوسُ

قال: فقوله: ليسَ بَيْنَهُمْ جَلِيسٌ، هِجاءٌ قِيحٌ، يقول: لا يَتَجَعُّ الناسُ معروفَهُم، فليسَ بَيْنَهُم

غيرهم. ويقولون في المتساويين في الرداءة أيضاً: هما كجماري العبادي، قيل له: أي جماريك شر؟ قال: هذا ثم هذا. ويقال في التساوي في الشر والخير: هم كاشنان المشط، ويقال: وقعا كركيتي البعير، وكرجلي النعامة.

وقال ابن الأعرابي: كل طائر إذا كُسرَتْ إحدى رجليه تحامل على الأخرى إلا النعام فإنه متى كُسرَتْ إحدى رجليه جثم، فلذلك قال الشاعر يذُكر أخاه:

وانسي وإياه كرجلي نعامية على ما بنا من ذي غنى وفقير  
وقال أبو سفيان بن حرب لعامر بن الطفيل وعلقمة بن ثلاثة وقد تنافرا إليه: أنتما كرجيتي البعير، فلم يتفر واحداً منهما، فقالا: فأيتا اليئني؟ فقال: كل منكما يمئ.

وسأل الحجاج رجلاً عن أولاد المهلب: أيهم أفضل؟ فقال: هم كالحلقة الواحدة. وسئل ابن فريد عن المبرد وثعلب، فأثنى عليهما، فقيل: فأبن فتية؟ قال: رزوة بين جبليين، أي حمل ذكره ببناهتهما.

ويكنى عن الموت بالقطع عن المنجمين، وعن السعاية بالنصيحة عند العمال، وعن الجماع بالوظء عند الفقهاء، وعن الشكر بطيب النفس عند الندماء، وعن السؤال بالزوار عند الأجواد، وعن الصدقة بما أفاء الله عند الصوفية.

ويقال للمتكلف بمصالح الناس: إنه وصي آدم على ولده، وقد قال شاعر في هذا الباب:

فكان آدم عند قرب وفاته أوصاك وهو يجود بالحزباء  
بسنيه أن ترعاهم فرعيتهم وكفيت آدم عيلة الأبناء  
ويقولون: فلان خليفة الخضر إذا كان كثير السفر، قال أبو تمام:

خليفة الخضر من يربع على وطني أو بلدة فظهور العيس أوطاني  
بغداد أهلي وبالشام الهوى وأنا بالرققين وبالفسطاط إخواني  
وما أظن النوى ترضى بما صنعت حتى تبلغ بي أقصى خراسان  
ويقولون للشيء المختار المتخَب: هو ثمرة الغراب لأنه يتقي خير الثمر.

ويقولون: سمن فلان في أويمه، كناية عن لا يتنقع به، أي ما خرج منه يرجع إليه، وأصله أن نخياً من السمن انشق في ظرف من الدقيق، فقيل ذلك، قال الشاعر:

ترحل فما بغداد دار إقامة ولا عند من أهوى ببغداد طائر  
محل ملوك سمنهم في أويمهم وكلهم من جليّة المجد عاطل  
فلا غرو أن شلت يد المجد والعلی وقيل سماح من رجال ونايل  
إذا غشغش البحر الغطاط ماء فليس عجيباً أن تفيض الجدائل

ويقولون لمن لا يقي بالعهد: فلان لا يحفظ أول المائدة، لأن أولها: ﴿يَأْتِيهَا الذِّبُّ﴾ مَأْتُوا  
أَوَّلُوا بِالْمَعْرُوفِ<sup>(١)</sup>.

ويقولون لمن كان حسن اللباس ولا طائل عنده: هو يشجب، والموشجب: خشبة القصار  
التي يطرح الثياب عليها، قال ابن الحجاج:

لي سادة طائر السرور بهم      يطرده اليأس بالمقاليع  
مشاجب للثياب كلهم      وهذه عادة المشاقيع  
جانزني عندهم إذا سمعوا      شغري: هذا كلام منطبيع  
وانهم يصحكون إن ضحكوا      ونني وأبكي أنا من الجوع  
وقال آخر:

إذا لبسوا دُكْنَ الخروز وخضرها      وراحوا فقد راحت عليك المشاجب  
وروي أن كيسان غلام أبي عبيدة وقد على بعض البرامكة فلم يعطه شيئاً، فلما وافى البصرة  
قيل له: كيف وجدته؟ قال: وجدته مشجباً من حيث ما أتته وجدته.

ويكنون عن الطغلي فيقولون: هو ذباب، لأنه يقع في القدر، قال الشاعر:

أنتك زائر لقساء حق      فحال السر دوتك والحجاب  
ولست بواقع في قدر قوم      وإن كرهوا كما ينقع الذباب  
وقال آخر:

وأنت أخو السلام وكيف أنتم      ولست أخوا الملمات الشداد  
وأطفل حين يجفئ من ذباب      وألزم حين يذعى من فراد  
ويكنون عن الجرب يحب الثياب، قال الوزير المهلي:

يا ضروف الدهر حشبي      أي ذنب كان ذنبي!  
حيلة خضت وعمت      في حبيب ومحب  
دب في كئيبه يا من      حبه دب بقلوب  
فهو يشكو حر حب      وشكساتي حر حب

ويكنون عن القصير القامة بأبي زبيبة، وعن الطويل بخيط باطل. وكانت كنية مروان بن  
الحكم لأنه كان طويلاً مضطرباً، قال فيه الشاعر:

لحا الله قوماً أمروا خيط باطل      على الناس يغطي من يشاء ويمنع

وفي خيط باطل قولان: أحدهما أنه الهباء الذي يدخل من ضوء الشمس في الكوة من البيت، وتسميه العامة غَزَلُ الشَّمْسِ، والثاني أنه الخيط الذي يخرج من قَمِ العنكبوت، وتسميه العامة مُحَاطُ الشيطان.

وتقول العرب للملقو: لَطِيمُ الشيطان.

وكان لقب عمرو بن سعيد الأشدق، لأنه كان مَلْقُوًّا.

وقال بعضهم لآخر: ما حدث؟ قال: قَتَلَ عبد الملك عمرًا، فقال: قتل أبو الذبان لَطِيمُ الشيطان، ﴿وَكَذَلِكَ نُولِي بَقِيَّةَ الظَّالِمِينَ بَقِيَّةً يَمَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

ويقولون للحزين المهموم: يَغْدُ الحصى، وَيَخْطُ في الأرض، وَيَقُتُّ البَرَمِج، قال المعجون:

عشبة ما لي حيلة غير أنني يلفط الحصى والخط في الدار مولع

أخط وأنحو كل ما قد خطبطنه بدموعي والغريبان حزلي وقع

وهذا كالتام بقرع السن، والبخل ينكت الأرض بيتانه، أو بعود عند الرد، قال الشاعر:

عبيد إخوانهم حتى إذا ركبوا يوم الكريهة فالأساد في الأجم

يرضون في العسر والإيسار سائلهم لا يقرعون على الأسنان من ندم

وقال آخر في نكت الأرض بالعيدان:

قوم إذا نزل الغريب بدارهم تركوه رب صواهل وقيام

لا ينگتون الأرض عند سؤلهم لتطلب العلات بالعيدان

ويقولون للفارغ: فواد أم موسى.

ويقولون للمفري من المال: مُنْقَرَس، وذلك أن علة النقرس أكثر ما تعترى أهل الثروة والتنعيم.

حكى المبرد، قال: كان الجرمازي في ناحية عمرو بن مسعدة، وكان يُخْرِجُ عليه، فخرج عمرو بن مسعدة إلى الشام، وتخلّف الجرمازي ببغداد، فأصابه النقرس، فقال:

أقام بأرض الشام فاختل جانبي ومطلبه بالشام غير قريب

ولا سيما من مفليس جلف نقرس أما نقرس في مفليس عجيب!

وقال بعضهم يهجو ابن زيدان الكاتب:

تواضع النقرس حتى لقد صار إلى رجل ابن زيدان

علة إنسان ولكنها قد وجدت في غير إنسان

ويقولون للمتوفى: رقيق الثقل، وأصله قول النابغة:

رِقَاقُ السَّعَالِ طَيِّبٌ حُجْزَاتُهُمْ يُحْيِيزُنَ بِالرَّيْحَانِ يَوْمَ السَّبَابِيبِ

يعني أنهم ملوك، والملِك لا يخْصِف نعله وإنما يخْصِف نعله من يمشي. وقوله: «طيب حُجْزَاتُهُمْ»، أي هم أعفَاء الفروج، أي يشدون حُجْزَاتِهِمْ على عِفَّة. وكذلك قولهم: فلان مُسْمَطُ الثَّعَالِ، أي نعله طبقة واحدة غير مَخْصُوف، قال المَرَار بن سَعِيد القُفْعَسِي:

وَجَذْتُ بَنِي خَفَاجَةَ فِي عَقِيلٍ كِرَامِ النَّاسِ مُسْمَطَةَ السَّعَالِ  
وقرب من هذا قول النجاشي:

ولا يأكل الكلبُ السُّرُوقَ نَعَالَنَا ولا يَنْتَقِي المُنْحُ الذي في الجماجم

يريد أن نعالهم سبت، والسبت: جلود البقر المدبوجة بالقرظ، ولا تقربها الكلاب، وإنما تأكل الكلاب غير المدبوغ، لأنه إذا أصابه المطر دسسه فصار زهياً.

ويقولون للسيد: لا يطأ على قدم، أي هو يتقدم الناس ولا يتبع أحداً قطاً على قدمه.

ويقولون: قد اخضرت نعالهم، أي صاروا في خضب وسعة، قال الشاعر:

يَسَائِيَهُونَ إِذَا اخْضَرَّتْ نَعَالُهُمْ وَفِي الْحَفِيظَةِ أَبْرَامَ مَضَاجِيرُ

وإذا دعوا على إنسان بالزمانة قالوا: خلع الله نعليه، لأن المتعد لا يحتاج إلى نعل.

ويقولون: أطفأ الله نوره، كناية عن العمى وعن الموت أيضاً، لأن من يموت فقد طُفِئَتْ نَارُهُ.

ويقولون: سقاء الله دم جوفه، دعاء عليه بأن يقتل ولده، ويضطر إلى أخذ ديتو إبلاً فيشرب البائها.

ويقولون: رماه الله بليلة لا أخت لها، أي ليلة موته، لأن ليلة الموت لا أخت لها.

ويقولون: وقعوا في سلا جمل، أي في دامية لا يرى مثلها، لأن الجمل لا سلا له، وإنما السلا للناقة، وهي الجليدة التي تكون ملفوفة على ولدها.

ويقولون: صاروا في حولا ناقة، إذ صاروا في خضب.

وكانوا إذا وصفوا الأرض بالخضب قالوا: كأنها حولا ناقة.

ويقولون لأبناء الملوك والرؤساء ومن يجري مجراهم: جفاة المحز، قال الشاعر:

جُفَاءَ المَحَزِّ لَا يُصِيبُونَ مِفْصَلًا وَلَا يَأْكُلُونَ اللَّحْمَ إِلَّا تَخَذُّمًا

يقول: هم ملوك، وأشباه الملوك لا يذوق لهم بنحر الإبل والغنم ولا يعرفون التجليد والسُلخ، ولهم من يتولّى ذلك عنهم، وإذا لم يحضرهم من يجزّر الجزور تكلّفوا هم ذلك بأنفسهم، فلم يحسنوا حرّ المفصل كما يقتله الجزار، وقوله:

وَلَا يَأْكُلُونَ اللَّحْمَ إِلَّا تَخَذُّمًا



أي ليس بهم شره فإذا أكلوا اللحم تخذلوا قليلاً قليلاً، والخذم: القَطْع، وأنشد الجاحظ في مثله:

وَصُلِّحَ الرُّؤُوسُ عِظَامُ البَطُونِ جُفَاءَ المَحَرِّ غِلَظَ السِّقْصِرِ  
لأن ذلك كله أمارات الملوك، وقرئ من ذلك قوله:

ليس براصي إيلي ولا عَنَمٌ ولا بِجَزَارٍ على ظهري وضم  
ويقولون: فلان أملس، يكتون عمن لا خير فيه ولا شر، أي لا يثبت فيه حمد ولا قَم.

ويقولون: ملحه على رُكَّتي، أي هو سىء الخلق، يُغضبه أذى شيء، قال:

لا تُلْنِهَا إِنِّهَا من عُضْبَةٍ ملحها موضوعة فوق الرُّكْبِ

ويقولون: كناية عن مجوسية: هو متن يخط على التمل، والتمل جمع نَمْلَة، وهي قُرْحَة الإنسان، كانت العرب تزعم أن المجوسي إذا كان من أخوته وخط عليها برأت، قال الشاعر:

ولا عيبَ فينا غيرَ عِرْقٍ لِمِعْشَرِ كِرَامٍ وأنا لا نُحْطُ على النُّنلِ

ويقولون للصبي: قد قُطِفْتَ ثمرته، أي نخين. وقال عُمارة بنُ عقيل بنِ بلال بن جبرير:

ما زال عصياننا لله يردُّنا حتى دُفِعنا إلى يَحْيَى ودينارٍ

إلا غُلْبَجَيْنِ لم تُقْطَفِ إِمَارُهما قد طالما سَجَدَ للشمس والنار

ويقولون: قَدَّرَ حليلة، أي لا غَلْبَانِ فيها.

ويقولون لمن يصلي صلاةً مختصرة: هو راجزُ الصلاة.

وقال أعرابي لرجل رآه يصلي صلاةً خفيفة: صلاتك هذه رَجَز.

ويقولون: فلان عَفِيفُ الشُّفَّةِ، أي قليلُ السَّوَالِ، وفلان خَفِيفُ الشُّفَّةِ، كثيرُ السَّوَالِ.

وتكنى العرب عن المتيقظ بالقطامي، وهو الصَّقْر:

ويكنون عن الشدة والمَشَقَّةِ بَعَرَقُ القُرْبَةِ، يقولون: لقيت من فلان عَرَقَ القُرْبَةِ، أي العَرَقِ

الذي يَخْذُثُ بك من حَمْلِها ونقلها، وذلك لأنَّ أشدَّ العمل كان عندهم الشَّفِي وما ناسبه من معالجة الإبل.

وتكنى العرب عن الحشرات وهَوَامِ الأرض بجنود سَعْدٍ، يَمْنُون سعدَ الأخبية، وذلك لأنه

إذا طَلَعَ انتشرت في ظاهِر الأرض، وخرج منها ما كان مستوراً في باطنها، قال الشاعر:

قد جاء سعدٌ مُنْزِلاً بِحَرِّهِ مُرْعَدَةً جُنُودُهُ بِشَرِّهِ

ويكنى قومٌ من السائلين على الأبواب بِحُفَاطِ سورة يوسف عليه السلام، لأنهم يعتنون بحفظها

دون غيرها، وقال عُمارة يَهْجُو مُحَمَّدَ بْنَ وَقِيب:

تَشَبَّهْتَ بالأعرابِ أَهْلُ التَّعْجِيفِ فَدَلَّ على ما قلتَ قُبْحُ التَّكْلِيفِ

لسان عراقي إذا ما صرّفته إلى لغة الأعراب لم يتصرّف  
ولم تنس ما قد كان بالأمس حاكّه أبوك وعود الجفّت لم يتقصّف  
لئن كنت للأشعار والنحو حافظاً لقد كان من حفاظ سورة يوسف  
ويكونون عن اللقيط بترية القاضي، وعن الرقيب بثاني الحبيب، لأنه يرى معه أبداً، قال ابن  
الرومي:

مؤقت للرقيب لا أنساه لسك اختاره ولا آباه  
مرحباً بالرقيب من غير وعيد جاء يجلو عليّ من أفواه  
لا أحب الرقيب إلا لأني لا أرى من أحبّ حتى أراه

ويكونون عن الوجه المليح بحجة المذنب، إشارة إلى قول الشاعر:

قد وجدنا غفلة من رقيب فسرّتنا نظرة من حبيب  
ورائنا ثمّ وجهاً مليحاً فوجدنا حجة للذنوب

ويكونون عن الجاهل ذي النعمة بحجة الزنادقة، قال ابن الرومي:

مهلاً أبا الصّفر فكم طائر خرم صريعاً بعد تخليقي  
لا قدست نعمي تسرّلتها كم حجة فيها لزيدي

وقال ابن بسام في أبي الصّفر أيضاً:

يا حجة الله في الأرزاق والوسم وعبرة لأولي الألباب والفهم  
تراك أصبحت في نعماء سابعة إلا ورثك غضبان على النعم

فهذا ضد ذلك المقصد، لأنّ ذاك جعله حجة على التؤدّة، وهذا جعله حجة على قذرة  
البارئ سبحانه على عجائب الأمور وغرائبها، وأنّ النعم لا قدر لها عنده سبحانه، حيث  
جعلها عند أبي الصقر مع دناءة منزله. وقال ابن الرومي:

وقينة أبرد من تلجة تبيث منها النفس في فجة  
كانها من ننتنها صخة لكنّها في اللون أنرجة  
تفاوتت خلقها فاغتدت لكل من عطل مُختجة

وقد يشابه ذلك قول أبي عليّ البصير في ابن سعدان:

يابن سعدان أجليح الرزق في أنرك واستحسن القبيح بمرة  
نلت ما لم تكن تمنّي إذا ما أسرفت غاية الأمانّي عشرة  
ليس فيما أظنّ إلا لكينلا يُنكر المنكرون لئله قذرة

وللمفتيح في قريب منه :

إِنْ كُنْتُ حُنْتُكُمْ الْمَوْدَةَ غَاوِرًا أَوْ حُلْتُ عَنْ سَنَنِ الْمَحَبِّ الْوَامِقِ  
فَمُسَخَّتٍ فِي قُبْحِ ابْنِ طَلْحَةَ إِنَّهُ مَا دَلَّ قَطُّ عَلَى كِمَالِ الْخَالِقِ  
ويقولون : عَرَضُ فَلَانٍ عَلَى الْحَاجَةِ عَرَضًا سَابِرِيًّا ، أَي خَفِيفًا مِنْ غَيْرِ اسْتِقْصَاءٍ ، تَشْبِيهَا لَهُ  
بِالثُّوبِ السَّابِرِيِّ ، وَالدَّرْعِ السَّابِرِيَّةِ ، وَهِيَ الْخَفِيفَةُ .

وَيُحْكِي أَنْ مَرْتَدًّا مَرَّ عَلَى قَوْمٍ يَأْكُلُونَ وَهُوَ رَاكِبٌ جِمَارًا ، فَقَالُوا : انْزِلْ إِلَيْنَا ، فَقَالَ : هَذَا  
عَرَضٌ سَابِرِيٌّ ، فَقَالُوا : انْزِلْ يَا بَنَ الْفَاعِلَةِ . وَهَذَا قُرِفَتْ وَلِبَاقَةٌ .

ويقولون في ذلك : وَعَدُ سَابِرِيٍّ ، أَي لَا يُقَرَّنُ بِهِ وِفَاءٌ ، وَأَصْلُ السَّابِرِيِّ ، اللَّطِيفُ الرَّقِيقُ .  
وَقَالَ الْمُبَرِّدُ : سَأَلْتُ الْجَاحِظَ : مَنْ أَشْعَرُ الْمَوْلَدِينَ ؟ قَالَ : الْقَاتِلُ :

كَانَ يُبَايِهَ أَظْلَمَ مَنْ أَزَارَهُ قُتْمًا  
يَزِيدُكَ وَجْهَهُ حُسْنًا إِذَا مَا زَدْتَهُ نَظْمًا  
بَعَيْنِ خَالِطِ التَّفْتِ يَرُفِي أَجْفَانِهَا الْحَوْرَا  
وَوَجْهِ سَابِرِيٍّ لَوْ تَصَوَّبَ مَاؤُهُ قَطْرًا  
يعني العَبَاسُ بْنُ الْأَحْنَفِ .

وتقول العرب في معنى قول المحدثين : عَرَضَ عَلَيْهِ كَذَا عَرَضًا سَابِرِيًّا : عَرَضَ عَلَيْهِ عَرَضٌ  
عَالَةً ، أَي عَرَضَ الْمَاءُ عَلَى التَّعَمِّ الْعَالَةِ الَّتِي قَدْ شَرِبَتْ شُرْبًا بَعْدَ شُرْبٍ ، وَهُوَ الْعَلَلُ ، لِأَنَّهَا  
تُعَرِّضُ عَلَى الْمَاءِ عَرَضًا خَفِيفًا لَا تَبَالُغُ فِيهِ .

وَمِنَ الْكُتَابَاتِ الْحَسَنَةِ قَوْلُ أَعْرَابِيَةٍ قَالَتْ لَقَيْسُ بْنُ سَعْدٍ بَيْنَ عِبَادَةٍ : أَشْكُو إِلَيْكَ قَلَّةَ الْجُرْذَانِ  
فِي بَيْتِي ، فَاسْتَحْسَنَ مِنْهَا ذَلِكَ ، وَقَالَ لَاكُثْرَتِهَا ، اْمْلُؤُوا لَهَا بَيْتَهَا خُبْرًا وَتَعْمُرُوا وَسَمْنَا وَأَقِطُوا  
وَدَقِيقًا .

وَشَيْءٌ بِذَلِكَ مَا رُويَ أَنَّ بَعْضَ الرُّسَاءِ سَابِرِيَّةٌ صَاحِبٌ لَهُ عَلَى بَرْدُونٍ مَهْزُولٌ ، فَقَالَ لَهُ : مَا  
أَشَدُّ هُزَالَ دَابَّتِكَ ؟ فَقَالَ : يَدُهَا مَعَ أَيْدِينَا ، فَطُنَ لَذَلِكَ وَوَصَلَهُ .

وَقَرِيبٌ مِنْهُ مَا حُكِيَ أَنَّ الْمَتَّصِرَ قَالَ لِلْإِنْسَانِ : مَا مَالُكَ ؟ قَالَ مَا أَصُونُ بِهِ وَجْهِي ، وَلَا أَعُودُ  
بِهِ عَلَى صَدِيقِي ، فَقَالَ : لَقَدْ تَلَقَّيْتُ فِي الْمَسْأَلَةِ ، وَأَمَرَ لَهُ بِصَلَةٍ .

وَجَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى أَبِي الْعَبَّاسِ ثَعْلَبَ وَعِنْدَهُ أَصْحَابُهُ ، فَقَالَ لَهُ : مَا أَرَادَ الْقَاتِلُ بِقَوْلِهِ :

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْمَوْهُوبِ الْمَتَّانِ صَارَ الشَّرِيدُ فِي رُؤُوسِ الْقُضْبَانِ

فَاقْبَلْ ثَعْلَبَ عَلَى أَهْلِ الْمَجْلِسِ فَقَالَ : أَجِيبُوهُ ، فَلَمْ يَكُنْ عَنْدهُمْ جَوَابٌ ، وَقَالَ لَهُ يُفْطَوْنَهُ :  
الْجَوَابُ مِنْكَ يَا سَيِّدِي أَحْسَنُ ، فَقَالَ : عَلَى أَنْكُمْ لَا تَعْلَمُونَهُ قَالُوا : لَا تَعْلَمَهُ ، فَقَالَ الْأَعْرَابِيُّ ،

قد سمعتُ ما قال القوم، فقال: ولا أنتَ أعزَّكَ الله تعلَّمه، فقال ثعلب: أرادَ أن السُّنبل قد أفرَّكَ، قال: صدقتَ فأينَ حقُّ الفائدة؟ فأشار إليهم ثعلب، فبرَّوه، فقام قائلاً: بوركتَ من ثعلب، ما أعظمَ برِّكَتِكَ!

ويكُونُ عن الشَّيْب بغير العَسْكَر، ويرغوةُ الشَّباب، قال الشاعر:

قالت أرى شَيْباً بَرَأَيْكَ، قلتُ لا      هذا غبارٌ من غُبار العَسْكَرِ  
وقال آخر - وسماه غُبارَ وقائعِ الذَّهر:

غَضِبْتُ قَلُومَ وَأَزْمَعْتُ مَجْرِي      وَصَبْتُ ضَمَائِرُهَا إِلَى الْقَدْرِ  
قالت أرى شَيْباً فَقُلْتُ لَهَا:      هذا غُبارٌ وَقَائِعِ الدَّهْرِ  
ويقولون للسحاب: فُخِّل الأَرْض.

وقالوا: القلمُ أَحَدُ اللِّسَانِ، ورداءَةُ الخُلَط أَحَدُ الزُّمَانَتَيْنِ.

قال: وقال الجاحظ: رأيت رجلاً أعمى يقول في الشوارع وهو يسأل: ارحموا ذا الرُّمَانَيْنِ، قلتُ: وما هما؟ قال: أنا أعمى وضوئي قُبِيح. وقد أشارَ شاعرٌ إلى هذا فقال:

اثنانِ إِذَا غُلِدَا      حَقِيقُ بِهِمَا السَّوْتُ  
فَقِيسِرُ مَالِهِ زُفِدَ      وَأَعْمَى مَالُهُ صَوْتُ  
وقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «يَأْكُمُ وَخَضِرَاءُ الدَّمَنِ»، فلما سُئِلَ عنها قال: «المرأةُ الحَسَناءُ فِي الْمَنِيِّ السَّوَّة»<sup>(١)</sup>.

وقال عليه السلام في صَلُح قومٍ من العرب: «إِنَّ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ عَيْنِيَّةٌ مَكْفُوفَةٌ»، أي لا نَكشِفُ ما بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ مِنْ ضِغْنٍ وَحَقْدٍ وَدَمٍ.

وقال عليه السلام: «الْأَنْصَارُ كَرُشِي وَعَيْنِيَّةِي»، أي موضعُ سِرِّي. وَكَرُشِي: جَمَاعَتِي.

ويقال: جاءَ فُلَانٌ رَيْدَ الْعِثَانِ، أي مُنْهَزِماً.

وجاءَ يَنْفَضُ وَيَذَرُوه، أي يتوقَد من غيرِ حَقِيقَةٍ.

وجاءَ يَنْظُرُ عَنْ شِمَالِهِ، أي مُنْهَزِماً.

وتقول: فُلَانٌ عِنْدِي بِالشَّمَالِ، أي مَنْزِلَتُهُ خَسِيسَةٌ. وفُلَانٌ عِنْدِي بِالْيَمِينِ، أي بِالْمَنْزِلَةِ الْعُلْيَا، قال أَبُو نُؤَاسٍ:

أَقُولُ لِنَاقَتِي إِذْ بَلَغَتْني      لَقَدْ أَصْبَحَتْ عِنْدِي بِالْيَمِينِ

(١) أخرجه الدليمي في «مسند الفردوس» (١٥٣٧)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (٩٥٧)، وابن حجر في «التلخيص الحبير» (١٤٨١).

فلم أجعلك ليلزبان نهباً ولم أقل اشرفي بدم الوتين  
حُرمت على الأزمنة والولايا وأعلاق الرحالة والوفيين  
وقال ابن ميادة:

أبينني أفي يُمننى يديك جعلتني فأفرح أم صيرتني في شمالك  
وتقول العرب: التقى الثريان في الأثرين ياتلفان ويتفقان، أو الرجلين، قال أبو عبيدة:  
والثرى: التراب الندي في بطن الوادي، فإذا جاء المطر وسح في بطن الوادي حتى يلتقي نداء  
والثدى الذي في بطن الوادي يقال: التقى الثريان.

ويقولون: هم في خير لا يُظير عُرابه، يريدون أنهم في خير كثير ويخضب عظيم فيقع الغراب  
فلا يُنقر لكثرة الخضب.

وكذلك أمر لا يُنادى وليه، أي أمر عظيم يُنادى فيه الكبار دون الصغار.  
وقيل: المراد أن المرأة تشتغل عن وليها فلا تناوبه لعظم الخطب، ومن هذا قول الشاعر  
يصف حرباً عظيمة:

إذا حرس الفحل وسط الحجور وصاح الكلاب وعق الولد  
يريد أن الفعل إذا عاين الجيش، والبارقة لم يلتفت لفت الحجور ولم يصهل، وتصح الكلاب  
أربابها، لأنها لا تعرفهم للبسهم الحديد، وتدخل المرأة عن وليها رعباً، فجعل ذلك حقوقاً.

ويقولون: أصبح فلان على قرن أعقر، وهو الظبي إذا أرادوا أصبح على خطر، وذلك لأن  
قرن الظبي ليس يصلح مكاناً، فمن كان عليه فهو على خطر قال أمرو القيس:

ولا مثل يوم بالعظالي قطعته كائى وأصحابي على قرن أعقرا  
وقال أبو العلاء المعري:

كائني فوق روق الظبي من حذر

وأشد ابن دريد في هذا المعنى:

وما خير عيشي لا يزال كائيه محلة يغسوب براسي سنان  
يعني من القلق وأنه غير مطمئن.

ويقولون: به داء الظبي، أي لا داء به، لأن الظبي صحيح لا يزال، والمرض قل أن يعتريه.  
ويقولون للمطلون المختلف الأحوال: ظل الذئب، لأنه لا يزال مرة مكذا ومرة مكذا.

ويقولون: به داء الذئب، أي الجوع.

وعهد فلان عهد الغراب، يُعْتَن أَنه غادر، قالوا: لأن كل طائر يأنث أنثاء إلا الغراب، فإنه  
إذا باضت الأنثى تركها وصار إلى غيرها.

ويقولون: ذهب سَنَع الأرض ويَصْرَها، أي حيث لا يُدْرَى أين هو!

وتقولون: ألقى عصاه، إذا أقام وأستقر، قال الشاعر:

فَالْقَتْ عَصَاهَا وَاسْتَقَرَّ بِهَا التَّوَى      كَمَا قَرَّ عَيْنُنَا بِالْإِيَابِ الْمُسَافِرِ  
وَوَقَعَ الْقَضِيبُ مِنْ يَدِ الْحَتَّاجِ وَهُوَ يَخْطُبُ، فَتَطِيرُ بِذَلِكَ حَتَّى بَانَ فِي وَجْهِهِ، فَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ  
فَقَالَ: إِنَّهُ لَيْسَ مَا سَبَقَ وَهُمْ الْأَمِيرَ إِلَيْهِ، وَلَكِنَّهُ قَوْلُ الْقَاتِلِ، وَأَنْشَدَهُ الْبَيْتَ، فَسُرِّيَ عَنْهُ.

ويقال للمختلفين: طارت عَصَاهُمْ شِقَاقًا.

ويقال: فُلَانٌ مَنْقُوعُ الْقَبَالِ، أي لا رَأْيَ لَهُ.

وفُلَانٌ عَرِضُ الْمِطَانِ، أي كَثِيرُ الثَّرْوَةِ.

وفُلَانٌ رَخِي اللَّبِّ، أي فِي سَعَةِ.

وفُلَانٌ وَاقِعُ الطَّائِرِ، أي سَاكِنٌ.

وفُلَانٌ شَدِيدُ الْكَاهِلِ، أي مَنِيْعُ الْجَانِبِ.

وفُلَانٌ يَنْظُرُ فِي أَحْقَابِ نَجْمٍ مُغْرَبٍ، أي هُوَ نَادِمٌ آيَسَ، قَالَ الشَّاعِرُ:

فَأَصْبَحْتُ مِنْ لَيْلَى الْعُدَاةِ كَنَاطِرٍ      مَعَ الصَّبْحِ فِي أَحْقَابِ نَجْمٍ مُغْرَبٍ  
وَسُقِطَ فِي يَدِهِ، أَيِ أَقْبَنَ بِالْهَلَكَةِ.

وَقَدْ رَدَّدْتُ يَدَهُ إِلَى فِيهِ، أَيِ مَنَعْتُهُ مِنَ الْكَلَامِ.

وَبَنُو فُلَانٍ يَدٌ عَلَى بَنِي فُلَانٍ، أَيِ مُجْتَمِعُونَ.

وَأَعْطَاهُ كَذَا عَنْ ظَهْرِ يَدٍ، أَيِ ابْتِدَاءً لَا عَنْ مُكَافَأَةٍ.

ويقولون: جَاءَ فُلَانٌ نَاشِرًا أَدْنِيَهُ، أَيِ جَاءَ طَائِعًا.

ويقال: هَذِهِ فَرَسٌ غَيْرٌ مُحَلِّفَةٍ، أَيِ لَا تَحُوجُ صَاحِبَهَا إِلَى أَنْ يَحْلِفَ أَنَّهَا كَرِيمَةٌ، قَالَ:

كَمِيتٌ غَيْرُ مُحَلِّفَةٍ وَلَكِنْ      كَلَّوْنَ الصَّرَفِ عُلٌّ بِهِ الْأَوَيْمُ  
وَتَقُولُ: حَلَبَ فُلَانٌ الدَّهْرَ أَشْطَرَّهُ، أَيِ مَرَّتْ عَلَيْهِ ضُرُوبُهُ خَيْرُهُ وَشَرُّهُ.

وَقَرَعَ فُلَانٌ لِأَمْرِ ظُنْبُوِيَّةٍ، أَيِ جَدَّ فِيهِ وَاجْتَهَدَ.

وتقول: أَبْدَى الشَّرَّ نَوَاجِذَهُ، أَيِ ظَهَرَ.

وَقَدْ كَشَفْتَ الْحَرْبَ عَنْ سَاقِيهَا، وَكَشَرْتُ عَنْ نَابِهَا.

وتقول: اسْتَوَقَّ الْجَمَلُ، يَقَالُ ذَلِكَ لِلرَّجُلِ يَكُونُ فِي حَدِيثٍ يَنْتَقِلُ إِلَى غَيْرِهِ يَخْلِطُهُ بِهِ.

وتقول لمن يهون بعد عِزٍّ: اسْتَأْتَنَ الْغَيْرَ.

وتقول لِلضَّعِيفِ يَقْوَى: اسْتَنْسَرَ الْبُغَاثَ.

ويقولون: شرابٌ بأنفع، أي مُعاود للأمر، وقال الحجاج: يا أهل العراق، إنكم شرابون بأنفع، أي معتادون الخير والشر. والأنفع: جمع نفع، وهو ما استنفع من الغدران، وأصله في الطائر الجذر يَرِدُ المنافع في القلوات حيث لا يبلغه قايض، ولا ينصب له شرك.

### خبر عن امرئ القيس

ونختم هذا الفصل في الكنايات بحكاية رواها أبو الفرج عليُّ بنُ الحسين الأصباهاني، قال أبو الفرج: أخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْقَاسِمِ الْأَنْبَارِيُّ، قال: حَدَّثَنِي ابْنُ عَمِيٍّ، قال: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ الْهَيْثَمِ بْنِ عَدِيٍّ. قال: وَحَدَّثَنِي عَمِيٍّ، قال: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدِ الْكَرَانِيِّ، قال: حَدَّثَنَا الْعُمَرِيُّ، عَنْ الْهَيْثَمِ بْنِ عَدِيٍّ، عَنْ مَجَالِدِ بْنِ سَعِيدٍ، عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عَمِيرٍ، قال: قَدِمَ عَلَيْنَا عَمْرُ بْنُ هُبَيْرَةَ الْكُوفَةِ أَمِيرًا عَلَى الْعِرَاقِ، فَأَرْسَلَ إِلَى عَشْرَةٍ مِنْ وَجُوهِ أَهْلِ الْكُوفَةِ أَنَا أَحَدُهُمْ، فَبَسَرْنَا عَنْهُ، فَقَالَ: لِيُحَدِّثْنِي كُلُّ رَجُلٍ مِنْكُمْ أَحَدُوَّةً وَابْدَأْ أَنْتَ يَا أَبَا عَمْرٍو، فَقُلْتُ: أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ! أَحَدِيثَ حَقِّ أَمٍ حَدِيثَ بَاطِلٍ؟ قال: بَلْ حَدِيثَ حَقٍّ، فَقُلْتُ: إِنَّ أَمْرًا الْقَيْسِ كَانَ أَلَى الْيَتَةِ إِلَّا يَتَزَوَّجُ امْرَأَةً حَتَّى يَسْأَلَهَا عَنْ ثَمَانِيَةٍ وَأَرْبَعَةٍ وَائْتِنِينَ، فَجَعَلَ يَخْطُبُ النِّسَاءَ، فَإِذَا سَأَلَهُنَّ عَنْ هَذَا قُلْنَ: أَرْبَعَةَ عَشَرَ، فَبَيْنَا هُوَ يَسِيرُ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ إِذَا هُوَ بِرَجُلٍ يَحْمِلُ ابْنَةً صَغِيرَةً لَهُ كَأَنَّهَا الْبَذَرُ لَتَمَّهُ، فَأَعْجَبَتْهُ، فَقَالَ لَهَا: يَا جَارِيَّةُ، مَا ثَمَانِيَّةٌ، وَأَرْبَعَةٌ، وَائْتَانِ؟ فَقَالَتْ: أَمَا ثَمَانِيَّةٌ فَاطْلَبَاءُ الْكَلْبَةِ، وَأَمَا أَرْبَعَةٌ: فَأَخْلَافُ النَّاقَةِ، وَأَمَا ائْتَانِ فَتَلْذِيَا الْمَرْأَةِ، فَخَطَبَهَا إِلَى أَبِيهَا، فَزَوَّجَهُ إِيَّاهَا وَشَرَطْتُ عَلَيْهِ أَنْ تَسْأَلَهُ لَيْلَةً بَنَاتِهَا عَنْ ثَلَاثِ خِصَالٍ، فَجَعَلَ لَهَا ذَلِكَ، وَعَلَى أَنْ يَسْأَلَ إِيَّاهَا مِائَةً مِنَ الْإِبِلِ، وَعَشْرَةَ أَعْبِدَ، وَعَشْرَ وَصَائِفَ، وَثَلَاثَةَ أَفْرَاسٍ، فَفَعَلَ ذَلِكَ، ثُمَّ بَعَثَ عَبْدًا إِلَى الْمَرْأَةِ، وَأَهْدَى إِلَيْهَا مَعَهُ نِجْيًا مِنْ سَمْنٍ وَنِجْيًا مِنْ عَسَلٍ وَخَلَّةً مِنْ عَضْبٍ، فَنَزَلَ الْعَبْدُ عَلَى بَعْضِ الْمَاءِ، وَنَشَرَ الْحَلَّةَ فَلَبِسَهَا فَتَعَلَّقَتْ بِسُمُرَةٍ فَانْشَقَّتْ، وَفَتَحَ النَّحْيَيْنِ فَاطْعَمَ أَهْلَ الْمَاءِ مِنْهُمَا فَتَقَصَّصَا، ثُمَّ قَدِمَ عَلَى الْمَرْأَةِ وَأَهْلُهَا خُلُوفَ فَسَأَلَهَا عَنْ أَبِيهَا وَأُمِّهَا وَأَخِيهَا، وَدَفَعَ إِلَيْهَا هَدِيَّتَهَا، فَقَالَتْ: أَغْلِيْمُ مَوْلَاكَ أَنَّ أَبِي ذَهَبَ يَقْرُبُ بَعِيدًا، وَيَبْعُدُ قَرِيبًا، وَأَنَّ أُمِّي ذَهَبَتْ تَشُقُّ النَّفْسَ نَفْسَيْنِ، وَأَنَّ أَخِي ذَهَبَ يُرَاعِي الشَّمْسَ، وَأَنَّ سَمَاءَكُمْ انْشَقَّتْ، وَأَنَّ وَعَاءَكُمْ نَضَبَا.

فَقَدِمَ الْغُلَامُ عَلَى مَوْلَاهُ، فَأَخْبَرَهُ فَقَالَ: أَمَا قَوْلُهَا: إِنَّ أَبِي ذَهَبَ يَقْرُبُ بَعِيدًا، وَيَبْعُدُ قَرِيبًا، فَإِنَّ أَبَاهَا ذَهَبَ يُحَالِفُ قَوْمًا عَلَى قَوْمِهِ، وَأَمَا قَوْلُهَا: إِنَّ أُمِّي ذَهَبَتْ تَشُقُّ النَّفْسَ نَفْسَيْنِ، فَإِنَّ أُمًّا ذَهَبَتْ تَقْبِلُ امْرَأَةً نَفْسًا. وَأَمَا قَوْلُهَا: إِنَّ أَخِي ذَهَبَ يُرَاعِي الشَّمْسَ، فَإِنَّ أَخَاهَا فِي سَرَجٍ لَهُ يَرَعَاهُ، فَهُوَ يَنْتَظِرُ وَجُوبَ الشَّمْسِ لِيُرَوحَ بِهِ، وَأَمَا قَوْلُهَا: إِنَّ سَمَاءَكُمْ انْشَقَّتْ، فَإِنَّ الْبُرْدَ الَّذِي بَعَثَ بِهِ انْشَقَّ، وَأَمَا قَوْلُهَا إِنَّ وَعَاءَكُمْ نَضَبَا فَإِنَّ النَّحْيَيْنِ بَعَثَ بِهِمَا نَقَصًا، فَاضْدَقْنِي. فَقَالَ: يَا مَوْلَايَ، إِنِّي نَزَلْتُ بِمَاءٍ مِنْ مِاءِ الْعَرَبِ، فَسَأَلُونِي عَنْ نَسَبِي فَأَخْبَرْتَهُمْ أَنِّي ابْنُ عَمِّكَ،

ونشرت الحلة ولبستها وتجملت بها، فتعلقت بسرة فانشقت، وفتحت الثخين فأطعمت منها أهل الماء، فقال: أولى لك! ثم ساق مائة من الإبل، وخرج نحوها ومعه العبد يسقي الإبل، فعجز، فأعانه امرؤ القيس، فرمى به العبد في البئر، وخرج حتى أتى إلى أهل الجارية بالإبل، فأخبرهم أنه زوجه، فقيل لها: قد جاء زوجك، فقالت: والله ما أدري أزوجي هو أم لا! ولكن انحروا له جزوراً وأطعموه من كرشها وذنبها، ففعلوا، فأكل ما أطعموه، فقالت: اسقوه لبناً حارزاً وهو الحامض - فسقوه فشرب، فقالت: افرشوا له عند القرث والدم، ففرشوا له، فقام فلما أصبحت أرسلت إليه: إني أريد أن أسألك، فقال لها: سيلي عما بدا لك، فقالت: وم تختلج شفتاك؟ قال: من تقبيلي إياك، فقالت: وم تختلج كشحاك، قال: لالتزامي إياك، قالت: فمم يختلج فخذاك؟ قال: لتوركي إياك، فقالت عليكم العبد فشدوا أيديكم به، ففعلوا.

قال: ومز قوم فاستخرجوا امرأ القيس من البئر، فوجع إلى حيه وساق مائة من الإبل، وأقبل إلى امرأته فقيل لها: قد جاء زوجك، فقالت: والله ما أدري أزوجي هو أم لا! ولكن انحروا له جزوراً، وأطعموه من كرشها وذنبها، ففعلوا، فلما أتوه بذلك قال: وأين الكبد والسنام والملحاء، وأبى أن يأكل، فقالت اسقوه لبناً حارزاً، فأتي به، فأبى أن يشربه، وقال: فأين الضريب والرثية؟ فقالت: افرشوا له عند القرث والدم، ففرشوا له، فأبى أن ينام، وقال: افرشوا لي عند التلعة الحمراء، واضربوا لي عليها خبء، ثم أرسلت إليه: هل من شريطتي عليك في المسائل الثلاث، فأرسل إليها أن سيلي عما شئت، فقالت: مم تختلج شفتاك؟ فقال: لشربي المشعشات، قالت: فمم يختلج كشحاك؟ قال: للبسي الجيرات. قالت: فمم تختلج فخذاك؟ قال: لركضي المطهومات، فقالت: هذا زوجي لعمري، فعليكم به. فأهديت إليه الجارية.

فقال ابن قتيبة: حسبيكم، فلا خير في الحديث سائر الليلة بعد حديث أبي عمرو، ولن يأتينا أحد منكم بأعجب منه، فانصرفنا وأمر لي بجائزة.

**الأصل:** وقال ﷺ في كلام له: **وَوَلِيَهُمْ وَالٍ فَأَقَامَ وَاسْتَقَامَ، حَتَّى ضَرَبَ الدِّينُ بِجِرَانِهِ.**

**الشرح:** الجران: مقدم العنق، وهذا الوالي هو عمر بن الخطاب.

وهذا الكلام من خطبة خطبها في أيام خلافته طويلاً، يذكر فيها قُرْبَهُ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَاجْتِصَاعَهُ لَهُ، وَإِفْضَاءَهُ بِأَسْرَارِهِ إِلَيْهِ، حَتَّى قَالَ فِيهَا:



فاختار المسلمون بعده بأرائهم رجالاً منهم، فقاربَ وسَدَّ حَسَبَ استطاعته على ضغفٍ وَحَدٍّ كانا فيه، وليهم بعده وَآلِي، فأقامَ واستقامَ حتى ضَرَبَ الدِّينُ بِجِرائه، على عَسَفٍ وَعَجَرَفِيَةٍ كانا فيه، ثُمَّ اختلفوا ثالثاً لم يكن يملك من أمر نفسه شيئاً، غَلَبَ عليه أهله فقادوه إلى أهوائهم كما تقود الوليدةُ البعيرَ المخطوم، فلم يزل الأمرُ بينه وبين الناس يَبْعُدُ تارةً ويقربُ أخرى حتى نَزَّوا عليه فَقَتَلُوهُ، ثم جاؤوا بِى مَدَبَ الدُّبَا، يريدون يَبْعَتِي.

وتمام الخطبة معروف، فليطلب من الكُتُبِ الموضوعِة لهذا الفن.

- ٤٧٧ -

**الأصل:** وقال ﷺ: **يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ عَضُوضٌ، يَعْضُضُ الْمُؤْمِرُ فِيهِ عَلَى مَا فِي يَدَيْهِ، وَلَمْ يُلْمَرْ بِذَلِكَ، قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَا تَسْأَلُوا الْقَفْصَ بَيْنَكُمْ﴾<sup>(١)</sup>، يَنْهَدُ فِيهِ الْأَشْرَارُ، وَيُسْتَدَلُّ الْأَخْيَارُ، وَيُبَايِعُ الْمُضْطَرُّونَ، وَقَدْ نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ بَيْعِ الْمُضْطَرِّينَ.**

**الشرح:** زَمَانٌ عَضُوضٌ، أي كَلِبٌ عَلَى النَّاسِ، كانه يَعْضُضُهم، ويُعْمَلُ لِلْمَبَالِغَةِ، كالتَّقْوَرِ المَقْوَق، ويجوز أن يكون من قولهم بَرَّ عَضُوضٌ، أي بِمِدَّةِ الْقَرَرِ ضَبِيقَةً، وما كانت البرَّ عَضُوضاً، فاعْقَصَتْ كَقَوْلِهِمْ: ما كانت جَرُوراً فَأَجَرَتْ، وهي كالعَضُوضِ.

وَعَضَّ فَلَانٌ عَلَى مَا فِي يَدَيْهِ أَي بَخِلَ وَأَمْسَكَ.

وينهد فيه الْأَشْرَارُ، ينهضون إلى الولايات والرياسات، وترتفع أقدارهم في الدنيا. وَيُسْتَدَلُّ فيه أَهْلُ الْخَيْرِ وَالذِّينِ، ويكون فيه بَيْعٌ عَلَى وَجْهِ الاضْطِرَارِ وَالْإِلْجَاءِ، كمن يبعث ضَبِيقَتَهُ، وهو ذليل ضعيف، من رَبِّ ضَبِيقَةٍ مجاورة لها ذي قُوَّةٍ وَجَزٍّ وجاء فيلجته بِمَنْعِهِ الماءِ واستدلاله الْأَكْرَةَ وَالْوَكِيلَ إِلَى أَنْ يَبِيعَهَا عَلَيْهِ، وذلك منهْيٌ عَنْهُ، لأنه حرامٌ مُخَضٌّ.

- ٤٧٨ -

**الأصل:** وقال ﷺ: **يَهْلِكُ فِي رَجُلَانِ: مُحِبٌّ مُفَرِّقٌ، وَبَاغِتٌ مُفْتَرٍ.**

قَالَ الرَّضِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: وَهَذَا مِثْلُ قَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «يَهْلِكُ فِي اثْنَانِ: مُجِبٌّ غَالٍ، وَتَبِيعٌ قَالٍ».



**الشرح:** قد تقدم شرح مثل هذا الكلام، وخلاصة هذا القول: أن الهالك فيه المفرط والمفرط، أما المفرط فالثلاثة، ومن قال بتكفير أعيان الصحابة وبقايتهم أو فسقهم، وأما المفرط فمن استقصى به عليه السلام أو أبغضه أو حاربه أو أضمر له غلاً، ولهذا كان أصحابنا أصحاب النجاة والخلاص والفوز في هذه المسألة، لأنهم سلكوا طريقة مقتصدة، قالوا: هو أفضل الخلق في الآخرة، وأعلام منزلة في الجنة، وأفضل الخلق في الدنيا، وأكثرهم خصائص ومزايا ومناقب، وكل من عاداه أو حاربه أو أبغضه فإنه عدو الله سبحانه وخالد في النار مع الكفار والمنافقين، إلا أن يكون ممن قد ثبتت توبته، ومات على توبته وخجبه.

فأما الأفاضل من المهاجرين والأنصار الذين ولّوا الإمامة قبله فلو أنه أنكر إمامتهم وغضب عليهم، وسخط فعلهم، فضلاً عن أن يُشهر عليهم السيف، أو يدعو إلى نفسه، لقُلْنَا: إنهم من الهالكين، كما لو غضب عليهم رسول الله صلى الله عليه وآله، لأنه قد ثبت أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال له: «حرّيك حربي، وسلمك سلمي»<sup>(١)</sup>، وأنه قال: «اللهم والِ مَنْ ولاء، وعاد من عاداه»<sup>(٢)</sup>، وقال له: «لا تحبك إلا مؤمن، ولا يبغضك إلا منافق»<sup>(٣)</sup>، ولكننا رأينا رضي إمامتهم وبايعهم وصلى خلفهم وأنكحهم وأكل من فيثهم، فلم يكن لنا أن نتعدى فعله، ولا نتجاوز ما اشتهر عنه، ألا ترى أنه لما برىء من معاوية برئنا منه، ولما لعنه لعناه، ولما حكم بضلال أهل الشام ومن كان فيهم من بقايا الصحابة كفّروا بن العاص وعبد الله ابنه وغيرهما حكمنا أيضاً بضلالهم!

والحاصل أنا لم نجعل بينه وبين النبي صلى الله عليه وآله إلا رتبة النبوة، وأعطيناه كل ما عدا ذلك من الفضل المشترك بينه وبينه، ولم نطعن في أكابر الصحابة الذين لم يصح عندنا أنه طعن فيهم، وعاملناهم بما عاملهم عليه السلام به.

(١) يتابع المودة: ١٧٢/١ - ٢٥٣، الرشيدة في الفريقين: ٣٩ - ٤١ - ٢٠٥.

(٢) أخرجه الحاكم في «مستدرکه» (٤٥٧٦)، رابن حبان في «صحيحه» (٦٩٣١)، وأحمد في «مسنده» (٣٧٠/٤) والطبراني في «الكبير» (٤٩٦٩).

(٣) أخرجه مسلم في «الإيمان» (٧٨)، والنسائي في الإيمان وشرائعه، باب: علامة الإيمان (٥٠١٨)، وأحمد في «مسنده» (٧٣٣)، رابن حبان في «صحيحه» (٦٩٢٤). والترمذي في «المناقب» (٣٧٣٦)، والحميدي في «مسنده» (٥٨).

### في التفضيل بين الصحابة

والقول بالتفضيل قولٌ قديم، قد قال به كثيرٌ من الصحابة والتابعين، فمن الصحابة عمار، والمقداد، وأبو ذر، وسلمان، وجابر بن عبد الله، وأبي بن كعب، وحذيفة، وبريدة، وأبو أيوب، وسهل بن حنيف، وعثمان بن حنيف، وأبو الهيثم بن التيهان، وخزيمة بن ثابت، وأبو الطفيل عامر بن واثلة: والعباس بن عبد المطلب وبنوه، وبنو هاشم كافة، وبنو المطلب كافة.

وكان الزبير من القائلين به في بدء الأمر، ثم رجع، وكان من بني أمية قومٌ يقولون بذلك، منهم خالد بن سعيد بن العاص، ومنهم عمر بن عبد العزيز.

وأنا أذكرها هنا الخبر المروي المشهور عن عمر، وهو من رواية ابن الكلبي، قال: بينا عمر بن عبد العزيز جالساً في مجلسه، دخل حاجبه ومعه امرأةٌ أذماء طويلةٌ حسنة الجسم والقامة، ورجلان متعلقان بها، ومعهم كتابٌ من ميمون بن مهران إلى عمر، فدفعوا إليه الكتاب، ففحصه فإذا فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم. إلى أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز، من ميمون بن مهران، سلامٌ عليك ورحمةُ الله وبركاته، أما بعد، فإنه وردَ علينا أمرٌ ضاقتُ به الصدور، وعجزتُ عنه الأوساع، وهربتُ بأنفسنا عنه، ووكَّلناهُ إلى عاليه، لقولِ الله عز وجل: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ مِنْهُمْ﴾<sup>(١)</sup>، وهذه المرأة والرجلان أحدهما زوجها والآخر أبوها، وإن أباهما يا أمير المؤمنين زعم أن زوجها حلف بطلاقها أن علي بن أبي طالب عليه السلام خيرُ هذه الأمة وأولاهُ برسولِ الله صلى الله عليه وآله، وأنه يزعم أن ابنته طلقته منه، وأنه لا يجوز له في بيته أن يتخذَ منها، وهو يعلم أنها حرامٌ عليه كامه. وإن الزوج يقول له: كذبت وإثمت، لقد برّ قسمي، وصدقت مقالتي، وإنها أمراني على زعم أنفك، وغَيِظ قلبك، فاجتمعوا إلي يختصمون في ذلك، فسألت الرجلَ عن يمينه، فقال: نعم، قد كان ذلك، وقد حلفت بطلاقها أن علياً خيرُ هذه الأمة وأولاهُ برسولِ الله صلى الله عليه وآله، عَرَفَهُ من عَرَفَهُ، وأنكره من أنكره، فليغضب من غَضِب، وليرض من رَضِيَ، وتسامع الناسُ بذلك، فاجتمعوا له، وإن كانت الألسنُ مجتمعةً فالقلوبُ شتى، وقد علمتُ يا أمير المؤمنين اختلاف الناس في أهوائهم، وتسرعهم إلى ما فيه الفئنة، فأحجمنا عن الحكم لتحكم بما أراك الله. وإنهما تعلقا بها، وأقسم أبوها ألا يدعها معه، وأقسم زوجها ألا يفارقها ولو ضربت عنقها إلا

أن يحكم عليه بذلك حاكم لا يستطيع مخالفته والامتناع منه، فرفعتاهم إليك يا أمير المؤمنين، أحسن الله توفيقك وأزددك! . وكتب في أسفل الكتاب:

إذا ما المُشكلات ورَدَن يَوماً      فحارثَ في تأملِها العُيونُ  
وضاقَ القومُ ذُرْعاً عن نِباها      فانتَ لها أبا حفصِ أمِينُ  
لأنك قد حَوَيْتَ العِلْمَ طَرا      وأحكمتَ التجارِبَ والشُؤونُ  
وغلَفَكَ الإلهَ على الرعايا      فحفظك فيهم الحَظَ الثمينُ

قال: فجمع عمر بن عبد العزيز بني هاشم وبني أمية وأخاذا قريش، ثم قال لأبي المرأة: ما تقول أيها الشيخ؟ قال: يا أمير المؤمنين، هذا الرجل زوجه ابنتي، وجهزتها إليه بأحسن ما يجهز به مثلها، حتى إذا أملت خيرة، ورجوت صلاحه، حلفت بطلاقها كاذباً، ثم أراد الإقامة معها، فقال له عمر: يا شيخ، لعله لم يطلق امرأته، فكيف حلفت؟ قال الشيخ: سبحان الله! الذي حلفت عليه لأبين حثاً وأوضح كذباً من أن يتخلج في صدري منه شك، مع سني وعلمي، لأنه زعم أن علياً خير هذه الأمة وألا فامرأته طالق ثلاثاً. فقال للزوج: ما تقول؟ أهكذا حلفت؟ قال: نعم، فقبل: إنه لما قال: نعم، كاذ المجلس يزنج بأهلوه، وبنو أمية ينظرون إليه شراً، إلا أنهم لم ينطقوا بشيء، كل ينظر إلى وجه عمر.

فأكب عمر ملياً ينكت الأرض بيده والقوم صابتون ينظرون ما يقوله، ثم رفع رأسه، وقال:

إذا وليَ الحكومةَ بينَ قومٍ      أصاب الحقَّ والتمسَ السَّداً  
وما خبيرُ الإمامِ إذا تَعَدَّى      خلافاً الحقَّ وأجتنَبَ الرُّشادا

ثم قال للقوم: ما تقولون في يمين هذا الرجل؟ فسكتوا، فقال: سبحان الله! قولوا: فقال رجل من بني أمية: هذا حكم في فرج، ولسنا نجترئ على القول فيه، وأنت عالم بالقول، موثمن لهم وعليهم، قل ما عندك، فإن القول ما لم يكن يُحق باطلاً ويُطل حقاً جائز علي في مجلسي.

قال: لا أقول شيئاً، فالتفت إلى رجل من بني هاشم من ولد عقيل بن أبي طالب، فقال له: ما تقول فيما حلفت به هذا الرجل يا عقيلي؟ فاغتنمها، فقال: يا أمير المؤمنين، إن جعلت قولي حكماً، أو حكماً جائزاً قلت، وإن لم يكن ذلك فالتسكوت أوسع لي، وأبقى للمودة، قال: قل وقولك حكم، وحكمك ماض.

فلما سمع ذلك بنو أمية قالوا: ما أنصفتنا أمير المؤمنين إذ جعلت الحكم إلى غيرنا، ونحن من لحمتك وأولي رحيمك! فقال عمر: اسكتوا، أعجزاً ولوماً عرضت ذلك عليكم أنفاً فما انتدبتم له. قالوا: لأنك لم تعطنا ما أعطيت العقيلي، ولا حكمتنا كما حكمته، فقال عمر: إن كان أصاب وأخطأتم، وحزم وعجزتم، وأبصر وعميت، فما ذنب عمر، لا أبا لكم! أتدرون ما

مَثَلَكُمْ؟ قَالُوا: لَا نَذْرِي، قَالَ: لَكُنَّ الْعَقِيلِي يَذْرِي، ثُمَّ قَالَ: مَا تَقُولُ يَا رَجُلُ؟ قَالَ: نَعَمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، كَمَا قَالَ الْأَوَّلُ:

دُعَيْتُمْ إِلَى أَمْرٍ فَلَمَّا عَجَزْتُمْ تَنَاوَلَهُ مَنْ لَا يُدَاخِلُهُ عَجَزُ  
فَلَمَّا رَأَيْتُمْ ذَاكَ أَبَدْتُمْ أَنْفُسَكُمْ نِدَاماً وَهَلْ يُغْنِي مِنَ الْقَدْرِ الْحَذَرُ!

فَقَالَ عُمَرُ: أَحْسَنْتَ وَأَصَبْتَ، فَقُلْ مَا سَأَلْتُكَ عَنْهُ. قَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، بَرَّ قَسَمَهُ، وَلَمْ تَطْلُقْ أَمْرَاتِهِ، قَالَ: وَأَنْتَى عَلِمْتَ ذَاكَ؟ قَالَ: نَشَدُكَ اللَّهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لِفَاطِمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «وَهُوَ عِنْدَهَا فِي بَيْتِهَا عَائِدٌ لَهَا: «يَا بَنِيَّةُ، مَا جِئْتِ؟» قَالَتْ: «الْوَعْدُ يَا أَبَتَاهُ - وَكَانَ عَلِيٌّ غَائِباً فِي بَعْضِ حَوَائِجِ النَّبِيِّ ﷺ - فَقَالَ لَهَا: «أَنْتِ شَهِيدَتِ شَيْئاً؟» قَالَتْ: نَعَمْ أَشْهَدُ بِبَيْتِهِ عَيْناً، وَأَنَا أَعْلَمُ أَنَّهُ عَزِيزٌ، وَلَيْسَ وَقْتُ عِنَبٍ، فَقَالَ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَجْعِلَنَا بِهِ»، ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُمَّ اتَّنَا بِهِ مَعَ أَفْضَلِ أُمَّتِي عِنْدَكَ مِنْزَلَةً»، فَطَرَقَ عَلِيٌّ الْبَابَ، وَدَخَلَ مَعَهُ وَكَتَلَ قَدْ أَلْقَى عَلَيْهِ طَرَفَ رِدَائِهِ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «مَا هَذَا يَا عَلِيُّ؟» قَالَ: عِنَبُ التَّمَسُّهِ لِفَاطِمَةَ، فَقَالَ: «اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُمَّ كَمَا سَرَرْتَنِي بِأَنْ تَخْصِمَ عَلِيّاً بِدَعْوَتِي فَاجْعَلْ فِيهِ شِفَاءً بِنَيْتِي»، ثُمَّ قَالَ: «كُلَّمَا عَلَى اسْمِ اللَّهِ يَا بَنِيَّةُ»، فَأَكَلَتْ، وَمَا خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى اسْتَقَلَّتْ وَبَرَأَتْ<sup>(١)</sup>، فَقَالَ عُمَرُ: صَدَقْتَ وَبَرَزْتَ، أَشْهَدُ لَقَدْ سَمِعْتُهُ وَوَعَيْتُهُ، يَا رَجُلُ، خُذْ يَدَ أَمْرَانِكَ فَإِنَّ عَرَضَ لَكَ أَبُوهُمَا فَاهْمِمْ أَنْفَهُ. ثُمَّ قَالَ: يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ، وَاللَّهِ مَا نَجْهَلُ مَا يَعْلَمُ غَيْرُنَا، وَلَا بِنَا عَمَى فِي دِينِنَا، وَلَكِنَّا كَمَا قَالَ الْأَوَّلُ:

تَصَيَّدْتَ الدُّنْيَا رَجَالاً يَفْخُحُهَا فَلَمْ يَدْرِكُوا خَيْراً بَلِ اسْتَفْبَحُوا الشَّرَّ  
وَأَعْمَاهُمْ حُبُّ الْغَنَى وَأَصْمَهُمْ فَلَمْ يُدْرِكُوا إِلَّا الْخُسَارَةَ وَالْوُزْرَا  
قِيلَ: فَكَانَمَا أَلْقَمَ بَنِي أُمَيَّةَ حَجَرًا، وَمَضَى الرَّجُلُ بِأَمْرَاتِهِ.

وَكُتِبَ عُمَرُ إِلَى مَيْمُونِ بْنِ مِهْرَانَ: عَلَيْكَ سَلَامٌ، فَإِنِّي أَحْمَدُ إِلَيْكَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي قَدْ فَهِمْتُ كِتَابَكَ، وَوَرَدَ الرِّجَالُ وَالْمَرَاةَ، وَقَدْ صَدَّقَ اللَّهُ يَمِينَ الزَّوْجِ، وَأَبْرُ قَسَمَهُ، وَأَثْبَتَهُ عَلَى نِكَاحِهِ، فَاسْتَيْقِنْ ذَلِكَ، وَاعْمَلْ عَلَيْهِ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ.

فَأَمَّا مَنْ قَالَ بِتَفْضِيلِهِ عَلَى النَّاسِ كَافَّةً مِنَ التَّابِعِينَ فَخَلَقَ كَثِيرٌ كَأَوَّلِ الْقَرْنَيْنِ وَزَيْدُ بْنُ صُوحَانَ، وَصَفْصَعَةُ أَخِيهِ، وَجُنْدُبُ الْخَيْرِ، وَغَيْدَةُ السُّلَمَانِيِّ وَغَيْرُهُمْ مَعْنٍ لَا يُحْصَى كَثَرَةً، وَلَمْ تَكُنْ لَفْظَةُ الشُّيْعَةِ تُعْرَفُ فِي ذَلِكَ الْعَصْرِ إِلَّا لِمَنْ قَالَ بِتَفْضِيلِهِ، وَلَمْ تَكُنْ مَقَالَةً الْإِمَامِيَّةِ وَمَنْ نَحَا نَحْوَهَا مِنَ الطَّاعِنِينَ فِي إِمَامَةِ السَّلَفِ مَشْهُورَةٌ حِينَئِذٍ عَلَى هَذَا النِّحْوِ مِنَ الْأَشْتِهَارِ، فَكَانَ الْقَائِلُونَ بِالتَّفْضِيلِ هُمُ الْمُسَمُّونَ الشُّيْعَةَ، وَجَمِيعُ مَا وَرَدَ مِنَ الْأَثَارِ وَالْأَخْبَارِ فِي فَضْلِ الشُّيْعَةِ

وأنهم مَزْعُودُونَ بِالْجَنَّةِ، فهوَلاءُ هم المَعْنِيُّونَ بِهِ دُونَ غَيْرِهِمْ، وَلِذَلِكَ قَالَ أَصْحَابُنَا الْمَعْتَزِلَةُ فِي كُتُبِهِمْ وَتَصَانِيفِهِمْ: نَحْنُ الشَّيْعَةُ حَقًّا. فَهَذَا الْقَوْلُ هُوَ أَقْرَبُ إِلَى السَّلَامَةِ وَأَشْبَهُ بِالْحَقِّ مِنَ الْقَوْلَيْنِ الْمُقْتَسِمَيْنِ طَرَفِي الْإِفْرَاطِ وَالتَّقْرِيطِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ<sup>(١)</sup>.

- ٤٧٩ -

**الأصل:** وسُئِلَ عَنِ التَّوْحِيدِ وَالْعَدْلِ، فَقَالَ: التَّوْحِيدُ أَلَا تَتَوَهَّمُهُ، وَالْعَدْلُ أَلَا تَتَهَمُهُ.

**الشرح:** هَذَانِ الرُّكْنَانِ هُمَا رُكْنَانَا عِلْمُ الْكَلَامِ، وَهُمَا شِعَارُ أَصْحَابِنَا الْمَعْتَزِلَةِ، لِنَقِيهِمُ الْمَعَانِي الْقَدِيمَةَ الَّتِي يُبَيِّتُهَا الْأَشْعَرِيُّ وَأَصْحَابُهَا، وَلِنَتَنَزَّهَهُمُ الْبَارِيَّ سُبْحَانَهُ عَنِ فِعْلِ الْقَبِيحِ.

وَمَعْنَى قَوْلِهِ: «أَلَا تَتَوَهَّمُهُ» أَيِ أَلَا تَتَوَهَّمُهُ جِسْمًا أَوْ صُورَةً أَوْ فِي جِهَةٍ مُخْصُوصَةٍ، أَوْ مَالَنَّا لِكُلِّ الْجِهَاتِ كَمَا ذَهَبَ إِلَيْهِ قَوْمٌ، أَوْ نُورًا مِنَ الْأَنْوَارِ، أَوْ قُوَّةً سَارِيَةً فِي جَمِيعِ الْعَالَمِ، كَمَا قَالَهُ قَوْمٌ، أَوْ مِنْ جِنْسِ الْأَعْرَاضِ الَّتِي تَحُلُّ الْحَالَ أَوْ تَحُلُّ الْمَحَلَّ، وَلَيْسَ يَعْزِضُ كَمَا قَالَهُ النَّصَارَى وَغُلَاةُ الشَّيْعَةِ، أَوْ تَحُلُّهُ الْمَعَانِي وَالْأَعْرَاضُ، فَمَتَى تُؤْهِمُ عَلَى شَيْءٍ مِنْ هَذَا فَقَدْ خُوِّلَفَ التَّوْحِيدُ، وَذَلِكَ لِأَنَّهُ كُلُّ جِسْمٍ أَوْ عَرَضٍ أَوْ حَالٍ فِي مَحَلٍّ أَوْ مَحَلِّ الْحَالِ، أَوْ مُخْتَصٍ بِجِهَةٍ، لَا يَدْرَأُ أَنْ يَكُونَ مُنْقَسِمًا فِي ذَاتِهِ، لَا سَيِّمًا عَلَى قَوْلِ مَنْ نَفَى الْجِزَاءَ مُطْلَقًا، وَكُلٌّ مُنْقَسِمٌ فَلَيْسَ بِوَاحِدٍ، وَقَدْ ثَبَتَ أَنَّهُ وَاحِدٌ. وَأَضَافَ أَصْحَابُنَا إِلَى التَّوْحِيدِ نَفْيَ الْمَعَانِي الْقَدِيمَةِ، وَنَفْيَ ثَانٍ فِي الْإِلَهِيَّةِ، وَنَفْيَ الرُّوْيَةِ، وَنَفْيَ كَوْنِهِ مُشْتَبِهًا أَوْ نَافِرًا أَوْ مُلْتَقِدًا أَوْ أَلِيمًا أَوْ عَالِمًا يَعْلَمُ مُخْدَعًا، أَوْ قَادِرًا بِقُدْرَةٍ مُحَدَّثَةٍ، أَوْ حَيًّا بِحَيَاةٍ مُحَدَّثَةٍ، أَوْ نَفْيَ كَوْنِهِ عَالِمًا بِكُلِّ مَعْلُومٍ أَوْ قَادِرًا عَلَى كُلِّ الْأَجْنَاسِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ مَسَائِلِ عِلْمِ الْكَلَامِ الَّتِي يُدْخِلُهَا أَصْحَابُنَا فِي الرُّكْنِ الْأَوَّلِ، وَهُوَ التَّوْحِيدُ.

وَأَمَّا الرُّكْنُ الثَّانِي فَهُوَ أَلَا تَتَهَمُهُ، أَيِ لَا تَتَهَمُهُ فِي أَنَّهُ أَجْبَرَكَ عَلَى الْقَبِيحِ، وَيَعَابِقُكَ عَلَيْهِ، حَاشَاكَ مِنْ ذَلِكَ! وَلَا تَتَهَمُهُ فِي أَنَّهُ مَكَّنَ الْكَذَّابِينَ مِنَ الْمَعْجَزَاتِ، فَأَصْلَ بِهَمِ النَّاسِ، وَلَا تَتَهَمُهُ فِي أَنَّهُ كَلَّفَكَ مَا لَا تُطِيقُهُ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ مَسَائِلِ الْعَدْلِ الَّتِي يَذْكُرُهَا أَصْحَابُنَا مُفَصَّلَةً فِي كُتُبِهِمْ كَالْيَوْمِضِ عَنِ الْأَلَمِ، فَإِنَّهُ لَا يَدْرَأُ مِنْهُ، وَالثَّوَابُ عَلَى فِعْلِ الْوَاجِبِ فَإِنَّهُ لَا يَدْرَأُ مِنْهُ، وَصَدَقَ وَعْدُهُ وَوَعِيدُهُ، فَإِنَّهُ لَا يَدْرَأُ مِنْهُ. وَجُمْلَةُ الْأَمْرِ أَنَّ مَذْهَبَ أَصْحَابِنَا فِي الْعَدْلِ وَالتَّوْحِيدِ مَا خُوِّدَ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ. وَهَذَا الْمَوَاضِعُ مِنَ الْمَوَاضِعِ الَّتِي قَدْ صَرَّحَ فِيهَا بِمَذْهَبِ أَصْحَابِنَا بِعَيْنِهِ، وَفِي قُرْشٍ كَلَامِهِ مِنْ هَذَا النُّمُطِ مَا لَا يُحْصَى.

- ٤٨٠ -

**الأصل:** وقال عليه السلام: في دعاء استنقى به: اللَّهُمَّ اسْقِنَا ذُلَّلَ السَّحَابِ دُونَ صِعَابِهَا. قَالَ الرَّضِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: وَهَذَا مِنَ الْكَلَامِ الْعَجِيبِ الْفَصَاحَةِ، وَذَلِكَ أَنَّهُ عليه السلام شَبَّهَ السُّحُبَ ذَوَاتِ الرُّعُودِ وَالْبَوَارِقِ، وَالرِّيَّاحَ وَالصَّوَاعِقِ، بِالْإِبِلِ الصَّعَابِ الَّتِي تَقْمُصُ بِرَحَالِهَا، وَتَتَوَقَّصُ بِرُكْبَانِهَا، وَشَبَّهَ السَّحَابَ الْخَالِيَةَ مِنْ تِلْكَ الزَّوَارِعِ بِالْإِبِلِ الذَّلِيلِ الَّتِي تُحْتَلَبُ طَبَعَةً، وَتُقْتَعَدُ مُسَمَّحَةً.

**الشرح:** قد كفانا الرضي - رحمه الله - بشرحه هذه الكلمة مؤونة الخوض في تفسيرها.

- ٤٨١ -

**الأصل:** وقيل له عليه السلام: لَوْ غَبَّرْتَ شَيْبَكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ! فَقَالَ: الْخِضَابُ زِينَةٌ، وَنَحْنُ قَوْمٌ فِي مُصِيبَةِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله.

بعض ما قيل من الشعر في الشيب والخضاب

**الشرح:** قد تقدّم لنا في الخضاب قول كافي، وأنا أستملح قول الضابي فيه:

خضابٌ تقاسمناه بيني وبينها	ولكن شائي فيه خالفت شأنها
فيا فُتِحَ إِذْ حُلِّ وَتِي بِمَفْرِقِي	ويا حُسْنُهُ إِذْ حُلِّ مِنْهَا بِنَاتِهَا
وَسُخِّقَ لَهُ عَنِ لِمَتِي حِينَ شَانِهَا	وأهلاً به في كَفُّهَا حَيْثُ زَانِهَا

وقال أبو تمام:

لَعِبَ الشَّيْبُ بِالْمَفَارِقِ بَلْ جَدَّ	فَأَبْكَى تُمَاضِيراً وَلَعُونَا
خَضِبْتَ خَدَّهَا إِلَى لَوْلِي الْعَفْدِ	دَمَا أَنْ رَأَتْ شَوَاتِي خَضِيبَا
كَلَّ دَائِي يُرْجَى الدَّوَاءُ لَهُ	إِلَّا الْفُظْيَعِينَ: مَبْنِيَّةٌ وَمَشِيبَا
بِأَنْسَابِ الْقُغَامِ ذُنُوبُكَ أَبْقَى	حَسَنَاتِي عِنْدَ الْحَسَانِ ذُنُوبَا
وَلَمَنْ عَبَّنَ مَا رَأَيْنَ لَقَدْ أُنْ	كُرُنَ مُسْتَنْكَراً وَعَبَّنَ مَعِيبَا

لو رأى الله أن في الشيب فضلاً  
وقال: جاورته الأبرار في الخلد شيباً

فإن يكن المشيب طعنى علينا  
فإني لست أدفعه بشيء  
أردت بأن ذاك وذا عذاب  
فسلطت العذاب على العذاب  
ابن الرومي:

لم أخضب الشيب للغواني  
لكن خضابي على شباب  
أبغى به عندهم وداذا  
لبست من بعده جداداً

ومن مختار ما جاء من الشعر في الشيب وإن لم يكن فيه ذكر الخضب قول أبي تمام:  
نَسَجَ الْمَشِيبُ لَهُ لِفَاعاً مُغْدِفاً  
نَظَرَ الزَّمَانَ إِلَيْهِ قَطْعَ دَوْنِهِ  
نَظَرَ الشَّقِيقَ تَحَسُّراً وَتَلَهُّفاً  
لَمْ يَبْدُ حَتَّى أَبْيَضَ كَالكَرَمِ الَّذِي  
لَمَّا تَفَرَّقَتِ الْخُطُوبُ سَوَادُهَا  
لَمَّا كَانَ يَخْطُرُ قَبْلَ ذَا فِي فِكْرِهِ  
يَقْقَأُ فَنَقُّعَ يَذُرُّوْنَهُ وَنَضْفَا  
نَظَرَ الشَّقِيقَ تَحَسُّراً وَتَلَهُّفاً  
لَمْ يَبْدُ حَتَّى جِيءَ كَيْمَا يَقْطُفَا  
بَبَايُضِهَا عَبَثَتْ بِهِ فَتَفَرَّقَا  
لَلْبَدْرِ قَبْلَ تَمَامِهِ أَنْ يُكْسِفَا

وقال أيضاً:

غدا لهم مختطاً بفؤدي خبطة  
هو الزور يجفئ، والمعاشر يجتوى  
له منظر في العين أبيض ناصع  
ونحن نرجيه على الكره والرخصا  
طريق الردى منها إلى الموت مهيع  
وذو الإلف يلقى، والجديد يرقع  
ولكنه في القلب أسود أسقع  
وأنف الفتى من وجهه وهو أجعد

وقال أيضاً:

شعلة في المفارق استودعتني  
تستشير الهموم ما اكتن منها  
غرة ميرة إلا إنما كنت  
دقة في الحياة تدعى جلالاً  
في صميم الأحشاء فخللاً صميماً  
صعداً وهي تستشير الهموماً  
تأخر أيام كنت بهيماً  
ومثل ما سمي اللديع سليماً



حَلَمْتَنِي زَعَمْتُمْ وَأَرَانِي قَبْلَ هَذَا التَّحْلِيمِ كُنْتُ حَلِيمًا

وقال الضابي وذكر الخضاب:

خَضِبْتُ مُشِيبِي لِلتَّعْلُقِ بِالطُّبَا وَأَوْفَعْتُ مَنْ أَمَوَّاهُ أَنِّي لَمْ أَثِيبْ  
فَلَمَّا أَذْعَى مِنِّي الْعِذَارُ شَبِيبَةً إِذَا صَلَّيْ قَدْ صَاخَ مِنْ فَوْقِهِ كَذَبٌ  
فَكَمْ طَرَوْ طَارَتْ وَدَانَتْ ذَوَائِبُ وَكَمْ وَجَنَتْ حَالَتْ وَمَاءُ بِهَا نَضَبٌ  
شَوَاهِدُ بِالتَّزْوِيرِ يَخْوِيْنَ رِيَّهَا فَهَجَرَأْتُهُ عِنْدَ الْأَجْبَةِ قَدْ وَجَبَ

البحري:

بَانَ الشُّبَابُ فَلَا عَيْنَ وَلَا أَنْزَرُ إِلَّا بَقِيَّةَ بُرْدٍ مِنْهُ أَسْمَالٍ  
قَدْ كَذَتْ أَخْرَجَهُ عَنْ مُنْتَهَى عَدْدِي يَأْسًا وَأَسْقَطَهُ إِذْ فَاتَ مِنْ بَالِي  
سُوءَ الْعَوَاقِبِ يَأْسَ قَبْلَهُ أَمَلٌ وَأَعْضَلَ الدَّاءُ نَكْسَ بَعْدَ إِنْجَالٍ  
وَالْمَرْءُ طَاعَةَ إِيَّامٍ تَنْقُلُهُ تَنْقُلُ الظِّلَّ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ

- ٤٨٢ -

**الأصل:** وَقَالَ ﷺ: مَا الْمُجَاهِدُ الشَّهِيدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَعْظَمِ أَجْرٍ أَوْ قَدَرٍ قَفَفْتُ، لَكَادَ التَّوْفِيقُ أَنْ يَكُونَ مُلْكًا مِنْ الْمَلَائِكَةِ.

**الشرح:** قد تقدم القول في العفة، وهي صُرُوب: عِفَّةُ الْبَدَنِ، وَعِفَّةُ اللِّسَانِ، وَعِفَّةُ الْفَرْجِ، وَهِيَ الْمُظَنَمُ، وقد جاء في الحديث المعروف: «مَنْ حَقِيقَ فَكَتَمَ وَعَفَّ وَصَبَرَ فَمَاتَ مَاتَ شَهِيدًا وَدَخَلَ الْجَنَّةَ»<sup>(١)</sup>.

وفي حكمه سليمان بن داود: إِنْ الْغَالِبَ لِهَوَاهُ أَشَدُّ مِنَ الَّذِي يَنْتَحِ الْمَدِينَةَ وَحَدَهُ.

(١) ذكره ملا علي القاري في كتابه «الأسرار في الأخبار الموضوعة» (٥٠٨)، وذكره البغدادي في «تاريخه» (٢٩٦/١١)، وذكره أبو عبد الله الرزعي في كتابه «فقد المنقول» (٢٢٤) وقال موضوع على رسول الله ﷺ.

نزل خارجي على بعض إخوانه منهم مستتراً من الحجاج، فشخص المنزول عليه لبعض حاجاته وقال لزوجته: يا ظمياء، أوصيك بضيفي هذا خيراً - وكانت من أحسن الناس - فلما عاد بعد شهر قال لها: كيف كان ضيفك؟ قالت: ما أشغله بالعمى عن كل شيء، وكان الضيف أطلق جفنيه فلم ينظر إلى المرأة ولا إلى منزلها إلى أن عاد زوجها.

وقال الشاعر:

إن أكن طاميحاً اللحاظ فإني والذي يملك القلوب عفيف

خرجت امرأة من صالحات نساء قريش إلى بابها لتغلقه، ورأسها مكشوف، فرأها رجل أجني فرجعت وحلفت شعرها، وكانت من أحسن النساء شعراً، ف قيل لها في ذلك، قالت: ما كنت لأدع على رأيي شعراً رآه من ليس لي بمحرم.

كان ابن سيرين يقول: ما عشيئ امرأة قط في بقعة ولا نزم غير أم عبد الله وإني لأرى المرأة في المنام وأعلم أنها لا تجل لي فأصرف بصري عنها.

وقال بعضهم:

واني لعف عن فكاها جازتي وإني لمشهوة إلي اغتياؤها

إذا غاب عنها بعلمها لم أكن لها صديفاً ولم تأنس إلي كلابها

ولم أكل طلباً أحاديث سرها ولا عالماً من أي حوك ثيابها

دخلت بئنة على عبد الملك بن مروان، فقال: ما أرى فيك يا بئنة شيئاً مما كان يلهج به جميل! فقالت: إنه كان يزئني إلي بئنين ليستا في رأيك يا أمير المؤمنين، قال: فكيف صادفته في عفته؟ قالت: كما وصفت نفسه إذ قال:

لا والذي تسجد الجباء له مالي بما هم ثوبها خبر

ولا بنفيسها ولا هممت به ما كان إلا الحديث والتظفر

وقال أبو سهل الساعدي: دخلت على جميل في مرض موته، فقال: يا أبا سهل، رجل يلقي الله ولم يسفك دماً حراماً، ولم يشرب خمرأ، ولم يأت فاحشة، أترجو له الجنة؟ قلت: إي والله فمن هو؟ قال: إني لأرجو أن أكون أنا ذلك، فذكرت له بئنة، فقال: إني لفي آخر يوم من أيام الدنيا، وأول يوم من أيام الآخرة، لا نالني شفاعة محمد إن كنت حدثت نفسي بريبة معها أو مع غيرها قط.

قال الشاعر:

قالت وقلت ترققي فصيلي خبل امرئ بوصولكم صب

صاوق إذا بغلي فقلت لها الغدر شيء ليس من شغبي

ثُنتَانِ لَا أَضْبُو لَوْضِلَهُمَا عَرَسُ الصَّدِيقِ وَجَارَةُ الْجَنْبِ  
أَنَا الصَّدِيقُ فَلَسْتُ خَائِنَةً وَالْجَارُ أَوْصَانِي بِهِ رَبِّي  
يقال: إِنَّ امْرَأَةً ذَاتَ جَمَالٍ دَعَتْ عَبْدَ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمُقْلَبِ إِلَى نَفْسِهَا لَمَّا كَانَتْ تَرَى عَلَى  
وَجْهِهِ مِنَ الثَّوَرِ، فَأَبَى وَقَالَ:

أَمَّا الْحَرَامُ فَالْمَمَاتُ دُونَهُ وَالْحَلَّ لَا حَلَ فَاَسْتَبِينَهُ  
فَكَيْفَ بِالْأَمْرِ الَّذِي تَبْغِيهِهُ يَحْمِي الْكَرِيمُ عِرْضَهُ وَدِينَهُ  
رَاوَدَ تَوْبَةً بَنُ الْحَمِيرِ لَيْلَى الْأَخِيلَةَ مَرَّةً عَنْ نَفْسِهَا، فَاشْمَأَزَتْ مِنْهُ وَقَالَتْ:  
وَذِي حَاجَةٍ قُلْنَا لَهُ لَا تَبْخُ بِهَا فَلَيْسَ إِلَيْهَا مَا حَبِيتَ سَبِيلُ  
لَنَا صَاحِبٌ لَا يَنْبَغِي أَنْ نَخُونَهُ وَأَنْتَ لِأَخْرَى صَاحِبٌ وَخَلِيلُ  
ابْنُ مَيْيَادَةَ:

مَوَانِعُ لَا يُعْطِينَ حَبَّةَ خَرْدَلٍ وَهَنْ زَوَانٍ فِي الْحَدِيثِ أَوْانَسُ  
وَيَكْرَهُنَّ أَنْ يَسْمَعْنَ فِي اللَّهْرِ رِبْبَةً كَمَا كَرِهَتْ صَوْتَ اللَّجَامِ الشَّوَامِسُ  
آخِرُ:

بِيضُ أَوْانَسُ مَا هَمَمَنْ بِرِبْبَةٍ كَطَبَاءِ مَكَّةَ صِيْدُهُنَّ حَرَامُ  
يُحْسَبُنَ مِنْ لَيْنِ الْكَلَامِ زَوَانِيًا وَيَصْدُهُنَّ عَنِ الْخَنَا الْإِسْلَامُ  
فِي الْحَدِيثِ الْمَرْفُوعِ: «لَا تَكُونَنَّ حَدِيدَ النَّظَرِ إِلَى مَا لَيْسَ لَكَ، فَإِنَّهُ لَا يَزْنِي قَرْجُكَ مَا  
حَفِظْتَ عَيْنَكَ، وَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَلَّا تَنْظُرَ إِلَى ثَوْبِ الْمَرْأَةِ الَّتِي لَا تَحِلُّ لَكَ فَافْعَلْ وَلَنْ تَسْتَطِيعَ ذَلِكَ  
إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ»<sup>(١)</sup>.

كَانَ ابْنُ الْمُوَلَّى الشَّاعِرُ الْمَدَنِيُّ مَوْصُوفًا بِالْعَفَّةِ وَطَيْبِ الْإِزَارِ، فَانْشَدَ عَبْدَ الْمَلِكِ شِعْرًا لَهُ مِنْ  
جُمْلَتِهِ:

وَأَبْكِي فَلَا لَيْلَى بِكَثْرٍ مِنْ صَبَابَةٍ لِبَاكِ وَلَا لَيْلَى لَذِي الْبَذْلِ تَبَذُّ  
وَأَخْنَعُ بِالْعُنْتَبَى إِذَا كُنْتُ مُذْنِبًا وَإِنْ أَذْنِبْتُ كُنْتُ الَّذِي أُنْصَلُّ  
فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ: مَنْ لَيْلَى هَذِهِ؟ إِنْ كَانَتْ حُرَّةً لَأَزْوَجُكَهَا، وَإِنْ كُنْتَ أَمَةً لَأَشْتَرِيْنَهَا لَكَ  
بِالْعَةِ مَا بَلَغْتَ، فَقَالَ: كَلَّا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، مَا كُنْتُ لِأَصْعُرَ وَجْهَ حُرٍّ أَبَدًا فِي حُرَّتِهِ وَلَا فِي  
أَمَتِهِ، وَمَا لَيْلَى الَّتِي أَنْسَتْ بِهَا إِلَّا قُرْسِي هَذِهِ سَقَمَتِهَا لَيْلَى لِأَنَّ الشَّاعِرَ لَا يَدُّ لَهُ مِنَ النَّسِيبِ.  
ابْنُ الْمَلُوحِ الْمَجْنُونُ:

كَأَنَّ عَلَى أَنْبَابِهَا الْخَمْرُ مَجْمُؤٌ بِمَاءِ النَّدَى مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ غَابِثُ

وما دُقْتُه إلا بَعَيْنِي تَفَرُّسًا      كما تُبِيمُ من أَعْلَى السُّحَابَةِ بَارِقُ  
هذا مثل بيت الحماسة:

بأَعَذَبَ مِنَّ فِيهَا وما دُقْتُ طَعْمَهُ      ولكنني فيما تَرَى العَيْنُ فَارِسُ  
شاعر:

ما إن دَعَانِي الهَوَى لِفَاجِئَةٍ      إلا نَهَانِي الحَيَاءُ وَالْكَرَمُ  
ولا إِلَى مَحْرَمٍ مَدَدْتُ يَدِي      ولا مَسَّتْ بِي لِرَيْبَةٍ قَدَمُ  
العباس بن الأحنف:

أناذَنون لَصَبٍ في زيارَتِكُمْ      فعندَكُم شَهَوَاتُ السَّبْعِ والبَصَرِ  
لا يُضْمِرُ السُّوءَ إن طال الجُلوسُ به      عَفُ الضَمِيرِ ولكن فاسقُ النَّظَرِ

قال بعضهم: رأيت امرأةً مستقبلة البيت في المَوْسَمِ، وهي في غاية الضَّرِّ والنَّحَافَةِ رافعةً يديها تدعو، فقلتُ لها: هل لك من حاجة؟ قالت: حاجتي أن تُنادِي في الموقف بقولي:

تَزُوْدُ كُلَّ النَّاسِ زاداً يُقِيمُهُمْ      ومالي زادٌ والسَّلامُ على نَفْسِي

ففعلت، وإذا أنا بفتى مُنْهَوِكٍ، فقال: أنا الزاد، فمضيتُ به إليها، فما زادوا على النَّظَرِ والبكاء، ثم قالت له: انصرف مُصاحِباً، فقلت: ما علمت أن التَّقاءَ كما يُقْتَصَرُ فيه على هذا، فقالت: امسِكْ يا فتى، أما علمت أن ركوب العار ودُخول النار شديد.

قال بعضهم:

كم قد ظَفِرْتُ بمن أهْوَى فِيمَنَّنِي      منه الحَيَاءُ وخوفُ الله والحَذَرُ  
وكم خَلَوْتُ بمن أهْوَى فَيُفَنَّنِي      منه الفُكاهَةُ والتَّحْدِيثُ والنَّظَرُ  
أهْوَى المِلاحَ وأهْوَى أن أَجَالِسَهُم      وليس لي في حَرَامٍ مِنْهُمْ وَطَرُ  
كَذلك الحُبِّ لا إتيانَ معصية      لا خَيْرَ في لَذَّةٍ مِنْ بَعْدِهَا سَقَرُ

قال محدث بن عبد الله بن طاهر لبنيه: اعشَقُوا تَظَرُّفُوا، وعِفُّوا تَشَرُّفُوا.

وصَفَ أعرابيٌّ امرأةً طَرَفَهَا، فقال: ما زالَ القَمَرُ يُرِينِيها فَلَمَّا غاب أَرْتِيه، فقيل: فما كان بينكما؟ قال: ما أَقْرَبَ ما أَحَلَّ اللهُ مِمَّا حَرَّمَ، إشارة في غير بامٍ، ودنوٌّ من غير مَساسٍ، ولا وَجَعٍ أَشدَّ مِنَ الذَّنوبِ.

كثير غرّة:

وإني لأرْضَى مِنْكَ يا عَزَّ بِالَّذِي      لو أَبْصَرَهُ الوَاشِي لَقَرَّتْ بِلابِلُهُ  
بِلا وبِلا أَسْتَطِيعُ وبِالْمُنَى      وبِالوَعْدِ حَتَّى يَسَامَ الوَعْدُ آمِلُهُ  
وبِالنَّظَرَةِ العَجَلَى وبِالحَوَلِ يَنْقُضِي      وأَوَّخِرُهُ لا نَلْتَقِي وأَوَّإِلُهُ

وقال بعضُ الظُّرَفَاءِ: كان أربابُ الهَوَى يسرون فيما مضى، ويقنعون بأن يَمْضُغَ أحدهم لبناً قد مَضَغَتْهُ محبوبته، أو يَسْتَاكِ بسواكها، ويرزَن ذاك عَظِيماً، واليوم يطلب أحدهم الخَلوة وإرخاء السُّتور، كأنه قد أَشْهَدَ على نكاحها أبا سعيد وأبا هريرة.

وقال أحمد بن أبي عثمان الكاتب:

وَأَنِّي لِبُرْصِيَنِ الْمَرُورِ بِبَابِهَا      وَأَقْنَعُ مِنْهَا بِالْوَعِيدِ وَبِالزَّجْرِ

قال يوسف بن الماجشون: أَشْذَتْ مُحَمَّدُ بْنُ الْمُنْكَدِرِ قَوْلَ وَضَّاحِ الْيَمَنِ:

إِذَا قُلْتُ هَاتِي تَوَلِّينِي تَبَسَّمْتُ      وَقَالَتْ مَعَاذَ اللَّهِ مِنْ فِعْلٍ مَا حَرُمُ

فَمَا تَوَلَّيْتُ حَتَّى تَضَرَعَتْ حَوْلَهَا      وَعَرَفْتُهَا مَا رَخَّصَ اللَّهُ فِي اللَّئِمِّ

فَضَحِكَ وَقَالَ: إِنَّ كَانَ وَضَّاحٌ لَفَقِيهَا فِي نَفْسِهِ.

قال آخر:

نَقَلْتُ بِحَقِّ اللَّهِ إِلَّا أَتَيْتَنَا      إِذَا كَانَ لَوْنُ اللَّيْلِ لَوْنُ الظُّلَيْلِ

فَجِئْتُ وَمَا فِي الْقَوْمِ يَفْطَانُ غَيْرُهَا      وَقَدْ نَامَ عَنْهَا كُلُّ وَالٍ وَحَارِسِ

فَبَشَّنَا مَسِيئاً طَيِّباً نَسْتَلِذُهُ      جَمِيعاً وَلَمْ أَمُدُّ لَهَا كَفّاً لَامِسِ

مَرَّتْ امْرَأَةٌ حَسَنَاءُ بِقَوْمٍ مِنْ بَنِي تُمَيْرٍ مَجْتَمِعِينَ فِي نَادِيهِمْ، فَرَمَقُوهَا بِأَبْصَارِهِمْ، وَقَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ: مَا أَكْمَلَهَا لَوْلَا أَنَّهُا رَسَعَاءُ! فَالْتَمَتَتْ إِلَيْهِمْ، وَقَالَتْ: وَاللَّهِ يَا بَنِي نَمِيرٍ، مَا أَطْلَعْتُمُ اللَّهَ وَلَا الشَّاعِرَ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَنْقُضُوا بَيْنَ أَنْفُسِهِمْ﴾<sup>(١)</sup>.

وقال الشاعر:

فَغَضُّ الظُّرَفِ إِنَّكَ مِنْ تُمَيْرٍ      فَلَا كَعْباً بَلِغْتَ وَلَا كِلَاباً

فَاخْجَلْتَهُمْ. وَقَالَ أَبُو صَخْرٍ الْهُذَلِيُّ مِنْ شِعْرِ الْحَمَاسَةِ:

لَلَّيْلَةُ مِنْهَا تَمُودُ لَنَا      مِنْ غَيْرِ مَا رَقَّيْتُ وَلَا إِثْمٍ

أَنْهَى إِلَى نَفْسِي وَلَوْ بَرَحْتُ      مِمَّا مَلَكَتُ وَمِنْ بَنِي سَهْمٍ

آخر:

وَمَا نَلْتُ مِنْهَا مَخْرَماً غَيْرَ أَنِّي      أَقْبَلُ بِسَاماً مِنَ الشَّغْرِ أَفْلَجَا

وَالنَّمُ فَأَمَّا أَجْذَأُ بِقُرُونِهَا      وَاتْرُكْ حَاجَاتِ الثُّفُوسِ تَحْرُجَا

وَأَعَفْتُ مِنْ هَذَا الشَّعْرِ قَوْلَ عَبْدِ بَنِي الْحَسْحَاسِ عَلَى فَنَفَقَةٍ:

لِعَمْرُ أَبِيهَا مَا صَبَوْتُ وَلَا صَبَتْ      إِلَيَّ وَإِنِّي مِنْ صِبَا لَحْلِيمٍ

سَوَى قُبْلَةٍ اسْتَغْفِرَ اللَّهُ ذَنْبَهَا سَأَطْعِمُ مَسْكِينًا لَهَا وَأَصْرُمُ  
وقال آخر:

ومجدولٍ جَذَلَ العَنَاقِ كَانَمَا سَنَا البُرْقُ فِي دَاجِي الظَّلَامِ ابْتِسَامُهَا  
ضربتُ لَهَا المِيعَادَ لَيْسَتْ بِكُنْةٍ وَلَا جَارَةٌ يُخْشَى عَلَيَّ ذِمَامُهَا  
فلَمَّا التَقَيْنَا قَالَتْ الحُكْمُ فَاحْتَكَمُ سَوَى خِلْفَةٍ فَيَهَاكَ مِنْكَ مَرَامُهَا  
فَقُلْتُ مَعَادَ اللَّهِ أَنْ أَرْكَبَ النِّتِي تَبِيدُ وَيَبْقَى فِي المَعَادِ اثْنَامُهَا  
قوله: «ليست بكنة» ولا جارة يُخْشَى عَلَيَّ ذِمَامُهَا، مأخوذة من قول قيس بن الخطيم:  
ومثلك قد أَحْبَبْتُ لَيْسَتْ بِكُنْةٍ وَلَا جَارَةٌ وَلَا خَلِيلَةٌ صَاحِبِ  
وهذا الشاعر قد زاد عليه بقوله: «ولا حليمة صاحب».

وأنشد ابن مندويه لبعضهم:

أَنَا زَائِي اللِّسَانِ وَالطَّرْفِ إِلَّا أَنْ قَلْبِي يَمَافُ ذَاكَ وَيَأْبَى  
لَا يَرَانِي إِلَّا أَشْرَبَ إِلَّا كُلُّ مَا حَلَّ شُرُّهُ لِي وَطَابَا  
آخر:

نَلْهُو بِهِمْ كَذَا مِنْ غَيْرِ فَاحِشَةٍ لَهْوِ الصُّيَامِ بِشَفَاحِ البَسَائِيْنِ  
بشار بن برد:

قَالُوا حَرَامٌ تَلَاقَيْنَا فَقُلْتُ لَهُمْ مَا فِي التَّزَامِ وَلَا فِي قُبْلَةٍ حَرَجٍ  
مَنْ رَاقِبَ النَّاسَ لَمْ يَظْهَرْ بِحَاجَتِهِ وَفَارَ بِالطَّبِيبَاتِ الْفَاتِكِ اللُّهُجِ  
البيت الآخر مثل قول القائل:

مَنْ رَاقِبَ النَّاسَ مَاكَ هَمًّا وَمَنْ رَاقِبَ النَّاسَ مَاكَ هَمًّا  
أبو الطيب المتيني:

وَتَرَى الْفِتْوَةَ وَالْمَرُوءَةَ وَالْأَبُوَّةَ فِي كُلِّ مَلِيحَةٍ فَسَرَّاتِهَا  
مَنْ الثَّلَاثِ المَائِعَاتِي لَذَّتِي فِي خَلْوَتِي لَا الْخَوْفُ مِنْ تَبِيعَاتِهَا  
إِنِّي عَلَى شَعْفِي بِمَا فِي خَمْرِهَا لَأَعَفُ عَمَّا فِي سَرَاوِيلَاتِهَا

كان صاحبُ رحمه الله يستهجن قوله: «عما في سراويلاتها»، ويقول: إن كثيراً من العُفْرِ  
أحسن من هذه العِفَّة، ومعنى البيت الأول أن هذه الخلال الثلاث تَرَامُنُ المِلاحَ ضَرَائِرَ لَهُنَّ  
لأنهن يمتنعن عن الخَلْوَةِ بالمِلاحِ والتمتع بهنَّ. ثم قال: إن هذه الخلال هي التي تمنعه لا  
الْخَوْفُ مِنْ تَبِيعَاتِهَا، وقال قوم: هذا تهاونٌ بالدين، ونوعٌ من الإلحاد. وعندي أن هذا مذنبٌ

للسَّعْرَاءِ معروف، لا يُريدون به التَّهَاقُوتَ بِالَّذِينَ، بل المبالغة في وَضْفِ سَجَايَاهُمْ وَأَخْلَاقِهِمْ بِالظُّهَارَةِ، وَأَنَّهُمْ يَتَرَكُونَ الْقَبِيحَ لِأَنَّهُ قَبِيحٌ، لا لَوُرُودِ الشَّرْعِ بِهِ، وَخَوْفِ الْعِقَابِ مِنْهُ. وَيُمْكِنُ أَيْضاً أَنْ يَرِيدَ تَبَعَاتُهَا تَبَعَاتِ الدُّنْيَا، أَيْ لَا أَخَافُ مِنْ قَوْمِ هَذِهِ الْمَحْبُوبَةِ الَّتِي أُنِسْتُ بِهَا، وَلَا أَشْفِقُ مِنْ حَرْبِهِمْ وَكَيْدِهِمْ، فَأَمَّا عَقَّةُ الْيَدِ وَعَقَّةُ اللِّسَانِ فَهِيَ بَابٌ آخَرٌ. وَقَدْ ذَكَرْنَا طَرَفاً صَالِحاً مِنْ ذَلِكَ فِي الْأَجْزَاءِ الْمُنْتَقِذَةِ عِنْدَ ذِكْرِنَا الْوَزْعِ.

وفي الحديث المرفوع: «لَا يَلْبُغُ الْعَبْدُ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُتَّقِينَ حَتَّى يَتْرَكَ مَا لَا بَأْسَ بِهِ حَذِراً لِمَا بِهِ الْبَأْسُ»<sup>(١)</sup>.

وقال أبو بكر في مرض موته: إِنَّا مِنْذُ وَلِينَا أَمَرَ الْمُسْلِمِينَ لَمْ نَأْخُذْ لَهُمْ دِيْناً وَلَا دِينَاراً، وَأَكَلْنَا مِنْ جَرِيْشٍ<sup>(٢)</sup> الطَّلَامِ، وَلِبَسْنَا مِنْ خَشِيْنِ الثِّيَابِ، وَلَيْسَ عِنْدَنَا مِنْ فَيْءِ الْمُسْلِمِينَ إِلَّا هَذَا النَّاضِحُ، وَهَذَا الْعَبْدُ الْخَبَشِيُّ، وَهَذِهِ الْقَطِيفَةُ، فَإِذَا قُبِضْتُ فَادْفَعُوا ذَلِكَ إِلَى عُمَرَ لِيَجْعَلَهُ فِي بَيْتِ مَالِ الْمُسْلِمِينَ، فَلَمَّا مَاتَ حُوِّلَ ذَلِكَ إِلَى عُمَرَ، فَبَكَى كَثِيراً ثُمَّ قَالَ: رَجِمَ اللَّهُ أَبَا بَكْرٍ، لَقَدْ أَتَيْتُ مَنْ بَعْدَهُ

قال سليمان بن داود: يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ، أَوْصِيَكُمْ بِأَمْرَيْنِ أَفْلَحَ مَنْ قَعَلَهُمَا: لَا تُدْخِلُوا أَجْوَاكُمُ إِلَّا الْقَلِيبَ، وَلَا تُخْرِجُوا مِنْ أَفْوَاهِكُمْ إِلَّا الْقَلِيبَ.

وقال بعضُ الحكماء: إِذَا شِئْتَ أَنْ تُعْرِفَ رِيْكَ مَعْرِفَةً يَقِينَةً فَاجْعَلْ بَيْنَكَ وَبَيْنَ الْمُحَارِمِ حَائِطاً مِنْ حَدِيدٍ، فَسَوْفَ يَقْتَحِعُ عَلَيْكَ أَبْوَابَ مَعْرِفَتِهِ.

وَمِمَّا يُحْكِي مِنْ وَزْعِ حَسَّانَ بْنِ أَبِي سَيَّانٍ أَنَّ غُلَاماً لَهُ كُتُبٌ إِلَيْهِ مِنَ الْأَهْوَازِ: إِنْ قَصَبَ السَّكَّرَ أَصَابَتْهُ السَّنَةُ أَفْءَ فَابِتَعٍ مَا قَدَّرْتَ عَلَيْهِ مِنَ السَّكَّرِ، فَإِنَّكَ تَجِدُ لَهُ رِيحاً كَثِيراً فِيمَا بَعْدَ فَابِتَاعٍ، وَطَلِبَ مِنْهُ مَا ابْتَاغَهُ بَعْدَ قَلِيلٍ بِرِيعٍ ثَلَاثِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ، فَاسْتَقَالَ الْبَيْعَ مِنْ صَاحِبِهِ، وَقَالَ: إِنَّهُ لَمْ يَعْلَمْ مَا كُنْتُ أَعْلَمُ حِينَ اشْتَرَيْتُهُ مِنْهُ، فَقَالَ الْبَايَعُ: قَدْ عَلِمْتُ الْآنَ مَقْدَارَ الرِّيحِ، وَقَدْ طَلَيْتُهُ لَكَ وَأَحْلَلْتُكَ، فَلَمْ يَطْمِئِنْ قَلْبُهُ، وَمَا زَالَ حَتَّى رَدَّهُ عَلَيْهِ.

يُقَالُ: إِنْ غَنِمَ الْغَارَةُ اخْتَلَطَتْ بِغَنَمِ أَهْلِ الْكُوفَةِ، فَتَوَزَّعَ أَبُو حَنِيفَةَ أَنْ يَأْكُلَ اللَّحْمَ، وَسَأَلَ كَمْ تَعِيشُ الشَّاةُ؟ قَالُوا: سَبْعَ سِنِينَ، فَتَرَكَ أَكْلَ لَحْمِ الْغَنَمِ سَبْعَ سِنِينَ.

ويقال: إِنْ الْمَنْصُورَ حَمَلَ إِلَيْهِ بَذْرَةً فَرَمَى بِهَا إِلَى زَاوِيَةِ الْبَيْتِ، فَلَمَّا مَاتَ جَاءَ بِهَا ابْنُهُ

(١) أخرجه الترمذي في صفة القيامة، باب: ما جاء في صفة أواني الحوض (٢٤٥١). وابن ماجه في «الزهد»، باب الورع والتقوى (٤٢١٥). والحاكم في «مستدرکه» (٧٨٩٨)، والبيهقي في «سننه الكبرى» (٣٣٥/٥).

(٢) الجريش: دقيق فيه غلظ. اللسان، مادة (جرش).

حماد بن أبي حنيفة إلى أبي الحسن بن أبي قحطبة، وقال: إن أبي أوصاني أن أردّ هذه عليك، وقال: إنها كانت عندي كالوديع، فاصرفها فيما أمرك الله به، فقال أبو الحسن: رجم الله أبا حنيفة! لقد شحّ بدينه إذ سحّ به نفوس أقوام.

وقال سفيان الثوري: انظر دزهمك من أين هو، وصلّ في الصّفت الأخير. جابر، سمعت النبي ﷺ يقول لكعب بن عُجرة: «لا يدخل الجنة لحم نبت من الشح، التار أولى به»<sup>(١)</sup>.

الحسن: لو وجدت رغيفاً من خلالٍ لأخرته ثم سحفته ثم جعلته ذروراً، ثم ذوّبته به المرصّي.

عائشة، قالت: يا رسول الله، من المؤمن؟ قال: من إذا أصبح نظر إلى رغيفته كيف يكتبها، قالت: يا رسول الله، أما إنهم لو كلفوا ذلك لتكلفوه، فقال لها: إنهم قد كلفوه، ولكنهم يعمفون الدنيا عسفاً.

حذيفة بن اليمان يرقعه: إن قوماً يجيئون يوم القيامة ولهم من الحسنات كأمثال الجبال، فيجعلها الله هباءً منثوراً، ثم يؤمر بهم إلى النار، فقيل: خلّهم لنا يا رسول الله، قال: إنهم كانوا يصلّون ويصومون ويأخذون أهبةً من الليل، ولكنهم كانوا إذا عرض عليهم الحرام وثبوا عليه.

- ٤٨٣ -

الأصل: وقال ﷺ: القناعة مال لا ينفد.

قال: وقد روى بعضهم هذا الكلام عن رسول الله ﷺ.

الشرح: قد تقدّم القول في هذا المعنى، وقد تكرّرت هذه اللفظة بدايتها في كلامه ﷺ. ومن جيد القول في القناعة قول الثوري:

أنا كالشغبان جلدي مليسي  
لست محتاجاً إلى ثوب الجمال  
فالخمول العز والياس الغنى  
والقنوع الملك، هذا ما بدا لي  
وقال أيضاً:

(١) أخرجه الترمذي في الجمعة، باب: ما ذكر في فضل الصلاة (٦١٤)، وأحمد في «مسنده» (١٤٠٣٢)، واللفظ له. والدارمي في الرقاق، باب: في أكل السحت (٢٧٧٦).



لا تعجب لمن يهوى ويصدق في دنياه فالحلق في أرجوحة القدر  
واقنع بما قل فالأزوال صافية ولجة البحر لا تخلو من الكدر

- ٤٨٤ -

الأصل: وقال عليه السلام لزياد بن أبيه وقد استخلفه لعبد الله بن العباس على فارس وأعمالها، في  
كلام طويل كان بينهما نهاء فيه عن تفهيم الخراج:  
استعمل العدل، واخذر العسف والخبث، فإن العسف يؤود بالجلال، والخبث يذو  
إلى السيف.

الشرح: قد سبق الكلام في العدل والجور.  
وكانت عادة أهل فارس في أيام عثمان أن يطلب الوالي منهم خراج أملاكهم قبل بيع الثمار  
على وجه الاستيفاء، أو لأنهم كانوا يظنون أن أول السنة القمرية هو مبتدأ وجوب الخراج  
حملاً للخراج التابع لسنة الشمس على الحقوق الهلالية التابعة لسنة القمر، كأجرة العقار،  
وجوالي أهل الذمة، فكان ذلك يُجحف بالناس ويدعو إلى عسفهم وخبثهم.  
وقد غلط في هذا المعنى جماعة من الملوك في كثير من الأعصار، ولم يعلموا فرق ما بين  
السنتين، ثم تنبه له قوم من أذكى الناس فكبسوا وجعلوا السنين واحدة، ثم أهمل الناس  
الكبس، وانفرد ما بين السنة القمرية والسنة الخراجية التي هي سنة الشمس انفراجاً كبيراً.  
واستقصاء القول في ذلك لا يليق بهذا الموضع، لأنه خارج عن فن الأدب الذي هو  
موضوع كتابنا هذا.

- ٤٨٥ -

الأصل: وقال عليه السلام: أشدُّ الذنوب ما استخفَّ بها صاحبها.

الشرح: عظم المصيبة على حسب نعمة العاصي، ولهذا كان لظلم الولد وجه الوالد كبيراً ليس  
كلظمة وجه غير الوالد.

ولمّا كان البارئ تعالى أعظمّ المُنعمين، بل لا نعمة إلا وهي في الحقيقة من نعمه، ومنسوبة إليه، كانت مخالفته ومعصيته عظيمة جداً، فلا ينبغي لأحد أن يعصيه في أمر وإن كان قليلاً في ظنه، ثم يستقلّه ويستهن به، ويظهر الاستخفاف وقلة الاحتفال بمواقفته، فإنّه يكون قد جَمَعَ إلى المعصية معصية أخرى، وهي الاستخفاف بقدر تلك المعصية التي لو أمِنَ النَّظَرُ لَعَلِمَ أنّها عظيمة، ينبغي له لو كان رشيداً أن يبيّك عليها الدّمَ فضلاً عن الدُّمُع، فلهذا قال ﷺ: «أشدّ الذنوب ما استخفّ بها صاحِبها».

- ٤٨٦ -

**الأصل:** وَقَالَ ﷺ: مَا أَخَذَ اللَّهُ عَلَى أَهْلِ الْجَهْلِ أَنْ يَتَعَلَّمُوا حَتَّى أَخَذَ عَلَى أَهْلِ الْعِلْمِ أَنْ يُعَلَّمُوا.

**الشرح:** تعليمُ العلم فرض كفاية، وفي الخبر المرفوع «من علّم علماً ونكّمه أجمعه الله يوم القيامة بِلجام من نار»<sup>(١)</sup>.

وَرَوَى معاذُ بْنُ جَبَلٍ عن النبي ﷺ قال: «تعلّموا العلم فإن تعلّمه خشية الله، ودراسته تسبيح، والبحث عنه جهاد، وطلبه عبادة، وتعليمه صدقة، وبذله لأهله قربة، لأنّه معالِم الحلال والحرام، وبيان سبيل الجنة، والمؤنس في الوحشة، والمحدث في الخلوة، والجلس في الوحدة، والصاحب في الغربة، والدليل على السّراء، والمُعِين على الضّراء، والزّين عند الإخلاء، والسّلاح على الأعداء»<sup>(٢)</sup>.

ورُئيَ واصل بن عطاء يكتب من صبيّ حديثاً، فقيل له: مثلك يكتب من هذا! فقال: أما إني أحفظُ له منه، ولكنني أردت أن أذيقه كأس الرّياسة، ليدعوه ذلك إلى الإزدياد من العلم. وقال الخليل: العلوم أقال، والسّؤالات مفاتيحها.

(١) أخرجه أبو داود في العلم، باب: كراهية منع العلم (٣٦٥٨) من حديث أبي هريرة وابن ماجه في المقدمة، باب: من سئل عن علم فكتمه (٢٦٥)، من حديث أبي سعيد الخدري وأحمد في «مسنده» (٨٣٢٨)، من حديث أبي هريرة واللفظ له.

(٢) ذكره الإمام السيوطي في كتابه «تدريب الراوي» (١/ ١٦٥) وقال أخرجه ابن عبد البر في كتابه: العم وقال: حديث حسن جداً ولكن ليس له إسناده قوي، فأراد بالحسن حسن اللفظ، لأنه من رواية موسى البلقاوي وهو كذاب نسب إلى الوضع عن عبد الرحيم العمي وهو متروك.

وقال بعضهم: كان أهل العلم يضنون بعلمهم عن أهل الدنيا فيرغبون فيه ويبذلون لهم دنياهم، واليوم قد بذل أهل العلم علمهم لأهل الدنيا فزهدوا فيه وضنوا عنهم بدنياهم.  
وقال بعضهم: ابذل علمك لمن يطلبه، وادع إليه من لا يطلبه، وإلا كان مثلك كمن أهديت له فاكهة فلم يقطعها ولم يقطعها حتى فسدت.

- ٤٨٧ -

**الأصل:** وقال عليه السلام: **شَرُّ الإِخْوَانِ مَنْ تَكَلَّفَ لَهُ.**

**الشرح:** إنما كان كذلك لأن الإخاء الصادق بينهما يوجب الانبساط، وترك التكلف، فإذا احتيج إلى التكلف له فقد دل ذلك على أن ليس هناك إخاء صادق، ومن ليس بأخ صادق فهو من شر الإخوان.

وروى ابن نايقا في كتاب «ملح الممالحة»، قال: دخل الحسن بن سهل على المأمون، فقال له: كيف علمك بالمروءة؟ قال: ما أعلم ما يريد أمير المؤمنين فأجيبه؟ قال: عليك بعمر بن مسعدة، قال: فوافيتُ عمرأ وفي داره صناع، وهو جالس على أجرة ينظر إليهم، فقلت: إن أمير المؤمنين يأمر أن تعلمني المروءة، فعدا بأجرة فأجلستني عليها، وتحدثنا ملياً، وقد امتلأت غيظاً من تقصيره بي، ثم قال: يا غلام عندك شيء يؤكل؟ فقال: نعم، فقدم طبقاً لطيفاً، عليه رغيفان وثلاث سكرجات، في إحداهن خلّ، وفي الأخرى مريء، وفي الأخرى ملح، فأكلنا، وجاء الفزّاش فوضّأنا، ثم قال: إذا شئت فنهضت متحفظاً، ولم أودعه، فقال لي: إن رأيت أن تعود إليّ في يوم مثله فلم أذكر للمأمون شيئاً مما جرى، فلما كان في اليوم الذي وعدني فيه لقياه سرت إليه فاستؤذن لي عليه، فتلقاني على باب الدار، فعانقني، وقبل بين عيني، وقدمني أمامه، ومشى خلفي حتى أقعدني في الدست، وجلس بين يدي، وقد فرشت الدار، ووزّنت بأنواع الزينة، وأقبل يحدثني ويتنادر معي إلى أن حضر وقت الطعام، فأمر فقدمت أطباق الفاكهة، فأصبنا منها، ونصبت الموائد، فقدم عليها أنواع الأطعمة من حارّها وباردّها، وحلوها وحامضها، ثم قال: أيّ الشراب أعجب إليك؟ فاقترحت عليه، وحضر الوصائف للخدمة، فلما أردت الانصراف حمّل معي جميع ما أحضر من ذهب وفضة وفُرُش وكسوة، وقدم إلى البساط فرس بمركب ثقیل، فركبته وأمر من بحضرته من الغلمان الرّوم والوصائف حتى سعوا بين يدي، وقال: عليك وأمر من بحضرته من الغلمان الرّوم والوصائف

حتى سعوًا بين يديّ، وقال: عليك بهم فهم لك. ثم قال: إذا زارك أخوك فلا تتكلف له، واقتصر على ما يحضرك، وإذا دعوته فاحتفل به واحتشد، ولا تدعُ مكنًا، كفعلنا إناك عند زيارتك إيانا، وفعلنا يوم دعوناك.

- ٤٨٨ -

**الأصل:** وقال عليه السلام في كلام له: إِذَا اخْتَسَمَ الْمُؤْمِنُ أَخَاهُ فَقَدْ قَارَقَهُ.

**الشرح:** ليس يعني أن الاحتشام حيلة الفرق بل هو دلالة وأماره على الفرقه، لأنه لو لم يحدث عنه ما يقتضي الاحتشام لانبسط على عادته الأولى، فالانقباض أماره المبينة.

هذا آخر ما دَوَّنه الرُّضَيَّ أبو الحسن رحمه الله من كلام أمير المؤمنين عليه السلام في «نهج البلاغة»، قد أتينا على شرحه بمعونة الله تعالى.

ونحن الآن ذاكرون ما لم يذكره الرضوي مما نسب قوم إليه، فبعضه مشهور عنه، وبعضه ليس بذلك المشهور، لكنه قد روى عنه، وعُزي إليه، وبعضه من كلام غيره من الحكماء، ولكنه كالنظير لكلامه، والمضارع لحكمته، ولما كان ذلك متضمنًا فنونا من الحكمة نافعة، رأينا ألا نُخلِّي هذا الكتاب عنه، لأنه كالتكلمة والشمعة لكتاب «نهج البلاغة».

وربما وقع في بعضه تكرار يسير شذ عن أذهاننا التنبه له، لطول الكتاب وتباعد أطرافه، وقد عدنا ذلك كلمة كلمة، فوجدناه ألف كلمة.

فإن اعتراضنا معترض قال: فإذا كنتم قد أقررتم بأن بعضها ليس بكلام له، فلماذا ذكرتموه، وهل ذلك إلا نوع من التطويل!

أجبناه وقلنا: لو كان هذا الاعتراض لازماً لوجب ألا نذكر شيئاً من الأشباه والنظائر لكلامه، فالعذر هاهنا هو العذر هناك، وهو أن الغرض بالكتاب الأدب والحكمة، فإذا وجدنا ما يناسب كلامه عليه السلام، وينصب في قالبه ويحتذي حذوه، ويتقبل منهاجه، ذكرناه على قاعدتنا في ذكر النظير عند الخوض في شرح نظيره.

وهذا جيلُ الشروع فيها خالية عن الشرح لجلالها ووضوحها، وإن أكثرها قد سبقت نظائره وأمثاله، وبالله التوفيق.

### الحكم المنسوبة إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

١ - كان كثيراً ما يقول إذا فرغ من صلاة الليل: أشهد أن السماوات والأرض وما بينهما آيات تدلّ عليك، وشواهد تشهد بما إليه دعوت. كلّ ما يؤدّي عنك الحجّة ويشهد لك بالزبونية، موسوم بآثار نعمتك ومعالم تديريك. علوت بها عن خلقك، فأوصلت إلى القلوب من معرفتك ما آتسها من وحشة الفكر، وكفاها رجم الاحتجاج، فهي مع معرفتها بك، ولها إلبك، شاهدة بأنك لا تأخذك الأوهام، ولا تدركك العقول ولا الأبصار. أعوذ بك أن أشير بقلب أو لسان أو يدي إلى غيرك، لا إله إلا أنت، واحداً أحداً، فرداً صمداً، ونحن لك مسلمون.

٢ - إلهي، كفاني فخراً أن تكون لي ربّاً، وكفاني عزّاً أن أكون لك عبداً، أنت كما أريد، فاجعني كما تريد.

٣ - ما خاف امرؤ عدل في حكمه، وأطعم من قوته، ودخّر من دنياه لأخوته.

٤ - أفضل على من شئت تكن أميره، واستغني عن شئت تكن نظيره، واحتج إلى من شئت تكن أسيره.

٥ - لولا ضعف اليقين ما كان لنا أن نشكو محنة يسيرة نرجو في العاجل سرعة زوالها، وفي الآجل عظيم ثوابها، بين أضعاف يتم لو اجتمع أهل السماوات والأرض على إحصائها ما وفوا بها فضلاً عن القيام بشكرها.

٦ - من علامات المأمون على دين الله بعد الإقرار والعمل، الحزم في أمره، والصدق في قوله، والعدل في حكمه، والشفقة على رعيته، لا تخرجه القذرة إلى تحرق، ولا اللين إلى ضعف، ولا تمنعه العزة من كرم عفو، ولا يدعوه العفو إلى إضاعة حق، ولا يدخله الإعطاء في سرف، ولا يتخطى به القصد إلى بخل، ولا تأخذه نعم الله بيطر.

٧ - الفسق نجاسة في الهمة، وكلب في الطبيعة.

٨ - قلوب الجاهل تستغزها الأطماع، وترتهن بالأمان، وتتعلق بالخدائع. وكثرة الصمت مام للسان، وحسن الفطنة، وإمالة الخاطر، وعذاب الحسن.

٩ - عداوة الضعفاء للأقوياء، والسفهاء للحلماء والأشرار للأخيار، طبع لا يستطيع تغييره.

١٠ - العقل في القلب، والرحمة في الكبد، والتنفس في الرئة.

١١ - إذا أراد الله بعبد خيراً حال بينه وبين شهوته، وحجز بينه وبين قلبه، وإذا أراد به شراً كلّه إلى نفسه.

١٢ - الصَّبْرُ مطيعة لا تكبُّو، والقناعة سيف لا ينيو.

١٣ - رحم الله عبداً اتقى ربه، وناصح نفسه، وقدم توبته، وغلب شهوته، فإن أجله مستور عنه، وأمله خادع له، والشیطان مُوَكَّلٌ به.

١٤ - مرَّ بمقبرة فقال: السلام عليكم يا أهل الديار الموحشة، والمحالِّ المقفرة، من المؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات، أنتم لنا قَرُط، ونحن لكم تَبَعٌ نزوركم عمَّا قليل، ونلحق بكم بعد زمان قصير. اللهم اغفر لنا ولهم، وتجاوز عنا وعنهم الحمد لله الذي جعل الأرض كِفَاتاً، أحياء وأمواتاً. والحمد لله الذي منها حَلَقْنَا، وعليها مُمَشَانَا، وفيها معاشنا، وإليها يُعِيدُنَا. طوبى لمن ذكر المعاد، وقنع بالكفاف، وأعدَّ للحساب!

١٥ - إنكم مخلوقون اقتداراً، ومربوبون اقتساراً، ومضمَّنون أجداناً، وكائنون رُفَاتاً، ومبعوثون أفراداً، ومدبَّرون حساباً. فرحم الله امرأً اقترف فاعتترف، ووَجَلَ فعقل، وحاذر فبادر، وعُفِّر فاعتبر، وحَذَّر فازدجر، وأجاب فأناب، وراجع فتاب، واقتدى فاحتذى، وتأهب للمعاد، واستظهر بالزاد، ليوم رحيله، ووجه سبيله ولحال حاجته، وموطن فاقتته، فقدم أمامه لدار مقامه، فمهَّدوا لأنفسكم على سلامة الأبدان وفسحة الأعمار. فهل ينتظر أهلُ غضارة الشباب إلَّا حوائِيَّ الهرم، وأهلُ بضاضة الصَّحَّةِ إلَّا نوازل السَّقم، وأهلُ مدة البقاء إلَّا مفاجأة الفناء واقترب الغوت، ومشارفة الانتقال، وإشفاء الزوال، وحَفْزُ الأنين ورشح الجبين، وامتداد العِزِّين، وعَلَزُ القلق، وقَيْظُ الرُّمق وشدة المضض، وعَصَصُ الجِرَض.

١٦ - ثلاث منجيات: خشية الله في السرِّ والعَلَانِيَةِ، والقَصْدُ في الفقر والغنى، والعَدْلُ في الغضب والرضا.

١٧ - إياكم والفُحْش، فإنَّ الله لا يحبُّ الفُحْش، وإياكم والشَّح، فإنه أهلك من كان قبلكم، هو الذي سفك دماء الرِّجال، وهو الذي قطع أرحامها، فاجتنبوه.

١٨ - إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلَّا من ثلاث: صدقةٌ جارية، وعلمٌ كان علمه الناس فانفعوا به، وولدٌ صالح يدعو له.

١٩ - إذا فعلتَ كُلَّ شيءٍ فكن كمن سم بفعل شيئاً.

٢٠ - سأله رجل، فقال: بماذا أسوء عدوي؟ فقال: بأن تكون على غاية الفضائل، لأنه إن كان يسوءه أن يكون لك فرس فاره، أو كلب منيود، فهو لأن تُدْكَرَ بالجميل وينسب إليك أشدَّ مساءةً.

٢١ - إذا قُذِفَ بشيءٍ فلا تتهاون به وإن كان كذباً، بل تحرَّز من طرقِ القذف جهديك، فإنَّ القول وإن لم يثبت يوجب ريبةً وشكاً.

٢٢ - عدم الأدب سبب كل شر.

٢٣ - الجهل بالفضائل عدل الموت.

٢٤ - ما أصعب على من استعبدته الشهوات أن يكون فاضلاً!

٢٥ - مَنْ لم يقهر حسدَهُ كَانَ جَسَدُهُ قَبراً لِنَفْسِهِ.

٢٦ - أَحْمَدُ من يغلظ عليك ويعظك، لا من يزجرك ويتملقك.

٢٧ - اختر أن تكون مغلوباً وأنت منصف، ولا تختار أن تكون غالباً وأنت ظالم.

٢٨ - لا تهضم من محاسنك بالقبح والتكبر.

٢٩ - لا تنفك المدنية من شر، حتى يجتمع مع قوة السلطان قوة دينه وقوة حكته.

٣٠ - إِذَا أُرِدْتُ أَنْ تُحْمَدَ فَلَا يَظْهَرُ مِنْكَ حِرْصٌ عَلَى الْحَمْدِ.

٣١ - مَنْ كَثُرَ هَمُّهُ سَقَمَ بَدَنُهُ، وَمَنْ سَاءَ خُلُقُهُ عَذَّبَ نَفْسُهُ، وَمَنْ لَاحَى الرِّجَالَ سَقَطَتْ مِرْوَتُهُ، وَذَهَبَتْ كِرَامَتُهُ، وَأَفْضَلُ إِيْمَانٍ الْعَبْدُ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ مَعَهُ حَيْثُ كَانَ.

٣٢ - كُنْ وِرْعاً تَكُنْ مِنْ أَعْبِدِ النَّاسِ، وَارْضَ بِمَا قَسَمَ اللَّهُ لَكَ تَكُنْ مِنْ أَغْنَى النَّاسِ، وَأَحْسَنَ جَوَارٍ مَنْ جَاوَرَكَ تَكُنْ مُسْلِماً، وَلَا تَكْثُرَنَّ الضُّحُكُ، فَإِنَّ كَثْرَتَهُ تَمِيتُ الْقَلْبَ، وَأُخْرَسَ لِسَانُكَ، وَاجْلِسْ فِي بَيْتِكَ، وَابْكِ عَلَى خَطِيئَتِكَ.

٣٣ - إِنَّ الرَّجُلَ لَيَحْرَمَ الرِّزْقَ بِالذَّنْبِ يَصِيْهُ، وَلَا يَرَى الْقَدْرَ إِلَّا الدُّعَاءَ، وَلَا يَزِيدُ فِي الْعُمُرِ إِلَّا الْبَرَّ، وَلَا يَزُولُ قَدَمُ ابْنِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يَسْأَلَ عَنْ عَمَلِهِ فِي أَفْنَاءِهِ، وَعَنْ شَبَابِهِ فِيْمِ أَبْلَاهِ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ، وَفِيمَ أَنْفَقَهُ، وَعَمَّا عَمِلَ فِيْمَا عَلِمَ!

٣٤ - فِي التَّجَارِبِ عِلْمٌ مُسْتَأْنَفٌ، وَالْإِعْتِبَارُ يَفِيدُكَ الرِّشَادَ، وَكَفَاكَ أَدَباً لِنَفْسِكَ مَا كَرِهَتْهُ مِنْ غَيْرِكَ، وَعَلَيْكَ لِأَخِيكَ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِ لَكَ.

٣٥ - الْغَضَبُ يُثِيرُ كَامِنَ الْجَفْدِ، وَمَنْ عَرَفَ الْأَيَّامَ لَمْ يُغْفَلِ الْإِسْتِعْدَادُ، وَمَنْ أَمْسَكَ عَنِ الْفُضُولِ عَدَلَتْ رَأْيُهُ الْعُقُولَ.

٣٦ - اسْكُتْ وَاسْتَرْ تَسْلَمْ. وَمَا أَحْسَنَ الْعِلْمَ يَزِينُهُ الْعَمَلُ، وَمَا أَحْسَنَ الْعَمَلَ يَزِينُهُ الرِّفْقُ!

٣٧ - أَكْبَرُ الْفَخْرِ أَلَّا تَفْخَرَ.

٣٨ - مَا أَصْعَبَ اكْتِسَابَ الْفَضَائِلِ وَأَيْسَرَ إِتْلَافِهَا!

٣٩ - لَا تَنَازَعْ جَاهِلاً، وَلَا تَتَشَايَعْ مَاتِقاً<sup>(١)</sup>، وَلَا تَعَادَ مُسَلِّطاً.

(١) لَا تَتَشَايَعْ: لَا تَتَشَارَكْ. اللِّسَانُ، مَادَّةُ (شَيْع). الْمَاتِقُ: الْأَحْمَقُ الْغَيِّي. اللِّسَانُ، مَادَّةُ (مَوْق).

٤٠ - الموت راحة للشيخ الفاني من العمل، وللشاب السقيم من السقم، وللغلام الناشء من استقبال الكذ والجمع لغيره، ولمن ركب الدّين لغرماته، وللمطلوب بالوتر، وهو في جملة الأمر أمانة كلّ ملهوف مجهود.

٤١ - ما كنتَ كاتمه عدوك من سرّ، فلا تطلعنّ عليه صديقك. واعرف قدرك يستعمل امرُك، وكفى ما مضى مخبراً عما بقي.

٤٢ - لا تَمِدَّنْ عِدَّةَ تحقّرها قلّة الثقة بنفسك، ولا يغرّنك المرتقى السهل إذا كان المنحدر وُغراً.

٤٣ - اتق العواقب عالماً بأنّ للأعمال جزاءً وأجرًا، واحذر تبعات الأمور بتقديم الحزم فيها.

٤٤ - مَنْ اسْتَرْشَدَ غير العقل أخطأ منهاج الرّأي، وَمَنْ أخطأته وجوه المطالب خذلته الجبل، ومن أخلّ بالصبر أخلّ به حسنُ العاقبة، فإنّ الصبر قوّة من قوَى العقل، وبقدر مواذ العقل وقوّتها يقوَى الصبر.

٤٥ - الخطأ في إعطاء من لا يبتغي ومنع من يبتغي واحد.

٤٦ - العشق مَرَضٌ ليس فيه أجر ولا عِوَض.

٤٧ - أعظم الخطايا عند الله اللّسان الكدوب، وقاتل كلمة الزور ومن يمدّ بحبلها في الإثم سواء.

٤٨ - الخصومة تمحق الدّين.

٤٩ - الجهاد ثلاثة: جهاد باليد، وجهاد باللسان، وجهاد بالقلب، فأوّل ما يغلب عليه من الجهاد يدك ثم لسانك، ثم يصير إلى القلب، فإن كان لا يعرف معروفًا ولا ينكر منكراً نُكِسَ فجعل أعلاه أسفله.

٥٠ - ما أنعم الله على عبد نعمة فشكرها بقلبه إلا استوجب المزيد عليها قبل ظهورها على لسانه.

٥١ - الحاجة مسألة، والدّعاء زيادة، والحمدُ شكر، والتّمدُّ توبة.

٥٢ - إن واحلم تنبل، ولا تكن معجباً فتفقت وتمتن.

٥٣ - ما لي أرى النّاس إذا قُرب إليهم الطعام ليلاً تكلّفوا إنارة المصابيح ليبصروا ما يدخلون بطونهم، ولا يهتمون بغذاء النّفس بأن ينبروا مصابيح ألبابهم بالعلم ليسلموا من لواحق الجهالة والذنوب في اعتقاداتهم وأعمالهم.



٥٤ - الفقر هو أضلّ حسن سياسة الناس، وذلك أنه إذا كان من حُسن السياسة أن يكون بعض الناس يسوس، وبعضهم يُساس، وكان مَنْ يُساس لا يستقيم أن يُساس من غير أن يكون فقيراً محتاجاً، فقد تبين أن الفقر هو السبب الذي به يقوم حسن السياسة.

٥٥ - لا تتكلم بين يدي أحد من الناس دون أن تسمع كلامه، وتقيس ما في نفسك من العلم إلى ما في نفسه، فإن وجدت ما في نفسه أكثر، فحينئذ ينبغي لك أن تُروم زيادة الشيء الذي به يفضل على ما عندك.

٥٦ - إذا كان اللسان آلة لترجمة ما يخطر في النفس، فليس ينبغي أن تستعمله فيما لم يخطر فيها.

٥٧ - إذا كان الآباء هم السبب في الحياة، فمعلّمو الحكمة والدين هم السبب في جودتها.

٥٨ - وشكا إليه رجلٌ تعذّر الرزق، فقال: مه، لا تجاهد الرزق جهاد المغالب، ولا تتكلّم على القدر اتكال المستسلم، فإن ابتغاء الفضل من السنة، والإجمال في القلب من العفة، وليست العفة دافعة رزقاً، ولا الحرص جالباً فضلاً، لأن الرزق مقسوم، وفي شدة الحرص اكتساب المآثم.

٥٩ - إذا استغثت عن شيء فدعه وخذ ما أنت محتاج إليه.

٦٠ - العمر أقصر من أن تعلّم كلّ ما يحسن بك علمه، فتعلّم الأهمّ فالأهمّ.

٦١ - مَنْ رَضِيَ بما قُسم له استراح قلبه ويدنه.

٦٢ - أبعد ما يكون العبد من الله إذا كان همه بطنه وفَرَجُه.

٦٣ - ليس في الحواس الظاهرة شيء أشرف من العين لا تُعطوها سؤلها، فيشغلكم عن ذكر الله.

٦٤ - ارحموا ضعفاءكم فالرحمة لهم سبب رحمته الله لكم.

٦٥ - إزالة الجبال أسهل من إزالة دولة قد أقبلت، فاستعينوا بالله واصبروا، فإن الأرض لله يورثها من يشاء.

٦٦ - قال له عثمان في كلام تلاحيا فيه حتى جرى ذكر أبي بكر وعمر: أبو بكر وعمر خير منك، فقال: أنا خير منك ومنهما، عبّدت الله قبلهما، وعبدته بعدهما.

٦٧ - أوثق سُلَمٍ يَسْلُقُ عليه إلى الله تعالى أن يكون خيراً.

٦٨ - ليس المؤبر مَنْ كان يساره باقياً عنده زماناً يسيراً، وكان يمكن أن يعتصبه غيره منه، ولا يبقى بعد موته له، لكن اليسار على الحقيقة هو الباقي دائماً عند مالكة، ولا يمكن أن يؤخذ منه، ويبقى له بعد موته، وذلك هو الحكمة.

٦٩ - الشرف اعتقاد الجن في أعناق الرجال.

٧٠ - يضرّ الناس أنفسهم في ثلاثة أشياء: الإفراط في الأكل اتكالا على الصحة، وتكلف حمل ما لا يطاق اتكالا على القوة، والتفريط في العمل اتكالا على القدر.

٧١ - أحزم الناس من ملك جده هزله، وقهر رايه هواه، وأعرب عن ضميره فعله، ولم يخذله رضاه عن خطئه، ولا غضبه عن كيده.

٧٢ - من لم يضلح خلاقه، لم ينفع الناس تأديبه.

٧٣ - من أتبع هواه ضلّ، ومن حاد ساد، وخمود الذكر أجمل من فميم الذكر.

٧٤ - لهب الشوق أخف محملاً من مقاساة الملاة.

٧٥ - بالرفق ثمال الحاجة، ويحسن التآني تسهل المطالب.

٧٦ - عزيمة الصبر تطفىء نار الهوى، ونفي العجب يؤمن به كيد الحساد.

٧٧ - ما شيء أحق بطول سجن من لسان.

٧٨ - لا تنذر في معصية، ولا يمين في قطيعة.

٧٩ - لكل شيء ثمرة، وثمره المعروف تعجيل السراح.

٨٠ - إياكم والكسل، فإنه من كسل لم يؤدّ الله حقاً.

٨١ - احسبوا كلامكم من أعمالكم، وأقلّوه إلا في الخير.

٨٢ - أحسبوا صحة النعم فإنها تزول، وتشهد على صاحبها بما عمل فيها.

٨٣ - أكثروا ذكر الموت، ويوم خروجكم من قبوركم، ويوم وقوفكم بين يدي الله عز وجل، يهن عليكم المصاب.

٨٤ - بحسب مجاهدة النفوس وردّها عن شهواتها ومنعها عن مصافحة لذاتها ومنع ما أدت إليه العيون الطامحة من لحظاتها - تكون المثوبات والعقوبات، والحازم من ملك هواه، فكان بملكه له قاهراً، ولما قدّحت الأفكار من سوء الظنون زاجراً، فمتى لم ترّد النفس عن ذلك هجم عليها الفكر بمطالية ما شغفت به، فعند ذلك تأنس بالآراء الفاسدة، والأطماع الكاذبة، والأمانى المتلاشية، وكما أنّ البصر إذا اعتلّ رأى أشباحاً وخيالات لا حقيقة لها، كذلك النفس إذا اعتلّت بحبّ الشهوات وانطوت على قبيح الإرادات، رأت الآراء الكاذبة، فإلى الله سبحانه نرغب في إصلاح ما فسد من قلوبنا، وبه نستعين على إرشاد نفوسنا، فإن القلوب بيد يصرّفها كيف شاء.

٨٥ - لا تواخين الفاجر، فإنه يزين لك فعله، ويودّ لو أنك مثله، ويحسن لك أقبح

خصاله، ومدخله ومخرجُه من عندك شينٌ وعار ونقص، ولا الأحقق فإنه يجهد لك نفسه ولا ينفك، وربما أراد أن ينفك فضرُّك، خيرٌ لك من نطقه، وبعده خير لك من قربه، وموته خير لك من حياته، ولا الكذاب فإنه لا ينفك مع شيء، ينقل حديثك، وينقل الحديث إليك، حتى إنه ليحدث بالصدق فلا يصدق.

٨٦ - ما استقصى كريم قط، قال تعالى في وصف نبيه: ﴿عَرَفَ بَعْضَهُ وَأَعْرِضَ عَنْ بَعْضٍ﴾<sup>(١)</sup>.

٨٧ - رب كلمةٍ يخترعها حلیم مخافة ما هو شرُّ منها، وكفى بالعلم ناصراً.

٨٨ - مَنْ جمع ستَّ خصال لم يَدعِ للجنة مطلباً، ولا عن النار مهرياً: مَنْ عرف الله فاطاعه، وعرف الشيطان فعصاه، وعرف الحق فاتبعه، وعرف الباطل فأتقاه، وعرف الدنيا فرفضها، وعرف الآخرة فطلبها.

٨٩ - مَنْ استحيى مِنَ النَّاسِ ولم يستحي من نفسه فليس لنفسه عند نفسه قدر.

٩٠ - غايةُ الأدب أن يستحي الإنسان من نفسه.

٩١ - البلاغة النَّصْر بالحُجَّة، والمعرفة بمواضع الفرصة، ومن البَصَر بالحُجَّة أن تدع الإفصاح بها إلى الكناية عنها إذا كان الإفصاح أوعر طريقة، وكانت الكناية أبلغ في الدرك وأحق بالظفر.

٩٢ - إِيَّاكَ والشَّهَوَات، وليكن مما تستعين به على كَفِّها علمك بأنها ملهية لعقلك، مهيَّنة لرايك، شائنة لغرضك، شاغلة لك عن معايظ أمورك، مشتدَّة بها التبعة عليك في آخرتك. إنما الشهوات لعب، فإذا حضر اللَّعْب غاب الجِدُّ، ولن يقام الدين وتصلح الدنيا إلا بالجِدِّ، فإذا نازعتك نفسك إلى اللُّهُو واللذات، فاعلم أنها قد نزعَتْ بك إلى شرٍّ منزع، وأرادت بك أفضح الفضح، فغالبها مغالبة ذلك، وامتنع منها امتناع ذلك، وليكن مرجعُك منها إلى الحق، فإنك مهما تترك من الحق لا تتركه إلا إلى الباطل، ومهما تدع من الصواب لا تدعه إلا إلى الخطأ، فلا تدهنن هواك في اليسير فيطمع منك في الكثير.

وليس شيء مما أوتيت فاضلاً عما يصلحك، وليس لِمُثْرِكَ وإن طال فضل عمَّا ينوبك من الحقِّ اللازم لك، ولا بمالك وإن كثر فضل عمَّا يجب عليك فيه، ولا بقوتك وإن تَمَّتْ فضلك عن أداء حقِّ الله عليك، ولا برباك وإن حَزَمَ فضل عمَّا لا تُعْذَرُ بالخطأ فيه، فليمنعك علمك بذلك من أن تطيل لك عمراً في غير نفع، أو تضيِّع لك مالاً في غير حق، أو أن تصرف لك قوة في غير عبادة، أو تعذل لك رأياً في غير رشد.

فالحفظُ الحفظُ لما أُوتيتِ، فإنَّ بكِ إلى صغيرٍ ما أُوتيتِ الكثيرُ منه أشدُّ الحاجةِ.

وعليكِ بما أضعته منه أشدُّ الرزية، ولا سيما العمر الذي كلُّ مَنْفَعَةٍ سواءٍ مستخلفٍ. وكلُّ ذاهبٍ بعده مرتجعٌ.

فإن كنتِ شاعلاً نفسك بلذَّةٍ فلتكنِ لذتكِ في محادثة العلماء ودرس كتبهم، فإنَّه ليس سرورك بالشهوات بالغاً منك مبلغاً إلا وإكبابك على ذلك، ونظركُ في بالغةٍ منك، غير أنَّ ذلك يجمعُ إلى عاجلِ الشُّرورِ تمامَ السَّعادةِ، وخلافُ ذلك يجمعُ إلى عاجلِ العَبيِّ وخامةِ العاقبةِ، وقديماً قيل: أسعدُ النَّاسِ أدركهم لهواه إذا كان هواء في رشدِهِ، فإذا كان هواء في غيرِ رشدِهِ. فقد شقيَّ بما أدرك منه. وقديماً قيل: عوْذُ نفسِكَ الجميلِ، فباعيادك إيَّاه يعودُ لذيداً.

٩٣ - وَكُلُّ ثَلَاثٍ ثَلَاثٌ: الرزقُ بالحقِّ، والحرمانُ بالعقلِ، والبلاءُ بالمنطقِ، ليعلمَ ابنُ آدمَ أنَّ ليسَ له منَ الأمرِ شيءٌ.

٩٤ - ثلاثةٌ إن لم تغلِّمهم ظلموك: عبْدُك، وزوجتُك، وابنتُك. وقد روينا هذه الكلمة لعمرٍ فيما تقدم.

٩٥ - للمنافقين علاماتٌ يعرفون بها: تجنُّبُهم لعنة، وطعامهم نُهيمة، وغنيمتهم غلول، لا يعرفون المساجدَ إلا هَجْراً، ولا يأتون الصلاةَ إلا دُبْراً، مستكبرون لا يألِفون ولا يُؤلَّفون، حُشِبَ بالليلِ صُحْبٌ بالنهارِ.

٩٦ - الْحَسَدُ حُزْنٌ لازِمٌ، وَعَقْلٌ هَائِمٌ، وَنَفْسٌ دَائِمٌ، وَالنَّعْمَةُ عَلَى الْمَحْسُودِ نِعْمَةٌ، وَهِيَ عَلَى الْحَاسِدِ نِقْمَةٌ.

٩٧ - يَا حَمَلَةَ الْعِلْمِ، أَتَحْمِلُونَهُ! فَإِنَّمَا الْعِلْمُ لِمَنْ عِلِمَ ثُمَّ حَوَّلَ، وَوَأَقَّ عَمَلُهُ عِلْمَهُ، وَسَيَكُونُ أَقْوَامٌ يَحْمِلُونَ الْعِلْمَ، لَا يَجَاوِزُ تَرَاقِيهِمْ، تَخَالَفَ سِرِّيَّتِهِمْ عَلَانِيَتِهِمْ، وَيَخَالَفَ عَمَلِهِمْ عِلْمَهُمْ، يَقْعُدُونَ حَلَقاً فِيْبَاهِي بَعْضُهُمْ بَعْضاً، حَتَّى إِنْ الرَّجُلَ لِيُغْضِبَ عَلَى جَلِيسِهِ أَنْ يَجْلِسَ إِلَى غَيْرِهِ، أَوْلَتْكَ لَا تَصْعَدُ أَعْمَالُهُمْ فِي مَجَالِسِهِمْ تِلْكَ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ.

٩٨ - تَعَلَّمُوا الْعِلْمَ صِبْغَاراً تَسْوَدُّوا بِهِ كِبَاراً، تَعَلَّمُوا الْعِلْمَ وَلَوْ لغيرِ اللَّهِ، فَإِنَّهُ سَيَصِيرُ لِلَّهِ الْعِلْمَ دَكْرٌ لَا يَحِبُّهُ إِلَّا دَكْرٌ مِنَ الرِّجَالِ.

٩٩ - لَيْسَ شَيْءٌ أَحْسَنَ مِنْ عَقْلِ زَانِهِ عِلْمٍ، وَمِنْ عِلْمٍ زَانِهِ جِلْمٍ، وَمِنْ جِلْمٍ زَانِهِ صِدْقٍ، وَمِنْ صِدْقٍ زَانِهِ رَفَقٍ، وَمِنْ رَفَقٍ تَقْوَى. إِنْ مَلَكَ الْعَقْلُ وَمَكَارِمُ الْأَخْلَاقِ صَوْنُ الْمَرْغُوضِ، وَالْجِزَاءُ بِالْفَرْضِ، وَالْأَخْذُ بِالْفَضْلِ، وَالْوَفَاءُ بِالْعَهْدِ، وَالْإِنْجَازُ لِلْوَعْدِ. وَمَنْ حَاوَلَ أَمْرًا بِالْمَعْصِيَةِ كَانَ أَقْرَبَ إِلَى مَا يَخَافُ، وَأَبْعَدَ مِمَّا يَرْجُو.

١٠٠ - إِذَا جَرَتْ الْمَقَادِيرُ بِالْمَكَارِهِ سَبَقَتْ الْأَفَقُ إِلَى الْعَقْلِ فَحَيْرَتُهُ، وَأَطْلَقَتْ الْأَلْسُنُ بِمَا فِيهِ تَلَفُ الْأَنْفُسِ.

١٠١ - لا تصحبوا الأشرار فإنهم يمتنون عليكم بالسَّلامة مِنهم.

١٠٢ - لا تفسروا أولادكم على آدابكم، فإنهم مخلوقون لزمان غير زمانكم.

١٠٣ - لا تطلب سرعة العمل واطلب تجويده، فإنَّ النَّاسَ لا يسألون في كمَّ قَرَعَ من العمل، إنما يسألون عن جودة صنعه.

١٠٤ - ليس كلُّ ذي عين يُبصِر، ولا كلُّ ذي أُذُنٍ يَسْمَع، فتصدَّقوا على أولي العقول الزَّيْنة، والألباب الحائرة، بالعلوم التي هي أفضل صدقاتكم، ثم تلا: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْكِتَابِ ظَاهِرِينَ لَهُ فِي الْأَكْثَرِ أَكْثَرُ﴾ (١).

١٠٥ - مَنْ أَتَتْ عَلَيْهِ الأربعون من السنين قيل له: خذْ حذرَكَ من حُلُولِ المقدور فإنَّكَ غير معذور، وليس أبناء الأربعين بأحقَّ بالخطر من أبناء العشرين، فإنَّ طالِبَهُما واحدٌ، وليس عن الطلب براقٍ، وهو الموت، فاعمل لما أَمَّاكَ من الهَوَلِ، ودع عنكَ زخرف القول.

١٠٦ - سُئِلَ عن القَدَرِ فقال: أقصر أم أطيل؟ قيل: فقال: بل تُقصر، جلَّ اللهُ أن يُريدَ الفحشاء، وعزَّ أن يكون له في المُلْكِ إلا ما يشاء.

١٠٧ - مَنْ عَلِمَ أَنَّهُ يَفَارِقُ الأَخْبَابَ، وَيَسْكُنُ الثَّرَابَ، وَيُواجِهُ الحِسَابَ، وَيَسْتَغْنِي عَمَّا تَرَكَ، وَيَتَقَرَّرُ إلى ما قَدَّمَ، كان حُرِيًّا بِقَصْرِ الأَمَلِ، وطول العمل.

١٠٨ - المؤمن لا تَحْتَطُّهُ كثرة المصائب، وتَوَاتُرُ النَّوَائِبِ عن التَّسْلِيمِ لِرَبِّهِ والرَّضَا بِقَضَائِهِ، كالحمامة التي تُوَخِّذُ فَرَاخَهَا من وكرها ثم تُعَوِّدُ إليه.

١٠٩ - ما مَاتَ مَنْ أَحْيَا عِلْمًا، وَلَا انْقَطَعَ مَنْ مَلَكَ قَهْمًا.

١١٠ - العِلْمُ صِبْغُ النَّفْسِ، وليس يفوق صِبْغَ الشَّيْءِ حتَّى يَنْظِفَ من كلِّ دَنَسٍ.

١١١ - اعلم أنَّ الذي مدحك بما ليس فيك، إنما هو مخاطب غيرك، وثوابه وجزاؤه قد سقطا عنك.

١١٢ - إحسانك إلى الحرِّ يُحرِّكُهُ على المكافأة، وإحسانك إلى النَّذْلِ يَنْبَعِثُهُ على مُعاوَدَةِ المَسْأَلَةِ.

١١٣ - الأشرار يتتبعون مساوي النَّاسِ، ويتركون محاسنهم، كما يتتبع الذُّبابُ الذُّبابَ المَواضِعَ الفاسدة.

١١٤ - موت الرُّؤَسَاءِ أسهل من رياسة السُّؤْلَةِ.

١١٥ - ينبغي لمن وَلِيَ أمر قوم أن يبدأ بتقويم نفسه قبل أن يشرع في تقويم رعيته، وإلا كان بمنزلة من رام استقامة ظِلِّ العُودِ قبل أن يستقيم ذَلِكَ العُودُ.

١١٦ - إذا قويَ الوالي في عمله حُرَّكَتْهُ ولايته على حسب ما هو مركز في طبعه من الخير والشر.

١١٧ - ينبغي للوالي أن يعمل بخصال ثلاث: تأخير العقوبة منه في سلطان الغضب، والأناة فيما يرتبه من رأي، وتعجيل مكافأة المحسن بالإحسان، فإن في تأخير العقوبة إمكان العفو، وفي تعجيل المكافأة بالإحسان طاعة الرعية، وفي الأناة انفساح الرأي وحمد العاقبة ووضوح الصواب.

١١٨ - من حق العالم على المتعلم ألا يُخَيَّرَ عليه السؤال، ولا يُعْتَبَرُ في الجواب، ولا يُلَحَّ عليه إذا كسل، ولا يُفْشَى له سرًا، ولا يفتاب عنده أحدًا، ولا يطلب عثرته، فإذا زل تأنيت أوثته، وقيلت مغدرته، وأن تُعْظَمَ وثوقه ما حَفِظَ أمر الله وعظمه، وألا تجلس أمامه، وإن كانت له حاجة سبقت غيرك إلى خدمته فيها. ولا تضجر من صحبت، وإنما هو بمنزلة النحلة يُنْتَظَرُ متى يسقط عليك منها منفعة. وخصه بالثحية، واحفظ شأده وغابه، وليكن ذلك كله لله عز وجل، فإن العالم أفضل من الصائم القائم المجاهد في سبيل الله. وإذا مات العالم ثلم في الإسلام ثلعة لا يسدها إلا خلف منه. وطالب العلم تشيعة الملايكة حتى يرجع.

١١٩ - وصول مُعَدِّمٍ خير من جافٍ مُكْثِرٍ، ومن أراد أن ينظر ماله عند الله فليُنْظَرِ ما له عنده.

١٢٠ - لقد سبق إلى جنات عدن أقوام ما كانوا أكثر الناس صلاة ولا صياماً ولا حجاً ولا اعتماراً، ولكن عَقَلُوا عن الله أمره فحسنت طاعتهم، وصح ورحمهم وكَمَلُ يَاقِنُهُمْ، ففأقوا غيرهم بالحظوة وزَّيَّجَ المَترلة.

١٢١ - ما من عبدٍ إلا ومعه ملك يقيه ما لم يَقْدَرْ له، فإذا جاء القدر خلاه وإياه.

١٢٢ - إن الله سبحانه أدب نبيّه ﷺ بقوله: «خُذِ الْقَوَّ وَأَمْرِ بِالْقَرَفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَهْلِيَّاتِ»<sup>(١)</sup>، فلما علم أنه قد تأدب، قال له: «وَاللَّهِ لَأَنْ تُلْحَقَ عَظِيمٌ»<sup>(٢)</sup>، فلما استحکم له من رسوله ما أحب قال: «وَمَا أَلَاكُمْ الرَّسُولَ فَخُذُوا وَمَا نَهَكُمْ عَنْهُ فَأَنْتَهُوا»<sup>(٣)</sup>.

١٢٣ - كنت أنا والعباس وعمر نتذاكر المعروف، فقلت أنا: خير المعروف ستره، وقال العباس: خيره تصغيره، وقال عمر: خيره تعجيله، فخرج علينا رسول الله، فقال: فيم أنتم؟ فذكرنا له، فقال: خيره أن يكون هذا كله فيه.

١٢٤ - العفو يفسد من اللئيم بقدر ما يصلح من الكريم.

(٢) سورة القلم، الآية: ٤.

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٩٩.

(٣) سورة الحشر، الآية: ٧.

١٢٥ - إِذَا حَبَبَ الزَّمَانُ كَسَدَتِ الْفَضَائِلُ وَضُرَّتْ، وَنَفَقَتِ الرِّذَائِلُ وَنَفَعَتْ، وَكَانَ خَوْفُ الْمَوَسْرِ أَشَدَّ مِنْ خَوْفِ الْمَعْسِرِ.

١٢٦ - انْظُرْ إِلَى الْمُتَنَصِّحِ إِلَيْكَ، فَإِنْ دَخَلَ مِنْ حَيْثُ يُضَارُّ النَّاسَ فَلَا تَقْبَلْ نَصِيحَتَهُ وَتَحَرَّزْ مِنْهُ، وَإِنْ دَخَلَ مِنْ حَيْثِ الْعَدْلُ وَالصَّلَاحُ فَاقْبَلْهَا مِنْهُ.

١٢٧ - أَعْدَاءُ الرَّجُلِ قَدْ يَكُونُونَ أَنْفَعَ مِنْ إِخْوَانِهِ، لِأَنَّهُمْ يَهْدُونَ إِلَيْهِ عِيُوبَهُ فَيَتَجَنَّبُهَا وَيَخَافُ شِمَاتِهِمْ بِهِ فَيُضَيِّقُ نَعْمَتَهُ وَيَتَحَرَّزُ مِنْ زَوَالِهَا بِغَايَةِ طَوْقِهِ.

١٢٨ - الْبِرَاءَةُ الَّتِي يَنْظُرُ الْإِنْسَانُ فِيهَا إِلَى أَخْلَاقِهِ هِيَ النَّاسُ، لِأَنَّهُ يَرَى مُحَاسِنَهُ مِنْ أَوْلِيَائِهِ مِنْهُمْ، وَمَسَاوِيَهُ مِنْ أَعْدَائِهِ فِيهِمْ.

١٢٩ - انْظُرْ وَجْهَكَ كُلَّ وَقْتٍ فِي الْبِرَاءَةِ، فَإِنْ كَانَ حَسَنًا فَاسْتَقْبِحْ أَنْ تُضَيِّفَ إِلَيْهِ فِعْلًا قَبِيحًا وَتُشَبِّهَ بِهِ، وَإِنْ كَانَ قَبِيحًا فَاسْتَقْبِحْ أَنْ تَجْمَعَ بَيْنَ قُبْحَيْنِ.

١٣٠ - مَوْقِعُ الصَّوَابِ مِنَ الْجَهَالِ مِثْلُ مَوْقِعِ الْخَطَا مِنَ الْعُلَمَاءِ.

١٣١ - ذُكُّ قَلْبِكَ بِالْأَدَبِ كَمَا تُذَكِّي النَّارَ بِالْحَطْبِ.

١٣٢ - كَفَرِ النِّعْمَةَ لَوْمْ، وَصَحْبَةَ الْجَاهِلِ شَوْمْ.

١٣٣ - عَادِيَتْ مِنْ مَارِيَتْ.

١٣٤ - لَا تَصْرَمْ أَخَاكَ عَلَى ارْتِيَابٍ، وَلَا تَقْطَعْهُ دُونَ اسْتِعْتَابٍ.

١٣٥ - خَيْرُ الْمَقَالِ مَا صَدَّقَهُ الْفَعَالُ.

١٣٦ - إِذَا لَمْ تَرَزُقْ غِنَى فَلَا تُحَرِّمْ تَقْوَى.

١٣٧ - مَنْ عَرَفَ الدُّنْيَا لَمْ يَحْزَنْ لِلْبُلُوِّ.

١٣٨ - دَعِ الْكَذِبَ تَكْرُمًا إِنْ لَمْ تَدَعْهُ تَأْنَمًا.

١٣٩ - الدُّنْيَا طَوَاحُةٌ طَرَّاحَةٌ فَضَّاحَةٌ، أَسِيَّةٌ جَرَّاحَةٌ.

١٤٠ - الدُّنْيَا جَمَّةُ الْمَصَائِبِ، مَرَّةُ الْمَشَارِبِ، لَا تُمْتَعُ صَاحِبًا بِصَاحِبٍ.

١٤١ - الْمَعْتَذِرُ مِنْ غَيْرِ ذَنْبٍ، يُوجِبُ عَلَى نَفْسِهِ الذَّنْبَ.

١٤٢ - مَنْ كَسَلَ لَمْ يُؤَدِّ حَقًّا.

١٤٣ - كَثْرَةُ الْجِدَالِ تَوَرُّثُ الشُّكِّ.

١٤٤ - خَيْرُ الْقُلُوبِ أَوْعَاهَا.

١٤٥ - الْحَيَاءُ لِبَاسٌ سَابِغٌ، وَحِجَابٌ مَانِعٌ، وَبَسْتَرٌ مِنَ الْمَسَاوِي، وَآقٍ، وَحَلِيفٌ لِلدِّينِ،

وموجب للمحبة، وعَيْنُ كَالْتِه تَدُوْدُ عَنِ الْفَسَادِ، وتنتهي عن الفحشاء. والعجلة في الأمور مَكْسِبَةٌ للمذلة، وَزِمَامٌ لِلتَّدَامَةِ، وَسَلْبٌ لِلْمُرُوءَةِ، وَشَيْنٌ لِلْحَجِي، وَدَلِيلٌ عَلَى ضَعْفِ الْعَقِيْدَةِ.

١٤٦ - إِذَا بَلَغَ الْمَرْءُ مِنَ الدُّنْيَا فَوْقَ قُدْرِهِ تَنَكَّرَتْ لِلنَّاسِ أَخْلَاقُهُ.

١٤٧ - لَا تَصْحَبِ الشَّرِيْرَ فَإِنَّ طَبْعَكَ يَسْرِقُ مِنْ طَبْعِهِ شَرًّا وَأَنْتَ لَا تَعْلَمُ.

١٤٨ - مَوْتُ الصَّالِحِ رَاحَةٌ لِنَفْسِهِ، وَمَوْتُ الطَّالِحِ رَاحَةٌ لِلنَّاسِ.

١٤٩ - يَنْبَغِي لِلْعَاقِلِ أَنْ يَتَذَكَّرَ عِنْدَ حُلَاوَةِ الْغِذَاءِ مِرَاةَ الدَّوَاءِ.

١٥٠ - إِنْ حَسَدَكَ أَحَدٌ مِنْ إِخْوَانِكَ عَلَى فَضِيلَةٍ ظَهَرَتْ مِنْكَ قَسَمِي فِي مَكْرُوهِكَ فَلَا تَقَابِلْهُ بِمِثْلِ مَا كَافَلَكَ بِهِ، فَتَعْلِيْرُ نَفْسِهِ فِي الْإِسَاءَةِ إِلَيْكَ، وَتَشْرِعَ لَهُ طَرِيقًا إِلَى مَا يُجِبُّهُ فَيْكَ، لَكِنْ اجْتَهِدْ فِي التَّزْيِيْدِ مِنْ تِلْكَ الْفَضِيلَةِ الَّتِي حَسَدَكَ عَلَيْهَا، فَإِنَّكَ تَسَوُّهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ تُوجِدَهُ حِجَّةً عَلَيْكَ.

١٥١ - إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَعْرِفَ طَبْعَ الرَّجُلِ فَاسْتَشِيْرُهُ، فَإِنَّكَ تَقِفُ مِنْ مَشُورَتِهِ عَلَى عَدْلِهِ وَجَوْرِهِ، وَخَيْرِهِ وَشَرِّهِ.

١٥٢ - يَجِبُ عَلَيْكَ أَنْ تُتَفَقَّحَ عَلَى وَلَدِكَ أَكْثَرَ مِنْ إِشْفَاقِهِ عَلَيْكَ.

١٥٣ - زَمَانُ الْجَائِرِ مِنَ السُّلَاطِيْنَ وَالْوَلَاةِ أَقْصَرُ مِنْ زَمَانِ الْعَادِلِ، لِأَنَّ الْجَائِرَ مَفْسِدٌ، وَالْعَادِلُ مُصْلِحٌ، وَإِفْسَادُ الشَّيْءِ أَشْرَعُ مِنْ إِصْلَاحِهِ.

١٥٤ - إِذَا خَدَمْتَ رَئِيسًا فَلَا تَلْبَسْ مِثْلَ ثَوْبِهِ، وَلَا تَرْكَبْ مِثْلَ مَرْكَبِهِ، وَلَا تَسْتَخْدِمْ كَخْدِمِهِ، فَعَسَاكَ تَسْلَمَ مِنْهُ.

١٥٥ - لَا تُحَدِّثْ بِالْعِلْمِ السَّفَهَاءِ فَيُكْذَّبُوكَ، وَلَا الْجَهَالُ فَيَسْتَنْقِلُوكَ، وَلَكِنْ حَدِّثْ بِهِ مَنْ يَلْقَاكَ مِنْ أَهْلِهِ يَقْبُولُ وَفَهُمْ يَفْهَمُ عَنْكَ مَا تَقُولُ، وَيَكْتُمُ عَلَيْكَ مَا يَسْمَعُ، فَإِنْ لَعَلَّكَ عَلَيْكَ حَقًّا، كَمَا أَنَّ عَلَيْكَ فِي مَالِكَ حَقًّا: بَذْلُهُ لِمُسْتَحَقِّهِ، وَمَنْعُهُ عَنْ غَيْرِ مُسْتَحَقِّهِ.

١٥٦ - الْيَقِيْنُ فَوْقَ الْإِيْمَانِ، وَالصَّبْرُ فَوْقَ الْيَقِيْنِ، وَمَنْ أَفْرَطَ رَجَاؤُهُ غَلَبَتْ الْأَمَانِي عَلَى قَلْبِهِ وَاسْتَعْبَدَتْهُ.

١٥٧ - إِيَّاكَ وَصَاحِبَ السُّوءِ، فَإِنَّهُ كَالسِّيفِ الْمَسْلُوقِ يَرُوقُ مِنْظَرُهُ، وَيَقْبِحُ أَثَرُهُ.

١٥٨ - يَابْنَ آدَمَ، اخْذِرِ الْمَوْتَ فِي هَذِهِ الدَّارِ قَبْلَ أَنْ تُصَيِّرَ إِلَى دَارٍ تَتَمَنَّى الْمَوْتَ فِيهَا فَلَا تَجِدُهُ.

١٥٩ - مَنْ أَخْطَأَهُ سَهْمُ الْمَنِيَّةِ قَبْلَهُ الْهَرَمُ.

١٦٠ - مَنْ سَمِعَ بِفَاحِشَةٍ فَأَبْدَاهَا كَانَ كَمَنْ أَتَاهَا.



١٦١ - العاقل من أتهم رأيه ولم يثق بما سؤلته له نفسه.

١٦٢ - من سامح نفسه فيما يحب أتمبها فيما لا يحب.

١٦٣ - كفى ما مضى مُخْبِراً عما بقي، وكفى عِبراً لِذَوِي الألباب ما جَرُّوا.

١٦٤ - أمرٌ لا تَذْهَبُ مني يَفْشَاكَ، ما يَمْنَعُكَ أن تستعدَّ له قبل أن يَفْجَاكَ!

١٦٥ - ليس في البرق الخاطف مُسْتَفْتَحٌ لمن يخوض في الظلمة.

١٦٦ - إذا أَعْيَبَكَ ما يَتَوَاصَفُهُ النَّاسُ مِنْ مَحَاسِنِكَ، فَانْظُرْ فيما بطن من مساوئك، ولتكن مفرقتك بنفسك أوثقَ عِنْدَكَ مِنْ مَذْحِ المادِحِينَ لك.

١٦٧ - من مدحك بما ليس فيك من الجميل وهو راضٍ عنك ذمك بما ليس فيك من القبيح وهو سائحٌ عليك.

١٦٨ - إذا تشبَّه صاحبُ الرِياءِ بالمُخْلِصِينَ في الهيئة كانَ مثلَ الزَّوَامِ الَّذِي يُوهِمُ النَّاسَ أَنَّهُ سَمِينٌ، فَيُظَنُّ النَّاسُ ذَلِكَ فِيهِ وهو يستر ما يُلْقَى مِنَ الأَكَمِ النَّاتِجِ لِلزَّوَمِ.

١٦٩ - إذا قَوِيَ نَفْسُ الإنسانِ انْقَطَعَ إلى الرَّأْيِ، وإذا ضَعُفَتْ انْقَطَعَ إلى البَحْثِ.

١٧٠ - الرُّغْبَةُ إلى الكَرِيمِ تُعَرِّكُهُ على البَذْلِ، وإلى الخَيسِيسِ تُغْرِيه بالمَنِّعِ.

١٧١ - خِيَارُ النَّاسِ يَتَرَفَّعُونَ عَنْ ذِكْرِ مَعَايِبِ النَّاسِ، وَيَتَهَمُونَ الْمُخْجَرِ بِهَا، وَيَأْتِرُونَ الْفَضَائِلَ، وَيَتَمَتَّضُونَ لِأَهْلِهَا، وَيَسْتَعْرِضُونَ مَائِرَ الرُّؤَسَاءِ، وَإِفْضَالَهُمْ عَلَيْهِمْ، وَيُطَالِيُونَ أَنْفُسَهُمْ بِالْمُكَافَاةِ عَلَيْهَا وَحُسْنِ الرَّعَايَةِ لَهَا.

١٧٢ - لِكُلِّ شَيْءٍ قُوَّةٌ، وَأَنْتُمْ قُوَّةُ الْهَوَامِّ، وَمَنْ مَشَى عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ فَإِنَّ مَصِيرَهُ إِلَى بَطْنِهَا.

١٧٣ - مَنْ كَرَّمَ الْمَرْءَ بِكَأُوهٍ عَلَى مَا مَضَى مِنْ زَمَانِهِ، وَحَنِيئُهُ إِلَى أَوْطَانِهِ، وَحَفْظُهُ قَدِيمِ إِخْوَانِهِ.

١٧٤ - وَمَنْ دُعِيَ: اللَّهُمَّ إِنْ كُنَّا قَدْ قَصَرْنَا عَنْ بُلُوغِ طَاعَتِكَ فَقَدْ تَمَسَّكْنَا مِنْ طَاعَتِكَ بِأَحْبَاهَا إِلَيْكَ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ جَاءَتْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِكَ.

١٧٥ - أَصَابَتِ الدُّنْيَا مَنْ أَمِنَهَا وَأَصَابَ الدُّنْيَا مَنْ خَذَرَهَا.

١٧٦ - وَوَلَّتْ عَلَى قَوْمٍ أَصْيَبُوا بِعَصِييَةٍ، فَقَالَ: إِنْ تَجَزَّعُوا فَحَقَّ الرِّجْمُ بِلَعْنَتُمْ، وَإِنْ تَصَبَّرُوا فَحَقَّ اللَّهُ أَذْيَبْتُمْ.

١٧٧ - مَكَارِمُ الْأَخْلَاقِ عَشْرٌ خِصَالٌ: السَّخَاءُ، وَالْحَيَاءُ، وَالصَّدْقُ، وَأَدَاءُ الْأَمَانَةِ، وَالتَّوَاضُّعُ، وَالغَبَرَةُ، وَالشَّجَاعَةُ، وَالْحِلْمُ، وَالصَّبْرُ، وَالشُّكْرُ.

١٧٨ - من أداء الأمانة المكافأة على الضيعة لأنها كالوديعة عندك.

١٧٩ - الخير النفس تكون الحركة في الخير عليه سهلة متيسرة، والحركة في الإضرار عسرة بطيئة، والشئير بالصد من ذلك.

١٨٠ - البخلاء من الناس يكون تغافلهم عن عظيم الجرم أسهل عليهم من المكافأة على يبيير الإحسان.

١٨١ - مثل الإنسان الحصيف مثل الجسم الصلب الكثيف، يسخن بطيئاً، وتبرد ذلك السخونة بأطول من ذلك الزمان.

١٨٢ - ثلاثة يرحمون: عاقل يجري عليه حكم جاهل، وضعيف في يد ظالم قوي، وكريم قوم احتاج إلى لئيم.

١٨٣ - من صحب السلطان وجب أن يكون معه كراكب البحر، إن سلم بجسمه من الفرق لم يسلم بقلبه من الفرق.

١٨٤ - لا تقبلن في استعمال عمّا لك وأمرالك شفاعاً إلا شفاعاً الكفاية والأمانة.

١٨٥ - إذا استشارك عدوك فجرد له النصيحة، لأنه باستشارتك قد خرج من عدواتك ودخل في مودتك.

١٨٦ - العدل صورة واحدة، والجور صور كثيرة، ولهذا سهل ارتكاب الجور وصعب تحري العدل، وهما يشبهان الإصابة في الرماية والخطأ فيها، وإن الإصابة تحتاج إلى ارتياض وتعهّد، والخطأ يحتاج إلى شيء من ذلك.

١٨٧ - لا يخطئ المخلص في الدعاء إحدى ثلاث: ذنب يغفر، أو خير يعجل، أو شر يؤجل.

١٨٨ - لا يتصف ثلاثة من ثلاثة: بر من فاجر، وعاقل من جاهل، وكريم من لئيم.

١٨٩ - أشرف الملوك من لم يخالطه البطر. ولم يحل عن الحق، وأغنى الأغنياء من لم يكن للحرص أسيراً، وخير الأصدقاء من لم يكن على إخوانه مستصعباً، وخير الأخلاق أعونها على التقى والورع.

١٩٠ - أربع القليل منهن كثير: النار، والعداوة، والمرض، والفقر.

١٩١ - أربعة من الشقاء: جار سوء، وولد سوء، وامرأة سوء، والمنزل الضيق.

١٩٢ - أربعة تدعو إلى الجنة: كتمان المصيبة، وكتمان الصدقة، وبر الولدين، والإكثار من قول لا إله إلا الله.

١٩٣ - لا تصحب الجاهل، فإن فيه خصالاً، فاعرفه بها، يغضب من غير غضب، ويتكلم في غير نفع، ويعطي في غير موضع الإعطاء، ولا يعرف صديقه من عدوه، ويفشي سره إلى كل أحد.

١٩٤ - إيتاك ومواقف الاعتذار، فرب عذر أثبت الحجة على صاحبه وإن كان بريئاً.

١٩٥ - الصراط ميدان يكثر فيه العثار، فالسالم ناج، والعاثر هالك.

١٩٦ - لا يعرف الفضل لأهل الفضل إلا أولو الفضل.

١٩٧ - إن لله عبادة في الأرض كأنما رأوا أهل الجنة في جنتهم وأهل النار في نارهم: اليقين وأنواره لامعة على وجوههم. قلوبهم محزونة، وشروهم مأمونة، وأنفسهم عفيفة، وحوائجهم خفيفة، صبروا أياماً قليلة لراحة طويلة، أما الليل فصافئون أقدامهم، تجري دموعهم على خدودهم، يجأرون إلى الله سبحانه بأدعيتهم، قد حلا في أفواههم، وحلا في قلوبهم طعم مناجاته ولذيق الخلوة به، قد أقسم الله على نفسه بجلال عزته ليورثتهم المقام الأعلى في مقعد صدق عنده، وأما نهارهم فحلما علماء، بررة، أتقياء، كالقِداح ينظر إليهم الناظر فيقول: مرضى، وما بالقوم من مرضى، أرى يقول: قد غولطوا: ولعمري لقد خالطهم أمر عظيم جليل.

١٩٨ - عاتبه عثمان فأكثر وهو ساكت، فقال: ما لك لا تقول! قال: إن قلت لم أقل إلا ما تكره، وليس لك عندي إلا ما تحب.

١٩٩ - بُليت في حرب الجمل بأشد الخلق شجاعةً، وأكثر الخلق ثروةً وبذلاً، وأعظم الخلق في الخلق طاعةً، وأوفى الخلق كيداً وتكرراً، بُليت بالزبير، لم يرد وجهه قط، ويعلى بن منية يحمل المال على الإبل الكثيرة ويعطي كل رجل ثلاثين ديناراً وفرساً على أن يقاتلني، وبعاثته ما قالت قط يدها هكذا إلا وأتبمها الناس، وبطلحة لا يدرك غوره، ولا يطال مكره.

٢٠٠ - بعث عثمان بن حنيف إلى طلحة والزبير، فعاد فقال: يا أمير المؤمنين، جئت بالخيبة، فقال: كلاً! أصبت خيراً وأجرت، ثم قال: إن من العجب انقيادهما لأبي بكر وعمر وخلافهما علي، أما والله إنهما ليعلمان أنني لست بدون واحد منهما، اللهم عليك بهما.

٢٠١ - الرزق مقسوم، والأيام دُول، والناس شرع سواء، آدم أبوهم، وحواء أمهم.

٢٠٢ - قوت الأجسام الغذاء، وقوت العقول الحكمة، فمتى فقد واحد منهما قوته بار واضمحل.

٢٠٣ - الصبر على مشقة العباد يترقى بك إلى شرف الفوز الأكبر.

٢٠٤ - الروح حياة البدن والعقل حياة الروح.

٢٠٥ - حقيق بالإنسان أن يخشى الله بالغيب، ويحرس نفسه من العيب، ويزداد خيراً مع

الشيب.

٢٠٦ - أفضل الزلّة من بقيّ بالعدل ذكره، واستمده من يأتي بعده.

٢٠٧ - قدّم العدل على البطش تغفر بالمحبّة، ولا تستعمل الفعل حيث ينجّع القول.

٢٠٨ - البخیلُ يسخو من عرضه بمقدار ما يبخل به من ماله، والسخيّ يبخل من عرضه

بمقدار ما يسخو به من ماله.

٢٠٩ - فُضِّلَ العقلُ على الهوى، لأنّ العقل يُملِّكُ الزمان، والهوى يستعبدك للزمان.

٢١٠ - كُلُّ ما حملت عليه الحُرُّ احتمله، ورآه زيادة في شرفه، إلا ما حطه جزءاً من

حرّيته، فإنه يآباه ولا يجيب إليه.

٢١١ - إذا منعك اللثيم البرّ مع إعظامه حقك، كان أحسن من بذل السخيّ لك إياه مع

الاستخفاف بك.

٢١٢ - الملكُ كالنهر العظيم، تستمدُّ منه الجداول، فإن كان عذباً عذبت، وإن كان ملحاً

ملحت.

٢١٣ - الفرق بين السخاء والتبذير أنّ السخيّ يسمح بها يعرف مقداره ومقدار الرغبة فيه

إليه، ويضعه بحيث يحسن وضعه، وتزكو عارفته، والمُبذر يسمح بما لا يوازن به رغبة الراغب،

ولا حقّ القاصد، ولا مقدار ما أولى، ويستفزه لذلك خطرة من خطراته، والتصدي لإطراء مظهر

له بينهما بونٌ بعيد.

٢١٤ - لا تُلَاجُ الغضبان، فإنك تقلقه باللجاج، ولا تردّه إلى الصواب.

٢١٥ - لا تفرح بسقطة غيرك، فإنك لا تدري ما تصرّف الأيام بك!

٢١٦ - قليل العلم إذا قر في القلب كالظّل يصيب الأرض المعتمنة فتعشب.

٢١٧ - مثلُ المؤمن الذي يقرأ القرآن كمثُلُ الأترجة ريحها طيب، وطعمها طيب، ومثلُ

المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثُلُ الريحانة، ريحها طيب وطعمها مرٌّ، ومثلُ الفاجر الذي لا

يقرأ القرآن مثلُ الحنظلة طعمها مرٌّ ولا ريح لها.

٢١٨ - المؤمن إذا نظر اعتبر، وإذا سكّ تفكّر، وإذا تكلم ذكر، وإذا استغنى شكر، وإذا

أصابته شدّة صبر، فهو قريب الرضا، بعيد السخط، يرضيه عن الله اليسير، ولا يسخطه البلاء

الكثير، قوّته لا تبلغ به، ونَيْته تبلغ، مغموسة في الخير يده، ينوي كثيراً من الخير، ويعملُ

بطائفة منه، ويثلهف على ما فاتته من الخير كيف لم يعمل بها!

والمناقض إذا نظر لها، وإذا سكنت سها، وإذا تكلم لغا، وإذا أصابه شدة شكا، فهو قريب السخط بعيد الرضا، يُسخطه على الله اليسير، ولا يُرضيه الكثير، قُوته تبلغ، ونيته لا تبلغ، مغموسة في الشر يذو، ينوي كثيراً من الشر، ويعمل بطائفة منه فيتلهف على ما فاتته من الشر كيف لم يأمر به، وكيف لم يعمل به!

على لسان المؤمن نور يسطع، وعلى لسان المنافق شيطان يتطق.

٢١٩ - سوء الظن يدوي القلوب، ويتهم المأمون، ويوحش المستأنس، ويُغير مودة الإخوان.

٢٢٠ - إذا لم يكن في الدنيا إلا محتاج فأغنى الناس أمتهم بما رزق.

٢٢١ - قيل لهُ: إن دُرْعَكَ صدر لا ظَهَرَ لها، إنا نخاف أن تُؤْتَى من قِبَل ظَهْرِكَ، فقال: إذا وَلَّيْتُ فلا وَاَلْتُ.

٢٢٢ - أشد الأشياء الإنسان، لأن أشدها - فيما يُرى - الجبل، والحديد ينحط الجبل، والثار تأكل الحديد، والماء يُظفي الثار، والسحاب يَحْمِل الماء، والرياح يُفرق السحاب، والإنسان يُتقي من الرياح.

٢٢٣ - إنما الناس في نفس معدود، وأمل معدود، وأجل محدود، فلا بُدُّ للأجل أن يتناهى، وللنفس أن يُحصى، وللأمل أن يُنْقَضَ، ثم قرأ: ﴿وَلَا عَلَىكُمْ لِحْظُونَ﴾ ١٦ ﴿إِنَّمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ﴾ ١٧.

٢٢٤ - اللَّهُم لا تجعل الدنيا لي سجنًا، ولا فراقها عليّ حزنًا، أعود بك من دنيا تحرمني الآخرة، ومن أمل يحرمني العمل، ومن حياة تحرمني خير الممات.

٢٢٥ - تَعَطُّوا بالاستغفار لا تفضحكم رائحة الذنوب.

٢٢٦ - لِلنَّكَبَاتِ غَايَاتُ تنتهي إليها، ودَوَاوِهَا الصَّبْرُ عَلَيْهَا وَتَرْكُ الْحِيلَةِ فِي إِزَالَتِهَا، فَإِنَّ الْحِيلَةَ فِي إِزَالَتِهَا قَبْلُ انْقِضَاءِ مَدَّتِهَا سَبَبٌ لَزِيَادَتِهَا.

٢٢٧ - لا يَرْضَى عنك الحابِئُ حتى يموت أحدكما.

٢٢٨ - لا يَكُونُ الرَّجُلُ سَيِّدَ قَوْمِهِ حَتَّى لَا يُيَالِيَ أَيُّ قُوَّتِهِ لَبَسَا

٢٢٩ - كتب إلى عايل له: اعمل بالحق ليوم لا يَقْضَى فيه إلا بالحق.

٢٣٠ - نظر إلى رجل يفتاب آخر عند ابنه الحسن، فقال: يا بني نزه سمعك عنه، فإنه نظر إلى أحب ما في وعاءه فأفرغه في وعاءك.

٢٣١ - احذروا الكلام في مجالس الخوف، فإنَّ الخوف يُذهِلُ العقل الذي منه نستمد، ويشغله بحراسة النفس عن حراسة المذهب الذي تُروم نُصْرته. واحذر الغضب ممن يحملُك عليه، فإنه مميتٌ للخواطر، مانعٌ من التثبُّت. واحذر من تبغضه فإن بغضك له يدعوك إلى الضجر به، وقليلُ الغضب كثير في أذى النفس والعقل، والضجر مضيقٌ للصدر، مُضعفٌ لقوى العقل، واخذر المحافل التي لا أنصاف لأهلها في التسوية بينك وبين خصمك في الإقبال والاستماع، ولا أدب لهم يمنعهم من جورِ الحكم لك عليك. واحذر حين تظهرُ العصبية لخصمك بالاعتراض عليك وتشيد قوله وحجته، فإنَّ ذلك يهيجُ العصبية، والاعتراض على هذا الوجه يخلق الكلام، ويُذهبُ بهجة المعاني. واحذر كلام من لا يفهم عنك فإنه يُضجرك، واحذر استغفار الخصم فإنه يمنع من التحفظ، ورُبَّ صغير غلب كبيراً!

٢٣٢ - لا تقبل الرياسة على أهلِ مدينتك، فإنهم لا يستقيمون لك إلا بما تخرج به من شرط الرئيس الفاضل.

٢٣٣ - لا تهزأ بخطأ غيرك، فإن المنطق لا يملكه، وأقلل من الخطأ الذي أنت فيه بقدر الصبر، واجعل العقل والحق إماميك تَلِّ البغية بهما.

٢٣٤ - الرأي يُريك غاية الأمر مبدأه.

٢٣٥ - الخيرُ من الناس من قدر على أن يُصرف نفسه كما يشاء ويدفعها عن الشرور، والشرير من لم يكن كذلك.

٢٣٦ - السلطان الفاضل هو الذي يخرُس الفضائل، ويوجد بها لمن دونه، ويرعاها من خاصته وعامته، حتى تكثر في أيامه، ويتحسن بها من لم تكن فيه.

٢٣٧ - لِلْكَرِيمِ رِباطان: أحدهما الرعاية لصديقه وذوي الحرمة به، والآخر الوفاء لمن ألزمه الفضل ما يجب له عليه.

٢٣٨ - إذا تحركت صورة الشرِّ ولم تظهر وَلَدَتِ الْفَرْعُ، فإذا ظهرت وَلَدَتِ الْأَلَمُ، وإذا تحركت صورة الخير ولم تظهر وَلَدَتِ الْفَرْجُ، فإذا ظهرت وَلَدَتِ اللَّذَّةُ.

٢٣٩ - الفرق بين الاقتصاد والبُخل، أنَّ الاقتصادَ تمسكُ الإنسان بما في يده خوفاً على حريته وجاهه من المسألة، فهو يضع الشيء موضعه، ويصبر عما لا تدعو ضرورةً إليه، ويصل صغير به عظيمٍ بغيره، ولا يستكثر من المودات خوفاً من فرط الإجحاف به، والبُخل لا يكافيء على ما يسدى إليه، ويمنع أيضاً البَيِّير من استحقِّ الكثير، ويصبر لصغير ما يجري عليه على كثير من اللذة.

٢٤٠ - لا تحتقرن صغيراً يمكن أن يكبر، ولا قليلاً يمكن أن يكثر.

٢٤١ - ما زلتَ مظلوماً منذَ قبضَ الله نبيهُ حتى يوم الناس هذا، ولقد كنتَ أظلم قبل ظهور الإسلام، ولقد كان أخي عقيلٌ يذنبُ أخي جعفرٌ فيضربني .

٢٤٢ - لو كُثِرَتْ لي الوسادة لقضيت بين أهل التوراة بتوراتهم، وبين أهل الإنجيل بإنجيلهم، وبين أهل الفرقان بفرقانهم، حتى تُزهر تلك القضايا إلى الله عزَّ وجلَّ وتقول: يا رب، إن علياً قضى بين خلقك بقضائك .

٢٤٣ - مرَّ بدارٍ بالكوفة في مراد تبني فوقعت ومنها شطيئةٌ على صلَتيه فادمتها، فقال: ما يومي من مرادٍ بواجدا اللهم لا ترفعها، قالوا: فوالله لقد رأينا تلك الدار بين الدور كالشاة الجماء بين الغنم ذوات القُرُون .

٢٤٤ - أقتلُ الأشياءَ لعدوك ألا تُعرفهُ أنك اتخذته عدواً .

٢٤٥ - الخيرةُ في تركِ الطيرة .

٢٤٦ - قيل له في بعض الحروب: إن جالت الخيلُ أين نطلبُك؟ قال: حيث تركتموني .

٢٤٧ - شفيحُ المذنب إقراره، وتوبته اغتذاره .

٢٤٨ - قصمَ ظهري رجلان: جاهلٌ متنسكٌ وعالمٌ مهتكٌ .

٢٤٩ - ألا أخبركم بذات نفسي! أما الحسن ففتى من الفتيان، وصاحبُ جفنةٍ وخوان، ولزَّ التقت حلقتا البطان لم يغن عنكم في الحرب غناء عصفورٍ، وأما عبدُ اللّٰه بن جعفر فصاحبُ لهو وظلٍّ باطل، وأما أنا والحسينُ فنحن منكم وأنتم منا .

٢٥٠ - قال في المنبرية: صار تُمنُّها تُسْعاً على البديهة وهذا من العجائب .

٢٥١ - جاء الأشعثُ إليه وهو على المنبر، فجعل يتخطى رِقاب الناس حتى قُربَ منه ثم قال: يا أمير المؤمنين، غلبتنا هذه الحمراء على قُربِك - يعني العجم - فركض المنبر برجله، حتى قال صَغُصْعَةً بَنٍ صُوحان: ما لنا وللاشعث! ليقولنَّ أمير المؤمنين ﷺ اليوم في العرب قولاً لا يزالُ يُذكرُ، فقال ﷺ: مَنْ يعلِّزني من هؤلاء الضباطرة<sup>(١)</sup>! يتمرغُ أحدهم على فراشه تمرغَ الحمار، ويهجرُ قوماً للذكر، أفتأمرُوني أن أطردهم! ما كنت لأطردهم فأكون من الجاهلين! أما والذي فلق الحبة، وبرأ النسمة، ليضربنَّكم على الدين عوداً كما ضربتموهم عليه بدءاً .

٢٥٢ - كان إذا رأى ابنَ مُلْجَمٍ يقول: أريدُ حياتَهُ... البيت، فيقالُ له: فاقتله، فيقول: كيف أقتلُ قاتلي!

(١) الضباطرة: الصُّخام الذين لا غناءَ عندهم، والواحد ضبطار. اللسان، مادة (ضطر).

- ٢٥٣ - إلهي ما قدر ذنوب أقابلُ بها كرمك، وما قدّر عبادة أقابلُ بها نعمك! وإنني لأرجو أن تستغرق ذنوبي في كرمك، كما استغرقت أعمالي في نعمك.
- ٢٥٤ - إذا غضب الكريمُ فالنّ له الكلام، وإذا غضب اللّيثُ فخذ له العصا.
- ٢٥٥ - غضب العاقل في فعله، وغضب الجاهل في قوله.
- ٢٥٦ - رأى رجلاً يُحدّث مُنكر الحديث، فقال: يا هذا، أنصف أدُنّيك مِن فمك، فإنما جعل الأذنان اثنتين، والفم واحداً، لتسمع أكثر ممّا تقول.
- ٢٥٧ - ليّاك وكثرة الاعتذار، فإن الكذب كثيراً ما يُخالط المعاذير.
- ٢٥٨ - اشكر لمن أنعم عليك وأنعم على مَنْ شكرك.
- ٢٥٩ - سلّ مسألة الحمقى واحفظ حفظ الأكياس.
- ٢٦٠ - مرّوا بالأحداث بالمرء والجِدال، والكهول بالفكر، والشيوخ بالصمت.
- ٢٦١ - عوذ نفسك الصبر على جليس السوء، فليس يكاد يخطئك.
- ٢٦٢ - يا بنيّ إنّ الشرّ تاركك إنّ تركته.
- ٢٦٣ - لا تطلبوا الحاجة إلى ثلاثة: إلى الكذوب، فإنه يقرّبها وإن كانت بعيدة، ولا إلى أحقّ، فإنه يريد أن ينفعك فيضرّك، ولا إلى رجل له إلى صاحب الحاجة حاجة، فإنه يجعل حاجتك وقايةً لحاجته.
- ٢٦٤ - إياك وصدر المجلس فإنه مجلس قلعة.
- ٢٦٥ - احذروا صولة الكريم إذا جاع، وصولة اللّيث إذا شبع.
- ٢٦٦ - سرّك دمك فلا تُجربته إلّا في أوّاجك.
- ٢٦٧ - وسئل عن الفرق بين الغمّ والخوف، فقال: الخوف مجاهدة الأمر المخوف قبل وقوعه، والغمّ ما يلحق الإنسان من وقوعه.
- ٢٦٨ - المعروف كثر فانظر عند من تودعه.
- ٢٦٩ - إذا أزيلت لبغ فلا تأت بتمر فيؤكل تمرّك وتعنف على خلافك.
- ٢٧٠ - إذا وقع في يدك يوم السُّرور فلا تخلّه فإنّك إذا وقعت في يد يوم الغم لم يُخلّك.
- ٢٧١ - إذا أردت أن تصادق رجلاً فانظر، من عدوه؟
- ٢٧٢ - الانقباض من الناس مكسبة للعداوة، والانبساط مجلبة لقرين السوء، فكن بين المتقبض والمسترسل، فإن خير الأمور أوساطها.



٢٧٣ - أنا عبد الله، وأخو رسول الله، لا يقولها بغدي إلا كذاب.

٢٧٤ - أخذ رسول الله ﷺ بيدي فنهضها، وقال: ما أول نعمه أنعم الله بها عليك؟ قلت: أن خلقتني حياً، وأقدّرني، وأكمل حواسي ومشاعري وقواي، قال: ثم ماذا؟ قلت: أن جعلني ذكراً، ولم يجعلني أنثى، قال والثالثة: قلت: أن هداني للإسلام، قال: والرابعة؟ قلت: ﴿وَلَوْ كُنَّا فَتْنَا لَفَتْنَا أَكْثَرَ نَسْلِ الْإِنْسَانِ﴾ (١).

٢٧٥ - اللهم إني أسألك إيجابات المختبين، وإخلاص الموقنين، ومرافقة الأبرار، والعزيمة في كل بر، والسلامة من كل إثم، والفوز بالجنة، والنجاة من النار.

٢٧٦ - لما ضربه ابن ملجم وأوصى ابنه بما أوصاهما قال لابن الحنفية: هل فهمت ما أوصيت به أخويك؟ قال: نعم، قال: فإني أوصيك بمثله ويتوقير أخويك، واتباع أمرهما، والأتباع تيرم أمراً دونهما، ثم قال لهما: أوصيكما به فإنه شقيقكما وابن أبيكما، وقد علمتما أن أباكما كان يحبه فاجبأه.

٢٧٧ - أما هذا الأعور - يعني الأشعث - فإن الله لم يرفع شرفاً إلا حسده، ولا أظهر فضلاً إلا عابه وهو يمتني نفسه ويخدعها، يخاف ويرجو، فهو بينهما لا يثق بواحد منهما، وقد من الله عليه بأن جعله جباناً، ولو كان شجاعاً لقتله الحق، وأما هذا الأكنف عند الجاهلية - يعني جبرير بن عبد الله البجلي - فهو يرى كل أحد دونه، ويستصغفر كل أحد ويحتقره، قد ملئ ناراً، وهو مع ذلك يطلب رئاسة، ويروم إمارة، وهذا الأعور يقويه ويظفجه، إن حدثته كذبه، وإن قام دونه تكص عنه، فهما كالشيطان إذ قال للإنسان: اكفر فلما كفر قال إني بريء منك إني أخاف الله رب العالمين.

٢٧٨ - بلوغ أعلى المنازل بغير استحقاق من أكبر أسباب الهلكة.

٢٧٩ - الكلمة إذا خرجت من القلب وقعت في القلب، وإذا خرجت من اللسان لم تجاوز الأذان.

٢٨٠ - الكرم حسن الظنة، واللوم سوء التناقل.

٢٨١ - أسوأ الناس حالاً من اتسعت معرفته، وتعدت جهته، وضاعت قدرته.

٢٨٢ - أمران لا يفتحان من الكذب: كثرة المواعيد، وشدة الاعتذار.

٢٨٣ - عادة التوكي الجلوس فوق القدر، والمجيء في غير الوقت.

٢٨٤ - العافية المملك الحفي.

٢٨٥ - سوء حمل الغنى يورث مقناً، وسوء حمل الفاقة يضع شرفاً.

٢٨٦ - لا ينبغي لأحد أن يدع الحزم لظفر ناله عاجزاً، ولا يسمح نفسه في التفريط لنكبة دخلت على حازم.

٢٨٧ - ليس من حسن التوكل أن يقال العاشر عشرة، ثم يركبها ثانية.

٢٨٨ - سوء القالة في الإنسان إذا كان كذباً نظير الموت لفساد دنياه، فإن كان صدقاً فاشد من الموت لفساد آخرته.

٢٨٩ - ترضى الكرام بالكلام، وتصاد اللئام بالمال، وتستصلح السفلة بالهوان.

٢٩٠ - لا يزال المرء مستمراً ما لم يعثر، فإذا عثر مرة لجأ به الجثاء ولو كان في جدد.

٢٩١ - المتواضع كالوهدية يجتمع فيها قطرها وقطر غيرها، والمتكبر كالرؤفة لا يقر عليها قطرها، ولا قطر غيرها.

٢٩٢ - لا يصبر على الحرب ويصدق في اللقاء إلا ثلاثة: مستبصر في دين، أو غيران على حرمته، أو ممتنع من ذل.

٢٩٣ - مجاوزتك ما يكفيك فقر لا منتهى له.

٢٩٤ - قيل له: أي الأمور أغجل عقوبة، وأسرع لصاحبها صرعة؟ فقال: ظلم من لا ناصر له إلا الله، ومجازاة النعم بالتقصير، واستطالة الغنى على الفقير.

٢٩٥ - الجماعة للبحر جماع، وللخيرات متاع، حياة يرتفع، وعورات تجتمع، أشبه شيء بالجنون، ولذلك حجب عن العيون، نتيجته ولذ قون، إن عاش كذ، وإن مات هذ.

٢٩٦ - ما شيء أفون من ربح، وإذا رابك أمر فدعه.

٢٩٧ - إذا أتى علي يوم لا أزداد فيه عملاً يقرني إلى الله، فلا بهورك لي في طلوع شمس ذلك اليوم.

٢٩٨ - أشرف الأشياء العلم، والله تعالى عالم يحب كل عالم.

٢٩٩ - ليت شعري أي شيء أدرك من فاته العلم! بل أي شيء فات من أدرك العلم!

٣٠٠ - لا يسود الرجل حتى لا يبال في أي ثوبه ظهر.

٣٠١ - سمع رجلاً يدعو لصاحبه، فقال: لا أراك الله مكروهاً، فقال: إنما دعوت له بالموت، لأن من عاش في الدنيا لا بد أن يرى المكروه.

٣٠٢ - من صفة العاقل ألا يتحدث بما يستطيع تكذيبه فيه.

٣٠٣ - السعيد من وعظ بغيره، والشقي من أتعظ به غيره.

٣٠٤ - ذو الهمة وإن حطَّ نفسه بأبى إلا علواً، كالشعلة من النار يخفيها صاحبها، وتأبى إلا ارتفاعاً.

٣٠٥ - الدَّيْنُ غَلَّ الله في أرضه، إذا أراد أن يُذِلَّ عبداً جعله في عتقهِ.

٣٠٦ - العاقل إذا تكلم بكلمة أتبعها حكمةً ومثلاً، والأحمق إذا تكلم بكلمة أتبعها خِلَافاً.

٣٠٧ - الحركة لقاح الجد العظيم.

٣٠٨ - ثلاثة لا يُستحي من الخُثم عليها: المال لنفي التهمة، والجوهر لنفاسته، والدواء للاحتياط من العدو.

٣٠٩ - إذا أيسرت فكلُّ الرجال رجالك، وإذا أعسرت أنكرك أهلك.

٣١٠ - من الحكمة جعل المال في أيدي الجهال، فإنه لو حُصَّ به العقلاء لمات الجهال جوعاً، ولكنه جعل في أيدي الجهال، ثم استنزلهم عنه العقلاء بلطفهم وفطنتهم.

٣١١ - ما ردَّ أحدٌ أحداً عن حاجة إلا وتبيَّن العزُّ في قفاه، والذلُّ في وجهه.

٣١٢ - ابتداء الصنعة نافلة، ورُيْها فريضة.

٣١٣ - الحاسدُ المبطنُ للحسد كالنحلِ يمجُّ الدَّواءَ، ويطنُّ الداءَ.

٣١٤ - الحاسدُ يرى زوال نعمتك نعمةً عليه.

٣١٥ - التواضع إحدى مصايد الشرف.

٣١٦ - تواضع الرجل في مرتبته ذبٌّ للشماعة عنه عند سقطته.

٣١٧ - رُبَّ صلفٍ أدى إلى تلف.

٣١٨ - سوء الخلق يُغدي، وذاك أنه يذعُّ صاحبك إلى أن يقابلك بمثله.

٣١٩ - المروءة القائمة مُباينةُ العامَّةِ.

٣٢٠ - أسوأ ما في الكريم أن يمنعه نداءه، وأحسن ما في اللئيم أن يكفَّ عنك أذاؤه.

٣٢١ - السفلة إذا تعلَّموا تكبَّروا، وإذا تمَوَّلوا استطالوا، والعُلَية إذا تعلَّموا تواضعوا، وإذا افتقروا صالُّوا.

٣٢٢ - ثلاث لا يُستصلحُ فسادُهنَّ بحيلةٍ أضلاً: العداوة بين الأقارب، وتحاسدُ الأكفاء، وركاكةُ الملوك.

٣٢٣ - السخى شجاع القلب، والبخيل شجاع الوجه.

٣٢٤ - العزلة توفرُ العرضَ وتسُرُّ الفاقةَ، وترفعُ ثقلَ المكافاةِ.

- ٣٢٥ - ما احتنك أحد قط إلا أحب الخلوة والعزلة.
- ٣٢٦ - خير الناس من لم تجربهُ.
- ٣٢٧ - الكريم لا يلين على قسر، ولا يقسو على يسر.
- ٣٢٨ - المرأة إذا أحببتك آذتك، وإذا أبغضتك خانتك وربما قتلتك، فحبها أذى، وبغضها داء بلا دواء.
- ٣٢٩ - المرأة تكتُم الحب أربعين سنة، ولا تكتُم البغض ساعة واحدة.
- ٣٣٠ - المُمْتَحَنُ كالمختنق، كلما ازداد اضطراباً ازداد اختناقاً.
- ٣٣١ - كلُّ ما لا يتقلُّ بانتقالك من مالك فهو كفيْل بك.
- ٣٣٢ - أجلُّ ما ينزل من السماء التوفيق، وأجلُّ ما يصعد من الأرض الإخلاص.
- ٣٣٣ - اثنان يهون عليهما كلُّ شيء: عالم عَرَفَ العواقب، وجاهل يجهل ما هو فيه.
- ٣٣٤ - شرُّ من الموت ما إذا نزل تمَنَّتِ بنزوله الموت، وخيَر من الحياة ما إذا فقدته أبغضت لفقدِ الحياة.
- ٣٣٥ - ما وَضَعَ أحد يده في طعام أحدٍ إلا ذلَّ له.
- ٣٣٦ - المرأة كالنمل بلبسها الرجل إذا شاء، لا إذا شاءت.
- ٣٣٧ - أبصر الناس لعوار الناس المعور.
- ٣٣٨ - العجب ممن يخاف عقوبة السلطان وهي منقطعة، ولا يخاف عقوبة الديان وهي دائمة.
- ٣٣٩ - من عرف نفسه فقد عرف ربه.
- ٣٤٠ - من عجز عن مغفرة نفسه فهو عن معرفة خالقه أعجز.
- ٣٤١ - لو تكاشفتُم لما تدافستُم.
- ٣٤٢ - شيطان كلِّ إنسان نفسه.
- ٣٤٣ - إن لم تعلم من أين جئت، لم تعلم إلى أين تذهب!
- ٣٤٤ - غاية كلِّ مُتَعَمِّقٍ في معرفة الخالق سبحانه الاعتراف بالقصور عن إدراكها.
- ٣٤٥ - الكمال في خمس: ألا يعيب الرجل أحداً بعبٍ فيه مثله حتى يصلح ذلك العيب من نفسه، فإنه لا يفرغ من إصلاح عيب من عيوبه حتى يهجم على آخر فتشغله عيوبه عن عيوب الناس، وألا يطلق لسانه ويده حتى يعلم أيُّ طاعة ذلك أم في معصية، وألا يلتمس من الناس

إلا ما يعطيهم من نفسه مثله، وأن يسلم من الناس باستشعار مداراتهم وتوفيتهم حقوقهم، وأن يُنفق الفضل من ماله، ويمسك الفضل من قوله.

٣٤٦ - صديق البخيل من لم يُجرِّئه.

٣٤٧ - من الخط الضعيف يُقتل الحيل الحَصيف، ومن مقدحة صغيرة تحترق مدينة كبيرة، ومن لينة لينة تُبنى قرية حصينة.

٣٤٨ - مُحب الدراهم معدور وإن أدتته من الدنيا، لأنها صانته عن أبناء الدنيا.

٣٤٩ - عجباً لمن قيل فيه الخير وليس فيه كيف يُفرح! وعجباً لمن قيل فيه الشر وليس فيه كيف يغضب!

٣٥٠ - ثلاث موبقات: الكبر فإنه حط لإبليس عن مرتبته، والجور فإنه أخرج آدم من الجنة، والحسد فإنه دعا ابن آدم إلى قتل أخيه.

٣٥١ - الفطام عن الحطام شديد.

٣٥٢ - إذا أقبلت الدنيا أقبلت على جمار قطوف، وإذا أدبرت أدبرت على البراق.

٣٥٣ - أصاب متأمل أو كاد، وأخطأ مستعجل أو كاد.

٣٥٤ - سبعة لا تُخطئهم الكآبة: فقير حديث عهد بغنى، ومُكثِّر يخاف على ماله، وطالب مرتبة فوق قدره، والحسود، والحقود، ومخالط أهل الأدب وليس بأديب.

٣٥٥ - طَلَبْتُ الراحة لنفسِي فلم أجد شيئاً أروح من ترك ما لا يعنيني، وتَوَحَّشْتُ في الفقر البُلْع فلم أرَ وَخْشَةً أَشدَّ من قرين السوء، وشهدت الزُّحُوف ولقيت الأقران، فلم أرَ قرناً أغلب من المرأة، ونظرت إلى كلِّ ما يذلُّ العزيز ويكسره، فلم أرَ شيئاً أذلُّ له ولا أكسر من الفاقة.

٣٥٦ - أوَّل رأي العاقل آخِر رأي الجاهل.

٣٥٧ - المُستَرشد مُوقى، والمُحتَرِم مُلَقى.

٣٥٨ - الحرُّ عبدٌ ما طمع، والعبدُ حرٌّ ما قنع.

٣٥٩ - ما أَحْسَنَ حَسَنَ الظَّنِّ إلا أن فيه العَجْزَ، وما أَقْبَحَ سوءَ الظَّنِّ إلا أن فيه العِزَّ!

٣٦٠ - ما الحيلة فيما أغني إلا الكف عنه، ولا الرأي فيما ينال إلا اليأس منه.

٣٦١ - الأحقُّ إذا حَدَّثَ ذَهَل، وإذا حَدَّثَ عَجَل، وإذا حِيلَ على القبيح فعل.

٣٦٢ - إثبات المحجَّة على الجاهل سهل، ولكن إقارؤه بها صعب.

٣٦٣ - كما تُعرف أواني الفخار بامتجانها بأصواتها فيعلَّم الصَّحيح ومنها من المكسور، كذلك يُمتحن الإنسان بمطابقه فيعرف ما عنده.

٣٦٤ - احتمال الفقرِ أحسنُ من احتمال الدُّلِّ، لأنَّ الصبر على الفقر قناعةٌ، والصبر على الدل ضراعةٌ.

٣٦٥ - الدنيا حمقاء لا تميلُ إلا إلى أشباهها.

٣٦٦ - السفرُ ميزانُ الأخلاق.

٣٦٧ - العقلُ مَلِكٌ والخصالُ رعيَّةٌ، فإذا ضعف عن القيام عليها وصل الخَلَلُ إليها.

٣٦٨ - الكَذَابُ يُخيف نفسه وهو آمِنٌ.

٣٦٩ - لولا ثلاث لم يُسَلِّ سيفٌ: سِيْلِكَ أدقُّ من سِيْلِكَ، وَوَجْهٌ أَضْبَحُ من وَجْهِ، وَلُفْمَةٌ أَسْرَعُ من لُفْمَةٍ.

٣٧٠ - قد يَحْسُنُ الامتنانُ بالنعمةِ وذلك عند كُفْرانها، ولولا أن بني إسرائيل كفروا النعمة لما قال الله لهم: ﴿اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾<sup>(١)</sup>.

٣٧١ - إذا تناهى العَمُ انْقَطَعَ الدُّنْعُ.

٣٧٢ - إذا وُلِّيَ صديقك ولايةً فأصَبَتْه على العُشْرِ مِن صَدَاقَتِهِ فَلَيْسَ بِصَاحِبِ سُوءٍ.

٣٧٣ - أَغْجَبُ الْأَشْيَاءِ بِدِيهَةِ أَمْنٍ وَوَدَّتْ فِي مَقَامٍ خَوْفٍ.

٣٧٤ - الحرصُ مَحْرَمَةٌ والجَبَرُ مَقْتَلَةٌ، وإلا فانظر فيمن رأيت وسمعت: أَمِنَ قُتِلَ فِي الْحَرْبِ مُقْبِلًا أَكْثَرُ، أَمْ مَن قُتِلَ مُدْبِرًا! وانظر: أَمِنَ يَطْلُبُ بِالْإِجْمَالِ وَالتَّكْرُمِ أَحَقُّ أَنْ تَسْخُو نَفْسُكَ لَهُ أَمْ مَن يَطْلُبُ بِالشَّرِّ وَالْحِرْصِ!

٣٧٥ - إذا كان العقل تسعة أجزاء احتاج إلى جزء من جهل ليُقَدِّمَ به صاحبه على الأمور، فإنَّ العاقل أبداً متوانٍ مترقب متخوِّف.

٣٧٦ - عملُ الرَّجُلِ بما يعلمُ أنه خطأ هَوًى، والهَوًى أَفْهُ الْعَفَافِ، وَتَرَكَ الْعَمَلَ بِمَا يَعْلَمُ أَنَّهُ صِرَافٌ تَهَاوُنٌ، وَالتَهَاوُنُ أَفْهُ الدِّينِ، وَإِقْدَامُهُ عَلَى مَا لَا يَدْرِي أَصَوَابٌ هُوَ أَمْ خَطَأٌ لَجَاجٌ وَاللَّجَاجُ أَفْهُ الْعَقْلِ.

٣٧٧ - ضعفتُ العقلُ أماناً مِنَ الغَمِّ.

٣٧٨ - لَا يَنْبَغِي لِلْعَاقِلِ أَنْ يَمْدَحَ امْرَأَةً حَتَّى تَمُوتَ، وَلَا طَعَاماً حَتَّى يَسْتَمِرَّهُ، وَلَا صَدِيقاً حَتَّى يَسْتَرْضَهُ، وَلَيْسَ مِنْ حُسْنِ الْجَوَارِ تَرْكُ الْأَذَى، وَلَكِنْ حُسْنُ الْجَوَارِ الصَّبْرُ عَلَى الْأَذَى.

٣٧٩ - لَا يَتَادَبُ الْعَبْدُ بِالْكَلَامِ إِذَا وَثَّقَ بِأَنَّهُ لَا يُضْرَبُ.

٣٨٠ - المَرْقُوبُ بين المؤمن والكافر الصلاة، فمن تركها وادّعى الإيمان كَذَّبَهُ فِعْلُهُ، وكان عليه شاهدٌ مِنْ نَفْسِهِ.

٣٨١ - مَنْ خَافَ اللهَ خَافَهُ كُلُّ شَيْءٍ.

٣٨٢ - مَنْ النَقْصِ أَنْ يَكُونَ شَفِيعَكَ شَيْئاً خَارِجاً عَنْ ذَاتِكَ وَصِفَاتِكَ.

٣٨٣ - وَيَلِي عَلَى الْعَبْدِ اللَّثِيمِ، عَبْدُ بَنِي رِبِيعَةَ! نَزَعَ بِهِ عِزُّ الشَّرِكِ الْعَبْشِمِيِّ إِلَى مَسَاءَتِي، وَتَذَكَّرْتُ دَمَ الْوَلِيدِ وَعَتَبَةَ وَشَيْئَةً أَوَّلَى لَهُ، وَاللهُ لِيرِيَّتِي فِي مَوْقِفٍ يَسُوءُهُ ثُمَّ لَا يَجِدُ هُنَاكَ فُلَاناً وَفُلَاناً - يَعْنِي سَالِماً مَوْلَى حُدَيْفَةَ.

٣٨٤ - أَنَا قَاتِلُ الْآقِرَانِ، وَمُجَدِّلُ الشَّجْعَانِ، أَنَا الَّذِي فَقَأْتُ عَيْنَ الشَّرِكِ، وَتَلَلْتُ عَرْشَهُ، غَيْرُ مُنْتَزِعٍ عَلَى اللَّهِ بِجَهَادِي، وَلَا مُدِلٍّ إِلَيْهِ بِطَاعَتِي، وَلَكِنْ أَحَدْتُ بِنِعْمَةِ رَبِّي.

٣٨٥ - الصَّوْمُ عِبَادَةٌ بَيْنَ الْعَبْدِ وَخَالِقِهِ، لَا يُظْلَعُ عَلَيْهَا غَيْرُهُ، وَكَذَلِكَ لَا يَجَازِي عَنْهَا غَيْرُهُ.

٣٨٦ - طَوْبِي لِمَنْ شَغَلَهُ عَيْبُهُ عَنْ عِيُوبِ النَّاسِ! طَوْبِي لِمَنْ لَا يَعْرِفُ النَّاسَ وَلَا يَعْرِفُهُ النَّاسُ! طَوْبِي لِمَنْ كَانَ حَيًّا كَمَيِّتٍ، وَمَوْجُوداً كَمُعْدُومٍ، قَدْ كَفَى جَارَهُ خَيْرُهُ وَشَرُّهُ، لَا يَسْأَلُ عَنِ النَّاسِ، وَلَا يَسْأَلُ النَّاسُ عَنْهُ.

٣٨٧ - مَا السَّيْفُ الصَّارِمُ فِي كَفِّ الشَّجَاعِ بِأَعَزَّ لَهُ مِنَ الصَّدْقِ.

٣٨٨ - لَا يَكُنْ فَقْرَكَ كُفْرًا، وَغَنَّاكَ طَغْيَانًا.

٣٨٩ - ثَمَرَةُ الْقَنَاعَةِ الرَّاحَةُ، وَثَمَرَةُ التَّوَاضُعِ الْمَحَبَّةُ.

٣٩٠ - الْكَرِيمُ يَلِينُ إِذَا اسْتَعْطَفَ، وَاللَّيْمُ يَقْسُو إِذَا لُوْطِفَ.

٣٩١ - أَنْتَ لِعَدُوِّكَ أَلَّا تُرِيَهُ أَنْكَ اتَّخَذْتَهُ عَدُوًّا.

٣٩٢ - عَذَابَانِ لَا يَأْبَهُ النَّاسُ لِهَمَّا: السَّفَرُ الْبَعِيدُ، وَالْبِنَاءُ الْكَثِيرُ.

٣٩٣ - ثَلَاثَةٌ يُؤْثِرُونَ الْمَالَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ: تَاجِرُ الْبَحْرِ، وَصَاحِبُ السُّلْطَانِ، وَالْمُرْتَشِي فِي الْحُكْمِ.

٣٩٤ - أَعْجَزُ النَّاسِ مَنْ قَصَرَ فِي طَلَبِ الصَّدِيقِ، وَأَعْجَزُ مِنْهُ مَنْ وَجَدَهُ فَضِيحَةً.

٣٩٥ - أَشَدُّ الْمَشَاقِّ وَعَدُوُّ كَذَابٍ لِحَرِيصٍ.

٣٩٦ - الْعَادَاتُ قَاهِرَاتٌ، فَمَنْ اعْتَادَ شَيْئاً فِي سِرِّهِ وَخُلُوتِهِ فَضَحَهُ فِي جَهْرِهِ وَعِلَاتِيهِ.

٣٩٧ - الْأَخُ الْبَارِ مَفِضُّ الْأَسْرَارِ.

٣٩٨ - عَدَمُ الْمَعْرِفَةِ بِالْكِتَابَةِ زَمَانَةٌ خَفِيَّةٌ.

٣٩٩ - قَدِيمُ الْحُرْمَةِ وَحْدِيثُ التَّوْبَةِ يَحْقِقَانِ مَا بَيْنَهُمَا مِنَ الْإِسَاءَةِ.

٤٠٠ - رُكُوبُ الْخَيْلِ عَزٌّ، وَرُكُوبُ الْبِرَازِيزِ لَذَّةٌ، وَرُكُوبُ الْبَغَالِ مَهْرَمَةٌ، وَرُكُوبُ الْحَمِيرِ

مَذَلَّةٌ.

٤٠١ - الْعَقْلُ يَظْهَرُ بِالْمَعَامِلَةِ، وَشَيْئُ الرِّجَالِ تُعْرِفُ بِالْوَلَايَةِ.

٤٠٢ - قَالَ لَهُ قَائِلٌ: عَلَّمَنِي الْحِلْمَ، فَقَالَ: هُوَ الدَّلُّ، فَاصْطَبِرْ عَلَيْهِ إِنْ اسْتَطَعْتَ.

٤٠٣ - قُلْتُمْ: إِنْ فَلَانًا أَفَادَ مَا لَا عَظِيمًا، فَهَلْ أَفَادَ أَيَّامًا يُنْفَقُهُ فِيهَا!

٤٠٤ - عِيَادَةُ التَّوَكَّى أَشَدُّ عَلَى الْمَرِيضِ مِنْ وَجَعِهِ.

٤٠٥ - الْمَرِيضُ يَمَادُ، وَالصَّحِيحُ يُزَارُّ.

٤٠٦ - الشَّيْءُ الَّذِي لَا يَحْسُنُ أَنْ يَقَالَ وَإِنْ كَانَ حَقًّا، مَدْحُ الْإِنْسَانِ نَفْسَهُ.

٤٠٧ - الشَّيْءُ الَّذِي لَا يُسْتَعْنَى عَنْهُ بِحَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ التَّوْفِيقُ.

٤٠٨ - أَوْسَعُ مَا يَكُونُ الْكِرِيمُ مَغْفَرَةً، إِذَا ضَاغَتْ بِالذَّنْبِ الْمَعْرِزَةُ.

٤٠٩ - سَرُّ مَا عَايَنْتَ أَحْسَنُ مِنْ إِشَاعَةِ مَا ظَنَنْتَ.

٤١٠ - التَّكَبُّرُ عَلَى الْمُتَكَبِّرِينَ هُوَ التَّوَاضُّعُ بَعِينُهُ.

٤١١ - إِذَا رَفَعْتَ أَحَدًا فَوْقَ قَدْرِهِ فَتَوَقَّعْ مِنْهُ أَنْ يَحْطَّ مِنْكَ بِقَدْرِ مَا رَفَعْتَ مِنْهُ.

٤١٢ - إِسَاءَةُ الْمُحْسَنِ أَنْ يَمْنَعَكَ جُذُوءَهُ، وَإِحْسَانُ الْمُسِيءِ أَنْ يَكْفَ عَنكَ آذَاهُ.

٤١٣ - اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَعْدِيكَ عَلَى قَرِيشٍ، فَإِنَّهُمْ أَصْمَرُوا لِرَسُولِكَ ﷺ ضَرْوِيًّا مِنَ الشَّرِّ وَالْغَدْرِ، فَعَجَزُوا عَنْهَا، وَخَلَّتْ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهَا، فَكَانَتِ الْوَجْبَةُ بِي، وَالذَّائِرَةُ عَلَيَّ. اللَّهُمَّ احْفَظْ حَسَنًا وَحَسِينًا، وَلَا تَمَكِّنْ فَجْرَةَ قَرِيشٍ مِنْهُمَا مَا دَمْتُ حَيًّا، فَإِذَا تَوَفَّيْتَنِي فَانْتَ الرَّقِيبُ عَلَيْهِمْ، وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ.

٤١٤ - قَالَ لَهُ قَائِلٌ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَرَأَيْتَ لَوْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ تَرَكَ وَلَدًا ذَكَرًا قَدْ بَلَغَ الْحُلُمَ، وَأَتَسَّ مِنْهُ الرُّشْدَ، أَكَانَتْ الْعَرَبُ تَسْلَمُ إِلَيْهِ أَمْرَهَا؟ قَالَ: لَا، بَلْ كَانَتْ تَقْتُلُهُ إِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا فَعَلْتُ، إِنَّ الْعَرَبَ كَرِهَتْ أَمْرَ مُحَمَّدٍ ﷺ وَحَسَدَتْهُ عَلَى مَا آتَاهُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ، وَاسْتَطَالَتْ أَيَّامُهُ حَتَّى قَذَفَتْ زَوْجَتَهُ، وَنَفَرَتْ بِهِ نَاقَتُهُ، مَعَ عَظِيمِ إِحْسَانِهِ إِلَيْهَا، وَجَسِيمِ مَنِيِّهِ عِنْدَهَا، وَأَجْمَعَتْ مُذْ كَانَ حَيًّا عَلَى صَرْفِ الْأَمْرِ عَنْ أَهْلِ بَيْتِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ، وَلَوْلَا أَنَّ قَرِيشًا جَعَلَتْ اسْمَهُ ذُرِيَّةً إِلَى الرِّيَاسَةِ، وَسَلَّمُوا إِلَى الْعِزِّ وَالْإِمْرَةِ، لَمَا عُبِدْتَ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهِ يَوْمًا وَاحِدًا، وَلَا زُنْتُ فِي حَافِرَتِهَا، وَعَادَ قَارِخُهَا جَذْعًا، وَبَاذَلُهَا بَكْرًا، ثُمَّ فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهَا الْفَتْوحَ، فَأَثَرَتْ بَعْدَ الْفَاقَةِ، وَتَمَوَّلَتْ بَعْدَ الْجُهْدِ وَالْمَخْمَصَةِ، فَحَسَنَ فِي عِيُونِهَا مِنَ الْإِسْلَامِ مَا كَانَ سَمِجًا<sup>(١)</sup>.



وثبت في قلوب كثير منها من الدِّين ما كان مضطرباً، وقالت: لولا أَنَّهُ حقٌّ لما كان كذا، ثم نسبَتْ تلك الفتوحَ إلى آراءِ وُلَّاتها، وحسَّنتِ تدبيرَ الأمراءِ القائمينَ بها، فتأكَّدَ عندَ الناسِ نباهةُ قومٍ وخمولُ آخرين، فكُنَّا نحنُ ممَّنْ تحملُ ذكره، وخبثُ نارٍ، وانقطعَ صوتهُ وصيتهُ، حتى أَكَلَ الدهرُ علينا وشربَ، ومضتِ السُّنُونُ والأحقابُ بما فيها، وماتَ كثيرٌ ممن يُعرَفُ، ونشأَ كثيرٌ ممن لا يُعرَفُ. وما عسى أَن يكونَ الولدُ لو كان! إِنَّ رسولَ الله ﷺ لم يُقرِّني بما تعلمونه من القُرْبِ للنسبِ واللُّحْمَةِ، بل للجِهادِ والنصيحةِ، أفترأه لو كان لَهُ وَلَدٌ هل كان يفعلُ ما فعلتُ! وكذلك لم يكنْ يقرَّبُ ما قرَّبت، ثم لم يكنْ عندَ قريشِ والعربِ سبباً لِلْحُظْوَةِ والمنزلةِ، بل للحرمانِ والجفوةِ. اللهمَّ إِنَّكَ تعلمُ أَنِّي لم أريدِ الإمرةَ، ولا علوَ الملكِ والرياسةِ، وإِنَّمَا أردتُ القيامَ بحدودك، والأداءَ لشرعك، ووضعَ الأمورِ في مواضعها، وتوفيرَ الحقوقِ على أهلها، والمُضيَّ على منهاجِ نبيِّكَ، وإرشادِي الصَّالِّينَ إلى أنوارِ هدايتك.

٤١٥ - البرُّ ما سكنتَ إليه نفسُكَ، واطمأنَّ إليه قلبُكَ، والإثمُ ما جال في نفسك وتردَّدَ في صدرك.

٤١٦ - الزكاةُ نقصٌ في الصورةِ، وزيادةٌ في المعنى.

٤١٧ - ليس الصومُ الإمساكُ عن المأكَلِ والمشربِ، الصومُ الإمساكُ عن كُلِّ ما يكرهه اللهُ سبحانه.

٤١٨ - إذا كان الرَّاعي ذليلاً، فالشَّاةُ من يَحفظُها!

٤١٩ - كُلُّ شيءٍ يعصيك إذا أغضبتَه إِلَّا الدُّنيا، فإنها تُطيعُكَ إذا أغضبتَها.

٤٢٠ - رَبٌّ مغبوطٌ بنعمٍ هي دأؤه، ومزحومٌ من سقمٍ هو شفاؤه.

٤٢١ - إذا أَرَادَ اللهُ أَن يسلِّطَ على عبدٍ عدواً لا يرحمه سُلْطَ عليه حاسداً.

٤٢٢ - شربُ الدَّواءِ للجسدِ كالصَّابونِ للثَّوبِ، يُنْقِيهِ ولكن يُخلِّقه.

٤٢٣ - الحسدُ خلقٌ دنيءٌ، ومن دناؤِهِ أَنَّهُ موَكَّلٌ بِالْأَقْرَبِ فالأقرب.

٤٢٤ - لو كانَ أَحَدٌ مكتفياً من العلمِ لاكتفى نبيُّ الله موسى، وقد سمعتم قوله: ﴿هَلْ أَتَيْتُمْ عَلَى أَنْ تَعْلَمِينَ مِمَّا عَلَّمْتُ رُسُلًا﴾<sup>(١)</sup>.

٤٢٥ - استغفرَ اللهُ ممَّا أَمَلَكَ، واستصلحه فيما لا أملك.

٤٢٦ - إذا قعدتِ وَأَنْتِ صغيرٌ حيثُ تجبُ، قعدتِ وَأَنْتِ كبيرٌ حيثُ تَنزَرُ.

٤٢٧ - الولدُ العاقُ كالإصبعِ الزائدةِ، إِنْ تُرِكَتْ شانت، وَإِنْ قُطِعَتْ أَلَمَتْ.

- ٤٢٨ - خَرَجَ العَزَّ وَالْفَنَى بِجَوْلَانٍ فَلَقِيَا القَنَاةَ فَاسْتَقَرَّ.  
 ٤٢٩ - الصديق نسيبُ الروح، والأخ نسيبُ الجسم.  
 ٤٣٠ - جِزْيَةُ المؤمن كِرَاءُ منزله، وعذابُهُ سوءُ خُلُقِي زوجته.  
 ٤٣١ - الوَعْدُ وَجْهٌ والإنجَازُ محاسنُهُ.  
 ٤٣٢ - أَنَعَمَ النَّاسُ عَيْشاً مَنْ عَاشَ فِي عَيْشِهِ غَيْرُهُ.  
 ٤٣٣ - لَا تَشَاتَمَنَّ أَحَدًا، وَلَا تَرُدَّنَّ سَائِلًا، إِمَّا هُوَ كَرِيمٌ تَسُدُّ خَلَّتَهُ، أَوْ لَيْثٌ تَشْتَرِي عِرْضَكَ

منه.

- ٤٣٤ - التَّمَامُ سَهْمٌ قَائِلٌ.  
 ٤٣٥ - ثَلَاثَةُ أَشْيَاءَ لَا دَوَامَ لَهَا: المَالُ فِي يَدِ المُبَذِّرِ، وَسَحَابَةُ الصَّيْفِ، وَغَضَبُ العَاشِقِ.  
 ٤٣٦ - الزَّاهِدُ فِي الدِّينَارِ وَالْدَّرْهَمِ أَعَزُّ مِنَ الدِّينَارِ وَالْدَّرْهَمِ.  
 ٤٣٧ - رَبٌّ حَرْبٍ أَحْيَيْتَ بِلَفْظَةٍ، وَرَبٌّ وَدٌّ غَرِسَ بِلِحْظَةٍ.  
 ٤٣٨ - إِذَا تَزَوَّجَ الرَّجُلُ فَقَدْ رَكِبَ الْبَحْرَ، فَإِنْ وَلَدَ لَهُ فَقَدْ كُتِبَ بِهِ.  
 ٤٣٩ - صَلَاحُ كُلِّ ذِي نِعْمَةٍ فِي خِلَافِ مَا فَسَدَ عَلَيْهِ.  
 ٤٤٠ - أَنَعَمَ النَّاسُ عَيْشَةً مَنْ تَحَلَّى بِالعِفَافِ، وَرَضِيَ بِالكِفَافِ، وَتَجَاوَزَ مَا يُخَافُ إِلَى مَا لَا يُخَافُ.

٤٤١ - التَّوَاضِعُ نِعْمَةٌ لَا يَفْطُنُ لَهَا الحَاسِدُ.

٤٤٢ - يَنْبَغِي لِلْعَاقِلِ أَنْ يَمْنَعَ مَعْرُوفَهُ الْجَاهِلِ وَاللَّيِّمِ وَالسَّفِيهَ، أَمَّا الْجَاهِلُ فَلَا يَعْرِفُ الْمَعْرُوفَ وَلَا يَشْكُرُ عَلَيْهِ، وَأَمَّا اللَّيِّمُ فَارْضُ سَبِيخَةٍ لَا تَنْتَبِهُ، وَأَمَّا السَّفِيهُ فَيَقُولُ: إِنَّمَا أَعْطَانِي فَرَقًا مِنْ لِسَانِي.

٤٤٣ - خَيْرُ الْعَيْشِ مَا لَا يُطْغِيكَ، وَلَا يُلْهِيكُ.

٤٤٤ - مَا ضَرَبَ اللَّهُ الْعِبَادَ بِسُوطِ أَوْجَعٍ مِنَ الْفَقْرِ.

٤٤٥ - إِذَا أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَزِيلَ عَنْ عَبْدٍ نِعْمَةً كَانَ أَوَّلُ مَا يَغَيِّرُ مِنْهُ عَقْلُهُ.

٤٤٦ - خَيْرُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فِي خَصْلَتَيْنِ: الْعِفْلُ وَالْإِثْقَى، وَشَرُّ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فِي خَصْلَتَيْنِ: الْفَقْرُ وَالْفُجُورُ.

٤٤٧ - ثَمَانِيَةٌ إِذَا أَهْنُوا فَلَا يَلُمُوا إِلَّا أَنْفُسَهُمْ: الْآتِي طَعَامًا لَمْ يُدْعَ إِلَيْهِ، وَالْمُتَأَمِّرُ عَلَى رَبِّ الْبَيْتِ فِي بَيْتِهِ، وَطَالِبُ الْمَعْرُوفِ مِنْ غَيْرِ أَهْلِهِ، وَالِدَاخِلُ بَيْنَ اثْنَيْنِ لَمْ يَدْخُلَاهُ، وَالْمُسْتَخَفُّ بِالْسلْطَانِ، وَالْجَالِسُ مَجْلِسًا لَيْسَ لَهُ بِأَهْلٍ، وَالْمَقْبَلُ بِحَدِيثِهِ عَلَى مَنْ لَا يَسْمَعُهُ، وَمَنْ جَرَّبَ الْمَجْرَبَ.

٤٤٨ - أنفُسُ الأَعْلَاقِ عَقْلٌ قُرْنٌ إِلَيْهِ حَظٌّ.

٤٤٩ - اللطافةُ في الحاجةِ أجدى من الوسيلةِ.

٤٥٠ - احتمالُ نَحْوَةِ الشرفِ أشدُّ من احتمالِ بطْرِ الغنى، وذلكَ الفقرُ مانعةٌ من الصبرِ، كما أن عِزَّ الغنى مانعٌ من كرمِ الإنصافِ، إلا لمن كانَ في غريزته فضلُ قُوَّةٍ، وأعرافٌ تنازعه إلى بُعدِ الهمةِ.

٤٥١ - أبعدُ الناسِ سَفَرًا مَنْ كانَ في طلبِ صديقٍ يَرْضاهُ.

٤٥٢ - استشارةُ الأعداءِ من بابِ الجَذَلانِ.

٤٥٣ - الجاهلُ يُعَرِّفُ بِسِتِّ خِصَالٍ: الغضبُ من غيرِ شيءٍ، والكلامُ في غيرِ نفعٍ، والعطيةُ في غيرِ موضعها، والآءُ يعرفُ صديقه من عدوِّه، وإنشاءُ السرِّ، والثقةُ بكلِّ أحدٍ.

٤٥٤ - سوءُ العاقبةِ كمينٌ لا يُؤْمَنُ.

٤٥٥ - العادةُ طَبِيعَةٌ ثَانِيَةٌ غَالِبَةٌ.

٤٥٦ - النَجَنيُّ وَاقِدُ الْقَطِيعَةِ.

٤٥٧ - صديقك مَنْ نَهَاكَ، وعدوكَ مَنْ أَغْرَاكَ.

٤٥٨ - يَا عَجَبًا مِنْ غَفْلَةِ الْحَسَادِ عَنْ سَلَامَةِ الْأَجْسَادِ!

٤٥٩ - مِنْ سَعَادَةِ الْمَرْءِ أَنْ يَطُولَ عَمْرُهُ، وَيَرَى فِي أَعْدَائِهِ مَا يَسْرُهُ.

٤٦٠ - الضُّخَامَتَانِ تَوَرَّثَتَا كَمَا تَوَرَّثَ الْأَمْوَالُ.

٤٦١ - رَبُّ عَزِيزٍ أَذَلَّهُ خَوْفُهُ، وَذَلِيلٍ أَعَزَّهُ خُلُقُهُ.

٤٦٢ - لَا يَصْلُحُ اللَّيْثُ لِأَحَدٍ، وَلَا يَسْتَقِيمُ إِلَّا مَنْ فَرَّقَ أَوْ حَاجَجَ، فَإِذَا اسْتَقْنَى أَوْ ذَهَبَ خَوْفُهُ عَادَ إِلَيْهِ جَوْهَرُهُ.

٤٦٣ - ثَلَاثَةٌ فِي الْمَجْلِسِ وَلَيْسُوا فِيهِ: الْحَاقِقُ، وَالصَّبِيحُ الْخَفِيُّ، وَالسَّيِّئُ الظَّنُّ بِأَهْلِهِ.

٤٦٤ - وَسُئِلَ: مَا أَبْقَى الْأَشْيَاءَ فِي نَفْسِ النَّاسِ؟ فَقَالَ: أَمَّا فِي أَنْفُسِ الْعُلَمَاءِ فَالتَّذَامَةُ عَلَى الذَّنْبِ، وَأَمَّا فِي نَفْسِ السُّفَهَاءِ فَالْحَقْدُ.

٤٦٥ - إِذَا انْقَضَى مُلْكُ قَوْمٍ خُيِّرُوا فِي آرَائِهِمْ.

٤٦٦ - الضَّعِيفُ الْمُحْتَرَسُ مِنَ الْعَدُوِّ الْقَوِيِّ أَقْرَبُ إِلَى السَّلَامَةِ مِنَ الْقَوِيِّ الْمُغْتَرِّ بِالْعَدُوِّ الضَّعِيفِ.

٤٦٧ - الْحَزَنُ سُوءُ اسْتِكْنَاةٍ، وَالْغَضَبُ لُؤْمٌ قُدْرَةٍ.

٤٦٨ - كُلُّ مَا يُوَكَّلُ بِتَيْنِ، وَكُلُّ مَا يَوْعَبُ بِأَرْجٍ.

- ٤٦٩ - الطُّرَشُ فِي الْكِرَامِ، وَالْهُوجُ فِي الطُّوَالِ، وَالْكَيْسُ فِي الْقَصَارِ، وَالتُّبْلُ فِي الرِّبْعَةِ، وَحَسَنُ الْخُلُقِ فِي الْحَوْلِ، وَالْكِبَرُ فِي الْعُورِ، وَالْبَهْتُ فِي الْعَمِيَانِ، وَالذِّكَاءُ فِي الْخُرْسِ.
- ٤٧٠ - الْأَمُ النَّاسُ مَنْ سَعَى بِإِنْسَانٍ ضَعِيفٍ إِلَى سُلْطَانٍ جَائِرٍ.
- ٤٧١ - أَعْسَرَ الْجَيْلُ تَصْوِيرَ الْبَاطِلِ فِي صُورَةِ الْحَقِّ عِنْدَ الْعَاقِلِ الْمُمَيِّزِ.
- ٤٧٢ - الْقَدْرُ ذُلٌّ حَاضِرٌ، وَالْغِيْبَةُ لُؤْمٌ بَاطِنٌ.
- ٤٧٣ - الْقَلْبُ الْفَارِغُ يَحِثُّ عَنِ السُّوءِ وَالْبِدِ الْفَارِغَةُ تَنَازَعُ إِلَى الْإِثْمِ.
- ٤٧٤ - لَا كَثِيرٌ مَعَ إِسْرَافٍ، وَلَا قَلِيلٌ مَعَ احْتِرَافٍ، وَلَا ذَنْبٌ مَعَ اعْتِرَافٍ.
- ٤٧٥ - الْمُتَعَبِّدُ عَلَى غَيْرِ فِقْهِ كَحِمَارِ الرَّحَا يَدُورُ وَلَا يَسِرُّ.
- ٤٧٦ - الْمَحْرُومُ مَنْ طَالَ نَصَبُهُ، وَكَانَ لَغْوِيهِ مَكْسَبُهُ.
- ٤٧٧ - فِي الْإِعْتِبَارِ غَنَى عَنِ الْإِخْتِبَارِ.
- ٤٧٨ - غِيْظُ الْبَخِيلِ عَلَى الْجَوَادِ أَعْجَبُ مِنْ بَخْلِهِ.
- ٤٧٩ - أَذُلُّ النَّاسِ مُعْتَذِرٌ إِلَى اللَّثِيمِ.
- ٤٨٠ - أَشْجَعُ النَّاسِ أَثْبَتُهُمْ عَقْلًا فِي بَدَاهَةِ الْخَوْفِ.
- ٤٨١ - الْمَعْتَذِرُ مُنْتَصِرٌ، وَالْمَعَاتِبُ مُغَاضِبٌ.
- ٤٨٢ - السُّرُوءَةُ بَلَا مَالٍ كَالْأَسَدِ الَّذِي يُهَابُ وَلَمْ يَفْتَرَسْ، وَكَالسَيْفِ الَّذِي يَخَافُ وَهُوَ مَغْمَذٌ، وَالْمَالُ بَلَا مُرُوءَةٍ كَالْكَلْبِ الَّذِي يَجْتَنِبُ عَقْرًا وَلَمْ يَعْقُرْ.
- ٤٨٣ - عَلَيْكُمْ بِالْأَدَبِ، فَإِنْ كُنْتُمْ مُلُوكًا بَرَزْتُمْ، وَإِنْ كُنْتُمْ وَسَطًا فَقُتُمْ، وَإِنْ أَعُوْزْتُمْ الْمَعِيشَةَ عَشْتُمْ بِأَدْبِكُمْ.
- ٤٨٤ - الْمُلُوكُ حُكَّامٌ عَلَى النَّاسِ، وَالْعُلَمَاءُ حُكَّامٌ عَلَى الْمُلُوكِ.
- ٤٨٥ - لَا يَنْبَغِي لِلْعَاقِلِ أَنْ يَكُونَ إِلَّا فِي إِحْدَى مَنَزِلَتَيْنِ: إِمَّا فِي الْغَايَةِ الْقَصْوَى مِنْ مَطَالِبِ الدُّنْيَا، وَإِمَّا فِي الْغَايَةِ الْقَصْوَى مِنَ التَّرَكُّ لَهَا.
- ٤٨٦ - مِنْ أَفْضَلِ أَعْمَالِ الْبِرِّ الْجُودُ فِي الْعُسْرِ، وَالصَّدَقُ فِي الْغَضَبِ، وَالْعَفْوُ عِنْدَ الْقُدْرَةِ.
- ٤٨٧ - إِنْ اللَّهُ أَنْعَمَ عَلَى الْعِبَادِ بِقَدْرِ قُدْرَتِهِ، وَكَلَفَهُمْ مِنَ الشُّكْرِ بِقَدْرِ قُدْرَتِهِمْ.
- ٤٨٨ - الْعَيْشُ فِي ثَلَاثٍ: صَدِيقٌ لَا يَعُدُّ عَلَيْكَ فِي أَيَّامِ صِدَاقَتِكَ مَا يَرْضَى بِهِ أَيَّامَ عِدَاوَتِكَ، وَزَوْجَةٌ تَسْرُكُ إِذَا دَخَلْتَ عَلَيْهَا وَتَحْفَظُ غَيْبَكَ إِذَا غَبَتْ عَنْهَا، وَغُلَامٌ يَأْتِي عَلَى مَا فِي نَفْسِكَ كَأَنَّهُ قَدْ عَلِمَ مَا تَرِيدُ.

٤٨٩ - تحتاجُ القِراةُ إلى مودَّةٍ ولا تحتاجُ المودةَ إلى قِراةٍ.

٤٩٠ - الصَّابِرُ على مخالطةِ الأشرارِ وصحبَتهم، كراكِبِ البحرِ إن سَلِمَ يَدِينِهِ مِنَ التَّلَفِ، لم يسلم بقلبه من الحَذَرِ.

٤٩١ - لأخيك عليك إذا حزبه أمرٌ أن تشير عليه بالرأي ما أطاعك، وتبذل له النصر إذا عصاك.

٤٩٢ - الغيبةُ ريحُ اللثامِ.

٤٩٣ - أطولُ الناسِ نَصَباً الحريصُ إذا طمع، والحقودُ إذا مُنِع.

٤٩٤ - الشريفُ دُونَ حَقِّه يُقَتَّلُ ويعطى نافلةٌ فَوْقَ الحَقِّ عليه.

٤٩٥ - اجعل عمرَكَ كنفقةٍ دُفِعَتْ إليك، فكما لا تحبُّ أن يذهبَ ما تنفقُ ضياعاً، فلا تذهبَ عمرَكَ ضياعاً.

٤٩٦ - من أظهر شكرَكَ فيما لم تأتِ إليه، فاحذر أن يكفرَكَ فيما أسديتَ إليه.

٤٩٧ - لا تستعن في حاجتك بمن هو للمطلوبِ إليه أنصحُ منه لك.

٤٩٨ - لا يؤمِّنَكَ من شرِّ جاهلٍ قِراةٌ ولا جِوارٌ، فإنَّ أخوفَ ما تكونُ لحريقِ النارِ أقربُ ما تكونُ إليها.

٤٩٩ - كن في الحرصِ على تفقُّدِ عيوبِكَ كعدوكِ.

٥٠٠ - عليك بسوءِ الظنِّ، فإنَّ أصابَ فالحزمُ وإلا فالسلامةُ.

٥٠١ - رضا الناسِ غايةٌ لا تدركُ، فتحترَّ الخيَرُ بجهدِكَ، ولا تبال بسخطِ من يرضيه الباطلُ.

٥٠٢ - لا تماكسَ في البيعِ والشراءِ، فما يضيغُ من عرضِكَ أكثرُ مما تنالُ من عَرَضِكَ.

٥٠٣ - الدُّيْنُ رِقٌّ فلا تبذلَ رِقَّكَ لِمَنْ لا يعرفُ حَقَّكَ.

٥٠٤ - احذرْ كلَّ الحذرِ أن يخدعَكَ الشَّيْطَانُ فيمثلَ لَكَ التَّوَاتِي في صُورَةِ التَّوَكُّلِ، ويورثُكَ الهَوْنِ بالإحالةِ على القَدَرِ، فإنَّ اللهَ أمرَ بالتوَكُّلِ عندَ انقطاعِ الحِيلِ، وبالتسليمِ للقضاءِ بعدَ الإعذارِ، فقال: ﴿خُذُوا حِذْرَكُمْ﴾<sup>(١)</sup>، ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾<sup>(٢)</sup>، وقال النبي ﷺ: «اغفلها وتوكل»<sup>(٣)</sup>.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٩٥.

(١) سورة النساء، الآية: ٧١.

(٣) أخرجه الترمذي في صفة القيامة، باب: منه (٢٥١٧).

٥٠٥ - لا تصحب في السفر غنياً، فإنك إن ساوَيْتَهُ في الإنفاق أضُرَّ بِكَ، وإن تَفَضَّلَ عَلَيْكَ اسْتَدْلَكَ.

٥٠٦ - إذا سألت كريماً حاجةً فَدَعُهُ يُفَكِّرُ، فإنه لا يفكر إلا في خير، وإذا سألت لثيماً حاجةً فغافضهُ فإنه إذا فُكِّرَ عادَ إلى طَلَبِهِ.

٥٠٧ - ما أفتح بالصَّبِيحِ الوجوه أن يكون جاهلاً كذاًرِ حسنُ البناء وساكنتها شراً، وكجنته يعمرها بُؤْسٌ، أو حِرْمَتُهُ يحرسها ذُلُّبٌ.

٥٠٨ - قبيح بذئ العقل أن يكون بهيمةً وقد أمكنه أن يكون إنساناً، وقد أمكنه أن يكون ملكاً، وأن يرضى لنفسه بَقِيَّةً<sup>(١)</sup> مُعَارَةً وحياةً مُسْتَرَدَّةً، وله أن يتخذ قُتِيَّةً مُخَلَّدَةً وحياةً مُؤَيَّدَةً.

٥٠٩ - الذي يَسْتَجِئُ اسمَ السَّعادةِ على الحقيقة سعادة الآخرة، وهي أربعة أنواع: بقاء بلا فناء، وعلم بلا جهل، وقُدرة بلا عجز، وغنى بلا فقر.

٥١٠ - ما خابَ مَنْ اسْتَحَارَ.

٥١١ - الدِّينُ قد كُشِفَ عن غِطاءِ قلبه، يَرَى مظلوميته قد طَبَّقَ الخافقين فلا يَفْعُ بَصَرُهُ على شيءٍ إِلَّا رَأَاهُ فيه.

٥١٢ - من عَرَسَ النخلَ أَكَلَ الرُّطبَ، وَمَنْ غرس الصَّفصافَ والعُلَيْقَ عَدِمَ ثمرته، ودَهَبَتْ ضياعاً خدعته.

٥١٣ - إذا أَرَدْتَ العلمَ والخيرَ فانفضَّ عن يدك أداة الجهل والشرِّ، فإنَّ الصانعَ لا يَتَهَيَّأُ له الصِّياغَةُ إِلَّا إذا لَقِيَ أداةَ الفلاحةِ عَن يده.

٥١٤ - الصبرُ مِفْتَاحُ الفَرَجِ.

٥١٥ - غايةُ كُلِّ مُتَعَمِّقٍ في علمنا أن يجهل.

٥١٦ - ستعرف الحال على حقيقتها، ولكن حيثُ لا تستطيع أن تذاكر أحداً بها.

٥١٧ - السعادة التامة بالعلم، والسعادة الناقصة بالزهد، والعبادة من غير علم ولا زهادة تعب الجسد.

٥١٨ - الآمال مطايا، وربما حَسِرْتُ، وَتَقَبَّيْتُ أخفافها.

٥١٩ - حبُّ الرِّياسَةِ شاغلٌ عن حبِّ الله سبحانه.

٥٢٠ - يا أبا عبيدة، طال عليك العهدُ فنسيت، أم نأفست فأنسيت؟ لقد سمعتها ووعيتها فهُلَّا رَعَيْتَهَا!

(١) الفنية: الكسبة، أي ما اكتسب. القاموس، مادة (فني).

٥٢١ - قال لَمَّا سَمِعْتُ خُطْبَةَ عَمَرَ بِالْمَدِينَةِ الَّتِي شَرَحَ فِيهَا قِصَةَ السَّقِيْفَةِ: مَعْدَرَةٌ وَرَبُّ الْكَعْبَةِ، وَلَكِنْ بَعْدَ مَاذَا! هِيَاهُ عُلِقَتْ مَعَالِقُهَا، وَصَرَ الْجُنْدُبُ.

٥٢٢ - أَوَّلُ مَنْ جَرَأَ النَّاسَ عَلَيْنَا سَعْدُ بْنُ عِبَادَةَ، فَتَحَ بَاباً وَلَجَّهُ غَيْرُهُ، وَأَصْرَمَ نَاراً كَانَ لَهْبُهَا عَلَيْهِ، وَضَوْءُهَا لِأَعْدَائِهِ.

٥٢٣ - مَا لَنَا وَلِقْرِيشٍ! يَخْفِضُونَ الدُّنْيَا بِاسْمِنَا، وَيَطْلُون عَلَى رِقَابِنَا، فَيَا اللَّهَ وَلِلْعَجَبِ! مَا اسْمٌ جَلِيلٌ لِمُسْمًى ذَلِيلًا!

٥٢٤ - الْخَيْرُ كُلُّهُ فِي السَّيْفِ، وَمَا قَامَ هَذَا الدِّينُ إِلَّا بِالسَّيْفِ، اتَّعَلَمُونَ مَا مَعْنَى قَوْلِي تَعَالَى: ﴿وَأَرْزَلْنَا لِكُلِّ يَدٍ فِتْنَةً بِأَسْ سَدِيدَةٍ﴾<sup>(١)</sup> هَذَا هُوَ السَّيْفُ.

٥٢٥ - لَمْ يَفُتْ مَنْ لَمْ يَمُتْ.

٥٢٦ - مَنْ فَسَدَتْ بَطَانَتُهُ كَانَ كَمَنْ غَصَّ بِالْمَاءِ، فَإِنَّهُ لَوْ غَصَّ بِغَيْرِهِ لَأَسَاغَ الْمَاءُ غُصَّتُهُ.

٥٢٧ - مَنْ ضَنَّ بِعَرَضِهِ فَلْيَدْعِ الْوَرَاءَ.

٥٢٨ - مَنْ أَيْقَظَ فِتْنَةً فَهُوَ أَكَلُهَا.

٥٢٩ - مَنْ أَتَى كَرُمًا عَلَى أَهْلِهِ، وَمَنْ أَتَى هَانَ عَلَى وَلَدِهِ.

٥٣٠ - مَنْ أَتَى أَحَدًا هَابَةً، وَمَنْ جَهِلَ شَيْئًا عَابَةً.

٥٣١ - أَسْرَأُ النَّاسِ حَالًا مَنْ لَا يَتَّقِي بِأَحَدٍ لِسُوءَ ظَنِّهِ، وَلَا يَتَّقِي بِهِ أَحَدٌ لِسُوءِ أَثَرِهِ.

٥٣٢ - أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيْكَ مَنْ كَثُرَتْ أَيْدِيهِ عِنْدَكَ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ فَمَنْ كَثُرَتْ أَيْدِيكَ عِنْدَهُ.

٥٣٣ - مَنْ طَالَ صَمْتُهُ اجْتَلَبَ مِنَ الْهَيْبَةِ مَا يَنْفَعُهُ، وَمَنْ الْوَحْشَةُ مَا لَا يَضُرُّهُ.

٥٣٤ - مَنْ زَادَ عَقْلُهُ نَقَصَ حَقْلُهُ، وَمَا جَعَلَ اللَّهُ لِأَحَدٍ عَقْلاً وَافِراً إِلَّا اخْتَسَبَ بِهِ عَلَيْهِ مِنْ رِزْقِهِ.

٥٣٥ - مَنْ عَمِلَ بِالْعَدْلِ فَيَمُنْ دُونَهُ، رُزِقَ الْعَدْلَ مِمَّنْ فَوْقَهُ.

٥٣٦ - مَنْ طَلَبَ عِزًّا يَطْلُمُ وَيَاظِلُّ أَوْزَنَهُ اللَّهُ ذُلًّا بِإِنْصَافٍ وَحَقٍّ.

٥٣٧ - مِنْ وَطَنَتُهُ الْأَعْيُنُ، وَطَنَتُهُ الْأَرْجُلُ.

٥٣٨ - يَنَادِي مُنَادٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: مَنْ كَانَ لَهُ أَجْرٌ عَلَى اللَّهِ فَلْيَقُمْ، فَيَقُومُ الْعَافُونَ عَنِ النَّاسِ، ثُمَّ تَلَا: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَمْسَحَ تَابَ عَلَى اللَّهِ﴾<sup>(٢)</sup>.

٥٣٩ - أَصْحَبُ النَّاسِ بَأْسُ خُلُقِي شَيْئًا يَضْحَكُوكَ بِمِثْلِهِ.

- ٥٤٠ - كَانَكِ بِالدُّنْيَا لَمْ تَكُنْ، وَكَانَكَ بِالْآخِرَةِ لَمْ تَزَلْ.
- ٥٤١ - قَالَ لِمَرْيَسٍ أَبْلَى مِنْ مَرَضِهِ: إِنَّ اللَّهَ ذَكَرَكَ فَادْكُرْهُ، وَأَعَالِكَ فَاشْكُرْهُ.
- ٥٤٢ - الدَّارُ دَارُ مَنْ لَا دَارَ لَهُ، وَبِهَا يَفْرَحُ مَنْ لَا عَقْلَ لَهُ، فَأَنْزِلُوهَا مَثَرَتَهَا.
- ٥٤٣ - لَا تَسْتَضِيقَنَّ أَمْرَ عَدُوِّكَ إِذَا حَارَبْتَهُ، فَإِنَّكَ إِنْ ظَفَرْتَ بِهِ لَمْ تُحْمَدَ، وَإِنْ ظَفَرَ بِكَ لَمْ تُعَذَّرْ، وَالضَّعِيفُ الْمُحْتَرَسُ مِنَ الْعَدُوِّ الْقَوِيَّ أَقْرَبُ إِلَى السَّلَامَةِ مِنَ الْقَوِيِّ الْمُعْتَرِّ بِالضَّعِيفِ.
- ٥٤٤ - لَا تَصْحَبْ مَنْ نَحْتَاجُ إِلَى أَنْ نَكْتُمَهُ مَا يَعْرِفُ اللَّهُ مِنْكَ.
- ٥٤٥ - لَا تَسْأَلْ غَيْرَ اللَّهِ، فَإِنَّهُ إِنْ أَعْطَاكَ أَغْنَاكَ.
- ٥٤٦ - الصَّاحِبُ كَالرُّقْعَةِ فِي الثُّوبِ، فَاتَّخِذْهُ مُشَاكِلاً.
- ٥٤٧ - إِيَّاكَ وَكَثْرَةَ الْإِخْوَانِ، فَإِنَّهُ لَا يُؤْذِيكَ إِلَّا مَنْ يَعْرِفُكَ.
- ٥٤٨ - دَعِ الْيَمِينَ لِلَّهِ إِيْجَالاً، وَلِلنَّاسِ إِيْجَالاً.
- ٥٤٩ - الْعَادَاتُ قَاهِرَاتٌ، فَمَنْ اغْتَادَ شَيْئاً فِي سِرِّهِ فَصَحَّحْهُ فِي عَلَانِيَتِهِ.
- ٥٥٠ - إِذَا كَانَ لَكَ صَدِيقٌ وَلَمْ تَحْمَدْ إِخَاءَهُ وَمُودَتَهُ فَلَا تُظْهِرْ ذَلِكَ لِلنَّاسِ، فَإِنَّمَا هُوَ بِمَنْزِلَةِ السَّيْفِ الْكَلِيلِ فِي مَنْزِلِ الرَّجُلِ، يُزْهِبُ بِهِ عَدُوَّهُ، وَلَا يَعْلَمُ الْعَدُوُّ أَصَابِمَ هُوَ أَمْ كَلِيلٌ!
- ٥٥١ - دَعِ الذُّنُوبَ قَبْلَ أَنْ تَدْعَكَ.
- ٥٥٢ - إِذَا نَزَلَ بِكَ مَكْرُوهٌ فَانْظُرْ، فَإِنْ كَانَ لَكَ حِيلَةٌ فَلَا تَعْجِزْ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ حِيلَةٌ فَلَا تَجْزَعْ.
- ٥٥٣ - تَعَلَّمُوا الْعِلْمَ، فَإِنَّهُ زَيْنٌ لِلْفَتَى وَعَوْنٌ لِلْفَقِيرِ، وَلَسْتُ أَقُولُ إِنَّهُ يَطْلُبُ بِهِ، وَلَكِنْ يَدْعُوهُ إِلَى الْقِنَاعَةِ.
- ٥٥٤ - لَا تَرْضَيْنَ قَوْلَ أَحَدٍ حَتَّى تَرْضَى فِعْلَهُ، وَلَا تَرْضَى فِعْلَهُ حَتَّى تَرْضَى عَقْلَهُ، وَلَا تَرْضَى عَقْلَهُ حَتَّى تَرْضَى حَيَاةَهُ، فَإِنَّ الْإِنْسَانَ مَطْبُوعٌ عَلَى كَرَمٍ وَلَوْحٍ، فَإِنَّ قَوِيَّ الْحَيَاءِ عِنْدَهُ قَوِيَّ الْكَرَمِ، وَإِنْ ضَعُفَ الْحَيَاءُ قَوِيَ اللَّوْحُ.
- ٥٥٥ - تَعَلَّمُوا الْعِلْمَ وَإِنْ لَمْ تَنَالُوا بِهِ حَقّاً، فَلَا تَنْتَهِزُوا الزَّمَانَ لَكُمْ أَحْسَنَ مِنْ أَنْ يُدْمَ بِكُمْ.
- ٥٥٦ - اجْعَلْ سِرَّكَ إِلَى وَاحِدٍ، وَمَشُورَتَكَ إِلَى أَلْفٍ.
- ٥٥٧ - إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ النِّسَاءَ مِنْ عِطٍ وَعَوْرَةٍ، فَذَاوُوا عِطَهُنَّ بِالسَّكُوتِ، وَاسْتَرْوَا عَوْرَتَهُنَّ بِالْيُورِ.
- ٥٥٨ - لَا تَجِدَنَّ عِدَّةً لَا تَتَّقُ مِنْ نَفْسِكَ بِإِنْجَازِهَا، وَلَا يَغُرُّكَ الْمُرْتَقَى السَّهْلُ إِذَا كَانَ الْمُتَحَدَّرُ وَغَرّاً. وَاعْلَمْ أَنَّ لِلْأَعْمَالِ جَزَاءً فَاتَّقِ الْعَوَاقِبَ، وَأَنَّ لِلْأُمُورِ بَغْتَاتٍ فَكُنْ عَلَى حَذَرٍ.



٥٥٩ - لا تَجَاهِدِ الْقَلْبَ جِهَادَ الْمُغَالِبِ، وَلَا تَتَكَلَّ عَلَى الْقَدَرِ اتِّكَالَ الْمُسْتَسْلِمِ، فَإِنْ ابْتِغَاءَ الْفَضْلَ مِنَ السُّنَّةِ، وَالْإِجْمَالِ فِي الطَّلَبِ مِنَ الْحَقِّ، وَلَيْسَتْ الْوَقْفَةُ بِرَافِعَةٍ رِزْقًا، وَلَا الْحِرْصُ بِجَالِبٍ فَضْلًا.

٥٦٠ - مَنْ لَمْ تَسْتَعِمْ لَهُ نَفْسُهُ، فَلَا يَلُومَنَّ مَنْ لَمْ يَسْتَعِمْ لَهُ.

٥٦١ - مَنْ رُجِيَ الرُّزْقُ لَدَيْهِ صُرِفَتْ أَغْنَاؤُ الرِّجَالِ إِلَيْهِ.

٥٦٢ - مَنْ انْتَجَعَكَ مُؤْمَلًّا فَقَدْ أَسْلَفَكَ حُسْنَ الظَّنِّ.

٥٦٣ - إِذَا شِئْتَ أَنْ تُطَاعَ فَاسْأَلْ مَا يُسْتَطَاعُ.

٥٦٤ - مَنْ أَعْدَرَ كَمَنْ أَنْجَحَ.

٥٦٥ - مَنْ كَانَتْ الدُّنْيَا هَمَّهُ كَثُرَ فِي الْقِبَامَةِ غَمُّهُ.

٥٦٦ - مَنْ أَجْمَلَ فِي الطَّلَبِ أَنَاةَ رِزْقِهِ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ.

٥٦٧ - مَنْ رَكِبَ الْعَجَلَةَ لَمْ يَأْمَنْ الْكِبْرَةَ.

٥٦٨ - مَنْ لَمْ يَثِقْ لَمْ يُرَقِّقْ يَوْمًا.

٥٦٩ - مَنْ أَفَادَهُ الدَّهْرُ أَفَادَ مِنْهُ.

٥٧٠ - مَنْ أَكْثَرَ ذِكْرَ الصُّغَائِرِ اكْتَسَبَ الْعَدَاوَةَ.

٥٧١ - مَنْ لَمْ يَخْذُ صَاحِبَهُ عَلَى حَسَنِ النَّيِّ لَمْ يَحْمِذْهُ عَلَى حَسَنِ الصَّنِيعَةِ.

٥٧٢ - تَأَمَّلْ مَا تَتَحَدَّثُ بِهِ، فَإِنَّمَا تُعَلِّمُ عَلَى كَاتِبِيكَ صَحِيفَةً يُوَصِّلَانِهَا إِلَى رِيكِ، فَانْظُرْ عَلَى مَنْ تَعَلِّمُ، وَإِلَى مَنْ تَكْتُبُ.

٥٧٣ - أَقِمِ الرُّغْبَةَ إِلَيْكَ مَقَامَ الْحَرَمَةِ بِكَ، وَعَظِّمْ نَفْسَكَ عَنِ التَّعَظُّمِ، وَتَطَوَّلْ وَلَا تَتَطَوَّلْ.

٥٧٤ - هَامِلُوا الْأَحْرَارَ بِالْكَرَامَةِ الْمُحَضَّةِ، وَالْأَوْسَاطَ بِالرُّغْبَةِ وَالرُّهْبَةِ، وَالسُّفَلَةَ بِالْهَوَانِ.

٥٧٥ - كُنْ لِلْعَدُوِّ الْمَكَاتِمِ أَشَدَّ حِلْوًا مِنْكَ لِلْعَدُوِّ الْمُبَارِزِ.

٥٧٦ - احْفَظْ شَيْئَكَ مِمَّنْ تَسْتَخِيحِي أَنْ تَسْأَلَهُ عَنْ مِثْلِ ذَلِكَ الشَّيْءِ إِذَا ضَاعَ لَكَ.

٥٧٧ - إِذَا كُنْتَ فِي مَجْلِسٍ وَلَمْ تَكُنِ الْمَحْدَّثُ وَلَا الْمَحْدَّثُ فَقُمْ.

٥٧٨ - لَا تَسْتَغْفِرَنَّ حَدَثًا مِنْ قَرِيشٍ، وَلَا صَغِيرًا مِنَ الْكُتَّابِ، وَلَا صَعْلُوكًا مِنَ الْفَرَسَانِ.

وَلَا تَصَادِقَنَّ ذَمِيًّا وَلَا خَصِيًّا وَلَا مَوْتًا، فَلَا ثَبَاتَ لِمَوَدَّاتِهِمْ.

٥٧٩ - لَا تُدْخِلْ فِي مَشُورَتِكَ بَخِيلًا فَيَقْصُرَ بِفِعْلِكَ، وَلَا جَبَانًا فَيَخَوْفَكَ مَا لَا تَخَافُ، وَلَا

حَرِيصًا فَيَعِدَكَ مَا لَا يُرْجَى، فَإِنَّ الْجَبْنَ وَالْبُخْلَ وَالْحِرْصَ طَبِيعَةٌ وَاحِدَةٌ، يَجْمَعُهَا سُوءُ الظَّنِّ بِاللَّهِ تَعَالَى.

٥٨٠ - لا تكن مِمَّنْ تغلبه نفسه على ما يظنُّ، ولا يغلبها على ما يَستَيِّقُنْ.

٥٨١ - اعصِ هَوَاكَ والنساء وافعلْ ما بدا لك.

٥٨٢ - ما كُنْتُ كاتِمُهُ مِنْ عَدُوِّكَ فَلَ تَظْهَرُ عَلَيْهِ صَدِيقُكَ.

٥٨٣ - كُلْ مِنَ الطَّعَامِ مَا تَشْتَهِي، وَالْبَسْ مِنَ الثِّيَابِ مَا يَشْتَهِي النَّاسُ.

٥٨٤ - وَلَتَكُنْ دَارُكَ أَوَّلُ مَا يُتَنَاجَى وَآخِرُ مَا يُبَاغَى.

٥٨٥ - مَنْ كَانَ فِي يَدِيهِ شَيْءٌ مِنْ رِزْقِ اللَّهِ سَبَّحَانَهُ فَلْيَصِلْهُ، فَإِنَّكُمْ فِي رَمَانٍ إِذَا احتَاجَ الْمَرْءُ فِيهِ إِلَى النَّاسِ كَانَ أَوَّلُ مَا يَبْذُلُهُ لَهُمْ دِينُهُ.

٥٨٦ - ابْذُلْ لَصَدِيقِكَ مَالَكَ، وَلِمَعْرِفَتِكَ رَفْدَكَ وَمَحْضَرَكَ، وَلِلْعَامَةِ بِشْرَكَ وَتَحَنُّنَكَ، وَلِعَدُوِّكَ عَذْلَكَ وَإِنصَافَكَ، وَاضْئُرْ بِدِينِكَ وَعِزِّضْكَ عَنْ كُلِّ أَحَدٍ.

٥٨٧ - جَالِسِ الْعُقَلَاءَ أَعْدَاءُ كَانُوا أَوْ أَصْدِقَاءَ، فَإِنَّ الْعَقْلَ يَقَعُ عَلَى الْعَقْلِ.

٥٨٨ - كُنْ فِي الْحَرْبِ بِحِيلَتِكَ أَوْثَقَ مِنْكَ بِشِدَّتِكَ، وَبِحَذْرِكَ أَقْرَحَ مِنْكَ بِنَجْدَتِكَ، فَإِنَّ الْحَرْبَ حَرْبُ الْمُتَهَوِّرِ، وَغِيْمَةُ الْمُتَحَدِّرِ.

٥٨٩ - النِّعَمُ وَحْشِيَّةٌ فَتَقِيدُوهَا بِالْمَعْرُوفِ.

٥٩٠ - إِذَا أَخْطَأْتَكَ الصَّنِيعَةُ إِلَى مَنْ يَتَّقِي اللَّهَ فَاصْنَعِهَا إِلَى مَنْ يَتَّقِي الْعَارَ.

٥٩١ - لَا تَشْتَغَلْ بِالرِّزْقِ الْمَضْمُونِ عَنِ الْعَمَلِ الْمَفْرُوضِ.

٥٩٢ - إِذَا أَكْرَمَكَ النَّاسُ لِمَالٍ أَوْ سُلْطَانٍ فَلَا يُغْنِيَنَّكَ ذَلِكَ، فَإِنَّ زَوَالَ الْكَرَامَةِ بَزْوَالِهَا، وَلَكِنْ لِيُعْجِبَكَ إِنْ أَكْرَمَكَ النَّاسُ لِدِينٍ أَوْ أَدَبٍ.

٥٩٣ - يَنْبَغِي لِمَنْ لَمْ يَكْرَمْ وَجْهَهُ عَنْ مَسْأَلَتِكَ أَنْ تُكْرِمَ وَجْهَكَ عَنْ رَدِّهِ.

٥٩٤ - إِيَّاكَ وَمَشَاوِرَةَ النِّسَاءِ، فَإِنَّ رَأْيَهُنَّ إِلَى أَفْنٍ<sup>(١)</sup>، وَعِزُّهُنَّ إِلَى وَهْنٍ، وَانْكَفَتْ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ بِحُجَابِكَ إِيَّاهُنَّ، فَإِنَّ شِدَّةَ الْحُجَابِ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْإِرْتِيَابِ، وَلَيْسَ خُرُوجُهُنَّ بِأَشَدَّ عَلَيْكَ مِنْ دُخُولِ مَنْ لَا تَثِقُ بِهِ عَلَيَّهِنَّ، وَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَلَّا يَغْرِفْنَ غَيْرَكَ فَافْعَلْ، وَلَا تَمْكُنْ امْرَأَةً مِنَ الْأَمْرِ مَا جَاوَزَ نَفْسَهَا، فَإِنَّ ذَلِكَ أَنْعَمَ لِيَايِلِهَا، وَأَرْخَى لِحَالِهَا، وَإِنَّمَا الْمَرْأَةُ رَنَحَانَةٌ وَلَيْسَتْ بِقَهْرْمَانَةٍ<sup>(٢)</sup>، فَلَا تَعُدْ بِكَرَامَتِهَا نَفْسَهَا، وَلَا تُعْطِهَا أَنْ تَشْفَعَ لِغَيْرِهَا، وَلَا تُطِلَّ الْحُلُوءَ مَعَهُنَّ فَيَمْلَنَكَ وَتَمْلَهُنَّ، وَاسْتَبْقِ مِنْ نَفْسِكَ بَقِيَّةً، فَإِنْ إِمْسَاكَكَ عَنْهُنَّ وَهْنٌ يَرُدُّكَ ذَلِكَ بِاقْتِدَارٍ، خَيْرٌ مِنْ

(١) الأفن: النقص. اللسان، مادة (أفن).

(٢) القهرمانه: مدبرة البيت ومتولية شؤونه، معرب، المعجم الوسيط، مادة (قهرم).

أَنْ يَهْجُنَ مِنْكَ عَلَى انْكَسَارٍ. وَإِيَّاكَ وَالتَّغَايُرَ فِي غَيْرِ مَوْضِعِ الْغَيْرَةِ، فَإِنَّ ذَلِكَ يَدْعُو الصَّحِيحَةَ مِنْهُمْ إِلَى السُّقْمِ.

٥٩٥ - إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَخْتَمَ عَلَى كِتَابٍ، فَأَعِدِ النَّظَرَ فِيهِ، فَإِنَّمَا تَخْتَمُ عَلَى عَقْلِكَ.

٥٩٦ - إِنْ يَوْمًا اسْتَكْرَ الْكِبَارَ وَشَيَّبَ الصَّغَارَ لَشَدِيدٍ.

٥٩٧ - كَمْ مِنْ مُبْرِدٍ لَهُ الْمَاءُ وَالْحَمِيمُ يُغْلَى لَهُ.

٥٩٨ - الصَّلَاةُ صَابِرُونَ الْخَطَايَا.

٥٩٩ - إِنْ أَمْرًا عَرَفَ حَقِيقَةَ الْأَمْرِ، وَرَهْدَ فِيهِ لِاحْتِقَاقٍ، وَإِنْ أَمْرًا جَهَلَ حَقِيقَةَ الْأَمْرِ مَعَ وَضُوحِهِ لِجَاهِلٍ.

٦٠٠ - إِذَا قَالَ أَحَدُكُمْ: وَاللَّهِ، فَلْيَنْظُرْ مَا يُضِيفُ إِلَيْهَا.

٦٠١ - رَأَيْتُكَ لَا يَتَسَبَّحُ لِكُلِّ شَيْءٍ، فَمَرْغُهُ لِلْمَهْمِ مِنْ أُمُورِكَ، وَمَالُكَ لَا يُغْنِي النَّاسَ كُلَّهُمْ فَاحْضَضْ بِهِ أَهْلَ الْحَقِّ، وَكَرَامَتِكَ لَا تَطْبِقُ بِذَلِكَ فِي الْعَامَّةِ، فَتَوَخَّ بِهَا أَهْلَ الْفَضْلِ، وَلِيْلُكَ وَنَهَارُكَ لَا يَسْتَوِيانِ خَوَانِجَكَ، فَأَحْسِنِ الْقِسْمَةَ بَيْنَ عَمَلِكَ وَدَعْوَتِكَ.

٦٠٢ - أَخِي الْمَعْرُوفُ بِإِمَانِيَّةٍ.

٦٠٣ - اصْحَبُوا مَنْ يَذْكُرُ إِحْسَانَكُمْ إِلَيْهِ، وَيَنْسَى آيَادِيَهُ عِنْدَكُمْ.

٦٠٤ - جَاهِدُوا أَهْوَاءَكُمْ كَمَا تَجَاهِدُونَ أَعْدَاءَكُمْ.

٦٠٥ - إِذَا رَغِبْتَ فِي الْمَكَارِمِ فَاجْتَنِبِ الْمَحَارِمَ.

٦٠٦ - لَا تَقْرَأْ كُلَّ الثَّقَةِ بِأَخِيكَ، فَإِنَّ سُرْعَةَ الْاسْتِرْسَالِ لَا تَقَالُ.

٦٠٧ - انْتَقِمِ مِنَ الْحَرَصِ بِالْقَنَاعَةِ، كَمَا تَنْتَقِمُ مِنَ الْعَدُوِّ بِالْقِصَاصِ.

٦٠٨ - إِذَا قَصُرَتْ يَدُكَ عَنِ الْمَكَافَاةِ، فَلْيَطْلُ لِسَانُكَ بِالشُّكْرِ.

٦٠٩ - مَنْ لَمْ يَنْشِطْ لِحَدِيثِكَ فَارْفَعْ عَنْهُ مُؤْنَةَ الْإِسْتِمَاعِ مِنْكَ.

٦١٠ - الزَّمَانُ ذُو الْوَلَانِ، وَمَنْ يَضْحَبِ الزَّمَانُ يَرِ الْهَوَانَ.

٦١١ - لَا تُؤْخَذَنَّ فِي مَعْرُوفٍ، فَإِنَّ الدَّمْرَ ذُو صُرُوفٍ، كَمْ مِنْ رَاغِبٍ أَصْبَحَ مَرْغُوبًا إِلَيْهِ، وَمُتَبَوِّعٍ أُنْسَى تَابِعًا.

٦١٢ - إِنْ غُلِبْتَ يَوْمًا عَلَى الْمَالِ فَلَا تُغْلِبَنَّ عَلَى الْحِيلَةِ عَلَى كُلِّ حَالٍ.

٦١٣ - كُنْ أَحْسَنَ مَا تَكُونُ فِي الظَّاهِرِ حَالًا أَقْلَ مَا تَكُونُ فِي الْبَاطِنِ مَالًا.

٦١٤ - لَا تَكُونَنَّ الْمَحْدَثُ مَنْ لَا يَسْمَعُ مِنْهُ، وَالذَّاخِلُ فِي سِرِّ اثْنَيْنِ لَمْ يُذْخَلَا فِيهِ، وَلَا

الآتي وليمة لم يذع إليها، ولا الجالس في مجلس لا يستحقه، ولا طالب الفضل من أيدي اللئام، ولا المتحمق في الدآلة، ولا المتعرض للخير من عند العدو.

٦١٥ - اطبع الطين ما دام رطباً، واغرس العود ما دام لذنأ.

٦١٦ - خف الله حتى كأنك لم تطفه، وازج الله حتى كأنك لم تعصه.

٦١٧ - لا تبلغ في سلامك على الإخوان حد التفاق، ولا تقصرهم عن درجة الاستحقاق.

٦١٨ - انصغ لكل مستشير، ولا تستشِرْ إلا الناصح اللبيب.

٦١٩ - ما أقبح بك أن ينادى غداً: يا أهل خطيئة كذا، فتقوم معهم، ثم ينادي ثانياً: يا أهل خطيئة كذا، فتقوم معهم. ما أراك يا مسكين إلا تقوم مع أهل كل خطيئة!

٦٢٠ - ما أصاب أحد ذنباً ليلأ إلا أصبح وعليه مذلة.

٦٢١ - الاستغفار يحث الذنوب حث الورق، ثم تلا قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَمَلَّ سَوْءًا أَوْ يظلم نفسه ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجْعِدِ اللَّهُ عَفْوَكَ رَجِيمًا﴾<sup>(١)</sup>.

٦٢٢ - أيها المستكثر من الذنوب، إن أباك أخرج من الجنة بذنب واحد.

٦٢٣ - إذا عصى الرب من يعرفه سلط عليه من لا يعرفه.

٦٢٤ - لقاء أهل الخير عمارة القلوب.

٦٢٥ - أنا من رسول الله ﷺ كالعصدي من المنكب، وكالذراع من العضد، وكالكف من الذراع، رباني صغيراً، وأخاني كبيراً، ولقد علمتُ أنني كان لي منه مجلس سِرٌّ لا يطلع عليه غيري، وأنه أوصى إلي دون أصحابي وأهل بيتي، ولأقولن ما لم أقله لأحد قبل هذا اليوم، سألتُه مرة أن يدعوني بالمغفرة فقال: أفعل، ثم قام فصلي، فلما رفع يده للدعاء استمعت عليه، فإذا هو قائل: اللهم بحق عليّ عندك اغفر لعليّ، فقلت: يا رسول الله، ما هذا؟ فقال: أواجه أكرم منك عليه فاستشفع به إليه!

٦٢٦ - والله ما قلعت باب خير، ودكدكت حصن يهود بقوة جسمانية بل بقوة إلهية.

٦٢٧ - يابن عوف، كيف رأيت صديقك مع عثماناً رباً واثق حجل، ومن لم يتوخ بعمله وجه الله عاد ماوجه من الناس له دائماً.

٦٢٨ - لو رأيت ما في ميزانك لختمت على لسانك.

٦٢٩ - ليس الحلم ما كان حال الرضا، بل الحلم ما كان حال الغضب.

- ٦٣٠ - ليس شيء أقطع لظهور إبليس من قوله: «لا إله إلا الله»، كلمة التَّوْحِيدِ.
- ٦٣١ - لا تحملوا ذنوبكم وخطاياكم على الله، وتذروا أنفسكم والشيطان.
- ٦٣٢ - إن أخوف ما أخاف على هذه الأمة من الدجال، أئمة مصلون وهم رؤساء أهل البدع.
- ٦٣٣ - إذا زللت فارجع، وإذا ندمت فأقلع، وإذا أسأت فاندب، وإذا مننت فاكثم، وإذا منعت فأجمل، ومن يسلف المعروف يكن رينعه الحمد.
- ٦٣٤ - استشر عدوك تجربة لتعلم مقدار عداوته.
- ٦٣٥ - لا تطلبن من نفسك العام ما وعدتكم عاماً أول.
- ٦٣٦ - أطول الناس عُمرًا من كثر علمه، فتأدب به من بعده، أو كثر معرفته فشرفت به عفته.
- ٦٣٧ - استهنيوا بالموت فإن مرارته في خوفه.
- ٦٣٨ - لا دين لمن لا نية له، ولا مال لمن لا تدبير له، ولا عيش لمن لا رفق له.
- ٦٣٩ - من اشتغل بتقليد اللفظة، وطلب السجعة، نسي الحجة.
- ٦٤٠ - الدنيا مطية المؤمن، عليها يرتحل إلى ربه، فأصلحوا مطاياكم تبلغكم إلى ربكم.
- ٦٤١ - من رأى أنه مسيء فهو محسن، ومن رأى أنه محسن فهو مسيء.
- ٦٤٢ - سيئة تسوءك خير من حسنة تعجبك.
- ٦٤٣ - اطلبوا الحاجات بعزة الأنفس، فإن بيد الله قضاءها.
- ٦٤٤ - عذب حسادك بالإحسان إليهم.
- ٦٤٥ - إظهار الفاقة من خمول الهمة.
- ٦٤٦ - يا عالم، قد قام عليك حجة العلم، فاستغف من رقتك.
- ٦٤٧ - الرفق يقل حد المخالفة.
- ٦٤٨ - أزرع الناس عقلاً، وأكملهم فضلاً، من صحب أئامه بالموادعة وإخوانه بالمسالمة، وقيل من الزمان عفو.
- ٦٤٩ - الوجوه إذا كثر تقابلها، اعتصر بعضها ماء بعض.
- ٦٥٠ - أداء الأمانة مفتاح الرزق.
- ٦٥١ - حصن علمك من العجب، وقارَك من الكبر، وعطاءك من الشرف، وصرامتك من

العجلة، وعقوبتك من الإفراط، وعَفُوكَ من تعطيل الحدود، وصَمَتَكَ مِنَ الْعِي، واستماعَكَ مِنْ سُوءِ الْفَهْم، واستئناسَكَ مِنَ الْبَدَاءِ، وَخَلَوَاتِكَ مِنَ الْإِصَاعَةِ، وَغَرَامَاتِكَ مِنَ اللَّجَاجَةِ وَزَوَّغَاتِكَ مِنَ الْاسْتِسْلَامِ، وَحَذَرَاتِكَ مِنَ الْجُبْنِ.

٦٥٢ - لا تجد للموتور المحقود أماناً من أذاه أوثق من البعد عنه، والاحتراس منه.

٦٥٣ - احذر من أصحابك ومخالطيك الكثير المسألة، الخشن البَحْثِ، اللَّطِيفِ الاستدراج، الذي يحفظُ أَوَّلَ كَلَامِكَ عَلَى آخِرِهِ، وَيَعْتَبِرُ مَا آخَرْتَ بِمَا قَدَّمْتَ، وَلَا تُظْهِرَنَّ لَهُ الْمَخَافَةَ فَيَرَى أَنَّكَ قَدْ تَحَرَّزْتَ وَتَحَفَّظْتَ. واعلم أن من يقطعه القِطْعَةُ إظهار الغفلة مع شدة الحذر، فخالط هذا مخالطة الآمين، وتحفظ منه تحفظ الخائف، فإنَّ البَحْثَ يُظْهِرُ الْخَفِيَّ وَيُبْدِي الْمُسْتَوْرَ الْكَامِنَ.

٦٥٤ - من سرَّه الغنى بلا سلطان، والكثرة بلا عشيرة، فليخرج من ذلك معصية الله إلى عز طاعته، فإنه واجد ذلك كله.

٦٥٥ - الشئب إعداد الموت.

٦٥٦ - من ساس نفسه بالصبر على جهل الناس صلح أن يكون سائساً.

٦٥٧ - لله تعالى كل لحظة ثلاثة صاكر: فمسكر ينزل من الأصلاح إلى الأرحام، وعسكر ينزل من الأرحام إلى الأرض، وعسكر يرتحل من الدنيا إلى الآخرة.

٦٥٨ - اللَّهُمَّ ارحمني رحمة الغفران، إن لم ترحمني رحمة الرضا.

٦٥٩ - إلهي كيف لا يحسن مني الظن وقد حسن منك المن! إلهي إن عاملتنا بعدلك لم يبق لنا حسنة، وإن أنلتنا فضلك لم يبق لنا سيئة.

٦٦٠ - العلم سلطان، من وجده صال به، ومن لم يجده صيل عليه.

٦٦١ - يابن آدم إنما أنت أيا م مجموعة، فإذا مضى يوم مضى بعضك.

٦٦٢ - حيث تكون الحكمة تكون خشية الله، وحيث تكون خشية الله تكون رحمة.

٦٦٣ - اللَّهُمَّ إِنِّي أَرَى لَدَيْكَ مِنْ فَضْلِكَ مَا لَمْ أَسْأَلْكَ، فَعَلِمْتُ أَنَّ لَدَيْكَ مِنَ الرَّحْمَةِ مَا لَا أَعْلَمُ، فَصَفَرْتُ قِيَمَةً مُطْلَبِي فِيمَا عَايَنْتُ، وَقَصَرْتُ غَايَةَ أَمَلِي عِنْدَمَا رَجَوْتُ، فَإِنَّ الْخَفْتُ فِي سُؤَالِي فَلِفَاتِي إِلَى مَا عِنْدَكَ، وَإِنْ قَصُرْتُ فِي دَعَائِي فَبِمَا عَزَّدْتُ مِنْ ابْتِدَائِكَ.

٦٦٤ - من كان ممتاً ما يذخل جوفه كانت قيمته ما يخرج منه.

٦٦٥ - يقول الله تعالى: يابن آدم، لم أخلقك لأزح عليك، إنما خلقتك لتزح علي، فاتخذني بدلاً من كل شيء فإني ناصر لك من كل شيء.

٦٦٦ - الرَّجَاءُ لِلخَالِي سُبْحَانَهُ أَقْوَى مِنَ الْخَوْفِ، لَأَنَّ خَافَهُ لَذَنِكَ، وَتَرْجُوهُ لَجُودِهِ، فَالْخَوْفُ لَكَ وَالرَّجَاءُ لَهُ.

٦٦٧ - أَسَأَلْتُ بَعْرَةَ الْوَحْدَانِيَّةِ، وَكَرَّمَ الْإِلَهِيَّةِ، أَلَا تَقْطَعُ عَنِّي بِرِّكَ بَعْدَ مَمَاتِي، كَمَا لَمْ تَزَلْ تَرَانِي أَيَّامَ حَيَاتِي، أَنْتَ الَّذِي تَجِيبُ مَنْ دَعَاكَ، وَلَا تَخِيبُ مَنْ رَجَاكَ، ضَلُّ مَنْ يَدْعُو إِلَّا إِلَيْكَ، فَمَا لَكَ لَا تَخْجُبُ مِنْ أُنَاكَ، وَتُفْضِلُ عَلَى مَنْ عَصَاكَ، وَلَا يَفُوتُكَ مِنْ نَاوَاكَ، وَلَا يُعْجِزُكَ مَنْ عَاذَاكَ، كُلُّ فِي قُدْرَتِكَ، وَكُلُّ يَأْكُلُ رِزْقَكَ.

٦٦٨ - لَا تَطْلُبْ إِلَى أَحَدٍ حَاجَةً لِيلاً، فَإِنَّ الْحَيَاءَ فِي الْعَيْنِينَ.

٦٦٩ - مِنْ أَرْزَادٍ عُلَمَاءَ فَلْيَحْذَرُ مِنْ تَوْكِيدِ الْحَبِيبَةِ عَلَيْهِ.

٦٧٠ - الْعَاقِلُ يَنَافَسُ الصَّالِحِينَ لِيَلْحَقَ بِهِمْ، وَيَحِبُّهُمْ لِشَارِكِهِمْ بِمَحَبَّتِهِ، وَإِنْ قَصُرَ عَنْ يَثَلِ عَمَلِهِمْ، وَالْجَاهِلُ يَذُمُّ الدُّنْيَا وَلَا يَسْخُو بِإِخْرَاجِ أَقْلُهَا، بِمَدْحِ الْجُودِ، وَيَبْخُلُ بِالْبَذْلِ، يَتَمَنَّى التَّوْبَةَ بِطَوْلِ الْأَمَلِ، وَلَا يُعْجِلُهَا لَخَوْفِ حُلُولِ الْأَجَلِ، يَرْجُو ثَوَابَ عَمَلٍ لَمْ يَعْمَلْ بِهِ، وَيَفِرُّ مِنَ النَّاسِ لِيُطْلَبَ، وَيَخْفِي شَخْصَهُ لِيَسْتَهْزَأَ، وَيَذُمُّ نَفْسَهُ لِيَمْدَحَ، وَيَنْهَى عَنْ مَذْحِهِ وَهُوَ يَحِبُّ إِلَّا يَتَمَتَّى مِنَ الشَّيْءِ عَلَيْهِ.

٦٧١ - الْإِنْسُ بِالْعِلْمِ مِنْ نَبْلِ الْهَيْمَةِ.

٦٧٢ - اللَّهُمَّ كَمَا صُنْتَ وَجْهِي عَنِ السُّجُودِ لغيرِكَ، فَصُنْ وَجْهِي عَنْ مَسْأَلَةِ غَيْرِكَ.

٦٧٣ - مِنَ النَّاسِ مَنْ يَنْقَصُكَ إِذَا زِدْتَهُ، وَيَهُونُ عَلَيْكَ إِذَا خَاصَصْتَهُ، لَيْسَ لِرِضَاكَ مَوْضِعٌ تَعْرِفُهُ، وَلَا لِسَخَطِكَ مَكَانٌ تَحْذَرُهُ، فَإِذَا لَقِيتَ أُولَئِكَ فَاذْنَلْ لَهُمْ مَوْضِعَ الْمَوَدَّةِ الْعَامَّةِ، وَاخْرِمْهُمْ مَوْضِعَ الْخَاصَّةِ، لِيَكُونَ مَا بَذَلْتَ لَهُمْ مِنْ ذَلِكَ حَاتِلًا دُونَ شَرِّهِمْ، وَمَا حَرَمْتَهُمْ مِنْ هَذَا قَاطِعًا لِحَرَمَتِهِمْ.

٦٧٤ - مَنْ شَبِعَ عُقُوبَ فِي الْحَالِ ثَلَاثَ عُقُوبَاتٍ: يُلْقَى الْغَطَاءُ عَلَى قَلْبِهِ، وَالنُّعَاسُ عَلَى عَيْنِهِ، وَالْكَسَلُ عَلَى بَدَنِهِ.

٦٧٥ - ذَمُّ الْعُقَلَاءِ أَشَدُّ مِنْ عُقُوبَةِ السُّلْطَانِ.

٦٧٦ - يَقْطَعُ الْبَلِيعُ عَنِ الْمَسْأَلَةِ أَمْرَانِ: ذُلُّ الطَّلَبِ، وَخَوْفُ الرَّدِّ.

٦٧٧ - الْمُؤْمِنُ مُحَدَّثٌ.

٦٧٨ - قُلْ أَنْ يَنْطِقَ لِسَانُ الدُّعَايِ إِلَّا وَيُخْرِسُهُ كِعَامُ الْإِمْتِحَانِ.

٦٧٩ - انْظُرْ مَا عِنْدَكَ فَلَا تَضَعُهُ إِلَّا فِي حَقِّهِ، وَمَا عِنْدَ غَيْرِكَ فَلَا تَأْخُذْهُ إِلَّا بِحَقِّهِ.

٦٨٠ - إِذَا صَافَاكَ عَدُوٌّكَ رِيَاءً مِنْهُ فَتَلَقَّ ذَلِكَ بِأَوْكَدِ مَوَدَّةٍ، فَإِنَّهُ إِنْ أَلِفَ ذَلِكَ وَاعْتَادَهُ خَلَصَتْ

لَكَ مَوَدَّتُهُ.

٦٨١ - لَا تَأْلَفُ الْمَسَاةَ فَيَاْلَفَكَ الْمَنْعُ.

٦٨٢ - لَا تَسْأَلِ الْخَوَانِجَ غَيْرَ أَهْلِهَا، وَلَا تَسْأَلَهَا فِي غَيْرِ حِينِهَا، وَلَا تَسْأَلْ مَا لَسْتَ لَهُ مُسْتَحَقًّا فَتَكُونَ لِلْحَزْمَانِ مُسْتَرْجَبًا.

٦٨٣ - إِذَا عَشَّكَ صَدِيقُكَ فَاجْعَلْهُ مَعَ عَدُوِّكَ.

٦٨٤ - لَا تَعْدُنْ مِنْ إِخْوَانِكَ مَنْ أَحَاكَ فِي أَيَّامِ مَقْدَرَتِكَ لِلْمَقْدَرَةِ، وَاعْلَمْ أَنَّهُ يَنْتَقِلُ عَنْكَ فِي أَخْوَالِ ثَلَاثٍ: يَكُونُ صَدِيقًا يَوْمَ حَاجَتِهِ إِلَيْكَ، وَمُعْرِضًا يَوْمَ غِنَاكَ عَنْكَ، وَعَدُوًّا يَوْمَ حَاجَتِكَ إِلَيْهِ.

٦٨٥ - لَا تُسَرِّنْ بِكَثْرَةِ الْإِخْوَانِ مَا لَمْ يَكُونُوا أَخِيَارًا، فَإِنَّ الْإِخْوَانَ بِمَنْزِلَةِ النَّارِ الَّتِي قَلِيلُهَا مَنَاعٍ، وَكَثِيرُهَا بَوَارٌ.

٦٨٦ - كَفَاكَ خِيَانَةً أَنْ تَكُونَ أَمِينًا لِلْخَوْنَةِ.

٦٨٧ - لَا تَحْقِرَنَّ شَيْئًا مِنَ الْخَيْرِ وَإِنْ صَغُرَ، فَإِنَّكَ إِذَا رَأَيْتَهُ سَرَّكَ مَكَانَهُ، وَلَا تَحْقِرَنَّ شَيْئًا مِنَ الشَّرِّ وَإِنْ صَغُرَ، فَإِنَّكَ إِذَا رَأَيْتَهُ سَاءَكَ مَكَانَهُ.

٦٨٨ - يَا بَنَ آدَمَ، لَيْسَ بِكَ عَنَاءٌ عَنْ نَصِيكَ مِنَ الدُّنْيَا، وَأَنْتَ إِلَى نَصِيكَ مِنَ الْآخِرَةِ أَفْقَرُ.

٦٨٩ - مَعْصِيَةُ الْعَالَمِ إِذَا خِفَتْ لَمْ تَضُرْ إِلَّا صَاحِبَهَا، وَإِذَا ظَهَرَتْ ضَرَّتْ صَاحِبَهَا وَالْعَامَّةَ.

٦٩٠ - يَجِبُ عَلَى الْعَاقِلِ أَنْ يَكُونَ بِمَا أَخِيَا عَقْلُهُ مِنَ الْحِكْمَةِ أَكْثَفَ مِنْهُ بِمَا أَحْيَا جِسْمُهُ مِنْ

الْغِنَاءِ.

٦٩١ - أَعَسَّرُ الْعَيُوبِ صَلَاحًا الْمُعْجَبُ وَاللَّجَاجَةُ.

٦٩٢ - لِكُلِّ نَعْمَةٍ مِفْتَاحٌ وَمِفْتَاحُهَا الصَّبْرُ، وَمِفْتَاحُهَا الْكَسَلُ.

٦٩٣ - الْحُزْنُ وَالْغَضَبُ أَمِيرَانِ تَابِعَانِ لَوْقُوعِ الْأَمْرِ بِخِلَافٍ مَا تُحِبُّ، إِلَّا أَنْ الْمَكْرُوهَ إِذَا أَتَاكَ مِنْ فَوْقَكَ نَتَجَ عَلَيْكَ حُزْنًا، وَإِنْ أَتَاكَ مِنْ دُونِكَ نَتَجَ عَلَيْكَ غَضَبًا.

٦٩٤ - أَوَّلُ الْمَعْرُوفِ مُسْتَحَقٌّ، وَآخِرُهُ مُسْتَقْتَلٌ، تَكَادُ أَوَانِلُهُ تَكُونُ لِلْهَوَى دُونَ الرَّأْيِ، وَآخِرُهُ لِلرَّأْيِ دُونَ الْهَوَى، وَلِذَلِكَ قِيلَ: وَبِ الصَّنِيعَةِ أَشَدُّ مِنَ الْإِبْتِدَاءِ بِهَا.

٦٩٥ - لَا تَدْعُ اللَّهَ أَنْ يُغْنِيكَ عَنِ النَّاسِ فَإِنَّ حَاجَاتِ النَّاسِ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ مُتَّصِلَةٌ كَاتِلَاتُ الْأَغْصَانِ فَتَنِي بِمَغْنَى الْعَرَةِ عَنْ يَدِي أَوْ رِجْلِهِ وَلَكِنْ ادْعُ اللَّهَ أَنْ يُغْنِيكَ عَنْ شِرَارِهِمْ.

٦٩٦ - احْتَرَسْ مِنْ ذِكْرِ الْعِلْمِ عِنْدَ مَنْ لَا يَرْغَبُ فِيهِ، وَمِنْ ذِكْرِ قَدِيمِ الشَّرَفِ عِنْدَ مَنْ لَا قَدِيمَ لَهُ، فَإِنَّ ذَلِكَ مِمَّا يَحْقِدُهُمَا عَلَيْكَ.

٦٩٧ - يَنْبَغِي لِذَوِي الْقَرَابَاتِ أَنْ يَتَّأَوَّزُوا وَلَا يَتَجَاوَّزُوا.



- ٦٩٨ - لا تواخ شاعراً فإنه يمدحك بمن، ويهجوكم مجاناً.
- ٦٩٩ - لا تنزل حوائجك بجيد اللسان، ولا بمسرح إلى الضمان.
- ٧٠٠ - كل شيء طلبته في وقته فقد فات وقته.
- ٧٠١ - إذا شككت في مودة إنسان فاشأل قلبك عنه.
- ٧٠٢ - العقل لم ينجني على صاحبه قط، والعلم من غير عقل ينجني على صاحبه.
- ٧٠٣ - يابن آدم، هل تنتظر إلا هراً حائلاً، أو مرضاً شاعلاً، أو موتاً نازلاً
- ٧٠٤ - ابنك يأكلك صغيراً ويرثك كبيراً، وابنتك تأكل من وحاك، وترث من أعدائك، وابن عمك عدوك وعدو عدوك، وزوجتك إذا قلت لها قومي قامت.
- ٧٠٥ - إذا ظفرتُم فاحرموا القلبة، وعليكم بالتعاضل فإنه فعل الكرام، وإياكم والمن فإنه مهدة للصنيع، منبهة للضيف.
- ٧٠٦ - من لم يرح إلا ما يستوجبُه أدرك حاجته.
- ٧٠٧ - بلغ من غدع الناس، أن جعلوا شكر الموتى تجارة عند الأحياء، والثناء على الغائب استمالة للشاهد.
- ٧٠٨ - من احتاج إليك ثقل عليك، ومن لم يضلحه الخير أصلحه الشر، ومن لم يضلحه الطائي أصلحه الكاوي.
- ٧٠٩ - من أكثر من شيء عرف به، ومن زنى زني به، ومن طلب عظيماً خاطرَ بعظمته، ومن أحب أن يصير أخاه فليقرضه ثم ليقتضه، ومن أحبك لشيء ملك عند انقضائه، ومن عرف بالحكمة لاحظته العيون بالوقار.
- ٧١٠ - من بلغ السبعين اشتكى من غير جلة.
- ٧١١ - في المال ثلاث خصال مذمومة: إما أن يكتسب من غير جله، أو ينفق إنفاقه في حق، أو يشغل بإصلاحه عن عبادة الله تعالى.
- ٧١٢ - يواعدك من غضب الله ألا تغضب.
- ٧١٣ - لا تستبدلن بأخ لك قديم أخاً مستفاداً ما استقام لك، فإنك إن فعلت فقد غيرت، وإن غيرت تغيرت نعم الله عليك.
- ٧١٤ - أشد من البلاء شامة الأعداء.
- ٧١٥ - ليس يزني فرجك إن غصضت طرفك.
- ٧١٦ - كما ترك لكم الملوك الحكمة والعلم فاتركوا لهم الدنيا.

٧١٧ - الهدية تفق عين الحكيم.

٧١٨ - ليكن أضيافك كثيراً، واجعل سرك منهم إلى واحد.

٧١٩ - يا عبيد الدنيا، كيف تُخالف فُرُوعَكُمْ أصولَكُمْ، وعُقُولَكُمْ أهْوَاءَكُمْ، قَوْلُكُمْ شفاءً يُبْرِئُ الدَّاءَ، وعَمَلُكُمْ داءٌ لا يقبلُ الدَّواءَ، وَلَسْتُمْ كَالْكَرْمَةِ الَّتِي حَسَنَ رَوْقُهَا، وطَابَ ثَمَرُهَا، وسَهْلَ مَرْتَعَاها، وَلَكِنَّكُمْ كَالشَّجَرَةِ الَّتِي قَلَّ رَوْقُهَا، وكَثُرَ شَوْكُهَا، وَخَبَثَ ثَمَرُهَا، وصَغِبَ مَرْتَعَاها. جَعَلْتُمْ العلمَ تحتَ أَفْدَانِيكُمْ، والدُّنْيَا فوقَ رُؤُوسِكُمْ، فالعلمُ عندَكُمْ مُذَالٌ مَسْتَهَنٌ، والدُّنْيَا لا يُسْتَطَاعُ تناولُها، فَقَدْ مَنَعْتُمْ كُلَّ أَحَدٍ مِنَ الْوُصُولِ إِلَيْهَا، فلا أَخْرَارَ كَرَامَ أَنْتُمْ، ولا عِيْدَ انْقِيَاءٍ. وَنَحْكُمُ يَا أَجْرَاءَ السُّوءِ! أَمَّا الْأَجْرُ فَتَأْخُذُونَ، وَأَمَّا الْعَمَلُ فَلَا تَعْمَلُونَ، إِنْ عَمِلْتُمْ فَلِلْعَمَلِ تَفْسُدُونَ، وَسَوْفَ تَلْقَوْنَ مَا تَعْمَلُونَ، يُوشِكُ رَبُّ الْعَمَلِ أَنْ يَنْظُرَ فِي عَمَلِهِ الَّذِي أَفْسَدْتُمْ، وَفِي أَجْرِهِ الَّذِي أَخَذْتُمْ. يَا غَرَمَاءَ السُّوءِ، تَبْدُونَ بِالْهَدِيَةِ قَبْلَ قَضَاءِ الدِّينِ، تَتَطَوَّعُونَ بِالتَّوَافُلِ وَلَا تُؤَدُّونَ الْفَرَاضَ، إِنْ رَبُّ الدُّنْيَا لَا يُرْضَى بِالْهَدِيَةِ حَتَّى يُقْضَى دِينُهُ.

٧٢٠ - الدُّنْيَا مَزْرَعَةٌ إِبْلِيسَ، وأَهْلُهَا أَكْرَةُ حَرَّاثُونَ لَهُ فِيهَا.

٧٢١ - وَاغْبِثَا مِمَّنْ يَعْمَلُ لِلدُّنْيَا وَهُوَ يَرْزُقُ فِيهَا بِغَيْرِ عَمَلٍ، وَلَا يَعْمَلُ لِلْآخِرَةِ وَهُوَ لَا يَرْزُقُ فِيهَا إِلَّا بِالْعَمَلِ!

٧٢٢ - لَا تُجَالِسُوا إِلَّا مَنْ يَذْكُرُكُمْ اللَّهَ رُؤْيَتُهُ، وَيَزِيدُ فِي عَمَلِكُمْ مَنْطِقَهُ، وَيَرْغَبُكُمْ فِي الْآخِرَةِ عَمَلُهُ.

٧٢٣ - كَثْرَةُ الطَّعَامِ تَمِيتُ الْقَلْبَ كَمَا تَمِيتُ كَثْرَةُ الْمَاءِ الزَّرْعَ.

٧٢٤ - ضَرْبُ الْوَالِدِ الْوَلَدَ كَالسَّمَاءِ لِلزَّرْعِ.

٧٢٥ - إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَصَادِقَ رَجُلًا فَأَغْضِبْهُ، فَإِنْ أَنْصَفَكَ فِي غَضَبِهِ وَإِلَّا فَدَعُهُ.

٧٢٦ - إِذْ أُتِيتَ مَجْلِسَ قَوْمٍ فَارْمِهِمْ بِسَهْمِ الْإِسْلَامِ، ثُمَّ اجْلِسْ - يَعْنِي السَّلَامَ - فَإِنْ أَفَاضُوا فِي ذِكْرِ اللَّهِ فَأَجِلْ سَهْمَكَ مَعَ سِبْهَائِهِمْ، وَإِنْ أَفَاضُوا فِي غَيْرِهِ فَخَلِّمْهُمْ وَانْهَضْ.

٧٢٧ - الْأَوْطَارُ تَكْسِبُ الْأَوْزَارَ، فَارْتَضِ وَلَرَكْ، وَاعْظُضْ بِصَرَكَ.

٧٢٨ - إِذَا قَعَدْتَ عِنْدَ سُلْطَانٍ فَلْيَكُنْ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ مَقْعَدُ رَجُلٍ، فَلَعَلَّهُ أَنْ يَأْتِيَهُ مِنْ هُوَ أَثَرٌ عِنْدَ مَنْكَ، فَيُرِيدُ أَنْ تَنْتَحِيَ عَنْ مَجْلِسِكَ، فَيَكُونُ ذَلِكَ نَقْصًا عَلَيْكَ وَشَيْنًا.

٧٢٩ - اِرْحَمِ الْفُقَرَاءَ لِقَلَّةِ صَبْرِهِمْ، وَالْأَغْنِيَاءَ لِقَلَّةِ شُكْرِهِمْ، وَارْحَمِ الْجَمِيعَ لِطُولِ غَفْلَتِهِمْ.

٧٣٠ - الْعَالِمُ مُصْبَاحُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ، فَمَنْ أَرَادَ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا اقْبَسْ مِنْهُ.

٧٣١ - لا يهونُ عليك من فتح منظرة ورث لباسه، فإن الله تعالى ينظرُ إلى القلوبِ ويجازي بالأعمالِ.

٧٣٢ - من كذبَ ذهبَ بماءٍ وجهه، ومن ساءَ حُلُمُه كثرَ عَمُه، ونقل الصخورِ من مواضعها أهونُ من تفهيمِ من لا يفهمُ.

٧٣٣ - كنتُ في أيامِ رسولِ الله ﷺ كجزءٍ من رسولِ الله ﷺ، ينظرُ إلي الناسُ كما ينظرُ إلى الكواكبِ في أفق السماء، ثم غَضَّ الدهرُ مني، فقرنَ بي فلانٌ وفلانٌ، ثم قرئتُ بخمسةِ أمثلهمُ عثمانُ، فقلتُ: وأذقراهُ! ثم لم يَرَضِ الدهرُ لي بذلك، حتى أزدلني، فجعلني نظيراً لابنِ هِنْدٍ وابنِ النابغةِ! لقد استتتِ الفصالُ حتى القرعى.

٧٣٤ - أما والذي فلقَ الحبةَ، وبرأ النَسَمَةَ، إنه لعهدُ النبي الأُميِّ إلي أن الأمةَ ستغديرُ بك من بعدي.

٧٣٥ - لامتهُ فاطمةُ على قُعوده وأطالت تعنيفه، وهو ساكتٌ حتى أذنَ المؤذنُ، فلما بلغ إلى قوله: «أشهد أن مُحَمَّدًا رسولُ الله»، قال لها: أتحبين أن تزولَ هذه الدعوةَ من الدنيا؟ قالت: لا، قال: فهو ما أقولُ لك.

٧٣٦ - قالَ لي رسولُ الله ﷺ: «إن اجتمعوا عليك فاصنع ما امرتك، وإلا فالصق كلكَ بالأرض، فلما تفرقوا عني جرتُ على المكروءِ ذيلي، واغضيتُ على القذى جفني، والصقتُ بالأرضِ كلكي».

٧٣٧ - الدنيا حُلُمٌ والآخرَةُ يقظةٌ، ونحنُ بينهما أضغاثُ أحلام.

٧٣٨ - لَمَّا عَرَفَ أهلُ النقصِ حالَهُمْ عندَ أهلِ الكمالِ، استعانوا بالكبرِ ليعظمَ صغیراً، ويرفعَ حقيراً، وليسَ بفاعلٍ.

٧٣٩ - لو تميزتِ الأشياءُ كانَ الكذبُ مع الجُبْنِ، والصدقُ مع الشجاعةِ، والراحَةُ مع اليأسِ، والتَّعَبُ مع الطمعِ، والحرمانُ مع الحرصِ، والذلُّ مع الذنْبِ.

٧٤٠ - المعروفُ غُلٌّ لا يَنْكُهُ إلا شکرٌ أو مكافأةٌ.

٧٤١ - كثرةُ مالِ الميتِ تسلي ورضتهُ عنه.

٧٤٢ - من كُرِمَتْ عليه نفسُهُ هَانَ عليه ماله.

٧٤٣ - من كثرَ مَواخِهُ لم يسلمَ من استخفافِ به، أو حقدٍ عليه.

٧٤٤ - كثرةُ الذنْبِ تضطرُّ الصادقَ إلى الكذبِ والواعدَ إلى الإخلافِ.

٧٤٥ - عارُ النصيحةِ يكدرُ لذتها.

٧٤٦ - أَوَّلُ الْغَضَبِ جَنُونٌ، وَآخِرُهُ نَدَمٌ.

٧٤٧ - انْفِرِدْ بِسَرِّكَ وَلَا تَوَدَّعُهُ حَازِمًا فَيَزِلَّ، وَلَا جَاهِلًا فَيَخُونَ.

٧٤٨ - لَا تَقْطَعْ أَخَاكَ إِلَّا بَعْدَ عَجْزِ الْحِيلَةِ عَنْ اسْتِصْلَاحِهِ، وَلَا تُتْبِعْهُ بَعْدَ الْقَطْعِ قَبِيْعَةً فِيهِ، فَتُسَدَّ طَرِيقَةُ عَنِ الرَّجُوعِ إِلَيْكَ، وَلَعَلَّ التَّجَارِبَ أَنْ تَرُدَّهُ عَلَيْكَ وَتُضْلِحَهُ لَكَ.

٧٤٩ - مَنْ أَحْسَنَ بَضْعَ حِيلَتِهِ عَنِ الْاِكْتِسَابِ بِخَلٍّ.

٧٥٠ - الْجَاهِلُ صَغِيرٌ وَإِنْ كَانَ شَيْخًا، وَالْعَالِمُ كَبِيرٌ وَإِنْ كَانَ حَدَثًا.

٧٥١ - الْمَيْتُ يَقُولُ الْحَسَدُ لَهُ، وَيَكْثُرُ الْكُذْبُ عَلَيْهِ.

٧٥٢ - إِذَا نَزَلَتْ بِكَ النِّعْمَةُ فَاجْعَلْ قِرَاها الشُّكْرَ.

٧٥٣ - الْجَوْضُ يَنْقُصُ مِنْ قَدْرِ الْإِنْسَانِ وَلَا يَزِيدُ فِي حَقْلِهِ.

٧٥٤ - الْفُرْصَةُ سَرِيعَةُ الْفَوْتِ بَطِينَةُ الْعُودِ.

٧٥٥ - أَبْخَلُ النَّاسِ بِمَالِهِ أَجُودَهُمْ بِعِرْضِهِ.

٧٥٦ - لَا تَتَّبِعِ الذَّنْبَ الْعَقُوبَةَ وَاجْعَلْ بَيْنَهُمَا وَقْتًا لِلْاِعْتِذَارِ.

٧٥٧ - اذْكُرْ عِنْدَ الظُّلَمِ عَدْلَ اللَّهِ فِيكَ، وَعِنْدَ الْقُدْرَةِ قُدْرَةَ اللَّهِ عَلَيْكَ.

٧٥٨ - لَا يَحْمِلُنَّكَ الْحَقُّ عَلَى اقْتِرَافِ الْإِثْمِ فَتَشْفِي غِيظَكَ وَتَسْقَمَ دِينَكَ.

٧٥٩ - الْمُلْكُ بِالَّذِينَ يَبْقَى وَالذِّينُ بِالْمَلِكِ يَفُوزُ.

٧٦٠ - كَانَ الْحَاسِدُ إِنَّمَا خَلَقَ لِيُفْتَاطَ.

٧٦١ - عَقْلُ الْكَاتِبِ فِي قَلَمِهِ.

٧٦٢ - اقْتَصِرْ مِنْ شَهْوَةِ خَالَفَتْ عَقْلَكَ بِالْخِلَافِ عَلَيْهَا.

٧٦٣ - اللَّهُمَّ صُنْ وَجْهِي بِالْيَسَارِ، وَلَا تَبْذُلْ جَاهِي بِالْاِقْتَارِ، فَاسْتَرْزُقْ طَالِبِي رِزْقَكَ، وَاسْتَعِظْ شِرَارَ خَلْقِكَ، وَأَبْتَلِي بِحَمْدِ مَنْ أَعْطَانِي، وَافْتِنِ بَذَمِ مَنْ مَنَعَنِي، وَأَنْتَ مِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ وَلِيّ الْإِعْطَاءِ وَالْمَنْعِ، إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

٧٦٤ - كُلُّ حَقْدٍ حَقْدُهُ قَرِيشٌ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَظْهَرُهُ فِيَّ وَسْتَظْهَرُهُ فِي وَلَدِي مِنْ بَعْدِي، مَا لِي وَلِقَرِيشٍ إِنَّمَا وَتَرْتُهُمْ بِأَمْرِ اللَّهِ وَأَمْرِ رَسُولِهِ، أَفْهَذَا جَزَاءُ مَنْ أَطَاعَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كَانُوا مُسْلِمِينَ!

٧٦٥ - عَجِبًا لِسَعْدِ وَائِنِ عَمْرٍَا يَزْعُمَانِ أَنِّي أَحَارِبُ عَلَى الدُّنْيَا، أَفَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَحَارِبُ عَلَى الدُّنْيَا! فَإِنْ زَعَمَا أَنْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حَارِبٌ لَتَكْسِيرِ الْأَصْنَامِ، وَعِبَادَةِ الرَّحْمَنِ، فَإِنَّمَا حَارِبْتُ لِدَفْعِ الضَّلَالِ وَالنُّهْيِ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْفَسَادِ، أَفَمَثَلِي يُزَنُّ بِحُبِّ الدُّنْيَا! وَاللَّهِ لَوْ تَمَثَّلْتُ لِي بَشَرًا سَوِيًّا لَضَرَبْتُهَا بِالسَّيْفِ.

٧٦٦ - اللَّهُمَّ أَنْتَ خَلَقْتَنِي كَمَا شِئْتَ، فَأَوْحِنِي كَيْفَ شِئْتَ، وَوَقِّنِي لِعَاطَتِكَ، حَتَّى تَكُونَ نَفْتِي كُلَّهَا بِكَ، وَخَوْفِي كُلَّهُ مِنْكَ.

٧٦٧ - لَا تَسْبِيَنَّ إِبْلِيسَ فِي الْعِلَائِيَّةِ وَأَنْتَ صَدِيقُهُ فِي السَّرِّ.

٧٦٨ - مَنْ لَمْ يَأْخُذْ أَقْبَةَ الصَّلَاةِ قَبْلَ وَقْتِهَا فَمَا وَقَرَهَا.

٧٦٩ - لَا تَطْمَعُ فِي كُلِّ مَا تَسْمَعُ.

٧٧٠ - مَنْ عَاتَبَ وَرَبِّحَ فَقَدْ اسْتَوْفَى حَقَّهُ.

٧٧١ - الْجُودُ الَّذِي يَسْتَطَاعُ أَنْ يُتَأَوَّلَ بِهِ كُلُّ أَحَدٍ، هُوَ أَنْ يَنْوِيَ الْخَيْرَ لِكُلِّ أَحَدٍ.

٧٧٢ - مَنْ صَحَبَ السُّلْطَانَ بِالصَّحَّةِ وَالنَّصِيحَةِ كَانَ أَكْثَرَ عَدُوًّا وَمَنْ صَحَبَهُ بِالغَشِّ وَالْخِيَانَةِ.

٧٧٣ - مَنْ عَابَ سَفَلَةً فَقَدْ رَفَعَهُ، وَمَنْ عَابَ كَرِيمًا فَقَدْ وَضَعَ نَفْسَهُ.

٧٧٤ - الْمَوَالِي يَنْصَرُونَ، وَيَنُوءُ الْعَمَلُ يَحْسَدُونَ.

٧٧٥ - الصَّدَقُ عَزٌّ، وَالْكَذِبُ مَذَلَّةٌ، وَمَنْ عَرَفَ بِالصَّدَقِ جَاوِزَ كَذِبِهِ، وَمَنْ عَرَفَ بِالْكَذِبِ لَمْ

يَجُزِ صِدْقُهُ.

٧٧٦ - إِذَا سَمِعْتَ الْكَلِمَةَ تُؤْذِيكَ فَطَلِّطِ لَهَا فَإِنَّهَا تَسْخَطُكَ.

٧٧٧ - نَحْنُ نَرِيدُ إِلَّا نُمُوتَ حَتَّى تَتُوبَ، وَنَحْنُ لَا نَتُوبُ حَتَّى نُمُوتَ.

٧٧٨ - أَنْزَلَ الصَّدِيقُ مَنَزَلَةَ الْعَدُوِّ فِي رَفْعِ الْمُؤْمِنَةِ عَنْهُ، وَأَنْزَلَ الْعَدُوُّ مَنَزَلَةَ الصَّدِيقِ فِي تَحْمِلِ

الْمُؤْمِنَةِ لَهُ.

٧٧٩ - أَوَّلُ عَقُوبَةِ الْكَاذِبِ أَنْ صَدَقَهُ يَرُدُّ عَلَيْهِ.

٧٨٠ - الْأَدَبُ عِنْدَ الْأَحْمَقِ كَالْمَاءِ الْعَذْبِ فِي أَصُولِ الْحَنْظَلِ، كُلَّمَا أَزْدَادَ رِيًّا أَزْدَادَ مَرَارَةً.

٧٨١ - إِنَّاكُمْ وَحِمَّةُ الْأَوْغَادِ، فَإِنَّهُمْ يَرُوزُونَ الْعَفْوَ ضَيْمًا.

٧٨٢ - الْكَرِيمُ لَا يَسْتَقْصِي فِي مُحَاقَةِ الْمُعْتَذِرِ، خَوْفًا أَنْ يَجْزِيَ مِنْ لَا يَجِدُ مَخْرَجًا مِنْ

ذَنْبِهِ.

٧٨٣ - الْعَفْوُ عَنِ الْمُقَرَّرِ لَا عَنِ الْمُصِيرِ.

٧٨٤ - مَا اسْتَغْنَى أَحَدٌ بِاللَّهِ إِلَّا افْتَقَرَ النَّاسُ إِلَيْهِ.

٧٨٥ - مَنْ جَاءَ بِمَالِهِ فَقَدْ جَاءَ بِنَفْسِهِ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ جَاءَ بِهَا بِعَيْتِهَا فَقَدْ جَاءَ بِقَوَائِمِهَا.

٧٨٦ - الَّذِينَ مِيسَمُ الْكِرَامِ، وَطَالَمَا وَقَرَّ الْكِرَامُ بِالذِّينِ!

٧٨٧ - الْمَاضِي قَبْلَكَ هُوَ الْبَاقِي بَعْدَكَ، وَالتَّهَنُّتُ بِأَجْلِ الثَّوَابِ أَوَّلَى مِنَ التَّعَزُّتِ بِعَاجِلِ

الْمُصَافِ.

٧٨٨ - وَمَا نَكْتَسِبُ بِهِ الْمَحَبَّةَ أَنْ تَكُونَ عَالِماً كَجَاهِلٍ ، وَوَاعِظاً كَمَوْعِظٍ .

٧٨٩ - لَا تَحْمَدَنَّ الصَّبِيَّ إِذَا كَانَ سَخِيّاً ، فَإِنَّهُ لَا يَعْرِفُ فَضِيلَةَ السَّخَاءِ ، وَإِنَّمَا يَعْطِي مَا فِي يَدِهِ ضَعْفًا .

٧٩٠ - خَيْرُ الْإِخْوَانِ مَنْ إِذَا اسْتَغْنَيْتَ عَنْهُ لَمْ يَزِدْ فِي الْمَوَدَّةِ ، وَإِنْ احْتَجَجْتَ إِلَيْهِ لَمْ يَنْقُصَكَ مِنْهَا .

٧٩١ - عَجَبًا لِلسُّلْطَانِ ، كَيْفَ يُخَيِّرُ ، وَهُوَ إِذَا أَسَاءَ وَجَدَ مِنْ يَرْكَبِهِ وَيَمْدَحُهُ !

٧٩٢ - إِذَا صَادَقْتَ إِنْسَانًا وَجَبَ عَلَيْكَ أَنْ تَكُونَ صَدِيقَ صَدِيقِهِ ، وَلَيْسَ يَجِبُ عَلَيْكَ أَنْ تَكُونَ عَدُوَّ عَدُوِّهِ ، لِأَنَّ هَذَا إِنَّمَا يَجِبُ عَلَى خَادِمِهِ وَلَيْسَ يَجِبُ عَلَى مُمَائِلٍ لَهُ .

٧٩٣ - لَيْسَ تَكْمَلُ فَضِيلَةُ الرَّجُلِ حَتَّى يَكُونَ صَدِيقًا لِمَتَعَادِيَيْنِ .

٧٩٤ - مِنْ سَعَادَةِ الْحَدِيثِ أَلَّا يَتِمَّ لَهُ فَضِيلَةٌ فِي رَذِيلَةٍ .

٧٩٥ - إِذَا مُنِعْتَ مِنْ شَيْءٍ قَدِ التَّمَسَّكُ ، فَلْيَكُنْ غِيْظُكَ مِنْهُ عَلَى نَفْسِكَ فِي الْمَسْأَلَةِ أَكْثَرَ مِنْ غِيْظِكَ عَلَى مَنْ مَنَعَكَ .

٧٩٦ - الْأَسْخِيَاءُ يَشْتَمُونَ بِالْبُخْلَاءِ عِنْدَ الْمَوْتِ ، وَالْبُخْلَاءُ يَشْتَمُونَ بِالْأَسْخِيَاءِ عِنْدَ الْفَقْرِ .

٧٩٧ - لَيْسَ يَضْبِطُ الْعَدَدَ الْكَثِيرَ مَنْ لَا يَضْبِطُ نَفْسَهُ الْوَاحِدَةَ .

٧٩٨ - إِذَا أَحْسَنَ أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِكَ فَلَا تَخْرُجْ إِلَيْهِ بِغَايَةِ بَرِّكَ ، وَلَكِنْ انْزُكْ مِنْهُ شَيْئاً تَزِيدُهُ إِيَّاهُ عِنْدَ تَبَيُّنِكَ مِنْهُ الزِّيَادَةَ فِي نَصِيحَتِهِ .

٧٩٩ - الرُّقُوعُ فِي الْمَكْرُوهِ أَسْهَلُ مِنْ تَوَقُّعِ الْمَكْرُوهِ .

٨٠٠ - الْحَسَدُ ظَالِمٌ ، ضَعَفَتْ يَدُهُ عَنِ انْتِزَاعِ مَا حَسَدَكَ عَلَيْهِ ، فَلَمَّا قَصَرَ عَلَيْكَ بَعَثَ إِلَيْكَ تَأْسُفَهُ .

٨٠١ - أَعْمُ الْأَشْيَاءِ نَفْعاً مَوْتُ الْأَشْرَارِ .

٨٠٢ - الشَّيْءُ الْمَعْرُوفُ لِلنَّاسِ عَنْ مَصَائِبِهِمْ عِلْمُ الْعُلَمَاءِ أَنَّهَا نَفْعَاءُ اضْرَارِيَّةٌ وَتَأْسِيٌّ الْعَامَّةِ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ .

٨٠٣ - الْعَقْلُ الْإِصَابَةُ بِالظَّنِّ وَمَعْرِفَةُ مَا لَمْ يَكُنْ بِمَا كَانَ .

٨٠٤ - يَا عَجَبًا لِلنَّاسِ قَدْ مَكَّنَّهُمُ اللَّهُ مِنَ الْاِقْتِدَاءِ بِهِ ، فَيَدْعُونَ ذَلِكَ إِلَى الْاِقْتِدَاءِ بِالْبَهَائِمِ !

٨٠٥ - سَلُوا الْقُلُوبَ عَنِ الْمَوَدَاتِ ، فَإِنَّهَا شُهُودٌ لَا تَقْبَلُ الرُّشَا .

٨٠٦ - إِنَّمَا يَحْزَنُ الْحَسَدُ أَبَدًا لِأَنَّهُمْ لَا يَحْزَنُونَ لِمَا يَنْزِلُ بِهِمْ مِنَ الشَّرِّ فَقَطْ ، بَلْ وَلِمَا يَنَالُ النَّاسَ مِنَ الْخَيْرِ .

٨٠٧ - العشق جهدٌ عارضٌ صادف قلباً فارغاً.

٨٠٨ - تُعرَفُ خساسةُ المرءِ بكثرةِ كلامِهِ فيما لا يَنْفَعُهُ، وإخبارو عَمَّا لا يُسألُ عَنْهُ.

٨٠٩ - لا تَوَحَّرْ إنالَةَ المحتاجِ إلى غَدٍ، فَإِنَّكَ لا تعرفُ ما يعْرِضُ في غَدٍ.

٨١٠ - إِنْ تَتَعَبَ في البرِّ، فَلَنْ التَّعَبَ بِزَوْلٍ والبرِّ يَنْقُصُ.

٨١١ - أَجْهَلُ الْجَاهِلِ مَنْ عَثَرَ بِحَجَرٍ مَرَّتَيْنِ.

٨١٢ - كُفَاكَ مُؤْبَخاً عَلَى الكَذِبِ عِلْمُكَ بِأَنَّكَ كاذِبٌ، وكُفَاكَ نَاهِياً عَنْ خَوْفِكَ مِنْ تَكْذِيبِكَ حَالِ إِبْخَارِكَ.

٨١٣ - الْعَالَمُ يَعْرِفُ الْجَاهِلَ لِأَنَّهُ كَانَ جَاهِلاً، وَالْجَاهِلُ لَا يَعْرِفُ الْعَالَمَ لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ عَالِماً.

٨١٤ - لَا تَتَكَلَّوْا عَلَى الْبَخْتِ فَرُبَّمَا لَمْ يَكُنْ وَرُبَّمَا كَانَ وَزَالٌ، وَلَا عَلَى الْحَسْبِ فَطَالَمَا كَانَ بِلَاءٌ عَلَى أَهْلِهِ، يَقَالُ لِلنَّاقِصِ: هَذَا ابْنُ فَلَانٍ الْفَاضِلِ، فَيَتَضَاعَفُ غَمُّهُ وَعَارُهُ، وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِالْعِلْمِ وَالْأَدَبِ، فَإِنَّ الْعَالَمَ يُكْرَمُ وَإِنْ لَمْ يَتَسَبَّ، وَيُكْرَمُ وَإِنْ كَانَ فَقِيراً، وَيُكْرَمُ وَإِنْ كَانَ حَذِثاً.

٨١٥ - خَيْرٌ مَا عَوَّشَ بِهِ الْمَلِكُ قَلْعَةَ الْخِلَافِ وَتَخْفِيفُ الْمُؤْنَةِ، وَأَصْعَبُ الْأَشْيَاءِ عَلَى الْإِنْسَانِ أَنْ يَعْرِفَ نَفْسَهُ، وَإِنْ يَكْتُمُ سِرَّهُ.

٨١٦ - الْعَدْلُ أَفْضَلُ مِنَ الشَّجَاعَةِ، لِأَنَّ النَّاسَ لَوْ اسْتَعْمَلُوا الْعَدْلَ عَمُوماً فِي جَمِيعِهِمْ لَاسْتَغْنَوْا عَنِ الشَّجَاعَةِ.

٨١٧ - أَوَّلَى الْأَشْيَاءِ أَنْ يَتَعَلَّمَهَا الْأَخْدَاتُ الْأَشْيَاءَ الَّتِي إِذَا صَارُوا رِجَالاً احْتَاجُوا إِلَيْهَا.

٨١٨ - لَا تَرْغَبْ فِي اقْتِنَاءِ الْأَمْوَالِ، وَكَيْفَ تَرْغَبُ فِيمَا يَنَالُ بِالْبَخْتِ لَا بِالِاسْتِحْقَاقِ، وَيَأْمُرُ الْبَخْلُ وَالشَّرُّ بِحِفْظِهِ وَالْجُودُ وَالزُّهْدُ بِإِخْرَاجِهِ.

٨١٩ - إِذَا عَاتَبْتَ الْحَدِيثَ فَاتْرَكْ لَهُ مَوْضِعاً مِنْ ذَنْبِهِ، لِئَلَّا يَحْمِلَهُ الْإِخْرَاجُ عَلَى الْمَكَابِرِ.

٨٢٠ - مَا انْتَقَمَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَدُوِّهِ بِأَعْظَمِ سَنٍ أَنْ يَزِدَادَ مِنَ الْفَضَائِلِ.

٨٢١ - إِنَّمَا لَمْ تَجْتَمِعِ الْحِكْمَةُ وَالْعَالُ، لِعَزَّةِ وَجُودِ الْكَمَالِ.

٨٢٢ - يَمْنَعُ الْجَاهِلُ أَنْ يَجِدَ أَلَمَ الْحَقِّ الْمُسْتَقَرِّ فِي قَلْبِهِ مَا يَمْنَعُ السَّكَرَانُ أَنْ يَجِدَ مَسَّ الشُّوْكَةِ فِي يَدِهِ.

٨٢٣ - الْقُنْيَةُ مَخْدُومَةٌ، وَمَنْ خَدَمَ غَيْرَ نَفْسِهِ فَلَيْسَ بِحُرٍّ.

٨٢٤ - لَا تَطْلُبِ الْحَيَاةَ لِتَأْكُلَ، بَلِ اطْلُبِ الْأَكْلَ لِتَحْيَا.

٨٢٥ - إذا رأيت العامة منازل الخاصة من السلطان حسدتها عليها، وتمنت أمثالها، فإذا رأت مصارعها بدا لها.

٨٢٦ - الشيء الذي لا يستغني عنه أحد هو التوفيق.

٨٢٧ - ليس ينبغي أن يقع التصديق إلا بما يصح، ولا العمل إلا بما يحل، ولا الابتداء إلا بما تحسن فيه العاقبة.

٨٢٨ - الوحدة خير من رفيق السوء.

٨٢٩ - لكل شيء صناعة، وحسن الاختيار صناعة العقل.

٨٣٠ - من حسبك لم يشكرك على إحسانك إليه.

٨٣١ - البغي آخر مدة الملوك.

٨٣٢ - لأن يكون الحر عبداً لعيبه خير من أن يكون عبداً لشهوته.

٨٣٣ - من أنضى يومه في غير حق قضاء، أو فرض أداء، أو مجر بناء، أو حذر حصلة، أو خير أسسه، أو علم اقتبسه، فقد عقر يومه.

٨٣٤ - أرسل إليه عمرو بن العاص يعيبه بأشياء، منها أنه يسمى حسناً وحسيناً: ولدي رسول الله ﷺ فقال لرسوله: قل للشاني<sup>(١)</sup> ابن الشاني، لو لم يكونا ولذيه لكان أبتراً، كما زعم أبوك!

٨٣٥ - قال معاوية لما قُتل عمار واضطرب أهل الشام لرواية عمرو بن العاص كانت لهم: تقتله الفتنة الباغية: إنما قتله من أخرجه إلى الحرب وعرضه للقتل، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: فرسول الله ﷺ: إذن قاتل حمزة!

٨٣٦ - هذا يدي - يعني محمد بن الحنفية - وهذان عيناى - يعني حسناً وحسيناً - وما زال الإنسان يدب بيديه عن عينيه، قالها لمن قال له: إنك تعرض محمدًا للقتل، وتذف به في نحور الأعداء دون أخويه.

٨٣٧ - شكرت الواهب، وبورك لك في الموهوب، وذرفت خيره وبره، خذ إليك أبا الأملاك، قالها لعبد الله بن العباس لما وليد ابنته علي بن عبد الله.

٨٣٨ - ما يسرني أني كُفيت أمر الدنيا كله، لأنني أكره عادة العجز.

٨٣٩ - اجتماع المال عند الأسخياء أحد الخصبين، واجتماع المال عند البخلاء أحد الجذبتين.

(١) الشاني: المفضل. القاموس، مادة (شأ).



٨٤٠ - مَنْ عَمِلَ عَمَلٍ آيَهُ كُفِيَ نَصَفَ التَّعَبِ.

٨٤١ - الْمُصْطَلَعُ إِلَى اللَّتِيمِ كَمَنْ طَوَّقَ الْخَنْزِيرَ يَبْرَأَ، وَقَرَّطَ الْكَلْبَ ذُرًّا، وَالْبَسَ الْحِمَارَ وَشَيْئًا، وَالْقَمَ الْأَفْنَى شَهْدًا.

٨٤٢ - الْحَازِمُ إِذَا أَشْكَلَ عَلَيْهِ الرَّأْيُ بِمَنْزِلَةٍ مِنْ أَضَلِّ لُؤْلُؤَةٍ، فَجَمَعَ مَا حَوْلَ مَسْقَطِهَا مِنْ التَّرَابِ ثُمَّ التَّمَسَّهَا حَتَّى وَجَدَهَا، وَلِذَلِكَ الْحَازِمُ يَجْمَعُ وَجُوءَ الرَّأْيِ فِي الْأَمْرِ الْمَشْكَلِ، ثُمَّ يَضْرِبُ بَعْضَهُ بِبَعْضٍ حَتَّى يَخْلُصَ إِلَيْهِ الصَّوَابُ.

٨٤٣ - الْأَشْرَافُ يَمَاقِبُونَ بِالْهَجْرَانِ لَا بِالْحَرَمَانِ.

٨٤٤ - الشُّحُّ أَضَرُّ عَلَى الْإِنْسَانِ مِنَ الْفَقْرِ، لِأَنَّ الْفَقِيرَ إِذَا وَجَدَ اتَّسَعَ، وَالسَّحِيجَ لَا يَتَّسَعُ وَإِنْ وَجَدَ.

٨٤٥ - أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى الْعَاقِلِ أَنْ يَكُونَ عَاقِلًا عَدُوًّا، لِأَنَّهُ إِذَا كَانَ عَاقِلًا كَانَ مِنْهُ فِي عَافِيَةٍ.

٨٤٦ - عَلَيْكَ بِمَجَالِسَةِ أَصْحَابِ التَّجَارِبِ، فَإِنَّهَا تَقْوُمُ عَلَيْهِمْ بِأَعْلَى الْغَلَاءِ، وَتَأْخُذُهَا مِنْهُمْ بِأَرْخَصِ الرُّخْصِ.

٨٤٧ - مَنْ لَمْ يَحْمِذْكَ عَلَى حُسْنِ الْيَقِيَّةِ لَمْ يَشْكُرْكَ عَلَى جَوِيلِ الْعَطِيَّةِ.

٨٤٨ - لَا تَنْكِحُوا النِّسَاءَ لِحُسْنِهِنَّ، نَفْسِي حُسْنُهُنَّ أَنْ يُزَوِّجَهُنَّ، وَلَا لِأَمْوَالِهِنَّ نَفْسِي أَمْوَالَهُنَّ أَنْ تُظْفِفَهُنَّ، وَإِنْ كُحُوهُنَّ عَلَى الدِّينِ، وَلَأَمَّةٌ سَوْدَاءُ خَرَمَاءُ ذَاتِ دِينٍ أَفْضَلُ.

٨٤٩ - أَفْضَلُ الْعِبَادَةِ الْإِنْسَاكُ مِنَ الْمَعْصِيَةِ، وَالْوُقُوفُ عِنْدَ الشُّبُهَةِ.

٨٥٠ - دَمَ الرَّجُلُ نَفْسَهُ فِي الْعِلَانِيَةِ مَذْحَ لَهَا فِي السِّرِّ.

٨٥١ - مَنْ عَدِمَ قَبِيلَةَ الصَّدَقِ فِي مَنْطِقِهِ فَقَدْ فَجِعَ بِأَكْرَمِ أَخْلَاقِهِ.

٨٥٢ - لَيْسَ بِضُرِّكَ أَنْ تَرَى صَدِيقَكَ عِنْدَ عَدُوِّكَ، فَإِنَّهُ إِنْ لَمْ يَنْفَعَكَ لَمْ يَضُرَّكَ.

٨٥٣ - قُلْ أَنْ تَرَى أَحَدًا تَكْبَرُ عَلَى مَنْ دُونَهُ إِلَّا وَبِذَلِكَ الْيَقْدَارِ يَجُودُ بِالذَّلِّ لِمَنْ فَوْقَهُ.

٨٥٤ - مَنْ عَظُمَتْ عَلَيْهِ مُصِيبَةُ فَلْيَذْكُرِ الْمَوْتَ، فَإِنَّهَا تَهْوِنُ عَلَيْهِ، وَمَنْ ضَاقَ بِهِ أَمْرٌ فَلْيَذْكُرِ الْقَبْرَ فَإِنَّهُ يَتَّسَعُ.

٨٥٥ - خَيْرُ الشُّعْرِ مَا كَانَ مَثَلًا، وَخَيْرُ الْأَمْثَالِ مَا لَمْ يَكُنْ شِعْرًا.

٨٥٦ - إِلْقِ النَّاسَ عِنْدَ حَاجَتِهِمْ إِلَيْكَ بِالْبَشَرِ وَالتَّوَاضُّعِ، فَإِنَّ نَابِتَكَ نَائِيَةً، وَحَالَتُكَ بِكَ حَالٌ لَقِيَتَهُمْ، وَقَدْ آيَنَتْ ذِلَّةَ التَّنَاضُلِ إِلَيْهِمْ وَالتَّوَاضُّعِ.

٨٥٧ - إِنْ اللَّهُ يَحِبُّ أَنْ يُعْمَى عَنْ رَزَلَةِ السَّرِيِّ.

٨٥٨ - من طال لسانه وحسن بيانه، فليترك التحدث بغرائب ما سمع، فإن الحسد ليحسن ما يظهر منه يحيل أكثر الناس على تكذيبه، ومن عرف أسرار الأمور الإلهية فليترك الخوض فيها، ولا حملتهم المنافسة على تكفيره.

٨٥٩ - ليس كل مكتوم يسوغ إظهاره لك، ولا كل معلوم يجوز أن تعلمه غيرك.

٨٦٠ - ليس يفهم كلامك من كان كلامه لك أحب إليه من الاستماع منك، ولا يعلم نصيحتك من غلب هواه على رأيك، ولا يسلم لك من اعتقد أنه أتم معرفة بما أشرت عليه به منك.

٨٦١ - خف الضعيف إذا كان تحت راية الإنصاف أكثر من خوفك القوي تحت راية الجور، فإن النضر يأتيه من حيث لا يشعر، وجرحه لا يتدمل.

٨٦٢ - إخافة العبيد والتضييق عليهم يزيد في عبوديتهم وصيانتهم، وإظهار الثقة بهم يكسبهم ثقة وجبرية.

٨٦٣ - أضرب الأشياء عليك أن تعلم رئيسك أنك أعرف بالرياسة منه.

٨٦٤ - عداوة العاقلين أشد العداوات وأنكاهها، فإنها لا تقع إلا بعد الإعذار والإنذار، وبعد أن يش إصلاح ما بينهما.

٨٦٥ - لا تخيمن رئيساً كنت تعرفه بالخمول، وسمت به الحال، ويعرف منك أنك تعرف قديمة، فإنه وإن سر بمكانك من خدمته، إلا أنه يعلم العين التي تراه بها، فينقيض عنك بحسب ذلك.

٨٦٦ - إذا احتجت إلى المشورة في أمر قد طرأ عليك فاستبدؤ ببداية الشبان، فإنهم أحد أذهاناً وأسرع خدساً، ثم رده بعد ذلك إلى رأي الكهول والشيوخ ليستعقبوه، وتحسنوا الاختيار له، فإن تجربتهم أكثر.

٨٦٧ - الإنسان في سعيه وتصرفاته كالعالم في اللجة، فهو يكافح الجرية في إدباره، ويجري معها في إقباله.

٨٦٨ - ينبغي للعاقل أن يستعمل فيما يلتزمه الرفق، ومجانبة الهذر، فإن العلة تأخذ بهدوتها من الدم ما لا تأخذه البعوضة باضطرابها وفرط صياحها.

٨٦٩ - أقوى ما يكون التصنع في أوائله، وأقوى ما يكون التطيع في أواخره.

٨٧٠ - غاية المروءة أن يستحي الإنسان من نفسه، وذلك أنه ليس العلة في الحياء من الشيخ كبير سنه ولا بياض لحيته، وإنما علة الحياء منه عقله، فنبغي إن كان هذا الجوهر فينا أن نستحي منه ولا نحضره قبيحاً.

٨٧١ - من ساس رعيّة حرّم عليه السكر عَقْلاً، لانه قبيح أن يحتاج الحارس إلى من يحرسه.

٨٧٢ - لا تبتاعن مملوكاً قوي الشهوة، فإن له مولى غيرك، ولا غصوباً فإنه يؤذيك في استخدامك له، ولا قوي الرأي فإنه يستعمل الحيلة عليك، لكن اطلب من العبيد من كان قوي الجسم حسن الطاعة، شديد الحياء.

٨٧٣ - لا تُعادوا الدول المقبلة، وتُشربوا قلوبكم بغضها، فتُدبروا بإقبالها.

٨٧٤ - الغريب كالفرس الذي زایل شربته، وفارق أرضه، فهو ذاو لا يتقد وذابل لا يثمر.

٨٧٥ - السفر قطعة من العذاب، والرقيق سوء قطعة من النار.

٨٧٦ - كلُّ خلقي من الأخلاق فإنه يكسده عند قوم من الناس إلا الأمانة فإنها نافعة عند أصناف الناس، يُفضل بها من كانت فيه، حتى إن الآنية إن لم تُنشف وبقي ما يودع فيها على حاله لم ينقص - كانت أكثر ثناء من غيرها وما يرشح أو ينشف.

٨٧٧ - اضرب على سلطانك في حاجاتك، فلست أكبر شغلو، ولا بك قوام أمرو.

٨٧٨ - قوة الاستعمار من ضعف اليقين.

٨٧٩ - إذا أحسنت من رأيك بإكداد، ومن تصورك بفساد، فاتهم نفسك بمجالستك لعامّي الطبع، أو ليسى الفكر، وتدارك إصلاح مزاج تخيلك بمكاثرة أهل الحكمة، ومجالسة ذوي السداد، فإن مفاوضتهم تريح الرأي المكدود، وترد ضالة الصواب المفقود.

٨٨٠ - من جلس في ظل الملقى<sup>(١)</sup>، لم يستقر به موضعه، لكثرة تنقله وتصرفه مع الطباع، وعرفه الناس بالخدعة.

٨٨١ - كثير من الحاجات تُقضى بزماً لا كرمًا.

٨٨٢ - أصحاب السلطان في المثل كقوم رقا جبالاً ثم سقطوا منه، فأقربهم إلى الهلكة والتلف أبعدهم كان في المرتقى.

٨٨٣ - لا تصنع سرّاً عند من لا سر له عندك.

٨٨٤ - سعة الأخلاق كيمياء الأرزاق.

٨٨٥ - العلم أفضل الكثرة وأجملها، خفيث المحمل، عظيم الجدوى، في الملا جمال، وفي الوحدة أنس.

(١) الملقى: الود واللفظ الشديد، وقيل: الترفق والمداراة. اللسان، مادة (ملق).

٨٨٦ - السَّبَابُ مُزَاحُ التَّوَكُّي<sup>(١)</sup>، وَلَا بَأْسَ بِالْمَفَاكِهِ، يُرَوِّحُ بِهَا الْإِنْسَانُ عَنْ نَفْسِهِ، وَيُخْرِجُ عَنْ حُدِّ الْعُبُوسِ.

٨٨٧ - ثَلَاثَةُ أَشْيَاءٍ تَدُلُّ عَلَى عَقُولِ أَرْبَابِهَا: الْهَدْيَةُ، وَالرُّسُولُ، وَالكِتَابُ.

٨٨٨ - التَّعَزُّيَةُ بَعْدَ ثَلَاثِ تَجْدِيدٍ لِلْمَصِيَّةِ، وَالتَّهَنُّتُ بَعْدَ ثَلَاثِ اسْتِخْفَافٍ بِالْمُودَةِ.

٨٨٩ - أَنْتَ مُخَيَّرٌ فِي الْإِحْسَانِ إِلَى مَنْ تَحْسُنُ إِلَيْهِ، وَمُرْتَهَنٌ بِدَوَامِ الْإِحْسَانِ إِلَى مَنْ أَحْسَنْتَ إِلَيْهِ، لَا تَنْكَ إِنْ قَطَعْتَهُ فَقَدْ أَهْدَرْتَهُ، وَإِنْ أَهْدَرْتَهُ فَلَمْ تَعْلُتْهُ.

٨٩٠ - النَّاسُ مِنْ خَوْفِ الذَّلِّ فِي ذُلِّ.

٨٩١ - إِذَا كَانَ الْإِيجَارُ كَافِيًا كَانَ الْإِكْثَارُ عِيًّا، وَإِذَا كَانَ الْإِيجَارُ مُقْصَرًا كَانَ الْإِكْثَارُ وَاجِبًا.

٨٩٢ - بَشَرُ الزَّادِ إِلَى الْمَعَادِ، الْعُدُونُ عَلَى الْعِبَادِ.

٨٩٣ - الْخَلْقُ عِيَالُ اللَّهِ، وَأَحَبُّ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ أَشْفَقُهُمْ عَلَى عِيَالِهِ.

٨٩٤ - تَحْرِيكُ السَّاكِنِ أَسْهَلُ مِنْ تَسْكِينِ الْمُتَحَرِّكِ.

٨٩٥ - الْعَاقِلُ بِخَشَوَةِ الْعَيْشِ مَعَ الْمُقْلَاءِ، آتِسُ مِنْهُ بِلِينِ الْعَيْشِ مَعَ الشُّفَهَاءِ.

٨٩٦ - الْإِنْتِبَاضُ بَيْنَ الْمُنْبَسِطِينَ يَقِلُّ، وَالْإِنْبَسَاطُ بَيْنَ الْمُتَقَبِّضِينَ سَخَفٌ.

٨٩٧ - السَّخَاءُ وَالْجُودُ بِالطَّعَامِ لَا بِالْمَالِ، وَمَنْ وَهَبَ أَلْفًا وَشَحَّ بِصَحْفَةٍ طَعَامٍ فَلَيْسَ بِجَوَادٍ.

٨٩٨ - إِنْ بَقِيََتْ لَمْ يَبْقِ الْهَمُّ.

٨٩٩ - لَا يَقُومُ عَزُّ الْغَضَبِ بِذَلَّةِ الْإِعْتِذَارِ.

٩٠٠ - الشَّفِيعُ جَنَاحُ الطَّالِبِ.

٩٠١ - الْأَمَلُ رَفِيقُ مُؤَيَّسٍ، إِنْ لَمْ يَبْلُغْكَ فَقَدْ اسْتَمْتَعْتَ بِهِ.

٩٠٢ - إِعَادَةُ الْإِعْتِذَارِ تَذَكِيرٌ بِالذَّنْبِ.

٩٠٣ - الصَّبْرُ فِي الْعَوَاقِبِ شَافٍ أَوْ مَرِيحٌ.

٩٠٤ - مَنْ طَالَ عَمْرُهُ، رَأَى فِي أَعْدَائِهِ مَا يَسْرُهُ.

٩٠٥ - لَا نِعْمَةَ فِي الدُّنْيَا أَكْثَمُ مِنْ طَوْلِ الْعُمَرِ، وَصَحَّةِ الْجَسَدِ.

٩٠٦ - النَّاسُ رَجُلَانِ: إِمَّا مُؤَجَّلٌ لِقَدِّ أَحِبَّائِهِ، أَوْ مُجَلَّلٌ بِقَدِّ نَفْسِهِ.

(١) التَّوَكُّي: الْحَمَقِي، مَفْرَدَةً: أَنْوَكُ، اللِّسَانُ، مَادَّةُ (نُوك).

- ٩٠٧ - العقلُ غريزةٌ تربيها التجاربُ .
- ٩٠٨ - التُّضخُّ بينَ الملا تفرِيعُ .
- ٩٠٩ - لا تُنكِحْ خاطبَ سرِّكَ .
- ٩١٠ - مَنْ زَادَ أدبُهُ على عَقْلِهِ كانَ كالرَّاعي الضَّعيفِ مَعَ الغنمِ الكثيرِ .
- ٩١١ - الدَّارُ الضَّيْقَةُ العمى الأصغرُ .
- ٩١٢ - النِّقامُ جسرُ الشرِّ .
- ٩١٣ - لا تُثِنِّ وجهَ العفوِ بالتفريعِ .
- ٩١٤ - كثرةُ النصيحِ تهجمُ بك على كثرةِ الظَّنِّ .
- ٩١٥ - لكلِّ ساقطةٍ لاقطةُ .
- ٩١٦ - ستساقُ إلى ما أنت لاقٍ .
- ٩١٧ - عاداك من لاحاك .
- ٩١٨ - جَدَّكَ لا كَدَّكَ .
- ٩١٩ - تذكُرْ قبلَ الورودِ الصلِّىَّ، والحذرُ لا يغني عن القدرِ، والصبرُ مِنْ أسبابِ الظفرِ .
- ٩٢٠ - عارُ النساءِ باقٍ يلحقُ الأبناءَ بعدَ الآباءِ .
- ٩٢١ - أعجلِ العقوبةَ عقوبةَ البغي والغدرِ واليمينِ الكاذبةِ، ومَنْ إذا تُضَرَّعَ إليه وسُئِلَ العفوَ لم يغفرِ .
- ٩٢٢ - لا تردِّ بأسَ العدوِّ القويِّ وغضبه بمثلِ الخضوعِ والدُّلِّ، كسلامةِ الحشيشِ مِنَ الريحِ العاصفِ بانثنائه معها كيفما مالت .
- ٩٢٣ - قاربِ عدوكَ بعضَ المقاربةِ تنلُ حاجتكِ، ولا تُفِرْطُ في مقاربتِهِ فتذلَّ نفسك وناصركِ، وتأملْ حالَ الخشبةِ المنصوبةِ في الشمسِ التي إن أملتْها زادَ ظلُّها، وإن أفرطتْ في الإمالةِ نقصَ الظلُّ .
- ٩٢٤ - إذا زالَ المحسودُ عَلَيَّ علمتُ أنَّ الحاسدَ كانَ يَحْسُدُ على غيرِ شيءٍ .
- ٩٢٥ - العجزُ نائمٌ، والحزمُ يقظانٌ .
- ٩٢٦ - من تجرَّأ لَكَ تجرَّأ عليك .
- ٩٢٧ - ما عفا عن الذنبِ مَنْ قَرَّعَ بِهِ .
- ٩٢٨ - عبدُ الشهوةِ أذلُّ من عبدِ الرُّقَى .
- ٩٢٩ - لَيْسَ ينبغي للعاقِلِ أَنْ يطلبَ طاعةَ غيره، وطاعةُ نفسه عَلَيَّ مُمْتَنِعَةٌ .

- ٩٣٠ - الناسُ رَجُلَان: واجِدٌ لا يكتفي، وطالِبٌ لا يجد.
- ٩٣١ - كُلُّما كثر خُزَانُ الأسرار، زادت ضياعاً.
- ٩٣٢ - كثرة الآراءِ مفسدة، كالقِدْرِ لا تطيب إذ كثر طَبَّائُها.
- ٩٣٣ - مَنْ اشتاق خَدَمَ، وَمَنْ خَدَمَ اتَّصَلَ، وَمَنْ اتَّصَلَ وصل، وَمَنْ وصل عَرَفَ.
- ٩٣٤ - عَجَباً لِمَنْ يخرُجُ إلى البساتين للفرجةِ على القَدَرَةِ، وَهَلْ شَفَلَتْ رُؤْيَا القادِرِ عَن رُؤْيَا القَدَرَةِ!
- ٩٣٥ - كُلُّ الناسِ أَمِروا بِأَنْ يَقُولُوا: لا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، إِلاَّ رسولُ اللهِ، فَإِنَّهُ رُفِعَ قَدْرُهُ عَن ذَلِكَ، وَقِيلَ لَهُ: ﴿مَّا لَكَ أَنْتَ لَا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ﴾<sup>(١)</sup>، فَأَمِرَ بِالْعِلْمِ لا بِالْقَوْلِ.
- ٩٣٦ - كُلُّ مُصْطَنِعٍ عارِفٌ فَإِنَّمَا يصنع إلى نفسه، فلا تلتبس مِن غيرك شكر ما آتَيْتَهُ إلى نفسك وتَمَنَّتْ به لَدُنْكَ، ووقِيتْ بِهِ عِرْضُكَ.
- ٩٣٧ - وَلَدُكَ زَيْنَاتُكَ سَبْعاً، وَخَادِمُكَ سَبْعاً، ثُمَّ هُوَ عَدُوُّكَ أو صديقك.
- ٩٣٨ - مَنْ قَبِلَ معروفَكَ فَقَدْ باعَكَ مَرْوَتَهُ.
- ٩٣٩ - إلى الله أشكو بِلَادَةَ الأَمِينِ وبقِظَةَ الخاتَمِ.
- ٩٤٠ - مَنْ أَكثَرَ المشورةَ لم يَغْدَمْ عند الصوابِ مادحاً، وعند الخطأ عاذراً.
- ٩٤١ - مَنْ كثر حقه قَلَّ عتابُهُ.
- ٩٤٢ - الْحَازِمُ مَنْ لَمْ يَشْغَلْهُ الْبَطَرُ بِالنِّعْمَةِ عَنِ الْعَمَلِ لِلْعَاقِبَةِ، وَالْهَمُّ بِالْحَادِثَةِ عَنِ الْحِيلَةِ لِدَفْعِهَا.
- ٩٤٣ - كُلُّما حَسُنَتْ نِعْمَةُ الْجَاهِلِ ارْتَدَّاهُ قُبْحاً فِيهَا.
- ٩٤٤ - مَنْ قَبِلَ عَطَاكَ فَقَدْ أَعَانَكَ عَلَى الْكُورِ، وَلَوْلا مَنْ يَقْبَلُ الْجُودَ لَمْ يَكُنْ مَنْ يَجُودُ.
- ٩٤٥ - إِخْوَانُ السُّوءِ كَشَجَرَةِ النَّارِ، يُحْرِقُ بَعْضُهَا بَعْضاً.
- ٩٤٦ - زَلَّةُ الْعَالَمِ كَانْكَسَارِ السَّفِينَةِ تَفْرُقُ وَيَتَفَرَّقُ مَعَهَا خَلْقُ.
- ٩٤٧ - أَهْوَى الْأَعْدَاءِ كَيْدًا أَظْهَرَهُمْ لِعَدَاوَتِهِ.
- ٩٤٨ - أَتَيْتُ لِرِضَاكَ مِنْ غَضَبِكَ، وَإِذَا طُرْتُ فَقَعْتُ قَرِيباً.
- ٩٤٩ - لَا تَلْتَمِسْ بِالْسلْطَانِ فِي وَقْتِ اضْطِرَابِ الْأُمُورِ عَلَيْهِ، فَإِنَّ الْبَحْرَ لَا يَكَادُ يَسْلُمُ صَاحِبُهُ فِي حَالِ سُكُونِهِ، فَكَيْفَ يَسْلُمُ مَعَ اخْتِلَافِ رِيَاغِهِ وَاضْطِرَابِ أُمُوجِهِ!

٩٥٠ - إذا خُلِّيَ عِنانُ العقل، ولم يحبس على هوى نفسٍ، أو عادةٍ دينٍ، أو عصبيةٍ لسلف، ورد بصاحبه على النجاة.

٩٥١ - إذا زادك المُلْكُ تأنيساً فزده إجلالاً.

٩٥٢ - مَنْ تكلَّفَ ما لا يعنيه فاته ما يعنيه.

٩٥٣ - قَلِيلٌ يُتَرَقَّى مِنْهُ إِلَى كَثِيرٍ خَيْرٌ مِنْ كَثِيرٍ يَنْحَطُّ عَنْهُ إِلَى قَلِيلٍ.

٩٥٤ - جَبَّتْوا مَوْتَائِكُمْ فِي مَدَائِفِهِمْ جَارِ السُّوءِ، فَإِنَّ الْجَارَ الصَّالِحَ يَنْفَعُ فِي الْآخِرَةِ كَمَا يَنْفَعُ فِي الدُّنْيَا.

٩٥٥ - زُرَ القُبُورَ تَذَكُّرٌ بِهَا الْآخِرَةِ، وَغَسْلُ المَوْتَى يَتَحَرَّكُ قَلْبُكَ، فَإِنَّ الْجَسَدَ الْخَاوِي عِظَةٌ بَلِغَةٌ، وَصَلَّ عَلَى الْجَنَائِزِ لَعَلَّهُ يُخَرِّجَكَ، فَإِنَّ الْحَزِينَ قَرِيبٌ مِنَ اللَّهِ.

٩٥٦ - المَوْتُ خَيْرٌ لِلْمُؤْمِنِ وَالْكَافِرِ، أَمَّا الْمُؤْمِنُ فَيَتَعَجَّلُ لَهُ النِّعَمِ، وَأَمَّا الْكَافِرُ فَيَقِلُّ عَذَابُهُ، وَآيَةُ ذَلِكَ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْكَافِرِينَ﴾<sup>(١)</sup>، ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّنا نَمْلِكُهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّا نَمْلِكُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ لَيْزَادُوا إِنْسَانًا﴾<sup>(٢)</sup>.

٩٥٧ - جَزَعَكَ فِي مُصِيبَةِ صَدِيقِكَ أَحْسَنَ مِنْ صَبْرِكَ، وَصَبْرُكَ فِي مُصِيبَتِكَ أَحْسَنَ مِنْ جَزَعِكَ.

٩٥٨ - مَنْ خَافَ إِسَاءَتَكَ اعْتَدِ مَسَاءَتَكَ، وَمَنْ رَهَبَ صَوْلَتَكَ نَاصَبَ دَوْلَتِكَ.

٩٥٩ - مَنْ فَعَلَ مَا شَاءَ لَقِيَ مَا شَاءَ.

٩٦٠ - يَسُرُّنِي مِنَ الْقُرْآنِ كَلِمَةٌ أَرْجُوهَا لِمَنْ اسْتَرْفَ عَلَى نَفْسِهِ ﴿قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾<sup>(٣)</sup> فَجَعَلَ الرَّحْمَةَ عُمُومًا وَالْعَذَابَ خُصُوصًا.

٩٦١ - الْإِسْتِثْنَاءُ يُوجِبُ الْحَسَدَ، وَالْحَسَدُ يُوجِبُ الْبَغْضَةَ، وَالْبَغْضَةُ تُوجِبُ الْإِخْتِلَافَ، وَالْإِخْتِلَافُ يُوجِبُ الْفِرْقَةَ، وَالْفِرْقَةُ تُوجِبُ الضَّعْفَ، وَالضَّعْفُ يُوجِبُ الذُّلَّ، وَالذُّلُّ يُوجِبُ زَوَالَ الدَّوْلَةِ، وَذَهَابَ النُّعْمَةِ.

٩٦٢ - لَا يَكَادُ يَصَحُّ رُؤْيَا الْكَذَّابِ، لِأَنَّهُ يَخْبِرُ فِي الْبِقِظَةِ بِمَا لَمْ يَكُنْ، فَأَخْبِرَ بِهِ أَنْ يَرَى فِي الْمَنَامِ مَا لَا يَكُونُ.

٩٦٣ - يُقْسِدُكَ الظَّنُّ عَلَى صَدِيقٍ قَدْ أَصْلَحَكَ الْيَقِينُ لَهُ.

٩٦٤ - لَا تَكَاذُ الظُّنُونُ تَزِدْهُمْ عِلَّ أَمْرِ مُسْتَوٍ إِلَّا كَشَفْتَهُ.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٧٨.

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٩٨.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٥٦.

٩٦٥ - المشورة راحة لك وتعب على غيرك.

٩٦٦ - حق كل سر أن يسان، وأحق الأسرار بالصيانة سرُّك مع مولاك، وبسرُّه معك، واعلم أن من فصَّح فضيح، ومن باح قَلْدَمِه أباح.

٩٦٧ - يا مَنْ أَلَمَّ بجناب الجلال، احفظ ما عرفت، واكتم ما استودعت، واعلم أنك قد رشحت لأمر فافطن له، ولا ترض لِنَفْسِكَ أن تكون خائناً، فمن يؤد الأمانة فيما استودع، أخلق الناس بِسِمة الخيانة، وأجدر الناس بالإبعاد والإهانة!

٩٦٨ - لا تعامل العاقبة فيما أنعم به عليك من العلم، كما تعامل الخاصة، واعلم أن الله سبحانه رجالاً أودعهم أسراراً خفية، ومنعهم عن إشاعتها، واذكر قول العبد الصالح لموسى وقد قال له: هل أتيتك على أن تعلمني مما علّمت رشداً. قال: إنك لن تستطيع معي صبراً، وكيف نصبر على ما لم نحظ به خبراً!

٩٦٩ - لكل دار باب، وباب دار الآخرة الموت.

٩٧٠ - إن لك فيمن مضى من أبائك وإخوانك لعبرة، وإن ملك الموت دخل على داود النبي، فقال: مَنْ أنت؟ قال: مَنْ لا يهاب الملوك، ولا تمنع منه القصور، ولا يقبل الرشا، قال: فإذا أنت ملك الموت جئت، ولم أستعد بعد! فقال: فأين فلان جارُّك، أين فلان نسيك؟ قال: ماتوا، قال: ألم يكن لك في هؤلاء عبرة لتستعداً!

٩٧١ - ما أخسر صفقة الملوك إلا مَنْ عصم الله، باعوا الآخرة بِنَوْمَةٍ.

٩٧٢ - إن هذا الموت قد أفسد على الناس نعيم الدنيا، فما لكم لا تلتمسون نعيماً لا موت بعده!

٩٧٣ - انظر العمل الذي يسرك أن يأتيك الموت وأنت عليه فافعله الآن، فلست تأمن أن تموت الآن.

٩٧٤ - لا تستبطل في القيامة فتسكن إلى طول المدّة الآتية عليك بعد الموت، فإنك لا تفرق بعد عودك بين ألف سنة وبين ساعة واحدة، ثم قرأ: ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ الْأَشْجَارُ فَتَبْلُغُ أَرْبَابَهُمْ بِشَرِّهِمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَسُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ﴾ (١) الآية.

٩٧٥ - لا بد لك من رفيق في قبرك، فاجعله حسن الوجه طيب الريح، وهو العمل الصالح.

٩٧٦ - ربُّ مُرتاحٍ إلى بلد وهو لا يدري أن حمامه في ذلك البلد.



٩٧٧ - الموت قانصٌ يُصِبي ولا يشوي.

٩٧٨ - ما من يؤم إلا يتصفح ملك الموت فيه وجوه الخلائق، فمن رآه على معصية أو لهو، أو رآه ضاحكاً فرحاً، قال له يا مسكين: ما أغفلك عما يُرَادُّ بك! اعمل ما شئت، فإن لي فيك غمرة أقطع بها وتينك.

٩٧٩ - إذا وُضع الميت في قبره اعتورته نيران أربع، فتجيء الصلاة فتظفيء واحدة، ويجيء الصوم فيظفيء واحدة، وتجيء الصدقة فتظفيء واحدة، ويجيء العلم فيظفيء الرابعة، ويقول: لو أدركتهم لأطفأتهم كلهم، فقر عيناً فانا معك، ولن ترى بؤساً.

٩٨٠ - استجيروا بالله تعالى، واستخيروه في أموركم، فإنه لا يُسلم مستجيراً، ولا يحرم مُستخيراً.

٩٨١ - ألا أدلكم على ثمرة الجنة! لا إله إلا الله بشرط الإخلاص.

٩٨٢ - من شرف هذه الكلمة وهي الحمد لله. أن الله تعالى جعلها فاتحة كتابه، وجعلها خاتمة دعوى أهل جنته، فقال: ﴿وَأَجْرُ دَعْوَتِهِمْ أَن يَكْتَسِبُوا رِيبَ الْعَالَمِينَ﴾<sup>(١)</sup>.

٩٨٣ - ذاكِر الله في الغافلين كالشجرة الخضراء في وسط الهشيم، وكالذارِ العامرة بين الربوع الخرية.

٩٨٤ - أفضل الأعمال أن تموتَ ولسانك رطبٌ بذكر الله سبحانه.

٩٨٥ - الذكرُ ذِكْران: أحدهما ذكر الله وتحميده، فما أحسنه وأعظم أجره! والثاني ذكر الله عندما حرّم الله وهو أفضلُ من الأول!

٩٨٦ - ما أضيّق الطريق على من لم يكن الحقُّ تعالى ذليلاً، وما أوحشها على من لم يكن أنيساً! ومن اعتزَّ بغير عزِّ الله ذلٌّ، ومن تكثّر بغير الله قلٌّ.

٩٨٧ - اللهم إن فهتُّ عن مسألتي، أو عمهتُ عن طلبتي، فقلّني على مصالحتي، وخذ بناصيتي إلى مراشدي. اللهم احملني على عفوك، ولا تحملني على عدلك.

٩٨٨ - مُع الإيمان التقوى والورع، وهما من أفعال القلوب، وأحسن أفعال الجوارح ألا تزال مائلاً فاك بذكر الله سبحانه.

٩٨٩ - اللهم فرغني لما خلقتني له، ولا تشغلني بما تكفلت لي به، ولا تحرمني وأنا أسألك، ولا تعذبني وأنا أستغفرك.

(١) سورة يونس، الآية: ١٠.

٩٩٠ - سُبْحَانَ مَنْ نَدَعُوهُ لِحَقْلُنَا فَيَسْرِعُ! وَيَذْعُونَا لِحَقْلُنَا فَنَبْطِئُ! خَيْرُهُ إِلَيْنَا نَازِلٌ، وَشَرُّنَا إِلَيْهِ صَاعِدٌ، وَهُوَ مَالِكٌ قَادِرٌ.

٩٩١ - اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ بَيَاتٍ غَفْلَةٍ وَصَبَاحٍ نَدَامَةٍ.

٩٩٢ - اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَغْفِرُكَ لِمَا تَبَتَ مِنْهُ إِلَيْكَ ثُمَّ عَذْتُ فِيهِ، وَأَسْتَغْفِرُكَ لِمَا وَعَدْتُكَ مِنْ نَفْسِي ثُمَّ أَخْلَفْتُكَ، وَأَسْتَغْفِرُكَ لِلنِّعَمِ الَّتِي أَنْعَمْتَ بِهَا عَلَيَّ فَتَقَوَّيْتُ بِهَا عَلَى مَعْصِيَتِكَ.

٩٩٣ - اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَقُولَ حَقًّا لَيْسَ فِيهِ رِضَاكَ أَلْتَمَسُ بِهِ أَحَدًا سِوَاكَ، وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أَتَزَيَّنَ لِلنَّاسِ بِشَيْءٍ يَشِينُنِي عِنْدَكَ، وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أَكُونَ عِبْرَةً لِأَحَدٍ مِنْ خَلْقِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ يَكُونَ أَحَدٌ مِنْ خَلْقِكَ أَسْعَدَ بِمَا عَلَّمْتَنِي مِنِّي.

٩٩٤ - يَا مَنْ لَيْسَ إِلَّا هُوَ، يَا مَنْ لَا يَعْلَمُ مَا هُوَ إِلَّا هُوَ، اعْفُ عَنِّي،

٩٩٥ - اللَّهُمَّ إِنْ الْأَمَالَ مَنُوطَةٌ بِكَرْمِكَ، فَلَا تَقْطَعْ عِلَاقَتَهَا بِسَخَطِكَ. اللَّهُمَّ إِنِّي أَبْرَأُ مِنَ الْحَوْلِ وَالْقُوَّةِ إِلَّا بِكَ، وَأَذْرَأُ بِنَفْسِي عَنِ التَّوَكُّلِ عَلَى غَيْرِكَ.

٩٩٦ - اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، كَلِمَا ذَكَرَهُ الذَّاكِرُونَ، وَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ كَلِمَا غَفَلَ عَنْ ذِكْرِهِ الْغَافِلُونَ. اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ عِدَّةَ كَلِمَاتِكَ، وَعِدَّةَ مَعْلُومَاتِكَ، صَلَاةً لَا نَهَايَةَ لَهَا، وَلَا غَايَةَ لِأَمِّيَّهَا.

٩٩٧ - سُبْحَانَ الرَّاجِدِ الَّذِي لَيْسَ غَيْرُهُ، سُبْحَانَ الدَّائِمِ الَّذِي لَا نِفَادَ لَهُ، سُبْحَانَ الْقَدِيمِ الَّذِي لَا ابْتِدَاءَ لَهُ، سُبْحَانَ الْغَنِيِّ عَنِ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا شَيْءٍ مِنَ الْأَشْيَاءِ يَغْنِي عَنْهُ!

٩٩٨ - يَا اللَّهُ يَا رَحْمَنُ يَا رَحِيمُ يَا حَيُّ يَا قَيُّوْمُ يَا بَدِيعَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ اعْفُ عَنِّي.

وهذا جِينُ انْتِهَاءِ قَوْلِنَا فِي شَرْحِ نَهْجِ الْبَلَاغَةِ، وَلَمْ نَدْرِكْ مَا أَدْرَكَاهُ مِنْهُ بِقَوَّتِنَا وَحَوْلِنَا، فَإِنَّا عَاجِزُونَ عَمَّا هُوَ دُونُهُ، وَلَقَدْ شَرَحْنَا فِيهِ وَإِنَّهُ لَفِي أَنْفُسِنَا كَالْقَلْوَدِ<sup>(١)</sup> الْأَمَلِسِ تَرْتُّلُ الْوُعُولِ الْعُضْمُ عَنْ قَدَّايَتِهِ، بَلْ كَالْفَلَكِ الْأَطْلَسِ لَا تَبْلُغُ الْأَوْهَامُ وَالْعُقُولُ إِلَى حُدُودِ غَايَاتِهِ، فَمَا زَالَتْ مَعُونَةُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى تَسْهِيلُ لَنَا حَزَنَهُ، وَتَذَلُّ لَنَا صَعْبَهُ، حَتَّى أَصْحَبَ آيَتُهُ، وَأَطَاعَ عَصِيَّتُهُ، وَفُتِحَتْ عَلَيْنَا - بِحُسْنِ النِّيَّةِ وَإِخْلَاصِ الْقَلْوِيَّةِ - فِي تَصْنِيفِهِ أَبْوَابُ الْبَرَكَاتِ، وَتَبَسَّرَتْ عَلَيْنَا مَطَالِبُ الْخَيْرَاتِ، حَتَّى لَقَدْ كَانَ الْكَلَامُ يَتَّالٍ عَلَيْنَا انْتِهَالًا، وَيُؤَاتِينَا بَدِيهَةً وَارْتِجَالًا، فَتَمَّ تَصْنِيفُهُ فِي مَدَّةِ قَدَرِهَا أَرْبَعُ سَنِينَ وَثَمَانِيَةِ أَشْهُرٍ، وَأَوَّلُهَا غُرَّةُ شَهْرِ رَجَبٍ مِنْ سَنَةِ أَرْبَعِينَ وَسِتِّمِائَةٍ. وَآخِرُهَا سَلَخُ صَفَرٍ مِنْ سَنَةِ تِسْعِ أَرْبَعِينَ وَسِتِّمِائَةٍ، وَهُوَ مُقَدَّارُ مَدَّةِ خِلَافَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَمَا كَانَ

في الظن والتقدير أنّ الفراغ منه يقع في أقلّ من عشر سنين، إلّا أنّ الألفاظ الإلهية والعناية السماوية، شملتنا بارتفاع العوائق، وانتفاء الصّوراف، وشحذت بصيرتنا فيه، وأرهفت هممتنا في تشييد مبانيه، وتنضيد ألفاظه ومعانيه.

وكان لسعادة المجلس المؤلّوي المؤيدي الوزيري أجرى الله بالخير أقلامه، وأمضى في طُلّى<sup>(١)</sup> الأعداء حُسامه في المعونة عليه أوفر قسط، وأوفى نصيب وحظ، إذ كان مصنوعاً لِحِزَانَتِهِ، ومُؤَسَّماً بِسِمَتِهِ، ولأنّ همته أعلاها الله ما زالت تتقاضى عنده بإتمامه، وتحثّه على إنجازه وإبرامه، ونابيك بها من همّة راضية الصّعب الجامح، وخفقت العبد الفادح، ويُسرت الأمر العسير، وقطعت المدى الطويل في الزّمن القصير.

وقد استعملت في كثير من فصوله فيما يتعلق بكلام المتكلمين. والحُكماء خاصة ألفاظ القوم، مع علمي بأنّ العربية لا تُجيزها، نحو قولهم: المحسوسات، وقولهم: الكلّ والبعض، وقولهم: الصفات الذاتية، وقولهم: الجسمانيات، وقولهم: أمّا أولاً فالحال كذا، ونحو ذلك مما لا يخفى عمّن له أدنى أنس بالأدب، ولكنا استهجنّا تبديل ألفاظهم وتغيير عباراتهم، فمن كلّم قوماً كلّمهم باصطلاحهم، ومن دخل ظفاري حَمَر.

والنسخة التي بيّني هذا الشرح على نصّها أتمّ نسخة وجدنا بنهج البلاغة، فإنها مشتملة على زيادات تخلص عنها أكثر النسخ.

وأنا استغفر الله العظيم من كلّ ذنب يُبعد من رحمته، ومن كل خاطر يذعّر إلى الخروج عن طاعته، واستشفع إليه بمن أنصبت جسدي، وأسهرت عيني، وأعملت فكري، واستغرقت طائفة من عمري، في شرح كلامه، والتّقرب إلى الله بتعظيم منزلته ومقامه، أن يعقّ وقتي من النّار، وآلا يبتليني في الدّنيا ببلاءٍ تعجزّ عنه قوّتي، وتضعف عنه طاقتي، وأن يصون وجهي عن المخلوقين، ويكفّ عني عاديّة الظالمين، إنه سميع مجيب، وحسبنا الله وحده وصلواته على سينا محمّد النبي وآله وسلامه.

آخر الجزء العشرين تمّ الكتاب

# الفهرس

الموضوع

الصفحة

## الجزء التاسع عشر

٢٥	فصل : بعض ما قيل في الحياء
٣٤	نُبذ عن شجاعة علي عليه السلام
٣٦	خبر غزوة الخندق
٦٣	من غريب كلام الإمام علي وشرحه لأبي عبيد
٦٨	من غريب كلام الإمام علي وشرحه لابن قتيبة
٧٧	خطبة الإمام علي عليه السلام الخالية من الألف
٨٢	بعض ما قيل في صحبة السلطان
٩٧	بعض ما ورد في تقلبات الدهر
١٠١	بعض ما ورد في حمد القناعة وقلة الأكل
١٣٥	بعض ما قيل في الوعد والمطل
١٥٥	بعض ما قيل في حال الدنيا وصروفها
١٦٧	النهي عن المنكر
١٧٢	بعض ما ورد في الجود والبخل
١٧٨	بعض ما قيل في حال الدنيا
١٩٤	بعض ما قيل في الفخر
٢٠١	نواذر حول الأسماء والكنى
٢٠٦	أخبار حول العين والطيرة والغال والسحر والعدوى
٢١٣	أخبار حول مذاهب العرب وتخيلائها

## الجزء العشرون

٢٥١	مع أبي المعالي الجويني في أمر الصحابة والرد عليه
-----	--

٢٦٨	أخبار عمار بن ياسر ونسبه
٢٧١	بعض ما قيل في مدح العقل
٢٧٩	في ماهية التوبة وشروطها
٣٠١	عبد الله بن الزبير: نسبه وبعض أخباره
٣٣١	بعض ما قيل في الفخر وقبحه
٣٣٢	مع علي بن أبي طالب <small>عليه السلام</small> حول أشعر الشعراء
٣٣٣	اختلاف العلماء في تفضيل بعض الشعراء على بعض
٣٥٢	بعض ما ورد في الكنايات وبعض الشواهد عليها
٣٧٠	خبر عن امرئ القيس
٣٧٤	في التفضيل بين الصحابة
٣٧٨	بعض ما قيل من الشعر في الشيب والخضاب
٣٩٢	الحكم المنسوبة إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب <small>عليه السلام</small>

مكتبة الإمام أبي الفتح  
بمكة المكرمة

الطبعة الأولى  
١٩٨٠ - ١٩٨١  
مطبعة جامعة القاهرة